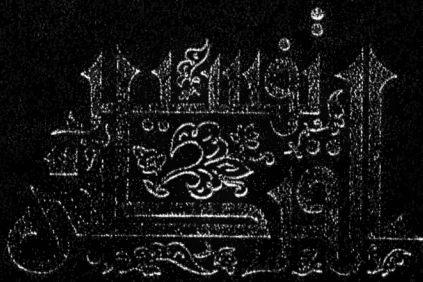


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مكتبة جامعة القاهرة













طبعة خاصة  
بتصريح من دار الشعب

يطلب من : دار البيان للتراث

● دار البيان للتراث ١٧٧ شارع الهرم . ت : ٥٣٦٥٩٩  
● مصر الجديدة : ٢٠ شارع الأنفاس . ت : ٢٥٩١٨٩٢ / ٢٥٩١٨٩١

الجامع للإمام القرآن الكريم

٦

Organization Of the  
and Library (GOAL)  
Bibliotheca Alexandrina

# نفوس القرطبي

لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

الهيئة العامة لـ "الألسكندرية"

رقم التصنيف

رقم التسجيل

دار الريان للتراث



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة ابراهيم

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر . وقال ابن عباس وقادة : إلا آيتين منها مدينتين  
وقيل : ثلاث نزلت في الذين حاربوا الله ورسوله وهي قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » إلى قوله : « فَأَنَّا مَصَرَفُكُمْ إِلَى النَّارِ »

قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا »

إِلَى الشُّرُكِ يُبَازِنُ رَبَّهُمْ وَإِلَى صِرَاطٍ أَنْعَزَ الْخَمِيدُ ①

قوله تعالى : « ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) » أي بالكفر ،  
وهو الفراق ، أي بدمائك إليه . « ( مِنْ الظَّالِمَاتِ إِلَى النَّارِ ) » أي من ظلمات الكفر والضلالة  
والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وهذا على التمثيل ، لأن الكفر بعتلة الظلمة ، والإسلام بعتلة  
النور . وقيل : من البدعة إلى السنة ، ومن الشك إلى اليقين ، والمعنى متقارب . « يُبَازِنُ  
رَبَّهُمْ » أي يتوفاقه إياهم ولطفه بهم ، والباء أي « يبازن ربهم » متعلقة بـ « يخرج » وأضيف  
الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الداعي والمنذر الهادي . « ( إِلَى صِرَاطٍ أَنْعَزَ الْخَمِيدُ ) »  
هو كقولك : خرجت إلى زيد العاقل الفاضل من غير واد ، لأشهما شيئا واحد ، وافتة هو  
المرز الذي لا مل له ولا شبه . وقيل : « المرز » الذي لا يبله غالب . وقيل : « المرز »  
المنع في ملكه وسلطانه . « الحميد » أي المحمود بكل لسان ، والمجد في كل مكان على كل حال  
وروى يقيم عن ابن عباس قال : كان قوم آمنوا بميسى بن مريم ، وقوم كفروا به ، فلما  
ميت محمد صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بميسى ، وكفر الذين آمنوا بميسى ، فزلت  
هذه الآية ، ذكره المسوردي .



البقاء في نعيمها على النعم في الآخرة، وصعد عن سبيل الله - أي سرف الناس عنه وجودهم لله، الذي جاءت به الرسل، في قول ابن عباس وغيره - فهو دلفل في هذه الآية؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون» وهو حديث صحيح. وما أكثر ما هم في هذه الأزمان، والله المستعان. وقيل: «يستحيون» أي يتمسكون الدنيا من غير وجهها؛ لأن نعمة الله لا تلمس إلا بطاعة دون معصيته. (وَيَتَّقُونَهَا عِوَا) أي يطلبون لما زينا وميلا لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم. والسبيل تذكر وتؤثت. والبرج بكسر العين في الدين والأمر والأرض، وفي كل ما لم يكن قائما؛ وفتح العين في كل ما كان قائما، كالحائط والرح ونحوه؛ وقد تقدم في «آل عمران» وغيرها. (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) أي غلب عن الحق بعيد عنه.

قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ①

قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ) أي قبلك يا محمد (إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) أي بلتهم، لِيُبَيِّنَا لَهُمْ أَمْرَهُمْ، ووحده اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، وهي اسم جنس يقع على القليل والكثير؛ ولا حجة للعلم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها زمته المجبة؛ وقد قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا». وقال صلى الله عليه وسلم: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أمة وأسود من خلقه». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يردى ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». أخرجه مسلم، وقد تقدم. (فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ) رذ على القدريّة في هزول المشيئة، وهو مستأنف، وليس بمطوف على

« ليين » لأن الإرسال إنما وقع للذين لا الإضلال . ويموز الصب في « يضل » لأن الإرسال صار سببا للإضلال ؛ فيكون كفوله : « لِيَكُونَ لَكُمْ عَذَابٌ وَحْشًا » وإنما صار الإرسال سببا للإضلال لأنهم كفروا به لما جاءهم ؛ فصار كأنه سبب لكفرهم . ( وهو التوبة الحكيم ) تقدم معناه .

قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْسَمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ) أي بعثنا وإبراهيم ؛ أي بالمعجزات الباطنة على صدقه . قال مجاهد : هي التسع الآيات . ( أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) نظيره قوله تعالى لنينا عليه السلام أول البسورة : « لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » . وقيل : « أَنْ » هنا بمعنى أي ، كقوله تعالى : « وَأُطْلِقَ الْعَمَلَاءَ مِنْهُمْ أَنْ أَسْأَوْا » أي أفسدوا .

قوله تعالى : ( وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ) أي لعل لهم قولا يتذكرون به أيام الله تعالى . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ينم الله عليهم ؛ وقاله ابن بن كعب لرواه صرطوع ؛ أي بما أتم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن آتية ؛ إلى سائر أتم ؛ ولقد تسمى الأيام بالأيام ؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم ،

• وَأَيَّامِ تَسَاوَرَ طَوَالِ •

(١) الآيات التسع هي : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والدماء ويدر والسين وقصص من الثمرات .

(٢) البيت من سلته وتعليقه

• عَذَابُ اللَّهِ فِي أَيَّامِ نَارِهِ •

وله يكون نسبنا غرا لعلهم على الملك وأمناعهم منه ، فأيامهم غر لم ، وطوال على أمداتهم ؛ وعليه فلا دليل في البيت على أن الأيام بمعنى اليوم . وإنما أيام بغير صلت على (أيام) في البيت قبله . ويجوز أن يجلس الواو بدلا من ووب .



وعن ابن عباس أيضا ومقاتل : يوقائع الله في الأيام السابقة ، يقال فلان عالم بآيام  
العرب ، أى بوقائعها . قال ابن زيد : معنى الأيام التى استقيم فيها من الأيام النبوية ، وكذلك  
روى ابن وهب عن مالك قال : بلاؤه . وقال الطبرى : وظلهم بما سلف في أيام  
الخاصة لهم ، أى بما كان في أيام الله من النعمة والحننة ، وقد كانوا حينئذ مستأثرين ،  
واكتفى بذلك الأيام عطف لأنها كانت معلومة عندهم . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس  
عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " بيننا موسى عليه  
السلام في قومه يا صبركم بآيام الله وآيام الله بلاؤه ونبلؤه " وذكر حديث أنس بن مالك ،  
هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب ، المقصود لليقين ، الخصال من كل بدعة ، والله عن  
كل ضلالة وشبهة . ( إن في ذلك ) أى في التذكير بآيام الله ( آيات ) أى دلالات .  
( لكل صبار ) أى كثير الصبر على طاعة الله ، وعن معاصيه . ( شكور ) لنعمة الله . وقال  
قاعدة : هو العبد ، إذا أعطى شكر ، وإذا أبى صبر . وروى عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال : " الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر " ثم تلا هذه الآية -  
" إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور " . ونحوه عن الشعبي موقوفا . وتوارد الحسن  
البصري عن الجماح سبع سنين ، فلما بلغه موته قال : اللهم قد أبته فاميت سكتة ، وسجد  
شكرا ، وقرا " إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور " . وإنما خص بالآيات كل صباه  
شكور لأنه يتبرها ولا ينفل عنها ، كما قال : " إنما أنت منسدر من يتشأها " وإن كان  
منذرا للجميع .

قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ  
أَنْجَيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ  
نِسَاءَكُمْ وَيَذِلُّكُمْ بِالْقِلَافِ ۚ إِنَّكُمْ تَكُونُونَ لَشَاكِرِينَ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ  
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝

قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ادْعُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعُونَ إِلَهُكُمْ لِئَنْتُمْ لِئَامٌ ) وفي ذلك بلاءٌ من ربكم عظيمٌ .  
تقدم في « البقرة » مستوفى والحمد لله .

قوله تعالى : ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ) قيل : هو من قول موسى لقومه . وقيل : هو من تأذَّن الله أي وأذكريا عهد إذ قال ربك كذا . و « تأذَّن » وأذن بمعنى أعلم ، مثل أوعد وتوعد ، روى معنى ذلك عن الحسن وشبهه . ومنه الأذنان ، لأنه إعلام ، قال الشاعر :

فَلَمْ تَسْغُرْ بِضَوْءِ الصَّبَاحِ حَتَّى • سَمِعْنَا فِي عَجَلٍ لَيْسَ الْأَذْيَانُ

وكان ابن مسعود يقرأ « وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ » والمعنى واحد . ( لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ) أي لئن شكرتم إناهي لأزيدنكم من فضل . الحسن : لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي . ابن عباس : لئن وعدتكم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب ، والمعنى متقارب في هذه الأقوال ، والآية فصل في أن الشكر سبب المزيد ، وقد تقدم في « البقرة » ما للعلماء في معنى الشكر . وسئل بعض الصالحين عن الشكر لله فقال : ألا تتقوى بنعمه على معاصيه . وحكى عن داود عليه السلام أنه قال : أي رب كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة مجددة منك علي . قال : ياداد الأنا شكرتني . قلت : لحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة لئتم ، وألا يصرفها في غير طاعته ، وأنشد المادى وهو يا كل :

أَنَا لَكَ رِزْقٌ لِقَوْمٍ فِيهِ • بطاعته وتشكر بعض حقه

فَلِمَ تَشْكُرُ لِنِعْمِهِ وَلَكِنْ • قُوِيَ عَلَى مَعَاصِيهِ بِرِزْقِهِ

فصل في النعمة ، ونحوها البقرة . وقال جعفر الصادق : إذا سمعت النعمة نعمة الشكر فأتاه الزبير : ( وَلَنْ كُفِّرْتُمْ إِنْ عَذَّبْنَا لَشِدِيدٍ ) أي عذبتكم حتى . وقيل : نعمي ، وعد بالعتاب على الكفر ، كما وعد بالمادة على الشكر ، وحذفت الفاء التي في جواب الشرط من « إن » للشبهة .

( ١ ) راجع ١ ص ٢٤١ وما بعدها طبع ثانية أو ثالثة . ( ٢ ) راجع ٢ ص ١٧١ وما بعدها طبع ثانية .

قوله تعالى : وَقَالَ مُوسَى إِنَّكَ تَكْفُرُونَ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ① أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ  
وَعَادُ وَهَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أُنْفُسَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا لُزِمْنَا بِهِ  
وإِنَّا لَنَاقِلُونَ شَيْءًا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ②

قوله تعالى : ( وَقَالَ مُوسَى إِنَّكَ تَكْفُرُونَ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ )  
أى لا يلحقه بذلك قصص، بل هو الغنى . والحجيد أى المحمود .

قوله تعالى : ( أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَهَمُودُ ) أى أنباءهم ، والجمع  
الأنبياء ، قال ①

• لَمْ يَأْتِكُمْ وَالْأَنْبَاءُ تَسْمَى •

ثم قيل : هو من قول موسى . وقيل : من قول الله ، أى وأذكر يا محمد إذ قال ربك كذا ،  
وقيل : هو استثناء خطاب من الله تعالى . وغير قوم نوح وعاد وهمود مشهور قصصه الله  
في كتابه . وقوله : ( وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ) أى لا يعصى عددهم إلا الله .  
ولا يعرف نسبهم إلا الله ، والنسبون وإن نسبوا إلى آدم فلا يذعنوا بحصه جميع  
الأمم ، وإنما يسيبون البعض ، ويمسكون من نسب البعض ، وقد روى عن النبي صلى الله  
عليه وسلم لما سمع النصارى يفسون إلى معد بن عدنان ثم زادوا فقال : " كذب النصارى  
إذ قلوا يقول لا يعلمهم إلا الله " . وقد روى عن الزبير أنه قال : ما وجدنا  
أجدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل . وقال ابن عباس : بين عدنان وإسماعيل ثلاثون

(١) قاله هو : موسى بن زهير ، وعلم اليك • • • بالافتحون بن زياد • • • رويته •

وعبدا مل القريش تسمى • بأدراع وأسياف حاد

فبنو زياد : الربيع بن زياد وراخوة ، أخذت من دوما فاستاق عيس لؤلؤ الربيع ملكة وبها عهد الله بن عدنان  
وعمر مائة بالقرش — يدرج وسيرف •

لَا يَعْرِفُونَ . وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ حِينَ يقرأ « لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ » : كَذَبَ النَّسَابُونَ .  
 ( جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُمْ بِآيَاتٍ ) أَيْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْدَّلَالَاتِ . ( قَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَنْوَاهِهِمْ ) أَيْ جَمَلِ  
 أُولَئِكَ الْقَوْمِ أَيْدَى أَنْفُسِهِمْ فِي أَنْوَاهِهِمْ لِيَعْضُوا عَضًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسْلُ ؛ إِذْ كَانَ فِيهِ تَسْفِيهِ  
 أَحْلَامِهِمْ ، وَشَمَّ أَصَابَتَهُمْ ؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، وَمِثْلُهُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ ، وَقَرَأَ « عَضُوا  
 عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْطِ » . وَقَالَ ابْنُ جَبَلٍ : لَمَّا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ عَجِبُوا وَرَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ  
 إِلَى أَنْوَاهِهِمْ . وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ : نَأَنُوا إِذَا قَالَ لَمْ نَبْهَمِ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ إِشَارُوا بِأَصَابِهِمْ  
 إِلَى أَنْوَاهِهِمْ : أَيْ أَنْسَكْتُ ، تَكْنِيَا لَهُ ، وَرَدًّا لِقَوْلِهِ ؛ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى ؛  
 وَالضَّمِيرُ لِلْكَفَّارِ ؛ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّهَا إِسْتِدْجَاءً قَالَ أَبُو عِيْدٍ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ  
 عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَسِ عَنِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « قَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَنْوَاهِهِمْ »  
 قَالَ عَضُوا عَلَيْهَا فَيْطًا ، وَقَالَ الشَّاهِرُ :

لَمَّا أَن سَأَلَنِي أَبْصَرْتُ تَقْدِيدِي <sup>(١)</sup> . وَدَقَّةَ فِي عَظِيمٍ سَأَلِي وَبَدَى  
 وَبَعْدَ أَهْلِي وَجَفَاءَ عُرْوِي . عَقَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ بِطَارِفِ الْبَدَى

وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي « آلِ عِمْرَانَ » بِجُودَا ، وَالْجُدَّةِ . وَقَالَ جَلَاهُودُ وَقَتَادَةُ : رَدُّوا عَلَى الرَّسْلِ  
 قَوْلَهُمْ وَكَذَّبُوهُمْ بِأَنْوَاهِهِمْ ؛ فَالضَّمِيرُ الْأَوَّلُ لِلرَّسْلِ ، وَالثَّانِي لِلْكَفَّارِ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ :  
 جَعَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَنْوَاهِ الرَّسْلِ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ ؛ فَالضَّمِيرُ الْأَوَّلُ عَلَى هَذَا لِلْكَفَّارِ ، وَالثَّانِي لِلرَّسْلِ .  
 وَقِيلَ مَعْنَاهُ : أَوَّامُوا لِلرَّسْلِ أَنْ يَسْكُتُوا . وَقَالَ مَقَاتِلٌ : أَخَذُوا أَيْدَى الرَّسْلِ وَوَضَعُوهَا  
 عَلَى أَنْوَاهِ الرَّسْلِ لِيَسْكُتُوا وَيَقْطَعُوا كَلَامَهُمْ . وَقِيلَ : رَدُّ الرَّسْلِ أَيْدَى الْقَوْمِ فِي أَنْوَاهِهِمْ .  
 وَقِيلَ : إِنَّ الْأَيْدَى هُنَا التَّيْمُ ، أَيْ رَدُّوا تَيْمَ الرَّسْلِ بِأَنْوَاهِهِمْ ، أَيْ بِالطَّرْفِ وَالتَّكْنِيْدِ ؛ وَجِيءَ  
 الرَّسْلُ بِالشَّرَائِعِ تَيْمًا ، وَالْمَعْنَى : كَذَّبُوا بِأَنْوَاهِهِمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسْلُ . وَ « فِي » بِمَعْنَى الْبَاءِ ؛  
 يَقَالُ : جَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ وَبِالْيَتِ ، وَحُرُوفُ الصِّفَاتِ يَقَامُ بَعْضُهَا مَقَامَ بَعْضٍ . وَقَالَ  
 أَبُو مِيْدَةَ : هُوَ ضَرْبٌ مِثْلُ ؛ أَيْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يُحْيُوا ؛ وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَنْسَكَ عَنْ

(١) التَّخَفُّدُ أَنْ يَضْطَرِبَ النَّوْمُ مِنَ الْغَزَالِ - (٢) رَابِعٌ - ٢ من ١٨٢ طَبْعَةُ أَدْلَى أَرْدَانِيَّةٌ -

الجواب وسكت قد وقده في فيه ، وقاله الأخفش أيضا . وقال الفتي : لم نسمع أحدا من العرب يقول : وقده في فيه إذا ترك ما أسره ، وإنما للمعنى : مضوا على الأيدي حفا وفيضا ، لقول الشاعر ،

تزدون في فيه غش المسو . د حتى يعض مل الألف

يعنى أنهم يبتلون المسود حتى يعض مل أصابعه وكفيه . وقال آخر :

قد اتقى أنابه أزمه . فاضى يعض مل الزليفة

وقالوا : — بنى الأثم للزل — ( إنا كفرنا بما أرسلنا به ) أى بالإرسال مل زعمكم ، لا أنهم أنفروا أنهم أرسلوا . ( وإنا لنرى شك ) أى فى ريب ومريبة . ( وما تدعوننا إلا ) من التوحيد . ( حريب ) أى موجب للزينة ، يقال : أربته إذ فلت أمرأ أوجب ربة وشكاً ، أى نظن أنكم تطالبون الملك والدنيا .

قوله تعالى : قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِيَكُمْ مَلَكًا أُجَلٌ مَسْمًى قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ ) استفهام معناه الإنكار ، أى لا شك فى الله أى فى توحيدِهِ ، قاله قتادة . وقيل : فى طاعته . ويحتمل وجهها ثالثاً : أنى قدرة الله شك ؟ لأنهم متفقون عليها ويختلفون فيما عداها ، يدل عليه قوله : ( فَأَطِِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) خالقها وعمرها ومنشأها وموجدتها بعد عدم ، لئيه مل قدرته فلا يجوز العبادة إلا له . ( يَدْعُوكُمْ ) أى إلى طاعته بالرسل والكتب . ( لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ) قال أبو حيد « من » زائدة . وقال سيبويه : هى للتبويض ، ويجوز أن يذكر البعض والمراد منه الجميع .

( ١١ ) أزمه : مضى ، والرفف لكل ذى أوج ، ما فوق الرفح إل جعل الساق .

وفيل : د من ٤ ليلد رليست بزائده ولا مبعثسة ؛ أى لكون المغفرة بدلا من الذنوب .  
 ( وَتُحَرِّمُ إِلَى آخِرِ نَسَمٍ ) يعنى الموت ، فلا يذبكم فى الدنيا . ( قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ ) أى ما  
 أنتم . ( إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ) فى الهيئة والصورة ؛ ما تكون مما نأكل ، وتشيرون مما تشرب ،  
 ولستم ملائكة . ( تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ) من الأصنام والأوثان .  
 ( فَأَتَوْنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ) أى بعبء ظاهرة ؛ وكان هذا بحالنا منهم ؛ فإن الرسل ما دعوا إلا  
 ومهمهم المنجزات .

قوله تعالى : قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 يَمُرُّ عَلَىٰ مِنْ بَنَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ  
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ  
 عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا أَذْبَحْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ  
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ) أى فى الصورة والهيئة كما قلتم .  
 ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُرُّ عَلَىٰ مِنْ بَنَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ ) أى يفضّل عليه بالنبوة . وقيل : بالتوفيق والحكمة  
 والمعرفة والمدايا . وقال سهل بن عبد الله : يتلاوة القرآن وفهم ما فيه .

قلت : وهذا قول حسن ؛ وقد خرج الطبرى من حديث ابن عمر قال قلت لأبى ذر : يا عمر  
 أوصنى ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتى فقال : " ما من يوم ولا ليلة  
 ولا ساعة إلا وله فيه صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله تعالى على عباده بمنزلة أن  
 يلمهم بذكره " . ( وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ ) أى بعبء وآية ( إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ) أى بنسبته .  
 وأبى ذلك فى قدرته ؛ أى لا نستطيع أن تأتى بعبء كما تطلبون إلا بأمره وقهره ؛ ففضله  
 الخبر ، ومنه أنضى ؛ لأنه لا يحضر سى أحد ما لا يقدر عليه . ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ )  
 تقدّم معناه .

قوله تعالى : ( وَمَا لَنَا لَا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ ) « ما » استفهام في موضع رفع بالابتداء ،  
 و « لما » الخبر ، وما بعدها في موضع الحال ، التقدير : أي شيء لنا في ترك التوكل على الله ؟  
 ( وَقَدْ هَمَمْنَا بَلَاءًا ) أي الطريق الذي يوصل إلى وحشة ، ونجس من خطئه وقد  
 ( وَلَنصبرن ) لام قسم ، مجازة : والله نصبرن ( عَلَى مَا أَذَيْتُونَا ) بدء أي من الإحانة والضرب ،  
 والتكذيب والقتل ، جهة بأنه أنه يكفينا ويشينا ( وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ) .

قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا  
 أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١١٠﴾  
 وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١١١﴾  
 قوله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ) الاسم لام قسم ، أي والله  
 لنخرجكم . ( أَوْ لَتَعُودُنَّ ) أي حتى تعودوا أو إلا أن تعودوا ، قاله الطبري وغيره . قال ابن  
 العربي : وهو غير مقصّر إلى هذا التقدير ، فأت « أو » على لبها من التخيير ، وخير الكفار الرسل  
 بين أن يهودوا في ملتهم أو يخرجوهم من أرضهم ، وهذه سيرة الله تعالى في رسله وعباده ، ألا ترى  
 إلى قوله : « وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَانْصَبْ »  
 سورة من قد أرسلنا قبلك من رُسُلِنَا « وقد تقدم هذا المعنى في « الأعراف » وغيرها . ( لَنُحْلِلَنَّ )  
 أي إلى ديننا ( فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ )

قوله تعالى : ( ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ) أي مقامه بين يدي يوم القيامة ،  
 فاضيف المصدر إلى الفاعل . والمقام مصدر كالقيام ، يقال : قام قياماً مقاماً ، وأضاف ذلك  
 إليه لاختصاصه به . والمقام غرض الميم مكان الإقامة ، وبالضم فعل الإقامة ، و « ذلك لمن  
 خاف مقامي » أي قياي عليه ، ومرافقني له ، قال الله تعالى : « أَتَقْنُونَ عَلَيَّ كُلَّ مَقَامٍ  
 وَمَا كُنْتُ بِمَكْنُونٍ » وقال الأخفش : « ذلك لمن خاف مقامي » أي عذابي . وخاف ، عبه ،  
 أي القرآن وزواجره . وقيل : إنه المذاب . والوعيد الاسم من الوعد .

قوله تعالى : وَاسْتَفْتَحُوا وَخَلَّبَ كُلُّ جَبَّارٍ عَيْنَهُ ① مِنْ وَرَائِهِ  
جَهَنَّمَ وَنَسَقَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ② يَجْمَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسْفَهُ وَيَأْتِيهِ  
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ③

قوله تعالى : (وَاسْتَفْتَحُوا) أى أُنْزِلَ الرُّسُلُ فى الاستفتاح على قومهم ،  
والله أعلم بما هم ، قاله ابن عباس وغيره ، وقد مضى فى « البقرة » . ومنه الحديث : إن النبي  
صلى الله عليه وسلم كان يَسْتَفْتَحُ بِصَالِكِ الْمُهَاجِرِينَ ، أى يَسْتَقْرِصُ . وقال ابن زيد : استفتحت  
الأنبياء بالهدى كما قالت قريش : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ » الآية ، وروى  
عن ابن عباس . وقيل قال الرسول : « إِنْهُمْ كَذِبُونِ فَاقْتَعِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَتْعًا » وقالت الأنهم :  
إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ صَادِقِينَ فَمَنْبَأُ ، من ابن عباس أيضا ؛ نظيره « أَكْتَبْنَا وَهَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ » « أَكْتَبْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » . (وَخَلَّبَ كُلُّ جَبَّارٍ عَيْنَهُ) الجبار  
المتكبر الذى لا يرى لأحد عليه حقا ، هكذا هو عند أهل اللغة ، ذكره النحاس . والعنيد المماند  
للقى والمجانِب له ، من ابن عباس وغيره ؛ يقال : عَنَدَ من قومه أى تباعد منهم . وقيل :  
هو من العنَد ، وهو الناحية وعائد فلان أى أخذ فى ناحية معرُضا ، قال الشاعر :  
إِذَا ذُلْتُ فَأَجْلُوتُ وَسَطًا ④ إِنْ كِيرُ لَا أُطِيقُ الْعُنْدًا ⑤

وقال المصنوع : قوله تعالى : « جَبَّارٍ عَيْنَهُ » أى جابر عن القصد ؛ وهو العنود والعنيد والمماند ؛  
وفى حديث ابن عباس وسئل عن المتعاضة فقال : إنه عِرْقُ عَائِدٍ . قال أبو حنيفة : هو  
الذى عند ويبنى كالإنسان يماند ؛ فهذا العرق فى كثرة ما يخرج منه بمنزلة . وقال شمر : العائد  
الذى لا يرقا . وقال عرويد كرسية : أَنَّهُمُ الْعُنُودُ ، قال البت : العنود من الإبل التى  
لا يخالطها إنما هو فى ناحية أبدا ، أراد من مَمَّ بالخلاف أو بمفارقة الجماعة حفظت به إليها .  
وقال مقاتل : العنيد المتكبر . وقال ابن كثيران : هو الشاغ باقه . وقيل : العنود والعنيد الذى



يتكبر على الرسل ويذهب عن طريق الحق فلا يسلكها ؛ يقول الصرب : شر الإبل العنود  
الذى يخرج عن الطريق . وقيل : العنيد الماعى ، وقال قتادة : العنيد الذى أبى أن يقول  
لا إله إلا الله .

قلت : والجبار والعنيد فى الآية بمعنى واحد ، وإن كان اللفظ مختلفا ، وكل متباعد عن  
الحق جبار وعنيد أى متكبر . وقيل : إن المراد به فى الآية أبو جهل ؛ ذكره المهدوى .  
وحكى الماوردى فى كتاب « أدب الدنيا والدين » أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قاتل  
يوما فى المصحف فخرج له قوله عز وجل : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » فزق  
المصحف وأنشأ يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ

إِذَا مَا جِئْتُ بِكَ يَوْمَ خَيْرٍ • قُلْتُ يَا رَبِّ مَن لِّي الْوَلِيدُ

فلم يلبث أياما حتى قُتل شر قتلة ، وصُلب رأسه على قصره ، ثم على سور بلدته .

قوله تعالى : ( مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ) أى من وراء ذلك الكافر جهنم ، أى من بعد هلاكه .

ورواه بمعنى بعده قال الثبابة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً • وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِمَنْ مَذْهَبٌ

أى بعد الله جل جلاله ، وكذلك قوله تعالى : « وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ » أى من بعده ،

وقوله تعالى : « وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ » أى بما سواه ؛ قاله الفراء . وقال أبو عبيد : بما

بعده . وقيل : « من وراءه » أى من أمامه ، ومنه قول الشاعر :

وَمِنْ وَرَائِكَ يَوْمٌ أَنْتَ بِالْقُلَّةِ • لَا حَاضِرٌ مُعِجٌ عَنْهُ وَلَا بَادِي

وقال آخر :

أَتَرْجُو شُرَكَاءَ مَرُوءَانَ سَمِىَ وَطَاعِنِي • وَفَوَيْ تَسْمِيٍّ وَالْعَصَا وَرَوَائِيٍّ

وقال ليد :

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مِينِي • زُومُ الْقَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

(١) كذا فى ديوانه ، من الأصل : « إن بلغت ميني » .

يريد إمامي . وفي التزيين « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ » أي إمامهم ، وإلى هنا ذهب أبو حنيفة وأبو حنبل ففُكِّرَ بغيرهما . وقال الأخفش : هو كما يقال هذا الأمر من وراءك ، أي سوف يأتيك ، وأنا من وراء فلان أي في طلبه وسأصل إليه . وقال النحاس : في قوله « مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ » أي من أمامه ، وليس من الأضداد ولكنه من تَوَارَى أي استتر . وقال الأزهري : إن وراءه تكون بمعنى خلف وإمام فهو من الأضداد ، وقوله أبو حنيفة أيضا ، واشتقاقهما لما توارى واستتر بفهم تَوَارَى ولا تظهر ، فصارت من وراء لأنها لا ترى ؛ حكاه ابن الأنباري وهو حسن .

قوله تعالى : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ أي من ماء مثل الصديد ، كما يقال للرجل الشجاع أسد ، أي مثل الأسد ؛ وهو تمثيل وتشبيه . وقيل : هو ما يسيل من أجسام أهل النار من الفيج والدم . وقال محمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس : هو غَسَّالَةُ أهل النار ، وذلك ماء يسيل من فروج الزناة والزواني . وقيل : هو من ماء كرهته تصد عنه ، فيكون الصديد مأخوذا من الصد . وذكر ابن المبارك ، أخبرنا صفوان بن عمرو عن عبيدة بن بسر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ بِحَرَّةٍ » قال : « يُقَرَّبُ لِي فِيهِ فِكْرُهُ فَإِذَا أَدْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهِهُ وَوَقَعَتْ قُرَّةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يَقُولُ اللَّهُ « وَسَقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ » وَيَقُولُ « وَإِنْ بَسْتُمْ نِزَارًا يَمَانُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَسْوِي الْوُجُوهُ يَسُ الثَّرَابُ » » أخرجه الترمذي ، وقال : حديث غريب ، وعبيدة بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو حديث أبي أمامة لعله أن يكون أبا عبد الله ابن بسر . ( بِحَرَّةٍ ) أي يتحسأ جوعا لا مرة واحدة لمرارته وحارته . ﴿ وَلَا يَكْدُ يُسَبِّتُهُ ﴾ أي يثقله ؛ يقال : جرح المساء وأجترته وتجرحه بمعنى : وسأخ الثراب في الحلق يسوع سوعا إذا كان سبسا سهلا ، وأسأغه الله إسأغه . و « يَكْدُ » صلة ؛ أي يسبته بعد إبطاء ، قال الله تعالى : « وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ » أي لم يفقهوا . « وَخَلَا قَالَ : « يُصْهَرُ بِمَا فِي بَطُونِهِمْ بِالْخُلُودِ » هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْإِسْأَغَةِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا يَجِيزُهُ وَلَا يَجْرِبُهُ . ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴾

(١) آية ٢٠ من سورة الحج . (٢) كذا في الأصل ؛ ولعله « لَا يَجِيزُهُ وَلَا يَجْرِبُهُ » .

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) قال ابن عباس : أى يأتيه أسباب الموت من كل جهة عن يمينه وشماله ، ومن فوقه وتحتة ومن قدامه وخلفه ، كقوله : « لَمْ يَمُتْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ » . وقال ابراهيم التيمي : يأتيه من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره وللآلام التي في كل مكان من جسده . وقال الضحاك : إنه يأتيه الموت من كل ناحية ومكان حتى من إبهام رجله . وقال الأخفش : يعنى البلى التي تصيب ال : نرى للنار سماها موتاً ، وهي من أعظم الموت . وقيل : إنه لا يبقى عضو من أعضائه إلا وكل به نوع من العذاب ؛ لو مات سبعين مرة لكان أهون عليه من نوع منها في فرد لحظة ؛ إما حية تنهش ، أو عقرب تلصق ، أو نار تسمع ، أو قيد برجله ، أو قفل في عنقه ، أو سلسلة يقرن بها ، أو تابوت يكون فيه ، أو زقوم أو حميم ، أو غير ذلك من العذاب . وقال محمد بن كعب : إذا دعا الكافر في جهنم بالشراب فرآه مات موتاً ، فإذا دنا منه مات موتاً ، فإذا شرب منه مات موتاً ؛ فذلك قوله : « وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ رَسِيٌّ » . قال الضحاك : لا يموت فيستريح . وقال ابن جريج : تعلق روحه في حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنتفخه الحياة ؛ ونظيره قوله : « لَا يُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » . وقيل : يخلق الله في جسده آلاماً كل واحد منها كالموت . وقيل : وما هو بميت » لتناول شوائب الموت به ، وأعداد سكراته عليه ؛ ليكون ذلك زيادة في عذابه .

قلت : ويظهر من هذا أنه يموت ، وليس كذلك ؛ لقوله تعالى : « وَلَا يُقْضَىٰ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْفُفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا » وبذلك وردت السنة ؛ فأحوال الكفار أحوال من استولى عليه سكرات الموت دائماً ، والله أعلم . (وَمِنْ وَرَائِهِ) أى من أمامه . (عَذَابٌ غَلِيظٌ) أى شديد متواصل الآلام من غير قفوة ؛ ومسه قوله : « وَلَيَجِدُنَا فِيكُمْ غَلَظَةً » أى شدة وقوة . وقال نضيل بن عياض في قول الله تعالى : « وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ » قال : حبس الألفاس .

قوله تعالى : **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ** (١٨) **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاسًا يُذْخِرُ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** (١٩) **وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** (٢٠)

قوله تعالى : ( **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ** ) اختلف النحويون في رفع «مثل» فقال سيبويه : أرفع بالابتداء والظير مضمر ، التقدير : وفيما يتل عليكم أو يقص «مثل الذين كفروا بِرَبِّهِمْ» ثم أبدأ فقال : «**أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ**» أي كمثل رماد ( **اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ** ) . وقال الزجاج : أي مثل الذين كفروا فيما يتل عليكم أعمالهم كرماد ، وهو عند الفراء هل إلغاء المثل ، التقدير : والذين كفروا بِرَبِّهِمْ أعمالهم كرماد ، وعنه أيضا أنه على حذف مضاف ، التقدير : مثل أعمال الذين كفروا بِرَبِّهِمْ كرماد ، وذكر الأول عنه المهدوي ، والثاني القشيري والتلجي . ويجوز أن يكون مبتدأ كما يقال : صفة فلان اسم ، «فمثل» بمعنى صفة . ويجوز في الكلام جر «أعمالهم» على بدل الاستفهام من «الذين» وأتصل هذا بقوله : «**وَحَالَ كُلُّ جَبَّارٍ عِنْدَهُ**» والمعنى : أعمالهم عظماء غير مقبولة . والرماد ما بقي بعد احتراق الشيء ، فضرِبَ الله هذه الآية مثلا لأعمال الكفار في أنه يحرقها كما تحرق الرِّيحُ الشديدة الرماد في يوم عاصف . والعصف شدة الريح ، وإنما كان ذلك لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى . وفي وصف اليوم بالمُصَوِّف ثلاثة أقاويل : أحدها - أن المُصَوِّف وإن كان للريح فإن اليوم قد يوصف به ، لأن الريح تكون فيه ، بخلاف أن يقال : يوم عاصف ، كما يقال : يوم حار ويوم بارد ، والبرد والحز فيها . والثاني - أن يريد «في يوم عاصف» الريح ، لأنها ذكرت في أول الكلمة ، كما قال الشاعر ،

• إذا جاء يومٌ مُظْلِمٌ الشمسِ كاليف •

يريد كاسف الشمس لحذف ، لأنه قد مر ذكره ، ذكرها المروى . والثالث - أنه من نعت الريح ، غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه كما قيل : **يُجْرُ حَسْبُ نَحْرٍ** ، ذكره

العليّ والموردي . وقرا ابن اسحق وابراهيم بن ابي بكر « في يوم حاصب » . (الْمُقَدِّرُونَ)  
يعني الكفار . (يَا كُفْرًا عَلَى نَفْسٍ) يريد في الآخرة ، أى من ثواب ما عملوا من البر  
في الدنيا ، لإحباطه بالكفر . (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبْدُ) أى المفسدان الكبير ، وإنما  
جعله كيما يبين لقوات استدراكه بالموت .

قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) الرؤية هنا رؤية  
القلب ، لأن المعنى : ألم يترك عليك إليه . وقرا حمزة والكسائي - خَالِقِ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ، . ومعنى « بالحق » يستدل بهما على قدرته . (إِنْ يَشَاءُ يُخَيِّكُم) أيما الناس ،  
أى هو قادر على الإبقاء كما قدر على إيجاد الأشياء ، فلا تصوره فإنكم إن مصيتموه ينجحكم  
(وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) أفضل وأطوع منكم ، إذ لو كانوا مثل الأولين فلا فائدة في الإبدال .  
(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَزِيدُ) أى منيع متعذر .

قوله تعالى : وَيَرْزُقْهُ اللَّهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا  
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا  
لَوْ هَدَّيْنَاهُ اللَّهُ لَهْدَيْنَاكَ سَرَاءً عَلَيْنَا أَجْزِعْنَا أَمْ صِرْنَا مَلَنًا مِنْ  
مُحِيطٍ ١١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ  
الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ مُسَلِّطِينَ إِلَّا أَنْ  
دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ  
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٢)

(١) ماء لمرأة يحتاجه إلى الحنف . من لها ماء أليم فلهام الرسول . قوله هو

قوله تعالى : ﴿ وَبَرُّوْا لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴾ أى برّوا من قلوبهم ، يعنى يوم القيامة . والبرُّوز الظهور . والبراز المكان الواسع لظهوره ؛ ومنه امرأة برّزة أى تظهر للناس ؛ فعنى « برّوا » ظهوروا من قلوبهم . وجاء بلفظ الماضى ومناه الاستقبال ، وأنصل هذا بقوله : « وَخَاب كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » أى وقاربوا لما استفتحوا فاهلكوا ، ثم بمنوا للحساب فبرّوا لله جميعا لا يستمر عنه سائر . « لله » لأجل أمر الله إياهم بالبروز . ( فَقَالَ الضَّمَنَاءُ ) يعنى الأتباع ( لَلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ) وهم القادة ( إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَا ) يجوز أن يكون تبع مصدر ، والتقدير : ذوى تبع . ويجوز أن يكون جمع تابع ، مثل حارس وحرس ، وخدام وخدم ، وراصد ورصد ، وباقر وبقر . ( قُلْ أَنْتُمْ مُتَّبَعُونَ ) أى دافعون عنا ( مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ) أى شيئا ، و« من » صلة ؛ يقال : أعنى عنه إذا دفع عنه الأذى ، وأغناه إذا أوصل إليه النفع . ( قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ ) أى لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه . وقيل : لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها . وقيل ؛ لو نجانا الله من العذاب لننجيناكم منه . ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا ) هذا ابتداء خبره « أجزعنا » أى : ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أجزعنا أم صبرا ما كنا من محيص ) أى من مهرب وملجأ . ويجوز أن يكون بمعنى المصدر ، وبمعنى الاسم ؛ يقال : حاص فلان عن كذا أى نزع وإزاع يحيص حيصا وحيوصا وحيصانا ؛ والمعنى : ما لنا وجه نباحه به عن النار . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول أهل النار إذا اشتد بهم العذاب تعالوا نصبر فيصبرون حسباة عام فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم قالوا هلم فلنجزع فيجزعون ويصيحون حسباة عام فلما رأوا أن ذلك لا ينفعهم قالوا « سواء علينا أجزعنا أم صبرا ما لنا من محيص » . وقال محمد بن كعب القرظي : « ذكر لنا أن أهل النار يقول بعضهم لبعض : يا هؤلاء ! قد زل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون ، فهلم فلنصبر ؛ قلل الصبرينفما كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجعروا رأيهم على الصبر فصبروا ، فطال صبرهم فجزعوا ، فنادوا : « سواء علينا أجزعنا أم صبرا ما لنا من محيص » أى متجى ، فقام إبليس عند ذلك فقال : « إِنَّ اللَّهَ وَمَعَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ

وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي  
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ يَقول: لست بمنعني عنكم شيئاً «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ  
بِمَا اشْكُرْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ» الحديث بطوله، وقد كتبناه في كتاب «التذكرة» بكالاه .

١ قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ قال الحسن : يقف إبليس يوم القيامة  
خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً . ومعنى «لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ» أي حصل  
أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، على ما يأتي بيانه في «مرتب» عليها السلام .  
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ يعني البعث والجنة والنار وتواب المطيع وعقاب العاصي  
فصدفكم وعده، ووعدكم أن لا بئس ولا جنة ولا نار ولا نواب ولا عقاب فأخلفكم .  
وروي ابن المبارك من حديث عتبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث  
الشفاعة قال : «يقول عيسى أدلكم على النبي الأمي فيأتون بإذن الله لي أن أقوم فيثور  
مجلس من أطيب ریح شمسها أحد حتى أتى ربي فيشفعني ويعمل لي نوراً من شمر رأسي  
إلى ظفر قدمي ثم يقول الكافرون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن يشفع لنا فيقولون  
ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فاشفع لنا  
فإنك أضللتنا فيثور مجلسه من آتئين ریح شمسها أحد ثم يعظم تحميمهم ويقول عند ذلك : «إِنَّ اللَّهَ  
وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ» الآية . «وعد الحق» هو إضافة الشيء إلى نفسه كقولهم  
مسجد الجامع، قال الفراء قال البصريون : وعدهم وعد اليوم الحق أو وعدهم وعد الوعد الحق  
فسدقكم ؛ ف حذف المصدر للدلالة الحال . ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ أي من جموع بياني  
أي ما أظهرت لكم حجة على ما وعدهم وزينه لكم في الدنيا ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾  
أي أغويتكم فتابتموني . وقيل : لم أغيركم على ما دعوتكم إليه . «إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ» هو  
استثناء منقطع، أي لكن دعوتكم الوسواس فاستجبت لي باختياركم «فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا  
أَنْفُسَكُمْ» . وقيل : «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ» أي على قلوبكم بوضع إيمانكم لكن

(١) في تفسير قوله تعالى : «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي» أي لا أكون بمنعني عنكم شيئاً .

دعوتكم فاستجبتم لي، وهذا على أنه حُطِبَ بالهمزة الموحدة والكاف اللاحدة، وفيه نظر لقوله :  
 وَلَمَّا نَفَى الْأَمْرَ . فإنه يدل على أنه حُطِبَ بالكاف دون الهمزة الموحدة، ولأنه أعلم .  
 ( فَلَا تُلَومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ) إذا جئتموني من غير حجة . ( مَا أَنَا بِمُفْرِخِكُمْ ) أي  
 بمفريخكم . ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُفْرِخِي ) أي بمفريخي . والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة  
 والمعاونة، والمُفْرِخ هو المُنِيث . قال سلامة بن جندب :  
 كَمَا إِنَّمَا أَنَا صَارِخٌ فَزِرْجٌ . كَانَ الصَّارِخُ لَهُ قَرِيعُ الظَّنِّ بِبِ  
 قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

ولا تجزئوا لي لكم في مُفْرِخٍ . وليس لكم عني غناء ولا نصير  
 يقال : جَرَجَ فلان أي استأثت يصرخ صرخاً وصراخاً وصرخة . وأصطرخ بمعنى صرخ .  
 والمُفْرِخُ كُتِبَ المُرْخ . والمُفْرِخُ المُنِيث، والمُفْرِخُ المستنث، يقول منه : أستمِرْخني  
 فأصِرْخه . والمُفْرِخُ صوت المستصرخ . والمُفْرِخُ أيضاً الصارخ، وهو المُنِيث والمستنث،  
 وهو من الأنداد، قاله الجوهري . وقرأة العامة « بمفريخي » ففتح الياء . وقرأ الأعمش  
 وحزرة « بمفريخي » بكسر الياء . والأصل فيها بمفريخين فذهبت النون للإضافة، وأدغمت  
 في الجملة في ياء الإضافة، في نصب فلاجل التوضيف، ولأن ياء الإضافة إذا سكن ما قبلها  
 تعين فيها التفتح بمنزلة هَوَايَ وعَصَايَ، فإن تحرك ما قبلها جاز التفتح والإسكان، مثل : فَلَاحِي  
 وفَلَاحِي، ومن كسر فَلَاحِي الساكنين حركت إلى الكسر، لأن الياء أخت الكسرة . وقال  
 الفراء : قرأة حوزة وهم منه، وقُلَّ من سلم منهم عن خطأ . يقال الزجاج : هذه قرأة رديئة  
 ولا وجه لما إلا وجه ضميته . وقال قُطْرُبُ : هذه لغة بني ربِيع يزيدون على ياء الإضافة  
 واء . التثنية : والتي يثنى عن هيبنا أن ما يثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 لا يجوز أن يقال فيه هو خطأ أو قبيح أو رديء، بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أنصح  
 منه، فاعمل هؤلاء أرادوا أن يفر هذا الذي قرأ به حوزة أنصح . ( إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي  
 (١) : التائب (جمع) شريه . وحروف لسان التائب من ذمهم . وقيل للتائب الذي خرج من الشرك  
 (٢) : أي من الشرك .



رَبِّ قَبْلَ) اى كبرت بانراكم اى مع الله تعالى في العظمة و ذلجا بمعنى المصدر .  
 وقال ابن جرير : ( اى كبرت اليوم بما كنتم تدعون في الدنيا من الشرك بالله تعالى فتادة ،  
 اى عصيت الله التورى : كبرت بطاعتكم اى في الدنيا . ( اِنَّ الظَّالِمِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوَدَّةٌ )  
 وى هذه الآيات رد على القدرية والمعتلة والإمامية ومن كان على طريقتهم ؛ انظر الى قول  
 التبوئين : « لَوْ هَدَانَا اللَّهُ هَدْيًا كُنَّاكُمْ » وقول ابيس : « اِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ » كيف  
 اعترفوا بالحق في صفات الله تعالى وهم في ذركات النار ؛ كما قال في موضع آخر : « كُنَّا الْيَاقِينِ  
 الْيَقِيْنَ فَهَجَّ سَأَلُمْ نَزَّهَا » الى قوله : « فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ » واعترفهم في ذركات لعل بالحق  
 ليس بخاص ، وانما يقع الاعتراف صاحبه في الدنيا ؛ قال الله عز وجل : « وَأَعْرَفُوا أَنْفُسَهُمْ »  
 وَاذْكُرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَنْتُمْ مُبْصِرُونَ » و « صِي » من الله واجبة .

قوله تعالى : وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى  
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ) اى في جنات لانه دخله  
 لا يمتدى ، كما لا يمتدى قبضه وهو نرجت ، ولا يقاس عليه ، قاله المهدوي . ولما اخبر  
 تعالى بمجال اهل النار اخبر بمجال اهل الجنة أيضا . وقراءة الجماعة « أَدْخِلْ » على انه فعل  
 مبنى للفعول . وقراءة الحسن « وَأَدْخِلْ » على الاستقبال والاختلاف . ( بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ) اى  
 بأمره . وقيل : بمشيئته وتوسيره . وقال : « بِإِذْنِ رَبِّهِمْ » ولم يقل : بإذنى تظليما وتضييما .  
 ( يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ) تقدم في « يونس » . والمجدة .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ  
 أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٣﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا  
 وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾

فيه مستثنان :

الأول - قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ) لما ذكر تعالى مثل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، ذكر مثل أقوال المؤمنين وغيرها ، ثم فسّر ذلك المثل فقال : ( كَلِمَةً طَيِّبَةً ) التمر ، خذف لدلالة الكلام عليه . قال ابن عباس : الكلمة الطيبة لا إله إلا الله والشجرة الطيبة المؤمن . وقال مجاهد وابن جُرَيْج : الكلمة الطيبة الإيمان . عطية القوف - والزبيح بن أنس : هي المؤمن نفسه . وقال مجاهد أيضا وعكرمة : الشجرة النخلة ؛ فيجوز أن يكون المعنى : أصل الكلمة في قلب المؤمن - وهو الإيمان - شبهة بالنخلة في المنبت ، وشبه لارتفاع عمله في السماء بارتفاع فروع النخلة ، وثواب الله له بالتمر . وروى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة الإيمان مَرُوقُهَا وَالصَّلَاةُ أَصْلُهَا وَالزَّكَاةُ فُرُوعُهَا وَالصَّيَامُ أَغْصَانُهَا وَالتَّوَادُّ فِي اللَّهِ نَبَاتُهَا وَحَسَنُ الْخُلُقِ وَرُقَّتُهَا وَالْكَفُّ عَنْ عَارِمِ اللَّهِ ثَمَرُهَا " . ويحوز أن يكون المعنى : أصل النخلة ثابت في الأرض ؛ لبي مَرُوقُهَا تسرب من الأرض وتسقيها السماء من فوقها ، فهي زاكية تامة . ونرجح الترمذي عن حديث أنس بن مالك قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَاقَ فِيهِ رُطْبٌ ، فقال : " مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفُرُوعُهَا فِي السَّمَاءِ تُرَى أَكْلُهَا كُلِّ حَيٍّ يَأْذِنُ رَبُّهَا " . قال - هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجثت من فوق الأرض ما لها من عسار - قال - هي الخسوف . وروى عن أنس قوله [وقال] : وهو أصح . ونرجح للعلامة قطبي عن ابن عمر قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتدرون ما هي " فوقع في نفسي أنها النخلة . قال السهيلي : ولا يصح فيها ما روى عن علي بن أبي طالب أنها جوزة الهند ؛ لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي - ثم قال - هي النخلة " - ترجمه مالك في « الموطأ » عن رواية ابن القاسم وغيره فلا يحصى فانه أسقطه من روايته . ونرجحه أهل الصحيح وزاد (١) النخاع : الخبز الذي يتخذ منه . (٢) هي قال الترمذي : والحديث بالمرقوف أصح .

فيه الحارث بن أسامة زيادة تساوى رحلة؛ عن أبي صلي الله عليه وسلم قال: «وهي النخلة لا تسقط لها أغصان» وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة» فيبين معنى الحديث والمأثلة .

قلت : وذكر التزوي «عنه عليه السلام» مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبه قطع و ، به جالسه قطع وإن شاورته قطع كالنخلة كل شيء منها ينقطع به . وقال : «كُلُوا مِنْ عَمَلٍ»  
يعنى النخلة خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام، وكذلك أنها برأسها تنبت ، وبقلبها تنبت ،  
ومعها بامتزاج الله كوالأشياء . وقد قيل : إنها لما كانت أشبه الشجر بالإنسان شُبِّهَتْ به ؛ وذلك  
أن كل شجرة إذا قطع رأسها تسبعت القصون من بجوانبها ، والنخلة إذا قطع رأسها يست  
ذهبت أصلاً ؛ ولأنها تشبه الإنسان وسائر الحيوان في الانقراض لأنها لا تحمل حتى تُنْقَع قال النبي  
صلى الله عليه وسلم : «خيرُ المالِ سِكَّةُ مَبُورَةٍ ومُهْرَةٌ مأمورة» . والإبرار اللقاح وسياق في مبرورة  
«المجر» بيانه . ولأنها من فضلة طينة آدم . ويقال : إن الله عز وجل لما صور آدم من  
الطين قَبَّلَتْ قطعة طين فصورها بيده وغرسها في جنة عدن . قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
«أكرموا عِزَّتكم» قالوا : ومن عمتنا يا رسول الله ؟ قال : «النخلة» . (تُؤْتِي أكلها كُلَّ حِينٍ) قال  
الربيع : «كُلَّ حِينٍ» غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المؤمن أول النهار وآخره ، وقاله ابن عباس  
وعنه «تُؤْتِي أكلها كُلَّ حِينٍ» قال : هو شجرة الهند لا تسقط من ثمرة ، تعمل في كل شهر ، وفي  
عمل المؤمن لله عز وجل في كل وقت بالنخلة التي تؤتي أكلها في أوقات مختلفة موافق الضحك  
كل ساعة من ليل أو نهار شاء وصيفاً يؤكل في جميع الأوقات ، وكذلك المؤمن لا يخلو من الخير  
في الأوقات كلها . قال النحاس : وهذه الأقوال متقاربة غير متناقضة ، لأن العليين عند جميع  
أهل اللغة إلا من شذ منهم بمعنى الوقت يقع لقليل الزمان وكثيره ، وأشد الأصحى بيت للتأنيده  
تَأَذَّرْهَا الرَّائُونَ مِنْ سُوءِ سِتْهَا . تَطْلُقُ حِينَ وَحِينَ تَرُاجِعُ<sup>(١)</sup>

- (١) كذا في الأصل . (٢) السكة : الطريقة المصقة من النخل ، والمهرة للسيرة الكبيرة المصل  
والنجاح ؛ أراد غير المال نجاح أزوج . (٣) في تفسير قوله تعالى : «وأرسلنا الرياح لنواجه التَّابَةَ» .  
(٤) البيت في رسم حية ؛ و «تأذرها الزاؤون» أي المر بعضهم بها ألا يجرها لها . معنى حذره  
وحين تراجعه أنها تحض الأوساع من العلم ثارة ، وتارة تستد طه . معنى : حذر من سوء السيرة له فيها لا يجر  
الرائي لأنها صالحة ؛ فتعلم : استمع من حية .

فهذا بين لك أن الحين بمعنى الوقت، فالإيمان ثابت في قلب المؤمن، وعمله وقوله  
وتسبيحه عالي مرتفع في السماء ارتفاع فروع النخلة، وما يكسب من بركة الإيمان وثوابه كما  
يُنال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها، من الرطب والبُسْر والبلح والزهر والتمر والطلع .  
وفي رواية عن ابن عباس: إن الشجرة الطيبة شجرة في الجنة تخرق في كل وقت . و « مثلاً » مفعول  
« يضرب » ، و « كلمة » بدل منه ، والكاف في قوله : « كشجرة » في موضع نصب على  
الحال من « كلمة » التقدير : كلمة طيبة مشبهة بشجرة طيبة .

الثانية - قوله تعالى : ( تَزْنِي أَكْثَرُ كُلِّ حِينٍ ) لما كانت الأشجار تؤتي أكلها  
كل سنة مرة كان في ذلك بيان حكم الحين ، ولهذا قلنا : من حلف ألا يكلم فلانا حيناً ولا يقول  
كذا حيناً إن الحين سنة . وقد وود الحين في موضع آخر يراد به أكثر من ذلك لقوله تعالى :  
« جَلَبْتُ أَيْ مَلَ الْإِنْسَانَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ » قيل في « التفسير » : أربعون عاماً وحكى حكماً  
أن رجلاً قال : إن فعلت كذا وكذا إلى حين ففلا منه حرٌّ ، فأتى عمر بن عبد العزيز فسأله :  
فسألتني عنها فقلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، قوله : « وَإِنْ أَذْرَى لَلَّهِ حَتَّى لَكُمْ وَمَنَعَ  
إِلَى حِينٍ » فأرى أن تُمسك ما بين صرام النخلة إلى حلتها فكانه أعجبه ، وهو قول أبي حنيفة  
في الحين أنه سنة أشهر لتباعا لمكره وضيره . وقد مضى ما للعلاء في الحين في « البقرة »  
صتوف والمحدثه . ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ) أي الأشياء للناس . ( لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ )  
ويتنبهون ، وقد قلتم .

قوله تعالى : وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَنَبْتَ مِنْ قَوْلِ  
الْأَرْضِ مَأْثَمًا مِنْ قَرَارٍ ٥٦

قوله تعالى : ( وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ ) الكلمة الخبيثة كلمة الكفر . وقيل :  
الكارهية . والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل كما في حديث أنس وهو قول ابن عباس ومجاهد .

(٥٦) الزمر : البقرة ٥٦ . (٥٧) صوابه : من دخل بها . (٥٨) طبعه : ٥٥

وغيرهما، وعن ابن عباس أيضا أنها شجرة لم تخلق على الأرض . وقيل : هي شجرة التوم،  
عن ابن عباس أيضا . وقيل : الكَّاهُ أو الطَّعْلَةُ . وقيل : الكَشُوثُ، وهي شجرة لا ورق  
لها ولا عروق في الأرض؛ قال الشاعر :

• وَهُمْ كَشُوثٌ فَلَا أَصْلَ وَلَا وَرْقَ<sup>(١)</sup> •

( أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ) أَتَلَّتْ مِنْ أَصْلِهَا؛ قاله ابن عباس؛ ومنه قول لقيط<sup>(٢)</sup>:

هو الجلاء الذي يَحْتُ أَصْلَكُمْ • فمن رأى مثل ذا يوما ومن سَمِعَ

وقال المؤرج : أخذت جثتها وهي نفسها ، والجثة شخص الإنسان قاصدا أو قائما . وجثته  
قلعه ، وأجنته أقلته من فوق الأرض ؛ أي ليس لها أصل راسخ يشرب بعروقه من  
الأرض . ( مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ) أي من أصل في الأرض . وقيل : من نبات ؛ فكنك الكافر  
لا حجة له ولا ثبات ولا خفيه ، وما يصمد له قول طيب ولا عمل صالح . وروى معاوية  
ابن صالح عن علي بن أبي طلحة في قوله تعالى « وضرب الله مثلا كلمة طيبة » قال : لا إله إلا الله  
« كشجرة طيبة » قال : المؤمن ؛ « أصلها ثابت » لا إله إلا الله ثابتة في قلب المؤمن ؛  
« ومثل كلمة خبيثة » قال : الشرك ، « كشجرة خبيثة » قال : المشرك ؛ « أجنت من فوق  
الأرض ما لها من قرار » أي ليس للشرك أصل يعمل عليه . وقيل : يرجع المثل إلى الدعاء  
إلى الإيمان والدعاء إلى الشرك ؛ لأن الكلمة يفهم منها القول والدعاء إلى الشيء .

قوله تعالى : **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ) قال ابن عباس : هو  
لا إله إلا الله . وروى النسائي عن البراء قال قال : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت

(١) تمامه :

• وَلَا نَسَمَ وَلَا ظِلَّ وَلَا ثَمَرَ •

يريد أنهم لا حسب لهم ولا نسب . (٢) هو لقيط بن مسهر الإيادي ، والبيت من نصيدة يث بها إلى قومه  
بحذرم كسرى وجيشه ؛ فلم يفتنوا إلى قوله ، فطهر بهم كسرى ومنهم .

في الحياة الدنيا وفي الآخرة » زلت في عذاب القبر؟ يقال : من ربك؟ فيقول : ربّي الله ودينى دين محمد ، فذلك قوله : « ثبت الله الذين آمنوا بالتسول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

قلت : وقد جاء هكذا موقوفاً في بعض طرق نسلم عن البراء [ أنه ] قوله ، والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وكتاب النسائي وأبى داود وابن ماجه وغيرهم عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر البزار ، حدثنا جعفر بن عمر ، قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن مسدد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أقعد المؤمن في قبره أنه آتيت ثم ينهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله » ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . وقد بينا هذا الباب في كتاب « التذكرة » وبيتنا هناك من يقترن في قبره ويسأل ، فمن أراد الوقوف عليه تأمله هناك . وقال سهل بن عمار : رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أتاني في قبري ملكان فظان غليظان ، فقالا : ما دينك ومن ربك ومن نبيك ؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت : المثل يقال هذا وقد حكمت الناس جواباً ثمانين سنة ؟ ! فذهبا وقالوا : أكتبته عن حريز بن عثمان ؟ قلت نعم ! فقالوا : إنه كان يفيض [ علياً ] فابفضه الله . وقيل : معنى « ثبت الله » يديمهم الله على القول الثابت ، ومنه قول عبد الله بن ربيعة :

يُثَبِّتُ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ • ثَلَيْتَ مُوسَى وَنَصَرَ كَالَّذِي نَصَرَ

وقيل : يثبتهم في الدارين جزاء لهم على القول الثابت . وقال القفال وجماعة : « في الحياة الدنيا » أى في القبر ، لأن الموق في الدنيا إلى أن يبعثوا « وفي الآخرة » أى عند الحساب ، وحكام المساوردي عن البراء قال : المراد بالحياة الدنيا المسألة في القبر ، وبالأخرة المسألة في القيامة : ( وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ) أى عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا

(١) أى قول البراء . (٢) في الأصل « عيان » ومنه في كتاب « التذكرة » المؤلف . والله في « تهذيب التهذيب » أنه كان يفيض علياً .

بكفرهم فلا يلقنهم كلمة الحق ، فإذا سئلوا في قبورهم قالوا : لا ندري ؛ يقول : لا دريت ولا تلت ؛ وعند ذلك يضرب بالمقاع على ما ثبت في الأخبار ؛ وقد ذكرنا ذلك في كتاب « التذكرة » . وقيل : يهلهم حتى يزدادوا ضلالا في الدنيا . ( وَيَقْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) من عذاب قوم وإضلال قوم . وقيل : إن سبب نزول هذه الآية ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مسألة منكر وتكبير وما يكون من جواب الميت قال عمر : يا رسول الله أليكون مني عقل ؟ قال : « نعم » قال : كُفيت إذا ؛ فانزل الله عز وجل هذه الآية .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنَاسَ الْقُرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيَبْضُلُوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتُّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ) أى جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم عما صلى الله عليه وسلم ، حين بعث الله منهم وفيهم فكفروا ، والمراد مشركو قريش وأن الآية نزلت فيهم ؛ عن ابن عباس وعلي وغيرهما . وقيل : نزلت في المشركين الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال أبو الطفيل : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : هم قريش الذين هُجروا يوم بدر . وقيل : نزلت في الأخرين من قريش بنى غزوم وبنى أمية ، فأما بنو أمية فهُجروا إلى حين ؛ وأما بنو غزوم فاهلكوا يوم بدر ؛ قاله علي بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما . وقول رابع : أنهم منتصرة العرب بجيلة بن الأيهم وأصحابه حين لطم بجلل له عمر القصاص بمثلها ، فلم يرض وأُتِف فأرشد منتصرا ولحق بالروم في جماعة من قومه ؛ عن ابن عباس وقتادة . ولما صار إلى بلد الروم ندم فقال :

(١) قيل في معنى « ولا تلت » : أى لا قرأت ؛ من تلايتو ، وقالوا تلت الدنيا لعاقب بها الدنيا .

(٢) المقاع : سياط من حديد وجوها موجبة .

في حديث

تَصَرَّتْ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ • وما كان فيها لو صَبَرْتُ لَهَا صَرَرْتُ  
تَكْفِيْنِي مِنْهَا بِحَاجٍّ وَتَحْوَةٍ • وَبَعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْأَنْوَرِ  
فَبَالَتْنِي أَرَعَى الْخَفَاضَ بِسِلْدَةٍ • ولم أنكر الفسول الذي قاله عُمَرُ

وقال الحسن : إنها عامة في جميع المشركين • (وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ) أي أنزلوهم • قال  
ابن عباس : هم قادة المشركين يوم بدر أحلوا قومهم ؛ أي الذين أتبعوهم • (دَارُ الْبَوَارِ)  
قيل : جهنم ؛ قاله ابن زيد • وقيل : يوم بدر ؛ قاله علي بن أبي طالب ومجاهد • والبوار  
الهلاك ؛ ومنه قول الشاعر :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ أَبْطَالَ حَرْبٍ • غَدَاةَ الْحَرْبِ إِذْ خِيفَ الْبَوَارُ

(جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) بين أن دار البوار جهنم كما قال ابن زيد، وعلى هذا لا يجوز الوقف  
على «دار البوار» ؛ لأن جهنم منصوبة على الترجمة عن «دار البوار» فلورفعها رافع بإضمار،  
هل معنى : هي جهنم ، أو بما عاد من الضمير في «يصلونها» حسن الوقف على «دار البوار» •  
(وَلَيْسَ الْقَرَارُ) أي المستقر • قوله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) أي أصناما عبدوها،  
وقد تقدم في «البقرة» • (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) أي عن دينه • وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
بفتح الياء، وكذلك في الخ «لِيُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ومثله في «لقمان» و«الزمر» و«ممتها»  
الباقون على معنى ليضلوا الناس عن سبيله ، وأما من فتح فعل معنى أنهم هم يضلون عن سبيل الله  
على الزوم ، أي عاقبتهم إلى الإضلال والضلال ؛ فهذه لام العاقبة • (قُلْ تَتَّبِعُوا) وعيد لهم ،  
وهو إشارة إلى تقليل ما هم فيه من ملاذ الدنيا إذ هو منقطع • (فَإِنْ مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ)  
أي مردكم ومرجعكم إلى عذاب جهنم •

قوله تعالى : قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا  
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٢٠﴾



قوله تعالى : ( قُلْ لِمَا يَدَى الَّذِينَ آمَنُوا ) أى إن أهل مكة بدّلوا نعمة الله بالكفر ، فقل لمن آمن وحقّق عبوديته أن ( يقيموا الصلّاة ) يعنى الصلوات الخمس ، أى قل لهم أقيموا ، وإلّا أمر معه شرط مقدّر ، قول : أطلع الله يدك الجنة ، أى إن أطلعته بذلك الجنة ؛ هذا قول القراء . وقال الزجاج : « يقيموا » مجزوم بمعنى اللام ، أى ليقموا فاستقطت اللام لأن الأمر دلّ على الغائب بـ « قل » . قال ويحتمل أن يقال : « يقيموا » جواب أمر محذوف ؛ أى قل لهم أقيموا الصلّاة يقيموا الصلّاة . ( وَيَتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ) يعنى الزكاة ؛ عن ابن عباس وغيره . وقال أبو زر : السرّ ما خفى والعلانية ما ظهر . وقال القاسم ابن يحيى : إن السرّ التطوع والعلانية الفرض ، وقد مضى هذا المعنى في « البقرة » <sup>(١)</sup> مجودا عند قوله : « إِنَّ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِيَاهُ » . ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ) تقدم في « البقرة » أيضا . و « خلال » جمع خلة كقوله وقلا . قال :

« فَلَسْتُ بِمَقْلٍ لِلْخِلَالِ وَلَا قَالٍ »

قوله تعالى : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَخَرَّ لَكُمْ أَلْفُكُ لِنَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَخَرَّ لَكُمْ الْأَنْهَارُ <sup>(٢)</sup> وَخَرَّ لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبِينَ وَخَرَّ لَكُمْ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ <sup>(٣)</sup> وَآتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى : ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) أى أبدعها واختراعها على غير مثال سبق . ( وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ) أى من السحاب . ( مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ ) أى من الشجر

(١) راجع به ٣ وما بعدها طيبة أول أو ثانية . (٢) راجع به ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها

طيبة أول أو ثانية . (٣) قاله امرؤ القيس ، ومدرّ الليث :

\* صرقت الموى عين من خشية الردى \*

نجات ( رِزْقًا لَكُمْ ) . ( وَنَحْنُ لَكُمْ الْفُلُكُ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ) تقدم معناه في « البقرة » .  
 ( وَنَحْنُ لَكُمْ الْأَنْهَارُ ) بيني البحار العذبة لتشربوا منها وتسقوا وترعوا ، والبحار المالحة  
 لا اختلاف للمنافع من الجهات . ( وَنَحْنُ لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبِينَ ) أى فى إصلاح  
 ما يصلحان من النبات وغيره ، والدُّرُوبُ مهور النسيء فى العمل على عادة جارية . وقيل :  
 دائبين فى السير امتثالاً لأمر الله ، والمعنى يمران إلى يوم القيامة لا يفتران ؛ روى معناه عن  
 ابن عباس . ( وَنَحْنُ لَكُمْ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ) أى لتسكنوا فى الليل ، ولتبتئوا من فضله فى النهار ،  
 كما قال : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتئوا من فضله » .

قوله تعالى : ( وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) أى أعطاكم من كل مسؤل سألتموه شيئاً ؛  
 غنظ ؛ عن الأخفش . وقيل : المعنى وأتاكم من كل ما سألتموه ، ومن كل ما لم تسألوه ،  
 غنظ ، فلم تسأله شئاً ولا قرأ ولا كثيراً من نعمه التى ابتدأ بها . وهذا كما قال :  
 « سَرَّابِيلُ يَتَكَبَّرُ الْخَسْرُ » على ما يأتى . وقيل : « من » زائدة ؛ أى أتاكم كل ما سألتموه .  
 وقرأ ابن عباس والضحاك وغيرهما « وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ » بالتثنية « مَا سَأَلْتُمُوهُ » وقد رويت  
 هذه القراءة عن الحسن والضحاك وقطادة ؛ هى على النفي أى من كل ما لم تسألوه ؛ كالشمس  
 والقمر وغيرهما . وقيل : من كل شئ ما سألتموه أى الذى سألتموه . ( وَإِنْ تَضُوءُ نِعْمَةِ اللَّهِ )  
 أى نعم الله لا تحصى ولا تطبقوا عتقها ، ولا قوموا بحصرها لكثرتها ، كالسمع والبصر وقويم  
 الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق ؛ وهذه النعم من الله ، فلم تبدلون نعمة الله بالكفر ؟ !  
 وهلا استعتم بها على الطاعة ؟ ! ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلُومٌ كَفَّارٌ ) الإنسان لفظ جنس وأراد به  
 الخصوص ؛ قال ابن عباس : أراد أبا جهل . وقيل : جميع الكفار .

قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي  
 وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) (٢٦) رَبِّ إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَضِلَّكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَن  
 تَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي <sup>ط</sup> وَمِنْ عَصَائِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

فوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا )<sup>(١)</sup> ببنى حكة وقد مضى في « البقرة » . ( وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ) أى اجعلنى جانباً عن عبادتها، وأراد بقوله : « بنى » بنه من صلبه وكانوا ثمانية، فاعبد أحد منهم صنماً . وقيل : هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له . وقرأ الجندري وصيبى « وَاجْعَلْنِي » بقطع الألف والمعنى واحد . يقال : جَعَلْتُ ذاك الأمر؛ واجتبه وجتته إياه فتجانبه واجتبه أى تركه . وكان إبراهيم التَّيْسِي يقول في قصصه : من يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول : « وَاجْعَلْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » كما عبدها أبى وقوى .

فوله تعالى : ( رَبِّ إِنِّي أَضَلَّانِ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ ) لما كانت سبباً للإضلال أضاف التعلل اليه مجازاً؛ فإن الأصنام عبادات لا تفعل : ( لَقَدْ تَبَيَّنَى ) في التوحيد . ( فَإِنَّهُ يَتَّبِعُنِي ) أى من أهل ديني . ( وَمَنْ عَصَايَ ) أى أصبر على الشرك . ( فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قيل : قال هذا قبل أن يتره الله أن الله لا يفر أن يشرك به . وقيل : غفور رحيم لمن تاب من معصيته قبل الموت . وقال مقاتل بن حيان : « وَمَنْ عَصَايَ » فيما دون الشرك .

فوله تعالى : رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٧﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — روى البخاري عن ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المطلق من قبل أم إسماعيل؛ اتخذت متطقاً لتعق أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وابتنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس

(١) راجع ج ٢ ص ١١٧ وما بعدها طبعه ثانية . (٢) المطلق : الطلاق وهو أن تفس المرأة زوجها ثم تشد وسطها بشئ، وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل عند مائة الأشغال فلا تشرق ذلها .

سبا ماء، فوضعهما هناك، ووضع عندهما إرابا فيه تمر، وسفء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقا فبعثته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتركا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، قالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت إذا لا يضيئنا؛ ثم رجعت، فأطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهذه الدعوات، ووضع يديه فقال: «رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دَرِّي بَنِي يَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» حتى بلغ «يَشْكُرُونَ» وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا قُصدما في السقاء عطشت وعطش أبناها، وجعلت تنظر إليه يتلوى<sup>(١)</sup> - أو قال يتلبط<sup>(٢)</sup> - فأطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرفَ دَرْعِها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود، ثم جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليه، فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فجلت ذلك سبع مرات؛ قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صد! تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعته إن كان عندك غوث! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بقبه - أو قال يبحاه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تفرق من الماء في سقاها وهو يفور بعد ما تفرق؛ قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رِجَمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ» أو قال لو لم تفرق من الماء - لكأنت زمزم عينا معينا - قال قسربت وأرضعت ولدها فقال لما الملك: لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله؛ وذكر الحديث بطوله.

(١) يَلْبَطُ - يَتَدَخَّلُ . (٢) غَوَاثُ (بِالْفَتْحِ) كَالْغَاثِ (بِالْكَسْرِ) مِنَ الْإِنَاءَةِ وَحَى الْإِنَاءَةِ وَكَذَلِكَ رَوَى بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ . (٣) «وَتَقُولُ بِهَا هَذَا» : حَرْكَاةٌ فَعْلًا وَغَيْرُهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ . (٤) (تَمْلَأُ) .

مسئلة - لا يجوز لأحد أن يتعاقب بهذا في طرح ولده وعياله بأرض مضیعة آتکلا على العزيز الرحيم ، وأقصداء بفعل إبراهيم الخليل ، كما تقولهُ غلاة الصوفية في حقيقة التوكل ، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله لقوله في الحديث : الله أمرک بهذا ؟ قال : نعم . وقد روى أن سارة لما غارت من هاجر بعد أن ولدت إسمعیل خرج بها إبراهيم عليه السلام إلى مكة ، فروى أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل خلفاً في يوم واحد من الشام إلى بطن مكة ، وترك ابنه وأخته هنالك وركب متصرفاً من يومه ، فكان ذلك كله بوحى من الله تعالى ، فلها ولى دعا بضم هذه الآية .

الثانية - لما أراد الله تأسيس الحال ، وتمهيد المقام ، وخطّ الموضوع للبيت المكرم ، والبلد المحرم ، أرسل الملك فَبَحَثَ عن الماء ، وأقامه مقام الغذاء ، وفي الصحيح أن أبا ذر رضي الله عنه أجترأ به ثلاثين من يوم وليلة ، قال أبو ذر : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تَكَبَّرَتْ عُنُقِي ، وما أجد على كبدي سَخَفَةَ جَوْعٍ ، وذكر الحديث . وروى الثَّارِقُطِيُّ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ماء زمزم لما شُرِبَ له إن شربته تشفى به شفاك الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله به وإن شربته لقطع ظمئك قطعه وهي حَزْمَةُ جِبْرِيلَ وسُقْيَا الله إسمعیل " . وروى أيضاً عن عكرمة قال كان ابن عباس إذا شرب من زمزم قال : اللهم إني أسألك علماً نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء . قال ابن العربي : وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة لمن صحت نيته ، وسلمت طويته ، ولم يكن به مكذبا ، ولا يشربه مجربا ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يهبط المجرئين . وقال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذی وحديث أبي رحمه الله قال : دخلت الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما شعلني ، فجعلت أعتصر حتى آذاني ، وخفت إن خرجت من المسجد أن أظلم بعض تلك الأقدام ، وذلك أيام الحج ، فذكرت هذا الحديث ، فدخلت زمزم فَنَضَلْتُ منه ، فذهب عني إلى الصباح . وروى عن عبد الله بن عمرو : وإن في زمزم عينا في الجنة من قبل الركن .

(١) سَخَفَةُ الجوع : دته وزاله . (٢) حَزْمَةُ جِبْرِيلَ : أي شربها يبرئ به الجوع .

(٣) نَضَلْتُ : أكثر من الشرب حتى فقدت فيه وأخطاه .

الثالثة - قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ « من » في قوله تعالى : « من ذُرِّيَّتِي » للتبويض أى أسكنت بعض ذُرِّيَّتِي ؛ يعنى إسماعيل وأمه ، لأن إسمحق كان بالشام . وقيل : هى صلة ؛ أى أسكنت ذُرِّيَّتِي .

الرابعة - قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ يدل على أن البيت كان قديماً على ما روى قبل الطوقان ، وقد مضى هذا المعنى في سورة « البقرة » . وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره ، ووصفه بأنه محرم ، أى يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال . وقيل : محرم على الجارية ، وأن تُهتك حرمة ، ويستغف بحقّه ، قاله قتادة وغيره . وقد مضى القول في هذا في « المائدة » .

الخامسة - قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ خَصَّها من جملة الذين لفضلها فيه ، ومكانها منه ، وهى عهد الله عند العباد ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « تحسُّ صلوات كتبتن الله على العباد » الحديث . واللام في « ليقموا الصلاة » لام كي ؛ هذا هو الظاهر فيها وتكون متعلقة بـ « أسكنت » ويصح أن تكون لام أمر ، كأنه رغب إلى الله أن يوقفهم لإقامة الصلاة .

السادسة - تضمنت هذه الآية أن الصلاة بمكة أفضل من الصلاة بشيها ؛ لأن معنى « ربنا ليقموا الصلاة » أى أسكنتهم عند بيتك المحرم ليقموا الصلاة فيه . وقد اختلف العلماء هل الصلاة بمكة أفضل أو في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فذهب عامة أهل الأثر إلى أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بمائة صلاة ، واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدى هذا بمائة صلاة » قال الإمام الحافظ أبو عمر : وأستد هذا الحديث حبيب المسلم عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله

(١) راجع ج ٢ ص ١٢٠ وما بعدها طبع ثانية . (٢) راجع ج ٦ ص ٣٢٥ طبع أبول أو ثانية .

ابن الزبير وجوده ، ولم يخلط في لفظه ولا في معناه ، وكان ثقة . قال ابن أبي خيثمة سمعت  
يحيى بن معين يقول : حبيب المعلم ثقة . وذكر عبد الله بن أحمد قال سمعت أبي يقول :  
حبيب المعلم ثقة ما أصح حديثه . وسئل أبو زرعة الرازي عن حبيب المعلم فقال : بصري ثقة .  
قلت - وقد نرجح حديث حبيب المعلم هذا عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن الزبير  
عن النبي صلى الله عليه وسلم الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم التميمي البستي في المستدرج الصحيح  
له ، فالحديث صحيح وهو الحق عند النزاع والاختلاف . والحمد لله . قال أبو عمر : وقد روى  
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث ابن الزبير . رواه موسى الجهنقي عن نافع  
عن ابن عمر ، وموسى الجهنقي ثقة ، أنفي طيه القطان وأحمد ويحيى وجماعتهم ، وروى عنه شعبة  
والتوروي ويحيى بن سعيد ، وروى حكيم بن سيف ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم  
عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة  
في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام  
أفضل من مائة ألف فيما سواه » وحكيم بن سيف هذا شيخ من أهل الرقة قد روى عنه أبو زرعة  
الرازي ، وأخذ عنه ابن وضاح ، وهو عندهم شيخ صدوق لا بأس به . فإن كان حفيظ فهما  
حديثان ، وإلا فالقول قول حبيب المعلم . وروى محمد بن وضاح ، حدثنا يوسف بن مدني عن  
عمر بن عبيد عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام فإن  
الصلاة فيه أفضل » قال أبو عمر : وهذا كله نص في موضع اختلاف قاطع له عند من أئمه  
رشدته ، ولم يزل به عصيته . وذكر ابن حبيب عن مطرف وعن أصبغ عن ابن وهب أنها كانت  
ينهبان إلى تفضيل الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم  
على ما في هذا الباب . وقد اتفق مالك وإسحاق والشافعي على أن صلاة العبدین يترز لها في كل  
بلد إلا مكة فإنها تُصل في المسجد الحرام . وكان عمر وعلي وأبو مسعود وأبو الدرداء وجابر  
يفضلون مكة ومسجدها وهم أول بالتقليد من بعدهم ، وإلى هذا ذهب الشافعي ، وهو قول  
عطاء والمكيين والكوفيين ، وروى مثله عن مالك ، ذكر ابن وهب في حاشيته عن مالك أن

آدم عليه السلام لما أُحيط إلى الأرض قال : يارب هذه أحب إليك أن تُبد فيها ؟ قال : بل مكة . والمشهور عنه وعن أهل المدينة تفضيل المدينة ، واختلف أهل البصرة والبغداديون في ذلك فطائفة تقول مكة ، وطائفة تقول المدينة .

السادسة — قوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب . وقد يُعبر عن القلب بالفؤاد كما قال الشاعر :

وان فؤاداً قاذى بصباية • إليك على طول المدى لصبور

وقيل : جمع وقد ، والأصل أفئدة ، فقدست الفاء وقلت الواو ياء كما هي ، فكانه قال : واجعل وفوداً من الناس تهوى إليهم ؛ أي تترع ؛ يقال : هوى نحوه إذا مال ، وهوت الناقصة تهوى شئياً فهي هاوية إذا علت عنوا شديداً كأنها في هواء بر ، وقوله : « تهوى إليهم » مأخوذ منه . قال ابن عباس ومجاهد : لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند والبيود والنصارى والمجوس ، ولكن قال : « من الناس » فهم المسلمون ؛ فقوله : « تهوى إليهم » أي تحن إليهم ، ونحن إلى زيارة البيت . وقراً مجاهد « تهوى إليهم » أي تهوهم ونجلهم . ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ فاستجاب الله دعاءه ، وأثبت لهم بالطائف سائر الأشجار ، وبما يجب إليهم من الأمصار . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس الحديث الطويل وقد ذكرنا بعضه : « بلغاه إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يحسد إسماعيل ، فسأل أمرأته عنه فقالت : خرج يبتنى لنا ، ثم سألهم عن بيتهم وهيئتهم فقالت : نحن بشرٌ نحن في ضيق وشدة ؛ فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شَيْخٌ كذا وكذا فسألني عنك فأخبرته . وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنا في جسد وشدة ، قال : فبذل أوصالك بشيء : قالت : أسرفني أن أفرأ عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابل ؛ قال : ذاك أبي وقد أسرفني أن أفارلك ألحقني بأهلك ؛ فطلقنا وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يحسد ، ودخل على أمرأته فسالها عنه فقالت : خرج يبتنى لنا . قال :

(١) أي كأنه أبصر رؤى شيئاً لم يهده .



كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشتهم وحيثهم فقالت : نحن بخير وسعة وأثنت على الله . قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال لها شرايبكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بآرك لم في اللحم والماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لم فيه " قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافاهما ؛ وذكر الحديث . وقال ابن عباس : قول إبراهيم « فاجعل أئنة من الناس تبوي إليهم » سأل أن يجعل الله الناس يهون السكينة بمكة ، فيصير بيتا محزنا ، وكل ذلك كان والحمد لله . وأول من مكنته جرهم . ففي البخاري - بعد قوله : وإن الله لا يضيع أهله - وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية ناطية السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله ، وكذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم قافلين من طريق كذا ، فقلوا بأسفل مكة ، فزأوا طائرا عاتقا فقالوا : <sup>(١)</sup> إن هذا الطائر ليثور على ماء ! لئلهذا بهذا الوادي وما فيه ماء ؛ فأنزلوا بريا <sup>(٢)</sup> أو جريين فإذا هم بالماء ، فأخبروهم بالماء فاقبلوا . قال : وأثم إسماعيل عند الماء فقالوا أنأذين لنا أن نزل عندك ؟ قالت : نعم ولكن لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : " [فألقى] ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس " فزولوا وأرسلوا إلى أهلهم فزولوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، شب الغلام ، ومات أم إسماعيل ، بغاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل بطالع تركته ؛ الحديث .

قوله تعالى : رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٨﴾ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٣٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٣١﴾

(٢) الجبري : الرسول .

(١) العاتق حار الذي يتردد على الماء ولا يفيض .

(٢) أنزى أي وجد ذلك الحى الجبري أم إسماعيل ؛ أو أننى استأذنت جرهم بالزول أم إسماعيل والمحال أنها تحب

الأنس ؛ ففألقى (مات) أو (ذبح) بشارته إلى الاستئذان .

قوله تعالى : ( رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ ) أى ليس يخفى عليك شيء من أحوالنا .  
وقال ابن عباس ومقاتل : تعلم جميع ما أخفيه وما أعلنه من الوجد بإسماعيل وأمي حيث  
أسكا بواد غير ذي زرع . ( وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) قيل :  
هو من قول إبراهيم . وقيل : هو من قول الله تعالى لما قال إبراهيم : « ربنا إنك تعلم  
ما نخفي وما نعلن » قال الله : « وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » .  
( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ) أى على كبر سنى ومن أمرأتى ؛ قال ابن عباس :  
ولده إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وإسحق وهو ابن مائة وأتت عشرة سنة . وقال  
مسعود بن جبير : بشر إبراهيم بإسحق بعد عشر ومائة سنة . ( إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ) .  
قوله تعالى : ( رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ) أى من الثابتين على الإسلام والقيام أحكامه .  
( وَبِمَنْ دَرَيْتِي ) أى وأجعل من ذريتى من يقيمها . ( رَبَّنَا وَهَبْ لَنَا دُعَاءَ ) أى عبادتى كما  
قال : « وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » . وقال عليه السلام : « الدُّعَاءُ عَمَلُ الْعِبَادَةِ » وقد  
تقدم في « البقرة » . ( رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ) قيل : استغفر إبراهيم لوالديه قيل  
أن ثبت عنه أنهما عدوان لله قال القشيري : ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر  
عذره في استغفاره لأبيه دون أمه .

قلت : وعلم بهذا قراءة سعيد بن جبير « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » يعنى أباه . وقيل :  
استغفر لهما طعما في إيمانهما . وقيل : استغفر لهما بشرط أن يسلموا . وقيل : أراد آدم  
وحواء . وقد روى أن العبد إذا قال : اللهم اغفر لي ولوالدي وكان أبواه قد ماتا كافرين  
أنصرفت المغفرة إلى آدم وحواء لأنهما والدا الخلق أجمع . وقيل : إنه أراد ولديه إسماعيل  
وإسحق . وكان إبراهيم التَّخَنُّقُ قُرْأَ « وَلِوَالِدَيَّ » يعنى أبنيه ، وكذلك قرأ يحيى بن عمر ، ذكره  
المسعودي والنحاس . ( وَلِلْمُؤْمِنِينَ ) قال ابن عباس : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .  
وقيل : « لِلْمُؤْمِنِينَ » كلهم وهو أظهر . ( يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ) أى يوم يقوم الناس للحساب .

قوله تعالى : وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ  
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٣١﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ  
إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْغَلَتُهُمْ هَوَاهُ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ) وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أعجبه من أفعال المشركين ومخالفتهم دين إبراهيم ؛ أى أصبر كما صبر إبراهيم ، وأطمئن المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم ، بل سنة الله إيهال العقاب مدة . قال مكيون بن مهران : هذا وعيد للظالم ، وتزوية للظالم . ( إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ) يعنى مشركى مكة بهم لهم ويؤخر عذابهم . وقراءة العامة « يؤخرهم » بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله : « وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ » . وقرأ الحسن والسبكي وروى عن أبي عمرو أيضا « تؤخرهم » بالنون للتنظيم . ( لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ) أى لا تنمض من هول ما تراه في ذلك اليوم ، قاله الفراء . يقال : شَخَصَ الرجل بصره وشَخَصَ البصر نفسه أى سَما وطَمَحَ من هول ما يرى . قال ابن عباس : تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يَرْمُضُونَ . ( مُهْطِعِينَ ) أى مسرعين ؛ قاله الحسن وقطادة وسعيد بن جبير ؛ مأخوذ من أطمع يَطْمَعُ إعطاعا إذا أسرع . ومنه قوله تعالى : « مهطعين إلى العاج » أى مسرعين . قال الشاعر  
بدجلة دارهم ولقد أراهم \* بدجلة مهطعين إلى السباع

وقيل : المهطع الذى ينظر فى ذلّ وخشوع ؛ أى ناظرين من غير أن يقرؤوا ؛ قاله ابن عباس ، وقال مجاهد والضحاك : « مهطعين » أى مديى النظر . وقال النحاس : والمعروف فى اللغة أن يقال : أطمع إذا أسرع ؛ قال أبو عبيد : وقد يكون الوجهان جميعا يعنى الإسراع مع أدامة النظر . وقال ابن زيد : المهطع الذى لا يرفع رأسه . ( مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ) أى رافعى رؤوسهم ينظرون فى ذلّ . وإقناع الرأس رفعه ؛ قاله ابن عباس ومجاهد . قال ابن عرفة والتبسي وغيرهما : المقنع الذى يرفع رأسه ويقلل بصره على ما بين يديه ؛ ومنه الإقناع فى الصلاة (١) الإقناع فى الصلاة أن يرفع القبل رأسه حتى يكون أعلى من غيره .

وأفزع صوته إذا رفعه . وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد .  
وقيل : ناكسى رعوسهم ؛ قال المهدوي : ويقال أفتع إذا رفع رأسه ، وأفزع إذا طأطأ رأسه ذلة  
وخضوعا ، والآية محتملة الوجهين ، وقاله المبرد ، والقول الأول أعرف في اللغة ؛ قال الرازي :  
أَفْضَعُ<sup>(١)</sup> يُحَوِّي رَأْسَهُ وَأَفْتَمُ \* كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا  
وقال الشَّيْخُ يصف إبلا :

يُيَا كَرْنَ الْعِضَاءَ بِمُفْتَعَاتٍ \* تَوَاجِدُنَّ كَالْحَدِيدِ الْوَقِيعِ

يعني : يرموس مرفوعات إليها لتناولهن . ومنه قيل : مِقْنَعَةٌ لارتفاعها ، ومنه قنع  
الرجل إذا رضى ؛ أى رفع رأسه عن السؤال . وقنع إذا سال أى أفى ما ينتفع منه ؛ عن  
النحاس . وفم مُقْنَعٌ أى مطبوعة أسنانه إلى داخل . ورجل مُقْنَعٌ بالشديد ؛ أى عليه بيضة ؛  
قاله الجوهري . ( لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ) أى لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر فهي  
شاخصة النظر . يقال : طَرَفَ الرجلُ يَطْرِفُ طَرْفًا إذا أطبق جفنه على الآخر ، نسمى النظر  
طَرْفًا لأنه به يكون . والطَّرْفُ العين . قال عنترة :

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارِقِي \* حَتَّى يُوَارِيَ جَارِقِي مَأْوَاهَا

وقال جميل :

وَأَقْصُرْ طَرْفِي دُونَ جُمْلِ كَرَامَةٍ \* لِيُجِلَّ لِلطَّرْفِ الَّذِي أَنَا قَاصِرُهُ

( وَأَفْطَلَتْهُمْ هَوَاءٌ ) أى لا تغنى شيئا من شدة الخوف . ابن عباس : خالية من كل خير .  
السدى : نخرجت قلوبهم من صدورهم فنشبت في حلقهم ؛ وقال مجاهد ومرة وابن زيد :  
خاوية خربة متخرقة ليس فيها خير ولا عقل ؛ كقولك في البيت الذى ليس فيه شيء :  
إنما هو هواء ؛ وقاله ابن عباس . والمراء في اللغة المحو ؛ الخالي ؛ ومنه قول حسان :

أَلَا أُلْبِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَتَى \* فَأَنْتَ مُحْصَوٌّ تَحِبُّ هَوَاءُ

(١) أنفض رأسه : حركة . (٢) العضاء : كل عجم عظم وله شوك . والمدا (فتح الميم) وقيل (بكرها)  
جمع نعضاء ؛ وهي الحاس ذات الأربعين ؛ والوقيع : المحقد . شبه الشاعر أسنان الإبل بالهزس والحدة .  
(٣) الخوف والخيف : الجبن الذى لا قلب له . ولغيب : من النسيب بمعنى التزع . يقال : وجبل نعب  
أى حيان ؛ كأنه منتزع الفؤاد .

وقال زهير يصف ناقة صغيرة الرأس :

كَانَ الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ \* مِنَ الظِّلْمَانِ جُجُوهَ حَوَاءَ

فارغ أى خال، وفى الترتيل : « وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا » أى من كل شئ إلا من هم موسى . وقيل : فى الكلام إضمار، أى ذات هؤلاء وخلا .

قوله تعالى : **وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آتِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَئِكَ نَكُونُوا أَقْسَمُ مِّن قَبْلِ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ** ﴿١٤﴾

قوله تعالى : **(وَأَنذِرِ النَّاسَ)** قال ابن عباس : أراد أهل مكة . **(يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ)** وهو يوم القيامة ؛ أى خوفهم ذلك اليوم . وإنما خصهم بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب لأن الكلام خرج نخرج التهديد للعاصى . **(فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا)** أى فى ذلك اليوم **(رَبَّنَا آتِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ)** سألوه الرجوع إلى الدنيا حين ظهر الحق فى الآخرة . **(نَجِبْ دَعْوَتَكَ)** أى إلى الإسلام **(وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ)** . فيجابوا : **(أَوَلَمْ نَكُونُوا أَقْسَمُ مِّن قَبْلٍ)** يعنى فى دار الدنيا . **(مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ)** قال مجاهد : هو قسم قريش أنهم لا يبعثون . ابن جريج : هو ما حكاه عنهم فى قوله : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » . **(مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ)** فيه تأويلان : أحدهما - ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة ؛ أى لا تبعثون ولا تحشرون ؛ وهذا قول مجاهد . الثانى - « ما لكم مِّن زَوَالٍ » أى من العذاب . وذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربعة ؛ فإذا كان فى الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً ، يقولون : **« رَبَّنَا آمَنَّا أَلَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَلَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ »** فيجيبهم الله **« ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ »** .

(١) « فوق صعل » : شبه الناقة فى سرعتها بالنعيم ، فكان رحلتها فوته . والصعل : الشعر الرأس ، وبذلك يوصف الظالم .

ثم يقولون : « رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » فيجيبهم الله تعالى « فَلَوْعَلَّوْا يَمَّا يُنْصَبُ لِيَأْتِيَنَّكُمْ يَوْمَكُم هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » ثم يقولون : « رَبَّنَا أَنْتَرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ » فيجيبهم الله تعالى « أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِنْ زَوَالٍ » فيقولون : « رَبَّنَا أَنْتَرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » فيجيبهم الله تعالى : « أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُبْدُكُمْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَلَئَكُمْ التَّذَكُّرُ قَلِيلٌ فَذُوقُوا قِسْطَ الظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ » . ويقولون : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ » فيجيبهم الله تعالى : « أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكْفِرُوا » فلا يتكلمون بعدها أبداً ، نرحبه ابن المبارك في « دقايقه » بأطول من هذا — وقد كتبه في كتاب « التذكرة » — وزاد في الحديث « وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَاكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ » . وقد مكروا مكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلزَّوْلِ مِنْهُ الْجِبَالُ ، قال هذه الثالثة ، وذكر الحديث وزاد بعد قوله : « أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكْفِرُوا » فاقطع عند ذلك الدعاء والرحاء ، وأقبل بعضهم على بعض ينبج بعضهم في وجه بعض ، وأطبقت عليهم ، قال : فخذني الأزهر ابن أبي الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله : « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَرِدُونَ » . قوله تعالى : « وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَاكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ » ﴿١٥﴾ « وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلزَّوْلِ مِنْهُ الْجِبَالُ » ﴿١٦﴾

قوله تعالى : « (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَاكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) » أي في بلاد عود ونحوها فعلا اعتبرتم بمساكنهم ، بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم ، وبعد أن ضربنا لكم الأمثال في القرآن . وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ « وَنَبَّيْنَاكُمْ » بنون . وانجزم على أنه مستقبل ومعناه الماضي ، وليناسب قوله : « كيف فعلنا بهم » . وقراءة الجماعة « وَنَبَّيْنَا » وهي مثلها في المعنى ، لأن ذلك لا يتبين لهم إلا بتبين الله إياهم .

قوله تعالى : ( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ) أى بالشرك بالله وتكذيب الرسل والمساندة؛ عن ابن عباس وغيره . ( وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَرْوِلُّ مِنْهُ الْجِبَالُ ) « إن » بمعنى « ما » أى ما كان مكرهم لترويل منه الجبال لضعفه ووخته ؛ « وإن » بمعنى « ما » فى القرآن فى مواضع خمسة : أحدها هذا . الثانى - « فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ » . الثالث - « لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَسْخَلَ قُلُوبَهُمْ لَوَسَّخْنَا مِنْ دُونِ أَنْ يُكْفَى » أى ما كنا . الرابع - « قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ » . الخامس - « وَلَقَدْ مَكَرْتُمْ فَمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ » . « ولقد مكرتكم فى » « وإن كان » بالنون .

وقرأ عمرو بن علّ وابن سمود وأبى « وإن كاد » بالنال . والعامة على كسر اللام فى « لترويل » على أنها لام الجود وفتح اللام الثانية نصبا . وقرأ بن محيص وابن جرير والكسافى « لترويل » بفتح اللام الأولى على أنها لام الابتداء ورفع الثانية « وإن » مخففة من الثقيلة ، ومعنى هذه القراءة استعظام مكرهم ، أى ولقد عظم مكرهم حتى كادت الجبال ترويل منه ؛ قال الطبري : الاختيار القراءة الأولى ؛ لأنها لو كانت زالت لم تكن ثابتة ، قال أبو بكر الأنباري : ولا حجة على مصعب المسلمين فى الحديث الذى حدثناه أحمد بن الحسين : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا وكيع بن الجراح عن إسرائيل عن أبى إسحق عن عبد الرحمن بن دانييل قال سمعت علّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : إن جبارا من الجبابرة قال لا أشهى حتى أعلم من فى السموات ، فعمد إلى فراخ نسر ، فأمر أن تطعم الهم ، حتى اشتدت وعظمت وأستعجلت أمر بأن يخذل فراخ نسر فى رجلين ، وأن يجعل فيه عصا فى رأسها لم شديد حرمة ، وأن يستوثق من أرجل النسر بالأوتاد ، وثبت إلى قوائم الثابت ، ثم جلس هو وصاحب له فى الثابت وأثار النسر ، فلما رأت الهم طلبته ، فجعلت ترفع الثابت حتى بلغت به ما شاء الله ؛ فقال الجبار لصاحبه : أفتح الباب فانظر ما ترى ؟ فقال : أرى الجبال كأنها ذباب ، فقال : أغلق الباب ؛ ثم صعدت بالثابت ما شاء الله أن تصعد ، فقال الجبار لصاحبه : أفتح الباب فانظر ما ترى ؟ فقال : ما أرى إلا السياء وما ترداد منا إلا بُدء ، فقال : تنكس العصا فنكسها ، فانقضت النسر . فلما وقع الثابت على الأرض سمعت له هذه كادت الجبال ترويل عن

مراتبها منها ؛ قال : فسمعت علياً رضي الله عنه يقرأ « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ أَنْ يَلْقَوْا » ففتح اللام الأولى من « لتزول » وضم الثانية <sup>(١)</sup> . وقد ذكر التلويح هذا الخبير بجماعه ، وإن الجبار هو التورود الذي حاج إبراهيم في ربه ، وقال عكرمة : كان معه في التابوت غلام أمرد ، وقد حمل الفوس والنبل فرمى بهما فناد إليه ملطفا بالدماء وقال : كُفَيْتُ نَفْسُكَ إِلَهَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup> . قال عكرمة : تَطْلُعُ بِدَمٍ سَمَكَةٍ مِنَ السَّمَاءِ ، قَذَفْتُ نَفْسَهَا إِلَيْهِ مِنْ بَحْرِ الْمَوَاءِ مَلَقَى . وقيل : طائر من الطير أصابه السهم ثم أمر غرود صاحبه أن يضرب الصبا وأن يُنَكِسَ الخلم ، فهبطت النور بالتابوت ، فسمعت الجبال حفيف التابوت والنور ففزعت ، وظنت أنه قد حدث بها حدث من السماء ، وأت الساعة قد قامت ، فذلك قوله : « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ أَنْ يَلْقَوْا مِنْهُ الْجِبَالُ » . قال القشيري : وهذا جائز بتقدير خلق الحياة في الجبال . وذكر الماوردي عن ابن عباس : أن التورود بن كنعان بن الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة ، وجعل طولُه خمسة آلاف ذراع ونحسين ذراعا ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعا ، وصعد منه مع النور ، فلما علم أنه لا سبيل له إلى السماء اتخذ حصنا ، وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، فداعى الصرح إليهم فهلكوا جميعا ، فهذا معنى « وَقَدْ مَكْرَهُمْ أَنْ يَلْقَوْا مِنْهُ الْجِبَالُ » وفي الجبال التي تحتي زوالها بمكرهم وجهان : أحدهما - جبال الأرض . الثاني - الإسلام والقرآن ؛ لأنه لتبوت ورسوخه كالجبال . وقال القشيري : « وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ » أي هو عالم بذلك فيجازيهم ، أو عند الله جزاء مكرهم لحذف المضاف . « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ أَنْ يَلْقَوْا مِنْهُ الْجِبَالُ » يكسر اللام ؛ أي ما كان مكرهم مكرًا يكون له أثر وخطر عند الله تعالى ، فالجبال مثل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : « وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ » في تقديرهم « لَيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » وتؤثر في إبطال الإسلام . وقوي « لَيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ » بفتح اللام الأولى وضم الثانية ؛ أي كان مكرًا عظيمًا تزول منه الجبال ، ولكن الله حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تعقب هذه النسخة ابن عطية في تفسيره : « بعد أن حكاه عن الطبري بقوله : « وذلك عدى لا يصح من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفي هذه القصة ضعف من طريق المني ، وذلك أنه غير ممكن أن تصد الأنس بك وصف ، ويجب أن يترك أحد بنفسه في مثل هذا » . (٢) حجارة التلويح في « قصص الأنبياء » : ( كُفَيْتُ نَفْسُكَ إِلَهَ السَّمَاءِ ) .



عليه وسلم، وهو كقوله تعالى : « وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرًا كَبَرًا » والجبال لا تزول ولكن العبارة عن تعظيم الشيء، هكذا تكون .

قوله تعالى : فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُحْلِفٌ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مُحْلِفٌ وَعْدِهِ رُسُلُهُ ) اسم الله تعالى و « محلف » مفعولا بحسب ؛ و « رُسُلُهُ » مفعول « وَعْدِهِ » وهو على الاتساع، والمعنى : غاف وعده رسله ؛ قال الشاعر :

تَرَى التَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظَّلِّ رَأْسُهُ • وَسَائِرُهُ يَأْدِي إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ

قال القتيبي : هو من المقدم الذي يوضحه التأخير، والمؤخر الذي يوضحه التقديم، وسواء في قولك : محلف وعده رسله ، ومحلف رسله وعده . ( إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ) أى من أعدائه . ومن أسماء المنتقم وقد بيّناه في « الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » :

قوله تعالى : يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ بَرَزُوا لِلَّهِ

الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٣٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَقَشَّى وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٤٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ • وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى : ( يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ) أى أذكر يوم تبدل الأرض، فتكون متعلقة بما قبله . وقيل : هو صفة لقوله : « يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » . واختلف في كيفية تبديل

(١) يصف الشاعر عابرة قد أجمأت النيران إلى كنفها ، ترى التور مدخلا لرأسه في ثقل كفافه لما يجسده من الحرارة ، وسائرهُ يبرز للشمس .

الأرض، فقال كثير من الناس : إن تبدل الأرض عبارة عن تغير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها؛ ورواه ابن مسعود رضي الله عنه؛ أخرجه ابن ماجه في سننه وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب، قال حدثني ابن عباس قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سمعتها وكذا؛ وذكر الحديث . وروى مرفوعا من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "تبدل الأرض غير الأرض فيسطها ويمدّها مد الأديم المبكّلى" لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في الثانية في مثل مواضعهم من الأولى [من كان في بطنها قى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها] "ذكره القزويني . وتبديل السماء تكوير شمسها وقمرها، وتناثر نجومها؛ قاله ابن عباس . وقيل : اختلاف أحوالها، فرة كاللؤلؤ ومرة كاللذان؛ حكاه ابن الأنباري؛ وقد ذكرنا هذا الباب ميّنا في كتاب «التذكرة» وذكرنا ما للعلاء في ذلك، وأن الصحيح إزالة هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . بوى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاه جبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك؛ وذكر الحديث، وفيه : فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "في الظلمة دون الجسر" وذكر الحديث . ونخرج عن عائشة قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات» فأين يكون الناس يومئذ؟ قال : "على الصراط" أخرجه ابن ماجه بإسناد مسلم سواء، وأخرجه الترمذي عن عائشة وأنها هي السائلة، قال : هذا حديث حسن صحيح؛ فهذه الأحاديث تنص على أن السموات والأرض تبدل وتزال، ويخلق الله أرضا أخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر . وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه

(١) أديم عكاظ : منسوب إلى عكاظ ، وهو ما حل إليها فيج بها . وعكاظ : اسم سوق من أسواق الجاهلية مشهورة كانت بقرب مكة .  
(٢) عبارة الأصل هنا نافذة ومجرة ، والزيادة والتصويب من تفسير الطبري  
وكتاب «التذكرة» للزلف .  
(٣) الجسر : الصراط .

وسلم: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرَصَةِ النَّخْلِ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ». وقال جابر: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول الله عز وجل: «يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ خَيْرَ الْأَرْضِ» قال: تَبْدِلُ خَيْرَةً يَأْكُلُ مِنْهَا الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثم زأ: «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ». وقال ابن مسعود: لأنها تبدل بأرض غيرها بَيْضَاءَ كَالْفَضَّةِ لَمْ يُمْعَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ. وقال ابن عباس: بأرض من فضة بَيْضَاءَ. وقال: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» تبدل الأرض يومئذ من فضة والسماء من ذهب وهذا تبديل العين، وحصل: «وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» أي من قبورهم، وقد تقدم.

قوله تعالى: (وَرَأَى الْمُجْرِمِينَ) وهم المشركون. (يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة. (مُقَرَّنِينَ) أي مشدودين (فِي الْأَصْفَادِ) وهي الأغلال والقيود، واحداها صَفْدٌ وَصَفَّدَ. يقال: صَفَّدْتَهُ صَفْداً أي قيدته والكم الصَّفْدُ، فإذا أردت التكرير قلت: صَفَّدْتَهُ تَصْفِيدا، قال عمرو ابن كُثُومٍ:

فَأَبُوا بِالْثَّهَابِ وَالسَّيَا ۖ وَابْتَأَ بِالْمُلُوكِ مُصَفِّدِ

أي مقيدينا. وقال حسان:

مِنْ كُلِّ مَأْسُورٍ يُسَدُّ صَفَادُهُ ۖ صَفْرٍ إِذَا لَاقَى الْكَرِيمَةَ حَامِ

أي قُله. وأصفدته إصفاذا أعطيته. وقيل: صَفَّدْتَهُ وَأَصْفَدْتَهُ جاريان في امرٍ بالإعطاء جميعا، قال النابغة:

فَلَمْ أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّحْنِ بِالصَّفْدِ ۖ

فَالصَّفْدُ الْعَطَاءُ لِأَنَّهُ يُقَدُّ وَيُسَدُّ ۖ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَقَدِّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكِ عَجَبَةٍ ۖ وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَدِيدًا تَقِيدًا

(١) النخ: الدقيق الحواري. والحواري: ما حوَرَى بخر. والملم الأثر

(٢) سئى أبى اللحن: أي أبى أن تأتي شيئا ظن عليه، وسدريت:

هذا. التثنية: لأن تسمع قاعه.

(٣) الذرا (بالفتح): الدار ونواحيها، وكل ما استترت به؛ تقول: أنا في ذرا فلان أي في كنفه ومخبره.

قيل : يقرن كل كافر مع شيطان في قُل ، بيانه قوله : « أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ »  
يعنى قرناهم من الشياطين . وقيل : لانهم الكفار يجمعون في الأصفاة كما اجتمعوا في الدنيا  
على المعاصي . ( سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ ) أى قصصهم ، عن ابن دُرَيْد وغيره ، واحدها ميربال ،  
والفعل قسربت وقسرت غيرى ، قال كعب بن مالك :

تَلَقَّيْتُكُمْ عَصَبٌ حَوَّلَ النَّيِّ لَهْمٌ هـ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ الْهَيْجَا سَرَّابِلُ

« مِنْ قِطْرَانٍ » يعنى قطران الإبل الذى تُثَبِّأ به ؛ قاله الحسن . وذلك الخلق لاشتغال النار فيهم .  
وفى الصحيح أن النائحة إذا لم تُنقب قبل موتها فقام يوم القيامة وعليها ميربال من قطران  
ويدرع من حَرِّ . وروى عن حماد أنهم قالوا هو الثعالب . وقرأ عيسى بن عمر : « قِطْرَانٍ »  
بفتح القاف وتسكين الطاء . وفيه قراءة ثالثة : كسر القاف وجرم الطاء ؛ ومنه قول أبى النجم :  
جَوْنٌ كَانَتْ الْعَرَقُ الْمُشَوَّحُ<sup>(١)</sup> لَبَسَهُ الْقِطْرَانُ وَالْمُسْوَا

وقراءة رابعة : « مِنْ قِطْرَيْنِ » رويت عن ابن عباس وأبى هريرة وعكرمة وسعيد بن جبيرة  
وعقوب ؛ والقِطر الثعالب والصُّغَرُ المذاب ؛ ومنه قوله تعالى : « أَتَوْنِي أَفْرَغٌ عَلَيْهِ قِطْرًا » .  
والآن : الذى قد انتهى إلى حرِّه ؛ ومنه قوله تعالى : « وَبَيْنَ حَيْمِ إِنْ » . ( وَتَنَشَّى )  
أى تضرب ( وَجُوعُهُمُ النَّارُ ) فَتَنْشِيهَا . ( لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ) أى بما كسبت .  
( إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) تَهْدِم .

قوله تعالى : ( هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ) أى هذا الذى أنزلنا إليك بلاغ ؛ أى تبليغ وعظة .  
( وَلِيُنذِرُوا بِهِ ) أى ليخوفوا عقاب الله من وجل . وقرئ . « وَلِيُنذِرُوا » بفتح الباء ، والذال ،  
يقال : نَذَرْتُ بالشيء إذا علمت به فاستعددت له ، ولم يستعملوا منه مصدرا كما لم يستعملوا  
من عسى وليس ، وكأنهم استغنوا بأن والفعل كقولك : سَرَرْتُ أَنْ تَذَرْتُ بالشيء . ( وَلِيَعْلَمُوا )  
أَعْمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ) أى وليعلموا وحدانية الله بما أقام من الحجج والبراهين . ( وَلِيَذَكَّرَ أُولُو

(١) تنح العرق تخرج من الجلد . (٢) « قِطْر » : ضبطه فى « روح المعاني » بفتح القاف وكسر الطاء . وتوزن

الراء ، ومنه فى « البحر المحيط » ، وضبط بفتح القاف وكسرهما مع سكن الطاء ، فبه ثلاث لغات .

الألباب) أى وليتخط أصحاب العقول . وهذه الالامات فى و « لينذروا » و « ليعلموا »  
و « ليذكر » متعلقة بمحذوف ؛ التقدير : ولذلك أنزلناه . وروى يمان بن رثاب أن هذه  
الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ومثل بعضهم هل لكأب الله عنوان ؟  
فقال : نعم ؛ قيل : وأين هو ؟ قال يوله تعالى : « هذا بلاغ للناس لينذروا به »  
إلى آخرها . ثم تفسير سورة إبراهيم عليه السلام والحمد لله .



تم الجزء التاسع من تفسير القرطبي  
يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر، وأوله :  
سورة « الجحر »



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة الحجر

قوله تعالى : **الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** (١)  
تقدم معناه . و «الكاف» قيل فيه : إنه اسم لجنس الكعب المتقدمة من التوراة والإنجيل ، ثم قرنها بالكاف المين . وقيل : الكاف هو القرآن ، جمع له بين الاسمين .

قوله تعالى : **رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** (٢)  
«رُبَّ» لا تدخل على الفعل ، فإذا لحقتها «ما» هيأتها للدخول على الفعل تقول : ربما قام زيد ، وربما يقوم زيد . ويجوز أن تكون «ما» نكرة بمعنى شيء ، و«يودُّ» صفة له ؛ أى رب شيء يودُّ الكافر . وقرأ نافع وعاصم «ربما» مخففة بالياء . الباقون مشددة ، وهما لفنان . قال أبو حاتم : أهل الجاهل يخففون ربما ، قال الشاعر :

**رُبَّمَا ضَرِيَّةٌ بِسَيْفٍ صَقِيلٍ هَيِّنٍ بِصَرِيٍّ وَطَعْنَةٍ نَجْلَاءِ** (٣)  
وتميم وقيس وربيعة يشغلونها . وحكى فيها : **رُبَّمَا وَرُبَّمَا وَرُبَّمَا وَرُبَّمَا** ، مخففة بالياء وتشديد بها أيضاً . وأصلها أن تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير ؛ أى يودُّ الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين ؛ قاله الكوفيون . ومنه قول الشاعر :

(١) وأجمع به ٨ ص ٢٠٤ طيبة أولاد ثانية . (٢) البيت لمدى بن العلاء الساسي . وبصري : بلفه قرب الشام ؛ هي كبرى حوران ؛ كان يقوم فيها سوق تجارية . قال صاحب نزاهة الأدب : « ... وإنا نصح إمامة بين ذل بصرى لأستاذنا على منسقد من الأكنة ؛ أى بين أماكن بصرى ونواحيها . وروى الشريف الحسفي في حماسه : «دون بصرى» ودون هذا بيتي قبل أو بعني خلف . وقال البيهقي : بمعنى هذا . وأجمع المراتة في الشاهد التاسع والشمس بن عبد السبابة . (٣) ذل ابن هشام في الغني : «درو رب ست عشرة لغة ؛ ضم الراء وقتعوا ، وكلاهما مع التشديد والتخفيف . والأدوية الأربعة مع ثاء التانيث ، باكة أو بحركة ، ومع التجرد منها ؛ فهذه اثنا عشرة . والضم والقصر مع إسكان الراء وضم آخرتين مع التشديد وبخ التخفيف .»

(١١)

أَلَا رَجِمَا أَحَدَتْ لَكَ الْعَيْنُ نَظْرَةً ۖ قُصَادُكَ مِنْهَا أَنْهَا عَنْكَ لَا تُجِدِي .  
وقال بعضهم : هي للتقليل في هذا الموضع ؛ لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع  
لا في كلها ؛ لشأنهم بالذئاب ، والله أعلم . وقال : « رَجِمَا يَوْذُ » وهي إنما تكون لما وقع ؛  
لأنه لصديق الوعد كأنه عيان قد كان . وخرج الطبراني أبو القاسم من حديث جابر بن عبد الله  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذَنُوبِهِمْ فَيَكُونُونَ  
فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا ثُمَّ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الشَّرِّكَ فَيَقُولُونَ مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تَخْلَفُونَا فِيهِ مِنْ  
تَصَدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ فَحَكِّمْ فَلَا يَبْقَى مَوْحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ - ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجِمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ » . قال الحسن : إذا رأى  
المشركون المسلمين وقد دخلوا الجنة وما وافهم في النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين . وقال  
الضحاك : هذا التمني إنما هو عند المعاناة في الدنيا حين تبين لهم الهدى من الضلالة .  
وقيل : في القيامة إذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين .

قوله تعالى : ذَرُهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأُمَلُّ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

فيه ثلاثان :

الأولى - قوله تعالى : ( ذَرُهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا ) تهديد لهم . ( وَيُلْهِمُ الْأُمَلُّ )  
أي يشغلهم عن الطاعة . يقال : ألهمه عن كذا أي شغله . ولم يحرر عن الشيء يلهي .  
( فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ) إذا رأوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا . وهذه الآية منسوخة  
بالسيف .

الثانية - في مسند البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة من  
الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا » . وطول الأمل داء  
(١) أي لا تنسى ؛ يقال : ما يجدي عنك هذا ؛ أي ما ينفع . وفي بعض نسخ الأصل : لا تجزي ؛ بإزاي ؛  
وهي بمعنى لا تنسى . ولم ترق لمرة غائبة ليت .



عضال ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه، ولم يفارقه داء ولا نفع فيه دواء، بل أعي الأطباء ويش من برئه الحكاء والماء. وحقيقة الأمل : الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحب لها والإغراض عن الآخرة. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وبهلك آخرها بالبخل والأمل ». وروى عن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه قام على درج مسجد دمشق فقال : يا أهل دمشق، ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويتنون مشيدا ويأملون بعيدا، فأصبح جمعهم بؤرا وبنيانهم قبورا وأملهم ضرورا. هذه ماد قد ملأت البلاد أهلا ومالا وخيلا ورجالا، فمن يشتري منى اليوم تركتهم بدرهمين ! وأنشد :

إذا المؤل آمالا وإن بسلت \* منه وزعم أن يحظى بأقصاها

أنى تفوز بما ترجوه ويك وما \* أصبحت في ثقة من تيل أدناها

وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . وصدق رضى الله عنه ! فالأمل يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني، ويعقب التشاغل والتعاس، ويغلب على الأرض ويميل إلى الجوى . وهذا أمر قد شوهد بالبيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطالب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحث على المسابقة .

قوله تعالى : وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ①

أى أجل مؤقت كتب لهم فى اللوح المحفوظ .

قوله تعالى : مَا نَسْفِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِثُّونَ ②

« من » صلة ؛ كقولك : ما جاءنى من أحد . أى لا تتجاوز أجلها فتريد عليه ، ولا تستقدم قبله . وتظيره قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » .

قوله تعالى : وَقَالُوا يٰٓأَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿١﴾  
لَوْ مَا تَأْتِينَا بِآلَمَلِكَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٢﴾

قَالَ كَفَّارُ قُرَيْشٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِهَةِ الْاِسْتِزَاءِ ، ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ اِثْبَانِ الْمَلَكَةِ دَلَالَةً عَلَى صِدْقِهِ . وَ ( لَوْ مَا ) تَخْفِيزٌ عَلَى الْفِعْلِ كَلُولًا وَهَلَا . وَقَالَ الْفَرَّاءُ : الْمِيمُ فِي « لَوْ مَا » بَدَلٌ مِنَ الْاَلَامِ فِي لَوْلَا . وَمِثْلُهُ اسْتَوَى عَلَى الشَّيْءِ ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ ، وَمِثْلُهُ خَالَتهُ وَخَالَتهُ ، فَهُوَ خَلٌّ وَخَلْمٌ ، أَيْ صِدْقٌ . وَعَلَى هَذَا يَجُوزُ « لَوْ مَا » بِمَعْنَى الْخَبَرِ ، يَقُولُ : لَوْ مَا زَيْدٌ لَضَرْبِ عَمْرُو . قَالَ الْكِسَائِيُّ : لَوْلَا وَلَوْ مَا سِوَاهُ فِي الْخَبَرِ وَالِاسْتِفْهَامِ . قَالَ ابْنُ مَقْلَبٍ : لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينَ عَيْشُكَ . يَبْعُضُ مَا فَيَكُنْ إِذْ عَيْنَا عَوْرَى

يُرِيدُ لَوْلَا الْحَيَاءِ . وَحَسْبُ النَّعَاسِ لَوْ مَا وَلَوْلَا وَهَلَا وَاحِدٌ . وَأَنشَدَ أَهْلُ الْفَرَاغَةِ عَلَى ذَلِكَ :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيِّبِ أَفْضَلَ تَجِدُكُمْ ۝ بَنَى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَيْمِ الْمُفْتَا

أَيُّ هَلَا تَعْدُونَ الْكَيْمِ الْمُفْتَا .

قوله تعالى : مَا نُنَزِّلُ الْمَلٰٓئِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿١﴾

فَرَأَى حَفْصٌ وَحَمْرَةُ وَالْكِسَائِيُّ ( مَا نُنَزِّلُ الْمَلٰٓئِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ) وَاخْتَارَهُ أَبُو عِيْدٍ . وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُفَضَّلُ « مَا تُنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ » . الْبَاقُونَ « مَا تُنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ » وَتَقْدِيرُهُ : مَا تُنَزَّلُ بَنَاتٍ مِنْ حَذَفَتِ إِحْدَاهُمَا تَخْفِيفًا ، وَقَدْ شَدَّدَ اِلَاءَ الْبَرِّ ، وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِمٍ اعْتِبَارًا بِقَوْلِهِ : « تُنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ » . وَمَعْنَى ( إِلَّا بِالْحَقِّ ) إِلَّا بِالْقَرَأَنِ . وَقِيلَ بِالرَّسَالَةِ ؛ عَنْ مُجَاهِدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ : إِلَّا بِالْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا . ( وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ) أَيْ لَوْ نَزَلَتْ الْمَلٰٓئِكَةُ بِإِهْلَاقِهِمْ لَمَّا أَهْلَعُوا وَلَا قَبِلَتْ لَهُمْ تَوْبَةٌ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى لَوْ نَزَلَتْ الْمَلٰٓئِكَةُ تَشْهَدُ لَكَ فَكَفَرُوا

(١) الْيَتَّى بِحَرْزِ جِهَوِ الْفَرَزْدَقِ . وَالْعَرَفُ : ضَرْبٌ قَوَائِمُ الْاَلَةِ بِالْهَيْفِ . وَالْيَتَّى ( بِكَسْرِ التَّوْنِ ) : جَمْعُ تَابٍ وَهِيَ اِلَاةُ الْمَسَّةِ . وَضَوْطَرَى : هُوَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا غَاةَ عَنْهُ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ ذَمٌّ رَسَبَ . وَالْكَيْمُ : التَّجَاعُ الْكَثِي فِي سِلَاحِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَيْ قَسَمَ أَيْ شَدَّاهُ بِالْعَرِجِ وَالْيَيْضَةِ . وَالْمُنْتَعِ : الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ الْيَيْضَةُ وَالْمُنْتَعِرُ .  
(٢) آيَةٌ ؛ سُورَةُ التَّوْبَةِ .

بعد ذلك لم ينكروا . وأصل « إنا » إذ أن - ومطاء حيثن - فضع إليها أن ، واستعملوا  
المرأة فنفروا .

قوله تعالى : **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ ﴿١﴾**

قوله تعالى : ( **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ** ) يعني القرآن . ( **وَإِنَّا لَهُ لَنَافِعُونَ** ) من أن يزداد  
فيه أو ينقص منه . قال قتادة وثابت البائي : حفظه الله من أن يزيد فيه الشياطين باطلا  
أو ينقص منه حقاً ، قرئ في مساجده حفظه فلم يزل محفوظاً ، وقال في غيره : « **بِمَا اسْتَحْفَظُوا** » ،  
فرو كل حفظه إليهم فيقولوا وضيروا . أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله عن أبيه  
الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف بن معزوز الكوفي التليساني قال :  
قرئ على الشيخة المسألة غفر النساء شهيدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الدينوري وذلك  
بمطما بدار السلام في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وخمسة ، قيل لما : أخبركم  
الشيخ الأجل العامل قيب القضاء أبو الفوارس طراد بن محمد الرضي قراءة عليه وأنت تسمعين  
سنة تسعين وأربعمائة ، أخبرنا علي بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد  
أبن عمر بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المعروف بالطوماري حدثنا الحسين بن فهم  
قال : سمعت يحيى بن أكرم يقول : كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلس نظراً ، فدخل  
في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : فتكلم فأحسن  
الكلام والبارة ، قال : فلما تموز المجلس دعاه للمأمون فقال له : إسرائيل ؟ قال نعم .  
قال له : أعلم حتى أصل بك وأصنع ، ووعدته . فقال : ديني ودين آبائي ! وانصرف . قال :  
فلما كان بعد سنة جئنا مسلماً ، قال : فتكلم على التفه فأحسن الكلام ، فلما تموز المجلس  
دعاه للمأمون وقال : ألسنت صاحبنا بالأس ؟ قال له : بلى . قال : فما كان سبب إسلامك ؟  
قال : انصرفت من حضرة ك فأحييت أن أمتعن هذه الأديان ، وأنت ترى حسن الخط ،

(١) ذكره تعالى : « **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَتُحَرِّمُ** » آية ٤٤ سورة المائدة ، وراجع ج ٦ ص ١٨٨  
طبعة أول أو ثالثة .

فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة فاشترت مني ، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلها الوراقين فنصفحوها ، فلما إن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي . قال يحيى بن أكرم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي : مصداق هذا في كتاب الله عز وجل . قال قلت : في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : « بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ » ، فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال عز وجل : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضيع . وقيل : « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » أي لمحمد صلى الله عليه وسلم من أن يتقول علينا أو تقول عليه . أو « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » من أن يكاد أو يقتل . نظيره « وَاللَّهُ يَصْمُكُ مِنَ النَّاسِ » . و « نحن » يجوز أن يكون موضعه رفعا بالابتداء و « نزلنا » الخبر . والجملة خبر « إنا » . ويجوز أن يكون « نحن » تأكيداً لاسم « إنا » في موضع نصب ، ولا تكون فاصلة لأن الذي بعدها ليس بمعرفة وإنما هو جملة ، والجمل تكون نمواً للكرات فحكمها حكم الكرات .

قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾

المعنى : ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً ، فحذف . والشَّيْع جمع شيعه وهي الأمة ، أي في أعينهم ؛ قاله ابن عباس وقتادة . الحسن : في فرقهم . والشَّيْعَة : الفرقة والطائفة من الناس المتألفة المتفقة الكلمة . فكان الشَّيْعَ الْفِرْقَ ؛ ومنه قوله تعالى : « أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا » . وأصله مأخوذ من الشَّيَاع وهو الخطب الصغار يوقد به الكبار — كما تقدم في « الأنعام » . وقال الكلبي : إن الشَّيْع هنا القرى .

(١) آية ٤٤ سورة المائدة . (٢) آية ٦٧ سورة المائدة . (٣) رابع جزء ٧ ص ٩ طبعه أبو أرطاة .

قوله تعالى : وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾  
 نسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ أى كما فعل بك هؤلاء المشركون فكذلك قيل بمن  
 قبلك من الرسل .

قوله تعالى : كَذَلِكَ نَسُكُّكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ  
 وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ( كَذَلِكَ نَسُكُّكُمْ ) أى الضلال والكفر والاستهزاء والشرك . ( فِي قُلُوبِ  
 الْمُجْرِمِينَ ) من قومك ؛ عن الحسن وقتادة وغيرهما . أى كما سلكتكم في قلوب من تقدم من  
 شيخ الأولين كذلك. نسلككم في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك ، كما لم يؤمن من قبلهم  
 برسولهم . وروى ابن جريج عن مجاهد قال : نسلك التكذيب . والسلك : إدخال الشيء في الشيء  
 كإدخال الخيط في اليعقيط . يقال : سلكه يسلكه سلكاً وسلوكة ، وأسلكه إسلاكاً . وسلك  
 الطريق سلوكاً وسلكاً وأسلكه دخله ، والشيء في غيره مثله ، والشيء كذلك والخرج ، والخيط  
 في الجواهر ؛ كله فعل وأصل . وقال عيسى بن زيد :

﴿ ١١ ﴾  
 • وقد سلكتوك في يوم صعب •

والسلك ( بالكسر ) الخيط . وفي الآية رد على القدرية والمعتزلة . وقيل : المعنى نسلك  
 القرآن في قلوبهم فيكذبون به . وقال الحسن ومجاهد وقتادة القول الذى عليه أكثر أهل التفسير ،  
 وهو ألزم حجة على المعتزلة . وعن الحسن أيضاً : نسلك الذكر إلزاماً للحجة ؛ ذكره الغزالي .  
 ( وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ) أى مضت سنة الله بإهلاك الكفار ، فبأقرب هؤلاء من  
 الهلاك . وقيل : « خلت سنة الأولين » بمثل ما فعل هؤلاء من التكذيب والكفر ، فهم  
 يقتدون بأولئك .

(١) هذا مجزأ البيت ، ومصدره كما في اللسان وشعراء النصرانية :

• وكنت فواز عصفك لم أعمد •

(٢) في الأصول : « ورقاً » :

قوله تعالى وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾  
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يقال : ظلّ يفعل كذا ، أى يفعله بالنهار . والمصدر الظلول . أى لو أجيبوا إلى ما اقترحوا من الآيات لأصروا على الكفر وتدلّوا بالخيالات ، كما قالوا للقرآن المعجز : إنه بحر . ( يعرجون ) من عرج يعرج أى صيد . والمعارج المصاعد . أى لو صعدوا إلى السماء وشاهدوا الملوك والملائكة لأصروا على الكفر ؛ عن الحسن وغيره . وقيل : الضمير في « عليهم » للشرّيين . وفي « ظَلُّوا » اللاتكة ، تذهب ونجى . أى لو كشف هؤلاء حتى يأتوا أبوابا في السماء تصعد فيها الملائكة وتزل لقالوا : رأينا بأبصارنا ما لا حقيقة له ؛ عن ابن عباس وقتادة . ومعنى ( سَكَّرَتْ ) سُدَّتْ بالسحر ؛ قاله ابن عباس والضحاك . وقال الحسن : سُحِّرَتْ . الكلبي : أغشيت أبصارنا ؛ وعنه أيضا عجمت . قتادة : أخذت . وقال المؤنّج : دير بنا من الدوران ؛ أى صارت أبصارنا سكرى . جُوِّيرَ : خُدعت . وقال أبو عمرو ابن العلاء : « سكرت » غُشِيَتْ وَغُطِيَتْ . ومنه قول الشاعر :

وطلعت شمس عليها بقعر • وجعلت عين الحرور تسكر

وقال مجاهد : « سكرت » حست . ومنه قول أوس بن حجر :

فصرت على لسيّلة ساهرة • فليست بطلّيق ولا سأكرة<sup>(١)</sup>

قلت : وهذه أنوال متقاربة يجمعها قولك : مُنِيت . قال ابن عيّز : « سَكَّرَتْ أبصارنا » سُدَّتْ أبصارنا ؛ هو من قولك : سَكَّرْتَ التَّمَّ إِذَا سَدَدْتَهُ . ويقال : هو من سُكَّرَ الشَّرَابُ ، كَانَ الْعَيْنُ يَلْحَقُهَا مَا يَلْحَقُ الشَّرَابَ إِذَا سَكِرَ . وقرأ ابن كثير « سَكَّرَتْ » بالتخفيف . والباقون بالتشديد . قال ابن الأعرابي : سَكَّرَتْ مَلَتْ . قال المهدوي : والتخفيف والتشديد

(١) في اللسان مادة سكر : « جدلت » بالميم والذال المختلجان ، ومعنى « جدل » انتصب ويث لا يرح . واية ملن : « مشرق لا يرد فيها ولا حر » ولا يمل ولا تفر . (٢) عبارة ابن الأعرابي كما في نسخ الأصل : « سَكَّرَتْ مَلَتْ ، وسكرت ملكت » ولم نر ما يؤيد هذا ، ولله تكرير من التلخيص مع تحريف .

في «سكرت» ظاهران، التشديد للكثير والتخفيف يؤذي عن معناه، والمعروف أن «سكر» لا يمتدئ . قال أبو علي : يجوز أن يكون متعديا في البصر . ومن قرأ «سكرت» فإنه شبه ماعرض لأبصارهم بحال السكران، كأنها جرت مجرى السكران لعدم تحصيله . وقد قيل : إنه بالتخفيف [من] سكر الشراب، وبالتشديد أخذت، ذكرهما الماوردي . وقال النحاس : والمعروف من قراءة مجاهد والحسن «سكرت» بالتخفيف . قال الحسن : أي تحببت . وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه يقال : سكرت أبصارهم إذا عشيها سماءير حتى لا يبصروا . وقال القراء : من قرأ «سكرت» أخذه من سكور الريح . قال النحاس : وهذه الأقوال متقاربة . والأصل فيها ما قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى ، قال : هو من السكر في الشراب . وهذا قول حسن ؛ أي غشيم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله . وسكور الريح سكوتها وقصورها، فهو يرجع إلى معنى التحير .

قوله تعالى : وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

لما ذكر كثر الكافرين وعجز أصنامهم ذكر كمال قدرته ليستدل بها على وحدانيته . والبروج : القصور والمنازل . قال ابن عباس : أي جعلنا في السماء بروج الشمس والقمر؛ أي منازلها . وأسماء هذه البروج : الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسليبة، والميزان، والمغرب، والقوس، والجدي، والذئب، والبارق . والعرب تعد المعرفة لمواقع النجوم وأبوابها من أجل العلوم، ويستدلون بها على الطرقات والأوقات والخسب والحدب . وقالوا : أفلك اثنا عشر برجاً، كل برج ميلان ونصف . وأصل البروج الظهور؛ ومنه ترجم المرأة بإظهار زينتها . وقد تقدم هذا المعنى في النساء . وقال الحسن وقادة : البروج النجوم، وسميت بذلك لظهورها وأرغاعها . وقيل : الكواكب العظام ؛ قاله أبو صالح،

(١) السامير : ضف البحر . وقيل : هو الشئ الذي يراى الإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب .

(٢) راجع ج ٥ ص ٢٨٤ طبعة أمم أرمنية .

بني السبعة السيارة . وقال قوم : « بروجا » ؛ أى قصورا وبيوتا فيها الحرس ، خلقها الله في السماء . فافقه أعلم . ( وزيهاها ) بنى السماء ، كما قال في سورة المائدة : « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح » . ( لناظيرين ) للتبرين والمتفكرين .

قوله تعالى : وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَجِيمٍ ﴿٧﴾

أى مرجوم . والرجم الرى بالجمارة . وقيل : الرجم اللعن والطرده . وقد تقدم . وقال الكسافى : كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتم . وزعم الكلبي أن السموات كلها لم تحفظ من الشياطين إلى زمن عيسى ، فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات إلى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحفظ جميعها بعد بعثه وحُرس منهم بالشَّهْب . وقاله ابن عباس رضى الله عنه . قال ابن عباس : وقد كانت الشياطين لا يجربون عن السماء ، فكانوا يدخلونها ويقولون أخبارا على الكهنة ، فيزبدون عليها تسعا فيحدثون بها أهل الأرض ؛ الكلبة حق والتسع باطل ؛ فإذا رأوا شيئا مما قالوه صدقوهم فيما جاءوا به ، فلما ولد عيسى بن مريم عليهما السلام منعوا من ثلاث سموات ، فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ، فاجتمع من أحد يريد استراق السمع إلا رُى شهاب ؛ على ما يأتى .

قوله تعالى : إِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبِعُوهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾

أى لكن من استرق السمع ، أى الخلطة اليسيرة ، فهو استثناء منقطع . وقيل ، هو متصل ، أى إلا من استرق السمع . أى حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئا من الوحي وغيره ؛ إلا من استرق السمع فأن لم تحفظها منه أن تسمع الخبر من أخبار السماء سوى الوحي ، فأنما الوحي فلا تسمع منه شيئا ؛ لقوله : « إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ » . وإذا استمع الشياطين

(١) وهو — حسب ترتيبها المتعدي — القمر ، عطارد ، الزهرة ، الشمس ، المريخ ، المشتري ، زحل .  
(٢) آية ٥ . (٣) راجع ٩ ص ٩١ طيبة أول أوثانية . (٤) في سورة الصافات .  
في قوله تعالى : « إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ... » آية ٦ وما بعدها . وفي سورة الجن في قوله تعالى : « وَإِنَّا لَنَسُوا السَّمَاءَ ... » آية ٨ وما بعدها . (٥) آية ٢١٢ سورة النمل .



إلى شيء ليس يوحى فانهم يقذفونه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين، ثم تبهم الشهب فتقتلهم أو تحيّلهم؛ ذكره الحسن وابن عباس .

قوله تعالى : ( فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ) أنبئه : أدركه وحلقه . شهاب : كوكب مضى ، وكذلك شهاب ثاقب . وقوله : « شِهَابٌ قَرِينٌ » بشمة تار في رأس عود؛ قاله ابن جرير . وقال ذو الرمة :

كانه كوكب في إثر عَصْرِيَّة <sup>(١)</sup> • مسوم في سواد الليل مُتَغَيِّب

وسمى الكوكب شهابا لبريقه ، يشبه النار . وقيل : شهاب لشعلة من نار، قيس لأهل الأرض، فتحرقهم ولا تعود إذا أحرقت كما إذا أحرقت النار لم تد ، بخلاف الكوكب فإنه إذا أحرق عاد إلى مكانه . قال ابن عباس : تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع فيغرد المارد منها فيعلو، فيمر بالشهاب فيصيب جبهة أو أنفه أو ما شاء الله فيلقب، فيأتى أصحابه وهو يلقب فيقول : إنه كان من الأمر كذا وكذا ، فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة فيزيدون عليها تسعا ، فيحدثون بها أهل الأرض؛ الكلمة حق والتنع باطل . فاذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقهم بكل ما جاءوا به من كذبه . وسياق هذا المعنى مرفوعا في سورة

« سبأ » إن شاء الله تعالى .

واختلف في الشهاب هل يقتل أم لا . فقال ابن عباس : الشهاب يحرق ويحرق ويحرق ولا يقتل . وقال الحسن وطائفة : يقتل ؛ فعل هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان : أحدهما - أنهم يقتلون قبل إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم ؛ فعل هذا لا تصل أخبار السباء إلى غير الأنبياء ، ولذلك أقطعت الكهانة . والثاني - أنهم يقتلون بعد إلقاءهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن ؛ ولذلك ما يهودون إلى استراقه ، ولو لم يصل لا قطع الاستراق وأقطع الإحراق ؛ ذكره الماوردي .

(١) الليل ( يكون الليل ) : فساد الأعضاء . (٢) آية ٧ سورة النمل . (٣) أي إثر شيطان ،

مسوم : ملم ومتغيب : مختبئ من مكانه . (٤) في قوله تعالى : « ولا تنفع الشفاعة هذه » آية ٢٦ .

قلت : والقول الأول أصح على ما يأتي بيانه في «الصفات» . واختلف هل كان ربي بالشبه قبل المبعث ، فقال الأكثرون نعم . وقيل لا ، وإنما ذلك بعد المبعث . وسيأتي بيان هذه المسألة في سورة «الجن» إن شاء الله تعالى . وفي «الصفات» أيضا ، قال الزجاج : والرمي بالشبه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم لما حدث بعد مولده ؛ لأن الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم ، ولم يشبهوا الشيء السريع به كما شبهوا بالبرق وبالسيل . ولا يبعد أن يقال : انقضاء الكواكب كان في قديم الزمان ولكنه لم يكن رجوما للشياطين ، ثم صار رجوما حين ولد النبي صلى الله عليه وسلم . وقال العلماء : نحن نرى انقضاء الكواكب ، فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم يصير نارا إذا أدرك الشيطان . ويجوز أن يقال : يرمون يشمله نار من الهوى فيخيل إلينا أنه نجم سري . والشهاب في اللغة النار الساطعة . وذكر أبو داود عن عامر الشعبي قال : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجعت الشياطين نجوم لم تكن ترجم بها قبل ، فاتوا عبد المليل بن عمرو التقي فقالوا : إن الناس قد فزعوا وقد اعتقوا وقيهم وسيبوا أنسابهم لما رأوا في النجوم . فقال لهم — وكان رجلا أعمى — : لا تعجلوا ، وانظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهي عندنا الناس ، وإن كانت لا تعرف فهي من حدث . فظفروا فإذا هي نجوم لا تعرف ، فقالوا : هذا من حدث . فلم يأتوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝١١ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ أَنْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝١٢**

قوله تعالى : ( **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا** ) هذا من نعمه أيضا ، وما يدل على كمال قدرته . قال ابن عباس : بسطناها على وجه الماء ، كما قال : « **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا** » أي

( ١ ) في قوله تعالى : « لا يسعون إل إلا الأعلى ... » آية ٨ . ( ٢ ) آية ٣٠ سورة النازعات .

بسطها . وقال : « وَالْأَرْضُ قَرَشْنًا فَغِثَ الْمَاهِدُونَ » . وهو يريد على من زعم أنها كالكرة .  
 وقد تقدم . ( وَأَقْبَتْهَا رِوَامِي ) جبالا ثابتة لئلا تتحرك بأهلها . ( وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ) أى مقدار معلوم ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير . وإنما قال « موزون »  
 الوزن يعرف به مقدار الشيء . قال الشاعر :

قد كنت قبل لقائك ذامرة • عندي لكل مخاصم ميزانه

وقال قتادة : موزون بنى مقسوم . وقال مجاهد : موزون معدود . ويقال : هذا كلام موزون ، أى منظوم غير متر . فكل هذا أى أنبتنا فى الأرض ما يوزن من الجواهر والمحيوانات والمعادن . وقد قال الله عز وجل فى الحيوان : « وَأَنْبَتْنَا تَبَآءًا حَسًّا » . والمقصود من الإنبات الإنشاء والإيجاد . وقيل : ( أَنْبَتْنَا فِيهَا ) أى فى الجبال ( من كل شيء موزون ) من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والفضة والفضة ، حتى الزئبق والكحل ، كل ذلك يوزن وزنا . روى معناه عن الحسن وابن زيد . وقيل : أنبتنا فى الأرض الثمرات يكال ويوزن . وقيل : ما يوزن فيه التماسن لأنه أجل قدرا وأعم فعا مما لا ثمن له . ( وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ ) بنى المعاش والمشارب التى يعيشون بها ، واحدها معيشة ( يسكنون الياء ) . ومنه قول جرير :  
 تكلفى معيشة آل زيد • ومن لى بالمرق والصاب

والأصل معيشة على مفعلة ( بتحريك الياء ) . وقد تقدم فى الأعراف . وقيل : إنها الملابس ؛ قاله الحسن . وقيل : إنها التصرف فى أسباب الرزق مدة الحياة . قال الماوردي : وهو الظاهر . ( وَمَنْ لَسَمَ لَهُ يَرْزُقْنِي ) يريد الدواب والأنعام ، قاله مجاهد . وعنده أيضا هم العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم : « نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ » ( يَا كُمْ ) ولفظ « مَنْ » يجوز أن يتناول العبيد والدواب إذا اجتمعوا ؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل ، فطب من يعقل . أى

(١) آية ٤٨ سورة القاريات . (٢) فى قوله تعالى : « وهو الذى مد الأرض .. » آية ٣ سورة الزيد .  
 راجع ج ٩ ص ٢٨٠ طبة أول أرثانية . (٣) آية ٣٧ سورة آل عمران . (٤) الصاب :  
 الخردل المضروب بالزيب ، يزدم به . (٥) راجع ج ٧ ص ١٦٧ طبة أول أرثانية .  
 (٦) آية ٣١ سورة الإسراء .

جعلنا لكم فيها ما يشي وعبيدا وإماء ودواب وأولادا ترزقهم ولا ترزقونهم . ف«من» على هذا التأويل في موضع نصب ؛ قال «منا» مجاهد وغيره . وقيل : أراد به الوحش . قال سعيد : قرأ علينا منصور « وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ » قال : الوحش . ف«من» على هذا تكون لنا لا يعقل ؛ مثل « فَمِنْهُمْ مَنْ يَمَسُّ عَلَى بَطْنِهِ » الآية . وهي في محل خفض عطفا على الكاف والميم في قوله : « لكم » . وفيه قبح عند البصريين ؛ فإنه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المفسر إلا بإعادة حرف الجر ؛ مثل صررت به وبزيد . ولا يجوز صررت به وزيد إلا في الشعر . كما قال :

فالبوم فزبت تهجونا وتشتبنا \* فأذهب فباك والأيام من عجب

وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» وسورة «النساء» .

قوله تعالى : وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

مَعْلُومٍ ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ) أى وإن من شئ من أرزاق الخلق وما منهم إلا عندنا خزائنه ؛ يعنى المطر المتزل من السماء ؛ لأن به نبات كل شئ . قال الحسن : المطر خزائن كل شئ . وقيل : الخزائن المفاتيح ؛ أى فى السماء مفاتيح الأرزاق ؛ قاله الكلبي . والمعنى واحد . ( وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ) أى ولكن لا ننزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه ؛ كما قال : « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يُنْشَاءُ » . وروى عن ابن مسعود والحكم بن عيينة وغيرهما أنه ليس عام أكثر مطرا من عام ؛ ولكن الله يقسمه كيف شاء ؛ فيمطر قوم ويحرم آخرون ، وربما كان المطر في البهار والقفار . والخزائن جمع الخزانة ؛ وهو الموضع الذى يستتر فيه الإنسان ما له . والخزانة أيضا مصدر تخزن يخزن . وما كان في خزانة الإنسان كان معدا له . فذلك ما يقدر عليه الرب

فَكَانَ مَعَهُ عِنْدَهُ وَقَالَ الْفُشَيْرِيُّ . وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ قَالَ : فِي الْعَرْشِ  
مِثَالُ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَهُوَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا  
خَزَائِنُهُ » . وَالْإِزَالُ بِمَعْنَى الْإِنْشَاءِ وَالْإِبْهَادِ كَقَوْلِهِ : « وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ مَائِيَّةَ أَزْوَاجٍ »<sup>(١)</sup>  
وَقَوْلِهِ : « وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ »<sup>(٢)</sup> . وَقِيلَ : الْإِزَالُ بِمَعْنَى الْإِعْطَاءِ ، وَسَمَاءُ إِزَالَا  
لِأَنَّ أَحْكَامَ اللَّهِ إِنَّمَا تَقْرَأُ مِنَ السَّمَاءِ .

قوله تعالى : وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ لَنَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَنْسَقْنَا بِهِ أَشْجَارَهُ وَمَا أَتَمُّ لَهُمْ مِحْرَزَيْنِ ﴿١١﴾  
فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ ) قراءة العامة « الرِّيح » بالجمع . وقرأ حمزة  
بالتوحيد ، لأن معنى الرِّيح الجمع أيضا وإن كان لفظها لفظ الواحد . كما يقال : جاءت الرِّيح  
من كل جانب . كما يقال : أرضٌ سبَّابٌ وَثْبٌ أَغْلَاقٌ . وكذلك تفعل العرب في كل شيء  
أَتَسَّعَ . وأما وجه قراءة العامة فلا أن الله تعالى نفعنا بـ « لَوَافِحَ » وهي جمع . ومعنى لَوَافِحُ  
خَوَامِلُ ؛ لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والغبار والنفع . قال الأزهري : وجعل الرِّيح  
لَاغًا لأنها تحمل السحاب ؛ أي يُقَالُ وَتَصَرَّفَهُ ثُمَّ تَمَرَّيْهِ فَتَسْتَنْزِدُهُ ، أي تنزله ؛ قال الله تعالى :  
« حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِقَالًا »<sup>(٣)</sup> أي حملت . وناقلة لَوَافِحُ وَثْبٌ لَوَافِحُ إِذَا حَمَلَتِ الْأَجْنَةَ فِي بَطْنِهَا .  
وقيل : لَوَافِحُ بمعنى مُلْقِيَةٍ وَهُوَ الْأَصْلُ ، ولكنها لا تُقْفَعُ إِلَّا رِيحٌ فِي نَفْسِهَا لَاغٌ ، كَانَ الرِّيحُ  
لَقِيعَتٌ بِحُضْبٍ . وقيل : ذوات لَفْعٍ ، وكل ذلك صحيح ؛ أي منها ما يُلْقِعُ الشَّجَرَ ، كَقَوْلِهِمْ :  
عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ ؛ أي فيها رِضًا ، وليل نائمٌ ؛ أي فيه نوم . ومنها ما تأتي بالسحاب . يقال :  
لَقِيعَتِ النَّاقَةَ ( بالكسر ) لَقَعًا وَلَقَّاحًا ( بالفتح ) فهي لَاغٌ . وَالْقَفْحُ الْفَعْلُ أَيِ الْفِي إِلَيْهَا

(١) آية ٦ سورة الزمر . (٢) آية ٢٥ سورة الحديد . (٣) السبب : الأرض المستوية الجيدة .

(٤) حُرَّتِ الرِّيحُ السَّحَابَ : إِذَا أَنْزَلَتْ مِنَ الْمَطَرِ . (٥) آية ٥٧ سورة الأعراف .

الماء فحملته ؛ فالرياح كالفضل للسحاب . قال الجوهري : ورياح لوانغ ولا يقال مَلاغ ، وهو من التوارد . وحكى المهدوي عن أبي عبيدة : لوانغ بمعنى ملاغ ، ذهب إلى أنه جمع مُلقِعة ومُلقِغ ، ثم حذفت زوائده . وقيل : هو جمع لافحة ولاغ ، مل معنى ذات اللقاح على النسب . ويمحوز أن يكون معنى لاغ حاملا . والعرب تقول للجَنُوب : لاغ وحامل ، وللشمال حائل وعقيم . وقال عبيد بن عمير : يرسل الله الميثرة فتقم الأرض قسا ، ثم يرسل الميثرة فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه ، ثم يبعث اللوانغ فتلقح الشجر . وقيل : الريح الملاغ التي تحمل الندى فتجمع في السحاب ، فإذا اجتمع فيه صار مطرا . وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللوانغ التي ذكرها الله في كتابه وفيها منافع للناس " . وروى عنه عليه السلام أنه قال : " ما هبت جنوب إلا أنبع الله بها عينا قددة " . وقال أبو بكر بن عياش : لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها ؛ فالصبا تهبها ، والدبور تلقحها ، والجنوب تدور ، والشمال تفرقها .

الثانية - روى ابن وهب وابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم عن مالك - واللفظ لأشهب - قال مالك : قال الله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » فلقاح القمح عندى أن يحبب ويسنبل ، ولا أدري ما يبس في أكلامه ، ولكن يحبب حتى يكون لو يس حينئذ لم يكن فساد الأخير فيه . ولقاح الشجر كلها أن تمر ثم يسقط منها ما يسقط ويثبت ما يثبت ، وليس ذلك بأن تورد . قال ابن العربي : إنما قول مالك في هذا التفسير على تشبيه لقاح الشجر بلقاح الحمل ، وأن الولد إذا عقد وخلق ونفخ فيه الروح كان بمنزلة تحبب الثمر وتسنبله ؛ لأنه يُسمى باسم تسترك فيه كل حامله وهو اللقاح ، وعليه جاء الحديث " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحب حتى يشتد " . قال ابن عبد البر : الإبار عند أهل العلم في النخل التلقيح ، وهو أن يؤخذ شيء من طلع [ ذكر ] النخل فيدخل بين ظهري طلع الإناث .

ومعنى ذلك في سائر الثمار طلوع الثمرة من التبن وغيره حتى تكون الثمرة مرئية منظورا إليها .  
والمعتبر عند مالك وأصحابه فيما يذكر من الثمار التذكير ، وفيما لا يذكر أن يشهد من توارده  
ما يشهد ويسقط ما يسقط . وحد ذلك في الزرع ظهوره من الأرض ؛ قاله مالك . وقد  
روى عنه أن إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ . ولم يختلف العلماء أن الحائط إذا انشعب طلع إناؤه فأثر إِبْرَاهِيمَ  
وقد أبر غيره من حاله مثل حاله ، أن حكمه حكم ما أبر ؛ لأنه قد جاء عليه وقت الإبر وغيره  
ظاهرة بعد قضائها في الحب . فإن أبر بعض الحائط كان مالم يؤثر تبعاً له . كما أن الحائط إذا  
بدا صلاحه كان سائر الحائط تبعاً لذلك الصلاح في جواز بيعه .

الثالثة - روى الأئمة كلهم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : " من ابتاع نخلاً بعد أن تؤبر فتمرتها للذي باعها إلا أن يشترط المبتاع . ومن  
ابتاع عبداً قاله للذي باعه إلا أن يشترطه المبتاع " . قال علماؤنا : إنما لم يدخل الثمر المؤبر  
مع الأصول في البيع إلا بالشرط ؛ لأنه عين موجودة يحاط بها أمر سقوطها غالباً .  
بخلاف التي لم تؤبر ، إذ ليس سقوطها مأموناً فلم يتحقق لها وجود ، فلم يميز للبائع اشتراطها  
ولا استثنائها ؛ لأنها كالجنين . وهذا هو المشهور من مذهب مالك . وقيل : يجوز استثنائها ؛  
وهو قول الشافعي .

الرابعة - لو اشترى النخل وبيع الثمر للبائع جاز لمشتري الأصل شراء الثمرة قبل طيها  
على مشهور قول مالك ، ويرى لها حكم التبعية وإن أفردت بالعقد . وعنه في رواية :  
لا يجوز . وبذلك قال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وأهل الظاهر ووقفاء الحديث . وهو  
الأظهر من أحاديث النهي عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها .

الخامسة - وما يتعلق بهذا الباب النهي عن بيع الملاحق والملاحق الفحول من الإبل ،  
الواحد ملفح . والملاحق أيضاً الإناث التي في بطونها أولادها ، الواحدة ملفحة ( بفتح القاف ) .  
والملاحق مافي بطون النوق من الأجنية ، الواحدة ملفوحة ؛ من قولهم : لُفِحت ؛ كالمحموم  
من حُم ، والمجنون من جُن . وفي هذا جاء النهي . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم :

أنه نهي عن الخمر وهو يسع ما في بطون الإناث . ونهى عن المضامين والملاقيح . قال أبو عبيد : المضامين ما في البطون ، وهي الأجنة . والملاقيح ما في أصلاب الفحول . وهو قول سعيد بن المسيب وغيره . وقيل بالعكس : إن المضامين ما في ظهور الجنين ، والملاقيح ما في بطون الإناث . وهو قول ابن حبيب وغيره . وأما الأمرين كان ، فعلمنا المسلمين يجمعون على أن ذلك لا يجوز . وذكر المزي عن ابن هشام شاهدا بأن الملاقيح ما في البطون لبعض الأعراب :

مَنِيَّتِي مَلَأَتْهَا فِي الْأَيْطُرِ \* تُقْتَحُ مَا تَقْتَحُ بَعْدَ أَزْمِنِ

وذكر الجوهري على ذلك شاهدا قول الربيع :

/ إِنَّا وَجَدْنَا طَرْدَ الْهَوَامِلِ \* خَيْرًا مِنْ ثَنَانِ الْمَسَائِلِ <sup>(١)</sup>

وَعِدَّةُ الْعَامِ وَطَامِ قَابِلِ \* مَقْصُوحَةٌ فِي بَطْنِ ثَائِبِ حَامِلِ

قوله تعالى : ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ ) أي من السحاب . وكل ما عليك فأظلك يسمى سماء . وقيل : من جهة السماء . ( مَاءٌ ) أي قطرا . ( فَأَسْقَيْنَا كُوْهُ ) أي جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم . وقيل : سَقَى وَسَقَى بمعنى . وقيل بالفرق ، وقد تقدم . ( وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ) أي ليست خزائنه عندهم ، أي نحن نأخذون لهذا الماء قوته إذا شئنا ونعسكه إذا شئنا . ومثله « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا <sup>(٢)</sup> » ، « وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ <sup>(٣)</sup> » . وقال سفيان : لستم بما نعين المطر .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ أَلْوَرُونَ <sup>(٤)</sup>

أي الأرض ومن عليها ، ولا يبقى شيء سوانا . نظيره « إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا رُجُوعٌ <sup>(٥)</sup> » . فلك كل شيء لله تعالى . ولكن ملك عباده أملاكا فإذا ماتوا انقطعت

(١) كذا في الأصل . (٢) الحواميل : الإبل المهمة . والثانان : الأجن . والياب : ثلاثة أمسة . والمائل : التي لم تحمل . (٣) راجع ج ١ ص ١٧ طبع ثانية أو ثالثة . (٤) آية ٤٨ سورة الفرقان . (٥) آية ١٨ سورة المؤمنون . (٦) آية ٤٠ سورة مريم .



النعوى، فكان الله وارثاً من هذا الوجه . وقيل : الإحياء في هذه الآية إحياء النطفة في الأرحام . فاما البعث فقد ذكره بعد هذا في قوله : « وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ » .

قوله تعالى : وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا  
الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٦٤﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ) فيه ثمان تأويلات : الأول - « المستقدمين » في الخلق إلى اليوم ، و « المستأخرين » الذين لم يخلقوا بعد ؛ قاله قتادة وعكرمة وغيرهما . الثاني - « المستقدمين » الأموات ، و « المستأخرين » الأحياء ؛ قاله ابن عباس والضحاك . الثالث - « المستقدمين » من تقدم أمة محمد ﷺ ، و « المستأخرين » أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قاله مجاهد . الرابع - « المستقدمين » في الطاعة والخير ، و « المستأخرين » في المعصية والشرك ؛ قاله الحسن وقتادة أيضا . الخامس - « المستقدمين » في صفوف الحرب ، و « المستأخرين » فيها ؛ قاله سعيد بن المسيب . السادس - « المستقدمين » من قتل في الجهاد ، و « المستأخرين » من لم يقتل ؛ قاله القرطبي . السابع - « المستقدمين » أول الخلق ، و « المستأخرين » آخر الخلق ؛ قاله الشعبي . الثامن - « المستقدمين » في صفوف الصلاة ، و « المستأخرين » فيها بسبب النساء . وكل هذا معلوم لله تعالى ؛ فإنه عالم بكل موجود ومعدوم ، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة . إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية ؛ لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : كانت امرأة تعمل خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنة من أخص الناس ، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا رجع نظر من تحت إبطه ، فأنزل الله عز وجل « وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ » . وروى عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس . وهو أصح .

الثانية - وهذا يدل على فضل أول الوقت في الصلاة وعلى فضل الصف الأول؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا"<sup>(١)</sup>. فإذا جاء الرجل عند الزوال فترى في الصف الأول مجاور الإمام، حاز ثلاث مراتب في الفضل: أول الوقت، والصف الأول، ومجاورة الإمام. فإن جاء عند الزوال فترى في الصف الآخر أو فيما نزل عن الصف الأول، فقد حاز فضل أول الوقت وفاته فضل الصف الأول والمجاورة. فإن جاء وقت الزوال ونزل في الصف الأول دون ما يلي الإمام فقد حاز فضل أول الوقت وفضل الصف الأول، وفاته مجاورة الإمام. فإن جاء بعد الزوال ونزل في الصف الأول فقد فاته فضيلة أول الوقت، وحاز فضيلة الصف الأول ومجاورة الإمام. وهكذا، ومجاورة الإمام لا تكون لكل أحد، وإنما هي كما قال صلى الله عليه وسلم: "ليأتي منكم أولو الأحلام والنهي" الحديث. فإلى الإمام ينبغي أن يكون لمن كانت هذه صفته، فإن تركها غيره أضر وتقدم هو إلى الموضع؛ لأنه حقه بأمر صاحب الشرع، كالحرباء هو موضع الإمام تقدم أو تأخر؛ قاله ابن العربي.

قلت: وعليه يحمل قول عمر رضي الله عنه: تأخر يا فلان، تقدم يا فلان؛ ثم يتقدم فيكبر. وقد روى عن كعب أن الرجل من هذه الأمة ليختر ساجدا فيفقر لمن خلفه. وكان كعب يتوضئ الصف المؤخر من المسجد وجاء ذلك، ويذكر أنه وجده كذلك في التوراة. ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول. وسياق في سورة «الصفات» زيادة بيان لهذا الباب إن شاء الله تعالى.

الثالثة - وكما تدل هذه الآية على فضل الصف الأول في الصلاة، فكذلك تدل على فضل الصف الأول في القتال؛ فإن القيام في نحر العدو، وبيع العبد نفسه من الله تعالى لا يواز به عمل؛ فالتقدم إليه أفضل، ولا خلاف فيه ولا خفاء به. ولم يكن أحد يتقدم في الحرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان أشجع الناس. قال البراء: كنا والله إذا احتز البأس تنق به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى : وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنْ شِئَ خَكِيمٌ ﴿٥٥﴾  
 قوله تعالى : ( وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ) أى الحساب والجزاء . ( إِنَّهُ خَكِيمٌ عِلْمٌ )  
 تقدّم .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٥٦﴾  
 قوله تعالى : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) بنى آدم عليه السلام . ( مِنْ صَلْصَالٍ ) أى  
 من طين يابس ، من ابن عباس وغيره . والصلصال : الطين الحز خطط بالمرل فصار يتصلصل  
 إذا جف ، فإذا طين بالنار فهو الفخار ، عن أبي عبيدة . وهو قول أكثر المفسرين . وأنشد  
 أهل اللغة :

كَمْذُو الْمَصْلِصِلِ الْمَوَالِ •

وقال مجاهد : هو الطين المتيّن ، واختاره الكشاف . قال : وهو من قول العرب : صَلَّ  
 اللّمْ وأصل إذا أتت — مطبوخا كان أو نيّظا — يَصَلُّ صالولا . قال الخطيب :  
 ذاك فَيَّ يَسْدُلُ ذَا قَدْرِهِ • لا يُضِيدُ اللّمْ لَدَيْهِ الصَّلُولُ  
 وطين صَلَّال ومِصْلَال ، أى يصوّت إذا تقرّره كما يصوّت الحديد . فكان أوّل ترابا ،  
 أى متفرقا الأجزاء ثم بُل فصار طينا ، ثم رُك حتى أتت فصار حمّا مسنونا ، أى متصفا ، ثم  
 يَسَّ فصار صلابا ، على قول الجمهور . وقد مضى في « البقرة » بيان هذا . والحمّ : الطين  
 الأسود ، وكذلك الحمأة باللسكين ، يقول منه : حيث البثر حمّا ( باللسكين ) إذا زعت حماتها .  
 وحيث البثر حمّا ( بالتحريك ) كثرت حماتها . وأحاثها إجماع الحمأة ، عن ابن السكيت .  
 وقال أبو عبيدة : الحمأة ( مسكون الميم ) مثل الكأّة . والجمع حمّ ، مثل تمره وتمر . والحمّ المصدر ،  
 مثل الملح والجرح ، ثم سُمّي به . والمسنون المتغير . قال ابن عباس : هو التراب المبتل بالمتن ،

(١) راجع ج ١ ص ٢٨٧ طبة ثانية أرتاة . (٢) هذا مجزأيت . وتامه كان في اللسان

متزّين تصدق إذا سبأ الصر • ت حصد المصلل المبتل

(٣) راجع المسألة الأولى ج ١ ص ٢٧٩ طبة ثانية أرتاة .

بفعل صلبا لا كالفسار . ومثله قول مجاهد وقتادة ، قالا : المتن المنفرد ؛ من قولهم : قد  
 أَسِنَ الماء إذا تَغَيَّرَ ، ومنه « يَسَنُّ » و « ماءٌ غَيْرُ آسِنٍ » . ومنه قول أبي قيس بن الأسَدِ :  
 سَمْتُ صَدَايَ رُضَابَا غَيْرِ ذِي أَسْنٍ • كَمَا لَمْ تَكُنْ عَلَى مَاءِ الْعَانِقِ  
 وقال الفراء : هو المنفرد ، وأصله من قولهم : سَبَنَتِ الْحَجَرُ عَلَى الْحَجَرِ إِذَا حَكَّكَ بِهِ . وما يَخْرُجُ  
 مِنَ الْحَجَرِ يُقَالُ لَهُ السَّنَاةُ وَالسَّيْنُ ؛ ومنه الْمَسْنُ . قال الشاعر :  
 ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَةِ الْحَمَى • حَرَاهُ تَمُتِي فِي مَرَمَرٍ مَسْنُونٍ  
 أَيْ عَمَّكَوَكُ مُمْسَسٌ . سَكَى أَنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِأَبِيهِ : أَلَا تَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ  
 يُسَبِّحُ بِأَبْنَتِكَ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَمَا قَالَ ؟ فَقَالَ قَالَ :  
 هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلَاةِ النَّوْ • أَحْسَنَ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ  
 فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : صَدَقَ ! فَقَالَ يَزِيدُ : [ إِنَّهُ يَقُولُ ] :

وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا • فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونَ  
 فَقَالَ : صَدَقَ ! فَقَالَ : أَيْنَ قَوْلُهُ : ثُمَّ خَاصَرْتُهَا ... الْيَت . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : كَذَبٌ . وَقَالَ  
 أَبُو عُبَيْدَةَ : الْمَسْنُونُ الْمَصْبُوبُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : سَمَتِ الْمَاءُ وَغَيْرُهُ عَلَى الرَّجُلِ إِذَا  
 صَبَبَتْهُ . وَالسَّنُ الصَّبُّ . وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : الْمَسْنُونُ الرَّطْبُ ؛  
 وَهَذَا بِمَعْنَى الْمَصْبُوبِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مَصْبُوبًا إِلَّا وَهُوَ رَطْبٌ . النَّحَاسُ : وَهَذَا قَوْلُ حَسَنِ ؛  
 لِأَنَّهُ يَقَالُ : سَمَتِ الشَّيْءُ أَيْ صَبَبَتْهُ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : وَمِنْهُ الْإِثْرُ الْمَرْبُوعُ عَنْ عَمْرِو<sup>(٢)</sup>  
 أَنَّهُ كَانَ يَسْنُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَا يَسَنُّهُ . وَالشَّنُّ (بِالشَّيْنِ) تَفْرِيقُ الْمَاءِ ، وَبِالْشَّيْنِ الْمَهْلَةُ  
 صَبَبَهُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ . وَقَالَ سَيَبَوِيه : الْمَسْنُونُ الْمَصُورُ . أَخَذَ مِنْ سَنَةِ الْوَجْهِ وَهُوَ صُورَتُهُ .  
 وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهِ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ • مِلَاءٌ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>(٣)</sup>

(١) فِي السَّانِ : الْخَصْرَاءُ . (٢) الزِّيَادَةُ مِنَ السَّانِ . (٣) فِي نَهَايَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ : «ابْنُ عَمْرٍو» .  
 (٤) السَّنَةُ : الصُّورَةُ . وَالْمُقْرِفَةُ : الَّتِي دَنَتْ مِنَ الْحَبَّةِ . وَالنَّدَبُ : الْأَرْسُ بْنُ الْجِرَاحِ وَالْقِرَاحِ . وَنُورُهُ :  
 غَيْرُ مُقْرِفَةٍ ؛ أَيْ غَيْرُ حَبَّةٍ ، خَفِيفَةٌ كَرَبَّةٍ .

وقال الأخصس : المسنون المنصوب القائم ؛ من قولهم : وجه مسنون إذا كان فيه طول . وقد قيل : إن الصلصال التراب اللين ؛ حكاه المهدوي . ومن قال : إن الصلصال هو المنتن فأصله صلال ، فأبدل من إحدى اللامين الصاد . و « مِنْ حَمَلٍ » مفسر لجنس الصلصال ؛ كقولك : أخذت هذا من رجل من العرب .

قوله تعالى : **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ** ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ** ) أي من قبل خلق آدم . وقال الحسن : يعني إبليس ، خلقه الله تعالى قبل آدم عليه السلام . وسُمِّيَ جَانًّا لتواريه عن الأعين ، وفي صحيح مسلم من حديث ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما صور الله تعالى آدم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتألك » . ( **مِنْ نَارِ السَّمُومِ** ) قال ابن مسعود : نار السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم . وقال ابن عباس : السموم الريح الحارة التي تقتل . وعنه : أنها نار لادخان لها ، والصواعق تكون منها ، وهي نار تكون بين السماء والجناب . فإذا أحدث الله أمرا احترقت الجباب فهوت الصاعقة إلى ما أحرمت . فالهتة التي تسمعون ترق ذلك الجباب . وقال الحسن : نار السموم نار دونها حجاب ، والذي تسمعون من انقطاع السحاب صوتها . وعن ابن عباس أيضا قال : كان إبليس من حية من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة — قال — : وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من نار .

قلت : هذا فيه نظره فإنه يحتاج إلى سند يقطع المنزلة إذ مثله لا يقال من جهة الرأي . وقد نخرج مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ** وخلق آدم مما وُصف لكم » .

(١) أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات . وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب . وقيل : لا يملك دفع الرسا من عنه . (٢) الهدة : صوت وقع الحائط ونحوه .

قوله : « خلقت الملائكة من نور » يقتضى العموم . والله أعلم . وقال الجوهري : ما رج من نار ناراً لا دخان لها خلق منها الجن ، والسوم الرج الحارة تؤث ، يقال منه : سم يؤث فهو يوم مسموم ، والجمع سمائم . قال أبو عبيدة : السُّوم بالنهار وقد تكون بالليل ، والخُرور بالليل وقد تكون بالنهار . القشيري : وسميت الرج الحارة سموما لدخولها في سماء البدن .

قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّتَّسُونَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ) تقدم في « البقرة » . ( إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ ) من طين ( فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ ) أى سويت خلقه وصورته . ( وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ) النفخ إجراء الريح في الشيء . والروح جسم لطيف ، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم . وحقيقته إضافة خلق إلى خالق ؛ فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً ؛ كقوله : « أرضى وسماني وبنى وثاقه الله وشهر الله » . ومثله « وروح مِنهُ » وقد تقدم في « النساء » مينا . وذكرنا في كتاب ( التذكرة ) الأحاديث الواردة التي تدل على أن الروح جسم لطيف ، وأن النفس والروح اسمان لمسمى واحد . وساقى ذلك إن شاء الله . ومن قال إن الروح هو الحياة فال أراد : فلما ركبت فيه الحياة . ( فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ) أى خزلوا له ساجدين . وهو سجود تحبة وتكريم لا سجود عبادة . وفيه أن يفضل من يريد ؛ بفضل الأنبياء على الملائكة . وقد تقدم في « البقرة » هذا المعنى . وقال القفال : كانوا أنضل من آدم ، وأنتحنهم بالسجود له تمريراً لهم للثواب الجزيل . وهو مذهب المعتزلة .  
وقيل : أمروا بالسجود لله عند آدم ، وكان آدم قبلة لهم .

(١) راجع ج ١ ص ٢٦١ طبة ثانية أو ثالثة . (٢) راجع ج ١ ص ٢٢ طبة أول أو ثانية .

(٣) راجع ج ١ ص ٢٩١ وما بعدها . طبة ثانية أو ثالثة .

قوله تعالى : فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : ( فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ) فيه مستثنان :

الأولى — لا شك أن إبليس كان مأمورا بالسجود ، لقوله : « مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ » <sup>(١)</sup> وإنما منه من ذلك الاستكبار والاستعظام ، كما هتتم في « البقرة » بيانه . ثم قيل : كان من الملائكة ، فهو استثناء من الجنس . وقال قوم : لم يكن من الملائكة ، فهو استثناء منقطع . وقد مضى في « البقرة » هذا كله مستوفى . وقال ابن عباس : الجان أبو الجن وليسوا شياطين . والشياطين ولد إبليس ، لا يموتون إلا مع إبليس . والجن يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر . فأدم أبو الإنس . وإبلات أبو الجن . وإبليس أبو الشياطين ، ذكره الماوردي . والذي تقسم في « البقرة » خلافت هذا ، فبأملة هناك .

الثانية — الاستثناء من الجنس غير الجنس صحيح عند الشافعي ، حتى لو قال : فلان على دينار إلا ثوباً ، أو عشرة أثواب إلا ففيز حنطة ، وما جاس ذلك كان مقبولا ، ويسقط عنه من المبلغ قيمة الثوب والحنطة . ويستوى في ذلك المكيلات والموزونات والمقدرات . وقال مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهما : استثناء المكيل من الموزون والموزون من المكيل جائز ، حتى لو استثنى الدرهم من الحنطة والحنطة من الدرهم قبل . فأما إذا استثنى المقومات من المكيلات أو الموزونات ، والمكيلات من المقومات ، مثل أن يقول : على عشرة دنائير إلا ثوباً ، أو عشرة أثواب إلا دينارا لا يصح الاستثناء ، ويلزم المعتبر جميع المبلغ . وقال محمد بن الحسن : الاستثناء من غير الجنس لا يصح ، ويلزم المقتر بحملة ما أتى به . والدليل

(١) آية ١٢ سورة الأعراف . راجع ج ٧ ص ١٦٩ طبة أول أرثانية . (٢) راجع ج ١

ص ٢٩٦ طبة ثانية أرثانية . (٣) راجع ج ١ ص ٢٩٤ طبة ثانية أرثانية .

تقول الشافعي أن لفظ الاستثناء يستعمل في الجنس وغير الجنس؛ قال الله تعالى : « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا » فاستثنى السلام من جملة اللغو . ومثله « فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إِلَّا إِبْلِيسَ » وإبليس ليس من جملة الملائكة؛ قال الله تعالى : « إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » . وقال الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس \* إِلَّا اليعافيرُ وإلا اليعسُ

فاستثنى اليعافير وهي ذكور الظباء ، واليعس وهي الجمال البيض من الأنيس ؛ ومثله قول النابغة :

... .. \* ... ..

قوله تعالى : قَالَ يَتَّبِعُ إبْلِسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٦٦﴾

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَّبِعْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٧﴾

قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِذْ أَمَّا السَّاجِدُونَ لَكَ ﴾ (٦٦) (أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) أى فى ألا تكون . (قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَّبِعْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ) بين تكبره وحسده ، وأنه خير منه ، إذ هو من نار والنار تأكل الطين ؛ كما تقدم فى « الأعراف » بيانه . (قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا) أى من السموات ، أو من جنة عدن ، أو من جملة الملائكة . (فَأَنَّكَ رَجِيمٌ) أى مروجوم بالشهب . وقيل : ملعون مشنوم . وقد تقدم هذا كله مستوفى فى البقرة والأعراف . (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ) أى لعنتى ؛ كما فى سورة « ص » .

(١) آية ٢٥ سورة الواقعة . (٢) آية ٥٠ سورة الكهف . (٣) لم يذكر المؤلف رحمة الله عليه قول النابغة ، أوله سقط من النسخ . ولله يشير إلى قوله :

حلفت بيننا غيرة ذى مشنومة \* ولا علم إلا حسن ظن بصاحب

وهذا البيت أورده سيوريه فى كتابه شاهد على نصب ما بعد إلا على الاستثناء المقطع ؛ لأن حسن الظن ليس من العلم . والمتنوية : الاستثناء فى اليقين . والمضى : حلفت غير مستثنى بيمين حسن ظن منى بصاحبى فقام عندي مقام العلم الذى يوجب اليقين . (راجع كتاب سيوريه) . (٤) راجع ص ٧ من ١٧٠ طبعة أول أو ثانية . (٥) آية ٧٨ .



قوله تعالى : قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى : ( قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) هذا السؤال من إبليس لم يكن عن نفسه منه بمثلته عند الله تعالى ، وأنه أهل أن يجاب له دعاء ؛ ولكن سال تأخير عذابه زيادة في بلائه ؛ كفعل الآيس من السلامة . وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون : ألا يموت ؛ لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده . قال الله تعالى : ( فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ) معنى من المؤمنين . ( إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ) قال ابن عباس : أراد به النفخة الأولى ، أى حين تموت الخلائق . وقيل : الوقت المعلوم الذى استأثر الله بعلمه ، ويعلمه إبليس . فيموت إبليس ثم يبعث ؛ قال الله تعالى : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ » وفى كلام الله تعالى له قولان : - أحدهما - كلمة على لسان رسوله . الثانى - كلمة تطلقا فى الوعيد لا على وجه التكرمة والتعريب .

قوله تعالى : قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ( قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) ههنا معنى الإغواء والزينة فى الأعرف . وترتيبه هنا يكون بوجهين : إما بفعل المعاصى ، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة . ومعنى ( لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ) أى لأضلّهم عن طريق الهدى . وروى ابن أبي عمير عن عبد الله عن ذجاج أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن إبليس قال يا رب وعزتك وجلالك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت أرواحهم فى أجسامهم فقال الرب وعزتك وجلالك لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » .

قوله تعالى : **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴿١٠﴾

قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة بفتح اللام ؛ أى الذين استخلصتهم وأخلصتهم . وقرأ الباقون بكسر اللام ؛ أى الذين أخلصوا لك العبادة من فساد أو رياء . حتى أبو ثمانية أن الحوارين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلصين فنه فقال : " الذى يعمل ولا يحب أن يحمده الناس " .

قوله تعالى : **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ** ﴿١١﴾

قال عرب بن الخطاب : معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة . الحسن : « مل » بمعنى إلى . مجاهد والكشاف : هذا على الوعيد والتهديد ؛ كقولك لمن تهتده : طريقك على ومصيرك إلى . وكثوله : « إِنَّ رَبَّكَ لِلْمُصَادِّ » <sup>(١)</sup> . فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلى فأجازى كلأ عمله ، يبنى طريق العبودية . وقيل : المعنى « مل » أن أدل على الصراط المستقيم بالبيان والبرهان . وقيل : بالتوفيق والمساعدة . وقرأ ابن سيرين ونجدة والحسن وقويس بن ضباد وأبو رجا ، ومحمد يعقوب « هذا صراط على مستقيم » برفع « مل » وتوحيده ؛ ومعناه رفع مستقيم ، أى رفيع فى الدين والحق . وقيل : رفيع أن يقال ، مستقيم أن يقال .

قوله تعالى : **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ**

**مِنَ الْقَاوِينَ** ﴿١٢﴾

به مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ) قال العلماء : يبنى على قلوبهم . وقال ابن عينة : أى فى أن يقيمهم فى ذنب يمتنعهم غضوى ويضيقه عليهم . وهؤلاء الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم .

(١) آية ١٢ سورة القصص .

قلت : لعل قائلا يقول : قد أخبر الله عن صفة آدم وحواء عليهما السلام بقوله :  
 « فَازْهَمَا الشَّيْطَانُ » ، وعن جملة من أصحاب نبيه بقوله : « أَسْرَطَمَ الشَّيْطَانُ بَعْضَ  
 مَا كَسَبُوا » فاجواب ما ذكر ، وهو أنه ليس له سلطان على قلوبهم ، ولا موضع إيمانهم ،  
 ولا يلقبهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول ، بل نزله التوبة وتمحوه العقوبة . ولم يكن خروج  
 آدم عقوبة لما تناول ؛ على ما تقدم في « البقرة » بيانه . وأما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقد مضى القول عنهم في آل عمران . ثم إن قوله سبحانه : « ليس لك عليهم سلطان »  
 يحتمل أن يكون خاصا فيمن حفظه الله ، ويحتمل أن يكون في أكثر الأوقات والأحوال ،  
 وقد يكون في تسلطه تفرج كربة وإزالة غمة ؛ كما فعل بيلال ، إذ أناه سيده كما يهتدي الصبي  
 حتى نام ، ونام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس ، وفرعوا  
 وقالوا : ما كفارة ما صنعتنا بتفريطنا في صلاتنا ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « لم : » ليس  
 في النوم تفريط « ففرج عنهم . ( إِلَّا مَنْ أَتَىكَ مِنَ الْفَافِينَ ) أي الضالين المشركين . أي  
 سلطانه على هؤلاء ، دليله « إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتْلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ » .

الثانية — وهذه الآية والتي قبلها دليل على جواز استثناء القليل من الكثير والكثير  
 من القليل ؛ مثل أن يقول : عشرة إلا درهما . أو يقول : عشرة إلا تسعة . و . أ . أحد  
 ابن حنبل : لا يجوز أن يستثنى إلا قدر النصف فما دونه . وأما استثناء الأكثر من الجملة  
 فلا يصح . ودليلا هذه الآية ، فإن فيها استثناء « الفافين » من العباد والعباد من الفافين ،  
 وذلك يدل على أن استثناء الأقل من الجملة واستثناء الأكثر من الجملة جائز .

قوله تعالى : وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ مَا سَبْعَةُ آبِيبٍ  
 لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٣٧﴾

(١) آية ٣٦ سورة البقرة . (٢) آية ١٥٥ سورة آل عمران ، ج ٤ ص ٢٤٣ طبعه أول مرة .

(٣) راجع ج ١ ص ٣٢١ طبعه ثانية أو ثالثة . (٤) آية ١٠٠ سورة النمل .

قوله تعالى : ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْءَجَةٌ مُّجَمَّعِينَ ) يعنى ايليس ومن اتبعه . ( لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ) أى أطباق ، طبق فوق طبق ( لكل باب ) أى لكل طبقة ( مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ) أى حظ معلوم . ذكر ابن المبارك قال : أخبرنا إبراهيم أبو هارون الفتيوى قال : سمعت حطان ابن عبد الله الرقاشى يقول سمعت طياً رضى الله عنه يقول : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا : هى مثل أبوابنا . قال لا ، هى هكذا بعضها فوق بعض ، — زاد الطلعي : ووضع إحدى يديه على الأخرى — وأن الله وضع الجنان على الأرض ، واليران بعضها فوق بعض ، فأسفلها جهنم ، وفوقها الحطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها لظى ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية ، وكل باب أشد حراسن للذى يليه سبعين مرة .

قلت : كذا وقع هذا التفسير . والذي عليه الأكثر من العلماء أن جهنم أعلى التراتك ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى التى تغل من أهلها تنصفق الرياح أبوابها . ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . قال الضحاك : فى التذرك الأعلى الحمديون ، وفى الثانى النصارى ، وفى الثالث اليهود ، وفى الرابع الصابئون ، وفى الخامس المجوس ، وفى السادس مشركو العرب ، وفى السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أهل المائدة . قال الله تعالى : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى الدَّرَكِ الْأَعْلَى من انِّارٍ » — وقد تقدم فى النساء — ، وقال : « أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » ، وقال : « قُلْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَاِىَّ أَعْدِبْهُ عَذَابًا لَا أَعْدِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » . وقسم معاذ بن جبل رضى الله عنه العلماء السوء من هذه الأمة تقسيماً على تلك الأبواب ؛ ذكرناه فى كتاب ( التذكرة ) . وروى الترمذى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلهمن سبعة أبواب باب منها لمن سَلَّ سيفه على أمتى » قال : حديث غريب . وقال أبى بن كعب : بلهمن سبعة أبواب باب منها للهروية . وقال وهب بن منبه : بين كل بابين مسيرة سبعين

(١) راجع ج ٥ ص ٤٢٤ طبعة أولى آد ثانية . (٢) آية ٤٦ سورة غافر . (٣) آية ١١٥ سورة المائدة .

(٤) فى كتاب القدر المتور للسيرطى : « قال كعب رضى الله عنه : لشديد نور ، ولين قاتل الحسروية عشرة أنوار . وكان يقول : بلهمن سبعة أبواب ، باب منها للهروية . قال : ولقد تخرجوا فى زمان دارو عليه السلام » .

سنة، كل باب أشد حراً من الذي فوقه بسبعين ضعفاً. وقد ذكرنا هذا كله في كتاب التذكرة.

وروى سلام الطويل عن أبي سفيان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : « لما سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » جزء أشركوا بالله، وجزء شكروا في الله، وجزء غفلوا عن الله، وجزء آثروا شهواتهم على الله، وجزء شغلوا عظمهم بغضب الله، وجزء صبروا وغيثهم بحظهم من الله، وجزء عتوا على الله. ذكره الحلي.

أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب (منهاج الدين) له، وقال : فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله هم التنوية. والشاؤون هم الذين لا يدرون أن لهم إلهاً أولاً إلى لهم، ويشكون في شريعتهم أنها من عنده أم لا. والعاقلون عن الله هم الذين يحدونهم أصلاً ولا يشعرون، وهم الدهرية. والمؤثرون شهواتهم على الله هم المنهمكون في الماصي، لتكذيبهم برسول الله وأمره ونهيه. والشافئون غيظهم بغضب الله هم القائلون أنبياء الله وسائر الداعين إليه، المحدثون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم. والمصبرون رغبهم بحظهم من الله هم المتكرون بالبعث والحساب، فهم يبريدون ما يرغبون فيه، لم يجمع حظهم من الله تعالى. والعاقلون على الله الذين لا يبالون، بأن يكون ما هم فيه حقاً أو باطلاً، فلا يتفكرون ولا يمتدنون ولا يستدلون. والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم إن ثبت الحديث. ويروي أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية « وإن جهنم لموعدهم أجمعين » فتر ثلاثة أيام من الخوف لا يعقل، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال : يا رسول الله، أزلت هذه الآية « وإن جهنم لموعدهم أجمعين » ؟ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأزل الله تعالى « وإن المتيقين في جنات وعيون ». وقال بلال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة وحده، فمرت به امرأة أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « لما سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » فخرت الأعرابية منيئاً عليها، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم وجبتها فانصرف ودعا بماء فصب

على وجهها حتى أتافت وجلست ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا هذه مالك ؟ " ف قالت : أهذا شيء من كتاب الله المنزل ، أو قوله من تلقاء نفسك ؟ فقال : " يا أعرابية ، بل هو من كتاب الله تعالى المنزل " فقالت : كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها ؟ قال : " يا أعرابية ، بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب أهل كل منها على قدر أعمالهم " فقالت : والله إنى امرأة مسكينة ، مالى مال ، ومالى إلا سبعة أعبد ، أشهدك يا رسول الله ، أن كل عبد منهم عن كل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى . فأنه جبريل فقال : " يا رسول الله ، بشر الأعرابية أن الله قد حرّم عليها أبواب جهنم كلها وفتح لها أبواب الجنة كلها " .

قوله تعالى : **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ** **أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ؕ آمِينَ** (١)

قوله تعالى : **( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ )** أى الذين أتقوا الفواحش والشرك . **( فِي جَنَّاتٍ )** أى بساتين . **( وَعُيُونٍ )** هى الأنهار الأربعة : ماء ونحر ولبن وعسل . وأما العيون المذكورة فى سورة « الإنسان » : الكافور والزنجبيل والسلسيل ، وفى « المطففين » : التسميم ، فى آتى ذكرها وأهلها إن شاء الله . وضم العين من « عِيُون » على الأصل ، والكسر مراعاة للياء ، وقرئ بهما . **( أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ آمِينَ )** قراءة العامة « ادخلوها » بوصل الألف وضم انشاء ، من دخل يدخل ، على الأمر . تقديره : قيل ادخلوها . وقرأ الحسن وأبو العالية ورويس عن يعقوب « أَدْخِلُوها » بضم التنوين ووصل الألف وكسر الحاء على الفعل المجهول ، من أدخل . أى أدخلهم الله إليها . ومنعهم كسر التنوين فى مثل « رَحِمَةُ أَدْخُلُوا الجنة » وشبهه ، إلا أنهم هاءت القوا حركة الهزة على التنوين ، إذ هى ألف قطع ، ولكن فيه انتقال من كسر إلى ضم ثم من ضم إلى كسر فيثقل على اللسان . **( بِسَلَامٍ )** أى بسلامة من كل داء وآفة . وقيل : بغيبة من الله لهم . **( آمِينَ )** أى من الموت والعذاب والمزل والزوال .

قوله تعالى : وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾

قال ابن عباس : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عِيَّان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العنين الأخرى فينسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم، ونحوه عن علي رضي الله عنه . وقال علي بن الحسين : زلت في أبي بكر وعمر وعلي والصعابة، يعني ما كان بينهم من الجلاهمة من الغل . والقول الأول أظهر، يدل عليه سياق الآية . وقال علي رضي الله عنه : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من هؤلاء . والغل : الحقد والعداوة؛ يقال منه : غل يغل . ويقال من الغلول وهو السرقة من المتنم : غل يغل . ويقال من الخيانة : أغل يغل . كما قال :<sup>(١)</sup>  
جرى الله عنا حمزة بنه نوفل • جزاء من قبل بالأمانة كاذب

وقد مضى هذا في آل عمران . ( إخواناً على سُرُرٍ متقابلين ) أي لا ينظر بعضهم إلى قعاب بعض تواصلاً وتحاباً ، عن مجاهد وغيره . وقيل : الأصرة تدور كيفما شاءوا ، فلا يرى أحد قفا أحد . وقيل : « متقابلين » قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهم بالود . وسُرر جمع سرير . مثل جديد وجدد . وقيل : هو من السرور ؛ فكأنه مكان رفيع مهمد للسرور . والأول أظهر . قال ابن عباس : على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر ، السرير ما بين صبتاه إلى الجارية وما بين عدن إلى أيلة . « وإخواناً » نصب على الحال من « المتقين »<sup>(٢)</sup>

(١) البيت للبربرين تولب من أبيات في أم أولاده . وكان من حديثها أن أباها المحدث بن تولب سيد قومه أثار على بن أسد فسي منهم امرأة منهم يقال لها « حمزة بنت نوفل » فوهبها لأخيها المحدث فركبها لحبسها حتى استقرت وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيامها : إنني قد اشتقت إلى أهل ، فقال لها : إن أخاك إن صرت إلى أهلك أن تلتقي على نفسك فرائقه ليرجسن إليه ، ثم خانت عهده . (راجع الأغانى ج ١٩ ص ١٥٨ طبع بولاق) .

(٢) راجع ج ٤ ص ٢٥٥ طبعة أولى أو ثانية . (٣) صتاه : موضعان ، أحدهما باليمن وهي النطس ، وأخرى قرية بالوعدة . والجالية : قرية من أعمال دمشق . وعدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . وأيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر . (من معجم البلدان) .

أو من المضمر في « ادخلوها » ، أو من المضمر في « آمين » ، أو يكون حالا مقدرة من الماء والميم في « صدورهم » . ( لَا يَسْتَمُّ فِيهَا نَصَبٌ ) أى إعياء وتعب . ( وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ) دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول ، وأن أهلها فيها باقون . أكلها دائم ؟ « إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ مِنْ قَادٍ » .

قوله تعالى : نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٦٢﴾

هذه الآية وزان قوله عليه السلام : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بيمينه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قُتِلَ من رحمة أحد » أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة . وقد هتَمُّ في القائمة . وهكذا ينبغي للإنسان أن يذكر نفسه وفيه فيخوف ويربى ، ويكون الخوف في الصبغة أغلب عليه منه في المرض ، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الصحابة وهم يضحكون فقال : « أتضحكون وبين أيديكم الجنة والنار » فشق ذلك عليهم فنزلت الآية . ذكره الماوردي والمهدوي . ولفظ التلميذ عن ابن عمر قال : أطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه ونحن نضحك فقال : « ما لكم تضحكون لا أراكم تضحكون » ثم أدير حتى إذا كان عند المخرج رجع الفهقري فقال لنا : « إني لما خرجت جاءني جبريل فقال يا محمد لم تخط جادى من رحمتي » نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وأن عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ « . فالقنوط إياس ، والرجاء إهمال ، وخير الأمور أوساطها .

قوله تعالى : وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ قَالَ أَبَشْرُكُمْ نِعَلَى أَن مَّسِيَّ الْكِبَرِ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٦٤﴾



قوله تعالى : ( وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ رَبِّكَ ) ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ : الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط . وقد تقدم ذكرهم . وكان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب ليكلل بفوته أحد . وسمى الضيف ضيفاً لإضافته إليك وزوله عليك . وقد مضى من حكم الضيف في « هود » ما يكتفى والحمد لله . ( إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ) جمع الخبر لأن الضيف اسم يصلح للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالصدر . ضافه وأضافه أماله ؛ ومنه الحديث « حين تضيف الشمس للغروب » ، وضيفوفة السهم ، والإضافة النحوية . ( قَالُوا سَلَامًا ) أى سلموا سلاماً . ( قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ بَعْضٌ ) أى فزعون خائفون ، وإنما قال هذا بعد أن قرب العجل وراهم لا يأكلون ، على ما تقدم في هود . وقيل : أنكسر السلام ولم يكن في بلادهم بسم السلام . ( قَالُوا لَا تَوْجَلْ ) أى قالت الملائكة لا تخف . ( إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ طَيِّبٍ ) أى طيب ؛ قاله مقاتل . وقال الجمهور : عالم . وهو إسحاق . ( قَالَ أَتُبَشِّرُونَنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ) « أَيْ » مصدرية ؛ أى على من الكبر إياي وزوجتي ، وقد تقدم في هود وإبراهيم ؛ حيث يقول : « قِيمُ بُشِّرُونَنِي » استبهم تعجب . وقيل : استبهم حقيق . وقرأ الحسن « تُوجَلْ » بضم التاء . والأعشى « بُشِّرُونَنِي » بغير ألف ، ونافع وشيبة « بُشِّرُونَنِي » بكسر النون والضم ؛ مثل « أُنَجِّجُونَنِي » وقد تقدم تعليله . وقرأ ابن كثير وابن عيص « بُشِّرُونَنِي » بكسر النون مشددة ، تقديره تبشرونني ، فأدغم النون في النون . الباقون « بُشِّرُونَنِي » بنصب النون بغير إضافة .

قوله تعالى : قَالُوا بُشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكِنُّ مِنَ الْقَائِلِينَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ( قَالُوا بُشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ) أى بما لا خلف فيه ، وإن الولد لأدمنه . ( فَلَا تُكِنُّ مِنَ الْقَائِلِينَ ) أى من الآيسين من الولد ، وكان قد أيس من الولد لفراط

- |   |                                      |
|---|--------------------------------------|
| (١) راجع ج ٦ ص ٦٢ طبة أدل أو ثانية .      | (٢) راجع ج ٩ ص ٩٤ طبة أدل أو ثانية . |
| (٣) ضاف السهم : عدل عن المذهب أو الرتبة . | (٤) راجع ج ٩ ص ٩٥ طبة أدل أو ثانية . |
| (٥) راجع ج ٩ ص ٦٩ ط ٢٧٥٥                  | (٦) راجع ج ٧ ص ٢٨ طبة أدل أو ثانية . |

الكبر ، وقراءة السامة « من القانطين » بالالف . وقرا الأعمش ويحيى بن وثاب « من القنطين » بلا الف . وروى عن أبي عمرو . وهو مقصور من « القانطين » . ويجوز أن يكون من لغة من قال : قَنَطَ يَقْنَطُ ؛ مثل حنر يحذر . وفتح النون وكسرهما من « يقنط » لثان قرئ بهما . ونحى فيه « يقنط » بالضم . ولم يأت فيه « قنط يقنط » . [و] من فتح النون في الماضي والمستقبل فانه جمع بين القتين ، فأخذ في الماضي بلغة من قال : قنط يقنط وفي المستقبل بلغة من قال : قنط يقنط ؛ ذكره المهدوى .

قوله تعالى : قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥١﴾

أى المكذبون الناهبون عن طريق الصواب . يعنى أنه استبعد الولد لكبرسه لأنه قنط من رحمة الله تعالى .

قوله تعالى : قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٤﴾ إِلَّا أَمْرًا نَرَىٰ قَدَرًا مِنْهَا لِمَنِ الْغَيْرِينَ ﴿٥٥﴾

فيه مسائلان :

الأول - لما علم أنهم ملائكة - إذ أخبروه بأمر خارق للعادة وهو بشرهم بالولد - قال : فما خطبكم ؟ والخطب الأمر الخطير . أى فما أمركم وشأنكم وما الذى جثم به . ( قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ) أى مشركين خالين . وفي الكلام إضمار ؛ أى أرسلنا إلى قوم مجرمين لتهلكهم . ( إِلَّا آلَ لُوطٍ ) أتباعه وأهل دينه . ( إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ ) وقرا حمزة والكسائي « لَمُنَجِّوهم » بالتخفيف من أنجى . الباقون : بالتشديد من نجى ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم . والتنجية والإنباء التخليص . ( إِلَّا أَمْرًا نَرَىٰ قَدَرًا مِنْهَا لِمَنِ الْغَيْرِينَ ) استثنى من آل لوط امرأته وكانت كافرة فالتفت بالمجرمين في الهلاك . وقد تقدمت قصة قوم لوط

في « الأعراف » <sup>(١١)</sup> وسورة « هود » بما فيه كفاية . ( قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْقَائِرِينَ ) أى قضينا  
وكتبنا إنما لمن الباقيين في المذاب . والتأني : الباقي .  
قال : <sup>(١٢)</sup>

لا تكسح الشَّوْلُ بأغبارها \* إنك لا تدري من النَّاسِجِ  
الأغبار غايا السَّينِ . وقرأ أبو بكر والمفضل « قَدَرْنَا » بالتخفيف هنا وفي الفصل ، وشدد  
الباقون . المروى : يقال قدر وقدر ، بمعنى .

الثانية — لا خلاف بين أهل اللسان وغيرهم أن الاستثناء من النفي إثبات ومن  
الإثبات نفي ؛ فأنما قال رجل : له على عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما ؛ ثبت الإقرار  
بسبعة ؛ لأن الدرهم مستثنى من الأربعة ، وهو مثبت لأنه مستثنى من مئتي ، وكانت الأربعة  
منفية لأنها مستثناة من موجب وهو العشرة ، فماد الدرهم إلى الستة فصارت سبعة . وكذلك  
لو قال : على خمسة دراهم إلا درهما إلا ثلاثة ؛ كان عليه أربعة دراهم وثلاث . وكذلك إذا  
قال : فلان على عشرة إلا تسعة إلا ثمانية إلا سبعة ؛ كان الاستثناء الثاني راجعا إلى ما قبله ،  
والثالث إلى الثاني فيكون عليه درهما ؛ لأن العشرة إثبات والثمانية إثبات فيكون مجموعها  
ثمانية عشر . والتسعة نفي والسبعة نفي فيكون ستة عشر تسقط من ثمانية عشر ويبقى درهما ،  
وهو القدر الواجب بالإقرار لا غير . فقوله سبحانه : « إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ نَبِيًّا . إِلَّا  
آلُ لُوطٍ إِنَّا كُنْجُومُهُمْ أَجْمِينَ . إِلَّا أَمْرَأَتَهُ » فاستثنى آل لوط من القوم المجرمين ، ثم قال :  
« إِلَّا أَمْرَأَتَهُ » فاستناها من آل لوط ، فرجعت في التأويل إلى القوم المجرمين كما بينا . وهكذا  
الحكم في الطلاق ، لو قال زوجته : أنت طالق ثلاثا إلا اثنين إلا واحدة طلقت اثنين ؛ لأن  
الواحدة رجعت إلى الباقي من المستثنى منه وهى الثلاث ؛ وكذا كل ما جاء من هذا قطعته .

- (١) راجع ج ٧ ص ٢٤٢ طبة أول أو ثانية . : (٢) راجع ج ٩ ص ٦٢ طبة أول أو ثانية .  
(٣) القائل هو الحارث بن حِزْء . والكسح : ضرب ضرب القاذرة بالماء البارد ليحبسها ويترافق في ظهرها فيكون  
أقوى لما على الجذب في العام القابل . والشول : جمع شائلة وهي من الإبل التي تأتي عليها من حلها أو وضعها سبعة  
أشهر تلف لبها . والأغبار : جمع الغبر ، وهي بقية اللبن في الضرع . (٤) في قوله تعالى : « فَأَعْيَيْنَاهُ وَأَخَاهُ » الآية ٥٧

قوله تعالى : فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٩﴾ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطِيعَ مِنَ الْبَيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٧٠﴾

١ قوله تعالى : ( فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ) أى لا أعرفكم . وقيل : كانوا شبابا ورأى جمالا يخاف عليهم من فتنة قومه ؛ فهذا هو الإنكار . ( قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ) أى يسكون أنه نازل بهم ، وهو العذاب . ( وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ ) أى بالصدق . وقيل : بالعذاب . ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) أى فى هلاكهم . ( فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقْطِيعَ مِنَ الْبَيْلِ ) تقدم فى هود . ( وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ ) أى كن من ورائهم لئلا يتخلف منهم أحد فينال العذاب . ( وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ) نوا عن الالتفات ليجتنبوا فى السير ويتابعوا عن الغرية قبل أن يهاجمهم الصبح . وقيل : المعنى لا يتخلف . ( وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ) قال ابن عباس : معنى الشام . مقاتل : معنى صفد ، قرية من قرى لوط . وقد تقدم . وقيل : إنه مضى إلى أرض الخليل بمكان يقال له البقيع ، وإنما سمى البقيع لأن إبراهيم لما خرجت الرسل شيعهم ، فقال لجبريل : من أين يحسف بهم ؟ قال : " من ها هنا " وحذله حذوا ، وذهب جبريل ؛ فلما جاء لوط جلس عند إبراهيم وارتقا ذلك العذاب ، فلما احترت الأرض قال إبراهيم : " أيقنت بالله " فسمى البقيع .

قوله تعالى : وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مُقْطَعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٧١﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ صُنِّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَانِي إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾

(١) راجع ١٧ ص ٧٩ طبعه أول اراتية .

قوله تعالى : ( وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ) أى أوحينا إلى لوط . ( ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ) نظيره « فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا » . ( مُصْبِحِينَ ) أى عند طلوع الصبح . وقد تقدم . ( وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ) أى أهل مدينة لوط ( لِيَسْتَأْذِنُوا ) مستبشرين بالاضطراب طمعا منهم فى ركوب الفاحشة . ( قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي ) أى أضيافى ، ( فَلَا تَفْضَحُونِ ) أى تخجلون . ( وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ) يخشون أن يكون من الخزي وهو النذل والهوان ، ويخشون أن يكون من الخزاية وهو الحياء والخجل . وقد تقدم فى هود . ( قَالُوا أَوَلَمْ نَتَّهَكَّ عَنْ الْقِيَامِ ) أى عن أن نضيف أحدا لأنا نريد منهم الفاحشة . وكانوا يقصدون بفعلهم الغريب ، عن الحسن . وقد تقدم فى الأعراف .<sup>(١)</sup> وقيل : أولم تنهك عن أن نكلنا فى أحد من الناس إذا قصدها بالفاحشة . ( قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) أى فترجوهن ولا تركنوا إلى الحرام . وقد تقدم بيان هذا فى هود .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قال القاضي أبو بكر بن العربي : قال المفسرون بإجماعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ، أن قومه من قريش فى سكرتهم يعمهون وفى حيرتهم يرددون .

قلت : وهكذا قال القاضي عياض : أجمع أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله جل جلاله بحياة حياة محمد صلى الله عليه وسلم . وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال . ومعناه وبقاتك يا محمد . وقيل وحياك . وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف . قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أكرم البرية عنده . قال ابن العربي : وما الذى يمنع أن يقسم الله سبحانه وتعالى بحياة لوط ويبلغ به من التشريف

(١) راجع ج ٦ ص ٤٢٧ طبة أول أرثانية . (٢) راجع ج ٩ ص ٧٧ طبة أول أرثانية .

(٣) راجع ج ٧ ص ٢٤٥ طبة أول أرثانية . (٤) راجع ج ٩ ص ٧٦ طبة أول أرثانية .

ما شاء، وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتي ضغيفه من شرف لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أكرم على الله منه؛ أو لا ترى أنه سبحانه أعطى إبراهيم الخليل وموسى التكليم وأعطى ذلك لمحمد، فإذا أقسم بحياة لوط لحياة محمد أرفهم. ولا يخرج من كلام إلى كلام لم يمر له ذكر لغير ضرورة.

قلت: ما قاله حسن؛ فإنه كان يكون قسمه سبحانه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاماً معترضاً في قصة لوط. قال القشيري: أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره: ويحتمل أن يقال: يرجع ذلك إلى قوم لوط، أي كانوا في سكرتهم يمهون. وقيل: لما وعظ لوط قومه وقال هؤلاء بنياتي قالت الملائكة: يا لوط، «لمعرك إنهم أتى سكرتهم يمهون» ولا يدرون ما يحملهم صباحاً. فإن قيل: فقد أقسم تعالى بالتين والزيتون وطور سيناء؛ فما في هذا؟ قيل له: ما من شيء أقسم الله به إلا وذلك دلالة على فضله على ما يدخل في عبادته، فكذلك نبياً صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون أفضل ممن هو في عبادته. والعمر والعمر (بضم العين وفتحها) لغتان ومعناها واحد؛ إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح لكثرة الاستعمال. وتقول: عمرك الله، أي أسأل الله تعميرك. و«لعمرك» رفع بالابتداء وخبره محذوف. للمعنى لمعرك بما أقسم به.

الثانية - كره كثير من العلماء أن يقول الإنسان لعمرى؛ لأن معناه وجاني. قال إبراهيم النخعي: يكره الرجل أن يقول لعمرى؛ لأنه حلف بحياة نفسه، وذلك من كلام صفة الرجال. ونحو هذا قال مالك: إن المستضعفين من الرجال والمؤتئين يقسمون بحياتك وتعيشك، وليس من كلام أهل الأثران، وإن كان الله سبحانه أقسم به في هذه القصة، فذلك بيان لشرف المنزل والرفعة لمكانته، فلا يحمل عليه سواء ولا يستعمل في غيره. وقال ابن حبيب: ينبغي أن يصرف «لمعرك» في الكلام لهذه الآية. وقال قتادة: هو من كلام العرب. قال ابن العربي: وبه أقول، لكن الشرع قد قطعه في الاستعمال ورد القسم إليه. قلت: القسم: «لمعرك ولعمرى» ونحوه في أشعار العرب ووضيح كلامها كثير.

قال النابغة :

لَمَّمَرِي وَمَا تَمَرَرِي عَلَى بَيْتِي • لَقَدْ تَطَلَّتُ بَطْلًا عَلَى الْأَفَارِجِ

آخر :

لَمَّمَرِكْ إِنْ لَمَلْتُ مَا أَخْطَأَ الْفَنَى • لَكَالطَّوَلِ الْمُرْتَضَى وَثَبَاهُ بِالْيَدِ

آخر :

أَيُّهَا الْمَنْكَحُ الثُّرَيَّا سَيْلًا • عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

آخر :

إِذَا رَمَيْتُ عَلَى بَنُو قُصَيْرٍ • لَمَّمَرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وقال بعض أهل المعاني : لا يجوز هنا ؛ لأنه لا يقال لله عمر ، وإنما هو تعالى أزل .

ذكره الزهراوى .

الثالثة - - قد مضى الكلام فيما يحلف به وما لا يجوز الحلف به فى « المائدة » (١٣) ، وذكرنا هناك قول أحد بن حنبل فىمن أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم لزمته الكفارة . قال ابن خزيمة متناد : من جاوز الحلف بغير الله تعالى مما يجوز تعظيمه يحمى من الحقوق فيس يقول إنها يمين تتعلق بها كفارة ؛ إلا أنه من قصد الكذب كان ملوما ؛ لأنه فى الباطن مستخف بما وجب عليه تعظيمه . قالوا : وقوله تعالى « لمعرك » أى وحياتك . وإذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فإنما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياة . وعلى مذهب مالك معنى قوله : « لمعرك » و « التين والزيتون » « والطور » و « كتاب المسطور » « والتيج إذا هوى » « والشمس ومحاسا » « لا أقسم بهذا البلد . وأنت جيل بهذا البلد . وألدي وما أقد . » كل هذا معناه : وخالق التين والزيتون ، ورب الكتاب المسطور ، ورب البلد الذى حلت به ، وخالق عيشك وحياتك ، وحق محمد ، فاليمين والقسم حاصل به سبحانه لا بالخلق . قال ابن خزيمة متناد : ومن جاوز اليمين بغير الله تعالى تأول قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحلفوا

(١) أراد بالأفارج بن فرج بن حرف ، وكانوا قد دنسوا به إلى العيان . (٢) البيت لمرة بن العبد والطور : الحبل . وثباه : حاشى به . (٣) راجع ج ٦ ص ٢٦٤ وما بعدها طبع أول أرفاقية .

بآبائكم" وقال : إنما نهي عن الحلف بالآباء الكفار، ألا ترى أنه قال لما حلفوا بآبائهم :  
 "لجبل عند الله أكرم من آباءكم الذين ماتوا في الجاهلية" . وما لك حمل الحديث على ظاهره .  
 قال ابن خُوَيزَمَناد : واستدل أيضا من جوز ذلك بأن إيمان المسلمين جرت منذ عهد  
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن يحلفوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أن أهل  
 المدينة إلى يومنا هذا إذا حاكم أحدهم صاحبه قال : احلف لي بحق ما حواه هذا القبر ،  
 وبحق ساكن هذا القبر ، مني النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك بالحرم والمشاعر العظام ،  
 والركن والمقام والحراب وما يُثَلَّ به .

قوله تعالى : فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٦﴾ جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا  
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ( فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ) نصب على الحال ، أي وقت شروق  
 الشمس . يقال : أشرقت الشمس أي أضاءت ، وشرقت إذا طلعت . وقيل : هما لتان  
 بمعنى . وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس . مثل أصبحوا وأمسوا ، وهو  
 المراد في الآية . وقيل : أراد شروق الفجر . وقيل : أول العذاب كان عند الصبح واستد إلى  
 شروق الشمس ، فكان تمام الهلاك عند ذلك . والله أعلم . و « الصيحة » العذاب .  
 وتقدم ذكر « سِجِّيلٍ » .

قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾  
 فيه مسائل :

الأول - قوله تعالى : ( لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ) روى الترمذي الحكيم في ( نوادر الأصول ) من  
 حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " للمتوسمين " وهو  
 قول مجاهد . وروى أبو عيسى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله



عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله — ثم قرأ — » **إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** » . قال : هذا حديث غريب . وقال مقاتل وأبن زيد : للتوسمين للتفكير .  
الضحاك : للتأطرين . قال الشاعر :

أَوْكَلْنَا وَرَدَّتْ عَكَظًا قِيلَةً • بَعُثُوا إِلَى عَرِيقِهِمْ يَتَوَسَّم

وقال قتادة : للتعبيرين . قال زهير :

وَفِيهِمْ مَلَقَى لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٌ • أَتَيْتُ لَعِينِ النَّاطِرِ التَّوَسِّمِ

وقال أبو عبيدة : للتبصرين ، والمعنى متقارب . وروى الترمذي الحكيم من حديث ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنْ يَهْ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسِّمِ** » . قال العلاء : التوسم تفعل من التَّوَسَّمَ ، وهي العلامة التي يستدل بها على المطلوب غيرها . يقال : تَوَسَّمت فيه الخير إذا رأيت يَتَسَّم ذلك فيه ، ومنه قول عبد الله ابن رَوَاحَةَ للنبي صلى الله عليه وسلم :

إِنِّي تَوَسَّمت فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِضْهُ • وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ

آخر :

تَوَسَّمتُ لِمَا رَأَيْتُ مَهَابَةً • عَلَيْهِ وَقَلَّتْ الْمَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

واتسم الرجل إذا جعل لنفسه علامة يُعرف بها . وتوسَّم الرجل طلب كلاً الوَسْمِي . وأشد : وأصبحت كاللَّدُومِ التَّوَاغِمِ غُدُوَّةً • عَلَى وَجْهَةٍ مِنْ ظُلُوعِ مُتَوَسِّمٍ

وقال نعلب : الواسم الناظر إليك من قَرَفَكَ إلى قدمك . وأصل التوسم التثبت والتفكر ؛ مأخوذ من التَّوَسَّمَ وهو التأني بمجدبة في جلد البعير وغيره ، وذلك يكون بحودة القرية وحده . لما طار وصفا الفكر . زاد غيره : وتفرغ القلب من حشو الدنيا ، وتطهيره من أدناس الماصي وكدورة الأخلاق وفضول الدنيا . روى تَهْشَلُ عن ابن عباس « **لِلتَّوَسِّمِينَ** » قال : لأهل الصلاح والخير . وزعمت الصوفية أنها كرامة . وقيل : بل هي استدلال بالعلامات ،

(١) هو طريف بن نعيم العبدي (عن شواهد سيره) .

ومن العلامات ما يبدو ظاهر لكل أحد ويأول نظرة، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل أحد ولا يدرك ببدي النظر. قال الحسن: المتوسمون هم الذين يتوسمون الأمور فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار؛ فهذا من الدلائل الظاهرة. ومثله قول ابن عباس: ما سألني أحد عن شيء إلا عرفت أقيه هو أو غيرقيه. وروى عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخر: بل حداد، فبادر من حضر إلى الرجل فسأله فقال: كنت نجاراً وأنا اليوم حداد. وروى عن جُنْدُب بن عبد الله البجلي أنه أتى على رجل يقرأ القرآن فوقف فقال: من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به. فقلنا له: كأنك عرّضت بهذا الرجل، فقال: إن هذا يقرأ عليك القرآن اليوم ويخرج غداً حروراً؛ فكان رأس الحرورية، واسمه مرداس. وروى عن الحسن البصري أنه دخل عليه عمرو بن عبيد فقال: هذا سيد فتيان البصرة إن لم يُحْدِث، فكان من أمره من القدر ما كان، حتى هجره طمة إخوانه. وقال لأيوب: هذا سيد فتيان أهل البصرة، ولم يستثن. وروى عن الشعبي أنه قال لداود الأزدي وهو يماريه: إنك لا تموت حتى تُكَوَّى في رأسك، وكان كذلك. وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل عليه قوم من مدّرج فيهم الأشتر، فصعد فيه النظر وصوّبه وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث. فقال: ما له قاتله الله! إلى لأرى المسلمين منه يوماً عصياً؛ فكان منه في الفتنة ما كان. وروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه: أن أنس بن مالك دخل عليه، وكان قد مرّ بالسوق فنظر إلى امرأته، فلما نظر إليه قال عثمان: يدخل أحدكم على وفي عييد أترأى؟ فقال له أنس: أوتياً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال لا! ولكن برهان وفراصة وصدق. ومثله كثير عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين.

الثانية - قال أبو بكر بن العري: «إننا ثبت أن التوسم والتفريس من مدارك المعاني فإن ذلك لا يرتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم ولا متفريس. وقد كان قاضي القضاة الشافعي المالكي ببغداد أيام كوني بالشام يحكم بالفراصة في الأحكام، جزيّاً على طريق إياس

ابن معاوية أيام كان قاضياً ، وكان شيخنا نحر الإسلام أبو بكر الشاشي صنف جزءاً في الرد عليه ، كتبه لي بخطه وأعطانيه ، وذلك صحيح ، فإن مدارك الأحكام معلومة شرعاً مدركة قطعاً وليست القراصة منها .

قوله تعالى : **وَلَا تَنْهَا لِيَسِيلَ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِبِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَلَإِنَّمَا لِيُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا**

قوله تعالى : **(وَلَا تَنْهَا)** يعني قري قوم لوط . **(لِيَسِيلَ مَقِيمٌ)** أي على طريق قومك يا أحمد إلى الشام . **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ)** أي لعدة للصديقين . **(وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِبِينَ)** يريد قوم شعيب ، كانوا أصحاب غياض ورواض وشجر مثمر . والأأيكة : القبيضة ، وهي جماعة اللهجر ، والجمع الأيكة . ويروى أن تجرمهم كان يوماً وهو المقل . قال النابغة :

تَجَلَّوْا بِقَادِ مَتَى حَمَامَةِ أَيْكَةٍ دَ بَرْدًا أَسْفَ لِسَانَهُ بِالْإِنْمَدِ

وقيل : الأيكة اسم القرية . وقيل اسم البلدة . وقال أبو عبيدة : الأيكة وليكة مدينتهم ، بمنزلة بكة من مكة . وتقدم خبر شعيب وقومه . **(وَإِنَّمَا لِيُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا)** أي بطريق واضح في نفسه ، يعني مدينة قوم لوط وبقعة أصحاب الأيكة يستبرهما من يترطهما .

قوله تعالى : **وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾**

الحجر يطلق على معان : منها حجر الكعبة . ومنها الحرم ، قال الله تعالى : **«وَحِجْرًا مَّحْجُورًا»** أي حراماً محرماً . والحجر العقل ، قال الله تعالى : **«لَنَدِي حِجْرٍ»** والحجر حجر القميص ، والفتح أفصح . والحجر الفرس الأثني . والحجر ديار ثمود ، وهو المراد هنا ، أي المدينة ؛

قاله الأزهرى . قتادة : وهى ما بين مكة وتبوك ، وهو الوادى الذى فيه ثمود . الطبرى :  
 هى أرض بين الحجاز والشام ، وهم قوم صالح . وقال : ( الْمُرْسَلِينَ ) وهو صالح وحده ،  
 ولكن من كذب نياً فقد كذب الأنياء كلهم ؛ لأنهم على دين واحد فى الأصول فلا يجوز  
 التفريق بينهم . وقيل : كذبوا صالحاً وهم تبعه ومن تقدمه من النبيين أيضاً . والله أعلم .  
 وروى البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر فى غزوة تبوك  
 أمرهم ألا يشربوا من بئرهما ولا يستقوا منها . فقالوا : قد عجنّا وأستقينا . فأمرهم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أن يريقوا الماء وأن يطرحوا ذلك العجين . وفى الصحيح عن ابن عمر  
 أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود ، فاستقوا من آبارها  
 وعجنوا به العجين ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريقوا ما استقوا ويلقوا الإبل  
 بالعجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى تردها الناقة . وروى أيضاً عن ابن عمر قال :  
 حذرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم "  
 ثم زجر فاسرع .

قلت : ففى هذه الآية التى بين الشارح حكمها وأوضح أمرها ثمان مسائل ، استنبطها العلماء  
 واختلف فى بعضها الفقهاء ، فأولها — كراهة دخول تلك المواضع ، وعليها حمل بعض العلماء  
 دخول مقابر الكفار ؛ فإن دخل الإنسان شيئاً من تلك المواضع والمقابر قبل الصفقة التى أرشد  
 إليها النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتبار والخوف والإسراع . وقد قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : " لا تدخلوا أرض بابل فإنها ملعونة " .

مسئلة : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهرق ما استقوا من بئر ثمود وإلقاء ما عجن  
 وخزبه لأجل أنه ماء حنيط ، فلم يحز الانتفاع به فرأوا من حنيط الله . وقال " اعلفوه الإبل " .

قلت : وهكذا حكم الماء النجس ولما يعجن به .. وثانيها — قال مالك : إن ما لا يجوز استعماله من الطعام والشراب يجوز أن تصفه الإبل والبهايم ؛ إذ لا تكليف عليهما ، وكذلك قال في العسل النجس : إنه يصفه النحل . وثالثها — أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلف ما يعجن بهذا الماء الإبل ، ولم يأمر بطرحه كما أمر في لحوم الخمر الإنسانية يوم خيبر ؛ فقد صلى أن لحم الخمر أشد في التحريم وأغلظ في التنجيس . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسب الحجام أن يلف الناصع والرفيق ، ولم يكن ذلك لتحريم ولا تنجيس . قال الشافعي : ولو كان حراما لم يأمره أن يطعمه رقيقه ؛ لأنه متعبد فيه كما تعبد في نفسه . ورابعها — في أمره صلى الله عليه وسلم بلف الإبل المعجن دليل على جواز حمل الرجل النجاسة إلى كلابه ليأكلوها ؛ خلافا لمن منع ذلك من أصحابنا وقال : تطلق الكلاب عليها ولا يحملها إليهم . وخامسها — أمره صلى الله عليه وسلم أن يستقروا من بر الناقة دليل على تبرك آثار الأنبياء والصالحين ، وإن تضادمت أعضاؤهم وخفيت آثارهم ؛ كما أن في الأول دليلا على بفض أهل الفساد وذم ديارهم وآثارهم . هذا ، وإن كان التحقيق أن الجمادات غير مؤاخذات ، لكن المقرون بالمحبوب محبوب ، والمقرون بالمكروه المبنوض مبغوض ؛ كما قال كثير :

أحب لحبها السودان حتى • أحب لحبها سود الكلاب

وكما قال آخر :

أمر على الديار ديار ليل • أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما تلك الديار شقق قلبي • ولكن حب من سكن الديارا

وسادسها — منع بعض العلماء الصلاة بهذا الموضع وقال : لا تجوز الصلاة فيها لأنها دار منخط وبقعة غرض . قال ابن العربي : فصارت هذه البقعة مستثناة من قوله صلى الله عليه وسلم : « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » فلا يجوز التيمم بترابها ولا الوضوء من مائها ولا الصلاة

(١) الناصع : البيريسق عليه . (٢) الرواية المشهورة : « وما حب الهبار » . والبيان لمجنون ليل .

(راجع نزهة الأدب في شاهد الضمير بعد المائتين) .

فيها . وقد روى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى في سبع مواطن : في المَزْبلة والمجزرة والمقبرة وقارة الطريق ، وفي الحمام وفي معاطن الإبل وفوق بيت الله . وفي الباب عن أبي هريرة وجابر وأنس : حدث ابن عمر إنسانه ليس بذلك القوى ، وقد تَكَلَّمَ في زيد بن جبرة من قَبْلِ حَفْظِهِ . وقد زاد علماؤنا : الدار المغصوبة والكنيسة والبيعة والبيت الذي فيه تمائيل ، والأرض المغصوبة أو موضعا متقبل فيه نائما أو وجه رجل أو جدارا عليه نجاسة . قال ابن العربي : ومن هذه المواضع ما منع لحق الغير ، ومنه ما منع لحق الله تعالى ، ومنه ما منع لأجل النجاسة المحققة أو لغلبيتها ؛ فما منع لأجل النجاسة إن فرش فيه نوب طاهر كاللحسام والمقبرة فيها أو إليها فإن ذلك جائز في المدونة . وذكر أبو مصعب عنه الكراهة . وفرق علماؤنا بين المقبرة القديمة والجديدة لأجل النجاسة ، وبين مقبرة المسلمين والمشركون ؛ لأنها دار عذاب وبقعة مخط كالجحر . وقال مالك في المجموعة : لا يصلى في أعطان الإبل وإن فرش نوبيا ؛ كأنه رأى لما علقين : الاستئثار بها وتفادها فتفسد على المصل صلواته ، فإن كانت واحدة فلا بأس ؛ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ؛ في الحديث الصحيح . وقال مالك : لا يصلى على بساط فيه تمائيل إلا من ضرورة . وكره ابن القاسم الصلاة إلى القبلة فيها تمائيل ، وفي الدار المغصوبة ، فإن فعل أجهل . وذكر بعضهم عن مالك أن الصلاة في الدار المغصوبة لا تجزى . قال ابن العربي : وذلك عندي بخلاف الأرض فإن الدار لا تدخل إلا بإذن ، والأرض وإن كانت ملكا فإن المسجدية فيها قائمة لا يبطلها الملك .

قلت : الصحيح - إن شاء الله - الذي يدل عليه النظر والتجرب أن الصلاة بكل موضع طاهر جائزة صحيحة . وما روى من قوله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا واد به شيطان " وقد رواه معمر عن الزهري فقال : وأخرجوا عن الموضع الذي أصابكم فيه الغفلة . وقول علي : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصلى بأرض بابل فإنها ملعونة . وقوله عليه

(١) في الموطأ : « لأنها يستريح بها القبور والفاطمة ؛ فلا تكاد تسلم مباركتها من النجاسة » .

(٢) أى ثمانية واحدة .

السلام حين مرّ بالبحر من محمود : " لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين " ونبيه عن الصلاة في معادن الإبل إلى غير ذلك مما في هذا الباب ، فإنه مردود إلى الأصول المجتمع عليها والدلائل الصحيح بحيثها . قال الإمام الحافظ أبو عمر : المختار عندنا في هذا الباب أن ذلك الوادي وغيره من بقاع الأرض جائز أن يصلى فيها كلها ما لم تكن فيها نجاسة متيقنة تمنع من ذلك ، ولا معنى لاعتلال من أعتل بأن موضع النوم عن الصلاة موضع شيطان ، وموضع ملعون لا يجب أن تقام فيه الصلاة ، وكل ما روى في هذا الباب من النهي عن الصلاة في المقبرة وبارض بابل وأعطان الإبل وغير ذلك مما في هذا المعنى ، كل ذلك عندنا منسوخ ومندفع لمعوم قوله صلى الله عليه وسلم : " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا " ، وقوله صلى الله عليه وسلم غيبا : إن ذلك من فضائله وما خُصَّ به ، وفضائله عند أهل التمسك لا يجوز عليها النسخ ولا التبديل ولا النقص . قال صلى الله عليه وسلم : " أُوْتِيَتْ نَحْسًا - وقد روى سنا ، وقد روى ثلثا وأربعا ، وهي تنهى إلى أزيد من تسع ، قال فيهن - " لم يؤتِهن أحد قبلُ عُثْتُ إلى الأحمر والأسود ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ وَجُعِلَتْ أُمْتِي خَيْرَ الْأُمَمِ وَأُحِلَّتْ لِي الْفَنَاءُ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأُوْتِيَتْ الشَّفَاعَةُ وَبُشْتُ بِجِوَارِعِ الْكَلِمِ وَبَيْنَا أَنَا نَاثِمٌ أُنِيتُ بِفَاتِحِ الْأَرْضِ فَوَضَعْتُ فِي يَدِي وَأَعْطَيْتُ الْكُوثَرُ وَخَيْمَ بَنِي النَّبِيِّونَ " رواها جماعة من الصحابة . وبعضهم يذكر بعضها ، ويذكر بعضهم ما لم يذكر غيره ، وهي صحاح كلها ، وجائز على فضائله الزيادة وغير جائز فيها نقصان ؛ ألا ترى أنه كان عبدا قبل أن يكون نبيا ثم كان نبيا قبل أن يكون رسولا ، وكذلك روى عنه . وقال : " ما أدرى ما يفعل بي ولا بكم " ثم زلت « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » . وسمع رجلا يقوله : يا خير البرية ، فقال : " ذاك إبراهيم " وقال : " لا يقول أحدكم أنا خير من يونس بن مَتَّى " وقال : " السيد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام " ثم قال بعد ذلك كله : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " . فضائله صلى الله عليه وسلم لم تزل

تردد إلى أن قبضه الله ، فمن حادنا قلنا : إنه لا يجوز عليها النسخ ، إلا الاستثناء ولا القصان ،  
 وجائز فيها الزيادة . وبقوله صلى الله عليه وسلم : " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا "  
 أجزأت الصلاة في المقبرة والحمام وفي كل موضع من الأرض إذا كان طاهرا من الأنجاس .  
 وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : " حيثما أدركتك الصلاة فصل فإن الأرض كلها مسجد "  
 ذكره البخاري . ولم يخص موضعا من موضع . وأما من احتج بحديث ابن وهب قال :  
 أخبرني يحيى بن أيوب عن زيد بن جبير عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر حديث  
 الترمذي الذي ذكرناه فهو حديث آخر به زيد بن جبير وأنكره عليه ، ولا يعرف هذا  
 الحديث مسندا إلا برواية يحيى بن أيوب عن زيد بن جبير . وقد كتب الليث بن سعد  
 إلى عبد الله بن نافع مولى ابن عمر يسأله عن هذا الحديث ، وكتب إليه عبد الله بن نافع  
 لا أعلم من حدث بهذا عن نافع إلا قد قال عليه الباطل . ذكره الحلواني عن سعيد بن أبي مريم  
 عن الليث ، وليس فيه تخصيص مقبرة المشركين من غيرها ، وقد روى عن علي بن أبي طالب  
 قال : نهاني جبريل صلى الله عليه وسلم أن أصلي في المقبرة ، ونهاني أن أصلي في أرض بابل  
 فإنها ملعونة . وإسناده ضعيف مجتمع على ضعفه ، وأبو صالح الذي رواه عن علي هو سعيد  
 ابن عبد الرحمن النخعي ، بصري ليس بمشهور ولا يصح له سماع عن علي ، ومن دونه  
 مجهولون لا يعرفون . قال أبو عمر : وفي الباب عن علي من قوله غير مرفوع حديث  
 حسن الإسناد ، رواه الفضل بن ذكين قال : حدثنا المغيرة بن أبي الحضر الكندي قال حدثني  
 أبو العباس خمر بن عيسى قال : خرجنا مع علي إلى الحورية ، فلما جاوزنا سور يا رفع  
 بارض بابل ، قلنا : يا أمير المؤمنين أسبغت الصلاة الصلاة ؟ فأبى أن يكلم أحدا .  
 قالوا : يا أمير المؤمنين ، قد أسبغت . قال لي ، ولكن لا أصلي في أرض خسف الله بها .  
 والمغيرة بن أبي الحضر كوفي ثقة ، قاله يحيى بن معين وغيره . وخمر بن عيسى من كبار أصحاب  
 علي . وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 " الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام " . قال الترمذي : رواه سفيان الثوري عن عمرو بن



يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مُرسلاً، وكأنه أثبت وأصح . قال أبو عمر :  
فمقط الاحتجاج به عند من لا يرى المرسل حجة، ولو ثبت كان الوجه ما ذكرنا . ولنا  
قول كما قال بعض المتحليين لمذهب المدنيين : إن المقبرة في هذا الحديث وبغيره أريد بها  
مقبرة المشركين خاصة؛ فإنه قال : المقبرة والحمام بالألف واللام؛ فغير جائز أن يُرد ذلك إلى مقبرة  
دون مقبرة أو حمام دون حمام بغير توقيف عليه ، فهو قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة  
ولا خبر صحيح، ولا مدخل له في القياس ولا في المقول، ولا دلّ على غوى الخطأ ولا نخرج  
عليه الخبر . ولا يخلو تخصيص من خص مقبرة المشركين من أحد وجهين : إما أن يكون من  
أجل اختلاف الكفار إليها بأقدامهم فلا معنى لخصوص المقبرة بالذكر؛ لأن كل موضع هم  
فيه بأجسامهم وأقدامهم فهو كذلك، وقد جئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم بما  
لا معنى له . أو يكون من أجل أنها بقعة مسخطة ، فلو كان كذلك ما كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ليبنى مسجده في مقبرة المشركين وينشئها ويسويها ويبني عليها ، ولو جاز لقائل  
أن يخص من المقابر مقبرة للصلاة فيها لكانت مقبرة المشركين أولى بالخصوص والاستثناء من  
أجل هذا الحديث . وكل من كره الصلاة في المقبرة لم يخص مقبرة من مقبرة ؛ لأن الألف  
واللام إشارة إلى الجنس لا إلى المهود ، ولو كان بين مقبرة المسلمين والمشركين فرق لبيته  
صلى الله عليه وسلم ولم يهمله ؛ لأنه بعث ميئاً . ولو ساء لجاهل أن يقول : مقبرة كذا لجاز  
لأنه أن يقول : حمام كذا ؛ لألف في الحديث المقبرة . الحمام . وكذلك قوله : المزالة  
والمجزرة؛ غير جائز أن يقال : مزالة كذا ولا مجزرة كذا ولا طريق كذا؛ لأن التحكم في دين  
الله غير جائز .

وأجمع العلماء على أن التيمم على مقبرة المشركين إذا كان الموضع طيباً طاهراً انظافاً جائز .  
وكذلك أجمعوا على أن من صلى في كيسة أو بئعة على موضع طاهر، أن صلاته ماضية جائزة .  
وقد تقدم هذا في سورة «براءة»<sup>(١)</sup> . ومعلوم أن الكيسة أقرب إلى أن تكون بقعة مسخطة من المقبرة؛

(١) راجع ج ٨ ص ٢٥٥ طبعه أملا أرثانية .

لأنها بقعة يمسى الله ويكبر به فيها ، وليس كذلك المقبرة . وقد وردت السنة باتخاذ البيع والكائس مساجد . روى النسائي عن طلق بن علي قال : خرجنا وقدنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه ، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا ، وذكر الحديث . وفيه : " فإذا أتيتكم أرضكم فأكسروا بيعتكم واتخذوها مسجداً " . وذكر أبو داود عن عثمان بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم . وقد تقدم في « براءة » . وحسبك بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى مبيناً في مقبرة المشركين ، وهو حجة على كل من كره الصلاة فيها . ومن كره الصلاة في المقبرة سواء كانت لمسلمين أو مشركين الثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والتابعي وأصحابهم . وعند الثوري لا يبعد . وعند الشافعي أجزاء إذا صلى في المقبرة في موضع ليس فيه نجاسة ؛ للأحاديث المألوفة في ذلك ، ولحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً " ، ولحديث أبي هريرة الثوري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها " . وهذان حديثان ثابتان من جهة الإِسْتِثْناء ، ولا حجة فيهما ؛ لأنهما محتملان للتأويل ، ولا يجب أن يمنع من الصلاة في كل موضع طاهر إلا بدليل لا يحتمل تأويلاً . ولم يفرق أحد من فقهاء المسلمين بين مقبرة المسلمين والمشركين إلا ما حكيناه من خطل القول الذي لا يستغل بمثله ، ولا وجه له في نظر ولا في صحيح أثر .

وثانها — الحائظ يلقى فيه الثن والمِيزَة ليكرم فلا يصلي فيه حتى يسقى ثلاث مرات ، لما رواه الدارقطني عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحائظ يلقى فيه المِيزَة والثن قال : " إذا سقى ثلاث مرات فصل فيه " . وخرجه أيضاً من حديث نافع عن ابن عمر أنه سئل عن هذه الحيطان التي تأتي فيها المِيزَات وهذا الزبل ، أيصلي فيها ؟ فقال : إذا سقيت ثلاث مرات فصل فيها . رُفِعَ ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم . اختلفاً في الإِسْتِثْناء ، والله أعلم .

قوله تعالى : **وَأَيَّبْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا مُعْرِضِينَ** (٨١)

قوله تعالى : **( وَأَيَّبْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا )** أى بآياتنا . كقوله : **« آتَيْنَا غَدَامًا »** أى بغدائنا . والمراد الناقة ، وكان فيها آيات بحة : خروجها من الصخرة ، ودنوئها عنها عند خروجها ، وعظمتها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعا . ويحتمل أنه كان لصالح آيات أخر سوى الناقة ، كالبر وغيره . **( فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ )** أى لم يعتبروا .

قوله تعالى : **وَكَانُوا يَخْتُونُ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ** (٨٢) **فَأَخَذْتَهُمُ**

**الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ** (٨٣) **فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (٨٤)

التحت في كلام العرب : البرى والتجر . نحت بنحت ( بالكسر ) نحتا أى براه . والنحانة البراية . والمئحت مأححت به . وفى التزويل **« اتَّعَبُودُونَ مَا تَخْتُونُ »** أى تتجرون وتصبغون . فكانوا يختفون من الجبال بيوتا لأنفسهم بشدة قوتهم . **( آمِنِينَ )** أى من أن تسقط عليهم أو تخرب . وقيل : آمنين من الموت . وقيل : من العذاب . **( فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ )** أى فى وقت الصبح ، وهو نصب على الحال . وقد تقدم ذكر الصيحة فى هود والأعراف . **( فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ )** من الأموال والحصون فى الجبال ، ولا ما أعطوه من القوة .

قوله تعالى : **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ** (٨٥) **الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** (٨٦) **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلِيقُ**  
**الْعَلِيمُ** (٨٧)

(١) آية ٦٢ سورة الكهف . (٢) آية ٩٥ سورة الصافات .

(٣) راجع ٩ ص ٦١ و ٧ ص ٢٤٢ طبة أول وثانية .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أى الزوال والماء .  
وقيل : أى لأجازى الحسن والمسيء ؛ كما قال : « وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ » . ( وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ ) أى  
لكائنة فيجزي كل بعمله . ( فَاصْصِقِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ) مثل « وَأَنْجِرْهُمْ نَجْرًا جَمِيلًا » أى تجاوز  
عنهم يا محمد ، واعف عفوا حسنا ؛ ثم نسخ بالسيف . قال قتادة : نسخته قوله : « فَخَذُّوهُمْ  
وَأَقْلُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّهُوهُمْ » . وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « لَقَدْ جِئْتُمْ بِالذَّنَجِ  
وَبُعِثْتُ بِالْخَصَادِ وَلَمْ أَهْبِثْ بِالزَّرَاعَةِ » ؛ قاله عكرمة ومجاهد . وقيل : ليس بمنسوخ ، وأنه أمر  
بالصفح حتى حق فسد فيما بينه وبينهم . والصفح : الإعراض ؛ عن الحسن وغيره . ( إِنَّ  
رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ ) أى المقتدر للخلق والاختلاق . ( الْعَلِيمُ ) بأهل الوفاق والتفاق .

قوله تعالى : وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْأَمْثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾  
اختلف العلماء في السبع المثاني ؛ فقيل : الفاتحة ؛ قاله علي بن أبي طالب وأبو هريرة  
والربيع بن أنس وأبو العالية والحسن وغيرهم ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه  
ثابتة ، من حديث أبي بن كعب وأبي سعيد بن الملقى . وقد تقدم في تفسير الفاتحة . ونخرج  
الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله أم  
القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني » ، قال : هذا حديث حسن صحيح . وهذا نص ، وقد  
تقدم في الفاتحة . وقال الشاعر :

نشدكم بمثل القرآن \* أم الكتاب السبع من مثاني

وقال ابن عباس : هي السبع الطول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ،  
والأنعام ، والأعراف ، والأنفال والتوبة معا ؛ إذ ليس بينهما التسمية . روى النسائي

(١) آية ٣١ سورة النجم . (٢) آية ١٠ سورة المزمل . (٣) آية ٩١ سورة النباء .

(٤) كذا في الأصول ونسخه المأثور . وفي كتاب الجلال الصغير : « بالجهاد » . (٥) كذا في الأصول

(٦) راجع ج ١ ص ١٠٨ طبع ثانياً

سَدَنَّا عَلَىٰ بَنِ تُجَرٍّ أَخْبَرَنَا شَرِيكَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمُنَافِي ﴾ قَالَ : السَّبْعُ الطُّوْلُ ، وَسَمِيتَ مُنَافِي لِّأَنَّ الْعَبْرَ وَالْأَحْكَامَ وَالْحُدُودَ شُبِّتَ فِيهَا . وَأَنْكَرَ قَوْمٌ هَذَا وَقَالُوا : أُنْزِلَتْ هَذِهِ آيَةً بِمَكَّةَ ، وَلَمْ يُزَلَّ مِنَ الطُّوْلِ شَيْءٌ إِذْ ذَٰلِكَ . وَاجِبٌ بَّانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أُنْزَلَ الْقُرْآنُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ أُنْزِلَ مِنْهَا نَجْمًا ، فَمَا أُنْزِلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَكَأَنَّمَا آتَاهُ عِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ يُزَلَّ عَلَيْهِ بَعْدُ . وَمَنْ قَالَ إِنَّهَا السَّبْعُ الطُّوْلُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَمُجَاهِدٌ . وَقَالَ جَرِيرٌ :

جَزَىٰ اللَّهُ الْفَرَزْدَقَ حِينَ يُنَمِّي • مُضْبِعًا لِلْفَصْلِ وَالْمُنَافِي

وَقِيلَ : الْمُنَافِي الْقُرْآنُ كُلُّهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَانِي ﴾ . هَذَا قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَطَاوَسٍ وَأَبِي مَالِكٍ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَقِيلَ لَهُ مُنَافِي لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْقَصَصَ شُبِّتَ فِيهِ . وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ تَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يَهْتَدِي بِهِ • يُخَيِّصُ بِشَرِّهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

أَيُّ الْقُرْآنِ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالسَّبْعِ الْمُنَافِي أَقْسَامُ الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ وَالتَّوْبِيحِ وَالتَّوْزِيرِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَتَعْدِيدِ نِعَمٍ وَأَنْبَاءٍ قُرُونٍ ؛ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ نَصٌّ . وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَاتِحَةِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِالْمُنَافِي مَا يَمْنَعُ مِنْ تَسْمِيَةِ غَيْرِهَا بِذَلِكَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبِتَ عَنْهُ نَصٌّ فِي شَيْءٍ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ كَانَ الْوُقُوفُ عَنْدهُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ فِيهِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ : وَهُوَ أَنَّ الْفَاتِحَةَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِشَمْلَتِهَا عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِأَصُولِ الْإِسْلَامِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْفَاتِحَةِ . وَقِيلَ : الْوَاوُ مُتَحَمَّةٌ ، التَّعْدِيرُ ؛ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِي الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَسْرَمِ وَابْنِ الْهَامِ • وَلَيْتَ الْكَيْتِيَّةَ فِي الْمَزْدَحِمِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْهُ قَوْلُهُ : « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى » .

قوله تعالى : لَا تَحْدُثْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِّضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾  
فيه مسائل ثلاث :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْدُثْ عَيْنُكَ ﴾ المعنى : قد أغيتك بالقرآن عما في أبدي الناس ؛ فإنه ليس منا من لم يتفق بالقرآن ؛ أى ليس منا من رأى أنه ليس بمتنى بما عنده من القرآن حتى يطمح بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى . يقال : إنه وافى سبع قوافل من البصري وأذونات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد ، فيها البر والطيب والجواهر وأمتعة البحر ، فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتقويتنا بها وأغفناها في سبيل الله ، فأنزل الله تعالى : « ولقد آتيناك سبعا من المثاني » أى فهم خير لكم من القوافل السبع ، فلا تحزن أعينكم إليها . وإلى هذا صار ابن عينة ، وأورد قوله عليه السلام : " ليس منا من لم يتفق بالقرآن " أى من لم يستغن به . وقد تقدم هذا المعنى في أول الكتاب . ومعنى ﴿ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ أى أمثالا في النعم ، أى الأغنياء بعضهم أمثال بعض في النعم ، فهم أزواج .

الثانية - هذه الآية تقتضى الزجر عن التشؤف إلى متاع الدنيا على الدوام ، وإقبال البعد على عبادة مولاه . ومثله « وَلَا تَحْدُثْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ » الآية . وليس كذلك ؛ فإنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حُبُّ آلِي مَنْ دِينَا كَمِ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَجُمِلَتْ قُوَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " . وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل بالنساء ، جيلة الآدمية وتشؤف الحلقة الإنسانية ، ويحافظ على الطيب ، ولا تقزله عين إلا في الصلاة لدى متاجاة المولى . ويرى أن مناحاته أخرى من ذلك وأولى . ولم يكن في دين محمد الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكافة كما كان في دين عيسى ،

(١) راجع ج ١ ص ١٢ طبة ثانية أرفأفة . (٢) آفة ١٣١ سورة طه . (٣) كذا في سب السان وسب الانام أفسد . والافى في الأمول : « حب بل من دفاك ثلاث . ذلغ » وكلفة « تفسد » لا يستغنى الكلام .

وإنما شرع الله سبحانه حنيفة ميمية خالصة عن الحرج خفيفة على الأدمى ، يأخذ من الآدمية بشهواتها ويرجع إلى الله بقلب سليم . ورأى القراء والمخلصون من الفضلاء الانكشاف عن اللذات والخلوص لرب الأرض والسموات اليوم أولى ؛ لما غلب على الدنيا من الحرام ، وأضطر المبد في المعاش إلى مخالطة من لا يجوز مخالطته ومصانعة من تحزم مصانعته ، فكانت القرارة أفضل ، والفرار عن الدنيا أصوب للمبد وأصل ؛ قال صلى الله عليه وسلم : " يأتى على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعث الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أى ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا . وقيل : المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا فك في الآخرة أفضل منه . وقيل : لا تحزن عليهم إن صاروا إلى العذاب فهم أهل العذاب . ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى إن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم . وأصله أن الطائر إذا ضم فرجه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرج ، بفعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه . ويقال : فلان خافض الجناح ، أى وقور ساكن ، والجناحان من ابن آدم جانباه ؛ ومنه « وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ » وجناح الطائريده . وقال الشاعر :

وحسبك فتية لزيم قوم • يمد على أى سقم جناحا

أى تواضعا ولينا .

قوله تعالى : وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٨﴾ كَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴿٨٩﴾

في الكلام حذف ؛ أى إني أنا النذير المبين عذابا ، لحذف المفعول ، إذ كان الإنذار يدل عليه ، كما قال في موضع آخر : « أَنْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ » . وقيل : الكاف زائدة ، أى أنذرتكم ما أنزلنا على المقسمين ؛ كقوله : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » . وقيل : أنذرتكم

مثل ما أتراب بالمقتسمين . وقيل : المعنى كما أترابا على المقتسمين ، أى من المذاب وكفيناك المستهزئين ، فاصدع بما قوم وأعرض عن المشركين الذين بقوا ، فإننا كفيناك أولئك الرؤساء الذين كنت تلقى منهم ما تلقى .

وأختلف في « المقتسمين » على أقوال مسبعة : الأول - قال مقاتل والفسراء : هم ستة مشركين بسمهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا أعقاب مكة وأقاربها وبغاياها . يقولون لمن سلكتها : لا تقترؤا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة ، فإنه مجنون ، وربما قالوا ساحر ، وربما قالوا شاعر ، وربما قالوا كاهن . وثموا المقتسمين لأنهم اقتصموا هذه الطرق ، فأماهم الله شر ميتة ، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حاكما على باب المسجد ، فإذا سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صدق أولئك . الثاني - قال قتادة : هم قوم من كفار قريش اقتصموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا ، وبعضه سجرا ، وبعضه كهانة ، وبعضه أباطير الأولين . الثالث - قال ابن عباس : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه . وكذلك قال عكرمة : هم أهل الكتاب ، وثموا مقتسمين لأنهم كانوا مستهزئين ، فيقول بعضهم : هذه السورة لى وهذه السورة لك . وهو القول الرابع . الخامس - قال قتادة : قسموا كتابهم فنزقوه وبددوه وحزقوه . السادس - قال زيد بن أسلم : المراد قوم صالح ، تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين ، كما قال تعالى : « تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ » . السابع - قال الأخفش : هم قوم اقتصموا إيماناً تحالفوا عليها . وقيل : إنهم المخاص بن وائل وحبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ومنبته ابن الجهاج ، ذكره الماوردي .

قوله تعالى : الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١١﴾

هذه صفة للمقتسمين . وقيل : هو مبتدأ وخبره « لنسألهم » . وواحد العِضِينَ عِصَّة ، من عصيت الشيء تعصية أى فزقه ؛ وكل فرقة عِصَّة . وقال بعضهم : كانت في الأصل (١) آية ٤٩ سورة النمل -



عَصِيَّةً فَنَقَصْتُ الرَّوَّ، ولذلك جمعت عصيين؛ كما قالوا : عِزِينَ فِي جَمْعِ عِزَّةٍ، وَالْأَصْلُ عِزْوَةٌ . وَكَذَلِكَ ثَبَّةٌ وَثِينٌ . وَيَرْجِعُ الْمَعْنَى إِلَى مَا ذَكَرْتَاهُ فِي الْمُفْتَسِمِينَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : آمَنُوا بَعْضُ وَكَفَرُوا بَعْضُ . وَقِيلَ : فَرَقُوا أَقَاوِيلَهُمْ فِيهِ بِجَمْلِهِمْ كَذِبًا وَبَحْرًا وَكُهَانَةً وَشُعْرًا . عَصَوْتُهُ أَيْ فَرَقْتُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ — هُوَ رُؤْبَةُ — :

« وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمُعْصَى \*

أَيْ بِالْمُفَرَّقِ . وَيُقَالُ : نَقَصَانَهُ الْمَاءُ وَأَصْلُهُ عَصِيَّةٌ ؛ لِأَنَّ الْعِصَّةَ وَالْعِصِينَ فِي لُغَةِ قُرَيْشٍ السَّحَرُ . وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْسَّاحِرِ : عَاصِيَهُ وَلِلْسَّاحِرَةِ عَاصِيَةٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ النَّاقِصَاتِ \* يَتِي فِي عَقْدِ الْعَاصِيَةِ الْمُعْصِيَةِ

وَفِي الْحَدِيثِ : لَمَّا رَسَلَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَاصِيَةَ وَالْمُسْتَعْصِمَةَ، وَقُتِرَ : السَّاحِرَةُ وَالْمُسْتَسْخِرَةُ . وَالْمَعْنَى : أَكْثَرُوا الْبُيُوتَ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَوَعَّوْا الْكُذْبَ فِيهِ، فَقَالُوا : سَحَرُوا وَأَمَّا طَيْرُ الْأَوَّلِينَ، وَأَنَّهُ مَقْرُوءٌ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَنَظِيرُ عِصَّةٍ فِي النِّقْمَانِ شَفَهُ، وَالْأَصْلُ شَفْهَةٌ . كَمَا قَالُوا : سَنَةٌ، وَالْأَصْلُ سَنَةٌ، فَفَقَصُوا الْمَاءَ الْأَصْلِيَّ وَأَثَبَتْ هَاءُ الْعَلَامَةِ وَهِيَ لِلتَّائِيَةِ . وَقِيلَ : هُوَ مِنَ الْعَصَةِ وَهِيَ النِّجْمَةُ . وَالْعِصِيَّةُ الْبَهْتَانُ، وَهُوَ أَنَّ عِصَّةَ الْإِنْسَانِ يَقُولُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ . يُقَالُ عَصِيَهُ عَصَاهُ رَمَاهُ بِالْبَهْتَانِ . وَقَدْ أَعْصَبَتْ أَيْ جَنَّتْ بِالْبَهْتَانِ . قَالَ الْكِسَائِيُّ : الْعِصَّةُ الْكُذْبُ وَالْبَهْتَانُ، وَجَمْعُهَا عِصْوُونَ؛ مِثْلُ عِزَّةٍ وَعِزْوُونَ؛ قَالَ تَعَالَى : « الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصْيِينَ » . وَيُقَالُ : عَصَوْهُ أَيْ آمَنُوا بِمَا أَحْبَبُوا مِنْهُ وَكَفَرُوا بِالْبَاقِي، فَاجْتَبَطَ كُفْرَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ . وَكَانَ الْفَرَاءُ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ مَاحِزٌ مِنَ الْعِصَاةِ، وَهِيَ شَجَرُ الْوَادِي وَيَخْرُجُ كَالشَّوْكِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أَيْ لَنَسْأَلُنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَرَى ذِكْرُهُمْ عَمَّا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا . وَفِي الْبَازِزِيِّ : وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ « عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

قلت : وهذا قد روى مرفوعا ، روى الترمذى الحكيم قال : حدثنا الجارود بن معاذ قال حدثنا الفضل بن موسى عن شريك عن ليث عن بشير بن نبيك عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « فوريك لنسألكم أجمعين عما كانوا يعملون » . قال : « من قول لا إله إلا الله » قال أبو حنيفة الله : معناه عندنا عن صدق لا إله إلا الله ووقائها ؛ وذلك أن الله تعالى ذكر في تزيه العمل فقال : « عما كانوا يعملون » ولم يقل عما كانوا يقولون ، وإن كان قد يجوز أن يكون القول أيضا عمل اللسان ، فإنما المعنى به ما يرفقه أهل اللغة أن القول قول والعمل عمل . وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا إله إلا الله » أى من الوفاء بها والصدق لها . كما قال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتحل ولا الدين بالآتي ولكن ما وفر في القلوب وصدقته الأعمال . ولهذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله عظماء دخل الجنة » قيل : يا رسول الله ، وما إخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله » . رواه زيد بن أرقم . وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عهد إلى آلايائى أحد من أمى بلا إله إلا الله لا يخطئ بها شيئا إلا وجبت له الجنة » قالوا : يا رسول الله ، وما الذى يخطئ بلا إله إلا الله ؟ قال : « حرصا على الدنيا وحبها ومتاعها ، يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة » . وروى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا إله إلا الله تمنع العباد من يخطئ الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم من دينهم فإنما آثروا صفقة دنياهم من دينهم ثم قالوا لا إله إلا الله ردت عليهم وقال الله كذبتم » . أسانيدنا في نوادر الأصول .

قلت : والآية بسمومها تدل على سؤال الجميع ونجاستهم كافرهم ومؤمنهم ، إلا من دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه في كتاب ( التذكرة ) . فإن قيل : وهل يسأل الكافر ويحاسب ؟ قلنا : فيه خلاف ، وذكرناه في التذكرة . والذى يظهر مسأله ، الآية وقوله : « وَقَوْمُهُمْ لِمِمْسَكُونَ » وقوله : « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » . فإن قيل : فقد قال تعالى :

« وَلَا يُسَالُّ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ » <sup>(١)</sup> وقال : « فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسَالُّ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ » <sup>(٢)</sup> ، وقال : « وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ » <sup>(٣)</sup> ، وقال : « لَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ نَحْوُونَ » <sup>(٤)</sup> . قلنا : القيامة مواطن ، فوطن يكون فيه سؤال وكلام ، ووطن لا يكون ذلك فيه . قال عكرمة : القيامة مواطن ، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها . وقال ابن عباس : لا يسألهم سؤال استخبار واستعلام هل عملتم كذا وكذا ؛ لأن الله عالم بكل شيء ، ولكن يسألهم سؤال تفرغ وتوبيخ فيقول لهم : لم عصيتم القرآن وما حجتكم فيه ؟ واعتمد قطرب هذا القول . وقيل : « لِنَسَائِهِمْ أجمعين » ، يعنى المؤمنين المكلفين ؛ بآئنه قوله تعالى : « ثُمَّ لَنُنَسِّيَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّاسِ » <sup>(٥)</sup> . والقول بالعموم أولى كما ذكره والله أعلم .

قوله تعالى : فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ <sup>(٦)</sup>  
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ <sup>(٧)</sup>

قوله تعالى : « فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ » أى بالذى تؤمر به ، أى بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم ، فقد أمرك الله بذلك . والصدع : الشق . وتصدع القوم أى تفرقوا ، ومنه « يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ » <sup>(٨)</sup> أى يتفرقون . وصدعته فأنصدع أى انشق . وأصل الصدع الفرق والشق ، قال أبو ذؤيب يصف الحمار وأنته :

وكانت رِبَابَةً وَكَانَهُ يَسْرُ . يُفِيضُ عَلَى الْقِيَادِاحِ وَيَصْدَعُ <sup>(٩)</sup>

أى يفرق ويشق . فقوله : « أَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ » قال الله - تعالى : أراد أنصدع بالأمر ، أى أظهر دينك ، فـ « ما » مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر . وقال ابن الأعرابي : معنى اصدع بما تؤمر ، أى اقصده . وقيل : « فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ » أى فرق جمعهم وكلمتهم وإن تدعهم إلى التوحيد فإنهم يتفرقون بأن يجيب البعض ؛ فيرجع الصدع على هذا إلى صدع جماعة الكفار .

(١) آية ٧٨ سورة القصص . (٢) آية ٢٩ سورة الرحمن . (٣) آية ١٧٤ سورة البقرة .

(٤) آية ١٥ سورة المطففين . (٥) آخر سورة النكار . (٦) آية ٤٣ سورة الزم .

(٧) آية ١ : الجنة التى يجمع فيها السهام . واليسر : صاحب الحيسر الذى يضرب بالقنادر .

قوله تعالى : ( وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ) أى عن الاحتام باستزائهم وعن  
المبالاة بقولهم ، فقد برك الله عما يقولون . وقال ابن عباس : هو منسوخ بقوله  
« فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ » . وقال عبد الله بن عبيد : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً  
حتى نزل قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » فخرج هو وأصحابه . وقال مجاهد : أراد  
الجهار بالقرآن في الصلاة . « وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » لا تبال بهم . وقال ابن إسحاق :  
لما تآمروا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستنزاه أنزل الله تعالى « فاصدع  
بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . إنا كفيناك المستزينين . الذين يعملون مع الله إلباً آخر  
فسوف يملكون » . والمعنى : اصدع بما تؤمر ولا تخف غير الله ؛ فإن الله كفاك من أذاك  
كما كفاك المستزينين ، وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة ، وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم ،  
والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة . والأسود بن عبد يثوث ،  
والخارث بن الطلائطة ، أهلهم الله جميعاً ، قيل يوم بدر في يوم واحد ؛ لاستزائهم برسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وسبب هلاكهم فيما ذكر ابن إسحاق : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتر به الأسود  
أبن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ووجعت عينه ، فحمل يضرب برأسه الجدار .  
ومر به الأسود بن عبد يثوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حباً . ( يقال :  
حباً بالكسر ) حباً وحباً للقول عظم بطنه بالماء الأصفر ، فهو أحين ، والمرأة حبنا ؛ قاله  
في الصحاح ) . ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله ، وكان أصابه  
قبل ذلك بسنين ، وهو يحترس به ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يرش شبله فعلق سهم  
من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء ، فانتفض به فقتله . ومر به  
العاص بن وائل فأشار إلى أنخص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فرمى به على  
شجرة فدخلت في أنخص رجله شوكة فقتله . ومر به الخارث بن الطلائطة ، فأشار إلى رأسه

(١) آية سورة التوبة . (٢) السبل ( بالتحريك ) : الثياب المسبلة ؛ فمثل ذلك كبراً واختيلاً .

(٣) الشرق : بنت جازى يؤكل ، وله شوكة .

(١١) فامتخط فيها فقتله . وقد ذكر في سبب موتهم اختلاف قريب من هذا . وقيل : إنهم المراد بقوله تعالى : « نَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ » . شبه ما أصابهم في موتهم بالسقف الواقع عليهم ، على ما يأتي .

قوله تعالى : « الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » (١٢)  
هذه صفة المستهزين . وقيل : هو ابتداء وخبره « فسوف يعلمون » .

قوله تعالى : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ » (١٣)  
قوله تعالى : ( « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ » ) أى قلبك ، لأن الصدر محل القلب .  
( « بِمَا يَقُولُونَ » ) أى بما تسمعه من تكذيبك وردّ قولك ، وتناوله ويناله أصحابك من أعدائك .

قوله تعالى : « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ » (١٤)  
فيه مسائلان :

الأولى — قوله تعالى : ( « فَسَبِّحْ » ) أى فافزع إلى الصلاة ، فهي غاية التسبيح ونهاية التقديس ، وذلك تفسير لقوله : ( « وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ » ) ولا خفاء أن غاية القرب في الصلاة حال السجود ، كما قال عليه السلام : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأخلصوا الدماء " . ولذلك خصّ السجود بالذكر .

الثانية — قال ابن العربي : ظن بعض الناس أن المراد بالأمس هنا السجود نفسه ، فرأى هذا الموضع محل سجود في القرآن ، وقد شاهدت الإمام بحراب زكريا من البيت المقدس طهره الله ، يسجد في هذا الموضع وسجدت معه فيها ، ولم يره بجامع العلماء .

قلت : قد ذكر أبو بكر النقاش أن ها هنا سجدة عند أبي حذيفة ويمان بن رئاب ، ورأى أنها واجبة

### قوله تعالى : وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٣١﴾

فيه مسألة واحدة - وهو أن اليقين الموت . أمره بعبادته إذ قصر عباده في خدمته ، وأن ذلك يجب عليه . فإن قيل : فما فائدة قوله « حتى يأتيك اليقين » وكان قوله : « واعبد ربك » كافياً للأمر بالعبادة . قيل له : الفائدة في هذا أنه لو قال : « واعبد ربك » مطلقاً ثم عبده مرة واحدة كان مطعياً ، وإذا قال « حتى يأتيك اليقين » كان معناه لا تتفارق هذا حتى تموت . فإن قيل : كيف قال سبحانه « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ولم يقل أبدأ ، فالجواب أن اليقين أبلغ من قوله : أبدأ ، لاحتمال لفظ الأبد للحظة الواحدة وجميع الأبد . وقد تقدم هذا المعنى . والمراد استمرار العبادة مدة حياته ، كما قال العبد الصالح : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . ويتكبر على هذا أن الرجل إذا قال لأمراته : أنت طالق أبدأ ، وقال : نويت يوماً أو شهراً كانت عليه الرجعة . ولو قال : طلقها حياتها لم يراجعها . والدليل على أن اليقين الموت حديث أم العلاء الأنصارية ، وكانت من المبائعات ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما عثمان - أعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين وإنى لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به » وذكر الحديث . انفرد بإتراحه البخاري رحمه الله ! وكان عمر بن عبد العزيز يقول : ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا يستعملون له ، يعني كأنهم فيه شاكون . وقد قيل : إن اليقين هذا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك ، قاله ابن شجرة ، والأرسل أجمع ، وهو قول مجاهد وقادة والحسن . والله أعلم . وقد روى جبير بن نفير عن أبي مسلم الخولاني أنه سمعه يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أوصى إلى أن أجمع المسألة وأكون من التاجرين ولكن أوصى إلى أن أبيع بجمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

(١) راجع ج ٢ ص ٢٢٣ طبة ثانية . . . (٢) راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ١٥١ طبة بولاق .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة النحل

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ونسبى سورة النمل بسبب ما عتد الله فيها من نعمه على عباده . وقيل : هي مكية غير قوله تعالى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ » الآية ؛ نزلت بالمدينة في شأن التثليل بحجة وقتل أحد . وغير قوله تعالى : « وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ » . وغير قوله : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا » الآية . وأما قوله : « وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَيْدٍ مَا طُلِسُوا » (١) فكذلك ، في شأن هجرة الحبشة . وقال ابن عباس : هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة ، وهي قوله : « وَلَا تَسْأَلُوا بِمِثْلِ اللَّهِ مِثْلًا قَلِيلًا — إِلَى قَوْلِهِ — يَا أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

قوله تعالى : أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ①

قوله تعالى : ( أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ ) قيل : « أَلَمْ » بمعنى يَأْتِي ؛ فهو كقولك : إِنْ أَكْرَمْتَنِي أَكْرَمْتُكَ . وقد تقدم أن أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء ؛ لأنه آت لا محالة ، كقوله : « وَتَأْتِي السَّحَابَ الْجُمُودُ أَجْحَابُ الْآرَاءِ » . و « أَمْرُ اللَّهِ » عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله . قال الحسن وابن جرير والضحاك : إنه ما جاء به القرآن من فرائضه وأحكامه . وفيه بعد ؛ لأنه لم يُقَلْ أن أحدا من المصطفين استعجل فرائض الله من قبل أن تفرض عليهم ، وأما مستعجلو المذاب والمقاب فذلك منقول عن كثير من كفار قريش

(١) آية ١٢٦ (٢) آية ١٢٧ (٣) آية ١١٠ (٤) آية ٤١ (٥) آية ٩٥ وما بعدها .  
(٦) آية ٤٤ سورة الأعراف .

وغيرهم ، حتى قال النضر بن الحارث : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ » الآية ، فَاسْتَجَلَّ الْعَذَابُ .

قلت : قد يستدل الضحاك بقول عمرو بن وهب رضي الله عنه : واقفت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي المحجاب ، وفي أسارى بدر ، خرج به مسلم والبخاري . وقد تقدم في سورة البقرة . وقال الزجاج : هو ما راعاهم به من المجازاة على كفرهم ، وهو كقوله : « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ » . وقيل : هو يوم القيامة أو ما يدل على قربها من أشراتها . قال ابن عباس : لما نزلت « أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَآتَيْنَا الْقَمَرَ »<sup>(١)</sup> قال الكفار : إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت ، فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، فامسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا ، فقالوا : ما نرى شيئا ! فنزلت « أَقْرَبَتِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ<sup>(٢)</sup> » الآية . فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة ، فامتدت الأيام فقالوا : ما نرى شيئا ! فنزلت « أَنِّي أَمَرُ اللَّهَ » فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخافوا ، فنزلت « فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » فاطمأنوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه : السبابة والى تليها . يقول : أن كادت لتسقي فيسقيتها . وقال ابن عباس : كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشرط الساعة ، وأن جبريل لما مر بأهل السموات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر ، قد قامت الساعة . قوله تعالى : ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ) أي تنزيها له عما يصفونه به من أنه لا يقدر على قيام الساعة ، وذلك أنهم يقولون : لا يقدر أحد على بعث الأموات ، فوصفوه بالمجز الذي لا يوصف به إلا المخلوق ، وذلك شرك . وقيل : « عَمَّا يُشْرِكُونَ » أي عن إشراكهم . وقيل : « ما » بمعنى الذي ، أي ارفع عن الذين أشركوا به .

(١) راجع ج ٢ ص ١٢ : طبة نائفة . (٢) آية ٤ - سورة هود . (٣) أزل سورة القمر .

(٤) أزل سورة الأنبياء .



قوله تعالى : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿١﴾

قرا المفضل من ماصم « نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ » والأصل نَزَّلَ ، فافعل مستند إلى الملائكة .  
 وقرا الكسائي عن أبي بكر عن ماصم باختلاف منه والاعمش « نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ » غير مسمى  
 الفاعل . وقرا الجعفي عن أبي بكر من ماصم « نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ » بانون مسمى الفاعل ،  
 الباقون « نَزَّلَ » بالياء مسمى الفاعل ، والضمير فيه لأنهم لله من ربي . وروى من قاعة  
 « نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ » بالنون والتخفيف . وقرا الأعشى « نَزَّلَ » بفتح الشاء وكسر الزاي ،  
 من النزول . « الْمَلَائِكَةُ » وضاع مثل « نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ » . (الرُّوحِ) أي بالروح وهو النبوة ؛  
 قاله ابن عباس . فليكن الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . « الرُّوحُ » ابن أنس ؛  
 بكلام الله وهو القرآن . وقيل : هو بيان الحق الذي يجب أتباعه . وقيل أرواح الخلق ؛  
 قاله مجاهد ، لا ينزل ملك إلا ومعه روح . وكذا روى عن ابن عباس أن الروح خلق من خلق  
 الله عز وجل كصور ابن آدم ، لا ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم . وقيل بالرحمة ؛  
 قاله الحسن وقتادة . وقيل بالهداية ؛ لأنها تحيى بها القلوب كما يحيى بالأرواح الأبدان ، وهو  
 معنى قول الزجاج . قال الزجاج : الروح ما كان فيه من أمر الله حياة بالإرشاد إلى أمره .  
 وقال أبو عبيدة : الروح هنا جبريل . والياء في قوله : « بالروح » بمعنى مع ، كقولك :  
 نخرج بتيابه ، أي مع تيباه . (مِنْ أَمْرِهِ) أي بأمره . (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) أي على  
 الذين اختارهم الله للنبوة . وهذا رد لقولهم : « لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْنَيْنِ  
 عَظِيمٍ » . (أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) تحذير من عبادة الأوثان ، ولذلك جاء  
 الإنذار ؛ لأن أصله التحذير مما يخاف منه . ودل على ذلك قوله : « فَاتَّقُونِ » . و« أَنْ »  
 في موضع نصب بترج الخافض ، أي بأن أنذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا الله ، ف« أَنْ »  
 في محل نصب بسقوط الخافض أو بوقوع الإنذار عليه

قوله تعالى : **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** .  
 قوله تعالى : **( خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ )** أى لا زوال والفناء . وقيل :  
 به **بِالْحَقِّ** أى للدلالة على قدرته ، وإنه له أن يعبد العباد بالطاعة وأن يحيى الخلق بعد الموت .  
**( تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ )** أى من خلقه الأصنام التى لا تقدر على خلق شيء .

قوله تعالى : **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** .  
 قوله تعالى : **( خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ )** لما ذكر الدليل على توحيده ذكر بعبء الإنسان  
 وما كدته وبغى طوره . **« وَالْإِنْسَانُ »** اسم للنفس . ويرى أن المراد به أبى بن خلف  
 أبى يحيى . جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهظم وبسب فقال له أترى يحيى الله هذا بعد ما قدرتم .  
 وفى هذا أيضا قول : **« أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ »** أى خلق  
 الإنسان من ماء . يخرج من بين الصلب والترائب . فخلق الله أطوارا إلى أن ولد . ولما بحيث يخاصم  
 فى الأمور . فمعنى الكلام التعجب من الإنسان **« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَوَسَّى خَلْقَهُ »** وقوله :  
**( فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ )** أى مخاصم ، كالنسيب بمعنى الماسب . أى يخاصم الله عن وجل فى قدرته .  
**( مُبِينٌ )** أى ظاهر الخصومة . وقيل : بين عن نفسه الخصومة بالباطل . والمبين :  
 هو المفصص عما فى ضميره بمنطقه .

قوله تعالى : **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** .

فيه ثلاث مسائل

الأولى — قوله تعالى : **( وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ )** لما ذكر الإنسان ذكر ما من به عليه .  
 والأنعام : الإبل والبقر والغنم . وأكثر ما يقال : نعم وأصنام للإبل ، ويقال للجموع ولا يقال  
 للغم مفردة . قال حسان :

( ١ ) آية ٧٧ سورة يس . ( ٢ ) آية ٥٨ سورة يس .

عَقَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَاَلْحَوْهُ <sup>(١)</sup> • إِلَى عَذْرَاءٍ مَقْرُوبَةٍ خَلَاءَ  
 دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحِمْيَرِ قَسْرُ <sup>(٢)</sup> • مُعَقِّمَاتِ الرِّوَامِ وَالسَّمَاءِ  
 وَكَانَتْ لَا يُزِيلُ بِهَا أُنَيْسٌ • خِلَالَ مَرُوجِهَا تَمُّ وَشَاءَ

فَالْتَمِ هَذَا الْإِبِلُ بَاحَةً . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَالْتَمِ وَاحِدُ الْأَتَامِ وَهِيَ الْمَالُ الرَّاعِيَّةُ ، وَكَثَرَتْ  
 مَا يَقَعُ هَذَا الْأَسْمُ عَلَى الْإِبِلِ . قَالَ الْقَزَّازُ : هُوَ ذَكَرٌ لَا يُؤْتَى ، يَقُولُونَ : هَلُمَّا نَمَّ وَارِدٌ ،  
 وَيَجْمَعُ عَلَى ثَمَانٍ مِثْلَ حَلٍّ وَحُلَانٍ . وَالْأَتَامُ تَذَكُّرٌ وَتَوْتٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «يَمَّا فِي بَطُونِهِ» .  
 وَفِي مَوْضِعٍ «يَمَّا فِي بَطُونِهَا» . وَانْتَسَبَ الْأَتَامُ عَطْفًا عَلَى الْإِنْسَانِ ، أَوْ بِقَوْلٍ مُقْتَرَفٍ ، وَهُوَ أَوْجَهُ .  
 الثَّانِيَّةُ - قَوْلُهُ تَعَالَى : (دِفْعُ الدَّفْعِ) : انْتِخَانُهُ ، وَهُوَ مَا اسْتَدْفَى بِهِ مِنْ أَمْوَانِهَا  
 وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ، مَلَابَسٌ وَلُحُفٌ وَقُطُفٌ . وَرَوَى عَنْ أَبِي عِبَاسٍ : دَفَعُوا نَسَاهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّلَاحِ : الدَّفْعُ نَسَاجُ الْإِبِلِ وَالْبَنِي وَمَا يَنْخَعُ بِهِ مِنْهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
 «لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ» . وَفِي الْحَشِيِّ «لَنَا مِنْ دِقَّتِهِمْ مَا حَسَبُوا بِاللِّبَاقِ» . وَالدَّفْعُ أَيْضًا :  
 السَّخُونَةُ ، يَقُولُ مَتَّى : دَقَّتِ الرِّجْلُ دَفْعًا مِثْلُ كَرَاهَةٍ . وَكَذَلِكَ دَفْعٌ دَقٌّ مِثْلُ عَطَشٍ  
 غَلَا . وَالْأَسْمُ الدَّفْعُ (بِالْكَسْرِ) وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَنْفُكُ ، وَالْجَمْعُ الْأَدْفَاءُ . يَقُولُ : مَا عَلَيْهِ  
 دَفْعٌ ، لِأَنَّهُ أَسْمٌ . وَلَا يَقُولُ : مَا عَلَيْهِ دَفْعَةٌ ، لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ . وَيَقُولُ : اقْعَدْ فِي دَفْعِهِ هَذَا  
 الْحَاطِطُ أَيْ كَيْتُهُ . وَرَجُلٌ دَقِيٌّ عَلَى قَبِيلٍ إِذَا لَيْسَ مَا يَدْفَعُهُ . وَكَذَلِكَ رَجُلٌ دَقَانٌ وَاحِرَةٌ  
 دَقَايَ . وَقَدْ أَدْفَاهُ التَّوْبُ وَتَدَفَا هُوَ بِالتَّوْبِ وَاسْتَدَفَا بِهِ ، وَادْفَا بِهِ وَهُوَ اتَّحَلَّى ، أَيْ لَيْسَ  
 مَا يَدْفَعُهُ . وَتَوْتٌ لَيْثًا ، وَيِيمٌ دَقِيٌّ عَلَى قَبِيلٍ وَلَيْثٌ دَقِيَّةٌ ، وَكَذَلِكَ التَّوْبُ وَالْيَيْتُ . وَالْمُدْفَعَةُ  
 الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ ، لِأَنَّهُ بَعْضُهَا يَدْفَعُ بَعْضًا بِأَعْنَاسِهَا ، وَقَدْ يَشْتَدُّ . وَالْمُدْفَعَةُ الْإِبِلُ الْكَثِيرَةُ الْأَوْبَارِ  
 وَالشَّحُومِ ، عَنْ الْأَسْمَى . وَأَنْتَدُ الشَّيَاحُ :

<sup>(٣)</sup> وَكَيْفَ يَضِيعُ صَاحِبُ مُدْفَعَاتٍ • عِلَّ أَتْبَاجَهُنَّ مِنَ الصَّيْفِ

- (١) ذَاتُ الْأَصَابِعِ وَالْجَوَارُ : مَوْضِعَانِ بِالنَّامِ . وَطَرَاءُ : غَرِيَّةٌ بِقِرْقَةِ دَشَقٍ . (٢) الْحِمْيَرُ :  
 أَسْمُ رَجُلٍ . وَالرَّوَامِ : الرِّبَاحُ الَّتِي تَجِيرُ الْقَرَابَ وَتَدْفَعُ الْأَكَاوِرَ . (٣) آيَةٌ ٦٦ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .  
 (٤) آيَةٌ ٢١ سُورَةِ الْمُحْمَدِينَ . (٥) الْقَطُفُ (جَمْعُ ظَلْفَةٍ) : كَمَا . لَمْ تَعْلَمْ : أَيْ وَبَرَّ .  
 (٦) أَتْبَاجٌ : جَمْعُ تَبِيجٍ ، وَهُوَ وَسْطُهَا . وَقِيلَ ظَهْرُهَا . وَقِيلَ : مَا بَيْنَ كَافِهَا وَظَهْرِهَا .

قوله تعالى : ( وَمَنَّا مَن ) قال ابن عباس : المنافع لكل كل حاجة . مجاهد : الركوب والحمل والألبان والحوم والسن . ( وَمَنَّا مَنَّا ) أفرد متعده الأكل بالذ كراكتها معظم للنافع . وقيل : للمنى ومن لحومها تأكلون عند الذبح .

الثالثة - دلت هذه الآية على لباس الصوف ، وقد لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم والأبناء قبله كرمي وغيره . وفي حديث النخعي : ففضل وجهه وطيبة جبة من صوف شامية ضيقة الكمين . الحديث ، أخرجه مسلم وغيره . قال ابن العربي : وهو شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصعابة والتابعين ، واختيار الزهاد والعارفين ، وهو ليس لنا وخشنا وجيدا ومقاربا وردينا ، وإليه نسب جماعة من الناس الصوفية ؛ لأنه لباسهم في الغالب ، فالياء للنسب والماء للتأنيث . وقد أئشنتني بعض أشياخهم باليت المقدس طهره الله :

تساجر الناس في الصوف واختلوا • فيه وطنه مشتقا من الصوف  
ولست أتحمل هذا الاسم غير قتي • صاتي نصوفي حتى سمي الصوفي

قوله تعالى : وَلَكُرِّ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٠﴾

الجمال ما يتجمل به ويترين . والجمال : الحسن . وقد جمل الرجل ( بالضم ) جمالا فهو جميل ، والمرأة جميلة ، وجملاء أيضا ، عن الكسائي . وأئشد :

هوى جملاء كبدري طالع • بذت الخلاق جمعا بالجمال

وقول أبي نؤيب :

جمالك أيما القلب الفرج •

يريد : الزم تجملك وحياءك ولا تجزع جزعا قبيحا . قال علماؤنا : فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ، ويكون في الأخلاق الباطنة ، ويكون في الأفعال . فاما جمال الخلقة فهو

(١) ش. مقارب (بكر الرا) : وسط بين الجبل والردى . (٢) هذا صدر البيت ، وبجزءه كان في اللسان :

• سئل : من يحب قسرتيم •

أمر يذكرك البصر ويلقي به إلى القلب مثلاً ، فتعلق به النفس من غير مطرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر . وأما جمال الأخلاق فتكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والسلوك والشفقة ، وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد . وأما جمال الأعمال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لحلب المنافع فهم وصرف الشر عنهم . وجمال الأنام والبراب من جمال الخلقة ، وهو مرتق بالأبصار موافق للبصائر . ومن جماله كثرة ما يقول الناس إذا أروها هذه نعم فلان ، قاله السدي . ولأنها إذا راحت توفر حسناتها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها ؛ لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسمة وضروعا ، فله فائدة . ولهذا المعنى قدم الزواج على السراح لتكامل زواها وسرور النفس بها إذ ذاك . والله أعلم . وروى أشهب عن مالك قال : يقول الله عز وجل « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تغيرون » ، وذلك في المواشي حين تروح إلى المرعى وتسرح عليه . والزواج رجوعها بالمشي من المرعى ، والسراح بالقيادة ، تقول : سرحت الإبل أسرحها سرحاً وسروها إذا غدت بها إلى المرعى فغليتها ، وسرحت هي . المتعدي واللازم واحد .

قوله تعالى : وَيَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَافِيهِ إِلَّا رِشْقٌ  
الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكَ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

فيه ثلاث مسائل

الأولى : قوله تعالى : ( وَيَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ ) الأقال أقال الناس من متاع وطعام وغيره وهو ما يتقل الإنسيان حمله . وقيل : المراد أبنائهم ؛ يدل على ذلك قوله تعالى : « وَأَتَرَجَّتِ الْأَرْضُ أُنْقَالًا » . والبلد مكة ، في قول حكمة . وقيل : هو يحمل على الغنوم في كل بلد مسلكه على الظهر . وشق الأنفس : مشقتها وعناية جهدها . وقرأه العامة بكسر الشين . قال الجوهري : والشق المشقة ؛ ومنه قوله تعالى : « لَمْ تَكُونُوا بِالْأَنْفُسِ إِلَّا رِشْقٌ » .

وهذا قد يفتح، حكاه أبو عبيدة . قال المهدوي : وكسر الشين وقعوا في « شق » متقاربان، وهما بمعنى الشقة ، وهو من الشق في المصا ونحوها ؛ لأنه يقال : شققت من الإنسان . وقال الثعلبي : وقرأ أبو جعفر « <sup>(١)</sup>إلا يشق الأفيص » وهما لثتان ، مثل رَقَ ورق وجص وجص وِرطل وِرطل . وينشد قول الشاعر بكسر الشين ونصبها :

وذى إبل يَشَقُّ ويحبُّها له • أرى نَصَبَ من شَقَّها وذووب

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر، من شَقَّقت عليه أَشَقَّ شَقًّا . والشق أيضا بالكسر النصف ، يقال : أخذت شِقَّ الشاة وشَقَّة الشاة . وقد يكون المراد من الآية هذا المعنى ، أى لم تكونوا بالنبه إلا بنقص من القوة وذهاب شِقِّ منها ، أى لم تكونوا تلبثوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب النصف الآخر . والشق أيضا الناحية من الجبل . وفي حديث أم زرع : وجدتني في أهل غُنيمة يَشَقُّ . قال أبو عبيد : هو اسم موضع . والشق أيضا : الشقيق ، يقال : هو أخی ويشق نفسي . ويشق اسم كل من كهان العرب . والشق أيضا : الجانب ؛ ومنه قول امرئ القيس :

إنما ما بكى من خلفها انصرفت له • يشقُّ وتحيي شِقُّها لم يُحْزَل

فهو مشترك .

الثانية - من الله سبحانه بالأسماء عموما ، وخص الإبل بالذكر في حمل الأقال على مائر الأسماء ؛ فإن الغنم للسرْح والدَّج ، والبقر للحرث ، والإبل للحمل . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بينا رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت للحرث فقال الناس سبحانه الله عجبا وفزعا أبقرة نكلم " ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وإني أؤمن به وأبكر وعمر " . فدل هذا الحديث على أن البقرة لا يحمل عليها ولا تركب ، وإنما هي للحرث وللأكل والنسل <sup>(٢)</sup> والرسول .

(١) هو القرن تراب ، كما في اللسان مادة شق . (٢) الرسل (الكسر) : الذين .

الثالثة - في هذه الآية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الأثقال عليها ، ولكن على قدر ما تحتمل من غير إصراف في الحمل مع الرقيق في السير . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق بها والإراحة لها ومراعاة التفقد لعلها وسقيها . وروى مسلم من حديث أبي جبريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا سافرت في الخصب فاعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرت في السنة فبادروا بها فيها " <sup>(١)</sup> رواه مالك في الموطأ عن أبي عبيد بن خالد بن مثنان . وروى معاوية بن قرة قال : " كان لأبي الذرداء جمل يقال له دنون ، فكان يقول : يادنون ، لا تخافني عند ربك . فالدواب عجم لا تقدر أن تحمل لضعفها ما تحتاج إليه ، ولا تقدر أن تضعح بحوائجها ، فمن ارتفق بمراقبتها ثم ضيعها من حوائجها فقد ضيع الشكر وتمزق القمصونة بين يدي الله تعالى . وروى مطر بن محمد قال : حدثنا أبو داود قال حدثنا ابن خالد قال حدثنا المسيب بن أدم قال . رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب جمالا وقال : تحمل على برك ما لا يطيق .

قوله تعالى : وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٢)</sup>

فيه ثمان مسائل .

الأولى - قوله تعالى : ( وَالْخَيْلَ ) بالنصب معطوف ، أي وخلق الخيل . وقوله ابن أبي عمير : « الخيل والبغال والحمير » بالرفع فيها كلها . وثبتت الخيل خيلا لأختيها في المشية . فواحد الخيل خائل ، كضئان واحد ضئ . وقيل لا واحد له . وقد تقدم هذا في « آل عمران » ، وذكرنا الإحداث هناك . ولما أفرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر

(١) قوله « في السنة » أي في الحظ وانعدام نبات الأرض من حشها . ولان ( بكر القرون وسكون القاف ) هو الخ . وسماه ، أسرا في قوله بالإبل لصلوا إلى المقصد ولما جئنا من قوتها . لئلا نرسق الأرض ما يخربها على السير .

(٢) وابع - ص ٢٢ طبعه لهو الخية

دله على أنها لم تستعمل تحت لفظ الأنعام . وقيل : دخلت . ولكن أفردتها بالذكر لما يتعلق .  
بها من الركوب ، فإنه يكثر في الخيل والبغال والحمير .

الثانية - قال العلماء : ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب وذلها لنا ، وأباح لنا تسخيرها  
والاستفاد بها ورحمة منه تعالى لنا ، وما ملكه الإنسان وجاز له تسخير من الحيوان فكلوا  
له جاز بإجماع أهل العلم ، لا اختلاف بينهم في ذلك : وحكم كراه الرواحل والدواب مذكور  
في كتب الفقه .

الثالثة - لا خلاف بين العلماء في أكثر الدواب والرواحل ليعمل عليها والسفر بها ؛  
لقوله تعالى : « وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ » الآية . وأجازوا أن يركب الرجل الدابة والراحلة إلى مدينة  
بينها وإن لم يسم أين يتقل منها ، وكمن من أهل يترك فيه ، وكيف صفة سيره ، وكمن يتقل  
في طريقه ، وأجترأ بالتمتع بين الناس في ذلك . قال علماءنا : والكراه يجرى مجرى البيوع  
فيا يحل منه ويحرم . قال ابن القاسم فيمن أكثرى دابة إلى موضع كذا بنوب مروى ولم  
يصف وقته وزدعه : لم يجز ؛ لأن مالكاً لا يميز هذا في البيع ، ولا يميز في ثمن الكراه  
إلا ما يجوز في ثمن البيع .

قلت : ولا يختلف في هذا إن شاء الله ؛ لأن ذلك إجارة . قال ابن المنذر : واجمع كل  
من يحفظ عنه من أهل العلم على أن من أكثرى دابة ليحمل عليها عشرة أفقزة فتح لحمل  
عليها ما أشتط فلفت أن لا شيء عليه . وهكذا إن حمل عليها عشرة أفقزة شعير . واختلفوا  
فيمن أكثرى دابة ليحمل عليها عشرة أفقزة فتح لحمل عليها أحد عشر فقيرًا ، فكان الشافعي  
وأبو ثور يقولان : هو ضامن لقيمة الدابة وعليه الكراه . وقال ابن أبي ليلى : عليه قيمتها  
ولا أجر عليه . وفيه قول ثالث - وهو أن عليه الكراه وعليه جز من أجر وجز من قيمة  
الدابة بقدر ما زاد من الحمل ؛ وهذا قول الثمان ويعقوب وعبد . وقال ابن التماس صاحب  
مالك : لا ضمان عليه في قول مالك إذا كان الفقير الزائد لا يقدر الدابة ، ويحكم أن مثله

(١) التمل ، للترب ، ثم كثر ذلك حتى سميت منزلة فتناول المال ماعل .



لا تعطب فيه الدابة، ولرب الدابة أجر التقدير الزائد مع الكراه الأول؛ لأن عطبها ليس من أجل الزيادة. وذلك بخلاف مجاوزة المسافة؛ لأن مجاوزة المسافة تعدله فيضمن إذا هلك في قلبه وكثيره. والزيادة على الحمل المشروط اجتماع فيه إذن وتمد؛ فإذا كانت الزيادة لا تعطب في مثلها علم أن هلاكها مما أذن له فيه.

الرابعة - واختلف أهل العلم في الرجل يكتري الدابة بأجر معلوم إلى موضع مسمى، فيتعدى فيجاوز ذلك المكان ثم يرجع إلى المكان المأثور له في المصير إليه. فقالت طائفة؛ إذا جاوز ذلك المكان ضمن وليس عليه في التمدى كراه؛ هكذا قال الثوري. وقال أبو حنيفة؛ الأجر له فيما سمي، ولا أجر له فيما لم يسم؛ لأنه خالف فهو ضامن، وبه قال يعقوب. وقال الشافعي؛ عليه الكراه الذي سمي، وكراه المثل فيما جاوز ذلك، ولو عطبت لزمه قيمتها. ونحوه قال الفقهاء السبعة، مشيخة أهل المدينة قالوا: إذا بلغ المسافة ثم زاد فعليه كراه الزيادة إن سلمت وإن هلكت ضمن. وقال أحمد وإسحاق وأبو ثور؛ عليه الكراه والضمان. قال ابن المنذر؛ وبه قول. وقال ابن القاسم؛ إذا بلغ للكتري الغاية التي أكتري إليها ثم زاد ميلا ونحوه أو أميالا أو زيادة كثيرة فعطبت الدابة، فله بها كراهه الأول والخيار في أخذه كراه الزائد بالغا ما بلغ، أو قيمة الدابة يوم التمدى. ابن المَوَازي: وقد روي أنه ضامن ولو زام خطوة. وقال ابن القاسم عن مالك في زيادة الليل ونحوه؛ وأما ما يصل الناس إليه في المرحلة فلا يضمن. وقال ابن حبيب عن ابن المسيب وأصحابه: إذا كانت الزيادة يسيرة أو جاوز الأمد الذي تكارها إليه يسير، ثم رجع بها سائلة إلى موضع تكارها إليه فانت؛ أو ماتت في الطريق إلى الموضع الذي تكارها إليه، فليس له إلا كراه الزيادة، كره لما تسلف من الوديعة. ولو زاد كثيرا مما فيه مقام الأيام الكثيرة التي يتغير في مثلها سوقها فهو ضامن، كما لو ماتت في مجاوزة الأمد أو المسافة؛ لأنه إذا كانت زيادة يسيرة مما يعلم أن ذلك مما لم يمين على قتلها فهلاكها يسد ردها إلى الموضع المأثور له فيه كهلاك ما تسلف من الوديعة يسد رده لا عالة. وإن كلفت للزيادة كثيرة فذلك الزيادة قد أمانت على قتلها

الخليفة - قال ابن قتيبة وابن وهب قال مالك قال الله تعالى : «والخيل والبغال  
 والحمير لتركبوها وزينة» بغلها الركوب والزينة ولم يجعلها للأكل؛ ونحوه عن أنسب . ولهذا  
 قال أصحابنا : لا يجوز أكل لحوم الخيل والبغال والحمير؛ لأن الله تعالى لما نص على الركوب  
 والزينة دل على أن ما عداه بخلافه . وقال في الأنعام : «ومنها ما يكون» مع ما أمكن الله منها  
 من الغلب والمنافع ، فأباح لنا أكلها بالذكاة المشروعة فيها . وبهذه الآية احتج ابن عباس  
 والحكم بن حنيفة ، قال الحكم : لحوم الخيل حرام في كتاب الله ، وقرأ هذه الآية والتي قبلها  
 وقال : هذه للأكل وهذه للركوب . وسئل ابن عباس عن لحوم الخيل فكهما ، وتلا هذه  
 الآية وقال : هذه للركوب ، وقرأ الآية التي قبلها «والأنعام خلقها لكم فيها ذبء وسنايع»  
 ثم قال : هذه للأكل . وبه قال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما والأوزاعي ومجاهد وأبو حنيفة  
 وفيهم ، واستحسنوا بما عرجه أبو داود والنسائي والدارقطني وغيرهم عن صالح بن يحيى بن المقدام  
 ابن مديكر عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى  
 يوم خيبر عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكل ذي ناب من السباع أو يتغلب من الطير .  
 لفظ الدارقطني . وعند النسائي أيضا عن خالد بن الوليد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول : «لا يملأ أكل لحوم الخيل والبغال والحمير» . وقال الجمهور من الفقهاء والمحدثين ،  
 هي مباحة . وروى عن أبي حنيفة . وثبت طائفة فقالت بالتحريم ؛ منهم الحكم كما ذكرناه ،  
 وروى عن أبي حنيفة ، حكى الثلاث روایات عنه الروایات في بحر المذهب على مذهب الشافعي .  
 قلت : الصحيح الذي يدل عليه النظر والتحري جواز أكل لحوم الخيل ، وأن الآية والحديث  
 لا حجة فيهما لازمة . أما الآية فلا دليل فيها على تحريم الخيل ؛ إذ لو دللت عليه لدلت على تحريم  
 لحوم الحمير ، والسورة مكية ، وأي حجة كانت إلى تجديد تحريم لحوم الخيل كانت خيرة وقد  
 ثبت في الأخبار تحليل الخيل على ما يأتي . وأيضا لما ذكر تعالى الأنعام ذكر الأغلب من  
 «مجانها وأهم ما فيها» وهو حمل الأنعام والأكل ، ولم يذكر الركوب ولا ما رث بها ولا غير  
 ذلك مصرحاً به ، وقد تركب ويحتر بها ؛ قال الله تعالى : «الذي جعل لكم الأنعام لتركبوها»

منها ومنها تأكلون . . وقال في الخيل . . ليتركوها موضحة . . فذكر أيضا أطيب ما فيها  
والمقصود منها ، ولم يذكر حمل الأقال عليه فقد عمل كما هو متعارف عليه في ذكر الأكل .  
وقد بينه نبيه عليه السلام الذي جعل إليه بيان ما أنزل عليه على ما يقصده ولا يلزم من كونها  
خلقت للركوب والزينة ألا تأكل ، فهذه البقرة قد أنطقها حالها الذي أنطق كل شيء فقال :  
إنما خلقت للحرث . . فيلزم من عقل أن الخيل لا تأكل لأنها خلقت للركوب ألا تأكل البقر  
لأنها خلقت للحرث . . وقد أجمع المسلمون على جواز أكلها فكذلك الخيل بالثبوت فيها .  
وروى مسلم من حديث جابر قال : نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير لحوم الخمر  
للأهلية وأذن في لحوم الخيل . . وقال النسائي عن جابر : أطعنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يوم خير لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الخمر . . وفي رواية عن جابر قال : كنا نأكل لحوم  
الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فإن قيل : الرواية من جابر أنهم أكلوها  
في تخيير حكاية حال وقضية في صين ، فيحتمل أن يكونوا ذبحوا لفردية ولا يصح قضايها  
الأحوال . . قلنا : والرواية عن جابر وإخباره بأنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يزيل ذلك الاختلاف ولئن سلمناه فما حديث أسلم قلت متحيزا فما  
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالكسبة فأكلناه ؟ رواه مسلم بوكل تأويل من غير  
ترجيح في مقابلة النص فإنما هو دعوى ، لا يلتفت إليه ولا يعزج عليه . . وقد روى للتأويل  
زيادة حسنة ترفع كل تأويل في حديث أسلمة قالت أسماء : كان لأخوس على عهد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أرادت أن تموت فذبحناها فأكلناها . . فذبحها إنما كان تخوف الموت  
عليها لا لغير ذلك من الأحوال . . والله التوفيق . . فإن قيل : حيوان من ذوات الحواري فلا يؤكل  
كالخمار ؟ قلنا : هذا قياس الشبه وقد اختلف أرباب الأصول في القول به ، ولئن سلمناه  
فهو منتقض بالاحتراز ، فإنه ذو خلف وقد باين ذوات الأغلاف ، وعلى أن القياس إذا كان  
في مقابلة النص فهو فاسد الوضع لا التعلق إليه . . قال الطبري : وفي إجماعهم على جواز  
ركوب ما ذكر للأكل دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب .

للخمس - ولما البطل إليها حتى بالخير ، إن قلنا إن الخليل لا تؤكل ؛ فإنها تكون متولدة من حين لا يكاد . وإن قلنا إن الخليل تؤكل ، فإنها عين متولدة من ما كول وغير ما كول فغلب التحريم على ما يلزم في الأصول . وكذلك ذبح المولود بين كافرين أحدهما من أهل الذكاة والأخر ليس من أهلها ، لا تكون ذكاة ولا تغسل به الذبيحة . وقد مضى في «الإمام» الكلام في تحريم الخمر فلا معنى للإعادة . وقد علق تحريم أكل الخمر بأنه أبدي جوهريه انشيت حيث ترا على ذكر وتلوط ؛ فسنى رجسا .

السابعة - في الآية دليل على أن الخليل لا زكاة فيها ؛ لأن الله سبحانه من علينا بما أباحنا منها وكرهنا به من منافعها ، فغير جائز أن يلزم فيها كلفة إلا بدليل . وقد روى مالك من عبد الله بن دينار عن سليمان بن يسار عن عراك بن مالك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة » . وروى أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس في الخليل والريق زكاة إلا زكاة الفطر في الرقيق » . وبه قال مالك والشافعي والأوزاعي والليث وأبو يوسف ومحمد . وقال أبو حنيفة : إن كانت إنانا كلها أو ذكرها وإنانا ، ففى كل فرس دينار إذا كانت سائمة ، وإن شاء قومها فأنخرج من كل مائتي درهم خمسة دراهم . واحتج بآثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « في الخليل السائمة في كل فرس دينار » ويقول صلى الله عليه وسلم : « الخليل ثلاثة ... » الحديث . وفيه : « ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها » . والجواب عن الأول أنه حديث لم يروه إلا غورك السعدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر . قال القارئ : تفرد به غورك عن جعفر وهو ضعيف جدا ، ومن دونه ضعفاء . وأما الحديث فالحق المذكور فيه هو الخروج عليها إذا وقع التغير وتبين بها لقتل العدو إذا تبين ذلك عليه ، ويمثل المتغطين عليها إذا احتاجوا لذلك ، وهذا واجب عليه إذا تبين ذلك ، كما تبين عليه أن يطعمهم عند الضرورة ، فهذه حقوق الله في رقابها . فإن قيل : هذا هو

(١) راجع ٧ ص ١١٥ وما بعدها . (٢) هو غورك بن التميمي أبو عبد الله . (من الآثار)

الحق الذي في ظهورها وفي الحق الذي في رفاقها ؛ فلي و لدروي " لا يفسى حتى الله فيها " ولا فرق بين قوله : " حق الله فيها " أو " في رفاقها وظهورها " لأن الحق يمتدح إلى شيء واحد ؛ لأن الحق يمتدح بجملة من العلماء ؛ لأن الحق هنا حسن ملكها وتمهد شعبها والإحسان إليها وكرهها غير مشفوق عليها ؛ كما جاء في الحديث " لا تخفوا ظهورها كرسى " . وإنما خص رفاقها بالذكر لأن للقلب والأعتاق تسنار كثيرا في مواضع الحقوق اللازمة والفروض الواجبة ؛ ومنه قوله عليه السلام " فحري بدينه مؤمنه " وكثر عندهم استعمال ذلك واستعارته حتى جملوه في الرضاع والأموال فلا ترى قول كثير :  
 غمر الزمان إذا تبسم ضاحكا . فقلت لفضحكته رفاقك لئلا

وأيا فإن الحيوان الذي يجب فيه الزكاة له نصاب من جنسه ، ولما عرفت الخيل من ذلك ملأ سقوط الزكاة فيها . وأيا أيضا فإعماجه الزكاة في إناثها مفردة دون الذكور شأن من منها وليس في الحديث فصل بينهما . ونفس الإناث على الذكور في حق الصدقة بأنه حيوان مقتنى للسلة لالتزاه ، ولا يجب الزكاة في ذكره فلم يجب في إناثه كالبنات والخدم . وقد روي عنه أنه لا زكاة في إناثها وإن انفردت كذكورها مفردة وهذا الذي عليه الجمهور . قال ابن عبد البر : الخبر في صدقة الخيل عن عمر صحيح من حديث الزهري وفيه . وقد روي من حديث مالك ، رواه عنه جويرية عن الزهري أن السائب بن يزيد قال : لقد رأيت أبا بكر يقوم الخيل ثم يدفع صدقتها إلى عمر . وهذا حجة لأبي حنيفة وشيخه حماد بن أبي سليمان ، لا أعلم أحدا من فقهاء الأصناف أوجب الزكاة في الخيل غيرها . فزاد به جويرية عن مالك وهو حجة .

الثامنة - قوله تعالى : ( وَزِينَةً لِّمَنْ مِّنْهُمْ بِإِمْضَارِ فُلٍ ، لِلنَّحْلِ : وَجَعَلَهَا زِينَةً . وفيل : هو مفعول من أجله . والزينة : ما يُزين به ، وهذا الجمال والبرق وإن كان من متاع الدنيا فقد أذن الله سبحانه لعباده فيه ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الإبل عمر "

(١) اسم ، المالك ، المكنم . ورجل غمر الزمان ، وغمر الحق ، أى واسع الحق . كثر المعرفة حتى .

لأهلها والفقير بركة والخليل في نواصيها عليهم . تحبه البركاتي وابن ماجة في السنن . وقد تقدم في الأسماء . ولما جمع النبي صلى الله عليه وسلم العز في الإبل ، لأن فيها اللباس والأكل واللبن والحمل والفزوة وإن قمصها الكر والقز . وجعل البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد ، فإنها تلد في القام ثلاث مرات إلى ما يتبعها من السكينة ، وتعمل جناحها عليه من خضف الجناح ولين الجانب ؛ بخلاف الفقادين أهل الوبر . وقرن النبي صلى الله عليه وسلم الخيل بنواصي الخيل بقية الدهر لما فيها من الفتيمة المستفادة للكب والمباش ، وما يوصل إليه من قهر الأعداء وظلب الكفار وإعلاء كلمة الله تعالى .

قوله تعالى : ( وَيَخْلُقُ مَا لَا تَحْسِبُونَ ) قال الجمهور : من الخلق . وقيل : من أنواع المخلوقات والمخام في أسافل الأرض والبحر مما لم يره البشر ولم يسمعوا به . وقيل : « ويخلق ما لا تعلمون » ، مما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها ، مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا خطر على قلب بشر . وقال قتادة والسدي : هو خلق السوس في الثياب والدود في الثواك . ابن عباس : عين تحت العرش ؛ حكاه الماوردي . الثعلبي : وقال ابن عباس : عين بين العرش نهر من النور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع سبعين مرة ، يدخله جبريل كل سحر فينسل فيزداد نورا إلى نوره وجمالا إلى جماله ومظنا إلى عظمه ، ثم ينفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين ألف قطرة ، ويخرج من كل قطرة سبعة آلاف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك إلى البيت المعمور ، وفي العتبة سبعون ألفا لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . وقول خامس - وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أرض بيضاء ، مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يهابون أن الله تعالى يصي في الأرض ، قالوا : يا رسول الله ، من ولد آدم ؟ قال : « لا يعلمون أن الله خلق آدم » . قالوا : يا ربنا ، الله ، فأين إبليس منهم ؟ قال : « لا يعلمون أن الله خلق إبليس » . ثم تلا : « ويخلق ما لا تعلمون » ذكره الماوردي .

(١) الفقاديون : أصحاب الإبل الكثيرة الذين ملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف .

قلت : ومن هذا المعنى ما ذكر البيهقي عن الشعبي قال : إن الله عبادا من وراء الأندلس كما بينا وبين الأندلس ، ما يرون أن الله عصاه مخلوق ، ورضراضهم الذر والياقوت وجبالهم الذهب والفضة لا يحرقون ولا يزرعون ولا يعملون عملا ، لم شجر على أبوابهم لها نمر هي طعابهم وشجر لها أوراق عراض هي لباسهم ، ذكره في بدء الخلق من ( كتاب الأسماء والصفات ) . وخرج من حديث موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام " .

قوله تعالى : وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّانَاكَ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أى على الله بيان قصد السبيل ، لحذف المضاف وهو البيان . والسبيل : الإسلام ، أى على الله بيانه بالرسول والمجج والبراهين . وقصد السبيل : استعانة الطريق ، يقال : طريق قاصد أى يؤدى إلى المطلوب . ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أى ومن السبيل جائر ، أى عادل عن الحق فلا يتهدى به ، ومنه قول امرئ القيس ومن الطريقة جائر وهدى . قصد السبيل ومنه ذو دخل وقال طرفة :

عَدْوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ آيِنِ يَمِينٍ • يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَتَهْدَى  
الْعَدْوِيَّةُ سفينة منسوبة إلى عدوى قرية بالبحرين . والدَّوِيُّ : الملاح ، قاله في الصحاح .  
وفى التتريل « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ » وقد هُتَم . <sup>(١)</sup> وقيل :  
المعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق ، أى عادل عنه فلا يتهدى إليه . وفهم قولان : أحدهما  
أنهم أجل الأهواء المختلفة ، قاله ابن عباس . الثانى - ملل الكفر من اليهودية والمجوسية

(١) الرضا ، ما ذكر من المعنى . (٢) راجع - ٧ ص ١٢٧ طبعه أول مرة .

والنصرانية. وفي مصحف عبد الله « ومنكم جاز » وكذا قرأ علي « ومنكم » بالكاف . وقيل :  
 المعنى وجها جازي . أي من السبل . قد « ين » بمعنى عن . وقال ابن عباس : أي من أراد  
 الله أن يهديه سبيل له طريق الإيمان ، ومن أراد أن يضلّه ثقل عليه الإيمان وفروعه . وقيل :  
 معنى « قصد السبل » سيركم ورجوعكم . والسبل واحدة بمعنى الجمع ، ولذلك أنت الكتابة  
 فقال : « ومنها » والسبل مؤنثة في لغة أهل الحجاز .

قوله تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ) بين أن المشيئة لله تعالى ، وهو يصحح  
 ما ذهب إليه ابن عباس في تأويل الآية ، ويرد على القدرية ومن وافقها كما تقدم .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ  
 وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

الشراب ما يشرب ، والشجر معروف . أي ينبت من الأمطار أشجارا وحرشا ونباتا .  
 و ( تُسِيمُونَ ) يرمون إليكم ؛ يقال : سامت السامة تسوما أي رعت ، فهي سامة .  
 والسوام والسام بمعنى ، وهو المال الراعي . وجمع السام والسامة سوامم . وأسمتها أنا  
 أي أخرجتها إلى الرعي ، فالتاسيم وهي سامة وسامة . قال :  
 أول لك ابن تميم الأجمال .

وأصل التسويم الإبعاد في الرعي . وقال الزجاج : أخذ من السومة وهي العلامة ؛ أي أنها  
 تؤثر في الأرض علامات يريها ، أولاتها تعلم للإرسال في الرعي .

قلت : والخيل المسومة تكون المرصية . وتكون المعلقة . وقوله : « مسومين » قال  
 الأخفش تكون مملئين وتكون مرسلين ؛ من قولك : مسوم فيها الخيل أي أرسلها . ومنه  
 السامة ، وإنما جاء بالياء والتون لأن الخيل مسومت وعليها ركانها .

(١) هذا بحر جيت ، ومدره كافي تحس العبرى ، مثل ابن زهة أركاثرته .



قوله تعالى : يَنْبُتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ  
وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : (يَنْبُتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ)  
قرأ أبو بكر عن عاصم « نُبِتَ » بالنون على التعظيم . العامة بإلقاء على معنى ينبت الله لكم  
يقال : نبت الأرض وأنبت بمعنى ، ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأنشد الفراء :  
رأيت ذري الجبابرة حول بيوتهم • فطينا بها حتى إذا أنبت البقل

أى نبت . وأنبت الله فهو منبوت ، على غير قياس . وأنبت الغلام نبت طاعة . ونبت الشجر  
هرسه ، يقال : نبت أجلك بين عيالك . ونبت الصبي تفتيا رتيته . والمنبت موضع النبات ؛  
يقال : ما أحسن نابتة بنى فلان ؛ أى ما نبئت عليه أموالهم وأولادهم . ونبتت لهم نابتة إذا  
نشأ لهم نسب صغار . وإن بنى فلان لبنانة شر . والنوأت من الأحداث الأغمار . والنبت  
حق من اليمن . والنبوت هجر ؛ كله عن الجوهري : ( وَالزَّيْتُونَ ) جمع زيتونة . ويقال  
للشجرة قصبا : زيتونة ، ولشجرة زيتونة . وقد مضى في سورة « الْأَنْعَامِ » حكم زكاة هذه  
ثمار خلا معنى الزمادة . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ ) الإزالة والإنبات . ( لَآيَةً ) أى دلالة . ( لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) .

قوله تعالى : وَنَحْنُ لَكُمْ الْيَلِيلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ  
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَنَحْنُ لَكُمْ الْيَلِيلُ وَالنَّهَارُ ) أى للسكون والإعمال ؛ كما قال : « وَمِنْ رَحْمَةِ  
جَعَلْ لَكُمْ الْيَلِيلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَجْتَنُوا مِنْ قَضَائِهِ » . ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ )  
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ) أى مملكات لمصرقة الأوقات ونضج انهار والزروع والاحتلاء بالبحر  
في الظلمات . وقرأ ابن عامر وأهل الشام « وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ » بالرفع

على الابتداء والخلق . القابون بالنصب عطفاً على ما قبله . وقرأ حفص عن حاصم يرفع  
« والنجوم » ، « مسخرات » خبيثه . وقرأ « الشمس والقمر والنجوم » بالنصب .  
« مسخرات » بالرفع ، وهو خبر ابتداء محذوف أى هى مسخرات ، وهى فى قراءة من نصبها  
حال مؤكدة ؛ كقوله : « وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا » . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) أى  
عن الله ما نهيهم عليه ووقفهم له .

قوله تعالى : وَمَا ذَرَأْنَا لَكُم فِي الْأَرْضِ مِثْقَلًا ذَرَّةً وَإِنِّي فِي ذَلِكَ  
لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَمَا ذَرَأْنَا ) أى وسخر ما ذرا فى الأرض لكم . « ذَرَأَ » أى  
خلق ؛ ذرا الله الخلق يذروهم ذَرَأَ خلقهم ، فهو ذارئ ، ومنه الذرية وهى نسل الثقلين ،  
إلا أن العرب تركت همزها ، وألجم الذرارى . يقال : أنى الله ذَرَأَكَ وَذَرَوَكَ ، أى ذريتك .  
وأصل الذرو والذرة التفريق عن جمع . وفى الحديث : ذره النار ؛ أى أنهم خلقوا لها .

الثانية - ما ذراه الله سبحانه منه مسخر مذل كالسواب والأنعام والأشجار وغيرها ،  
ومن غير ذلك . والدليل عليه ما رواه مالك فى الموطأ عن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن  
بلعنتى يهود حاراً . فقيل له : وما هن ؟ فقال : أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء  
أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى كلها  
ما علمت منها وما لم أعلم ، من شر ما خلق وبراً وفساداً . وفيه عن يحيى بن سعيد أنه قال :  
أُسِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريناً من الجن يطلبه بشعلة من نار ، الحديث .  
وفيه : وشر ما ذرأ فى الأرض . وقد ذكرناه وما فى معناه فى غير هذا الموضع .

(١) مزاج ٢ من ٢٩ طبة ثانية .

(٢) أى فى حديث عورضى الله وقد كتب إلى شاه

روى الأئمة آل البيت ذره النار .

الثالثة - قوله تعالى : ( مَخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ) . مَخْتَلِفًا : نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . وَ « أَلْوَانُهُ » هِيَ بَنَاتُهُ وَمَنَاظِرُهُ ، بَنَى الدُّوَابَّ وَالشَّجَرُ وَغَيْرَهَا . ( إِنْ فِي ذَلِكَ ) أَيْ فِي اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا . ( لَايَةً ) أَيْ لَعِبَةٍ . ( لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ ) أَيْ يَتَعَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ أَنْ فِي تَحْقِيرِ هَذِهِ الْمَكْرَمَاتِ لِعَلَامَاتٍ عِلْمٍ وَحُدَايَةٍ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ .

قوله تعالى : وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْبَحْرَ لِنَاسٍ كُلًّا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيقًا وَنَسَخِرُ جَوْا مِنْهُ حَلِيبَةً تَلْبَسُونَهَا وَنَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلَنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾

فِيهِ تَسْعَ سَائِلَ :

الأولى - قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْبَحْرَ ) تَحْقِيرُ الْبَحْرِ هُوَ تَحْكِيمُ الْبَشَرِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَتَبْدِيلِهِ بِالرُّكُوبِ وَالْإِرْقَافِ وَغَيْرِهِ ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا ، فَلَوْ شَاءَ سُلْطَهُ عَلَيْنَا وَأَغْرَقَنَا . وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي الْبَحْرِ وَفِي صَيْدِهِ . وَاسْمَاءُ هَذَا لَحْمًا وَالْهَوْمُ عِنْدَ مَا لَكَ ثَلَاثَةُ أَجْنَاسٍ : فَلَحْمُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ جَنْسٌ ، وَلَحْمُ ذَوَاتِ الرِّيشِ جَنْسٌ ، وَلَحْمُ ذَوَاتِ الْمَاءِ جَنْسٌ . فَلَا يَمُوزُ بَيْعُ الْجَنْسِ مِنْ جَنْسِهِ مُتَفَاعِلًا ، وَيَمُوزُ بَيْعُ لَحْمِ الْبَقْرِ وَالْوَحْشِ بِلَحْمِ الطَّيْرِ وَالسَّمَكِ مُتَفَاعِلًا ، وَكَذَلِكَ لَحْمُ الطَّيْرِ بِلَحْمِ الْبَقْرِ وَالْوَحْشِ وَالسَّمَكِ يَمُوزُ مُتَفَاعِلًا . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْهَوْمُ كُلُّهَا أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ كَأَصُولِهَا ، فَلَحْمُ الْبَقْرِ صِنْفٌ ، وَلَحْمُ الْفَتَمِ صِنْفٌ ، وَلَحْمُ الْإِبِلِ صِنْفٌ ، وَكَذَلِكَ الْوَحْشُ مُخْتَلَفٌ ، وَكَذَلِكَ الطَّيْرِ ، وَكَذَلِكَ السَّمَكُ ، وَهُوَ أَخَذَ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ . وَالْقَوْلُ الْآخَرُ أَنَّ الْكُلَّ مِنَ النَّعْمِ وَالصَّيْدِ وَالطَّيْرِ وَالسَّمَكِ جَنْسٌ وَاحِدٌ لَا يَمُوزُ التَّفَاضُلُ فِيهِ . وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِهِ عِنْدَ أَصْحَابِهِ . وَدَلِيلُهُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْأَنْعَامِ فِي حَيَاتِهَا فَقَالَ : « تَمَانِيَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَرْءِ اثْنَيْنِ »

(١) راجع - ١ - ٣٨٨ طيبة نائية إز ٣٨٤ و - ٦ - ٣١٨ طيبة ازل ارا ٣١٢ .

(٢) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

ثم قال : « مَنِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَرَسِ » . فلما إن لم يجمع إلى اللحم قال : « احسب لكم بحسب الأقسام » . فجمعها بلحم واحد فطرب مضافها ككتاب علم الضان والمغز . وقال في موضع آخر : « وَلَمْ يَكُنْ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ » . وهذا جمع طائر الذي هو الواحد ، لقوله تعالى : « وَلَا طَائِرُ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ » . فجمع لحم الطير كله باسم واحد . وقال هنا : « لَحْمًا طَيْرِيًّا » . فجمع أصناف السمك بذكر واحد ، فكان صفاته ككباره في الجمع بينهما . وقد روى عن ابن عمر أنه سئل عن لحم الممّز بلحم الكباش أشبه واحد ؟ فقال لا ؛ ولا يختلف له فصار كالإجماع ، والله أعلم . ولا حجة لخالق في نفيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام إلا مثلاً بمثل ؛ فإن للطعام في الإطلاق يتناول الحنطة وغيرها من المأكولات ولا يتناول اللحم ؛ ألا ترى أن القائل لما قال : « أكلت اليوم طعاما لم يسبق إليهم منه » إلى أكل اللحم ، وأيضا فإنه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا اخْتَفَ الْجَنَانُ فِيمَا كَيْفَ شَقِمَ » . وهذا جنسان ؛ وأيضا فقد اتفقتا على جواز بيع اللحم بطير متفاضلا لعلنا أنه يبيع طعام لا زكاة له يبيع بلحم ليس له الزكاة ، كذلك يبيع السمك بلحم الطير متفاضلا .

الثانية - وأما الجواز فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلا . وذكر عن محمد بن أنه يمنع من ذلك ، وإليه مال بعض المتأخرين ورأه مما يقدّر .

الثالثة - اختلف العلماء فيمن حلف ألا يأكل خما ؛ فقال ابن القاسم : يحنث بكل نوع من هذه الأنواع الأربعة . وقال أشهب في المجموعة . لا يحنث إلا بكل لحوم الأقسام دون الوحش وغيره ، مراعاة للعرف والعادة ، وتقدما لما عل إطلاق اللفظ القنوي ، وهو أحسن . الرابعة - قوله تعالى : ( وَاسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ) يعني به اللؤلؤ والمرجان ؛ لقوله تعالى : « يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ » . وإخراج الحلية إنما هي فيما عرف من الملح فقط ، ويقال : إن في الزمرد بحريا . وقد خُطِيَ المَدْلُ في قوله في وصف العزة :

(١) في الأصول : « فلما إن لم يجمع » . يريه : فلما إن ضد بالجمع إلى اللحم  
(٢) آية ٢١ سورة الرواة . (٣) آية ٣٨ سورة الأنعام . (٤) آية ٢٢ سورة الرحمن .

بجاء بها من نُدرة لُطيفة . على وجهها ماء التفرات يندوم<sup>(١)</sup>

بجعلها من الماء الملو . قالبة حتى وهي بخلة الله تعالى لأدم وولده . خلق آدم ونوح وكل  
بأكليل الجنة ، وختم بالخاتم الذي ورثه عنه سليمان بن داود صلوات الله عليهم ، وكان ينال  
له خاتم العز فيها روى .

الخامسة - امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر ،  
فلا يحرم عليهم شيء منه ، وإنما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير . روى الصحيح  
عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تلبسوا الحرير فإنه من  
لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة " . وسأيت في سورة الحج الكلام فيه إن شاء الله .<sup>(٢)</sup>  
وروى البخاري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب ، وجعل  
فمه مما على باطن كفه ، وقش فيه عهد رسول الله ، فاتخذ الناس مثله ، فلما رآهم قد اتخذوها  
رمى به وقال : " لا ألبسه أبدا " ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتم الفضة .  
قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، حتى وقع من  
عثمان في بئر أريس . قال أبو داود : لم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده .  
وأجمع العلماء على جواز التختم بالورق على الجملة للرجال . قال الخطابي : وكره للنساء التختم  
بالفضة ؛ لأنه من زي الرجال ، فإن لم يجدن ذهبا فليصفرن بزعفران أو بشبهه . وجمهور  
العلماء من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب ؛ إلا ما روى عن أبي بكر بن  
عبد الرحمن وخباب ، وهو خلاف شاذ ، وكل منهما لم يلفهما النبي والنسخ . والله أعلم .  
وأما ما رواه أنس بن مالك أنه رأى في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق  
يوما واحدا ، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتم من ورق ولبسوها ، فطرح رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خاتمه فطرح الناس خواتمهم - أخرجه الصحيحان واللفظ للبخاري - فهو عند العلماء

(١) الطيبة : إجمال التي تحمل الطهر . وقيل : الطيبة البيرة التي طمست بالمدك فصفنت به حتى ثبت راعتها ،

وهي الطيبة . (٢) في قوله تعالى : " إن الله يدخل الذين آمنوا وعمالوا الصالحات ... " آية ٢٣ .

(٣) حديثه بالقرب من مسجد قباء .

وهم من ابن شهاب ؛ لأن الذي ندد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو خاتم الذهب . ورواه عبد العزيز بن صبيح وجمعت وثلاثة من أنس ، وهو خلاف ما روى ابن شهاب عن أنس فوجبه القضاء بالخلافة على الولد إذا خالفها ، مع ما يشهد لجماعة من حديث ابن عمر .

السابعة - إذا ثبت جواز التخت للرجال بخاتم الفضة والتخل به ، فقد ذكره ابن سيرين وغيره من العلماء نقشه وأن يكون فيه ذكر الله . وأجاز نقشه جماعة من العلماء . ثم إذا نقش عليه اسم الله لم تكن حكمة أو كلمات من القرآن وجعله في شماله ، فهل يدخل به الخلافة ويصحبى بشي ؟ خففه سعيد بن المسيب ومالك . قيل لما لك : إن كان في الخاتم ذكر الله ويلبس في التخل أيسمحبى به ؟ قال : أرجو أن يكون خفيفا . وروى عنه الكراهة وهو الآخرى . وعلى المتع من ذلك أكثر أصحابه . وقد روى همام عن ابن جريح عن الزهري عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلافة وضع خاتمه . قال أبو داود : هذا حديث حكر ، وإنما يعرف عن ابن جريح عن زياد بن سعد عن الزهري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه . قال أبو داود : لم يحدث بهذا إلا همام .

السابعة - وروى البيهقي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه « محمد رسول الله » وقال : « إني اتخذت خاتما من ورق ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه » . قال علي بن أبي طالب : فهذا دليل على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه . قال مالك : ومن شأن الخلفاء والقضاة نقش أسمائهم على خواتمهم ، ونبيه عليه السلام : لا ينقش أحد على نقش خاتمه ، من أجل أن ذلك اسمه وصفته برسالة الله له إلى خلقه . وروى أهل الشام أنه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي سلطان . وروى في ذلك حديثا عن أبي ربحانة ، وهو حديث لاجبة فيه لضعفه . وقوله عليه السلام : « لا ينقش أحد على نقشه » يردّه ، ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس ، إذا لم ينقش على نقش خاتمه . وكان نقش خاتم الزهري « محمد بن عبد الله العائفة » . وكان نقش خاتم مالك « حسبي الله ونعم الوكيل » . وذكر الترمذي الحكيم في ( نوادر الأصول ) أن نقش خاتم موسى عليه السلام

« لكل أجل كتاب » وقد مضى في الرد<sup>(١)</sup> . وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتماً  
 مائت درهم فكتب إليه : إنه بلغني أنك اشتريت خاتماً بألف درهم ، فيه وأطمعته ألف  
 جناح ، واشترى خاتماً من حديد بدرهم ، واكتب عليه « رحم الله أمراً عرف قس نفسه » .  
 الثامنة - من حلف ألا يلبس حلياً فليس لؤلؤاً لم يحث ؛ وبه قال أبو حنيفة .  
 قال ابن خزيمة<sup>(٢)</sup> : لأن هذا وإن كان الاسم اللغوي يتناول فلم يقصده باليمن ، والأيمان  
 يخص بالعرف ؛ ألا ترى أنه لو حلف ألا ينام على فراش فنام على الأرض لم يحث ، وكذلك  
 لا يستغنى بسراج فليس في الشمس لا يحث ، وإن كان الله تعالى قد سمى الأرض فراشاً  
 والشمس سراجاً . وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد : من حلف ألا يلبس حلياً وليس اللؤلؤ  
 وقامه يحث ؛ لقوله تعالى : « وَتَسْتَخْرِجُوهَا مِنْ حَلِيَّةٍ تَابِسُونَهَا » والذي يخرج منه : اللؤلؤ والمرجان .  
 التاسعة - قوله تعالى : ( وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَهِ ) قد تقدم ذكر الْفُلْكَ وركوب  
 البحر في البقرة<sup>(٣)</sup> وغيرها ، وقوله : « مَوَاجِرَ » قال ابن عباس : جوارى ، من بَرَتْ تجرى .  
 سعيد بن جبير : معرضة . الحسن : موارق . قتادة والضحاك : أى تذهب وتجيء ، مقبلة  
 ومديرة برح واحدة . وقيل : « موارق » ملجبة في داخل البحر ، وأصل المَرَق شق الماء  
 من يمين وشمال . تحركت السفينة تتحرك وتتحرك وتغور إذا جرت فشق الماء مع صوت ؛  
 ومعه قوله تعالى : « وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَهِ » بنى جوارى . قال الجوهري : وتحر الساج  
 إذا شق الماء بصدوره ، وتحر الأرض شقها للزراعة ، وغرها بالماء إذا حس الماء فيها حتى  
 تصير أريضة ؛ أى خلقة بمودة نبات الزرع . وقال الطبري : المَرَق في اللغة صوت هبوب  
 الريح ، ولم يجد كونه في ماء ، وقال : إن من ذلك قول واصل مولى أبي عبيدة : إذا أراد  
 أحدهم البول فليستخر الريح ؛ أى لينظر في صوتها في الأجسام من أين تهب ، فيجنب استقبالها  
 فلا تزد عليه بوله . ( وَلْيَتَنَزَّلُوا مِنْ فَضْلِهِ ) أى ولتركوه للتجارة وطلب الريح . ( وَلَكُمْ  
 تَسْكُونٌ ) تخدم جميع هذا في البقرة<sup>(٤)</sup> والمعدة .

(١) راجع ١٩٦ ص ٢٢٩ طبة أول أربعة . (٢) راجع ١٠ ص ٣٨٨ طبة ٢٤ أو ٢٥ ،

٢٦٤ ص ١٩٨ طبة ٢٤ . (٣) راجع ٢٠ ص ١٩٨ راجع ٥٤ .

قوله تعالى : **وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَّيْنِي أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَانْحَرًّا وَسِبْلاً  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (١٥)

قوله تعالى : **(وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَّيْنِي)** أي جبالاً ثابتة . رَمَّا يَرْسُو إِذَا ثَبَتَ وَأَقَامَ .  
قال :

فَصَبَّرَتْ عَارِفَةً لَتِلْكَ حُرَّةً • تَرْسُو إِذَا تَقَسُّ بِالْجِبَالِ تَطْعُ

**(أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ)** أي لتلا تَمِيدُ ، عند الكوفيين . وكراهية أَنْ يَمِيدَ ، على قول البصريين .  
وَالْيَمِيدُ : الاضطراب مينا وشمالا ، ماد الشيء يَمِيدُ مِيداً إِذَا تَحَرَّكَ ، ومادت الأعصاب  
تَمَالَتْ ، ومادت الرجل تَجَمَّتْ . قال وهب بن مُنَبِّه : خلق الله الأرض فجعلت تَمِيدُ وتَمُورُ ،  
فقالَت الملائكة : إن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أُرْسِيت بِالْجِبَالِ ؛  
ولم تدر الملائكة مِمَّ خلقت الجبال ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لما خلق الله  
الأرض قَصَصَتْ ومالت وقالت : **أَيُّ رَبِّ ! أَتَجَمَّلُ عَلَى مَنْ يَجْعَلُ بِالْعَاصِي وَالْخَطَايَا ، وَيُلْقِي  
عَلَى الْخِيفِ وَالْقَتْلِ ؟** فأمرى الله تعالى فيها من الجبال ما تزون وما لا تزون . وروى الترمذى  
في آخر (كتاب التفسير) حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الموام بن حَوْشَب  
عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"لما خلق الله  
الأرض جعلت تَمِيدُ تخفق الجبال فمادت بها عليها فاستقرت فجعلت الملائكة من شدة الجبال  
قالوا يَارَبِّ هل مِنْ خَلْقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يارب فهل مِنْ خَلْقك  
شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يارب فهل مِنْ خَلْقك شيء أشد من النار قال نعم  
الماء قالوا يارب فهل مِنْ خَلْقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يارب فهل مِنْ  
خَلْقك شيء أشد من الريح قال نعم ابنُ آدم تصدق بصدقة يجنيه ينفعها من شماله "** قال  
أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه .

(١) طبت لئنة النسي . يقول : حيث تها عارفة ، أي صائرة . وجهه :

وطبت أن متى امتثلت ثامنى • لا ينجى منها انصرار الأسرع



قلت : وفي هذه الآية أدل دليل على استعمال الأسباب ، وقد كان قادرا على سكنها دون الجبال . وقد تقدم هذا المعنى . ( وَأَنْهَارًا ) أى وجعل فيها أنهارا ، أو أنقى فيها أنهارا . ( وَسَبِيلًا ) أى طرقا ومسالك . ( لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) أى إلى حيث يقصدهون من البلاد فلا تضلّون ولا تهترون .

قوله تعالى : وَعَلَّمْنَاهُ<sup>ط</sup> وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَعَلَّمْنَاهُ ) قال ابن عباس : العلامات معالم الطرق بالنهار ، أى جعل للطرقات علامات يقع الاهتداء بها . ( وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ) يعنى بالليل ، والنجم يراد به النجوم . وقرأ ابن وثاب « وبالنجم » . الحسن : بضم النون والجيم جميعا ومراده النجوم ، فقصره ؛ كما قال الشاعر :

إن الفقيه بيننا قاضٍ حَكَمٌ • أن ترد المساء إذا غاب النجم  
وكذلك القول لمن قرأ « النجم » إلا أنه سكن استخفافا . ويمحوز أن يكون النجم جمع نجم كسُفوف وسُفوف . واختلف في النجوم ؛ فقال الفراء : الجدى والفرقدان . وقيل : الثريا . قال الشاعر

حتى إذا ما استقل النجم في غلس • وغررد البقل ملوئ وعصود

أى منه ملوئ ومنه محصود ، وذلك عند طلوع الثريا يكون . وقال الكاظمي : العلامات الجبال . وقال مجاهد : هى النجوم ؛ لأن من النجوم ما يهتدى بها ، ومنها ما يكون علامة لا يهتدى بها ؛ وقاله قتادة والنخعي . وقيل : تم الكلام عند قوله « وعلامات » ثم ابتداء وقال : « وبالنجم هم يهتدون » . وعلى الأول : أى وجعل لكم علامات ونجومًا تهتدون بها . ومن العلامات الرياح يهتدى بها . وفي المراد بالاهتداء قولان : أحدهما - فى الأسفار ،

(١) البيت فى الزمخشري « استقل » طلع لى آخر الليل . روى ديوانه : « أحصد » بدل « غررد » . وأحصد : حان حصاده .

وهذا قول الجمهور . الثاني - في القبلة . وقال ابن عباس : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « وَالنَّجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ » قال : « هو الجدي يأين عباس ، عليه قبلكم وبه تهتدون في بركم وبحركم » ذكره المياوردي .

الثانية - قال ابن العربي : أما جميع النجوم فلا يهتدى بها إلا الدارق بمطالها ونقارها ، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها ، وذلك قليل في الآخرين . وأما الثريا فلا يهتدى بها إلا من يهتدى بجميع النجوم . وإنما الهدى لكل أحد بالجدي والقرقدين ، لأنها من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة السمت الثابتة في المكان ، فإنها تدور على القطب الثابت دورانا محصلا ، فهي أبدا هدى الخلق في البر إذا عمت الطرق ، وفي البحر عند مجرى السفن ، وفي القبلة إذا جهل السمت ، وذلك على الجسلة بأن تحمل القطب على ظهر منكك الأيسر لما استقبلت فهو سمت الجهة .

قلت : وسأل ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال : « هو الجدي عليه قبلكم وبه تهتدون في بركم وبحركم » . وذلك أن آخر الجدي نبات تنش الضغرى والقطب الذي تستوى عليه القبلة ينها .

الثالثة - قال علماؤنا : وحكم استقبال القبلة على وجهين : أحدهما - أن يراها وبما ينه فيلزمه استقبالها وإصابتها وقصد جهتها بجميع بدنه . والآخر - أن تكون الكعبة بحيث لا يراها فيلزمه التوجه نحوها وتلقاها باللائل ، وهي الشمس والقمر والنجوم والرياح ، وكل ما يمكن به معرفة جهتها ، ومن غابت عنه وصلى مجتهدا إلى غير ناحيتها وهو ممن يمكنه الاجتهاد فلا صلاة له ، فإذا صلى مجتهدا مستدلا ثم انكشف له بعد الفراغ من صلاته أنه صلى إلى غير القبلة أعاد إن كان في وقتها ، وليس ذلك بواجب عليه ؛ لأنه قد أدى فرضه على ما أمر به . وقد مضى هذا المعنى في « البقرة » مستوف والحمد لله

قوله تعالى : **أَمْ نَخْلَقُكُمْ كُنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( **أَمْ نَخْلُقُكُمْ** ) هو الله تعالى . ( **كُنْ لَا يَخْلُقُ** ) يريد الأصنام . ( **أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ) أخبر عن الأوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ، كما يجبر عن عقل من ما تستعمله العرب في ذلك ؛ فانهم كانوا يعبدونها فذكرت بلفظ « **مَنْ** » كقوله : « **أَلَمْ أَرْسِلْ** » . وقيل : لا فتران التضمير في الذكر بالخالي ، قال الفراء : هو كقول العرب : أشبه علي الزاكبي وجهه فلا أدري من ذا ومن ذا ؛ وإن كان أحدهما غير إنسان ، قال المهدوي : ويسأل « **مَنْ** » عن الباري تعالى ولا يسأل عنه بهاء ؛ لأن « **ما** » إنما يسأل بها عن الأجسام ، والله تعالى ليس بشيء جنس ، ولذلك أجاب موسى عليه السلام حين قال له : « **فَنَنْبِئُكَ يَا مُوسَى** » ولم يجب حين قال له : « **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** » إلا بجواب « **مَنْ** » وأضرب عن جواب « **ما** » حين كان السؤال فاسدا ، ومعنى الآية : من كان قادرا على خلق الأشياء المتقدمة الذكر كان بالعبادة إحقق من هو مخلوق لا يضر ولا ينفع ؛ « **هَذَا خَلَقَ اللَّهُ قَارُونَ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ** » « **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ** » .

قوله تعالى : **وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴿١٨﴾ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( **وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا** ) تقدم في إبراهيم ، ( **إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ) . والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ( **أَي** ما تبطنونه وما تظهرونه . وقد تقدم جميع هذا مستوفى .

قوله تعالى : **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴿٢١﴾

(١) آية ١٩ سورة ٤ . (٢) آية ١١ سورة لقمان . (٣) آية ١٠ سورة قلم .

(٤) راجع ج ٩ ص ٣٦٧ طبعه انزل أمانة

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قراءة العامة « تدعون » بالياء لأن ما قبله خطاب . روى أبو بكر عن ماصم وهيرة عن حفص « يدعون » بالياء ، وهى قراءة يعقوب . فاما قوله : « مَا يُسْرُونَ وَمَا يُنْفُونَ » فكلهم بالياء على اللطاب ؛ إلا ما روى هيرة عن حفص من ماصم أنه قرأ بالياء . ( لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا ) أى لا يقدرون على خلق شيء ( وَهُمْ يُخْلِقُونَ ) ( أَمْواتٌ قَبْرًا أَحْيَاءُ ) أى هم أموات ، يعنى الأصنام ، لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر ، أى فى جمادات فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها بالحياة . ( وَمَا يُشْعُرُونَ ) يعنى الأصنام . ( إِيَّانَ يُعْبَثُونَ ) وقرأ السُّلَمِيُّ « إِيَّانَ » بكسر الهمزة ، وهما لفتان ، موضعه نصب بـ « يعبثون » وهى فى معنى الاستفهام . والمعنى : لا يدرون متى يعبثون . وعبر عنها كما عبر عن الآدميين ؛ لأنهم زعموا أنها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله تعالى ، بغرى خطاهم على ذلك . وقد قيل : إن الله يعبث الأصنام يوم القيامة ولما أرواح فقيرا من عبادتهم ، وهى فى الدنيا جماد لا تعلم متى تبعث . قال ابن عباس ؛ تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينا فيعبرون من عبديها ، ثم يؤمر بالنياطين والمشركين إلى النار . وقيل : إن الأصنام تطرح فى النار مع عبديها يوم القيامة ؛ دليله « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ » . وقيل : تم الكلام عند قوله : « لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ » ثم ابتداء فوصف المشركين بأنهم « أموات » وهذا الموت موت كفر . « وَمَا يُشْعُرُونَ إِيَّانَ يُعْبَثُونَ » أى وما يدرى الكفار متى يعبثون ، أى وقت البعث ؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث حتى يستعدوا للقاء الله . وقيل : أى وما يدرىهم متى الساعة ، ولعلها تكون قريباً .

قوله تعالى : إِنْ هَكَذَا إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ فَأَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٧٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى : ﴿الْمُسْكِرُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لما بين استحالة الإشراف بالله تعالى بين أن المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود سواه . ﴿قَالَتَيْنِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ أى لا تقبل الوعد ولا يتبع فيها الذكر، وهذا رد على القدرية . ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أى متكبرون متعظمون عن قبول الحق . وقد تقدم في « البقرة » معنى الاستكبار . ﴿لَا جِرمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُنْثَرُونَ﴾ أى من القول والعمل فيجازهم . قال الخليل : « لا جرم » كلمة تعجبين ولا تكون إلا جواباً ، يقال : فعلوا ذلك ؛ يقال : لا جرم سيندوم . أى حقا أن لم النار . وقد مضى القول في هذا في « هود » مستوفى . ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أى لا يشيهم ولا يشي عليهم . ومن الحسين بن علي أنه مر بمساكين قد قلدوا كسرا بينهم وهم يأكلون فقالوا : النذاة يا أبا عبد الله ، فترك وجلس معهم وقال « إنه لا يحب المستكبرين » فلما فرغ قال : قد أجبتكم فأجيبوني ، فقاموا معه إلى منزله فاطعمهم وسقاهم واعطاهم وانصرفوا . قال العلماء . وكل ذنب يمكن التستر منه وإخفاؤه إلا الكبر ؛ فإنه نقي يزمه الإعلان ، وهو أصل العصيان كله . وفي الحديث الصحيح « إن المتكبرين يحشرون أمثال النمل يوم القيامة يطوهم الناس بأفهامهم تكبرهم » . أو كما قال صلى الله عليه وسلم : « تصغر لهم أجسامهم في المحشر حتى يضرهم صغرها وتعتظم لهم في النار حتى يضرهم عظمها » .

قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ﴾ يعنى وإذا قيل لمن تهدم ذكره من لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث « ما ذا أنزل ربكم » . قيل : القائل النضرين الحادث ، وأن الآية نزلت فيه ، وكان نرج إلى الحيرة فاشتري أحاديث (كثيلة ودمنة) فكان يقرأ على قريش ويقول : ما يقرأ عدل أصحابه إلا أساطير الأولين ؛ أى ليس هو من قديري

ويتا . وقيل : إن المؤمنين هم الغافلون لم يختلوا فاجابوا بقولهم : « أساطير الأولين » فأتوا  
بإنكار شئ . هو أساطير الأولين . والأساطير : الأباطيل والتزيمات . وقد تضمن في الأنعام .<sup>(١)</sup>  
والقول في « ما أنزل ربكم » كالقول في « ماذا ينطقون » وقوله : ( أساطير الأولين ) خبر  
ابتداء عذوب ، التقدير : الذي أنزله أساطير الأولين .

قوله تعالى : لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ  
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ) قيل : هي لأم كى ، وهي متعلقة بما قبلها . وقيل :  
لام العاقبة ، كقوله : « لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخِيمٌ » . أى قولهم في القرآن والنبي أنهم إلى أن  
حلوا أوزارهم ، أى ذنوبهم . ( كَامِلَةً ) لم يتركوا منها شيئا لئلا تصابهم في الدنيا بكفرهم .  
وقيل : هي لأم الأمر ، والمعنى التلهيد . ( وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال مجاهد :  
يحملون وزر من أضلوه ولا ينقص من إثم المضل شئ . وفى الخبر « أيما داع دعا إلى ضلالة  
فأتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من إثم من غير أن ينقص من أوزارهم شئ وأيما داع دعا إلى  
هدى فأتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شئ » أخرجه مسلم بمناه .  
و « من » الجنس لا للتمييز ، فدعاة الضلالة عليهم مثل أوزار من اتبعهم . وقوله :  
( بِغَيْرِ عِلْمٍ ) أى يضلون الخلق جهلا منهم بما يلزمهم من الآثام ، إذ لو علموا لما أضلوا .  
( أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ) أى شئ الوزر الذى يحملونه . ونظير هذه الآية « وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ  
وَأَنْتُمْ لَا مَعِ أَثْقَالَهُمْ » وقد تضمن في آخر « الأنعام » بيان قوله : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ  
وِزْرَ أُخْرَى » .

(١) راجع ج ٦ ص ١٠٥ طبعه أول مرة - (٢) راجع ج ٢ ص ٢١ طبعه أول مرة -

(٣) آية ١٣ سورة التكهوت - (٤) راجع ج ٧ ص ١٥٧ طبعه أول مرة -

قوله تعالى : قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ  
الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ( قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أى سبقهم بالكفر أقوام مع الرسل المتقدمين  
فكانت العاقبة الجلية للرسول . ( فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ )  
قال ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما : إنه التمزود بن كتمان وقومه ، أرادوا صمود السماء  
وقتل أهلها ، فبنوا الصرح ليصعدوا منه بعد أن صنع بالنسور ما صنع ، فخر . كما تقدم بياه  
في آخر سورة إبراهيم <sup>(١)</sup> . ومعنى « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ » أى أتى أمره البنائ ، إما زلزلة  
أو ريحا تخزيه . قال ابن عباس ووهب : كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف  
ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف . وقال كعب ومقاتل : كان طوله فرسخين ، فهبت ريح فالتفت  
رأسه في البحر وخر عليهم الباق . ولما سقط الصرح تبللت ألسن الناس من الفزع يومئذ  
فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فذلك سُمي بابل ، وما كان لسان قبل ذلك إلا السريانية .  
وقد تقدم هذا المعنى في « البقرة » <sup>(٢)</sup> . وقرأ ابن جرير وابن محيصن « السَّقْفُ » بضم السين  
والقاف جميعا . وضم مجاهد السين وأسكن القاف تخفيفا ، كما تقدم في « والنجم » في الوجهين .  
والأشبه أن يكون جمع سقف . والقواعد : أصول البناء ، وإذا لخت القواعد سقط البناء .  
وقوله : ( مِنْ فَوْقِهِمْ ) قال ابن الأعرابي : وَكَدَ لِعِدَاكَ أَنَّهُمْ كَانُوا حَالِينَ تَحْتَهُ . والعرب  
تقول : خر علينا سقف ووقع علينا حائط إذا كان يملكه وإن لم يكن وقع عليه . فجاء بقوله :  
« مِنْ فَوْقِهِمْ » ليخرج هذا الشك الذى في كلام العرب فقال : « مِنْ فَوْقِهِمْ » أى عليهم وقع  
وكانوا تحته فهلكوا وما أنقروا . وقيل : إن المراد بالسقف السماء ، أى إن العذاب أتاهم  
من السماء التى هى فوقهم ، قاله ابن عباس . وقيل : إن قوله : « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنْ »

(١) جامع ٩٧ ص ٢٨١ طبع دار الفقه . (٢) جامع ١٠ ص ٢٨٢ جبهه تاجه أدناه

القول عليه تمثيل ، والمعنى : أهلكهم فكانوا بمنزلة من سقط عليه بنيانه . وقيل : المعنى : احبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه . وقيل : المعنى : أطل مكرهم وتدميرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السفف من فوقه . وعلى هذا اختلف في الذين حر عليهم السفف ؛ فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم . وقيل : إنه يختص وأصحابه ؛ قاله بعض المفسرين . وقيل : المراد المتكسبون الذين ذكروهم الله في سورة الحجر ؛ قاله الكلبي . وعلى هذا التأويل يخرج وجه التمثيل ، والله أعلم . ( وَأَنَّا نُمَتِّعُ بَيْنَ حَيْثُ لَا يَسْمُرُونَ ) أى من حيث ظنوا أنهم في أمان . وقال ابن عباس : يعنى البعوضة التى أهلك الله بها نمرودا .

قوله تعالى : ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ ) أى يفضضهم بالعذاب ويغلب به ويهينهم . ( وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ) أى يزعمكم فى دعواكم ، أى الآلهة التى عبدتم دونى ، وهو سؤال توبيخ . ( الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ ) أى تبادون أنبياءى بسلبهم ، فليدفعوا عنكم هذا العذاب . وقرا ابن كثير « شُرَكَائِيَ » بياء مفتوحة من غير همز ، والباقون بالهمز . نافع « تُشْفِقُونَ » بكسر التون على الإضافة ، أى تبادونى فيهم . وفصحى الباقيون . ( قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) قال ابن عباس : أى الملائكة . وقيل المؤمنون . ( إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ ) أى الهوان والذل يوم القيامة . ( وَالسُّوءَ ) أى العذاب . ( عَلَى الْكَافِرِينَ ) .

قوله تعالى : الَّذِينَ تَتَوَكَّلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾



قوله تعالى : ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ) هؤلاء من علة الكافرين .  
 و «ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» نصب على الحال ؛ أى وهم ظالمون أنفسهم إذ أوردوها موارد الملاحة .  
 ( فَالْقُوا السَّلَامَ ) أى الاستسلام . أى أقروا لله بالربوبية واتقادوا عند الموت وقالوا : ( مَا كُنَّا  
 نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ) أى من شرك . فقالت لهم الملائكة : ( بَلَى ) قد كنتم تعملون الأسوء .  
 ( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) وقال عكرمة : تركت هذه الآية بالمدينة في قوم أسلموا بمكة  
 ولم يهاجروا ، فانرجعتهم قريش إلى بدر كرها فقتلوا بها ؛ فقال : ( الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ )  
 بقبض أرواحهم . ( ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ) في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة . ( فَالْقُوا السَّلَامَ )  
 يعنى في خروجهم معهم . وفيه ثلاثة أوجه : أحدها — أنه الصلح ؛ قاله الأخفش .  
 الثانى — الاستسلام ؛ قاله قطرب . الثالث — الخضوع ؛ قاله مقاتل . ( مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ  
 سُوءٍ ) يعنى من كفر . ( بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يعنى أن أعمالهم أعمال الكفار .  
 وقيل : إن بعض المسلمين لما رأوا قلة المؤمنين رجحوا إلى المشركين ؛ فقلت فيهم . وعلى  
 القول الأول فلا يخرج كافر ولا منافق من الدنيا حتى يتقاد ويستسلم ؛ ويغضيم ويل ؛  
 ولا تنفعهم حينئذ توبة ولا إيمان ؛ كما قال : « فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا » وقد  
 تقدم هذا المعنى . وتقدم في « الأنفال » إن الكفار يتوفون بالضرب والمحوان ، وكذلك  
 في « الأنعام » . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة .

قوله تعالى : فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسٌ مَثْوًى .

الْمُنْكَرِينَ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ( فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ) أى يقال لهم ذلك عند الموت . وقيل : هو  
 بشارة لهم بعذاب القبر ؛ إذ هو باب من أبواب جهنم للكافرين . وقيل : لا فصل أهل البركة  
 الثانية إليها مثلا إلا بدخول البركة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة هكذا . وقيل : لكل درجة

باب مفرده فالبعض يدخلون من باب والبعض يدخلون من باب آخر . فانه علم . ( خالدين فيها ) أى ماكنين فيها . ( فليس مثوى ) أى مقل ( المتكبرين ) الذين تكبروا عن الإيمان وعن عبادة الله تعالى ، وقد بينهم بقوله الجسد : « انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون » .

قوله تعالى : وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِأُولِئِكَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ تَوَقَّعُوا الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُدْخِلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ) أى قالوا : أنزل خيرا ، وتم الكلام . و « ماذا » مل هذا اسم واحد . وكان يراد للرجل من العرب مكة في أيام الموسم فيسأل للمشركين من محمد عليه السلام فيقولون : ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون . ويسأل المؤمنين فيقولون : أنزل الله عليه الخبر والهدى ، والمراد القرآن . وقيل : إن هذا يقال لأهل الإيمان يوم القيامة . قال الثعلبي : فإن قيل : لم أرفع الجواب في قوله : « أساطير الأولين » وأتصعب في قوله : « خيرا » فالجواب أن للمشركين لم يؤمنوا بالتزويل ، فكانهم قالوا : الذى يقوله محمد هو أساطير الأولين . والمؤمنون آمنوا بالتزويل فقالوا : أنزل خيرا . وهذا مفهوم معناه من الإعراب ، والحمد لله .

قوله تعالى : ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ) قيل : هو من كلام الله عز وجل . وقيل : هو من جملة كلام الذين اتقوا . والحسنة هنا : الجنة ، أى من أطاع الله فله الجنة خدا . وقيل : « الذين أحسنوا » اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والنيمة : ( وَلَمَّا دُرُّوا ) (١) آية ٣٥ سورة الصافات .

لَا أُخَيِّرُ خَيْرٌ) أى ما يتألفون في الآخرة من ثواب الجنة غير وأعظم من دار الدنيا ، فمناها  
وبعد الآخرة . ( وَنَحْنُ دَارُ الْمُتَّقِينَ ) فيه وجهان - قال الحسن : للمنى ولم دار للمتقين  
الدنيا ؛ لأنهم تألوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة . وقيل : للمنى ولم دار للمتقين  
الآخرة وهذا قول الجمهور . وعلى هذا تكون ( جَنَّاتٌ عَدْنٌ ) بدلا من العار فذلك ارتفع .  
وقيل : ارتفع على تقديره جنت ، فهي مينة لقوله : « دَارُ الْمُتَّقِينَ » ، أو تكون مرفوعة  
بالابتداء ، التقدير : جنت عدن نعم دار المتقين . ( يَدْخُلُونَهَا ) في موضع المنة ، أى  
مدخولة . وقيل : « جنت » رفع بالابتداء ، وخبره « يدخلونها » وعليه يخرج قول الحسن .  
والله أعلم . ( تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) تقدم معناه في البقرة . ( لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَابُهونَ )  
أى مما تتوهم وأرادوه . ( كَذَلِكَ يَجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ) أى مثل هذا الجزاء يجزى الله المتقين .  
( الَّذِينَ شَقَّوْا مَلَكُوتَهُ طَيِّبِينَ ) قرأ الأعمش وحزرة « شَقَّوْا مَلَكُوتَهُ » في الموضعين بالياء ،  
واختاره أبو عبيد ؛ لما روى عن ابن مسعود أنه قال : إن قريشا زعموا أن الملائكة إناث  
فذكرهم أتم . الباقون بالياء ؛ لأن المراد به الجماعة من الملائكة . و ( طَيِّبِينَ ) فيه ستة  
أقوال : الأول - « طَيِّبِينَ » طاهرين من الشرك . الثانى - صالحين . الثالث - زاكين  
أضالم وأقوالهم . الرابع - طيبين الأضس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى . الخامس -  
طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله . السادس - « طيبين » أن تكون وفاتهم طيبة سهلة  
لا صعوبة فيها ولا ألم ؛ بخلاف ما قبض به روح الكافر والمخطئ . والله أعلم . ( يَقُولُونَ  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) يحتمل وجهين : أحدهما - أن يكون السفن إندارا لهم بالوفاة . الثانى -  
أن يكون تبشيرا لهم بالجنة ؛ لأن السلام أمان . وذكر ابن المبارك قال : حدثني حيوة قال  
أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال : إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك  
الموت فقال : السلام عليك ربى الله ، الله يقرأ عليك السلام . ثم تزع بسنده الآية « الذين

(١) واج ١٧ ص ٢٢٩ طيبة ثانية أو ثالثة . (٢) استنقعت الماء : اجتمع فيه . أى إذا اجتمعت

نفس المؤمن في فيه تريد الخروج ، كما يستنقعت الماء في فواره ؛ وأراد بالصلى الروح .

يَتَوَلَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . وقال لهم يسعود : إذا جاء ملك الموت بقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام . وقال مجاهد : إن للمؤمن لبشر يصلح ولده من بعده لتقر عينه . وقد أتينا على هذا في (كتاب التذكرة) وذكرنا هناك الأخبار الواردة في هذا المعنى ، والحمد لله . وقوله : ( ادخلوا الجنة ) يتناول وجهين : أحدهما - أن يكون معناه أشروا بدخول الجنة . الثاني - أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة . ( وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يعني في الدنيا من الصالحات .

قوله تعالى : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : ( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) هذا راجع إلى الكفار، أي ما ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم . وقرا الأعمش وابن وثاب وحزرة والكسائي وخلف « بأنهم الملائكة » بالياء . والباقيون بالياء على ما تقدم . ( أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ) أي بالمعذاب من القتل كيوم بدر ، أو الزلزلة والتخسف في الدنيا . وقيل : المراد يوم القيامة . والقوم لم ينظروا هذه الأشياء لأنهم ما آمنوا بها ، ولكن استأنعهم عن الإيمان أوجب عليهم العذاب ، فاضيف ذلك إليهم ، أي عاقبتهم العذاب . ( كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أي أصروا على الكفر فأتاهم أمر الله فهلكوا . ( وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ) أي بتعذيبهم وإهلاكهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك .

قوله تعالى : فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ سَبُّهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ( فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ) قيل : فيه تهديد وأخبره القدر : كذا فعل الذين من قبلهم فأصابهم سيئات ما عملوا ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أتهمهم بظلمون ، فأصابهم عقوبات كفرهم وجزاء الخبيث من أعمالهم . ( وَحَقَّ يَوْمٌ ) أى أحاط بهم ودار . ( مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) أى ، عقاب استهزأهم .

نُوحًا : وَقَالَ الَّذِينَ أَتَرُكُونَا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دِينِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ اى شيئا ، و « من » صلة . قال الزجاج : قالوه استهزاء ، ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مؤمنين . وقد مضى هذا في سورة « الأنعام » بيتا معنى وإعرابا فلا معنى للإعادة <sup>(١)</sup> ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ اى مثل هذا التكذيب والاستهزاء فعل من كان قبلهم بالرسول فاعلموا . ﴿ نَهَى عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُنِيِّنَ ﴾ اى ليس عليهم إلا التبليغ ، وأما الهداية فهي إلى الله تعالى .

قوله تعالى : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمِيسِرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾

فوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي بأن أعبدوا الله ووعده. ﴿وَأَتَّبِعُوا الطَّاعُونَ﴾ أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال. ﴿فَنَهَىٰ عَنْ هَدْيِ اللَّهِ﴾ أي أُرشده إلى دينه وعبادته.

(وَمِنْهُمْ مَنْ حَفَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) أى بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره، وهذا يراد  
 حل القدونية، لأنهم زعموا أن الله هدى الناس كلهم ووقفهم الهدى، والله تعالى يقول :  
 « قَتَلْتُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَفَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ » وقد تقدم هذا في غير موضع .  
 (يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أى يسروا معتبرين في الأرض . (فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)  
 أى كيف صار آخر أمرهم إلى الخراب والعذاب والمهلك .

قوله تعالى : إِنْ تَخْرِضْ عَلَىٰ هُدًى لَّنْ آتِيَكَ اللَّهُ بِأَمْرٍ يُضِلُّ  
 وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : (إِنْ تَخْرِضْ عَلَىٰ هُدًى) أى إن تطلب يا محمد يهيك هدام . (فَإِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) أى لا يرشد من أضله، أى من سبق له من الله الضلالة لم يهده .  
 وهذه قراءة ابن مسعود وأهل الكوفة . « يَهْدِي » فعل مستقبل وماضيه هَدَى . و « مِنْ »  
 في موضع نصب . « يَهْدِي » ويجوز أن يكون هَدَى يَهْدِي بمعنى اهتدى يهتدى ، رواه  
 أبو عبيد عن الفراء قال : كما قرئ « أَمِنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي » بمعنى يهتدى . قال أبو عبيد .  
 ولا نعلم أحداً روى هذا غير الفراء ، وليس بينهم فيما يحكيه . النحاس : حكى لي عن محمد  
 ابن يزيد كان معنى « لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ » من علم ذلك منه وسبق ذلك له عنه ، قال :  
 « لَا يَكُونُ يَهْدِي بِمَعْنَى يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَهْدِي أَوْ يَهْدِي » وعلى قول الفراء « يَهْدِي »  
 بمعنى يهتدى ، فيكون « مِنْ » في موضع رفع ، والمائد إلى « مِنْ » الماه المحذوفة من الصلة ،  
 والمائد إلى اسم « إِنَّ » الضمير المستكن في « يُضِلُّ » . وقرأ الباقون « لَا يَهْدِي » بضم الياء  
 ونصب الدال ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، على معنى من أضله الله لم يهده هادٍ ، دليله قوله :  
 « مَنْ يُضِلِّلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ » و « مِنْ » في موضع رفع على أنه اسم الملم يُسَمُّ فاعله ،  
 ومن بمعنى الذى ، والمائد عليها من صلتها محذوف ، والمائد على اسم إن من « فَإِنَّ اللَّهَ » الضمير  
 للمستكن في « يُضِلُّ » . ( وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ) تقديم معناه .

قوله تعالى : **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعُثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ  
بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾**

قوله تعالى : **( وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ )** هذا تعجب من صنعهم ، إذ أقسموا بالله والتوا في تنليظ اليمين بأن الله لا يبعث من يموت . ووجه التعجب أنهم يظنون تعظيم الله فيقسمون به ثم يجزونه عن بعث الأموات . وقال أبو العالية : كان لرجل من المسلمين على مشرك دين نقاضاه ، وكان في بعض كلامه : والذي أرجوه بعد الموت إنه لكذا ، فاقسم المشرك بالله : لا يبعث الله من يموت ، فترت الآية . وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس قال له رجل : يا ابن عباس ، إن فلانا يزعمون أن طيًّا مبعوث بعد الموت قبل الساعة ، ويتأولون هذه الآية . فقال ابن عباس : كذب أولئك ! إنما هذه الآية عامة للناس ، لو كان على مبعوث قبل القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه . **( بَلَى )** هذا رد طعنه ؛ أي بلى ليعتد بهم . **( وَقَدْ عَلِمَ حَقًّا )** مصدر مؤكد ؛ لأن قوله « يبعثهم » يدل على الوعد ، أي وعد البعث وعدا حقا . **( وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )** أنهم مبعوثون . وفي البخاري من أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشئني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه إياي فقله لن يبدئي كما بداني وأما شئني إياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد <sup>(١)</sup> . وقد تقدم ، وبإتي .

قوله تعالى : **لِيَسَبِّحَنَّهُمُ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾**

قوله تعالى : **( لِيَسَبِّحَنَّهُمُ )** أي ليظهر لهم . **( الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ )** أي من أمر البعث . **( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا )** بالبعث وأقسموا عليه **( أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ )** وقيل : المعنى

ولقد بحثنا في كل أمة رسولاً ليبين لهم الذي يختلفون فيه ، والذي اختلف فيه المشركون  
والمسلمون أمور : منها البعث ، ومنها عبادة الأصنام ، ومنها إقرار قوم بأن عما حق ولكن  
منهم من تبعاه التقليد ، كما ي طالب .

قوله تعالى : إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١﴾

أعلمهم بسهولة الخلق عليه ، أى إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب  
في أحيائهم ، ولا في غير ذلك مما نحدثه ؛ لأننا إنما نقول له كن فيكون . قراءة ابن عامر  
والكسائي : « فيكون » نصبا عطفا على أن نقول . وقال الزجاج : يجوز أن يكون نصبا  
على جواب « كن » . الباقون يرفع على معنى فهو يكون . وقد مضى القول فيه في « البقرة »  
مستوفى . وقال ابن الأثير : أوقع لفظ الشئ على المعلوم عند الله قبل الخلق لأنه بمنزلة  
ما وجد وشوهد . وفي الآية دليل على أن القرآن غير مخلوق ؛ لأنه لو كان قوله : « كن »  
مخلوقا لاحتاج إلى قول ثان ، والثاني إلى ثالث وتسلل وكان محالا . وفيها دليل على أن الله  
صباحته مريد لجميع الحوادث كلها خيرا وشرها نفعها وضرها ؛ والدليل على ذلك أن من  
يرى في سلطانه ما يكرهه ولا يريد فلاحه شيتين : إما لكونه جاهلا لا يدري ، وإما لكونه  
مغلوبا لا يطيق ، ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه ، وقد قام الدليل على أنه خالق لاكتساب  
المعاد ، ويستحيل أن يكون قاهلا لشئ وهو غير مريد له ؛ لأن أكثر أفعالنا يحصل على خلاف  
مقصودنا وإرادتنا ، فلم يكن الحق سبحانه مريدا لما كانت تلك الأفعال تحصل من غير  
قصد ؛ وهذا قول الطيبيين ، وقد أجمع الموحدون على خلافه وفساد .

قوله تعالى : وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبِيِّئَهُمْ

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾



قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا) قد هتَم في النساء .  
 معنى الهجرة، وهي ترك الأوطان والأهل والقرابة في الله أو في دين الله، وترك السلطات .  
 وقيل : «في» بمعنى اللام، أي لله . ( مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا ) أي هُجِرُوا في الله . نزلت في صُيُب  
 وبلال وخُثَيب وعمار، عندهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة؛  
 قاله الكلبي . وقيل : نزلت في أبي جندل بن سهيل . وقال قتادة : المراد أصحاب محمد صلى الله  
 عليه وسلم، ظلمهم المشركون بمكة وأخرجهم حتى لحق طائفة منهم بالحِمْصَة، ثم يؤام الله تعالى  
 دار الهجرة ويصل لهم أنصارا من المؤمنين . والآية تم الجمع . ( لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً )  
 في الحسنة ستة أقوال : الأول — نزول المدينة؛ قاله ابن عباس والحسن والشَّعْبِيّ وقَتَادَة .  
 الثاني — الرزق الحسن؛ قاله مجاهد . الثالث — النصر على عدوهم؛ قاله الضحاك . الرابع —  
 إنه لسان صدق؛ حكاه ابن جريج . الخامس — ما استولوا عليه من فروع البلاد وصار لهم فيها  
 من الولايات . السادس — ما بقى لهم في الدنيا من الثناء، وما صار فيها لأولادهم من الشرف .  
 وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله، والحمد لله . ( وَلَا تُجْرِ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ ) أي ولا تجر دار الآخرة  
 أكبر، أي أكبر من أن يعلسه أحد قبل أن يشاهده ؛ « وَإِنَّا رَأَيْتُمْ نَبِيًّا وَمَلَكًا  
 كَبِيرًا » . ( لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) أي لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك . وقيل : هو راجع  
 إلى المؤمنين . أي لو رأوا ثواب الآخرة وعابوه لعلوا أنه أكبر من حسنة الدنيا . وروى  
 أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين البطاء قال : هذا ما وعدكم الله  
 في الدنيا وما اقترحكم في الآخرة أكثر؛ ثم تلا عليهم هذه الآية .

قوله تعالى : الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٢﴾

قيل : (الذين) بدل من «الذين» الأول . وقيل : من الضمير في «لَنُبَوِّئَنَّهُم» وقيل : هم الذين  
 صبروا على دينهم . ( وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) في كل أمورهم . وقال بعض أهل التحقيق : خيار الخلق  
 من إذا نابه أمر صبر، وإذا عجز عن أمر توكل؛ قال الله تعالى : «الذين صبروا وعلىٰ ربهم يتوكلون» .

(١) راجع ٦٥ ص ٣٤٧ وما بعدها، طبة ابل أو ثانية . (٢) آية ٢٠ سورة الانسان .

قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ لَعَلَّ الذِّكْرَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (١١) « وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ » وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْفَحُونَ » (١٢)

قوله تعالى : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ) قراءة السامة « نُوحَى » بالياء . وقع اللام . وقما حفص من ماصم « نُوحِيَ إِلَيْهِمْ » بنون العطفة وكسر اللام . ولما في مشرك مكة حيث أنكروا نبوة محمد صل الله عليه وسلم وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ، فهلا بعث إلينا ملكا ، فرد الله تعالى عليهم بقوله : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا الْإِثْمَ الْمُسَافِيَةَ بِأَعْدَاءِ الْإِبْرَاهِيمِ » (١٣) « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ » قال سفيان : يعني مؤمنى أهل الكتاب . ( إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يخبرونكم أن جميع الأنبياء كانوا بشرا . وقيل : المعنى فاسألوا أهل الكتاب فإن لم يؤمنوا فهم معتقون بأن الرسل كانوا من البشر . روى عنه من ابن عباس وعبد . وقال ابن عباس : أهل الذكر أهل الفرقان . وقيل : أهل العلم ، والمعنى متقارب . ( وَالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ) قيل : « بالبينات ، متعلق بـ « أَرْسَلْنَا » . وفي الكلام تقديم وتأخير ، أى ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ إِلَّا رِجَالًا - أى خير رجال ، فـ « إِلَّا » بمعنى خير ؛ كقوله : لا إله إلا الله ، وهذا قول الكلبي - نوحى إليهم . وقيل : في الكلام حذف دل عليه « أَرْسَلْنَا » أى أَرْسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ . ولا يتعلق « بِالْبَيِّنَاتِ » بـ « أَرْسَلْنَا » لأن على هذا القول ؛ لأن ما قبل « إِلَّا » لا يعمل فيها بعدها ، وإنما يتعلق بأَرْسَلْنَا المقدره ، أى أَرْسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ . وقيل : مفعول بـ « تَعْلَمُونَ » وإنهاء زائدة ، أو نصب بإضمار أَعْنَى ؛ كما قال الأعشى :

وليس يُخيرا إن أتى الحى خائف • ولا قائل إلا هو للنعيا

أى أمتى المتعبد . والنبات : المجمع والبراهين . والزر : الكعب . وقد يحتمل فى آل عمران .  
 ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ) ببنى القرآن . ( لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ) فى هذا الكتاب من  
 الأحكام والوعد والوعيد بقولك ونملك ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم مبين عن الله عز وجل  
 مراده مما أحمله من كتابه من أحكام الصلاة والزكاة ، وغير ذلك مما لم يفصله . وقد تقدم  
 هذا المعنى مستوفى فى مقدمة الكتاب ، والحمد لله ، ( وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) فَيَتَّقُونَ .

قوله تعالى : أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ  
 الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ  
 فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكَ  
 لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ( أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ) أى بالسيئات ، وهذا وعيد للشركين الذين  
 احتالوا فى إبطال الإسلام . ( أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ) قال ابن عباس : كما خسف  
 يقارون ، يقال : خَسَفَ المكانُ يخسفُ خسوفاً ذهب فى الأرض ، وخسف الله به الأرض  
 خسوفاً أى غاب به فيها ، ومنه قوله « نَحْنُ خَافَتَا بِهِ وَبَنَاتِهِ الْأَرْضَ » . وخسف هو فى الأرض  
 وخسف به . والاستفهام بمعنى الإنكار ؛ أى يجب ألا يأمِنُوا عقوبة تلحقهم كما لحقت  
 بالمكذِبِينَ . ( أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ) كما نزل بوم لوط وغيرهم . وقيل :  
 يريد بوم بدر ، فإنهم أهلكوا ذلك اليوم ، ولم يكن شئ منه فى حسابهم . ( أَوْ يَأْخُذَهُمْ  
 فِي تَقَلُّبِهِمْ ) أى فى أسفارهم ونصرتهم ؛ قاله قتادة . ( فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ) أى مسابِقين الله  
 ولا فائِثيه . وقيل : « فِي تَقَلُّبِهِمْ » على فراشهم أينما كانوا . وقال الضحاك : بالليل والنهار .  
 ( أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ) قال ابن عباس ونجاهد وغيرهما : أى على تنقص من أموالهم

ومواسمهم وزودهم . وكذا قال ابن الأعرابي : أى هل تنقص من الأموال والأفئس  
والثروات حتى أهلكهم كلهم . وقال الضعاف : هو من الخوف المني : يأخذ طائفة ويدع  
طائفة ، تخاف الباقية أن يزل بها ما تزل بصاحبها . وقال الحسن : « هل تخوف » أن  
يأخذ القرية تخافه القرية الأخرى ، وهذا هو معنى القول الذى قبله بعينه ، وهما راجعان  
إلى المعنى الأول ، وأن التخوف التنقص ، تخوفه تنقصه ، وتخوفه الدهر وتخوفه ( بالفاء  
والنون ) بمعنى : يقال : تخوف فلان حتى إذا تنقصك . قال ذو الرمة :  
لا ، بل هو الشوق بين دار تخونها • مرأى مصاب ومرأى يارب رب  
وقال ليلى :

• تخونها تزولى وارتحالى •

أى تنقص لها وشحمها . وقال الميمى بن مكي : التخوف ( بالفاء ) التنقص ، نسبة  
لأزدشوة . وأنشد :

تخوف قدوم مالى وأجدى • سلاسل فى الحلق لها حليل

وقال سعيد بن المسيب : بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر قال : يا أيها الناس ،  
ما تقولون فى قول الله عز وجل : « أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » فسبكت الناس ، فقال شيخ  
من بنى حديث : هى لنتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف التنقص . فخرج رجل فقال : يا فلان ،  
ما فعل دينك ؟ قال : تخوفته ، أى تنقصته ، فرجع فأخبر عمر فقال : عمر : أتعرف العرب ذلك  
فى أشعارهم ؟ قال نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد  
تمكده واكتنازه :

تخوف الرجل منها نايماً قريدا • كما تخوف عود التبعة السلف

(١) البارح : الرمح المارة فى الصدف الى فيها زاب كثير . (٢) هذا مجزأين ، ومصدره كالى السان :

« حَذَاظَةٌ تَقْصُصُ بِالرِّدَائِ »

(٣) كذا فى جميع الأصول ، والذى فى السان أنه لأن يقل وقيل لدى الرمة . (٤) القرد : ساء .

هذا : المراكم له بشف مرق بعض من السن . والتبعة : خيرة من أصحاب الجبال يخذلونها لئلا .

فقال عمر : يا أيها الناس ، عليكم بدواكم شعر الجاهلية فلن فيه تحميمكم وضاني كلامكم .  
 ثمك السلام بئك تمكنا ، أي طال ولزقنا ، فهو تامك . والسفن والسفن ، أي تجره الشبه .  
 وقال الليث بن سعد : « على مخوف » على عجل . وقيل : « على تفرج » بما قدسوه من لغوهم .  
 وهذا مروى عن ابن عباس أيضا . وقال قتادة : « على مخوف » أن يهاب أو يهابذ .  
 ( فَإِنَّ دَرَكَيْكُمْ زَكَاةً وَمَوْجِئُ ) أي لا يعاجل بل يعجل .

قوله تعالى : أَوْ لَرَّيُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَتَّبِعُوا زُلْفَى  
 مِنَ الْيَمِينِ وَالْأَسْمَاءِ بِسْمِ اللَّهِ وَهُمْ ذَكِرُونَ ﴿١٨﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى والأعمش ( تروا ) بالناء ، على أن الخطاب لمجس  
 الناس . الباقرن بإياه خبرا عن الذين يكرن السبيل ، وهو الاختيار . ( مِنْ شَيْءٍ ) يعني من  
 بسم قائم له ظل من شجرة أو جبل ، قاله ابن عباس . وإن كانت الأشياء كلها مبيعة مطيعة  
 لله تعالى . ( يَتَّبِعُوا زُلْفَى ) قرأ أبو عمرو ويقوب وغيرهما بالناء ثابث الظلال . ( الباقرن  
 بإياه ) واختاره أبو عبيد . أي ييل من جانب إلى جانب ، ويكون أول النهار على حال  
 ويتقلص ثم يسود في آخر النهار على حالة أخرى ؛ فتدور لها وميلاتها من موضع إلى موضع  
 يحدوها ، ومنه قيل للظل بالمشي : ق ، لأنه قائم من المغرب إلى المشرق ، أي رجع . والثي  
 الرجوع ، ومنه « حتى تقي » إلى أمر الله . روى معنى هذا القول عن الضحاك وقادة وغيرهما ،  
 وقد مضى هذا المعنى في سورة الرعدة . وقال الزجاج : يعني مجرد الجسم ، ومجروته أقياده  
 وما يرى فيه من أثر الصنعة ، وهذا عام في كل جسم . ومعنى ( وَهُمْ ذَكِرُونَ ) أي خاضعون  
 صاغرون . والدخور : البصائر والذل . يقال : ذخر الرجل ( بالفتح ) فهو داصر ، وأدسه الله .  
 وقال ذو الرمة :

فلم يبق إلا داخسر في محبس . ومنجهر في ضبر أرك في حجر

(١) آية ٩ سورة المجرات . (٢) راجع ٩ ص ٢٤٢ طبة أول أو ثالثة . (٣) كذا في كتبه  
 الفقه . يقال : البحر الغيب إذا دخل البحر . والقي في الأسرود وديوان . ذي الرمة : « منجهر في ضبر أرك  
 في حجر » بفتح الحاء على الجمع في الكلين .

كَذَا نَسَبَهُ لِمَا تَرَدَّى إِلَى الرُّمَّةِ، وَلَسَهُ بِالْمَرْمَرِيِّ الْقَرْدُوقِ وَقَالَ : الْخَيْسُ لَمْ يَمِنْ كَانَ  
بِالْعِرَاقِ أَيْ مَوْضِعَ الدُّنْجَالِ . وَقَالَ :

لَمَّا تَسَرَّقَى كَيْبًا مَكْبًا • بَيْتٌ بِسَدِّ قَافِجٍ مُخَيَّبَا

وَوَحَّدَ الْيَمِينَ فِي قَوْلِهِ : « عَنِ الْيَمِينِ » وَجَمَعَ الشِّمَالِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْنَى الْيَمِينِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا اجْتَمَعَ .  
وَلَوْ قَالَ : عَنْ الْأَيْمَانِ وَالشِّمَالِ ، وَالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ ، أَوْ الْأَيْمَانِ وَالشِّمَالِ بِلَازٍ  
لَأَنَّ لَفْظِي لِلْكُتَّةِ . وَأَيْضًا مِنْ شَأْنِ الْمَرْبِ إِذَا اجْتَمَعَتْ مَلَانَتَانِ فِي شَيْءٍ وَاسِدٌ أَنْ يَجْمَعَ  
إِحْدَاهُمَا وَقَرَدَ الْأُخْرَى ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ » وَكَقَوْلِهِ :  
« وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » وَلَوْ قَالَ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ وَإِلَى الْأَنْوَارِ بِنَزَرٍ . وَيُجِوزُ أَنْ  
يَكُونَ وَدَّ الْيَمِينَ عَلَى لَفْظِ « وَهَاهُ » وَالشِّمَالِ عَلَى مَعْنَاهَا . وَمِثْلُ هَذَا فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :  
الْوَارِدُونَ وَتَمَّ فِي قُدْرَا سَبَا • قَدْ عَصَّ أَعْقَابُهُمْ يَلْدُ الْجَوَامِيسِ<sup>(١)</sup>

وَلَمْ يَلَمْ جُلُودُ . وَقِيلَ : وَحَدَّ الْيَمِينَ لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَّتْ وَأَنْتَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ اجْتَسَدَ  
لِلظِلِّ مِنَ الْيَمِينِ ثُمَّ فِي حَالٍ يَبِيلُ إِلَى جِهَةِ الشِّمَالِ ثُمَّ حَالَاتٌ ، فَهِيَهَا شِمَالٌ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ  
وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٢)</sup> يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ  
مَا يُؤْمَرُونَ<sup>(٣)</sup>

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ) أَيْ مِنْ كُلِّ مَا يَدْبُ  
عَلَى الْأَرْضِ . ( وَالْمَلَائِكَةُ ) يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ ؛ وَإِنَّمَا أَفْرَدَهُم بِالذِّكْرِ لِاخْتِصَاصِهِمْ

(١) الْقَائِلُ قَرِيدًا عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ . وَتَابِعٌ ؛ مِمَّنْ بِالْكُتَّةِ كَانَ يَرْمِي قَوْسَ الْبَاءِ وَكَانَ مِنْ قَسَبٍ ، وَكَانَ  
الْمَرْبَرُ يَرْمِي بِهِ . وَقِيلَ : إِنْهُ قَبْ وَأُفْتُتْ مِنْهُ الْمَجْسُونُ ؛ هَدَاهُ عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ وَجَنَ الْخَيْسَ لَمْ يَمِنْ مَهْرٌ .

(٢) الْبَيْتُ بِالْمَرْبَرِ وَرَوَايَةُ دِيْرَانِهِ : عَصْرَكَ نِيْمَ وَتَمَّ فِي قَرَى سَبَا • ... ... الخ

(٣) حَكَاهُ وَرَدَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي الْأَصُولِ . وَلَعَلَّ سَوَابِغًا ؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَّتْ وَأَنْتَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ اجْتَسَدَ  
الظِّلُّ مِنَ الْيَمِينِ فِي حَالٍ ، ثُمَّ يَبِيلُ إِلَى جِهَةِ الشِّمَالِ فِي حَالَاتٍ ؛ فَهِيَهَا شِمَالٌ .

وَالَّذِي فِي الْبَيْتِ لِأَنَّ حَيَاتٍ : « وَقِيلَ : وَحَدَّ الْيَمِينَ وَجَمَعَ الشِّمَالِ لِأَنَّ الْإِبْدَاءَ مِنَ الْيَمِينِ ، ثُمَّ يَتَبَدَّلُ شَيْئًا شَيْئًا  
حَالًا مَدَّةً حَالًا ؛ هُوَ بِمَعْنَى الْجَمْعِ . صَدَقَ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَفْظُ الْإِبْدَاءِ فَتَدَدَ تَدَدُ الْحَالَاتِ » .

بشرى الملائكة ، فسيخرجهم من صفة الدجيب بالذكري وإن دخلوا فيها ، كقولهم : « فيها فأكبرها »  
 ونحل وردتان . • وقيل : لخروجهم من جملة ما يلبس لها جبل الله لهم من الأجنة ، فلم  
 يدخلوا في الجنة فذلك ذكرها . وقيل : أراد « والله سجد ما في السموات » من الملائكة  
 والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب ، وما في الأرض من دابة • وتسجد ملائكة  
 الأرض . (وَمَنْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) من عبادة ربهم . وهذا رد على قريش حيث زعموا أن  
 الملائكة بنات الله . ومعنى (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرْبِهِمْ) أى عقاب ربهم ومذابه ، لأن  
 لأعقاب الملك إنما يترى من السماء . وقيل : الذين يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ؟  
 ففي الكلام حذف . وقيل : معنى « يخافون ربهم من قُرْبِهِمْ » معنى الملائكة ، يخافون  
 ربهم وهي من فوق ما في الأرض من دابة ومع ذلك يخافونه ، فلأن يخاف من دونهم أولى ؟  
 دليل على القول قوله تعالى : (وَمَعْلُونٌ مَا يُؤْمَرُونَ) معنى الملائكة .

قوله تعالى : وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَلَّوْا لِلنَّاسِ آيَاتٍ إِنَّمَا هِيَ آيَاتُ وَحِيدٍ  
 فَأُولَئِكَ قَارِعُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَلَّوْا لِلنَّاسِ آيَاتٍ) قيل : التي لا تتخذونها آيات للناس .  
 وقيل : جاء قوله « آيات » توكيدا . ولما كان الإله الحق لا يتخذ وإن كل من يتخذ  
 وليس بآلة ، أقصر من ذكر الآيات ، لأنه قصد هي التسلية . (إِنَّمَا هِيَ آيَاتُ وَحِيدٍ) معنى  
 ذاته للقبسة . وقد قام البليل العقل والشرع على وجوبه حسب تقدم في « البقرة » بيانه  
 وذكره في اسمه الواحد في شرح الأسماء ، والحمد لله . (فَأُولَئِكَ قَارِعُونَ) أى يخافون .  
 وقد تقدم في « البقرة » .

قوله تعالى : وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الْكَوْبُ وَالْمِصْبُ  
 أَنْفَعُ اللَّهُ تَتَبَّعُونَ ﴿١٧﴾

(١) الآية ١٦ سورة النحل . (٢) الآية ١٧ سورة النحل .

قوله تعالى : ( وَهَذَا مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ) الذين : العلامة والإخلاص . وه : واصباً : معناه دائماً ، قاله الفراء ، حكاه الجوهري . وَصَبَ الشيء : يَصِيبُ وَصُوبًا ، أى دام . وَوَصَبَ الرجل على الأمر إذا واطب عليه . والمعنى : طاعة الله واجبة أبدًا . ومن قال واصباً دائماً : الحسن ومجاهد وقادة والضحاك . ومنه قوله تعالى : « وَهُمْ مَذْذَبٌ وَاصِبٌ » (١١٩) ، أى دائم . وقال الثعلبي :

لا ابتنى الحمد القليل بقاؤه • يوم يكون الدهر أجمع واصباً  
أشد الغزوى والتلبي وغيرهما .

ما ابتنى الحمد القليل بقاؤه • يوما يجم الدهر أجمع واصباً  
وقيل : الوَصَبُ الثوب والإحياء ، أى يجب طاعة الله وإن تعبد العبد فيها . ومنه قول الشاعر :  
لا يَمْسُكُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبٌ • وَلَا يَمُتُّ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّغِيرِ  
وقال ابن عباس : « واصباً » واجباً . الفراء والكوفي : مخلصاً . ( أَفْتَرِ اللَّهُ شَقُونَ ) أى  
لا يفتي أن شقوا غير الله . « خير » نصب : « شقون » .

قوله تعالى : ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْهَرُونَ ) (١) ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٢) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَمَتَّعُوا قَسُوفَ تَعْلَمُونَ (٣)

قوله تعالى : ( وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ) قال الفراء : « ما » بمعنى الجزاء . والباء  
في « بكم » متعلقة بفعل مضارع ، تقديره : وما يكن بكم . ( مِنْ نِعْمَةٍ ) أى صحة جسم وسهولة  
وزدة وولد فمن الله . وقيل : المعنى وما بكم من نعمة فـ : الله هي . ( ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ )

(١) آية سورة النمل . (٢) انظر لأعلى باحة . وانظر الأول من بيت ، والثاني من بيت آخر . والثالث :  
لا يتأذى لما في القصور إليه • ولا يمتن على شروبه العفري  
لا يفتن الساق من أين ولا صب • ولا يزال أمام القوم يفتن  
تأذى بالمكان : أدام . « تأخر » : خضوف — كل من غلبه شخص بؤكل — مصلح بكل منع مثل خضوف  
الكتف . والعفري ( بالضم ) : داء في البطن يسفره قريح . وقيل : الصفر من الجرح . وانظر الأثر : تبه .



أى السقم والبلاء والخطب . (قَالَ تَجَارُونَ) أى تضجون بالعماء . يقال : جَارَ جَارًا جَوَارًا  
وَالْجَوَارُ مِثْلُ الْمَوَارِ ، قَالَ : جَارَ التَّوْبُ بِجَارٍ ، أى صاح . وقرا بعضهم وعجلاً حسنة جر  
حكاة الأفض . وجار الرجل إلى الله ، أى تضرع بالعماء . وقال الأعشى يصف برة :  
فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة . وكان النكران نفيفاً وجاراً<sup>(١)</sup>

(ثُمَّ إِنَّا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ) أى البلاء والسقم . (إِنَّا فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْيَمِّ) بعد إزالة  
البلاء وبعد الجوار . فمضى الكلام للتخليص من الإشراف بعد النجاة من الملاك ، وهذا للمنى  
مكرر في القرآن ، وقد تقدم في الأنعام ويونس ، وإتى في سبحان وغيرها . وقال  
الربيع : هنا خاص بين كفر . (لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أى ليجحدوا نعمة الله التى أنعم بها عليهم  
من كشف الضر والبلاء . أى أنثروا ليجحدوا ، فالام لام كي . وقيل لام العطف . وقيل :  
& لِيُكْفِرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، أى ليجعلوا النعمة سبباً للكفر ، وكل هذا فعل غيث ، كما قال :  
& وَالْكَفْرُ عُتَّةٌ لِّلنِّسْرِ<sup>(٢)</sup> .

(فَتَنَّا) أمر مجدي ، وقرا جنداه ، قل تمنا . (فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ) أى فانيه امرهم .

قوله تعالى : وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَحْسَبُونَ نَصَبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ثَأْلَةً  
لِّنَحْشُرَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَحْسَبُونَ نَصَبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) ذكر نوعاً من  
جهالتهم ، وأنهم يجعلون لما لا يحسبون أنه بضرب يقع - وهى الأصنام - شيئاً من أموالهم  
يعتزون به إليه ، قاله جماعة وقادة وغيرها . فو يجعلون = على هذا التركيب . وقيل على

(١) كذا فى الأصول . والى فى اللسان مادة « شيف » وكتاب سيرة ج ٢ ص ١٧٤ : أنه القابض الجدي .  
(٢) فى الأصول : « طيف » بالهـ . والصواب فى اللسان وكتاب سيرة . وتفسير : تفتق وتخلو  
والكفر : الإنكار . والجوار : الضيق . والمنى : أن عمله لفترة فقدت ولهذا خاف أن يهلكه الله تعالى .  
ولا إنكار محض ولا انكار عما عدل به لها إلا أن تفتق وتخلو وتصح . (٣) جامع ج ٧ ص ٨٠ و ٨١  
ص ٣١٧ طبعه أميل رانية . (٤) هذا يخرج من حقة خثرة وعنده .  
• نفت مرا غير شاكر نص .

الأوثان ، ويترى بالواو والتون مجرى من يعقل ، فهو رد على « ما » ومفعول يعمل محذوف ، والتقدير : ويعمل هؤلاء الكفار للأصنام التي لا تعلم شيئا نصيبا . وقد مضى في « الأصنام » تفسير هذا المعنى في قوله : « فَعَالُوا هَذَا فَهُمْ يَرْغَبُونَ فِيهِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » ثم رجع من الجهر إلى الخطاب فقال : « تَاللَّهِ لَتَسْلُتُنَّ يَا وَيْهَذَا زَوَالُ تَوْبِيخٍ » (عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) أي تختلفونه من الكتب على الله أنه أمركم بهذا .

قوله تعالى : وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : ( وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ) نزلت في نزاعة وكثافة ؛ فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله ، فكانوا يقولون الخفوا البنات بالبنات . ( سُبْحَانَهُ ) تزه نفسه وعظمها عما نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد . ( وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) أي يجعلون لأنفسهم البين ويقفون من البنات . وموضع « ما » وقع بالابتداء والخبر . لم « وتم الكلام عند قوله : « سبحانه » . وأجاز الفراء كونها نصيبا ، على تقدير : ويجعلون لهم ما يشتهون . وأنكره الزجاج وقال : العرب تستعمل في مثل هذا ويجعلون لأنفسهم .

قوله تعالى : وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ) أي أخبر أحدهم بولادة بنت . ( ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ) أي متغيرا ، وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض ، وإنما هو كناية عن غصة بالبنت . والعرب تقول لكل من لقي مكروها : قد اسود وجهه غما وحزنا ؛ قاله الزجاج . وحكى الماوردي أن المراد سواد اللون قال : وهو قول الجمهور . ( وَهُوَ كَظِيمٌ ) أي غملي . من الغم . وقال ابن عباس : حزين . وقال الأخفش : هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره . وقيل : إنه المنعوم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم ؛ ماخوذ من الكظامة وهو شد فيم القريبة ؛ قاله علي بن موسى . وقد تقدم هذا المعنى في سورة « يوسف » .

(١) داسج ٧ ص ٨٩ طبة أدل أدانة . (٢) راجع ٩ ص ٢٤٩ طبة أدل أدانة .

قوله تعالى : يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرْتُمْ أَيَسْكُرُ عَلَى  
هَؤُلَاءِ مَا يَدُسُّ فِي الْأَتْرَابِ إِلَّا صَاةٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ( يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ ) أى ينجى ويتقرب . ( مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرْتُمْ )  
أى من سوء الحزن والعار والحياء الذى يلحقه بسبب البت . ( أَيَسْكُرُ ) ذكر الكتابة لأنه  
مردود على « ما » . ( عَلَى هَؤُلَاءِ ) أى هواناً . وكذا قرأ عيسى التتقى م على هواناً . والهوان  
الهوان بلفظ قريش ؛ قاله الأزهري وحكاه أبو حنيفة عن الكسائي . وقال الفراء : هو التلذذ  
بلغة تميم . وقال الكسائي : هو البلاء والمشقة . وقالت الخنساء :

نُهِنَ الْقَوْمُ وَهُوَ الْقَوْمُ . من يوم الصكرية أتى بها

وقرأ الأعمش « أيسكر على سوء » ذكره الناس ، قال : وقرأ الجعدي « وأم بسما في الأتراب »  
يرد على قوله : « والأش » ويزعم أن يقرأ « أيسكرها » . وقيل : يرجع الحزان إلى البت ؛  
لأن أيسكرها وهى مهانة عنده . وقيل : يرجع إلى المولودة ؛ أيسكر على زعم أنه لم يصبه  
في الأتراب وهو ما كانوا يفعلونه من دفن البت حية . قال قاتل : كان مقرر وشامة يفتون  
البنات أحياء ؛ وأشدنهم في هذا تميم . زعموا خوف الفهر طبعهم وطبع غير الأكفاء نعين ؛  
وكان صفة من تأجبه ثم الفرزدق إذا أحسن بشيء من ذلك وجهه إلى والد البت إلا  
يستحيى بذلك . فقال الفرزدق يخترق :

وغنى الذى منع الواثقات . وأحيا الوئيد لم يواد

وقيل : سبها إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف ، كاللمسوس في الأتراب لإخفائه عن  
الأبصار ؛ وهذا عمل .

مسئلة - ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاءني امرأة وبها  
أبتان لها ، فسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها  
ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت وأبناها ، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته

حديثها، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "من ابتلى من الثبات بشيء فأحسن اليهن كن له شرا من النار". ففى هذا الحديث ما يدل على أن الثبات بلية، ثم أخبر أن من الصبر ملين والإحسان بالين ما يبق من النار. وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جاءتني مسجينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت لى فيها تمرة لتأكلها فاستطعت أبتاها فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما؛ فأعجبني شأنها، فذكرت الذى صنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إن الله عز وجل قد أوجب لها بها الجنة أو أعفها بها من النار". وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من مال جاريتين حتى تبلها جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه، بترجعهما أيضا مسلم رحمه الله ! وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من كانت له بنت فأحبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأسبغ عليها من نعم الله التى أسبغ عليه كانت له مثقالا من الجارية من النار". وخُطب إلى عقيل بن علفة ابنة الجرياء فقال :

إلى وإن يسبق إلى النهو • ألف وعبدان وخسور عشر  
• أحب أصهارى إلى القهر •

وقال عبد الله بن طاهر :

لكل أب بنت يراعى شؤونها • ثلاثة أصهار إذا محمد الصبر  
قبل يراعيها ويخدر يكفها • وفبر يورينا وخيرهم القبر

(الأمم ما يحكمت) أى فى إضافة الثبات إلى خالقهم وإضافة البنين إليهم . نظيره  
• ألكم الذكر وله الأنثى • يلك إننا قسمة خبرى • أى جارة، وسباقى •

(١) التمرة : جمع خزانة مل فى لباس، ومن التامة التمرة : اللبن . (٢) آية ٢١ سورة النجم .

قوله تعالى : **لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّىِّ وَفِيهِ لَلْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ( **لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** ) أى هؤلاء الواصفين لله البتة ( **مَثَلُ السَّوِّىِّ** ) أى حصة السوء من الجهل والكفر . وقيل : هو وصفهم الله تعالى بالعاجية والولد . وقيل : أى البذاب والنار . ( **وَفِيهِ لَلْأَعْلَىٰ** ) أى الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد . قاله قتادة . وقيل : أى الصفة العليا بأنه خالق رازق قادر ومجاز . وقال ابن عباس : « مثل السوء النار » والمثل الأعلى « شهادة أن لا إله إلا الله » . وقيل : ليس كذلك شيء . وقيل : « وفيه المثل الأعلى » كقوله : « **اللَّهُ تَوَّابٌ عَلِيمٌ** » (١) « **فَإِنْ قِيلَ** » كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال : « **فَلَا تَضُرُّوهُ** » فالجواب أن قوله : « **فَلَا تَضُرُّوهُ** » أى الأمتال التى توجب الأشياء والتفاسى ؛ أى لا تضره بآية مثلا يقتضى نقضا وتشبيها بالخلق . والمثل الأعلى وصفه بما لا شبه له ولا نظير ، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا . ( **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ) تقدم معناه .

قوله تعالى : **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ ظُلْمًا مِنْ دَآئِبَةٍ وَلَكِنْ يُوَفِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْلِمُونَ** ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ** ) أى يكفرهم واقترانهم ، وما جعلهم . ( **مَاتَرَكَ ظُلْمًا** ) أى على الأرض ، فهو كناية عن غير مذكور ، لكن دل عليه قوله : ( **مِنْ دَآئِبَةٍ** ) فإن الدابة لا تدب إلا على الأرض . والمعنى المراد من دابة كافرة ، فهو خاص . وقيل : المعنى أنعلواهلك الآباء يكفرهم لم تكن الأبناء . وقيل : المراد بالآية العموم ؛ أى لو آخذاه الخلق بما كسبوا مترك على

(١) آية ٣٥ سورة النور . (٢) آية ٧٤ من هذه السورة . (٣) راجع ١٥٨ - ٢٨٧ - ٢٨٨ .  
ص ١٣١ طبع ثانية .

ظهر هذه الأرض من حافة من نبي ولا غيره؛ وهذا قول الحسن. وقال ابن مسعود وقرا هذه الآية؛  
لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجنان في سحرة<sup>(١)</sup>  
ولأسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فأت الدواب، ولكن الله يأخذ بالغير  
والفضل؛ كما قال: «وَيَقْوَعَنَّ كَثِيرٌ» (فَأَنذَرْنَا بِهِ آجَلَهُمْ) أي أجل موتهم ومنه  
أعمارهم. (لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ) وقد تقدم. فإن قيل: فكيف يتم بالحلاك  
مع أن فيهم مؤمنا ليس بظالم؟ قيل: يجعل حلاك الظالم انتقاما وجزاء، وحلاك المؤمن  
معوذا برب الآخرة. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول: «إذا أراد الله بقوم مذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على نياتهم»<sup>(٢)</sup>  
ومن أم مسامة ومثلت عن الجليلي الذي يخسف به وكان ذلك في ليوم ابن الزبير، فقالت  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤخذ باليتم طائفة فيست إلى بهت فإذا كانوا بيضاء  
من الأرض خُفِيف بهم» فقالت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارها؟ قال: «يخسف  
به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على يده» (وقد أخطأ على هذا المتن جوهرة في كتاب  
الذكرة) وتقدم في «الملائكة» وكنوز «الأشهاد» ما فيه كتابة والحمد لله. وقيل: «فإذا  
راء آجلهم» أي فإذا جاء يوم القيامة. والله أعلم.

قوله تعالى: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ  
أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) أي من الباطل. (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ)  
أي وتقول للسنتهم الكذب. (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى) قال مجاهد: هو قولهم أن لهم البين والله  
الباطل. «الكذب» مفعول. تصف «وه أن» في محل نصب بدل من الكذب؛ لأنه

(١) الجنان (بكر الجيم جمع جبل، كمردي) دابة مسودة من دراب الأرض. (٢) آية ٢٠  
درة الثوري. (٣) راجع ٧ ص ٢٠٢ طبة أول مرة ثانية. (٤) في صحيح مسلم  
: على أعمالهم. (٥) راجع ٦ ص ٢٤١ ر ٧ ص ١٥٢ طبة أول مرة ثانية.

بيان له . وقيل : « الحسن » الجزء الحسن به قاله الزجاج . وقرأ ابن عباس وأبو العالية  
ومجاهد وابن محيص « الكُذِّب » برفع الكاف والذال والياء فتا للألسنة وكذا « ولا تَهْوِ  
لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكَ الْكَذِبُ » . والكُذِّب جمع كذوب ؛ مثل رَمُولٌ ورُمُلٌ وصَبُورٌ وصَبِيرٌ وشُجُورٌ  
وشُكْرٌ . ( لَا ) رد لقولهم ، وتم الكلام ؛ أى ليس كما تزعمون . ( بَرَّمْ أَنْ لَمْ تَأْتِ ) أى حقا  
أن لم تأتِ النار . وقد تقدم مستوف . ( وَأَنْتُمْ مُقَرَّبُونَ ) متروكون ملبسون في النار ؛ قاله  
أبو الأعرابي وأبو عبيدة والكسائي والقرطبي ، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد . وقال ابن  
عباس وسعيد بن جبير أيضا : ميعدون . قادة والحسن : معجلون إلى النار مقدمون إليها .  
والقارط : الذى يتقدم إلى الماء ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا قَرُطُكُمْ عَلَى  
الْحَوْضِ » أى متقدمكم . وقال القعقاعي :

فاستعملوا وكانوا من صحابتنا . كما تمجِّلُ فُسْطَاطَ لُؤْزَادِ

والفُسْطَاط : المتفردون في طلب الماء . والوزاد : المتأخرون . وقرأ نافع في رواية وثَّش  
« مُقَرَّبُونَ » بكسر الراء وتخفيفها ، وهى قراءة عبد الله بن مسعود وابن عباس ، ومنه  
مُسَرَّفُونَ في الذنوب والمعصية ، أى أفرطوا فيها . يقال : أفرط فلان على فلان إذا أرتى  
عليه ، وقال له أكثر مما قال من الشر . وقرأ أبو جعفر القارئ « مُقَرَّبُونَ » بكسر الراء  
وتشديدها ، أى مضيقون أمر الله ؛ فهو من التفريط في الواجب .

قوله تعالى : تِلْكَ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَىٰ قَوْمُهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُتُوًّا وَلَهُمْ أَلْيَمُ وَأَلْيَمُ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ( تِلْكَ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَىٰ قَوْمُهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ) أى  
أعمالهم الخبيثة . هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن من تقدمه من الأنبياء قد كفر بهم  
قَوْمُهُمْ . ( فَهَوَّ أَلْيَمُ الْيَوْمُ ) أى تأسروهم في الدنيا على زعمهم . ( وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ )

في الآخرة . وقيل : « فهو وليهم » أي قرينهم في النار . ( اليوم ) يعني يوم القيامة ، وأطلق عليه اسم اليوم لشهرته . وقيل يقال لم يوم القيامة : هذا وليكم فاستنصروا به ليتمكم من العذاب ، على جهة التوبيخ لهم .

قوله تعالى : وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ) من الدين والأحكام فتقوم الحجة عليهم ببيانه . وعطف « هدى ورحمة » على موضع قوله « لِيُبَيِّنَ » لأن عمله نصب . وبجاز الكلام : وما أُنزِلَ عليك الكتاب إلا تبياناً للناس . ( وَهُدًى ) أي رشداً ورحمة للؤمنين .

قوله تعالى : وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْيِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ) أي السحاب . ( مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْيِهَا ) عاد الكلام إلى تعداد النعم وبيان كمال القدرة . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) أي دلالة على البعث وعمل وحدانيته ، إذ علموا أن معبودهم لا يستطيع شيئاً ، فتكون هذه الدلالة . ( لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ) عن الله تعالى بالقلوب لا بالأذان ، « فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور » .<sup>(١١)</sup>

قوله تعالى : وَإِنْ لَكُ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٣﴾



## فيه عشر مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَبَةٌ ) قد ختم القول في الأنعام ، وهي هنا الأصناف الأربعة : الإبل والبقر والغن والماعز . ( لبّة ) أى دلالة على قدرة الله ووحدايته وعظمته . واللبّة أصلها تمثيل الشيء بالشيء تعرف حقيقة من طريق المشاكلة ، ومنه « فأغثروا » . وقال أبو بكر الورزاق : العبة في الأنعام تفسيرها لأربابها وطاعتها لهم ، وتمزك على ربك وخلاصك له في كل شيء . ومن أعظم العبر يرى بهل مذنبها .

الثانية - قوله تعالى : ( تُسَيِّكُم ) قراءة أهل المدينة وابن طبر واعم في رواية أبي بكر ( يفتح النون ) من سقى يسقى . وقرأ الباقون وحض عن طعم ( يضم النون ) من أسقى يسقى ، وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة . قيل : هما لتان . وقال ليد :

سقى قومي بنى حميد وأسقى • تمجداً والقبائل من هلال

وقيل : يقال لما كان من يدك إلى فيه سقىته ، فإذا جعلت له شيئاً أو عرضته لأن يشرب فيه أو يزرعه قلت أسقىته ، قاله ابن عريز ، وقد تقدم . وقرأت فرقة ( تسبيك ) بالياء ، وهي ضعيفة ، معنى الأنعام . وقرأ بالياء ، أى يسبيك الله عز وجل . والقرء على القراءتين المتقدمتين ، ففتح النون لغة قريش وضما لغة حمير .

الثالثة - قوله تعالى : ( مِمَّا فِي بُطُونِهِ ) اختلف الناس في الضمير من قوله : ومما في بطونه ، على ماذا يعود . فقيل : هو عائد إلى ما قبله وهو جمع المؤنث . قال سيبويه : العرب تحب من الأنعام بغير الواحد . قال ابن العربي : وما أراه عزول عليه إلا من هذه الالة ، وهذا لا يشبه منصبه ولا يليق بإدراكه . وقيل : لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويؤنث فيقال : هو الأنعام وهي الأنعام ، جازعود الضمير بالذكر ، وقاله الزجاج .

(٢) من آية ٢ سورة النحر .

(١) راجع ٧ ص ١١١ طبة أول أربعة .

(٢) راجع ١ ص ١١٧ طبة ثانية أربعة .

وقال الكسائي: «منه ما رواه ابن جرير: قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ ذِكْرُهَا﴾ فمن شأه في ذكْره» وقال الشاعر:

«مثل الفواخ ثبثت مواضعه»

ومثله كثير. وقال الكسائي: «تتأني في بؤونه» أي حيا في بطون بعضه؛ إذ الذكر أول ألبان لما وهو الذي عول عليه أبو عبيدة. وذلك الغراء: الأقسام والنعم واحد، والنعم يذكر، ولهذا قول العرب: هذا نعم وارد؛ فرجع التعمير إلى لفظ النعم الذي هو بمعنى الأنعام. قال ابن العربي: إنما رجع التذكير إلى معنى الجمع، والتأنيث إلى معنى الجماعة؛ فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع، وأنه في سورة المؤمنین باعتبار لفظ الجماعة فقال: «تُسقيكم مما في بطونها» وبهذا التأويل ينظم المعنى انتظاما حسنا. والتأنيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع أكثر من تأنيث يمين وتجاه فلسطين.

الرابعة - استنبط بعض العلماء الحجة وهو القاضي إسماعيل من عود هذا الضمير، أن لبن النمل يفيد التحريم، وقال: إنما جيء به مذكرا لأنه راجع إلى ذكر النعم، لأن اللبن للذكر محسوب، لذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم بأن لبن النمل يحرم حين أنكرته عائشة في حديث أنفق أي أبي القيس «قال امرأة السقي وللرجل القحاح» بخرى الاشتراك فيه بينهما، وقد مضى القول في تحريم لبن النمل في «النساء» والحمد لله.

قال تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ نسيه سبحانه على عظم قدرته بخروج اللبن خالصا بين القَرْثِ والدم. والقَرْثُ: الزبل الذي يترى إلى الكرش، فإذا خرج لم يسم قَرْثًا به. أفترت الكرش إذا أخرجت منها لبنا. والمعنى: أن الطعام مكوّن منه الدم الكرش، ويكون منه الدم، ثم يخلص اللبن من الدم، فأعلم الله سبحانه أن هذا اللبن من بين ذلك وبين الدم في المروق. وقال ابن عباس: إن العادة تأكل العلف

١ سورة البقرة ١٦٨ - سورة مريم ٢٤ - سورة البقرة ٢٤ - سورة البقرة ٢٤ - سورة البقرة ٢٤

٢ (٣) ولا تذكره أمارة (٤) راجع به ١١١ طبعه أول أرمانيا

فإذا استقر في كرشها طيخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلى دماً، والكبد مسطحة على هذه الأصناف تنقسم الدم وتجزئه وتجزئه في العروق، وتجري الآلة في الضرع ويؤتي الفرت كما هو في الكرش؛ « حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّحْرُ » (١) خَالِصاً. من حمرة الدم وقذارة الفرت وقد جمعهما وعاء واحد. وقال ابن بحر: خالصاً بياضه. الثانية:

« بِخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ خُضْرِ الْمُنَاكِبِ »

أي ببيض الأكمام. وهذه قدرة لا تنبئ إلا للقائم على كل شيء بالمص.

السادسة — قال القفاش: في هذا دليل على أن المني ليس غريباً، قاله أيضاً غيره واحتج بأن قال: كما يخرج اللبن من بين الفرت والدم سائفاً خالصاً كذلك يخرج المني على مخرج البول طاهراً. قال ابن العربي: إن هذا لمهل عظيم وأخذ شاربين جاء الخبر منه بحجة النعمة والمنة الصادرة عن القدرة ليكون عبرة، فاقضى ذلك كله رصف الجلوس واللذة، وليس المني من هذه الحالة حتى يكون ملحقاً به أو مقيساً عليه.

قلت: قد بارع هذا بأن يقال: وأى مئة أعظم وأرفع من مخرج المني الذي يكون منه الإنسان المكرم؟ وقد قال تعالى: « يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ »، وقال: « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةً » وهذا غاية في الإلهام. فإن قيل: إنه ينتجس بخروجه في مجرى البول، قلنا: هو ما أردناه، فالنجاسة عارضة.

طاهر؛ وقد قيل: إن تحرجه غير مخرج البول وخاصة المرأة؛ فإن مدخل الذكر منها ومخرج الولد غير مخرج البول على ما قاله العلماء. وقد تقدم في البقرة. فإن قيل: أصله دم فهو نجس، قلنا ينتقض بالمسك، فإن أصله لحم وهو طاهر. ويحتمل أن بطهارته الشافعي بإحدى وإسحاق وأبو ثور وغيرهم؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبسا يظفري. قال الشافعي: فإن لم يهرك فلا بأس به. وكان سعد

(١) آية ٥ سورة النحل. (٢) الأردان: جمع ردن (بضم الراء ويكون الدال) وهو أصل الكم.

(٣) آية ٧ سورة النحل. (٤) آية ٧٢ من هذه السورة.

ابن أبي وقاص يسرك المني من توبه . وقال ابن عباس : هو كالأثامة أيطه عك بإذنية  
واسمه بخرقة . فإن قيل : فقد ثبت عن عائشة أنها قالت : كنت أغسل المني من توب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوب وأنا أنظر إلى أثر الغسل  
فيه . قلنا : يحتمل أن تكون غسله استفذارا كالأشياء التي تزال من الثوب كالنجاسة ، ويكون  
هنا اجتماع بين الأحاديث . والله أعلم . وقال مالك وإسحاق والأوزاعي : هو نجس . قال  
مالك : غسل الاحتلام من الثوب أمر واجب مجتمع عليه عندنا ، وهو قول الكوفيين .  
وزياد عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وجابر بن سمرة أنهم غسلوه من ثيابهم . واختلف  
فيه عن ابن عمر وعائشة . وعلى هذين القولين في نجاسة المني وطهارته التابون .

السابعة - في هذه الآية دليل على جواز الاستمتاع بالألبان من الشرب وغيره ، فاما  
بين البنية فلا يجوز الاستمتاع به ، لأنه مانع طاهر حصل في وعاء نجس ، وذلك أن ضرع  
البنية نجس واللبن طاهر فإذا غلب صار مأخوذاً من وعاء نجس . فاما لبن المرأة البنية  
فأختلف أصحابنا فيه ، فمن قال : إن الإنسان طاهر حياً وميتاً فهو طاهر . ومن قال :  
ينجس بالموت فهو نجس . وعلى القولين جميعاً ثبت الحرمة ، لأن الصبي قد يقتدى به كما  
يقتدى من الحية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرضاع ما أنبت اللحم  
وأنشز العظم » . ولم يخص ، وقد مضى في « النساء » .

الثامنة - قوله تعالى : ( سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ) أي لذيذاً هيناً لا يقص به من شره  
يقال : ساءغ الشراب يسوغ سوغاً أي سهل مدخله في الحلق ، وأساغه شارباً ، وسقته أنا أسقته  
وأسوفه ، يتعدى ولا يتعدى ، والأجود أسفته إسافة . يقال : أسغ لي غصتي أي أهملي  
ولا تطغني ، وقال تعالى : « تَجَزَّأَهُ وَلَا يَكَادُ بِسَيْفِهِ » . والسواغ ( بكسر السين ) ما أسفته  
به غصتك . يقال : الماء سواغ الفصص ، ومنه قول الكعبية ،  
فكانت سِوَاغًا أَنْ جَوَّتْ بَحْصَةً .

وروي أن اللبن لم يترق به أحد قط ، وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الناشئة في هذه الآية دليل على استعمال الخلوة والأطعمة اللذيذة وتناولها ، ولا يقال : إن ذلك يتنافى الزهد أو بياعه ، لكن إذا كان من وجهه ومن غير سرف ولا إكثار . وقد تقدم هذا المعنى في « المائدة »<sup>(١)</sup> وغيرها . وفي الصحيح عن أنس قال : لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح هذا الشراب كله : العسل والتبذ واللبن والماء . وقد ذكره بعض القراء أكل الفالودج<sup>(٢)</sup> واللبن من الطعام ، وإباحه عامة العلماء . وروى عن الحسن أنه كان على نائمة ومعه مائة دينار ، فأتى بالفالودج فامتنع عن أكله ، فقال له الحسن : كل ! فإن عليك في الماء البارد أكثر من هذا .

المائة — روى أبو داود وغيره عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن فشرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه . وإذا شربنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يجرى عن الطعام والشراب إلا اللبن » . قال علماؤنا : كيف لا يكون ذلك وهو أول ما يقتضى به الإنسان وتبني به الجنة والأبدان ، فهو قوت خلى عن المفاسد به قوام الأجسام ، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم أمة ؟ فقال في الصحيح : « جاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال لي جبريل اخترت الفطرة أما إنك لو اخترت الخمر غوت أمتك » . ثم إن في الدعاء بالزيادة منه علامة الحسب وظهور الطيريات والبركات ، فهو مبارك كله .

قوله تعالى : **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴿٧﴾

فيه مسائلان .

الأولى — قوله تعالى : ( **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ** ) قال الطبري : التقدير ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون ؛ فحذف « ما » ودل على حذفه قوله : « منه » . وقيل :

(١) راجع ج ٦ ص ٢٦٠ وما بعدها . وج ٧ ص ١٩١ طبعه أول مرة .

(٢) الفالودج ، خلوة تعمل من العسل والماء العسل . ( من الألفاظ العريبة للبرقي ) .

المحذوف شيء، والأمر قريب . وقيل : معنى « منه » أى مر المذكور، فلا يكون في الكلام حذف وهو أولى . ويجوز أن يكون قوله : « ومن ثمرات » عطفاً على « الأعنام »، أى ولكم من ثمرات التحليل والأعنام مرة . ويجوز أن يكون معطوفاً على « مما » أى ومن ثمرات أيضاً مشروبات من ثمرات .

الثانية - قوله تعالى : ( سَكْرًا ) السكر ما يسكر ، وهذا هو المشهور في اللغة . قال ابن عباس : نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر . وأراد بالسكر الخمر ، وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل ويشرب حللاً من هاتين الشجرتين . وقال بهذا القول ابن جبير والنجاشي والشافعي وأبو ثور . وقد قيل : إن السكر الخمر بلغة الحبشة ، والرزق الحسن الطعام . وقيل : للسكر العصير المحلول الحلال ، وتسمى سكرًا لأنه فيد يصير مسكرًا إذا شرب ، فلذا نزع الإسكار تحريم . قال ابن العربي : « أسد هذه الأقوال قول ابن عباس ، ويخرج ذلك على أحد مذهبين ، إما أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر ، وإما أن يكون المعنى : أنتم الله عليكم ثمرات التحليل والأعنام لتتخذون منه ما حرم الله عليكم من الخمر ، وما أحل لكم من الثمرات المحلولة ، فلهذا لم يسم الله الخمر ، والصحيح أن ذلك كان قبل تحريم الخمر فكان مسوخاً ، فإن قصده الآية مكينة بالحق من العلماء ، وتحريم الخمر مدى » .

قلت : فعل أن السكر الخمر أو العصير المحلول لا نسخ ، وتكون الآية محكمة وهو حسن . قال ابن عباس : الحبشة يستعملون السكر ، إلا أن الجمهور على أن السكر الخمر ، مهم ابن مسعود وابن عمر وأبو رزين والحسن ومجاهد وابن أبي ليلى والشافعي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم ، كلهم قالوا : السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما . وكذا قال أهل اللغة : السكر اسم للخمر وما يسكر ، وأنشدوا :

شئ الصُّحاة وبشئ الشُّربُ شربهم • إذا حرى فبهم المناء والسكر

والرزق الحسن : ما أحله الله من ثمرتيهما . وقيل : إن قوله « تتخذون به سكرًا » خبر معناه الاستفهام بمعنى الإنكار ، أى اتخذون منه سكرًا وتعدون رزقاً حسناً الخمر والزبيب

والنحر، كقوله : « فهم الخاللون » أى أنهم الخاللون . والله أعلم . وقال أبو حنيفة :  
 السكر الطعم ، يقال : هذا سكر لك أى طعم . واقتد :  
 • جعلت حبيب الأكرمين سكرًا •

أى جعلت ذقهم كلها . وهذا اختيار الطبري أن السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه من  
 ثمار الخيل والأعناب ، وهو الزرق الحسن ، فاللفظ غثف والمبنى واحد ، مثل « إتنا  
 أشكو بنى وحزنى إلى الله » وهذا حسن ولا نسخ ، إلا أن الزجاج قال : قول ابن عبيدة هذا  
 لا يعرف ، وأهل التصريح خلافه ، ولا حجة له فى البيت الذى أنشد ؛ لأن مقام عند غيره  
 أنه يصف أنها تخمر بوجوب الناس . وقال الحضيون : المراد بقوله : « سكرًا » ما لا يسكر  
 من الأنبياء ، والدليل عليه أن الله سبحانه وتعالى امتن على عباده بما خلق لهم من ذلك ، ولا  
 يقع الاستئذان إلا بعمل لا بعزم ، فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من التبيذ ،  
 فإذا انتهى إلى السكر لم يجز ، وعقدوا هذا من السنة بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال : « حرم الله الخمر بيننا والسكر من غيرها » . وبما رواه عبد الملك بن نافع عن  
 ابن عمر قال : رأيت رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الركن ، ودفع إليه  
 القدح فرفضه إلى فيه فوجده شديدا فرده إلى صاحبه ، فقال له حيث ذرته ربي من القوم :  
 يا رسول الله ، أحرام هو ؟ فقال : « على بالرجل » فأتى به فأخذ منه القدح ، ثم دعا بماء  
 فصب فيه ثم رفعه إلى فيه فغلب ، ثم دعا بماء أيضا فصب فيه ثم قال : « إنا اغتسلت<sup>(١)</sup>  
 عليكم هذه الأوعية فأكسروا مكنيتها بالماء » . وروى أنه عليه السلام كان يتبذله فيشربه ذلك  
 اليوم ، فإذا كان من اليوم الثانى أو الثالث سقاء الخلاء إذا تئبر ، ولو كان حراما ما مضاه أيامه  
 قال الطحاوى : وقد روى أبو عون التتقي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال :  
 حرمت الخمر بيننا القليل منها والكثير والسكر من كل شراب ، نخرجه للمار فطفي أيضا .

(١) آية ٨٦ سورة يوسف .

(٢) الاختلاف بجملة الحمد ، أى لما جازت حدا الذى لا يسكر الله حده الخمر وسكر .

قضى هذا الحديث وما كان مثله ، أن غير الخمر لم تحرم عنه كما حرمت الخمر بعينها . قالوا : واغتر  
شراب العنب لا خلاف فيها ، ومن حجتهم أيضا ما رواه شريك بن عبد الله ، حدثنا أبو إسحاق  
المهمذاني عن عمرو بن ميمون قال قال عمر بن الخطاب : إنا نأكل كل يوم هذه الإبل وليس  
يقطعه في بطوننا إلا للبيذ . قال شريك : ورأيت التورى يشرب البيذ في بيت حبر أهل  
زمانه مالك بن ينول . والجواب أن قولهم : إن الله سبحانه وتعالى آمن على عباده ولا يكون  
امتنانه إلا بما أحل فصحيح ، بيد أنه يحتمل أن يكون ذلك قبل تحريم الخمر كما يناء فيكون  
منسوخا كما قدمناه . قال ابن العربي : إن قيل كيف ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا يدخله  
النسخ ، قلنا : هذا كلام من لم يتحقق الشريعة ، وقد بينا أن الخمر إذا كان عن الوجود  
الحقيق أو عن إعطاء نواب فضلا من الله فهو الذي لا يدخله النسخ ، فاما إذا تضمن الخمر  
حكما شرعيا فالأحكام تبطل وتنسخ ، جاءت بخبر أو أمر ، ولا يرجع النسخ إلى نفس اللفظ  
وإنما يرجع إلى ما تضمنته ، فإذا فهمت هذا خرجتم عن المصنف الفبي الذي أخبر الله عن  
الكفار فيه بقوله : « وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْسِرُ  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » . المعنى أنهم جهلوا أن الرب يأمر بما يشاء ويكلف ما يشاء ، ويرفع  
من ذلك ببدله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب .

قلت : هذا تشيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الأخيار في قصور الفهم بالكفار ، والمسألة  
أصولية ، وهي أن الأخبار عن الأحكام الشرعية هل يجوز نسخها أم لا ؟ اختلف في ذلك ،  
والصحيح جواز هذه الآية وما كان مثله ، ولأن الخبر عن مشروعية حكم ما يتضمن طلب  
ذلك للمشروع ، وذلك الطلب هو الحكم الشرعي الذي يستدل على نسخه . والله أعلم .  
وأما ما ذكرنا من الأحاديث فالأول والثاني ضعيفان ؛ لأنه عليه السلام قد روى عنه بالنقل  
الثابت أنه قال : « كل شراب أسكر فهو حرام » وقال : « كل مسكر فهو حرام »  
وقال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » . قال النسائي : وهؤلاء أهل الثبوت والمعالجة مشهورون



بصححة النقل ، وعبد الملك لا يقسم مقام واحد منهم ولو عاضده من أشكال جماعة ، وابقه التوفيق . وأما الثالث وإن كان صحيحا فإنه ما كان يصحبه لخدم من أنه مسكر ، وإنما كان يسقيه لأنه بمنزلة الرابحة . وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد منه الراحة ، فلذلك لم يشربه ، ولذلك تحيل عليه أزواجه في صل زينب بأن قيل له : إنا نجد منك ريح منافرة ، يعني ريحا منكرة ، فلم يشربه بعد . وسيأتي في التحريم . وأما حديث ابن عباس فقد روى عنه خلاف ذلك من رواية عطاء وطاوس وبجاء أنه قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام ، ورواه عنه قيس ابن دينار . وكذلك قتادة في المسكر ، قاله الأبارقطيني . والحديث الأول رواه عنه عبد الله ابن شقاد وقد خالفه الجماعة ، فسقط القول به مع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وأما ما روى عن عمر من قوله : ليس يقطع في بطوننا إلا التبيذ فإنه يريد غير المسكر بديل ما ذكرنا . وقد روى الثبائي عن حبة بن قرق قال : كان التبيذ الذي يشربه عمر بن الخطاب قد خُل ، قال النسائي : وما يدل على صحة هذا حديث السائب ، قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع عن ابن القاسم : حدثني مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال : إني وجدت من فلان ريح شراب ، فزم أنه شراب الطلاء ، وأنا سائل عما شرب ، فإن كان مسكرا جلده ، بخلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد ثامنا . وقد قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا بسد أيها الناس فإنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : من النخب والعسل والتمر والحلوة والشمير . وانخر ما خسر العقل . وقد تقدم في « المسألة » . فإن قياره : فقد أحل شرابه إبراهيم النخعي وأبو جعفر الطحاوي وكان إمام أهل زمانه ، وكان سفيان الثوري يشربه . قلنا : ذكر الثبائي في كتابه أن أول من أحل للمسكرين الأنثى إبراهيم النخعي ، وهذه خلاصة ما لم نقله سهلنا من زلة العالم ، ولا حجة في قول أحمد مع السنة . وذكر الثبائي أيضا عن ابن المبارك قال : ما وجدت الرخصة في المسكر من أحد صحيحا إلا عن إبراهيم . قال أبو أسامة : ما رأيت

رجلا أطلب للعلم من عبد الله بن المبارك الشلمت<sup>(١)</sup> ومصر والمجيز . وأما الطحاوي وسفيان لو صح ذلك عنها لم يحتج بها على من خالفها من الأئمة في تحريم المسكر مع ما ثبت من السنة ؛ على أن الطحاوي قد ذكر في كتابه الكبير في الاختلاف خلاف ذلك . قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له : قال أبو جعفر الطحاوي : اختلفت الأمة على أن عصير العنب إذا اشتد وقيل وقذف بالزبد فهو نجس ومستعمله كافر . واختلفوا في قبيح التمر إذا غلي وأسكر . قال : فهذا يدل على أن حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «التمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب» غير معمول به عندهم ؛ لأنهم لو قبلوا الحديث لا كفروا مستعمل قبيح التمر ؛ ثبت أنه لم يدخل في النحر المحرمة غير عصير العنب الذي قد اشتد ويغ أن يسكر . قال : ثم لا يحل من أن يكون التحريم مطلقا بها فقط غير مقيس عليها غيرها أو يجب القياس عليها ، فوجدناهم جميعا قد فاسوا عليها قبيح التمر إذا غلي وأسكر كثيره وكذلك قبيح الزبيب . قال : فوجب قياسا على ذلك أن يحرم كل ما أسكر من الأشربة . قال : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كل مسكر حرام» واستغنى عن مصنده لقبول الجميع له ، وإنما الخلاف بينهم في تأويله ، فقال بعضهم : أراد به جنس ما يسكر . وقال بعضهم : أراد به ما يقع السكر عنده كما لا يسمى قاتلا إلا مع وجود القتل .

قلت : فهذا يدل على أنه محرم عند الطحاوي لقوله ، فوجب قياسا على ذلك أن يحرم كل ما أسكر من الأشربة . وقد روى الدارقطني في سننه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرّمها لعاقبتها ، فكل شراب يكون عاقبته كماقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر . قال ابن المنذر : وجاء أهل الكوفة بأخبار معلولة ، وإذا اختلف الناس في الشيء وجب رد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، وما روى عن بعض التابعين أنه شرب الشراب الذي يسكر كثيره فللقوم ذنوب يستغفرون

(١) في حاشية السبكي على متن النسخ : « قوله الشامات ، كأنه جمع على إرادة البلاد الشامية » .

الله منها ، وليس يغلو ذلك من أحد معنيين : إما غطى أخطأ في التأويل على حديث سمعة ، أو رجل أتى ذنباً لله أن يكفر من الاستفارة تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم حجة الله على الأولين والآخرين من هذه الأمة . وقد قيل في تأويل الآية : إنها إنما ذكرت للاعتبار ، أي من قدر على خلق هذه الأشياء قادر على البعث ، وهذا الاعتبار لا يختلف بأن كانت الحمر حلالاً أو حراماً ، فاتخاذ السكر لا يدل على التحريم ، وهو كما قال تعالى : « قُلْ فِيمَا أَنْتُمْ كُفِرُوا مِنْهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ » والله أعلم .

قوله تعالى : وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا

فَإِنَّ الشَّجَرَ وَمَا يَغْرُسُونَ ﴿٣٥﴾

فيه ثلاث مسائل

الأولى : قوله تعالى : ( وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ ) قد مضى القول في الريح وأنه قد يكون بمعنى الإلهام ، وهو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر ، وهو من قوله تعالى : « وَنَفَسَ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمْنَاهَا جُحُورَهَا وَتَقْوَاهَا » . ومن ذلك البهائم وما يخلق الله سبحانه فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدير معاشها . وقد أخبر عز وجل بذلك عن الموات فقال : « نَحْنُ نَخْبَرُكُمْ أَخْبَارَهَا . وَإِنَّ رَبَّكَ أَوْسَىٰ لَهَا » . قال إبراهيم الحارثي : فله عز وجل في الموات قدرة لم يدركها ، لم يأتها رسول من عند الله ولكن الله تعالى عرفها ذلك ، أي ألهمها . ولا خلاف بين المتأولين أن الوحي هنا بمعنى الإلهام . وقرأ يحيى بن وثاب « إلى النعل » بفتح الحاء . وسمى نخلاً لأن الله عز وجل خلقه السبل الذي يخرج منه ، قاله الزجاج . الجوهرى : والنخل والنحلة اللذان يقع على الذكر والأنثى ، حتى يقال : يمسوب . والنخل يؤث في لغة أهل الحجاز ، وكل جمع ليس بينه وبين واحد إلا ألهاء . وروى من حديث

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللذان كلَّها في النار يحسبها عذاباً لأهل النار إلا النمل " ذكره الترمذي الحكيم في ( نوادر الأصول ) . وروى عن ابن عباس قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة والـمـدَّخـد<sup>(١)</sup> والـصـرـد<sup>(٢)</sup> ، خرجه أبو داود أيضاً ، وسأني في « النمل » إن شاء الله تعالى .

الثانية - قوله تعالى : ( اِنَّ اَتَّخِذُ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ) هذا إذا لم يكن لها مالك . ( وَمَا يَبْقَرُشُونَ ) جعل الله بيوت النمل في هذه الثلاثة الأنواع ، إما في الجبال ، وبكرها ، وإما في متجوف الأشجار ، وإما فيها عرش ابن آدم من الأجاج<sup>(١٣)</sup> وانخلايا والحيطان وغيرها . وعرش منه هنا هيا ، وأكثر ما يستعمل فيها يكون من إيقان الأغصان والخشب وترتيب ظلالها ، ومنه العرش الذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ومن هذا لفظة العرش . يقال : عرش يقرش وعرش ( بكسر الراء وضها ) ، وقرى بها . قرأ ابن عامر بالضم فاستقرم بالكسر ، واختلف في ذلك من عاصم

الثالثة - قال ابن العربي : ومن غريب ما خلق الله في النحل أن أهدمها لاحتداد  
بيوتها مستمرة ، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة ، وذلك أن الأشكال من  
الفتات إلى العشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما فجوة ، إلا الشكل  
المستقيم ، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه كالقطعة الواحدة .

قوله تعالى : ثُمَّ يَكِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَأَنزَلَ سُبُلَ رِيكِ ذُلَالٍ  
يُخْرِجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٦﴾

(١) القصة (كطلب) : طائر فوق الحفود يصعد الحافض - (٢) لفرق ناله : من [الفرق]

داد الفی ... ۱۸۳۰ (۲) الأوبیخ : جامع القول فی الجبل ویا نسو

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَكُلُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ وذلك أنها إنما تأكل الثمرات من الأشجار  
 ﴿ فَأَسْلَمَتْكُمْ سُبُلَ رَبِّكُمْ ذَٰلِكَ ﴾ أى طرق ربك . والسبل : الطريق ، وأضافها إليه لأنه خالقها .  
 أى ادخل طرق ربك لطلب الرزق في الجبال وخلال الشجر . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ جمع ذلول وهو المتقاد ؛  
 أى مطيعة مسخرة . فـ « ذللا » حال من النحل . أى متقاد وتذهب حيث شاء صاحبها ؛  
 لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا ؛ قاله ابن زيد . وقيل : المراد بقوله « ذللا » السبل .  
 يقول : مذلل طرفها سهلة السالك عليها ؛ واختاره الطبري ، و « ذللا » حال من السبل .  
 واليسوب سيد النحل ، إذا وقف وقفت وإذا سار سارت .

قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ فيه تسع مسائل :  
 الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ ﴾ رجع الخطاب إلى الخبر على جهة تعديد  
 التسمية والتثنية على البعرة فقال : « يخرج من بطونها شراب » أى العسل . وجمهور  
 الناس على أن السبل يخرج من أنواء النحل ؛ وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
 أنه قال في تحقيره الدنيا ؛ أشرف ليس ابن آدم فيها لعاب دودة ، وأشرف شرابه رجيع نحلة .  
 فظاهر هذا أنه من غير الفم . وبالجملة فإنه يخرج ولا يدري من فيها أو أسفلها ؛ ولكن لا يتم  
 صلاحه إلا بمجيئ أنفاسها . وقد صنع أرسطو طاليس بيتا من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع ؛  
 غابت أن تعمل حتى اطلعت باطن الزجاج بالطين ؛ ذكره الفزري . وقال : « من بطونها »  
 لأن استعالة الأظعمة لا تكون إلا في الصن .

الثانية — قوله تعالى : ﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ يريد أنواعا من الأحمر والأبيض والأصفر  
 والحماد والسائل ، والأم واحدة والأولاد مختلفون دليل على أن القدرة توحيته بحسب تنوع  
 الغذاء ؛ كما يختلف طعمه بحسب اختلاف المراعى ؛ ومن هذا المعنى قول زهير للنبي صلى الله  
 عليه وسلم : « جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعَرَقُ » حين شبهت رائحته براحة المناخير .

(١) اليرس : الأكل . وهرط (بالهمز) : غير الطعم ، له معنى كره الرائحة ، فإذا أكله النمل حصل في صلبها  
 من ريعه . أى شرب صلبا أكلت نحلة من غير الطعم .

الثالثة - قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ الصمير للسل ؛ قاله الجمهور . أى  
فى السل شفاء للناس . وروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والقراء وابن  
كثير : الضمير للقرآن ؛ أى فى القرآن شفاء . النحاس : وهذا قول حسن ؛ أو فى قصصنا  
طسك من الآيات والبراهين شفاء للناس . وقيل : السل فيه شفاء ، وهذا القول بين أيضا ،  
لأن أكثر الأسماء والمعجونات التى يتعالج بها أصلها من السل . قال القاضي أبو بكر بن  
المري : من قال إنه القرآن بيد ما أراه بصع عنهم ، ولو صح قلنا لم يصح عقلا ؛ فإن مساق  
الكلام كله للسل ؛ ليس للقرآن فيه ذكر . قال ابن عطية : . وذهب قوم من أهل الجهالة  
إلى أن هذه الآية يراد بها أهل البيت ومنو هاشم ، وأنهم النسل ، وأن الشراب القرآن والحكمة ،  
وقد ذكر هذا بعضهم فى مجلس التصور أبى جعفر العباسي ، فقال له رجل ممن حضر :  
جبل الله طمانك وشرايك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فاشحك الحاضرين ورسيت الآخر  
وظهرت سخافة قوله .

الرابعة - لمختلف العلماء فى قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ هل هو على صيغة  
أم لا ؛ فقالت طائفة : هو على المصوم فى كل حال ولكل أحد ، فروى عن ابن عمر أنه كان  
لا يشكو قربة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا ، حتى الدمل إذا خرج عليه طل عليه عسلا .  
وعكى القاسم عن أبى قربة أنه كان يكتحل بالسل ويستمشى بالسل ويتداوى بالسل .  
وروي أنه هوف بن مالك الأنصبي مريض فقيل له : ولا تعالجك ؟ فقال : اتنوى بالماء ،  
فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَزَلَّاتِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ﴾ ثم قال : اتنوى بمسل ، فإن الله تعالى  
يقوله : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ واتنوى بزيت ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾  
بظاوه بذلك كله فغلطه جميعا ثم شره فبرئ . ومنهم من قال : إنه على العموم إذا خلط بالخل  
وطبخ ليأتى شرايا ينفع به فى كل حالة من كل داء . وقالت طائفة : إن ذلك على المنصوص  
ولا يقتضى المصوم فى كل علة وفى كل إنسان ؛ إلى أنه خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من



الحادث عن الخمر والميتصات<sup>(١)</sup> والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك الطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أصيحت مدامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر، فإذا وضع هذا قلنا : فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وحيضة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده إلى أن نبتت المادة فوقف الإسهال فوافقه شرب العسل . فإذا خرج هذا عن صناعة الطب إذن ذلك مجهول المفترض بتلك الصناعة . قال : ولستأستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرتناهم وصلى الله عليه وسلم : فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه فتخفرت حيثنأ إلى تأويل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه على ما يضح إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب .

السابعة - في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ دليل على جواز العلاج بشرب الدواء وغير ذلك خلافا لمن كره ذلك من جملة العلماء، وهو يرد على المروية الذين يزعمون أن الولاية لا تتم إلا إذا رضى ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواة . ولا معنى لمن أنكر ذلك، وروى الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله " . وروى أبو داود والترمذي عن أسامة بن شريك قال قالت الأعراب : ألا تتداوى يا رسول الله؟ قال : " نعم . يا عباد الله تداؤوا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحدا " قالوا : يا رسول الله وما هو؟ قال : " الهرم " لفظ الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح . وروى عن أبي خزيمة عن أبيه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، أ رأيت رقي نسترقها ودواء تتداوى به وثيقة تنقيها، هل ترُد من قدر الله شيئا؟ قال : " هي من قدر الله " قال : حديث حسن، ولا يعرف لأبي خزيمة غير هذا الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم : " أن كان في شيء من أدويتكم خير فقي شرطه مجتحم أو شربة من عسل أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي " أخرجه الصحيح . والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصى . وعلى إباحة التداوى والاسترقاء

(١) الميتصات : جمع ميتة، وهي انفلاز البطن .



جهور العلماء . وروى ابن عمر <sup>(١)</sup> كثيرون من القوة وروى من القرب . وعن ابن سيرين أنه  
 لعن عمر كان يسقى ولده الترياق . وقال مالك : لا بأس بذلك . وقد أحجج من كره ذلك  
 بما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت أمة بقضها وقضضها  
 فليطه كانوا لا يسترقون ولا يكتفون ولا يطيطون وصل ربهم يتوكلون » . قالوا : فالواجب  
 فعل المؤمنين أن يترك ذلك اعتصاما بالله وتوكلا عليه ونسبة به واقطاعا إليه ، فإن الله تعالى  
 قد علم أيام المرض وأيام الصحة فلو حرص الخلق على تخفيف ذلك أو زيادته ما فعلوا ،  
 قال لقمة تعالى : « ما أصاب من مَصِيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل  
 أن نبرأها » . وعن ذهب إلى هذا جماعة من أهل الفضل والأثر ، وهو قول ابن مسعود  
 وأبي الدرداء وضوان الله عليهم . دخل عثمان بن عفان على ابن مسعود في مرضه الذي  
 قبض فيه فقال له عثمان : ما تشكى ؟ قال ذنوبي . قال : فما تشقى ؟ قال نوحمة ربي .  
 فقال : ألا لدمع لك طيبا ؟ قال : الطيب أمرني به وذكر الحديث . فبأنى يمكن  
 في فعل الواقعة إن شاء الله تعالى ، وذكر وكيع قال : حدثنا أبو حنبل عن مطوية بن قيس  
 قال : « مرض أبو الدرداء فبادروا وقالوا : ألا ندمع لك طيبا ؟ قال : الطيب أجسمني » .  
 وإلى هذا ذهب الربيع بن خثيم . وكره سعيد بن جبيرة الرقي . وكان الحسن يكره شرب  
 الأدوية كلها إلا اللبن والسبيل . وأجاب الأولون عن الحديث بأنه لا حجة فيه ، لأنه يحمل  
 أن يكون قصد إلى نوع من الكي مكره بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم أيام يوم الأحزاب  
 على أكله لما روي . وقال : « الشفاء في ثلاثة » كما تقدم . ويحمل أن يكون قصد إلى  
 الرقي بما ليس في كتاب الله ، وقد قال سبحانه وتعالى : « وتترل من القرآن ما هو بشفاء » على  
 ما يأتي بيانه . وروى أصحابه وأمرهم بالرقي ، على ما يأتي بيانه .

(١) القوة : (بالفتح) : مرض يمرض فيه إلى أحد جانبيه - (٢) الترياق : ما يستعمل لمنع السم  
 من الأدوية والمساكين ، وهو مريب . (٣) أي دخلوا مجتمعين ، يقض أحدهم على أهلك . وقال ابن  
 الأثير : إن التقى الحصى الكبار ، والقضض الحصى الصغار أي دخلوا بالكثير واليسير . (٤) كية ٢٢  
 سورة الحديد . (٥) للأكل ، عرف في وسط الفراع ٢٥ (٦) آية ٨٢ سورة الإسراء .

الثامنة - ذهب مالك وجماعة أصحابه إلى أن لا زكاة في العسل وإن كان مطعوماً متكاملاً . وأختلف فيه قول الشافعي، والذي قطع به في قوله الجديدي : أنه لا زكاة فيه . وقال أبو حنيفة يوجب زكاة العسل في قليله وكثيره؛ لأن النصاب عنده فيه ليس بشرط . وقال محمد بن الحسن : لا شيء فيه حتى يبلغ ثمانية أواق، والفرق ستة وثلاثون رطلاً من أرطال العراق . وقال أبو يوسف : في كل عشرة أواق زكاة، متمسكاً بما رواه الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " في السسل في كل عشرة أواق زكاة " قال أبو عيسى : في إسناده مقال، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كبير شيء، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، وبه يقول أحمد وإسحاق، وقال بعض أهل العلم : ليس في السسل شيء .

التاسعة - قوله تعالى : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي يعتبرون؛ ومن العبرة في التحمل بإنصاف النظر وإلطف التفكير عجيبة أمرها . فوشهد الذين بأن ملهمها الصنعة اللطيفة مع البلية الضعيفة، وحذقها باحتياها في تفاوت أحوالها هو الله سبحانه وتعالى؛ كما قال : « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الظَّيْفِ نُقُطًا ثُمَّ أَكْثِرِي مِنَ الْخَبْزِ وَالْحَلْوِ وَالْمَالِحِ وَالْحَاشِشِ الْغَضَارَةَ، فَيَجْعَلُ لَكُمْ مِنْهَا سُبُلًا خَالِيَةً » وفي هذا دليل على قدرته .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْفَعُكُمْ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْضِهِ الْغَيْرِ لَكُمْ لَئِنْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عَلِيمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْفَعُكُمْ مِنْكُمْ ﴾ بين مناه . ( رَيْنُكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْضِهِ الْغَيْرِ ) يعني أرواده وأوصمه . وقيل : الذي ينقص قوته وعقله ويصيره إلى الخرف ونحوه . وقال ابن عباس : يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له؛ والمعنى متقارب . وفي صحيح البخاري من أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقوله :

”اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُسلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمُسْرِمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ“ . وفي حديث سعد بن أبي وقاص ”وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أولئك العمر“ الحديث . ترجمه البخارى . ( لِكَلَّا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ) أى يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الأمور لقرط الكبير . وقد قيل : هذا لا يكون للأمن ، لأن المؤمن لا يتزع عنه مله . وقيل : المعنى لِكَلَّا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ؛ فعبر عن العمل بالعلم لا بغيره ، لأنه ثابت الكبر في عهده ألغى من ثابته في مله . والمعنى المقصود الاحتياج إلى شكرى الهبة ، أى الذى رده إلى هذه الحال قادر على أن يمنه ثم يحبه .

قوله تعالى : **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ قُلِ الَّذِينَ فَضَّلْنَا بَرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبُغْمَةٌ إِلَهُهُ يَخْشَوْنَ** ١٠

قوله تعالى : ( **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ** ) أى جعل منكم غنيا وفقيرا وحرًا وعبدًا . ( **قُلِ الَّذِينَ فَضَّلْنَا** ) أى في الرزق ، ( **بَرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ) أى لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئاً حتى يشترى المملوك والمالك في المال . وهذا مثل ضربه الله لعبدة الأصنام ، أى إذا لم يكن عبيدكم بكم سواء فكيف تجعلون عبيدى ممي سواء ؟ فلما لم يكن يشركهم عبيدكم في أموالهم لم يحز لهم أن يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الأوثان والأنصاب وغيرهما مما عبد كالملائكة والإنبياء وهم عبيده وخلقه . حكى معناه الطبرى ، وقاله ابن عباس ومجاهد وقطادة وغيرهم . وعن ابن عباس أيضاً أنها نزلت في نصارى تجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم : **قُلِ الَّذِينَ فَضَّلْنَا بَرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ، أى لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى والعبد في المال شرعاً سواء ، فكيف رضون لي ما لا رضون لأخسكم فتجعلون لي ولداً

من عيسى . ونظيرها « ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ  
فِيَا رِزْقَنَا كَمْ تَأْتِيهِمْ سِوَاهُ » على ما يأتي . ودل هذا على أن الله لا يملك ، على  
ما يأتي آخفاً .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ  
أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِي الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ  
وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ »<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا » جعل بمعنى خلق ؛ وقد تقدم .  
( مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ) بمعنى آدم خلق منه حواء . وقيل : المعنى جعل لكم من أنفسكم ،  
أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم ؛ كما قال : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » أي من  
الآدميين . وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد أنها كانت تزوج الجن وتباضعها ، حتى  
روى أن عمرو بن هند تزوج منهم فولاً وكانت يخرؤها عن البرق فلما تراه تنفر ، فلما كان  
في بعض الليالي لمع البرق وما يته السحابة فقالت : عمرو ! وفرت ، فلم يرها أبدا . وهذا  
من أكاذيبها ، وإن كان جائزا في حكم الله وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين ينكرون وجود  
الجن ويعلمون طعامهم . ( أَزْوَاجًا ) زوج الرجل هي ثانيته ، فإنه فرد فإذا أضافت إليه كانا  
زوجين ، وإنما جعلت الإضافة إليه دونها لأنه أصلها في الوجود كما تقدم .

(١) آية ٢٨ سورة الروم . (٢) يريد عيسى خليل . و « آخفا » إنما تستعمل في الماضي القريب  
لان المستقبل القريب . (٣) كما في نسخ الأصول وأحكام القراءة لابن العرب ، والصواب أنه عمرو بن  
يحيى بن حنظلة بن مالك بن مرة ، قال طبراني في المعجم :  
« ما يبيع الله بن السحابة » عمرو بن يحيى بن حنظلة

وأصح من التسمية على سقط الزند في شرح بيت أبي العلاء المزمع :  
« قد ألاح إبليس سمرت ويرمها » كمال عمرو والمفسر : فقال  
(٤) السحابة : أميت السحابة .

قوله تعالى : ( وَجَمَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَيْنَ وَحْشَةً ) فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَجَمَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَيْنَ ) ظاهر في تصديد النعمة في الأنبياء ، ووجود الأنبياء يكون منهما معا ، ولكنه لما كان خلق المولود فيها وافتصاله عنها أضيف إليها ، ولذلك تنبها في الرق والحرية وصار مثلهما في المسألة . قال ابن العربي : سمعت إمام الحنابلة يمدح مدينة السلام بأب الوفاء علي بن عقيل يقول : إنما تبع الولد أباه في المسألة وصار يحكمها في الرق والحرية ، لأنه انفصل عن الأب نطفة لاقية له ولا مالية فيه ولا منفعة ، وإنما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك تبعها . كما لو أكل رجل تمرا في أرض رجل وسقطت منه نواة في الأرض من يد الأكل فصارت نخلة فلأنها ملك صاحب الأرض دون الأكل بإجماع من الأمة لأنها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها .

الثانية - قوله تعالى : ( وَحْشَةً ) روى ابن القاسم عن مالك قال وماله من قوله تعالى : « بَيْنَ وَحْشَةٍ » قال : الحفدة الخدم والأعوان في رأي . وروى عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَحْشَةً » قال هم الأعوان ، من أعانك فقد حَفَدَكَ . قيل له : فهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم وتقولوا ! أو ما سمعت قول الشاعر :

حَفَدَ الْوَلَدُ حَوْلِي وَأَسْلَمْتُ • بَاكِفِيهِ أَزْوَاجُ الْأَجْمَالِ

أي أسرعن الخدمة . والولائد : الخدم ، الواحدة وليدة ؛ قال الأعشى :

كَلَفْتُ مَجْهُولًا نَوْقًا بَاجِيئَةً • إِنْهَا الْمُدَّةُ عَلَى أَكْسَانِهَا حَفَدُوا

أي أسرعوا . وقال ابن عرفة : الحفدة عند العرب الأعوان ، فكل من عمل عملا أطاع فيه وسارع فهو حافد ، قال : ومنه قولهم « إليك نسي ونحفد » ، والحفدان السرعة . قال أبو عبيد : الحفد العمل والخدمة . وقال الخليل بن أحمد : الحفدة عند العرب الخدم ، وقال مجاهد . وقال الأزهري : قيل الحفدة أولاد الأولاد . وروى عن ابن عباس . وقيل الأخفاف ؛ قاله ابن مسعود وعلقمة وأبو الضحا وسعيد بن جبير وإبراهيم ؛

ومنه قول الشاعر

فلو أن نسي طارفتي لأصحت • لها حقد ما يشد كثير  
ولكنها نفس على آية • عيوف لإصهار اللثام قدور

وروى رز عن عبد الله قال : الحفدة الأصهار ؛ وقاله إبراهيم ، والمعنى متقارب . قال الأصمعي :  
الختن من كان من قبل المرأة ، مثل أختها وأختها وما أشبهها ؛ والأصهار منها جميعا . يقال :  
أصهر فلان إلى بني فلان وصاهر . وقول عبد الله « هم الأختان » يحتمل المعنيين جميعا .  
يحتمل أن يكون أراد أبا المرأة وما أشبهه من أقربائها ، ويحتمل أن يكون أراد وجعل لكم  
من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهن ، فيكون لكم بسببهن أختان . وقال عكرمة : الحفدة من  
نفع الرجل من ولده ، وأصله من حَفَدَ يَحْفِدُ ( يفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل )  
إذا أسرع في سيره ؛ كما قال كثير :

• حَفَدَ الولائدَ بَنِينَ ... • البيت •

ويقال : حَفَدْتُ وأَحَفَدْتُ ، لثنتان إذا خُدِمَتْ . ويقال : حَافِدٌ وحَفْدٌ ؛ مثل خادمٍ وخَدَمٍ ،  
وحَافِدٌ وحَفْدَةٌ مثل كافر وكفيرة . قال المهدوي : ومن جعل الحفدة الخدم جعله منقطعا  
مما قبله ينوي به التقديم ؛ كأنه قال : جعل لكم حفدة وجعل لكم من أزواجكم بنين .

قلت : ما قاله الأزهرى من أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصه ؛  
الأنرى أنه قال : « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » فجعل الحفدة والبنين منهن .  
وقال ابن العربي : أظهر عندى في قوله « بنين وحفدة » أن البنين أولاد الرجل لصلبته  
والحفدة أولاد ولده ، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا ، ويكون تقدير الآية على هذا :  
وجعل لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة . وقال معناه الحسن .

الثالثة — إذا فرعا على قول مجاهد وابن عباس ومالك وعلماء اللغة في قولهم إن الحفدة  
الخدم والأعوان ، فقد خرجت خدمة الدابة والزوجة من القرآن بأبدع بيان ؛ قاله ابن العربي .  
روى البخاري وصيره عن سهل بن سعد أن أبا أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم

لعرسه فكانت اجناساً خادهم - الحديث، وقد تقدم في سورة « هود » . وفي الصحيح عن عائشة قالت : أنا قلت قلابد بدن النبي صلى الله عليه وسلم يدي . الحديث حولها قال علماءنا : عليها أن تخرش الفراش وتطبخ الفدر وتحم الدار ، بحسب حالها وعادة مثلها ، قال الله تعالى : « وَجَعَلَ مِثْلَهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » فكانه جمع لها فيها السكن والاستمتاع وضرباً من الخدمة بحسب جرى العادة .

الرابعة - وَيَخْدُمُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ فَمَا خَفَ مِنَ الْخِدْمَةِ وَبَيْتِهَا ، لما رويته عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج - وهذا قول مالك : وبينها . وفي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخفف النعل ويقيم البيت ويحيط التوب . وقالت عائشة وقد قيل لها : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ؟ قالت : كان يشرا من البشر فيأتي نوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .

الخامسة - وينفق على خادمة واحدة ، وقيل على أكثر ؛ على قدر الثروة والمقتلة ، وهذا أمر دائر على العرف الذي هو أصل من أصول الشريعة ؛ فإن نساء الأعراب وسكان التبادي يخدمن أزواجهن في استعذاب المساء وسياسة الدواب ، ونساء الحواضر يخدم المثل منهم زوجته فيما خف وبعينها ، وأما أهل الثروة فيخدمون أزواجهن ويرتفعن معهم إذا كان لهم منصب ذلك ؛ فإن كان أمراً مشكلاً شرطت عليه الزوجة ذلك ، فتشدد أنه قد عرف أنها ممن لا تخدم نفسها فالتم إخدامها ، فينفذ ذلك وتنقطع الدعوى فيه .

قوله تعالى : ( وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ) أي من الثمار والحبوب والحيوان . ( أنبأ الباطل ) معنى الأصنام ؛ قاله ابن عباس . ( يُؤْمِنُونَ ) قراءة الجمهور بإلواء ، وقرا أبو عبد الرحمن بإلواء . ( هُمْ يَكْفُرُونَ ) أي بالإسلام .

قوله تعالى : وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّوهُمُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى : ( وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ ) بنى الطبري : ( وَالْأَرْضِ ) بنى البيات . ( شَيْئًا ) قال الأخفش : هو بدل من الرزق . وقال الفراء : هو منصوب بإقناع الرزق عليه ، أى يعبدون ما لا يملك أن يرزقهم شيئا . ( وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ) أى لا يقدرون على شيء ، بنى الأصنام . ( فَلَا تَضُرُّوهُمُ الْأَمْثَالُ ) أى لا تسبوا به هذه بالمعاداة ، لأنه واحد قادر لا مثل له . وقد تقدم .

قوله تعالى : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

فيه خمس مسائل :

الاول - قوله تعالى : ( ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ) به تعالى على ضلالة المشركين ، وهو مستظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من آلهتهم . « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا » أى بين شيئا ، ثم ذكر ذلك فقال : ( عَبْدًا مَّمْلُوكًا ) أى كما لا يستوى عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقا حسنا فكذلك أنا وهذه الأصنام . فالذى هو مثال له هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه ، وإنما هو مسخر بإرادة سيده . ولا يلزم من الآية أن السيد كلهم بهذه الصفة ، فإن التكرار في الإثبات لا يقتضى الشمول عند أهل اللسان كما تقدم ، وإنما تفيد واحدا ، فإذا كانت بعد أمر أو نهى أو مضافة إلى مصدر كانت للعموم التبعي ، كقوله . أغنى رجلا ولا تبني



رجلا، والمصدر كاحاق رقية، فأى وجب أحق ففسد نخرج عن مهدة الخطاب، ويصح منه الاستثناء . وقال قتادة : هذا المثل لقوم والكافر؛ فذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر؛ لأنه لا ينفع في الآخرة بشيء من عباده، وإلى أن معنى «وَمِنْ رَزَقَاهُ مِنَّا رِزْقًا» . المؤمن . والأول عليه الجمهور من أهل التأويل . قال الأصم : المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون أشد من مولاه أسرا وأضر وجها، وهو لسيد ذليل لا يقدر إلا على ما أذن له فيه . فقال الله تعالى ضربا لثال . أى فلذا كان هذا شامك وشان عيذك فكيف جعلتم أحجارا مواتا شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته، وهي لا تقبل ولا تسمع .

الثانية - فهم المملوك من هذه الآية وما قبلها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك، وأنه لا يملك شيئا وإن ملك . قال أهل البراق: الرق يئق الملك، فلا يملك شيئا لئنة بقال، وهو قول الشافعي في الجديد، وبه قال الحسن وابن سيرين . ومنهم من قال : يملك إلا أنه ناقص الملك؛ لأن لسيد أن يتبرعه متى أرى وقت شاء، وهو قول مالك ومن آبه، وبه قال الشافعي في القديم . وهو قول أهل الظاهر؛ ولما قال أصحابنا : لا تجب عليه عبادة الأموال من زكاة وكفارات، ولا من عبادات الأبدان ما يقطعه عن خدمة سيده كالحج والجهاد وغير ذلك، وفائدة هذه المسألة أن سيده لو ملكه جارية جاز له أن يطأها بملك العبد، ولو ملكه أربعين من الذم غل عليها الخول لم تجب على السيد زكاتها لأنها ملك عبده، ولا على العبد لأن ملكه غير مستقر . والبراق يقول : لا يجوز له أن يطأ الجارية، وإن زكاة في النصاب واجبة على السيد كما كانت . ودلائل هذه المسئلة للفريقين في كتب الخلاف . وأدل دليل لنا قوله تعالى : «الله الذي خلقكم ثم رزقكم» نفوى بين العبد والحر في الرزق والخلق . وقال عليه السلام : «من أحق عبداؤه مال...» فأضاف المال إليه . وكان ابن عمر يرى عبده يخرى في ماله فلا يبسب عليه ذلك . وررى من ابن عباس أن عبدا له طلق امرأته طلقين فأمره أن يرجعها بملك العبد، فهذا دليل على أنه يملك ما بيده ويضع فيه ما بغل المسالك في ملكه ما لم يتبرعه سيده . والله أعلم .

الثالثة - وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن طلاق العبد بيد سيده ، وعلى أن بيع الأمة طلاقها . معولا على قوله تعالى : « لا يفتد على شيء » . قال : فظاهره يفيد أنه لا يفتد على شيء أصلا ، لا على الملك ولا على غيره فهو على عمومه ، إلا أن يدل دليل على خلافه . وفيما ذكرناه عن ابن عمرو أن عاص ما يدل على التحصيص . والله تعالى أعلم .

الرابعة - قال أبو منصور في عقيدته : الرزق ما وقع الاقتناء به . وهذه الآية ترد هذا التحصيص ؛ وكذلك قوله تعالى : « وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُعْثِقُونَ » . و« أَتَقِفُوا بِمَا رَزَقْنَاكُمْ »<sup>(١)</sup> وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقك تحت ظلي رُحْمِي » وقوله : « أرزاق أمتي في سنانك خيلها وأبنة ومأحها » . فالنسيمة كلها رزق ، وكل ما صح به الانتفاع فهو رزق ، وهو مراتب : أعلاها ما يفتدى . وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه الانتفاع في قوله : « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأغبت أو لبست فأغيت أو تصدقت فأغضبت » . وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك . وفي ألسنة المحدثين : السماع رزق ، يعنون سماع الحقيث ، وهو صحيح .

الخامسة - قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هو المؤمن ، يطعم الله في نفسه وماله . والكافر ما لم ينفع في الطاعة صار كالعبد الذي لا يملك شيئا . ﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ أي لا يستوون ، ولم يقل يستويان لكان « من » لأنه أسم مبهم يصلح للواحد والاثنتين والجمع والبدل . والمؤنث . وقيل : « إن عبدا مملوكا » ، « ومن رزقناه » أريد بهما الشيوع في الحسن . ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي هو مستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه ، إذ لا نعمة للاصنام عليهم من يد ولا معروف فتُحمد عليه ، إنما الحمد الكامل لله ؛ لأنه المنعم الخالق . ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ ﴾ أي أكثر المشركين ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الحمد لله ، وجميع النعمة مني . وذكر الأكثر وهو يريد الجميع ، فهو خاص أريد به التعميم . وقيل : أي بل أكثر الخلق لا يعلمون ، وذلك أن أكثرهم المشركون .

(١) العنيفة : اسم كتاب لأبي منصور المازني ، وهو محمد بن محمد بن محمود مات سنة ثمان مائة ٥٢٣٢ . راجع كشف الظنون وتاج التراجم في طبقات الحنفية . (٢) آية ٣ سورة البقرة . (٣) آية ٥٤ سورة البقرة .

قوله تعالى : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يَرْجِهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَـ  
هُو وَبِمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ ) هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لنفسه وللورث ، فالأبكر الذي لا يقدر على شيء هو الورث ، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى ، قاله قتادة وغيره . وقال ابن عباس : الأبكر عبد كان لعمان رضى الله عنه ، وكان يمرض عليه الإسلام قبايى ، ويأمر بالعدل عثمان . وعنه أيضا أنه مثل لأبي بكر الصديق ومولى له كافر . وقيل : الأبكر أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر النسي ، وعن (الأنون) حتى من مذيح ، وكان حليفا لى مخزوم رعد أبي جهل ، وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام ويعذب أنه شقية ، وكانت مولاة لأبي جهل ، وقال لها ذات يوم : إنما آمنت بمحمد لأنك تحبينه لجماله ، ثم طعننا بالرحم فقبلها فانت ، فهى أول شهيد مات في الإسلام ، رحماها الله . من كذب النقاش وغيره . وسياق هذا في آية الإكراه مينا إن شاء الله تعالى . وقال عطاء : للأبكر أبن بن خلف ، كان لا ينطق بخير . ( وهو كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ) أى قومه لأنه كان يؤذهم ويؤذى عثمان بن مظعون . وقال مقاتل : نزلت في هشام بن عمرو بن الحارث ، كان كافرا قبل الخبر يماذى النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن الأبكر الكافر ، والذي يأمر بالعدل المؤمن جلة بجلة ، روى عن ابن عباس وهو حسن لأنه يتم . والأبكر الذى لا نطق له . وقيل الذى لا يعقل . وقيل الذى لا يسمع ولا يبصر . وفى التفسير إن الأبكر ما هنا الورث . بين أنه لا قدرة له ولا أمر ، وأن غيره ينقله ويختاره فهو كَلٌّ عليه . والله الأمر بالعدل ، الثالب على كل شيء . . وقيل : المعنى « وهو كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ » أى يغفل على وليه وقربائه ، ووبال على صاحبه وابن عمه . وقد يسمى النبي كَلًّا لنقله على من يكفله . ومنه قول الشاعر :

أَكُولُ لِمَالِ الْكَلِّ قُلْ شَبَابُهُ • إِنْ كَانَ عَظَمَ الْكَلِّ فَيَرِ شَبَابُهُ

والكل أيضاً الذي لا ولد له ولا والد . والكل الديال ، والجمع الكل ؛ يقال منه : كل السكين بكل كلاً أى غلظت شفرته فلم يقطع . ( أَيْتٌ رَسْمِيَّةٌ لَا يَأْتُ بِمَعْنَى ) فَرَا الْجَهْدُ « يُوَجِّهْ » وهو خط المصحف ؛ أى أيتما يرسله صاحبه لا يات بجهة ، لأنه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه . وقراً يحيى بن وثاب « أيتما يوجه » على الفعل المجهول . وروى عن ابن مسعود أيضاً « توجه » على الخطاب . ( هَلْ يَسْتَوِ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) أى هل يستوى هذا الأبكم ومن يأمر بالعدل على الصراط المستقيم .

قوله تعالى : وَلِلَّهِ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ( وَلِلَّهِ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) تقدم معناه . وهذا متصل بقوله « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » أى شرع التحليل والتحریم إنما يحسن ممن يحيط بالعوائب والمصالح وأتم أيتها المشركون لا تحيطون بها فلم تحككون . ( وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ) ويجازون فيها بأعمالكم . والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة ؛ سُمِّيت ساعة لأنها تهبأ الناس فى ساعة فيموت الخلق بصيحة . والألمح : النظر بسرعة ؛ يقال : ألمحه تمحاً وتمحاناً . ووجه التأويل أن الساعة لما كانت آتية ولا يُدْجَعَلُ من القرب كلمح البصر . وقال الزجاج ؛ لم يرد أن الساعة تأتى فى لمح البصر ، وإنما وصف سرعة القدرة على الإتيان بها ؛ أى يقول للشيء كن فيكون . وقيل : إنما مثل بلع البصر لأنه يلمح السماء مع ما هى عليه من البعد من الأرض . وقيل : هو تمثيل للقرب ؛ كما يقول القائل : ما الساعة إلا لحظة ، وشبهه . وقيل : المعنى هو عند الله كذلك لا عند المحلوقين ؛ دليله قوله : « أَنْتُمْ رَوْنُهُ بَيْنَنَا » وَزَادَ قُرَيْبًا ﴿٧١﴾ . ( أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ) ليس « أَوْ » لئلا يلبس بل التمثيل بأيتها أراد المثل . وقيل : دخلت لئلا المخاطب . وقيل : « أَوْ » بمنزلة بل . ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) تقدم .

(١) راجع ٩ ص ١١٧ (٢) آية ٦ سورة الماعن (٣) راجع ١ ص ١٢٤ طبعه آية ٢٥٤

قوله تعالى : **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ بُطُونِ السَّمَاءِ مَاءً لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ بُطُونِ السَّمَاءِ مَاءً لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ ذكر أن من ساء الله أن يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشيء . وفيه ثلاثة أقاويل : أحدها - لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من المطاق في أصلاب آبائكم . الثاني - لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة . الثالث - لا تعلمون شيئا من ما نصمكم ، وتم الكلام ، ثم ابتداء فقال : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ** ﴾ أي التي تصامون بها وتذكرون ، لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعد ما أخرجهم ، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي ، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه ، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته . والأفئدة : جمع الفؤاد نحو غراب وأغربة . وقد قيل في ضمن قوله « وجعل لكم السمع » إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم ، وإنما وجدت جاسة السمع وجد النطق . وقرا الأعمش وأبن وثاب وحسنة « إلهائكم » هنا وفي النور والزمر والجم ، بكسر الميم . وأما الكسائي فكسر الميم . وقد كان هذا الإجماع . الباقون بضم الميم . وقد فتح الميم على الأصل . وأصل الأسماء : أنات ، فزبدت الماء . فكنا كما زادوا ماء . في أهرقت الماء . وأصله أهرقت . وقد تقدم هذا المعنى في « الفاتحة » . ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ فيه تأويلان : أحدهما - تشكرون نعمه . الثاني - يعني تبصرون آثار صنعه ، لأن إحصاءها يؤدي إلى الشكر .

قوله تعالى : **الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى السَّمَاءِ مَاءً سَافِرَاتٍ فِي سُدُورِهِمْ يُفَرِّقُونَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالدُّنْيَا بِبَصَرٍ** ﴿٧٩﴾

(١) في قوله تعالى : « الذين يفرقون » أي يفرقون بين السماء والأرض . (٢) في قوله تعالى : « الذين يفرقون » أي يفرقون بين السماء والأرض . (٣) في قوله تعالى : « الذين يفرقون » أي يفرقون بين السماء والأرض . (٤) في قوله تعالى : « الذين يفرقون » أي يفرقون بين السماء والأرض .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرْوَا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَيِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فَرَأَى  
يُحْيِي بَنَ وَتَأَبَّى وَالْأَعْمَشَ وَأَبْنَى عَامِرَ وَحَمْرَةَ وَيَعْقُوبَ « تَرَوْنَ » بَالَاءَ عَلَى الْخَطَابِ ، وَاخْتَارَهُ  
أَبُو عَيْدٍ ، الْبَاقُونَ بَالَاءَ عَلَى الْخَبَرِ . ﴿ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ مُذَلَّلَاتٍ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ . وَقِيلَ :  
« مُسَخَّرَاتٍ » مُذَلَّلَاتٍ لِمَنَافِعِكُمْ . ﴿ فِي جَوْ السَّمَاءِ ﴾ الْجَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ وَأَصَافُ  
الْجَوْ إِلَى السَّمَاءِ لَارْتِفَاعِهِ عَنِ الْأَرْضِ . وَفِي قَوْلِهِ « مُسَخَّرَاتٍ » دَلِيلٌ عَلَى مُسَخَّرِهَا  
وَمُذَلِّلِهَا مِنْ التَّصْرِيفِ . ﴿ مَا يُمَيِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فِي حَالِ التَّبَضُّعِ وَالْبَسْطِ وَالْإِصْطِفَافِ .  
يَنْ لَمْ كَيْفَ يَمْتَرُونَ بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ أَيِ عِلَامَاتٍ وَعَمَّا  
وَدَلَالَاتٍ . ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ  
جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا  
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَأْنَا وَإِنَّا إِلَىٰ حِينٍ ﴾  
فِيهِ خَمْسُ سَأَلٍ :

الأول - قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُم ﴾ معناه صَيَّرَ . وَكُلُّ مَا عُلِّقَ فَاطْلَاقٌ فَهُوَ سَقْفٌ  
وَسَمَاءٌ ، وَكُلُّ مَا أَقْلَقَ فَهُوَ أَرْضٌ ، وَكُلُّ مَا سَتَرَكَ مِنْ جِهَاتِكَ الْأَرْضَ فَهُوَ جِدَارٌ ؛ فَبِذَا انْتَضَمَتْ  
وَأَتَصَلَّتْ فَهُوَ بَيْتٌ . وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْدِيدٌ نَعْمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّاسِ فِي الْبُيُوتِ ، فَذَكَرَ أَوَّلًا  
بُيُوتَ الْمَدَنِ وَهِيَ الَّتِي لِلْإِقَامَةِ الطَّوِيلَةِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ سَكَنًا ﴾ أَيِ تَسْكُونُ فِيهَا وَتَبْدَأُ جَوَارِحَكُمْ  
مِنَ الْحَرَكَةِ ، وَقَدْ تَحْرَكُ فِيهِ وَتَسْكُنُ فِي غَيْرِهِ ؛ إِلَّا أَنَّ الْقَوْلَ خَرَجَ عَلَى الْغَالِبِ . وَعَدَّ هَذَا فِي حِمْلَةِ  
النِّعَمِ فَإِنَّهُ لَوْ شَاءَ خَلَقَ الْبَيْدَ مُضْطَرِبًا أَبَدًا كَالْأَفْلَاقِ لَكَانَ ذَلِكَ كَمَا خَلَقَ وَارَادَ ، وَلَوْ خَلَقَهُ  
مِثْلًا كَالْأَرْضِ لَكَانَ كَمَا خَلَقَ وَارَادَ ، وَلَكِنَّهُ أَوْجَدَهُ خَلْقًا يَتَصَرَّفُ لِلْوُجْهِينَ ، وَيَخْتَلِفُ سَالَهُ  
بَيْنَ الْحَالَيْنِ ، وَرَدَّدَهُ كَيْفَ وَابْنُ . وَالسَّكْنُ مُصَدَّرٌ يوصف به الواحد والجمع . ثُمَّ ذَكَرَ  
تَعَالَى بُيُوتَ الثَّلَاثَةِ وَالرَّحْلَةَ وَهِيَ :

(١) انْطَرَقَتِ الْأُمُورُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ

الثانية - قال : ( وَجَمَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا ) أى من الأنعام والأدم . ( بُيُوتًا ) ببنى النخيل والقياب يخف عليكم حملها في الأسفار . ( يَوْمَ تَطْغَى ) أى : سير البادية في الانقضاء والتحول من موضع إلى موضع ؛ ومنه قول عنترة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع • وجرى بينهم الغراب الأفع

والظعن المودج أيضا ؛ قال :

ألا هلل هاجك الظلمان إذ بانوا • وإذا جادت بوشك العين غريبان :

وقرى بإسكان العين ونحوها كالشمر والشمر . وقيل : يحتمل أن يسم بيوت الأدم وبيوت الشمر وبيوت الصوف ؛ لأن هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها ؛ نحو إلى ذلك ابن سلام . وهو احتمال حسن . ويكون قوله « ومن أصوافها » ابتداء كلام ، كأنه قال جبل أناثا ؛ يريد اللابس والوطاء ، وغير ذلك ؛ قال الشاعر :

أهاجك الطعان يوم بانوا • بذى الزى الجبل من الأناث

ويحتمل أن يريد بقوله « من جلود الأنعام » بيوت الأدم فقط كما قدمته أولا . ويكون قوله « ومن أصوافها » عطفًا على قوله « من جلود الأنعام » أى يجعل بيوتها أيضا . قال ابن العربى : « وهذا أمر انتشر في تلك الديار ، وعزيت عنه بلادنا ، فلا تضرب الأخيّة عندنا إلا من السكّان والصوف ؛ وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبة من أدم ، وأهلك من أدم الطائف غلاء في القيمة ، واعتلاء في الصنعة ، وحسنا في البشرة ، ولم يبد ذلك صلى الله عليه وسلم ثوبا ولا رداء مرفا ؛ لأنه مما امتن الله سبحانه من نعمته وأذن فيه من مناه ، وظهرت وجوه منقعة في الاكتئاب والاستغلال الذى لا يفدر على الخروج عنه جنس الإنسان . ومن غريب ما جرى أذى زرت بعض المتزهدين من السابقين مع بعض المحدثين ، فدخلنا عليه في خباء فكان يفرض عليه صاحبى الحديث أن يحمله إلى منزله ضيفا ، وقال : إن هذا موضع يكثر فيه الحشر والبيت أرق بك وأطيب لنفسى بك ؛ فقال : هذا النبله لكثير ، وكان





الانتفاع به على كل حال ، ويفضل مخافة أن يكون مُلقًى به ومخ؛ وكذلك روت أم حسانة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا بأس بجلد الميتة إذا دُبغ وصوفها وشعرها إذا فُسل " لأنه مما لا يَحِلُّه الموت ، وسواء كان شعر ما يؤكل لحمة أو لا ، كسفرجلين آدم والمخزوم ، فإنه ظاهر كله ، وبه قال أبو حنيفة ، ولكنه زاد علينا فقال : تَلَقَّرْنَ والسنّ والمظم مثل الشعر ، قال : لأن هذه الأشياء كلها لا روح فيها فلا تجبس بموت الحيوان . وقال الحسن البصري والليث بن سعد والأوزاعي : إن الشعور كلها نجسة ولكنها تطهر بالفسل . وعن الشافعي ثلاث روايات : الأولى — طاهرة لا تجبس بالموت . الثانية — تجبس . الثالثة — الفرق بين شعر ابن آدم وغيره ، فشعر ابن آدم طاهر وما عداه نجس . ودللتنا عموم قوله تعالى : « ومن أوصافها » الآية . فتن علينا بأن جعل لنا الانتفاع بها ، ولم يخص شعر الميتة من المُدَكَّة ، فهو عموم إلا أن يمنع منه دليل . وأيضاً فإن الأصل كونها طاهرة قبل الموت بإجماع ، فن زعم أنه انتقل إلى نجاسة فعليه الدليل . فإن قيل قوله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الميتة » وذلك عبارة عن الجملة . قلنا : نخصه بما ذكرناه ، فإنه منصوص عليه في ذكر الصوفه وليس في آيتكم ذكره صريحاً ، فكان دللتنا أولى . والله أعلم . وقد عول الشيخ الإمام أبو إسحاق إمام الشافعية ببغداد على أن الشعر جزء متصل بالحيوان حقيقة ، فهو يمتص نجاسته ويستجس بموته كسائر الأجزاء . وأجيب بأن النماء ليس بدليل على الحياة ؛ لأن النيات ينمي وليس ينمي . وإذا عولوا على النماء المتصل لما على الحيوان عولنا نحن على الإمامة التي تدل على عدم الإحساس الذي يدل على عدم الحياة . وأما ما ذكره الحنفيون في العظم والسن والقرن أنه مثل الشعر ، فالشهور عندنا أن ذلك نجس كالحكم . وقال ابن وهب مثل قول أبي حنيفة . ولنا قول ثالث — حل تلحق أطراف القرون والأظلاف بأصولها أو بالشعر ، قولان . وكذلك الشعرى من الريش حكمة حكم الشعر ، والعظمى منه حكمة حكمة . ودللتنا قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تتعضوا من الميتة بنى " وهذا عام فيها وفي كل جزء منها ؛ إلا ما قام دليله ؛ ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى : « قال من يحيي العظام وهي رميم »

وقال تعالى : « وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا » ، وقال : « فَكُنُوا الْعِظَامَ حُصَاً » ، وقال : « أَيْدَاكُمْ عِظَامًا تَحْمِلُهَا » ، فالأصل هي العظام ، والروح والحياة فيها كما في اللحم والجسد .  
وفي حديث عبد الله بن عكيم : « لَا تَتَضَعُوا مِنَ الْمَيِّتَةِ يَدًا وَلَا عَصَبًا » . فإن قيل : قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شاة مميونة : « أَلَا أُنْفَعُكُمْ بِجِلْدِهَا » ؟ فقالوا : يا رسول الله ، إنها ميتة . فقال : « إِنَّمَا حَرَّمَ أَكْلَهَا » ، والنظم لا يؤكل . قلنا : العظم يؤكل ، وخاصة عظم الجمل الرضيع والجذى والطير ، وعظم الكبير يشوى ويؤكل . وما ذكرناه قبل يدل على وجود الحياة فيه ، وما كان طاهرا بالحياة ويستباح بالذكاة نجس بالموت . والله أعلم .

الرابعة - قوله تعالى : « زَيْنَ جُلُودِ الْأَنْعَامِ » عام في جلد الحي والميت ؟ فيجوز الاستفهام بجلود الميتة وإن لم تدخ ، وبه قال ابن شهاب الزهري والليث بن سعد . قال الطحاوي : لم نجد عن أحد من الفقهاء جواز بيع جلد الميتة قبل الدباغ إلا عن الليث . قال أبو عمر : يعني من الفقهاء أئمة الفتوى بالأصابع المتابعين ، وأما ابن شهاب فذلك عنه صحيح ، وهو قول أبناء جمهور أهل العلم . وقد روى عنهما خلاف هذا القول ، والأول أشهر .

قلت : قد ذكر الدارقطني في سننه حديث يحيى بن أيوب عن يونس وعقيل عن الزهري ، وحديث بقية عن الزبيدي ، وحديث محمد بن كثير العبدى وأبي سلمة الملقب عن سليمان بن كثير عن الزهري ، وقال في آخرها : هذه أسانيد صحاح .

الرابعة - استأخلف العلماء في جلد الميتة إن أذنب هل يطهر أم لا ؟ فذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه مذهب ابن شهاب في ذلك . وذكره ابن خزيمة في كتابه عن ابن عبد الحكم أيضا . قال ابن خزيمة : وهو قول الزهري والليث . قال : والظاهر من مذهب مالك ما ذكره ابن عبد الحكم ، وهو أن الدباغ لا يطهر جلد الميتة ، ولكن يبيح الاستفهام به في الاستسقاء الرابعة ، ولا يصل عليه ولا يؤكل فيه . وفي المذونة لابن القيم

(١) آية ٤٥٩ سورة البقرة (٢) آية ٥١ سورة المائدة (٣) آية ٥١ سورة المائدة

(٤) انظر الأصول في عدة مسائل

« من اغتصب جلد ميتة غير مذبوح فأنفقه كان عليه قيمته » وحكى أن ذلك قول مالك .  
 وذكر أبو الفرج أن مالكا قال : من اغتصب لجل جلد ميتة غير مذبوح فلا شيء عليه .  
 قال إسماعيل : إلا أن يكون لجومى . وروى ابن وهب وابن عبد الحكم عن مالك جواز بيعه ، وهذا فى جلد كل ميتة إلا الخنزير وحده ؛ لأن الزكاة لا تعمل فيه ، فالديباغ أولى .  
 قال أبو عمر : وكل جلد ذكئ فائز استعماله للوضوء وغيره . وكان مالك يكره الوضوء فى إناء جلد الميتة بعد الديباغ على اختلاف من قوله ، ومرة قال : إنه لم يكرهه إلا فى خاصة نفسه ، وترك الصلاة عليه وبيعته ، وتابعه على ذلك جماعة من أصحابه . وأما أكثر المدنيين فعمل بإباحة ذلك وإجازته ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما إهاب دفع أفعه طهر » . وعلى هذا أكثر أهل الجواز والبريق من أهل الفقه والحديث ، وهو اختيار ابن وهب .

السياسة - ذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه إلى أنه لا يجوز الاستفاح بجلود الميتة فى شيء وإن ديفت ؛ لأنها كلهم الميتة . والأخبار بالاستفاح بعد الديباغ ترد قوله . واحتج بحديث عبد الله بن عكيم - رواه أبو داود - قال : قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرض جهينة وأنا غلام شاب : « ألا تستمتعوا من الميتة بإهاب ولا عصب » .  
 وفى رواية : « قبل مائة شهر » . رواه القاسم بن عيمرة عن عبد الله بن عكيم قال : حدثنا شعبة لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إليهم . قال داود بن علي : سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فضعه وقال : ليس بشيء ، إنما يقول حديث الأسياف . قال أبو حمزة : ولو كان تابسا لاحتمال أن يكون مخالفا للأحاديث المروية عن ابن عباس وعائشة وسلمة بن أعرج وغيرهم ، لأنه جائز أن يكون معنى حديث ابن عكيم « ألا تستمتعوا من الميتة بإهاب » قبل الديباغ ؛ وإذا احتمل ألا يكون مخالفا فليس لنا أن نجعله مخالفا ، وعليه أن تستعمل الظاهرين ما أمكن ، وحديث عبد الله بن عكيم وإن كان قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم شهر كما جاء فى الخبر فيمكن أن تكون قصة ميمونة وسامع ابن عباس منه « إنما إهاب دفع أفعه طهر » قبل مائة شهر .

الثامنة - المشهور عندنا أن جلد الخنزير لا يدخل في الحديث ولا يتأوله العموم، وكذلك الكلب عند الشافعي . وعند الأوزاعي وأبي ثور : لا يطهر بالدباغ إلا جلد ما يؤكل لحمه . وروى معن بن عيسى عن مالك أنه سئل عن جلد الخنزير إذا دُبغ فكرهه . قال ابن وضاح : وسمعت يَحْنُونًا يقول لا بأس به ؛ وكذلك قال محمد بن عبد الحكم وداود بن علي وأصحابه ؛ لقوله عليه السلام : " إِيْمًا مَسْكٌ دُبِغَ قَدَّ طَهَرَ " . قال أبو عمر : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهَذَا الْقَوْلِ عَمُومَ الْجُلُودِ الْمَعْهُودِ الِاتِّتَاعَ بِهَا ، فَأَمَّا الْخَنَزِيرُ فَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّهُ خِزِرٌ مَعْهُودُ الِاتِّتَاعِ بِجِلْدِهِ ، إِذْ لَا تَعْمَلُ فِيهِ الذِّكَاةُ . ودليل آخر وهو ما قاله النَّصْرُ بْنُ شَيْمِلٍ : إِنْ الْإِجَابُ جِلْدَ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ وَالْإِبِلِ ، وَمَا عَدَاهُ فَإِمَّا يَقَالُ لَهُ : جِلْدٌ لَا إِجَابَ .

قلت : وجلد الكلب وما لا يؤكل لحمه أيضا غير معهود الانتفاع به فلا يطهر؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : " أَكَلُ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ حَرَامٌ " فليست الذكاة فيها ذكاة ؛ <sup>١</sup> كما أنها ليست في الخنزير ذكاة . وروى النسائي عن المقدم بن معد يكرب قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرير والذهب وميائير النمر .

الثاسمة - اختلف الفقهاء في الدباغ التي تطهر به جلود الميتة ما هو ؟ فقال أصحاب مالك وهو المشهور من مذهب : كل شيء دبغ الجلد من ملح أو قَرَطَ أو شَبَّ أو غير ذلك فقه بجاز لا انتفاع به . وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه ، وهو قول داود . وللشافعي في هذه المسئلة قولان : أحدهما - هذا ، والآخر أنه لا يطهر إلا الشب والقَرَطُ ؛ لأنه الدباغ المعهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه نخرج الخطائي - والله أعلم - ما رواه النسائي عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من قريش يجترّون شاة لهم مثل الحصان ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَوْ أَخَذْتُمْ إِيَّاهَا " قالوا : إِيَّاهُ مَيْتَةٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يطهرها الماء والقَرَطُ " .

(١) المالك (الفتح وسكون السين) ، الجلد . ونص بعضهم في جلد السفة ، ثم كثر حتى صار كل جلد مسكاً .  
(٢) أي من ذلك فوطي يطهرها على السرج والرجال فطرس لها لا من اللحم .  
ثم الله فيهم ، لولا أن قهرهم لا يملك الدباغ - (من شرحه الله) .

الشارحة - قوله تعالى : ﴿ أَنَا أَنَا ﴾ الأناث متاع البيت ، وأجددنا أنفسه ، هذا قول  
أبي زيد الأنصاري . وقال الأمازي : الأناث متاع البيت ، ويحييه الله وأنت . وقال  
هيرما : الأناث جميع أنواع المال ولا واحد له من لفظه . وقال الخليل : أصله من الكثرة  
وأجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر ، ومنه شعرايت أي كثير . وأنت شعر فلان  
يأت أنا إذا كثر والتف ، قال أسد القيس :

وقرّع يرين المتن أسود قاجم • أثبت كفتي النحلة المتعكلا

وقيل : الأناث ما يلبس ويفرش . وقد تأثت إذا اتخذت أناثا . وعن ابن عباس روى  
الله عنه : أناثا مالا . وقد تقدم القول في الحين ، وهو هنا وقت غير معين بحسب كل  
إنسان ، إما بموته وإما بفقد تلك الأشياء التي هي أناث . ومن هذه اللفظة قول الشاعر :  
فأهابك الظلمات يوم بانوا • بلى الزم الجليل من الأناث

قوله تعالى : ﴿ وَأَلَلَّ جَعَلْ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ  
الْجِبَالِ أَكْثَنًا وَجَعَلْ لَكُمْ مَرَجًا تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَجًا يَجْعَلُ لَكُمْ  
بَاسًا كَذَلِكَ يُمِيتُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾

فيه ست مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ ظُلُمًا ﴾ الظلال : كل ما يستظل به من البيوت والشجر .

وقوله ﴿ مِمَّا خَلَقَ ﴾ يتم جميع الأشخاص المظلة

الثانية - قوله تعالى : ﴿ أَكْثَنًا ﴾ الأثكان : جمع كثر ، وهو الحافظ من المطر  
والريح وغير ذلك ، وحى هنا التبريد في الجبال ، جعلها الله عدة للحق بأدون إليها ويحفظون  
بها ويستولون عن الخلق فيها . وفي الصحيح أنه عليه السلام كان في أول أمره يتبد بشارجره  
ويكث في الليالي . الحديث . وفي صحيح البخاري قال : نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع صاحبه ابي بكر حتى لحقا بغار في جبل تور ، فكنا فيه ثلاث ليل بيت حنذا فيه عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب <sup>(١)</sup> تقف <sup>(٢)</sup> لئن قُذِلَ من حنذا بسحر فيصبح مع قريش بمكة كانت فلا يسمع امرأ يكادان به إلا وعاد حتى ياتهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر <sup>(٣)</sup> من غنم فريسيها طليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل ، وهو لبن متحنهما ورضيغتهما حتى ينق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليال الثلاث ... ودكر الحديث .

انفرد بإخراجه البخاري .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَجَعَلَ لَكُم سِرَاطِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرْبَ ) يعني النص ، واحداها سربال . ( وسررايل تقيكم بانكم ) يعني الدروع التي تقى الناس في الحرب ؛ ومنه قول كعب بن زهير ،

سُمُّ العرائن ابطال لبوسهم \* من نسج داود في الميعة سرايل

الرابعة - إن قال قائل : كيف قال « وجعل لكم من الجبال أكتافا » ولم يذكر السهل ، وقال « تقيكم الحز » ولم يذكر البرد ؟ فالجواب أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل ، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد ، فذكر لهم نعمه التي تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ، ولم يذكر القطن والكتان ولا الثلج - كما تقدم - فإنه لم يكن ببلادهم ، قال معناه عطاء الخراساني وغيره . وأيضا : فذكر أحدهما يدل على الآخر ، ومنه قول الشاعر .

وما أدري إذا يمت أرضا \* أريد الخبير أيها يلني

الخبير الذي أنا ابتغيه \* أم الشر الذي هو يتنني

الخامسة - قال العلماء : في قوله تعالى : ( وَسَرَّائِلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ ) دليل على اتخاذ المبادعة الجهاد ليستعينوا بها على قتال الأعداء ، وقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم نقاة

(١) أي حاذق سريع الفهم . (٢) من الكيد ، أي يطلب لما فيه المكروه . (٣) أي ثاة لحب

إنا بالبداءة وإنا بالسن . (٤) الرضف ، الن المرشوف ، وهو الذي طرح فيه الحجارة الممالة لذهب ونحوه .

الجراحه وإن كان طلب الشهادة ، وليس لالمبد أن يطلبها بأن يستسلم للتحرف والطمع بالسنن  
واللصرب بالسبب ، ولكنه ليس لامة حرب لتكون له قوة على قتال عدوه ، وقاتل لتكون  
كلمة الله هي العليا ، ويضع الله بعد ما يشاء .

السادس - قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ نَسْلُكُمْ ﴾ ﴿ فَرَأَيْنَا مَعْشَرَ  
وَحِيدٍ ﴾ « تم » « بنامين » « سمته » « رما على أنها الفاعل . الباقون » « تم » « بهم الياء على أن الله  
موميها » و « نسلهم » قراءة ابن عباس وعكرمة « نسلهم » « منع التاء واللام ، أى نسلهم  
من الجراح ، وإسناده ضعيف ، رواه عباد بن العوام عن حنظلة عن شهر بن ابن عباس .  
الباقون بهم التاء ، ومعناه فتنسلهم وتتفادون إلى معرفة الله وطاعته شكرا على همه . قال  
أبو عبيد : والاختيار قراءة العاقبة ؛ لأن ما أمم الله به علينا من الإسلام أفضل مما أمم به  
من السلامة من الجراح .

قوله تعالى : فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْغَاسِقُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أى أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان . ﴿ فَإِنَّمَا  
عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ﴾ أى ليس عليك إلا البلاء ، وأما الهداية فإنها .

قوله تعالى : يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ قال السدي : يعنى : أصل الله عليه وسلم ، أى يعرفون  
نعمته ﴿ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ وينكرونها . وقال مجاهد : يريد ما عتد الله عليهم في هذه السورة  
من النعم ، أى يعرفون أنها من عند الله وينكرونها يقولهم إنهم ورثوا ذلك عن آبائهم . وبغلة  
قال قتادة : وقال عون بن عبد الله : هو قول الربيع لولا فلان لكان كذا ، ولولا فلان  
ما أصبحت كذا ، وهم يعرفون النفع والضر من عند الله . وقال الكوفي : هو أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لما عرفهم بهذه النعم كلها عرفوها وقالوا : نعم ، هي كلها نعم من الله ، ولكنها

(١) لامة للمريه : أمية : به جمل المهر تقفها .

بشاعة آلتنا . وقيل : يبرون نعمة لقد بتلقم فيها ، وينكرونها بترك الشكر عليها . ويحتمل  
سادسا - يبرونها في الثقة وينكرونها في الرضا . ويحتمل سابعا - يبرونها بأقوالهم  
وينكرون بأفعالهم . ويحتمل ثامنا - يبرونها بقلوبهم ويمجدونها بالسهم ، نظيرها « وجمدوا  
بها وأما قسما أنفسهم » ( وَأَكْثَرَهُمُ الْكَافِرُونَ ) يعني جميعهم ؛ حسبما عظم .

قوله تعالى : وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا وَلَا لَهُمْ لِيَسْتَعْتَبُونَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ) نظيره : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ  
أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » وقد تقدم . ( ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ) أي في الاعتذار والكلام ؛ كقوله :  
« وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » . وذلك حين تطبق عليهم جهنم ، كما تقدم في أول « الحجر »  
ويأتي . ( وَلَا لَهُمْ لِيَسْتَعْتَبُونَ ) يعني يسترضون ، أي لا يكفون أن يرضوا ربه ؛ لأن الآخرة  
ليست بدار تكليف ، ولا يتركون إلى رجوع الدنيا فيتوبون . وأصل الكلمة من العتب وهي  
للموجدة ؛ يقال : عتب عليه يعتب إذا وجد عليه ، فإذا فاضله ما عتب عليه فيه قيل عاتبه ،  
فإذا رجع إلى سرك فقد عتب ، والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى  
لعاتب ؛ قاله المروى . وقال النابغة :

فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا نَصِيحًا ظَلَمْتُهُ . وَإِنْ كُنْتُ ذَا عَتَى فَتَكَّ بَيْنِي

قوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَلْعَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ  
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ( وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا ) أي أشركوا . ( أَلْعَابَ ) أي عذاب جهنم  
بالدخول فيها . ( فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ) أي لا يمهلون ، إذ لا توبة لهم ثم .  
( ١ ) آية ١١ سورة البقره . ( ٢ ) آية ١١ سورة النساء . ( ٣ ) آية ١٧ طه لعل آية ١٧ .  
( ٤ ) آية ٣٦ سورة المائدة .



قوله تعالى : وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ  
شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُم  
لَكُنْتُمْ بِهِمْ <sup>(١)</sup> مُشْرِكُونَ ۖ وَقَالُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَلْبَسَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ <sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : ( وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ) أى أصنامهم وأوثانهم التى عبدوها ؟  
وذلك أن الله يبعث عبودهم فيبعثونهم حتى يوردوم النار . وفى صحيح مسلم : " من كان  
يعبد شيئاً فليتبَّعْهُ فَيَبْغِ من كان يعبد الشمس الشمس ويَبْغِ من كان يعبد القمر القمر ويَبْغِ  
من كان يعبد الطواغيت الطواغيت " الحديث ، حجه من حديث أنس ، والترمذى من حديث  
أبى هريرة ، وبه : " فَيَمَثَلُ لِصَاحِبِ الصَّابِ عَلَيْهِ وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ وَلِصَاحِبِ  
النَّارِ نَارُهُ فَيَبْغُونَ مَا كَانُوا يَبْسُدُونَ " وذكر الحديث . ( قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا  
نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ) أى الذين جعلناهم لك شركاء . ( قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُم لَكُنْتُمْ بِهِمْ  
أى ألفت إليهم الآلة القول ، أى طقت بتكذيب من عبدها ما لم تكن آلة ، ولا أمرتهم  
بعبادتها ، فينطق الله الأصنام حتى تظهر عند ذلك مصيبة الكفار . وقيل : المراد بذلك  
الملائكة الذين عبدوهم . ( وَقَالُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَلْبَسَ ) أى استلبسوا لثامه  
وخصموا لونه . وقيل : استلبس العابد والمعبود واتقادوا لحكمة فيهم . ( وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَفْتَرُونَ ) أى زال عنهم ما زين لهم الشيطان وما كانوا يؤفلون من نظام الفتن .

قوله تعالى : الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا  
فَوْقَ الَّذِي كَانُوا يَفْسِدُونَ <sup>(٣)</sup>

(١) روى هذا الحديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة - رابع كتاب الإيمان باب مرة لحرف الآية ٢

(٢) رابع الحديث فى سنن الترمذى فى باب صفة الجنة .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾ قال ابن مسعود : عقارب أنيابها كالنخل الطوال ، وحيات مثل أعناق الإبل ، وأفاعى كأنها السحالي<sup>(١)</sup> تضربهم ، تلك الزيادة . وقيل : المعنى يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار . وقيل : المعنى زدنا القادة عذاباً فوق السُفلة . فأحد العذابين على كفرهم والعذاب الآخر على صدمهم . ﴿ بَمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴾ في الدنيا من الكفر والمعصية . قوله تعالى : وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ<sup>ب</sup> وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ وهم الأنبياء ، شهداء هل أمهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوا الرسالة ودعواهم إلى الإيمان ، في كل زمان شهيد وإن لم يكن نبياً ، وفيهم قولان : أحدهما : أنهم أئمة الهدى الذين هم علماء الأنبياء . الثاني : أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه .

قلت : فعل هذا لم تكن قرة إلا وفيها من يوحد الله ، كعيسى بن ساعدة ، وزيد بن عمرو ابن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " يُبْعَثُ أُمَّةٌ وَحْدَهُ " ، وسطيح ، وورقة ابن نوفل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : " رأيته يمسس في أنهار الجنة " . فهؤلاء ممن كان مثلهم حجة على أهل زمانهم وشهيد عليهم . والله أعلم . وقوله « وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ » تقدم في البقرة والقساء .

قوله تعالى : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ نظيره : « مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وقد تقدم ، فليظهر هناك . وقال مجاهد : تبياناً للهلل والحرام .

(١) السحالي : جبال طوال الأفاعي . (٢) هر كامن في ديب ، كان يكثر في الماطية ، راسه وبيج من ريشة . (راجع سورة ابن شام من ٩ طبع لعمري) . (٣) رابع ج ٢ ص ٥٤ طبع مكتبة وهدى ص ١٢٢ طبع دار الفقه . (٤) طبع ج ١ ص ١١٩ طبع دار الفقه .

قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ  
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ) روى عن عثمان بن مظعون أنه قال : لما نزلت هذه الآية قرأتها على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتعجب فقال : يا آل طالب ، اتبعوه فخلصوا ، فوالله إن الله أرسله ليأمركم بحكم الأخلاق . وفي حديث — إن أبا طالب لما قيل له : إن ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية ، قال : اتبعوا ابن أبي ، فوالله إنه لا يأمر إلا بحسن الأخلاق . وقال عكرمة : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » إلى آخرها ، فقال : يا ابن أبي أعد ! فأعاد عليه فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أصله لمؤرق ، وأعلاه لشر ، وما هو بقول بشر ! وذكر القرظي أن عثمان بن مظعون هو القارئ . قال عثمان : ما أسلمت ابتداء إلا حياة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي ، ففسرناها على الوليد بن المغيرة فقال : يا ابن أبي أعد ! فأعدت فقال : والله إن له لحلاوة ، ... وذكرنا ما لمهلب ، وقال ابن مسعود : هذه أجمع آية في القرآن لم يمتثل ، ولشر يحنب . وحكي النقاش قال : يقال زكاة العدل الإحسان . وزكاة القدرة المغفر ، وزكاة الفنى المعروف ، وزكاة الجلاء كُتِبَ الرجل إلى إخوانه .

الثانية — اختلف العلماء في تأويل العدل والإحسان ؛ فقال ابن عباس : العدل لا إله إلا الله ، والإحسان أداء الفرائض . وقيل : العدل القرض ، والإحسان النافلة . وقال مسفيان بن عيينة : العدل ما هنا أسماء السريرة ، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية . علي بن أبي طالب : العدل الإنصاف ، والإحسان التفضل . قال ابن عطية :

العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق . والإحسان هو فصل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو مفروض، إلا أن حدَّ الإجزاء منه داخل في العدل، والتكبير الزائد على الإجزاء داخل في الإحسان . وأما قول ابن عباس فقيه نظر؛ لأن أداء القرائض هي الإسلام حسبما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل، وذلك هو العدل، وإنما الإحسان التكيلات والمندوب إليه حسبما يقتضيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فإن صح هذا عن ابن عباس فلأنما أراد القرائض مكملة . وقال ابن العربي: العدل بين العبد وبين ربه إثبات حقه تعالى على حفظ نفسه، وتقديم رضاء على هواه، والاحتساب للزواجر والامتناع للاوامر . وأما العدل بينه وبين نفسه فمنها مما فيه هلاكها؛ قال الله تعالى: «وَتَتَّبِعِ النَّفْسَ الَّتِي <sup>هِيَ</sup> الْهَوَىٰ» وعزوبُ الأطلاع من الإجماع، وزومُ القناعة في كل حالٍ ومعنى . وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قلَّ وكثُر، والإنصاف من حَسَك لم بكل وجه، ولا يكون منك إساءة إلى أحد بقول ولا فعل لا في سرٍّ ولا في علن، والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى، وأقل ذلك الإنصاف وترك الأذى .

قلت: هذا التفصيل في العدل حسنٌ وعدل، وأما الإحسان فقد قال علماؤنا: الإحسان مصدر أحسن يُحسن إحساناً . ويقال على منين: أحدهما متعد بنفسه؛ كقولك: أحسنت كذا، أي حسنته وكنته، وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء . وثانيهما متعدٌ بحرف جر؛ كقولك: أحسنت إلى فلان، أي أوصلت إليه ما ينتفع به .

قلت: وهو في هذه الآية مراد بالمعتنين معاً؛ فإنه تعالى يجب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى أن الطائر في سمك والسمور في دارك لا ينبغي أن تقصر تهمة بإحسانك؛ وهو تعالى غني عن إحسانهم، ومنه الإحسان والميم والفضل والممن . وهو في حديث جبريل:

بالمعنى الأول لا بالتاني؛ فإن المعنى الأول راجع إلى إتيان العبادة وسراعاتها بأدائها المصححة والمكتملة، ومراقبة الحق فيها، واستحضار عظمتها وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. وهو المراد بقوله "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَانْهَ يَرَاكَ" . وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين : أحدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه . ولجئ النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى هذه الحالة بقوله : "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" . وثانيهما — لا تنهى إلى هذا ؛ لكن يطلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له ، وإليه الإشارة بقوله تعالى « الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقْلِبُ فِي السَّاجِدِينَ » وقوله : « إِلَّا كَأَنَّكُمْ سُودًا إِذْ تُخَيَّضُونَ فِيهِ » .

الثالثة — قوله تعالى : ( وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ) أي القرابة؛ يقول : يعطيهم المال سبما قال « وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ » يعني صلته . وهذا من باب عطف المنسوب على الواجب . وبه استدلل الشافعي في إيجاب إيتاء المكاتب ؛ على ما يأتي بيانه . وإنما خص ذا القربى لأن حقوقهم أؤكد وصلتهم أوجب ؛ لتأكيد حق الرحم التي اشتق الله أسمها من اسمه ، وجعل صلته من صلته ، فقال في الصحيح : "أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ أُحِلَّ مِنْ مَوْلَاكِ وَأُطْعَمَ مِنْ فُطْعَمِكَ" . ولا سيما إذا كانوا فقراء .

الرابعة — قوله تعالى : ( وَيَتَّقِي عَيْنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنِّبَىٰ ) الفحشاء : الفحش ؛ وهو كل قبيح من قول أو فعل . ابن عباس : هو الزنى . والمنكر : ما أنكره الشرع بالنهي عنه ؛ وهو يجمع المعاصي والزنا والبدعات على اختلاف أنواعها . وقبل هو الشرك . والنبى : هو الكبر والظلم والحقد والتعدي ؛ وحقته تجاوز الحد ، وهو داخل تحت المنكر ؛ لكنه تعالى خصه بالذكر إجماله لشدة ضرره . وفي الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ "لا ذنب أسرع عقوبة من نبي" . وقال عليه السلام : "البائى مصروع" . وقد وعد الله من نبي عليه بالنصر . وفي بعض الكتب للثلاثة : لوبيج جبل على جبل لجعل البائى منهما ذكاً .

(١) آية ٢١٨ سورة الشعراء . (٢) آية ٦١ سورة هود . (٣) آية ٢٦ سورة الإسراء .

(٤) جامع صحيح البخارى في كتاب الفحص لسورة محمد وكتاب الأدب والفرج . وصحيح مسلم في تحف الأديب .

الحاشية - ترجم الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه فقال : (باب قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » يتلوه لعلكم تذكرون » ، وقوله : « إنما بينكم على أنفسكم » ، ثم بين عليه لينصره الله ، وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر ) ثم ذكر حديث عائشة في يحرر ليد ابن الأعظم النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن بطال : فتأول رضى الله عنه من هذه الآيات ترك إثارة الشر على مسلم أو كافر ، كما دل على حديث عائشة حيث قال عليه السلام : « إنما الله قد شفى وأما أنا فأكفره إن أثير على الناس شراً » . ووجه ذلك - والله أعلم - أنه تأول في قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » النذب بالإحسان إلى المسمى وترك معاقبته على إساءته ، فإن قيل : كيف يصح هذا التأويل في آيات البنى ، قيل : وجه ذلك - والله أعلم - أنه لما أظم الله عباده بأن ضرر البنى ينصرف على الباغى بقوله : « إنما بينكم على أنفسكم » ، وحين تألى نصرة من بينى عليه ، كان الأولى بمن بينى عليه شكر الله على ما ضمن من نصرة ومقاومة ذلك بالغفر من بينى عليه ؛ وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم باليهودى الذى صهره ، وقد كان له الانتقام منه بقوله : « وإن عاقبتهم فما يقبوا بمثل ما عوبتكم به » . ولكن أكر الصفيح أخذاً بقوله : « وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَنُغْفِرَنَّ لَكَ وَلَنُغْفِرَنَّ لَكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ » .

الحاشية - تضمنت هذه الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تقدم القول فيهما . وروى أن جماعة رقت ما ملها إلى أبي جعفر المنصور العباسي ، لحاجتها العامل وعلها ، بأنهم لم يشعروا عليه كبر ظلم ولا جور في شيء ؛ فقام قتي من القوم فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإنه عدل ولم يحسن . قال : فعجب أبو جعفر من إصابته وعزل العامل .

(١) كذا في نسخة . (٢) كذا في نسخة . (٣) داجج - ١٧

قوله تعالى : وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٠١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ) فقط علم بجمع ما يُعَدُّ باللسان ويترجمه للإنسان من بيع أو صلة أو موافقة في أمر موافق للبيعة . وهذه الآية مضمنة قوله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » لأن المعنى فيها : اعملوا كذا ، واتموا عن كذا ، فغطف على ذلك التقدير . وقد قيل : إنها نزلت فيبيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام . وقيل : نزلت في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية وحاء الإسلام بالوفاء به ؛ فانه فتادة ومجاهدة وأمين زيد . والعموم يتناول كل ذلك كما ينشأ . وروى الصحيح عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحلف في الإسلام وأبى حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة » يعني في نصرته الحق والقيام به والمواصلة . وهذا كحلف الفضول الذي ذكره كمين إسحاق قال : اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جُدعان لشربه ونسبه ، فتمادوا وتمادوا على ألا يعيدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم إلا قاموا معه حتى رُدَّ عليه مظلمته ؛ فقسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، أى حلف الفضائل . والفضول هنا جمع فضل للكثرة كفضل وفلس . وروى ابن إسحاق عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر اللثم لو ادعى به في الإسلام لأجبت » . وقال ابن إسحاق : تحالف الوليد بن عُتبة على حسين بن علي في مال له ، لسلطان الوليد فانه كان أميرا على المدينة ؛ فقال له حسين بن علي : أحلف بالله لننصق من حق أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعوه بحلف الفضول . قال عبد الله بن الزبير : وأنا أحلف والله لن دعانا لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جيما . وبلغت المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك . وبلغت

(١) في سورة ابن شهاب : « لشربة » . (٢) في سورة ابن شهاب : « ثلث مائة » .

عبد الرحمن بن عثمان بن صيد الله التيمي فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد أنصفه . قال العلماء : فهذا الحلف الذي كان في الجاهلية هو الذي شته الإسلام وخصه النبي عليه الصلاة والسلام من عموم قوله : " لا حلف في الإسلام " . والحكمة في ذلك أن الشرع جاء بالانتصار من الظالم وأخذ الحق منه وإيصاله إلى المظلوم ، وأوجب ذلك بأصل الشريعة إيجاباً عاماً على من قدر من المكلفين ، وجعل لهم السبل على الظالمين فقال تعالى : « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَمْ يَذُوبُوا أَلَيْسَ » . وفي الصحيح : " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " قالوا : يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : " تأخذ على يديه " في رواية : نمنعه من الظلم — فإن ذلك نصره " . وقد تقدم قوله عليه السلام : " إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يبعثهم الله بعقاب من عنده " .

الثانية — قوله تعالى : ( وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِدِهَا ) يقول بعد تشديدها وتليظها ، يقال : توكيد وتأكيد ، وتؤكد وتؤكد ، وهما لفتان .  
الثالثة — قوله تعالى : ( وَقَدْ جِئْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ) يعني شهيدياً . ويقال حافظاً . ويقال ضامناً . وإنما قال « بعد توكيدها » تفرقا بين اليمين المؤكدة بالمزم وبين نحو اليمين : وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك : التوكيد هو حلف الإنسان في الشيء الواحد مراراً ، يردد فيه الأيمان ثلاثاً أو أكثر من ذلك ؛ كقوله : والله لا أقصه من كذا ، والله لا أقصه من كذا ، والله لا أقصه من كذا . قال : فكفارة ذلك واحدة مثل كفارة اليمين . وقاله يحيى بن سعيد : هي العهد ، والمهديين ، ولكن الفرق بينهما أن العهد لا يكفر . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْدَأُ سِتَةٍ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ " . قال هذه غدره فلان . وأما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه فيها الكفارة بخصلة واحدة ، وحل ما اعتقدت عليه اليمين . وقال ابن عمر : التوكيد هو أن يحلف مرتين ، فإن حلف واحدة فلا كفارة له . وقد تقدم في المسألة .

(١) آية ٤٤ سورة التورى . (٢) راجع به ٦ ص ٢٦٤ طبة أول آياتها .



قوله تعالى : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَضَتْ ظُهُلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثِكُمْ  
تَحْذَرُونَ ائِمَّتَكُمْ دَخَلًا يَنْسَكِرُونَ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِمَّا  
يَسْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَضَتْ ظُهُلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثِكُمْ ) النقص والنكث  
واحد ، والاسم النكت والنقض ، والمع الأنكاث . فثبت هذه الآية التي يحلف ويماهد  
ويعزم عهده ثم ينقضه بالمرأة تنزل غزلهما وتقتله محكما ثم تحله . ويروي أن امرأة عفاء كانت  
بمكة نسى ربطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تعمل ذلك ، فيها وقع  
التشبه ، قاله القراء ، وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا للمرأة . وقال مجاهد وقادذه  
وذلك ضرب مثل ، لا على امرأة معينة . و « أنكاثا » نصب على الحال . والذلل : الذلل  
والخديعة والنش . قال أبو عبيدة : كل أمر لم يكن صحيحا فهو ذلل . ( أَنَّ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ  
أَرَبِيٍّ مِنْ أُمَّةٍ ) قال المفسرون : نزلت هذه الآية في العرب اللتين كانت القليلة منهم إذ خالفت  
أخرى ، ثم جاءت إحداها قليلة كثيرة قوية فداخلتها قدرت الأولى ونقضت عهدها  
ورجعت إلى هذه الكبرى — قاله مجاهد — فقال الله تعالى : لا تنقضوا العهود من أجل  
أن طائفة أكثر من طائفة أخرى أو أكثر أموالا تنقضوا إيمانكم إنا رأيت للكثرة والسمة  
في الدنيا لأعدائكم المشركين . والمقصود النهي عن السؤد إلى الكفر بسبب كثرة الكفار  
وكثرة أموالهم . وقال القراء : المعنى لا تتدروا بقوم لقتلهم وكفرهم أو لقتلهم وكفرهم ، وقد  
عززعوهم بالإيمان . ( أَرَبِيٍّ ) أي أكثر من ربا الشيء يزوي إنا أكثر . والضمير في « به »  
يحتمل أن يعود على الوفاء الذي أسره الله به . ويحتمل أن يعود على الربا ، أي أن الله تعالى  
ابتلى عباده بالחסد وطلب بعضهم الظهور على بعض ، واختبرهم بذلك ليري من يجاهد  
نفسه فيخالها لمن يقبها ويعمل بمقتضى هواها ، وهو معنى قوله : ( إِمَّا يَسْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ  
وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) من البعث وغيره .

قوله تعالى : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُتُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) أى على ملّة واحدة . ( وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ) يخذلانه إياهم ، خذلاً منه فيهم . ( وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) يتوفيقه إياهم ، فضلاً منه عليهم ، ولا يُسال عما يفعل بل تسألون أتم . والآية ترد على أهل القدر كما تقدم . واللام في « وليبين ولتسلتن » مع النون المشددة بدلان على قسم مضمر ، أى والله ليبين لكم ولتسلتن .

قوله تعالى : وَلَا تَتَّبِعُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تَتَّبِعُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ) كرر ذلك تأكيداً . ( فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ) مبالغة في التهيّء عنه لعظم موقفه في الدين وتردده في معاشرات الناس ، أى لا تعقدوا الأيمان بالنظر على الخديعة والفساد فتَرِلَ قدم بعد ثبوتها ، أى عن الأيمان بعد المعرفة بالله . وهذه استعارة السقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه ، لأن القدم إذا زلت تقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر ، ومن هذا المعنى قول كثير :

• قلما توافينا ثبوت وزلت •

والعرب تقول لكل مبتلي بعد عافية أو ساقط في ورطة : زلت قدمه ؛ كقول الشاعر :

سَمِعْتُ مِنْكَ السَّقْطُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا • وَتَقْتُلُ ابْنَ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

ويقال لمن أخطأ في شيء : زل فيه . ثم توعّد تعالى بعدد بذياب في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة . وهذا الوعيد إنما هو فيمن تقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن من صاهده ثم تقض عهده خرج عن الإيمان ، ولهذا قال : ( وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) أى بصدكم . وذوق السوء في الدنيا هو ما يجلب بهم من المكروه .

قوله تعالى : وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ( وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ) نهي عن الرشا وأخذ الأموال على قبض العهد ، أى لاتنقضوا عهودكم لمرض قليل من الدنيا . وإعسا كان قليلا وإن كثر لانه مما يزول ، فهو على التحقيق قليل ، وهو المراد بقوله : « مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ » فيبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول ، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جته ثابت لا يزول لمن وثق بالعهد وتبت على المقد . ولقد أحسن من قال :

المالُ يَنْفَدُ جُلَّهُ وحرامه • يوما وتبقى في غدا آثامه

ليس الثَّقیُّ بِثَقِيٍّ لِإِلَهِهِ <sup>(١)</sup> • حتى يطيب شرابه وطعامه

آخره •

هَبِ الدنيا تساق إليك عَفْوَ • أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنيالك إلا مُثْلُ فِيهِ • أطلقك ثم أقتل بالزوال

قوله تعالى : ( وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ) أى على الإسلام والطاعات وعن المعاصي • ( أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) أى من الطاعات ، وجعلها أحسن لأن ما عداها من الحسن مباح ، والجزاء إما يكون على الطاعات من حيث الوعد من الله . وقرأ عاصم وابن كثير « وَلَنَجْزِيَنَّ » بالنون على التعظيم . للباقون بالياء . وقيل : إن هذه الآية « وَلَا تَشْتَرُوا » إلى هنا نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي وخصمه ابن أسوع ، اختصما في أرض فاراه امرؤ القيس أن يحلف فلما سمع هذه الآية نكل وأقر له بحقه ، والله أعلم •

(١) في نسخ الأصول ، • ليس حسن بن مير باعله •

والنصب عن أدب الدنيا والدين ص ٢١٢ طبع بولاق . (٢) الذي في كتب المصطفی في ترجمة امرئ القيس ابن عابس أنه ربيعة بن عیدان . وقال صاحب كتاب الإصابة في ترجمة عیدان بن أسوع : « ذكر مقاتل في تضييده أنه الذي حاصر أمرا القيس بن عابس الكندي في أرضه ، وفيه نزلت » إن القين يشترون بعهد الله ... » الآية و

قوله تعالى : **مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَئٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى : ( **مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَئٰةً طَيِّبَةً** ) شرط وجوابه . وفي الحياة الطيبة خمسة أقوال : الأول - أنه الرزق الحلال؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعطاء والضحاك . الثاني - القناعة؛ قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه، ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الثالث - توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله؛ قال معاذ الضحاك . وقال أيضا : من عمل صالحا وهو مؤمن في قافة ومبصرة لحياة طيبة، ومن أعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحا فبعثته صنك لا خير فيها . وقال مجاهد وقادة وابن زيد : هي الجنة، وقاله الحسن، وقال : لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة . وقيل هي السعادة، روى عن ابن عباس أيضا . وقال أبو بكر الوراق : هي حلالة الطاعة . وقال سهل بن عبد الله التستري : هي أن يتبرع عن العبد تديره ويرد تديره إلى الحق . وقال جعفر الصادق : هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدي الله . وقيل : الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق . وقيل : الرضا بالقضاء . ( **وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم** ) أي في الآخرة . ( **بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ) . وقال « فلنحيينه » ثم قال « ولنجزينهم » لأن « مَنْ » يصلح للواحد والجمع، فأعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى؛ وقد تقدم . وقال أبو صالح : جلس ماس من أهل التوراة وناس من أهل الإنجيل وناس من أهل الأوثان، فقال هؤلاء : نحن أفضل؛ وقال هؤلاء : نحن أفضل؛ ففزلت .

قوله تعالى : **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١٧٨﴾

فيه مسألة واحدة - وهي أن هذه الآية متصلة بقوله : « وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَتَابَ نَبِيًّا لِّكُلِّ شَيْءٍ » فإذا أخذت في فراغه فاستعذ بالله من أن يمرضك الشيطان فيصدك عن

تدبره والعمل بما فيه ؛ وليس يريد استئذ بعد القراءة ؛ بل هو كقولك : إذا أكلت فقل  
بسم الله ؛ أي إذا أردت أن تأكل . وقد روى جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله  
صل الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال : « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه  
ونقعه ونفته » . وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صل الله عليه وسلم كان يتنوذ في صلاته  
قبل القراءة . قال النكاح الطبري : ونقل عن بعض السلف التنوذ بعد القراءة مطلقا ، احتجا  
بقوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستذ بالله من الشيطان الرجيم » ولا شك أن ظاهر  
ذلك يقتضي أن تكون الاستاذة بعد القراءة كقوله تعالى : « فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا  
اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا » . إلا أن غيره محتمل ، مثل قوله تعالى : « وَإِذَا قُمْتُمْ فَاعْبُدُوا » . وإذا  
سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد  
سؤال مقدم . ومنه قول النخائل : إنا قلت فأصدق ، وإذا أحمرت فاقسل ؛ يعني قبل  
الإحرام . والمعنى في جميع ذلك : إذا أردت ذلك ، فكذلك الاستاذة . وقد تقدم هذا المعنى ،  
وتقدم القول في الاستاذة مستوفى .

قوله تعالى : **إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠١﴾ إِمَّا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٢﴾**

قوله تعالى : ( **إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا** ) أي يتوكلوا والكفرة ؛ أي ليس  
لك قدرة على أن تجعلهم على ذنب لا يفر ؛ قاله سفيان . وقال مجاهد : لا حيلة له على  
ما يدعوهم إليه من المعاصي . وقيل : إنه ليس له عليهم سلطان بحال ؛ لأن الله تعالى صرف

(١) المنز : النفس والبدن ؛ وكل شيء دفعه عنه همزه . والتعق : الكبر ؛ لأن الكبر يعظم ويجمع معه  
وقته فيحتاج أن يتعق . والتفت : قال ابن الأنبر : جاء تفسيره في الحديث أنه التفر ؛ لأنه يفت من قهر .

(٢) آية ١٠٢ سورة النساء . (٣) آية ١٥٢ سورة الأنعام . (٤) آية ٥٢ سورة الأحزاب .

(٥) راجع ١٧٦ ص ٨٦ طبعه ثانية أواخر ١٤٢٠

سلطانهم حين قال مدواؤه إليس لهنه الله ؟ ولا أعزيتهم أجمعين . إلا جادلك منهم  
 المختصين قال الله تعالى : { إن جادى ليس لك عليهم سلطان إلا من أتبعك من الفاوين . }  
 قلت : قد يتا أن هذا عام يدخله التخصيص ، وقد أعزى آدم وحواء عليهما السلام  
 بسلطانهم ، وقد شوش على الفضلاء أوقاتهم بقوله : من خلق ربك ؟ حسبنا تقدم في آخر  
 الأعراف بيانه . { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ } أى بطيعونه . يقال : تولته أى أطعته ،  
 وتوليت عنه ، أى أعرضت عنه . { وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } أى بالله ؛ قاله مجاهد  
 والضحاك . وقيل : يرجع « به » إلى الشيطان ؛ قاله الربيع بن أنس والفتي . والمعنى :  
 والذين هم من أجله مشركون . يقال : كفرت بهذه الكلمة ، أى من أجلها . وصار فلان بك  
 حالما ، أى من أجلك . أى والذي تولى الشيطان مشركون بالله .

قوله تعالى : { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ }  
 قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ  
 الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى  
 لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٢﴾

قوله تعالى : { وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ } قيل : المعنى بدلنا شريعة  
 متقدمة بشريعة متأخرة ؛ قاله ابن جر . مجاهد : أى رفنا آية وجعلنا موضعها غيرها .  
 وقال الجمهور : نسخنا آية بأية أشد منها عليهم . والنسخ والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره  
 مكانه . وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى . { قَالُوا } يريد كفار قريش . { إِنَّمَا }  
 أَنْتَ مُفْتَرٍ أى كاذبٌ غثائي ، وذلك لما رأوا من تبديل الحكم . فقال الله : { بَلْ أَكْثَرُهُمْ }  
 لَا يَعْلَمُونَ { } أن الله شرع الأحكام وتبديل البعض البعض . وقوله . { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ }  
 الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٢﴾

(١) آية ٣٩ وما بعدها سورة الحجر . (٢) وأجمع به ٧ ص ٤٨ . (٣) وأجمع به ٢ ص ٦١  
 وما بعدها طيبة ثانية .

الْقُدْسِ) بنى جبريل، نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه . وروى بإسناد صحيح عن ماسر الشعبي قال : وَكَلَّ إِسْرَافِيلُ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَكَانَ يَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَةُ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ . وفي صحيح مسلم أيضا أنه نزل عليه بسورة « الحمد » مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلْ إِلَى الْأَرْضِ قَطُّ . كما تقدم في الفاتحة بيانه . ( مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ) أى من كلام ربك . ( لِيُنَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ) أى بما فيه من الحجج والآيات . ( وَهُدًى ) أى وهو هدى . ( وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ) .

قوله تعالى : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَانِ أَتَذْكُرَ يَلْعَدُونَ إِلَيْهِ أُعْجِبْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ) اختلف في أسم هذا الذى قالوا إنما يعلمه ، قيل : هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر ، كان نصرانيا فأسلم ، وكانوا إذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما مضى وما هوأت مع أنه أتى لم يندأ قالوا : إنما يعلمه جبر وهو أعجمي ، فقال الله تعالى : ( لِّئَانِ أَتَذْكُرَ يَلْعَدُونَ إِلَيْهِ أُعْجِبْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ) أى كيف يعلمه جبر وهو أعجمي هذا الكلام الذى لا يستطيع الإنسان والجحش أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها ، وذكر تيفاش أن مولى جبر كان يضربه ويقول له : أنت تعلم جدا ، فيقول : لا والله ، بل هو يمانى ويهدى . وقال ابن إسحاق : كان النبي صلى الله عليه وسلم — فيا بلنى — كبيرا ما يجلس عند المزة إلى غلام نصراني ، يقال له جبر ، عبد بنى الحضرى ، وكان يقرأ الكتب ، فقال المشركون : والله ما يعلم جدا ما يأتي به إلا جبر النصراني . وقد عكرمه : اسمه بيش عبد بنى الحضرى ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقنه القرآن ، ذكره الماوردى . وذكر الثعلبي عن عكرمة وقصاده أنه غلام لبنى المغيرة اسمه بيش ، وكان يقرأ الكتب الأعجمية ، فقالت قريش : إنما يعلمه بشر ، فقتلت . المهدي عن عكرمة :

هو غلام لبني عامر بن لؤي ، واسمه عيش . وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي : كان لنا  
 غلامان نصرانيان من أهل عين القروء اسم أحدهما يسار واسم الآخر جبر . فكان ذكر الماوردي  
 والقشيري والتلمبي ، إلا أن التلمبي قال : يقال لأحدهما نيت ويكنى أبا فكيهة ، والآخر جبر ،  
 وكانا صبيقتين<sup>(١)</sup> يملكان السيوف ، وكانا يقرآن كتابا لهم . التلمبي : يقرآن التوراة والإنجيل .  
 الماوردي : والمهدوي : التوراة . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزجها ويسمع  
 قراءتهما ، وكان المشركون يقولون : يتعلم منهما ، فأنزل الله هذه الآية وأكذبهم . وقيل :  
 صنوا سلمان الفارسي رضى الله عنه ، قاله الضحاك . وقيل : نصرانيا بمكة أسمه بلعام ، وكان  
 غلاما يقرأ التوراة ، قاله ابن عباس . وكان المشركون يزعمون رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 حين يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا : إنما يلهمه بلعام . وقال القنبي : كان بمكة  
 رجل نصراني يقال له أبو ميسرة يتكلم بالرومية ، فرجا فمد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 فقال للكفار : إنما يتعلم محمد منه ، فتركت . وفي رواية أنه عداس غلام عتبة بن ربيعة .  
 وقيل : هابس غلام حويط بن عبد العزى ويسار أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي ، وكان  
 قد أسلم . والله أعلم .

قلت : والكل محتمل ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة  
 ليعلمهم مما علمه الله ، وكان ذلك بمكة . وقال النحاس : وهذه الأقوال ليست بمناقضة ، لأنه  
 يجوز أن يكونوا أوامروا إلى هؤلاء جميعا ، وزعموا أنهم يملونه

قلت : وأما ما ذكره الضحاك من أنه سلمان ففيه بعد ، لأن سلمان إنما أتى النبي صلى  
 الله عليه وسلم بالمدينة ، وهذه الآية مكية . ( لَسَانَ الَّذِي يُجَدُّونَ إِلَيْهِ أُعْجِمِي ) ( الإلحاد : الميل ،  
 يقال : لحذ ولحذاء ، أى مال عن القصد . وقد تقدم في الأعراف . وقرأ حمزة « يَلْحَدُونَ »  
 بفتح الياء والحاء ، أى لسان الذى يميلون إليه ويشيرون أعجمي . والمجعة : الإخفاء وضد  
 البيان . ورجل أعجم وأمراة عجماء ، أى لا يفصح ، ومنه عجم الذنب لاستناره . والمجماء :

(١) الصيقل : شاة السيوف وجلادها . (٢) واجم ٧ ص ٣٢٨ طبة امل اراتانية .



البرية؛ لأنها لا توضح عن نفسها . وأجمعت الكتاب أى أزلت عجمته . والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم أجميا . وقال القرطبي : الأعمى الذى فى لسانه عجمة وإن كان من العرب ، والأعمى أو المعجمى الذى أصله من العجم . وقال أبو بل : الأعمى الذى لا يفصح ، سواء كان من العرب أو من العجم ، وكذلك الأعمى والأعمى المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً . وأراد باللسان القرآن ؛ لأن العرب يقولون القصيدة والبيت : لسان؛ قال الشاعر :

لِسَانُ الشَّرِّ تَهْلِيهِ الْيَنَاءُ • وَغَتَّ وَمَا حَبَبَكَ أَنْ تَخُوَا

يعنى باللسان القصيدة . ( وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مَيِّنٌ ) أى أفصح ما يكون من العربية .

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ) أى هؤلاء المشركون الذين لا يؤمنون بالقرآن . ( **لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ) .

قوله تعالى : **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ) هذا جواب وصفهم الذى صلى الله عليه وسلم بالافتراء . ( **وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ) هذا مبالغة فى وصفهم بالكذب ؛ أى كل كذب قليل بالنسبة إلى كذبهم . ويقال : كذب فلان ولا يقال إنه كاذب ؛ لأن الفعل قد يكون لازماً وقد لا يكون لازماً . فاما التعت فيكون لازماً ولهذا يقال : عصى آدمُ ربه فَنَوَى ، ولا يقال : إنه عاص غاي . فإذا قيل : كذب فلان فهو كاذب ، كان مبالغة فى الوصف بالكذب ؛ قاله القرطبي .

قوله تعالى : **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلْهُ**  
**مُطْمَئِنِّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ**  
**اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٥**

فيه إحدى وعشرون مسألة :

الأول - قوله تعالى : **( مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ )** هذا متصل بقوله تعالى : **« وَلَا تَقْفُوا**  
**الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا فَكَانَ مُبَالَغَةً فِي الْوَصْفِ بِالْكَذِبِ ؛** لأن معناه لا ترتدوا عن بيعة الرسول  
صل الله عليه وسلم . أي من كفر من بعد إيمانه وأرتد فعليه غضب الله . قال الكلبي : نزلت  
في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وزيقيس بن ضبابة وعبد الله بن خططل ، وقيس بن الوليد بن  
اللفيرة ، كفروا بعد إيمانهم . ثم قال : **( إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ )** . وقال الزجاج : **« من كفر بالله**  
**من بعد إيمانه . بدل ممن يفتري الكذب ؛ أي إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد**  
**إيمانه ؛ لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام فسلقه بما قبله . وقال الأخفش : « من »**  
**أبتداء وخبره محذوف ، اكتفى منه بخبر « من » الثانية ؛ كقولك : من يأتنا من يحسن نكرم .**  
**الثانية -** قوله تعالى : **( إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ )** هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، في قول  
أهل التفسير ؛ لأنه قارب بعض ما نذروه إليه . قال ابن عباس : أخذته المشركون وأخذوا  
أباه وأمه ثُمَيَّةَ وَصُفَيَّا وبلالا وخبابا وسالبا فمذبوهم ، ورُبِطت ثُمَيَّةُ بين بعيرين ووُجِرَ  
قُبَاهَا بِحَجْرَةٍ ، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال ؛ فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول  
قتيلين في الإسلام . وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكْرَهًا ، فشكا ذلك إلى رسول الله  
صل الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صل الله عليه وسلم : **« كيف تجد فليك ؟ »** قال :  
**مطمئن بالإيمان . فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : « فإن عادوا فعد » . وروى**  
**منصور بن المُنْتَعِر عن مجاهد قال : أول شهيدة في الإسلام أم عمار ، قتلها أبو جهل . وأول**

شديد من الرجال يهتبع مولى عمر . وروى منصور أيضا عن مجاهد قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، ولبل ، وغياث ، وصهيب ، وعمار ، وشيبة أم عمار . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنه أبو طالب ، وأما أبو بكر فنه قومه ، وأخذوا الآخرين فالسوم أذراع الحديد ، ثم صودهم في الشمس حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس ، فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل ومعه حربة ، فجعل يسهم ويوجههم ، وأتى شعبة فجعل يسبها ويرقت<sup>(١)</sup> ، ثم طعن فرجها حتى نرجعت الحربة من فيها فقتلها ، رضى الله عنها . قال : وقال الآخرون ما سئلوا ، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله ، فجعلوا يذبحونه ويقولون له : لرفع عن دينك ، وهو يقول أحد أحد ، حتى ملوه ، ثم كسفوه وجعلوا في حقه حيل من ليف ، ودفعوه إلى صبيانهم يطعنون به بين أخشى مكة حتى ملوه وتركوه ، قال فقال عمار : كلنا تكلم بالذي قالوا — لولا أن الله تباركنا — غير بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله ، فهان على قومه حتى ملوه وتركوه . والصحيح أن أبا بكر اشتري بلالا فاقطعه . وروى ابن أبي نجيع عن مجاهد أن ناسا من أهل مكة آمنوا ، فكذب إليهم بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة : أن هاجروا إلينا ، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة حتى أدركتهم قريش بالطريق ، فقتلهم فكفروا مكربين ، ففهم نزلت هذه الآية . ذكر الروايين عن مجاهد إسماعيل بن إسحاق . وروى الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أحرسهما » هذا حديث حسن غريب . وروى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الجنة تشاق إلى ثلاثة علي وعمار وهلمان بن ربيعة » . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن صالح .

الثالثة — لما سمع الله عز وجل بالكفر به وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤخذ به ، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها ، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤخذ به ولم يرتب

١ (١) الفتح ، هتفت من هتوله . (٢) الأشتيان ، الجبلان المطبقان بمكة ، وما أبو ريس والأحر .



وجهه، قال : وفيه نزل « فَأَيُّهَا تُولُوا قَوْمَ وَجْهَ اللَّهِ » في رواية : ومُؤَيَّر عليها ، غير أنه لا يصلح عليها المكتوبة . فإذا كان هذا مباهاً في السفر في حالة الأمن لتعب التزول من الدابة للتغلب فكيف بهذا . واحتج من قصر الرخصة على القول بقول ابن مسعود : ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكئاً به . قصر الرخصة على القول ولم يذكر الفعل، وهذا لا حجة فيه؛ لأنه يحتمل أن يجعل للكلام مثلاً وهو يريد أن الفعل في حكمه . وقالت طائفة : الإكراه في الفعل والقول سواء إذا أسر الإيمان . روى ذلك من عمر بن الخطاب ومكحول، وهو قول مالك وطائفة من أهل العراق . روى ابن القاسم عن مالك أن من أكره على شرب الخمر وترك الصلاة أو الإفطار في رمضان، أن الإثم عنه مرفوع .

السادس - أجمع العلماء على أن من أكره على قتل غيره أنه لا يجوز له الإقدام على قتله ولا انتهاك حرمة بجلده أو غيره، ويصبر على البلاء الذي نزل به، ولا يحل له أن يقتل نفسه بغيره، ويمال الله العاقبة في الدنيا والآخرة .

واختلف في الزنى، فقال مطرف وأصعب وابن عبد الحكم وابن الماجشون : لا يفعل أحد ذلك، وإن قُتل لم يفعله، فإن فعله فهو آثم ويلزمه الحد؛ وبه قال أبو ثور والحسن . قال ابن العربي : الصحيح أنه يجوز الإقدام على الزنى ولا حد عليه، خلافاً لمن أزمه ذلك؛ لأنه رأى أنها شهوة خلقية لا يتصور الإكراه عليها، وغفل عن السبب في باعث الشهوة وهو الإلجاء إلى ذلك، وهو الذي أسقط حكمه، وإنما يجب الحد على شهوة بعث عليها سبب اختياري، ففاس الشيء على ضده، فلم يحل بصواب من عنده . وقال ابن خزيمة مندد في أحكامه : اختلف أصحابنا متى أكره الرجل على الزنى؛ فقال بعضهم : عليه الحد؛ لأنه إنما يفعل ذلك باختياره . وقال بعضهم : لا حد عليه . قال ابن خزيمة مندد : وهو الصحيح . وقال أبو حنيفة : إن أكرهه غير السلطان حد، وإن أكرهه السلطان فالقياس أن يعذبه، ولكن استحسن ألا يعذب . وخالفه صاحبه فقالوا : لا حد عليه في الوجهين، ولم يراعوا الاختصار،

وقالوا : متى علم أنه يتخلص من القتل . بفعل الزنى جاز أن ينتشر . قال ابن المنذر : لا حد عليه ، ولا فرق بين السلطان في ذلك وغير السلطان .

السابعة - اختلف العلماء في طلاق المكره وعتاقه ؛ فقال الشافعي وأصحابه : لا يلزمه شيء . وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس أنهم كانوا لا يرون طلاقه شيئا . وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس والحسن وشرج والقاسم وسالم والكل والأوزاعي واحد وإسحاق وأبي ثور . وأجازت طائفة طلاقه ؛ روى ذلك عن الشعبي والنخعي وأبي قلابة والزهرى وقنادة ، وهو قول الكوفيين . قال أبو حنيفة : طلاق المكره يلزم ؛ لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا ، وليس وجوده بشرط في الطلاق كالمازل . وهذا قياس باطل ؛ فإن المازل قاصد إلى إيقاع الطلاق راض به ، والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق ، وقد قال عليه السلام : " إنما الأعمال بالنيات " . وفي البخاري : وقال ابن عباس فيمن بكرهه اللصوص فيطلق : ليس بشيء ؛ وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن . وقال الشعبي : إن أكرهه اللصوص فليس بطلاق ، وإن أكرهه السلطان فهو طلاق . وفسره ابن عينة فقال : إن اللص يقدم على قتله والسلطان لا يقتله .

الثامنة - وأما بيع المكره والمضبوط فله حالتان . الأولى - أن يبيع ماله في حق وجب عليه ؛ فذلك مباح سائر لا رجوع فيه عند الفقهاء ؛ لأنه يلزمه أداء الحق إلى ربه من غير المسب ، فلما لم يفعل ذلك كان يمه اختيارا منه فزمه . وأما بيع المكره ظلما أو قهرا فذلك بيع لا يجوز عليه ، وهو أولى بمناعه يأخذه بلائع ، ويقع المشتري بالثمن ذلك الظالم ؛ فإن فات المتاع رجع بثمنه أو بقيته بالأكثر من ذلك على الظالم إذا كان المشتري غير عالم بظلمه . قال مطرف : ومن كان من المشتري يعلم حال المكره فإنه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغائب ، وكل ما أحدث المتاع في ذلك من عسق أو تدبير أو تحميس فلا يلزم المكره ، وله أخذ متاعه . قال مثنون : أجمع أصحابنا وأهل العراق على أن بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز . وقال الأثيري : إنه إجماع .

التاسعة - وأما نكاح المكره ؛ فقال محنون : أجمع أصحابنا على إبطال نكاح المكره والمكرهة، وقالوا : لا يجوز المقام عليه، لأنه لم يتعقد . قال محمد بن محنون : وأجاز أهل العراق نكاح المكره، وقالوا : لو أكرهه على أن ينكح امرأة بمشرة آلاف درهم، وصدقنا مثلها ألف درهم ، أن النكاح جائز وتزيمه الألف ويطل الفضل . قال محمد : فكما إبطالوا الزائد على الألف فكذلك يلزمهم إبطال النكاح بالإكراه . وقولهم خلاف السنة النابتة في حديث خنساء بنت خذاف الأنصارية، ولأمره صلى الله عليه وسلم بالاستئثار في أضياعهم، وقد تقدم، فلا معنى لقولهم .

العاشرة - فإن وطئها للمكره على النكاح غير مكره على الوطء والرضا بالنكاح لزمه النكاح ههنا على المسى من الصداق ودُرَى منه الحد . وإن قال : وطئها على غير رضا بنى بالنكاح فعليه الحد والصداق المسى ؛ لأنه منج لإبطال الصداق المسى، وتُحد المرأة إن أقدمت وهي طالمة أنه مكره على النكاح . وأما المكرهة على النكاح وعلى الوطء فلا حد عليها ولم الصداق، ويحد الراطن؛ فأصله . قاله محنون .

الحادية عشرة - إذا استكرهت المرأة على الزنى فلا حد عليها؛ لقوله « إلا من أكره » وقوله عليه السلام : « إن الله تجاوز من أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . وقول الله تعالى : « فإن الله من بعد إكراهيهن غفور رحيم » <sup>(١)</sup> يريد الفتيات . وبهذا المعنى حكم عمر في الوليدة التي استكرهها العبد فلم يحدها . والعلماء مختلفون على أنه لا حد على امرأة مستكرهة . وقال مالك : إنا وجدنا المرأة حاملا وليس لها زوج فقالت استكرهت فلا يقبل ذلك منها وعليها الحد، إلا أن تكون لها بنة أو جاءت بتدبي على أنها أزيلت، أو ما أنبه ذلك . واحتج بحديث عمر بن الخطاب أنه قال : الرجم في تخلف الله حق على من زنى من الرجال والنساء إنا أحسن إلّا قامت البينة، أو كانت الحبل أو الاعتراف . قال ابن المنذر : وبالقول الأول أقبول .

(١) آية ٢٣ سورة النور . (٢) حاشية الرطاب : « أوجبت على من كانت بكرًا أو استجنت من أجهته وعلى ذلك » الخ .

الثانية عشرة - واختفوا في جوب الصداق للسكره ؛ قال عطاء والزهرى : لما صدق مطها ، وهو قول مالك والثاني واحد وإحق وأبي ثور . وقال الثوري : إذا أقيم الحسد على الذي زنى بها بطل الصداق . وروى ذلك عن الشعبي ، وبه قال أصحاب مالك وأصحاب الرأي . قال ابن المنذر : القول الأول صحيح .

الثالثة عشرة - إذا أكره الإنسان على إسلام أهله لما لم يميل أسلمها ، ولم يقتل نفسه دونها ولا أحتمل أذية في تخليصها . والأصل في ذلك ما تربيته البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ودخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فأرسل إليه أن أرسل بها إلى فارس لها مقام فيها ثموضاً وتصلّي فقال اللهم إني كنت أمنت بك وبرسولك فلا تسلط على هذا الكافر فقط حتى ركض برحله <sup>(١)</sup> " . ودل هذا الحديث أيضاً على أن سارة لما لم يكن عليها ملامه ، فكذلك لا يكون على المستكره ملامه ، ولا حد فيها هو أكبر من الخلوة . والله أعلم .

الرابعة عشرة - وأما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والثاني وأبي ثور وأكثر العلماء . قال ابن المايحشون : وسواء حلف فيها هو طاعة لله أو فيها هو معصية إذا أكره على اليمين ؛ وقاله أصبغ . وقال مطوف : إن أكره على اليمين فيها هو لله معصية أو ليس في فعله طاعة ولا معصية فاليمين فيه ساقطة ، وإن أكره على اليمين فيها هو طاعة مثل أن يأخذ الوالي وجلاً فاسقاً فيكره أن يحلف بالطلاق لا يشرب خمرًا ، أو لا يهتق ولا يشق في عمله ، أو الوالد يحلف ولده تأديباً له فإن اليمين تلزم ؛ وإن كان المكره قد أخطأ فيها بكلف من ذلك . وقال به ابن حبيب . وقال أبو حنيفة ومن اتبعه من الكوفيين : إنه إن حلف ألا يفعل ففعل حنث ، قالوا : لأن المكره له أن يورى في يمينه كلها ، فلما لم يورى ولا ذهب نيته إلى خلاف ما أكره عليه فقد قصد إلى اليمين . احتج الأئمة بأن قالوا : إذا أكره عليها فنيتها مخالفة لقوله ؛ لأنه كاره لما حلف عليه .

(١) ذكر المؤلف هذا الحديث مختصراً ، فراجع في شرح التلخيص ، كتاب البيع - ج ١ ص ١٢٢ طبعه بيروت



الخالسة عشرة - قال ابن العربي : ومن غريب الأمر أن ملأنا اختلقوا في الإكراه على الخنث حل يقع به أم لا ؛ وهذه مسألة عراقية سرت لنا منهم ، لا كانت هذه المسألة ولا كانوا ! وأى فرق يا معشر أصحابنا بين الإكراه على الإيمان في أنها لا تليق ورون الخنث في أنه لا يقع ! فأتقوا الله وراجعوا بصائركم ، ولا تفتروا بهذه الرواية فإنها وصية في الدراية .

السادسة عشرة - إذا أكره الرجل على أن يحلف وإلا أبغذه مال بأصحابه المكس وظلمة السعاة وأهل الاعتداء ؛ فقال مالك : لا تقيّة له في ذلك ، وإنما يدرأ المرء بميمته عن يمينه لا ماله . وقال ابن الماجشون : لا يحث وإن درأحت ماله ولم يحلف على يمينه . وقال ابن القاسم يقول مطوف ، ورواه عن مالك ، وقاله ابن عبد الحكم وأصبح .

قلت : قول ابن الماجشون صحيح ، لأن المدافعة عن المال كالدافعة عن النفس ؛ وهو قول الحسن وقادة وسأقي . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن فداءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام " وقال : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " . وروى أبو هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : " فلا تطعه مالك " . قال : أرايت إن قاتلني ؟ قال : " فأنله " قال : أرايت إن قتلني ؟ قال : " فانت شهيد " قال : أرايت إن قتلته ؟ قال : " هو في النار " خرجته مسلم . وقد مضى الكلام فيه . وقال مطوف وابن الماجشون : وإن بدر الخائف بميمته للوالى الظالم قبل أن يسألها ليُنبأ بها عما خاف عليه من ماله وبذنه لحلفه فإنها تخرمه . وقاله ابن عبد الحكم وأصبح . وقال أيضا ابن الماجشون فيمن أخذه ظالم لحلف له بالطلاق البتة من غير أن يحلفه وتركه وهو كاذب ، وإنما حلف خوفا من ضربه وقتله وأخذ ماله : فإن كان إنما تبرع بالإيمان غلبة خوف ورجاء النجاة من ظلمه فقد دخل في الإكراه ولا شيء عليه ، وإن لم يحلف على رجاء النجاة فهو حائث .

السابعة عشرة - قال المحققون من العلماء : إذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له أن يجزئ على لسانه إلا بجرى المعارض ؛ فإن في المعارض لملوحة عن الكذب . ومتى لم يكن (١) المعارض ، فحرية باتى من التمس . وأعراض الكلام وسأقيته ، ولا يشبهه بشيء في الجاني .

كذلك كان كافراً؛ لأن المعارض لا سلطان للإكراه عليها . مثله - أن يقال له : أكفر بالله فيقول باللهي ، فيزيد الياء . وكذلك إذا قيل له : أكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي ، مشدداً وهو المكان المرتفع من الأرض .<sup>(١)</sup> ويطبق على ما يعمل من الخوص شبه المساندة ، فيقصد أحدهما بقلبه ويبرأ من الكفر ويبرأ من إيمه . فإن قيل له : أكفر بالنبي (مهموزاً) فيقول هو كافر بالنبي يريد بالخبر ، أى خبر كان كطليحة ومسلمة الكتاب . أو يريد به النبي الذي قال فيه الشاعر :

فأصبح رثماً ذفاق الحصى • مكان النبي من الكاتب<sup>(٢)</sup>

. الثامنة عشرة - أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختر القتل أنه أعظم أجراً عند الله من اختيار الرخصة . واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له ؛ فقال أصحاب مالك : الأخذ بالشدة في ذلك واختيار القتل والضرب أفضل عند الله من الأخذ بالرخصة ، ذكره ابن حبيب ومُحَنون . وذكر ابن مُحَنون عن أهل العراق أنه إذا تهدد بقتل أو قطع أو ضرب يخاف منه الخائف أنه يفعل ما أكره عليه من شرب نمر أو أكل خنزير ؛ فإن لم يفعل حتى تَلَّ خِفَفاً أن يكون أئماً لأنه كالضطر . وروى خُباب بن الأَرْت قال : شَكرونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بَرْدَةٍ له في ظل الكعبة فقلت : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ فقال : " قَدْ كَانَ مَن قَبْلَكُمْ يُوْخِذُ الرَّجُلَ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ وَيُحْطَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمُهُ فَمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاهِهِ لِيَسْتَمِنَ هَذَا الْأَمْرَ<sup>(٣)</sup> حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِكُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضَرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنِّكُمْ تَسْتَعْبِلُونَ " . فَوَضَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا عَنِ الْأَمِّ السَّالِفَةِ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ لَهُ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكْرُوهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَأَنْتَهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا فِي الظَّاهِرِ وَتَبَطَّنُوا الْإِيمَانَ لِيَدْفَعُوا الْعَذَابَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ . وَهَذِهِ حِجَّةٌ مِّنْ أَكْرِ الضَّرْبِ

(١) ومن الحديث : " لَا تَصْلُوا عَلَى النَّبِيِّ " ، أى على الأرض المرتفعة المُتَّهَدَةِ . (٢) مرطبة ابن عوف بن نوفل الأسدي ، أورد به النبي صلى الله عليه وسلم رَأْدَى النَّبِيَّةِ ثُمَّ أَسْلَمَ . (٣) الرَّمْ (الْأَمَّا وَالْأَمَّا) .  
الحق والكسر . ويريد بالنبي . المكان المرتفع . والكاتب : الرجل المُنَجِّح . (٤) يريد بالإسلام .

والقتل والموران على الرخصة وللقام بدار الجنان. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الأخضر»<sup>(١)</sup>  
 إن شاء الله تعالى . وذكر أبو بكر محمد بن محمد بن الفرج البغدادي قال : حدثنا شريح بن  
 يونس عن إسماعيل بن إبراهيم عن يونس بن حبيب عن الحسن أن عيوثا لمسيمة أخذوا رجلين  
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما إلى مسيمة ، فقال لأحدهما : أتشهد أن  
 محمدا رسول الله ؟ قال نعم . قال : أتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم . فخلّى عنه . وقال  
 للآخر : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم . قال : وتشهد أني رسول الله ؟ قال : أنا أسمع  
 لا أسمع ، فقدمه وضرب عنقه . بخاء هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت !  
 قال : «وما أهلكك» ؟ فذكر الحديث ، قال : «أنا صاحبك فآخذ بالثقة وأما أنت فآخذت  
 بالرخصة . على ما أنت عليه الساعة» ؟ قال : أتشهد أنك رسول الله . قال : «أنت على  
 ما أنت عليه» . الرخصة فيمن حلقه سلطان ظالم على نفسه أو على أن يذله على رجل أو مال  
 ورجل ، فقال الحسن : إذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر به ، وهو قول ثالثة إذا  
 حلف على نفسه أو مال نفسه . وقد تقدم ما للعلماء في هذا ، وذكر موسى بن معاوية أن  
 أباسميد بن أشرس صاحب مالك استخلفه السلطان بنونى على رجل أراد السلطان قتله  
 أنه ما آواه ، ولا يعلم له موضعا ، قال : خلف له ابن أشرس ، وابن أشرس يومئذ قد علم  
 موضعه وآواه ، خلفه بالطلاق ثلاثا ، خلف له ابن أشرس ، ثم قال لامرأته : اعترى فاعترته ،  
 ثم ركب ابن أشرس حتى قدم على البهلولى بن راشد القهروان ، فأخبره بالخبر ، فقال له البهلولى :  
 قال مالك إنك حانت . فقال ابن أشرس : وأنا سمعت مالك يقول ذلك ، وأنا أردت  
 الرخصة ، أو كلام هذا معناه ، فقال له البهلولى بن راشد : قال الحسن البصرى إنه لا حنت  
 عليك . قال : فخرج ابن أشرس إلى زوجته وأخذ يقول الحسن . وذكر عبد الملك بن حبيب  
 قال : حدثني معبد عن المسيب بن شريك عن أبي شيبة قال : سألت أنس بن مالك عن  
 الرجل يؤخذ بالرجل ، هل ترى أن يحلف ليقية يمينه ؟ فقال نعم ، ولأن أحلف سبعين مينا

واحت أحب إلى أن أدل على مسلم . وقال إدريس بن يحيى كان الوليد بن عبد الملك يأمر جواسيس يجسسون الخلق يأتيونه بالأخبار ، قال : بخلص رجل منهم في حلقة رجاء بن حيوة فسمع بعضهم يقع في الوليد ، فرفع ذلك إليه فقال : يا رجاء ! أذكر بالسوء في مجلسك ولم تغبر ! فقال : ما كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال له الوليد : قل : آله الذي لا إله إلا هو ، قال : آله الذي لا إله إلا هو ، فأمر الوليد بالماسوس فضربه سبعين سوطاً ، فكان يلقي رجاء فيقول : يا رجاء ، بك ينسحق المطر ، وسبعون سوطاً في ظهري ! فيقول رجاء : سبعون سوطاً في ظهرك خير لك من أن يقتل رجل مسلم .

الثامنة عشرة - واختلف العلماء في حد الإكراه ، فروى عن عمر بن الخطاب رضي عنه أنه قال : ليس الرجل آمن على نفسه إذا أخفته أو أوثقته أو ضربته . وقال ابن مسعود : ما كلام يدرك من سوطين إلا كنت متكلماً به . وقال الحسن : التقي جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة ؛ إلا أن الله تبارك وتعالى ليس يعمل في القتل حقاً . وقال الثوري : القيد إكراه ، والسجن إكراه . وهذا قول مالك ، إلا أنه قال : والوعيد المخوف إكراه وإن لم يقع إذا تحقق ظلم ذلك المتعدى وإنفاذه لما يتوعد به ، وليس عند مالك وأصحابه في الضرب والسجن توقيت ، إنما هو ما كان يؤلم من الضرب ، وما كان من يحسن بدخل منه الضيق على المكره . وإكراه السلطان وغيبه عند مالك إكراه . وتساقض الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد إكراها على شرب الخمر أو كل الميتة ؛ لأنه يخاف منهما التلف . وجعلوها إكراها في إقراره لقائل عندي ألف درهم . قال ابن سحنون : وفي إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه ما يدل على أن الإكراه يكون من غير تلف نفس . وذهب مالك إلى أن من أكره على بين يوعيد أو يحسن أو ضرب أنه يخلف ولا حث عليه ، وهو قول الثوري وأحمد وأبي ثور وأكثر العلماء . .

الموبة عشرين - ومن هذا الباب ما ثبت إن من العارض لندوة من الكلاب . رددي الأعمش عن أبيه الثوري أنه قال : لا بأس إذا بلغ الرجل منك شيء أن تقول :

واقته، إن الله يعلم ما قلت فبك من ذلك من شيء. قال عبد الملك بن حبيب: ومعناه أن الله يعلم أن الذي قلت، وهو في ظاهره انتفاء من القول، ولا حث على من قال ذلك في بيته ولا كذب عليه في كلامه. وقال النخعي: كان لم كلام من أنار الأيمان يدعون به عن أنفسهم، لا يرون ذلك من الكذب ولا ينشون فيه الحنت. قال عبد الملك: وكانوا يسمون ذلك المعارض من الكلام، إذا كان ذلك في غير مكر ولا خديعة في حق. وقال الأعمش: كان إبراهيم النخعي إذا أتاه أحد يكره الخروج إليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته: قول له هو والله في المسجد. وروى مقبرة عن إبراهيم أنه كان يميز الرجل من البعث إذا حضرها على أبيهم أن يقول: والله ما أهدى إلا ما استدلى غيري؛ ولا أركب إلا ما حملني فيري؛ ونحو هذا من الكلام. قال عبد الملك: يعني بقوله «غيري» الله تعالى، هو مستد وهو يحمله؛ فلم يكونوا يرون على الرجل في هذا حثا في بيته، ولا كذبا في كلامه، وكانوا يكرهون أن يقال هذا في خديعة وظلم ومُجْدَانِ حق فن اجترأ وفعل أثم في خديعته ولم تجب عليه كفارة في بيته.

الحادية وتسعون - قوله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) أي وسعه لقبول الكفر، ولا يقدر أحد على ذلك إلا الله؛ فهو يرد على القدرية. و«صدرا» نصب على المفعول. (فَلْيَلْمِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَمْ يَعْذَبْ عَظِيمٌ) وهو عذاب جهنم

قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَتْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٥٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٩﴾

(١) هذا المصدر لم تردده كتب الله في هذه الساحة.

قوله تعالى: ( ذَلِكَ ) أى ذلك التفتت . ( وَأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) أى اختاروها على الآخرة . ( وَأَنَّ اللَّهَ ) « أن » فى موضع خفض عطفا على « بأنهم » . ( لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) ثم وصفهم فقال : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) أى عن فهم المواظ . ( وَتَسْمِعُهُمْ ) عن كلام الله تعالى . ( وَأَبْصَارَهُمْ ) عن النظر فى الآيات . ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ ) عما يراد بهم . ( لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ) تقدم .

قوله تعالى : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١١﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ) هذا كله فى غمارة . والمعنى وصبروا على الجهاد ؛ ذكره التماس . وقال قتادة : نزلت فى قوم هاجروا مهاجرين إلى المدينة بعد أن قطعهم المشركون وعذبوهم ، وقد تقدم ذكرهم فى هذه السورة . وقيل : نزلت فى ابن أبى سرح ، وكانت قد ارتدت ولحق بالمشركون فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة ، فاستجار بثان فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكره النسائي عن حكمة عن ابن عباس قال : فى سورة النحل « من كفر بالله من بعد إيمانه فلا من أكره » إلى قوله - ولم عذاب عظيم « ففسخ ، واستثنى من ذلك فقال « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعد ما فتنوا لغفور رحيم » وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذى كان على مصر ، كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فآذنه الشيطان فطعن بالكفار فامر به أن يقتل يوم الفتح ؛ فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدِلُهَا عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ نَجْدَها مِنْ رَبِّها) أى إلى الله فهو راجع في ذلك .  
 أو ذكركم « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » أى تخاضع وتحتاج عن نفسها ، جاء في الخبر  
 أن كل أحد يقول يوم القيامة : نفسى نفسى ! من شدة هول يوم القيامة سوى عهد صبا الله  
 عليه وسلم فإنه يسأل في أمته . وفي حديث عمر أنه قال لكعب الأحبار : يا كعب ، خوّفنا هيجنا  
 حدثنا نهبنا . فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، والذي نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمنزل  
 عمل سبعين نبيا لأنت عليك نارأت لا يهلكك إلا نفسك ؛ وإن لهم زفرة لا يبقى لك مقرب  
 ولا نبي متخبط إلا وقع جاثيا على ركبته ، حتى إن إبراهيم الخليل ليدل بالخلعة فيقول : يا رب ،  
 أنا خليك إبراهيم ، لا أسألك اليوم إلا نفسى ! قال : يا كعب ، أين تجد ذلك في كتاب الله ؟  
 قال : قوله تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوكل كل نفس ما عملت وهم  
 لا يظلمون » . وقال ابن عباس في هذه الآية : ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى  
 تخاضع الروح الجسد ؛ فتقول الروح : رب ، الروح منك أنت خلقت ، لم تكن لي بد أبش بها ،  
 ولا رجل أشى بها ، ولا عين أبصر بها ، ولا أذن أسمع بها ولا عقل أعقل به ، حتى جئت  
 قد خلعت في هذا الجسد ، فضعف عليه أنواع العذاب ونجى ، فيقول الجسد : رب ، أنت  
 خلقتنى بيدي فكنت كالشبة ، ليس لي بد أبش بها ، ولا قدم أسمى به ، ولا بصر أبصر به ،  
 ولا سمع أسمع به ، فجاء هذا كشماع النور ، فيه تعلق لائق : وبه أبصرت عيني ، وبه مشيت  
 وجلت ، وبه سمعت أذنى ، فضعف عليه أنواع العذاب ونجى منه . قال : فيضرب الله لها  
 مثلا أعنى ومقعدا دخلتا بيتنا فيه ثمار ، فالأعنى لا يبصر الثمرة والمقعد لا يتألمها ، فتأدى  
 المقعد الأعنى إيقى فأحلتى أكل وأطعمك ، فذا منه لحمه ، فأصابوا من الثمرة ، فقل من  
 يكون العذاب ؟ قال : عليكما جميعا العذاب ؛ ذكره الطبري .

قوله تعالى : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا  
 رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لِبَاسَ  
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ) هذا متصل بذكر المشركين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على مشرك قريش وقال : « اللَّهُمَّ اكْشِدْ طَائِفًا مِنْهُمْ وَأَجْعَلْهُمْ طَلِيمًا سَيْنَ كَيْفِيَّةِ يَوْسُفَ » . فَأَبْتَلُوا بِالْعَقَامِ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَامًا فَفَزَقَ فِيهِمْ . ( كَانَتْ آيَةً ) لَا تَنَاجِي أَهْلَهَا . ( بِأَيِّهَا رِزْقُهَا وَغَدَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ) من البر والبحر ، تطيره . وَيَجِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ، الآية . ( فَكَفَرَتْ بِأَنْتُمْ اللَّهُ ) الأنتم ؛ جمع النعمة ؛ كالأشنة جمع الشدة . وقيل : جمع نعمتي ؛ مثل يوسى وأيوبس . وهذا الكفران تكذيب بحمد صلى الله عليه وسلم . ( فَأَذَانُهَا اللَّهُ ) أى إذا قال أهلها . ( لِبَاسِ الْجُورِ وَالْخَوَافِ ) سماه لباسا لأنه يظهر عليهم من الخزال وشعوبه اللون وموه الحال ما هو كاللباس . ( يَمَسُّ كَانُوا يَعْتَبُونَ ) أى من الكفر والمعاصي . وقراءه خفض ابن غياث وضمرين ماضى ولبن ابن إسحاق والحسن وأبو عمرو فيا روى عنه عبد الوارث وعبيد ومباس « والخوف » نصبا بإيقاع أذناها عليه ، خطفا على « لباس الجور » وأذناها الخوف . وهو بحث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه التي كانت تطيف بهم . وأجمل الفرق بالهم في يستعار فيوضع موضع الابتلاء . وضرب مكة مثلا لغيرها من البلاد ، أى أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصحابهم التخط فكيف بغيرها من القرى . وقد قيل : إنها المدينة ، آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كفرت بأنهم الله لقتل عثمان ابن عفان ، وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن . وهذا قول عائشة ونخفصة زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : لأنه مثل مضروب بأى قرية كانت على هذه الصفة من مائر القرى .

قوله تعالى : وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ

وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٦﴾



قوله تعالى : ( وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ) هذا يدل على أنها مكة . وهو قول ابن عباس وبماحد وقفاة . ( نَأْتِيهِمُ النَّارُ ) وهو الجوع الذي وقع بمكة . وقيل : السدائد والجوع منها .

قوله تعالى : فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى : ( فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ) أى كلوا يا معشر المسلمين من النعمان . وقيل : الخطاب للمشركين ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بطعام رقة عليهم ، وذلك أنهم لما أتوا بالجوع سبع سنين ، وقطع العرب عنهم الميرة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أكلوا العظام المحترقة والحيفة والكلاب الميتة والجلود والعليز ، وهو الوريماذج بالدم . ثم إن رؤساء مكة كملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا : هذا عذاب الرجال فما بال النساء والنبيان . وقال له أبو سفيان : يا محمد ، إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو ، وإن قومك قد ملكوا ؛ فأدع الله لهم . فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون .

قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

تقدم في « البقرة » القول فيما مستوفى :

قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أُنْسُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنَتَرَفُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَنَعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

## فيه مسائل :

**الأول :- قوله تعالى : ( لِمَا تَصِفُ )** ما هنا مصدرية ، أى لوصف . وقيل : اللام لام سبب وأجل ، أى لا تقول لأجل وصفك « الكذب » بفتح الخافض ، أى لما تصف أنك من الكذب . وقرئ « الكُذْبُ » بضم الكاف والذال والباء ، نعتاً للألسنة ، وقد تقدم .  
وقرأ الحسن هنا خاصة « الكَذِب » بفتح الكاف وخفض الذال والباء ، نعتاً « لمبا » ، بالتقدير : ولا تقولوا لوصف أنك الكذب . وقيل على البدل من ما ، أى ولا تقولوا للكذب الذى كصفه أنك هذا حلال وهذا حرام ليقتروا على الله الكذب . الآية خطاب للكفار الذين حرّموا الباطر والسواب وأحلوا ما فى بطون الأنعام وإن كان ميتة . وقوله « هذا حلال » إشارة إلى ميتة بطون الأنعام ، وكل ما أسلوه . وقوله « وهذا حرام » إشارة إلى الباطر والسواب وكل ما حرّموه . ( إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ )  
أى ما هم فيه من نصيب الدنيا يزول عن قريب . وقال الزجاج : أى متاعهم متاع قليل . وقيل : لهم متاع قليل ثم يردون إلى عذاب ألم .

**الثانية :-** أسند الذاري - أبو محمد فى مسنده أخبرنا هارون بن حفص عن الأعمش قال : ما سمعت إبراهيم فقد يقول حلال ولا حرام ، ولكن كان يقول : كانوا يكرهون وكانوا يستحبون . وقال ابن وهب قال مالك : لم يكن من قنبا الناس أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام ، ولكن يقولوا لما تم كذا وكذا ، ولم أكن لأصيح بهذا . ومعنى هذا : أن التحليل والتحرير إنما هو لله عز وجل ، وليس لأحد أن يقول : أو يصرح بهذا فى عين من لأشيان ، إلا أنه يكون البارى تعالى يخبر بذلك عنه . وما يؤدى إليه الاجتهاد فى أنه حرام يقول : إنى أكره [ كذا ] . وكذلك كل ما تم فعل اقتداه بمن تقدم من أهل الفتوى . فإذن قيل : فقد قال فيمن قال تزوجته أنت على حرام إنها حرام ويكون ثلاثة . فأجواب أن مالكاً لما سمع على بن أبى طالب يقول : إن حرام اقتدى به . وقد بقوى الدليل على التحريم

حد المجتهد فلا بأس عند ذلك أن يقول ذلك، كما يقول إن الربا حرام في غير الأعيان الستة،  
وكثيرا ما يطلق مالك رحمه الله؛ فذلك حرام لا يصلح في الأموال الربوية وفيها خالف الح  
وتخرج عن طريق المقاصد لقوة الأدلة في ذلك .

قوله تعالى : وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ  
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى : ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ) من أن الانسحاق والحرق حلال لهذه الأمة ، فاما  
اليهود حُرمت عليهم منها أشياء . ( حَرَّمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ) أى في سورة الأنعام .  
( وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ) أى يحرم ما حرّمنا عليهم ، ولكن ظلّموا أنفسهم حرّمنا عليهم تلك الأشياء  
حقيرة لهم ، كما تقدم في النساء .

قوله تعالى : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ ) أى الشرك؛ قاله ابن عباس . وقد  
انتهى في النهاية .

قوله تعالى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ) دعا عليه السلام مشرك العرب إلى  
بَيْتِهِ إِبْرَاهِيمَ ، إذ كان أباهم وبأى البيت الذى به عزهم ، والائمة : الرجل الجامع لخيرهم ، وقد  
تقدم حامله . وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال : بلغنى أن عبد الله بن مسعود

(١) من القرب والحق والبر والشم والبر والشم والبر والشم . (٢) راجع ج ٧ ص ١٢٤ طبعه أول مرة ثانية .

(٣) راجع ج ١ ص ١٢ طبعه أول مرة ثانية . (٤) راجع ج ٢ ص ٩٢ . (٥) راجع ج ٢ ص ١٢٤ طبعه ثانية .

قال : يرحم الله طاعنا كان أمة قانتا ، قليل له : يا أبا عبد الرحمن ، إنما ذكر الله عز وجل  
بهذا إبراهيم عليه السلام . فقال ابن مسعود : إن الأمة الذي يعلم الناس الخير . وإن القانت  
هو المطيع . وقد تدم القنوت في البقرة <sup>(١)</sup> و « حنيفا » في الأنعام .

قوله تعالى : **شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدُّهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** <sup>(١١١)</sup>  
**وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** <sup>(١١٢)</sup>

قوله تعالى : **( شَاكِرًا )** أى كان شاكرا . **( لِّأَنْعَمِهِ )** الأنعم جمع نعمة ، وقد  
تقدم . **( اجْتَبَاهُ )** أى اختاره . **( وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )** **( وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً )**  
قيل : الولد الطيب . وقيل التناء الحسن . وقيل : النبوة . وقيل : الصلاة مقرونة بالصلاة  
على محمد عليه السلام في التشهد . وقيل : إنه ليس أهل دين إلا وهم يتولونه . وقيل : بقاء  
ضياته وزيارته قبره . وكل ذلك أعطاه الله وزاده صلى الله عليه وسلم . **( وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ  
الصَّالِحِينَ )** « من » بمعنى مع ، أى مع الصالحين ؛ لأنه كان في الدنيا أيضا مع الصالحين .  
وقد تقدم هذا في البقرة <sup>(١١٣)</sup>

قوله تعالى : **فَمِمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ** <sup>(١١٤)</sup>

قال ابن عمر : أيسر أتباعه في مناسك الحج كما علم إبراهيم جبريل عليهما السلام . وقال  
الطبري : أيسر أتباعه في التبرؤ من الأوثان والتزين بالإسلام . وقيل : أيسر أتباعه في جميع  
ملكه إلا ما أمر بتركه ؛ قاله بعض أصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي . والصحيح  
الاتباع في عقائد الشرع دون الفروع ؛ لقوله تعالى : **« لِكُلِّ جَمَلًا بَيْنَكُمْ شَرَعٌ وَمِنْهَا »** <sup>(١١٥)</sup>

(١) راجع المسألة الخامسة ج ٢ ص ٨٦ و ٣٠٠ ص ٢١٣ (٢) ذكر في الأنعام في موضعين ،  
(ج ٧ ص ٢٨ و ١٥٢) ولم يذكر المؤلف اشتقاقها ، وإنما تكلم عليه في سورة البقرة ج ٢ ص ١٢٩ فراجع  
(٣) راجع ج ٢ ص ١٣٣ طبع ثانية . (٤) راجع ج ١ ص ٢١١ طبع أولى أو ثانية

مسئلة : في هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للفضول - لما تقدم في الأصول -  
والعمل به ، ولا تترك على القاضل في ذلك ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل :  
عليهم السلام ، وقد أمر بالاعتناء بهم فقال : « قَبِّدْهُمْ أَقْبَلَهُ » . وقال هنا : « ثم أرجئنا  
إِلَيْكَ إِنْ أَنْجَيْتَهُ لِرَأْيِهِ » .

قوله تعالى : إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَيَعْلَمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى : ( إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ) أى لم يكن في شرع  
إبراهيم ولا من دينه ، بل كان سمحا لا تليظ فيه ، وكان السبت تليظا على اليهود في رفض  
الأعمال وترك البسط في المعاش بسبب اختلافهم فيه ، ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم  
الجمعة فقال : تفرغوا للعبادة في كل سبعة أيام يوما واحدا . فقالوا : لا زيد أن يكون  
عيدهم بعد عيда ، فاختاروا الأحد . وقد اختلف العلماء في كيفية ما وقع لهم من الاختلاف ؛  
فقال طائفة : إن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وعينه لم ، وأخبرهم فضيلته  
على غيره ، فناظروه أن السبت أفضل ؛ فقال الله له : « دعهم وما اختاروا لأنفسهم » .  
وقيل : إن الله تعالى لم يبينه لهم ، وإنما أمرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلف اجتهدهم  
في تعيينه ، فبقيت اليهود السبت ؛ لأن الله تعالى فرغ فيه من الخلق . وصيغت النصراني  
يوم الأحد ؛ لأن الله تعالى بدأ فيه بالخلق . فآلزم كل منهم ما أداه إليه اجتهد . وعين الله  
لهذه الأمة يوم الجمعة من غير أن يكلمهم إلى اجتهدهم فضلا منه ونعمة ، فكانت خير  
الأمم أمة . روى الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن  
الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم سوتوا الكتاب من قبلنا  
وأوتينا من بعدكم فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي

اختلقوا فيه فهذا الله - قال يوم الجمعة - قال يوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى .  
 قوله : " فهذا يومهم الذى اختلقوا فيه " يقضى قول من قال : إنه لم يمت لم ، فإنه لو  
 مِت لم وعاندوا لما قيل « اختلقوا » . وإنما كان ينبغي أن يقال نخلقوا فيه وعاندوا .  
 وما يقضيه أيضا قوله عليه السلام : " أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا " . وهذا نص  
 فى المضى . وقد جاء فى بعض طرقه " فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم اختلقوا فيه " .  
 وهو حجة للقول الأول . وقد روى : " إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلقوا فيه  
 وهذا الله فالتاس لنا فيه تبع " .

قوله تعالى : ( مَلِ الَّذِينَ آخَفَوْا فِيهِ ) يريد فى يوم الجمعة كما بيناه ، اختلقوا على نبيهم  
 موسى وميسى . ووجه الاتصال بما قبله أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتباع الحق ، وحذر  
 الله الأمة من الاختلاف عليه فوشد عليهم كما شد على اليهود .

قوله تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ  
 وَجَنِّبْنَاهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ  
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

فيه مسألة واحدة - هذه الآية نزلت بحكمة فى وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن  
 يدعو إلى دين الله وشرعه بملطف ولين دون غاشة وتعنيف ، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون  
 إلى يوم القيامة . فهى بحكمة فى جهة النصاء من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال فى حق  
 الكافرين . وقد قيل : إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجى إيمانه بها دون  
 قتال فهى فيه بحكمة . والله أعلم .

قوله تعالى : وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ  
 هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٥٦﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى - ألقب جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، ولت في شأن التنبيل :

في يوم أحد، ووقع ذلك في صحبح البخاري وفي كتاب السير. وذهب النحاس إلى أنها ، والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالا حسنا ، لأنها تتدرج الريب من الذي يدعى ويؤخذ ، إلى الذي يتأدل ، إلى الذي يجازى على فعله . ولكن ما روى الجمهور أثبت . روى الدارقطني عن ابن عباس قال : لما أنصرف المشركون عن قتل أحد أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه ، رأى حمزة قد شق بطنه ، وأصعبل الله ، وجدهت أذناه ، فقال : "لولا أن يحزن النساء أو تكون سنة بعدى تركته حتى يبعث الله من بطون السباع والطير لأثلق مكانه سبعين رجلا" ثم دعا بريدة وغطى بها وجهه ، فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجله من الإذتر ، ثم قدمه فذكر عليه عشرا ، ثم جعل يمسأ بالرجل فيوضع حمزة مكانه ، حتى صلى عليه سبعين صلاة ، وكان القتل سبعين ، فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَصِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ » فصر رسول الله عليه وسلم ولم يمتثل بأحد ، خرج به إسماعيل بن إسحاق من حديث أبي هريرة ، وحديث ابن عباس أكل . وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت : إنما نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامة ألا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يستعاضه إلى غيره . وحكاها الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد .

الثانية - وأختلف أهل العلم فيمن ظلمه رجل في أخذ مال ثم آتته الظالم المظالم على مال ، هل يجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه ، فقالت فرقة : له ذلك ، منهم ابن سيرين وإبراهيم النخعي وسفيان ومجاهد ، واحتجت بهذه الآية وعموم لفظها . وقال مالك وفرقة معه : لا يجوز له ذلك ، واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أد الأمانة إلى من آتتهك ولا تخن من خانتك" . ورواه الدارقطني وقد تقدم هذا في « البقرة » مستوف .

(١) راجع ج ٢ ص ٣٥٥ طبع ثانية .

ولم في مستأخرين إحقاق أن هذا الحديث إنما ورد في رجل زنى بإمرأة آخر، ثم يمكن الإنسار من زينة الثاني بأن تركها عنده وسافر، فاستشار ذلك الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر فقال له: «أد الأمانة إلى من أئتمنتك ولا تخن من خانك». وعلى هذا يتقوى قول مالك في أمر المبال، لأن الخيانة لاحقة في ذلك، وهي رديلة لا انفكاك عنها، فينبغي أن يتجنبها لنفسه؛ فإن تمكن من الانتصاف من مال لم يأتمنه عليه فيشبه أن ذلك جائز وكان الله حكم له؛ كما لو تمكن الأخذ بالحكم من الحاكم. وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة، فسخها «واصبر وما صبرك إلا بالله».

الثالثة - في هذه الآية دليل على جواز التماثل في القصاص؛ ثم قتل بمجديدة قتل بها. ومن قتل ببحر قتل به، ولا يتعدى قدر الواجب، وقد تقدم هذا المعنى في «البقرة» مستوفى، والحمد لله.

الرابعة - سمي الله تعالى الإنذابات في هذه الآية عقوبة، والمعوبة حقيقة إنما هي للثانية، وإنما فعل ذلك ليستوى اللفظان وتناسب دجاجة القول، وهذا بعكس قوله: «ومكررا ومكرهه» وقوله: «الله يستهزئ بهم» فإن الثاني هنا هو المجاز والأول هو الحقيقة؛ قاله ابن عطية.

قوله تعالى: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)

فيه مسألة واحدة - قال ابن زيد: هي منسوخة بالقتل. وجمهور الناس على أنها محكمة. أي اصبر بالنعو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من الذنوة. (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أي على قتل أحد فأنهم صاروا إلى رحمة الله. (وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ) ضَيْقٌ جمع ضيقة: قال الشاعر:

كَتَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحَ

(١) راجع ج ٢ ص ٣٥٥ ضيقة ذنية (٢) هذا مجزئ لا لاغنى. ومصدره كما في «البيان» وديوانه.



قراءة الجمهور بفتح الصاد . وقرأ ابن كثير بكسر الصاد، ورويت عن قافع، وهو ناطق  
 بمن رواه . قال بعض اللغويين : الكسر والفتح في الصاد لثنتان في المصدر . قال الأخفش :  
 الضيق والضيق مصدر ضاق يضيق . والمعنى : لا يضيق صدرك من كفرهم . وقال الفراء ،  
 الضيق ما ضاق عنه صدرك ، والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق ، مثل الدار والثوب .  
 وقال ابن السكيت : هما سواء ؛ يقال : في صدره ضيق وضيق . <sup>(١)</sup> للفتي : ضيق مخفف  
 ضيق ؛ أى لا تكن في أمر ضيق تخفف ؛ مثل حين وهين . وقال ابن عرفة : يقال ضاق  
 الرجل إذا بخل ، وأضاق إذا أفقر . وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾  
 أى الفواحش والنجار بالنصر والمعونة والفضل والبر والتأييد . وتقدم معنى الإحسان . وقيل  
 لمريم بن حبان عند موته : أوصنا ؛ فقال : أوصيكم بالله وأخر سورة النمل : . ادعُ  
 إلى سبيل ربك « إلى آخرها .

تمت سورة النمل ، والحمد لله رب العالمين

### تفسير سورة الإسراء

هذه السورة مكية ، إلا ثلاث آيات : قوله عز وجل « وَإِنْ كَانُوا لَيَسْتَفْرِقُونَ » <sup>(١)</sup> نزلت  
 حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تعف ، وحين ذلت اليهود ؛ ليست هذه أرض  
 الأنبياء . وقوله عز وجل : « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ »<sup>(٢)</sup>  
 وقوله تعالى « إِنَّ رَبَّكَ احْطَاطٌ بِالْإِنْسَانِ » الآية . وقال مقاتل : وقوله عز وجل « إِنَّ الَّذِينَ  
 أَوْفَوْا بِالْعِلْمِ مِنْ قَبْلِهِ »<sup>(٣)</sup> الآية . وقال ابن مسعود رضى الله عنه في بني إسرائيل والكهف  
 [ ومريم ] : لآمن من التناق الأول ، وفن من تلاميذ ؛ يريد من قديم كسبه .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **سُبْحَنَ الَّذِي فُتِحَ بِهِ لَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِتُذَكِّرَ بِهِ الْبَاطِلَ وَأَتَقِنَا** وَهُوَ **السَّبْحُ الْمُبْدِي** ①  
 به تعالى .

الأولى - قوله تعالى : ( **سُبْحَانَ** ) « سبحان » اسم موزون موضع المصدر ، وهو غير ممكن ؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ، ولا تدخل عليه الألف واللام ، ولم يحرم منه فعل ، ولم ينصرف لأن في آخره زائدين ، تقول : سبحت تسبيحا وسُبْحَانًا ، مثل كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا . وضاع التثنية والهاء لله عز وجل من كل نقص . فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره ؛ فأما قول الشاعر ،

أقول لما جاني نَفْسُهُ • سبحانَ من عَقَمَةَ الْفَانِ

فإنما ذكره عن طريق النادر . وقد روى طلمجة بن عبيد الله القياض أحد العشرة أنه قال للثني صلى الله عليه وسلم : ما معنى سبحان الله ؟ فقال : " تزيه الله من كل سوء " . والعامل فيه على مذهب سيويه للفعل الذي من معناه لا من لفظه ، إذ لم يحرم من لفظه فعل ، وذلك مثل فعد الفرقاء ، واشتمل الصباء ② ، فالتقدير عنده : أتزه الله تزيها ؛ فوقع « سبحان الله » مكان قولك تزيها .

( ١ ) كما في جميع الأصول ، ويلاحظ أن المسائل ست . ( ٢ ) البيت لا معنى . يقول هذا لطلقة بن حلافة الجعفي في منازعة لعمرو بن العليل ، وكان الأمي قد فعل ما رواه وتبرأ من طلقة ونفره على امرأته ( عن الشنفرى ) . ( ٣ ) الصاء ، غريب من الاشتغال . واشتمال الصباء : أن تجل جسدك بتوبك نحو شلة الأعراب بأكسبتهم ، وهو أن يرد الكساء من قبل يبه على يده اليسرى وماقه الأيسر ثم يرد الثانية من خلفه على يده اليمنى وماقه الأيمن فخطها جميعا .

الثانية - قوله تعالى : (أَسْرَى بِمَنْدِهِ) \* أسرى \* فيه لفتان \* سرى وأسرى \*  
كسرى وأسرى كما تقدم \* قال :

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْخِزْيَاءِ سَارِيَّةٌ \* تُزْجِي لِلنَّهَالِ طَلِبَهُ جَانِدَ السَّبَّةِ<sup>(١)</sup>  
وقال أخسر

مَنْ الْفَيْصِيَّةِ رِبَّةِ الْخَنْدَرِ \* أَسْرَتْ لِي وَلَمْ تَكُنْ تَسْرَى<sup>(٢)</sup>  
بمع بين الفتين في البتين \* والإسراء : سير الليل ، يقال : سَرَيْتَ مَسْرَى وَمُسْرَى ، وأسريت  
إسراء ، قال الشاعر :

وَلَيْلَةُ ذَلَّتْ قَدَى مَسْرِيَّتِي \* وَلَمْ يَكُنْ مِنْ سُرَاهَا لَيْتٌ  
وقيل : أسرى صار من أذل الليل ، وسرى صار من آخره ، والأوّل أصرف .

الثالثة - قوله تعالى : (بِمَنْدِهِ) قال العلماء : لو كان النبي صلى الله عليه وسلم اسم  
أُسْرَفَ مَتْلَهُ لَمَّا هُيَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَلِيَّةِ . وفي معناه أنشدوا :

يَا قَوْمِ قُلِي عِنْدَ زَهْرَاءِ \* يَسْرُهُ السَّامِعُ وَالرَّائِي  
لَا تَدْعِي إِلَّا يَا عَبْدَهَا \* فَإِنَّهُ أُسْرِفَ أَسْمَانِي

وقد تقدم ، قال الفُشَيْرِيُّ : لما رفته الله تعالى إلى حضرته السنية ، وأراه فوق الكواكب  
العلوية ، أزمه اسم العبودية تواضعا للأمة .

الرابعة - ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث ، وروى عن الصباغة في كل أنظار  
الإسلام فهو من المراتز بهذا الوجه . وذكر النقاش : ممن رَوَاهُ عَشْرِينَ صَحَابِيًا . روى الصحيح  
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَتَيْتُ بِالْبَرَقِ وَهُوَ قَابَةٌ أَيْضُشْ  
[طويل] فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه » قال : فركبته حتى أتيت  
بيت المقدس - قال - فربطته بالحقة التي ترط بها الأنبياء - قال - ثم دخلت المسجد

(١) راجع ١ - ص ٤١٧ طيبة نادرة . (٢) البيت الثانية البين ، من نصيفة إلى طعنا ،  
يا دارية بالياء . (٣) البيت لخاند بن ثابت . (٤) راجع ١ - ص ٤٢٢ طيبة نادرة أو ثالثة .

فصليت فيه ركعتين ثم ترحلت بخافى جبريل عليه السلام بإثابه من عمرو وإمام من لبن فاحتوت  
 للبهن قتال جبريل اختوت الفطرة - قال - ثم خرج بنا إلى السماء - وذكر الحديث .  
 وبما ليس في الصحيحين ما ترجمه الآجري والمصنفان ، قال الآجري عن أبي سعيد الخدري  
 في قوله تعالى : سبحان الذي ألقى أمسه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي  
 باركنا حوله ، قال أبو سعيد : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة أُسري به ، قال  
 النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>١</sup> « آتيت بهابة من أنسبه الدواب بالبنل له أذنان يضطربان وهو  
 البراق للذي كانت الأنيال تركبه قبل فركبته فاطلاق تقع يده عند منتهى بصره فسمعت نداه  
 من يميني يا محمد علي رسولك حتى أسألك فضيت ولم أخرج عليه ثم سمعت نداه من يساري  
 يا محمد علي رسولك فضيت ولم أخرج عليه ثم استقبلني امرأة عليها من كل زينة الدنيا وائمة  
 فيها قول علي رسولك حتى أسألك فضيت ولم أخرج ثم آتيت بيت المقدس الأقصى فزلت  
 من الحلة فأوقعت في الحلقة التي كانت الأنبياء نزلوا بها ثم دخلت المسجد وصليت فيه فقال  
 لي جبريل عليه السلام ما سمعت يا محمد فقلت سمعت نداه من يميني يا محمد علي رسولك حتى  
 أسألك فضيت ولم أخرج فقال ذلك داعي اليهود ولو وقتت لتهزئت منك - قال -  
 ثم سمعت نداه من يساري علي رسولك حتى أسألك فضيت ولم أخرج عليه فقال ذلك داعي  
 النصارى أما إنك لو وقتت لانتصرت منك - قال - ثم استقبلني امرأة عليها من كل زينة  
 الدنيا وائمة فيها قول علي رسولك فضيت ولم أخرج عليها فقال تلك الدنيا لو وقتت لأحترت  
 الدنيا على الآخرة - قال - ثم آتيت بثمانين أحدهما في لبن والآخرة في خرقة فيل في خذ  
 فأشرب أجمعاً ثم أخذت للبهن فشرته ففصل لي جبريل أصبت الفطرة ولو أنك أخذت  
 لشرقت منك ثم جله بلعراج الذي خرج فيه أرواح بني آدم فإنما هو أحسن ما رأيت  
 أو لم ترها إلى الليل كيف يحذ بصره إليه فخرج بنا حتى آتينا باب السماء الدنيى فاستفتح  
 جبريل قنبل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال عبد قالوا وقد أرسل إليه ؟

(١) في الأصول : « يضطربان » والصواب من الخبر المنقول .

قال نعم فتفتحوا لي وسأدوا علي وإذا ملك يحرس السماء يقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك مع كل ملك مائة ألف - قال - وما يعلم جنود ربك إلا هو - وذكر الحديث إلى أن قال : " ثم مضينا إلى السماء الخامسة وإذا أنا بهارون بن عمران الحب في قومه وحوله تبع كثير من أمته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم وقال طويل اللحية تكاد لحيته تضرب في سترته ثم مضينا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى فلم علي ورحب بي - فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال - رجل كثير الشعر ولو كان عليه قميصان خرج شعره منهما ... " الحديث . وروى البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بفرس يحمل عليه ، كل خطوة منه أفعى بصرة ... وذكر الحديث . وقد جاء في صفة البراق من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بينا أنا نائم في الحجر إذ أتاني كيت نفر كني رجله فأبعت الشخص فإذا هو جبريل عليه السلام قائم على باب المسجد معه فامة دون البغل وفوق الحمار وجهها وجه إنسان وخفها خف حائر وذنبها ذنب ثور وعمرها عرف قمرس فلما أدناها بي جبريل عليه السلام فخرت وقضت عمرها لمسحها جبريل عليه السلام وقال يا برقة لا تتغيري من عهد فوالله ما ربك ملك مغرب ولا نبي مرسل أفضل من عهد صلى الله عليه وسلم ولا أكرم على الله منه قالت قد علمت أنه كذلك وأنه صاحب الشفاعة وإني أحب أن أكون في شفاعة فقلت أنت في شفاعة إن شاء الله تعالى ... " الحديث . وذكر أبو سعيد عبد الملك بن محمد التيسابوري عن أبي سعيد الخدري قال : لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإدريس عليه السلام في السماء الرابعة قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح الذي وعدنا أن نراه فلم نره إلا الليلة قال وإذا هما مريم بنت عمران لما سبعون قصيرا من لؤلؤ ولأم موسى بن عمران سبعون قصيرا من مهبلة حمراء مكللة باللؤلؤ وأبرأها وأسترها من عرق واحد فلما عرج المراج إلى السماء الخامسة وتبعها أهلها سبحانه من جمع بين الطبع والنار من فلفل مرة واحدة كان له مثل ثوبهم أمتنع الباب جبريل نبيه السلام ففتح له فإذا هو بكامل لم يرق قط كهل أبجل منه عظم العينين تضرب لحية

قريباً من سرته قد كاد أن تكون شَتَّةً وحوله قوم جلوس يفص عليهم فقلت يا جبريل من هذا قال هارون المحب في قومه ... وذكر الحديث .

فهذه نبذة مختصرة من أحاديث الإسراء خارجة عن الصحيحين ، ذكرها أبو الربيع سليمان ابن سبع بكلمها في كتاب (شفاء الصدور) له . ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في حين الإسراء حين صرح به إلى السماء . واختلفوا في تاريخ الإنشاء وهيئة الصلاة ، وهل كان إسرائاً بروحه أو جسده ؛ فهذه ثلاث مسائل تتعلق بالآية ، وهي مما ينبغي الوقوف عليها والبحث عنها ، وهي أهم من مَرَد تلك الأحاديث ، وأما أدرك ما وقفت عليه فيها من أقاويل العلماء واختلف الفقهاء بمسألة الله تعالى .

فأما المسألة الأولى — وهي هل كان إسرائاً بروحه أو جسده ؛ اختلف في ذلك السلف والخلف ، فذهب طائفة إلى أنه إسرائ بالروح ، ولم يفارق شخصه مضجعه ، وأنها كانت رؤيا رآها فيها الحفائظ ، ورؤيا الأنبياء حق . ذهب إلى هذا معاوية وعائشة ، وحكى عن الحسن وابن إسحاق . وقالت طائفة : كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى : «سبعان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء . قالوا : ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره ، فإنه كان يكون أبلغ في المدح . وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسرائه بالجسد في اليقظة ، وأنه ركب البراق بمكة ، ووصل إلى بيت المقدس ووصل فيه ثم أسرى بجسده . وعلى هذا نقل الأخبار التي أشرنا إليها والآية . وليس في الإسراء بجسده وحال يقظة مستحالة ، ولا يدل من الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستعجال ، ولو كان مثلاً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده . وقوله «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى» يدل على ذلك . ولو كان مثلاً لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولما قالت له أم هاني : لا تحسب الناس

فيكم برك ولا فضل لغيركم بالصدق ، ولما لم يكن قريشا الشيخ والتكبر ، وفيه كذا  
 فمرش نيا أخيره حتى أردت أقوام كانوا آمنوا ، فلو كانت الرؤيا في صحتكم ، وفيه قال له  
 للمرضون : إن كنت صادقا فخيرنا عن ميراث ابن لقيتها ؟ قال : « يمكن كذا وكذا مريض  
 عليها فنزع فلان فقبل له : ما رأيت باطلا ، قال : ما رأيت شيئا خير إن لآلئ قد نوت .  
 قالوا : فأخبرنا متى تأتينا العير ؟ قال : « تأتاكم يوم كذا وكذا » . قالوا : أية ساعة ؟ قال :  
 « ما أدري ، طلوع الشمس من مائة لسخ أم طلوع العير من مائة » . وقال رجل :  
 فذاك اليوم ؟ هلته الشمس قد طلعت . وقال رجل : هلته يوم قد طلعت واستغروا  
 للنبي صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن يأه قبل ذلك ، روى  
 الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتني في الجنة  
 وعرش كسائي عن سرائي فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أفتها فذكرت كذا ما هي  
 ضله قط » قال : فرسه الله لي أنظر إليه لما سألتني من شيء إلا أفتيتها به . الحديث .  
 وقد اترض قول عائشة ومعاوية : « إنا أسرى بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم » . إنها  
 كانت صغيرة لم تشهد ، ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وأما معاوية فكان كافرا  
 في ذلك الوقت فغير شاهد لحال ، ولم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم . ومن أراد الزيادة  
 حل ما في كذا فليفت حل ( كتاب الشفاء ) للقاضي حياض يجد من ذلك الشفاء . وقد اخرج  
 عائشة بقوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » . فسأها رؤيا . وهذا  
 مرده قوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بغيره ليلا » ولا يقال في اليوم أسرى . وأيضا قد  
 يقال لرؤية العين ، ورؤيا ، على ما يأتي بيانه في هذه السورة . وفي خصوص الأخبار الثابتة  
 دلالة واضحة على أن الإسراء كان بالبدن ، وإذا ورد الخبر بشيء هو يجوز في العقل في قدرة  
 الله تعالى فلا طريق إلى الإنكار ، لا سيما في زمن خرق العوائد ، وقد كان للنبي صلى الله عليه  
 وسلم معارج ، فلا يبعد أن يكون البعض بالرؤيا ، وعليه يحمل قوله عليه السلام في الصحيح :  
 « بينا أنا عند البيت بين الناس والبقطان » الحديث ، ويحتمل أن يراد من الإسراء إلى نوم ، والله أعلم .  
 (١) أي لم أمرها حتى الميرة ، قاله : أجهل ، وأما إذا مره حتى الميرة . (٢) أية هذه السورة

**المسألة الثانية -** في طريق الإسراء ، وقد اختلف العلماء في ذلك أيضا ، واختلف في ذلك هل ابن شهاب ، فروى عنه موسى بن حبة أنه أسرى به إلى بيت المقدس قبل تخرجه إلى المدينة بسنة . وروى عنه يونس عن مروة عن عائشة قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة . قال ابن شهاب : وذلك بعد ميت النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أعوام . وروى عنه الزقاق قال : أسرى به بعد ميتة خمس سنين . قال ابن شهاب : وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر ، وفرضت الزكاة والحب بالمدينة ، وحرم الخمر بعد أحد . وقال ابن إسحاق : أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في القبائل . وروى عنه يونس بن بكير قال : صلت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وسأني . قال أبو عمر : وهذا يدل على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، لأن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقبل ثلاث وقيل بأربع . وقول ابن إسحاق : غالف لقول ابن شهاب « على أن ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم . وقال الحرابي : أسرى به ليلة سبع وعشرين من [شهر] ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة . وقال أبو بكر محمد بن علي ابن القاسم الذهبي في تاريخه : أسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، وعرج به إلى السماء بعد ميتة ثمانية عشر شهرا . قال أبو عمر : لا أعلم أحدا من أهل السير قال ما حكاه الذهبي ، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم منهم ، ولا رضى إلى من يحتاج به عليهم .

**المسألة الثالثة -** وأما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت ، فلا خلاف بين أهل العلم وبطاعة أهل السنة أن الصلاة إما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء ، وذلك منصوص في الصحيح وغيره . وإنما اختلفوا في هيئتها حين فرضت ، فروى عن عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر فأبكت أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على ركعتين . وبذلك قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن إسحاق . قال الشعبي : وألا المفروب . قال يونس بن بكير : وقال ابن إسحاق ثم إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم حين فرضت عليه الصلاة يعني في الإسراء فهمزله بغيره في ناحية



للراوى فَأُفْجِرَتْ مِنْ مَاءٍ فَوَضَا جَبْرِيلُ وَجْهَهُ بِطَرَفَيْهِ السَّلَامَ فَوَضَا وَجْهَهُ وَاسْتَقْبَلَ  
وَتَضَمَّنَ بِرَأْسِهِ وَأَذْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَلْبَيْنِ وَنَضَحَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ قَامَ بِصَلِّ رُكْعَتَيْنِ أَرْبَعِ  
بِحَبَابَاتٍ . فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَفْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ وَطَلَبَتْ نَفْسُهُ بِإِحْسَاءِ  
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَخَذَ يَدَ خَدِيجَةَ ثُمَّ أَتَى بِهَا الْعَيْنَ فَوَضَا كَمَا وَضَا جَبْرِيلُ ثُمَّ رَكَعَ رُكْعَتَيْنِ  
وَأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ هُوَ وَخَدِيجَةُ ، ثُمَّ كَانَ هُوَ وَخَدِيجَةُ بِصِلَانِ سِوَاءٍ . وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا  
فَرَضَتْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رُكْعَتَيْنِ . وَكَذَلِكَ قَالَ نَافِعُ بْنُ جَبْرِ وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ  
الْبَصْرِيُّ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُؤَافِقُ ذَلِكَ . وَلَمْ يَخْتَلَفُوا  
فِي أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَبَطَ بِصَبِيحَةِ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ عِنْدَ الزَّوَالِ ، فَعَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
الصَّلَاةَ وَمَوَاقِيتَهَا . وَرَوَى يُونُسُ بْنُ بَكْرٍ عَنْ سَالِمِ مَوْلَى أَبِي الْمُهَاجِرِ قَالَ سَمِعْتُ مِثْرَانَ بْنَ مِهْرَانَ  
يَقُولُ : كَانَ أَوَّلُ الصَّلَاةِ مَنًى ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِمَا نَصَارَتْ سُنَّةٌ ،  
وَأُثِرَتْ الصَّلَاةُ السَّافِرِ وَهِيَ تَامَةٌ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَهَذَا إِسْتَدْلَالٌ بِمَثَلِهِ ، وَقَوْلُهُ «نَصَارَتْ سُنَّةٌ»  
سُنَّةٌ قَوْلٌ مُتَكَرِّرٌ ، وَكَذَلِكَ اسْتِثْنَاءُ الشَّيْءِ الْمَغْرِبِ وَحْدَهَا وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّبِيحَ قَوْلٌ لَا مَنَى لَهُ .  
وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ فَرَضَ الصَّلَاةِ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعٌ إِلَّا الْمَغْرِبَ وَالصَّبِيحَ وَلَا يَمُرُّونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ  
عَمَلًا وَتَقْلًا مُسْتَفِضًا ، وَلَا يَضُرُّهُمُ الْإِخْتِلَافُ فِيمَا كَانَ أَصْلُ فَرَضِهَا .

الخامسة - قد مضى الكلام في الأذان في «المائدة» والحمد لله . ومضى في «آل عمران»  
إِنَّ أَوَّلَ مَسْجِدٍ وَضَعَ فِي الْأَرْضِ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى . وَأَنَّ بَيْنَهُمَا أَرْبَعِينَ  
عَامًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ، وَبَنَاءِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى وَدَعَاؤُهُ لَهُ مِنْ حَدِيثِ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَوَجْهَ الْجَمْعِ فِي ذَلِكَ ؛ فَأَمْلَاهُ هُنَاكَ فَلَا مَنَى لِلْإِمَادَةِ . وَتَذَكَّرْنَا قَوْلَهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِلَى مَسْجِدِي  
هَذَا وَإِلَى مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» . نَزَّهَهُ مَالِكٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَفِيهِ مَا يَدُلُّ  
عَلَى فَضْلِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ ؛ لِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : مِنْ نَذَرِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدٍ

لا يصل إليه إلا بحلة واحدة فلا يغسل ، ويصلي في مسجد ، إلا في الثلاثة للمساجد .  
فلمذكرة فإنه من ثمر صلاة فيها نرج إليها ، وقد قال مالك وجماعة من أهل العلم حين نذر  
وباطا في شهر سنة ، فإنه يلزمه الوفاء حيث كان الرباط لأنه طاعة لله عز وجل . وقد زاد  
أبو البخري في هذا الحديث مسجد الجند ، ولا يصح وهو موضوع ، وقد تقدم في مقدمة  
الكتاب .

الباسمة : قوله تعالى : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ منى الأقصى بعد ما بينه وبين  
المسجد الحرام ، وكان بعد مسجد من أهل مكة في الأرض يعلم بالزيارة ، ثم قال : ( الذي  
باركنا حوله ) قيل ، بالثمار ويحارى الأثمار ، وقيل ، بين دفن حوله من الأنبياء والصالحين ،  
وبهذا جملة مقدس . وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله  
تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادى ولنا شائق إليك صفوتي من عبادى " . ( لُزِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا )  
هذا من باب تلويح الخطاب ، والآيات التي لُزَاهُ الله من المجائب التي أخبر بها الناس ، وأسراؤه  
من مكة إلى المسجد الأقصى في ليلة وهو مسيرة شهر ، وعروجه إلى السماء وصفه الأنبياء  
واحدا واحدا ، حسب ما ثبت في صحيح مسلم وغيره . ( إِنَّهُ هُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ ) تقدم .

قوله تعالى : وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ  
أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا

أى كرّمنا بها صلى الله عليه وسلم بالعبراني ، وأكرّمنا موسى بالكتاب وهو التوراة .  
( وَجَعَلْنَاهُ ) أى ذلك الكتاب . وقيل موسى . وقيل معنى الكلام : سبحانه الذى أسرى  
عبده ليلا وآتى موسى الكتاب ، فخرج من الغيبة إلى الإخبار عن نفسه جل وعز . وقيل  
إن معنى سبحانه الذى أسرى عبده ليلا ، معناه أسرىنا ، يدل عليه ما بعده من قوله : « لُزِيَهُ  
مِنْ آيَاتِنَا » حمل « آتَيْنَا موسى الكتاب » على المعنى . ( أَلَّا يَتَّخِذُوا ) قرأ أبو عمرو « يَتَّخِذُوا »

بالياء . اليافون بالياء . فيكون من باب تلوين الخطاب . (ويكلا) أى شربك؛ من مجاهد .  
وقيل : كقبلا بأموهم ؛ حكاة القراء ؛ وقيل : رأيتكون عليه فى أوموم ؛ قاله الكلبي .  
وقال القراء : كافيا ؛ والتقدير : عهدنا إليه فى الكتاب ألا تتخذوا من دونى وكلا . وقيل :  
التقدير لئلا تتخذوا . والوكيل : من يوكل إليه الأمر .

قوله تعالى : ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢٥﴾

أى يا ذرية من حملنا ، على النداء ، قاله مجاهد ورواه عنه ابن أبى نجيع . والمراد بالذرية  
كل من استج على القرآن ، وهم جميع من على الأرض ؛ ذكره المهدوى . وقال السأوىدى :  
يعنى موسى وقومه من بنى إسرائيل ، والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تشركوا . وذكر نوحا  
ليذكرهم نعمة الإنجاء من الغرق على آبائهم . وروى سفيان عن حميد عن مجاهد أنه قرأ  
« ذُرِّيَّةٌ » بفتح الذال وتشديد الزاء والياء . وروى هذه القراءة جابر بن الواجد عن زيد  
ابن ثابت . وروى عن زيد بن ثابت أيضا « ذُرِّيَّةٌ » بكسر الذال وشدة الزاء . ثم بين أن  
نوحا كان عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا يرى الخلق إلا من عنده . قال قتادة : كان إذا لبس  
ثوبا قال : بسم الله ، فإذا نزع قال : الحمد لله . كما روى عنه معمر . وروى معمر عن معصود  
بن إبراهيم قال : شكروا إذا أكل قال : بسم الله ، فإذا فرغ من الأكل قال : الحمد لله .  
قال سلمان الفارسي : لأنه كان يحمد الله على طعامه . وقال عمران بن سلم : إنما سمي نوحا  
عبدا شكورا لأنه كان إذا أكل قال : الحمد لله الذى أطعمنى ولو شاء لأجعتنى ، وإذا شرب  
قال : الحمد لله الذى سقانى ولو شاء لأطمانى ، وإذا أكنسى قال : الحمد لله الذى كنانى  
ولو شاء لأعمرانى ، وإذا احتذى قال : الحمد لله الذى خلطانى ولو شاء لأخفاننى ، وإذا قضى  
حاجته قال : الحمد لله الذى أخرج عني الأذى ولو شاء لحبسنى في . ومقصود الآية : إنكم  
من ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فاتهم أحق بالافتداء به دون آبائكم الجهال . وقيل :  
المنى أن موسى كان عبدا شكورا إذ نجسه الله من ذرية نوح . وقيل : يجوز أن يكون  
(١) كما فى نسخ الأصل ، ولم ندره فى المكان .

« ذرية » مفعولا ثانيا له « تخذوا » ، ويكون قوله : « وكلا » يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراءتين جميعا أعني الإياه واللاه في « تخذوا » . ويجوز أيضا في القراءتين جميعا أن يكون « ذرية » بدلا من قوله « وكلا » لأنه بمعنى الجمع ؛ فكانه قال لا تخذوا ذرية من حلنا مع نوح . ويجوز نصبها بإختار أعني وأمدح ، والعرب قد تصب على الممدح والذم . ويجوز وفيها على البدل من المضمر في « تخذوا » في قراءة من قرأ بالإياه ، ولا يحسن ذلك لمن قرأ باللاه لأن المخاطب لا يبدل منه التائب . ويجوز جرهما على البدل من بني إسرائيل في الوجوهين . فاما « أن » من قوله « ألا تخذوا » فهي على قراءة من قرأ بالإياه في موضع نصب يحذف الجار ، التقدير : هلينا هم لئلا يتخذوا . ويصلح على قراءة اللاه أن تكون زائدة والقول مضمر كما تقدم . ويصلح أن تكون مفسرة بمعنى أي ، لا موضع لها من الإعراب ، وتكون « لا » للهي فيكون خروجا من الخبر إلى الهي .

قوله تعالى : وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ( وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ ) وقرأ سعيد بن جبير وأبو العالية في الكتاب « على لفظ الجمع . وقد يرد لفظ الواحد ويكون معناه الجمع ؛ فتكون القراءتان بمعنى واحد . ومعنى « قضينا » أعلمنا وأخبرنا ؛ قاله ابن عباس : وقال قتادة : حكنا ؛ وأصل القضاء الإحكام للنهي والقضائ منه . وقيل : قضينا أوجبتنا ؛ ولذلك قال : « إلى بني إسرائيل » . وعلى قول قتادة يكون « إلى » بمعنى على ؛ أي قضينا عليهم وحكنا . وقاله ابن عباس أيضا . والمعنى بالكتاب اللوح المحفوظ . ( لَتُفْسِدُنَّ ) وقرأ ابن عباس « لَتُفْسِدُنَّ » . حسي التفتي « لَتُفْسِدُنَّ » . والمعنى في القراءتين قريب ؛ لأنهم إذا أسفدوا فسدوا ، والمراد بالفساد مخالفة أحكام التوراة . ( في الأرض ) يريد أرض الشام وبيت المقدس وما والاها . ( مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ ) اللام في « لَتُفْسِدُنَّ وَلَتَعْلُنَّ » لام قسم مضمر كما تقدم . ( عُلُوًّا كَبِيرًا ) أراد التكبر والبطى والطغيان والاستطالة والتبلة والمدون .

قوله تعالى : فَمَا جَاءَ وَعْدَ أُولَاهُمَا بِعِثَابِكَ يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ شَدِيدٌ بِمَا سُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ①

قوله تعالى : (فَمَا جَاءَ وَعْدَ أُولَاهُمَا) أي أول المؤمنين من فاعلهم . (بِمَا سُوا) عِثَابًا لَأُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ هم أهل بابل ، وكان عليهم يختصر في المرة الأولى حين كانوا لادباء ورجوه وسبوه ، قاله ابن عباس وغيره . وقال قتادة : أهل ملهم جالوت قتلهم ، فهو وقومه أولوا بَأْسٍ شَدِيدٍ . وقال مجاهد : جامع جند من فارس يقبسون أهلهم ومهم يختصر فوق حديثهم من بين أصحابه ، ثم رجوا إلى فارس ولم يكن قتل ، وهذا في المرة الأولى ، فكان منهم جُوسٌ خِلَلِ الدِّيَارِ قتل ، ذكره الثعلبي أبو نصر . وذكر المهدوي عن مجاهد أنه جامع يختصر فهزمه بنو إسرائيل ، ثم جامع ثانية قتلهم وصبرهم عمدا . ورواه ابن أبي نعيم عن مجاهد ، ذكره النحاس . وقال عبد بن إسحاق في خبر فيه طول ، إن الهزيم ستعارب ملك بابل جاء ومعه ستائة ألف راية تحت كل راية مائة ألف فارس بقدر حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى وأمات جميعهم لاستعارب ونجسة قمر من كجابه ، وقت ملك بني إسرائيل واسمه عديقة في طلب ستعارب فأخذ مع الغلبة ، أسدع مختصر ، فطرح في رقاهم الجنوايع <sup>(١)</sup> وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وإليه ويرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، ثم أطلقهم فرجعوا إلى بابل ، ثم أمات ستعارب بعد سبع سنين ، واستغلب مختصر وعظمت الأحداث في بني إسرائيل ، واستعابوا الحارم وقتلوا نعيم شعبا ، فجامع مختصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني إسرائيل حتى أقتلهم . وقال ابن عباس وابن مسعود : أول القصاص قتل زكريا . وقال ابن إسحاق : فسادهم في المرة الأولى قتل شعبا أي الله في الشجرة ، وذلك أنه لما مات صدقة ملكهم مرج أمرهم

(١) راجع كتاب قصص الأنبياء ، المسى بالبرانس ص ٢٥٩ طبع في دار الفجر ٢٠٠٠ قسم أول ص ٣٠٠  
وبما بعدها طبع أوردنا . (٢) الجنوايع : الأفاعيل ، والرواحد حاسة . (٣) مرج الأمر : ضد وأخطط وخبس المخرج فيه .

وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نعيم فقال الله تعالى له قم فقومك  
 أوجع على لسانك، فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل  
 فيها، وأدركه الشيطان فأخذ هذبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار فوسطها ففسدوها  
 حتى قطعوها وقطعوه في وسطها . وذكر ابن إسحاق أن بعض العلماء أخبره أن زكريا مات  
 مونا ولم يقتل وإنما المقتول شيئا . وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى : « ثم بسنا عليكم عبادا  
 لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار » هو سحارهم من أهل يتوى بالموصل ملك بابل .  
 وهذا خلاف ما قال ابن إسحاق، فافقه أعلم . وقيل : إنهم المارقة وكانوا كفارا، قاله الحسن .  
 وصنف جاسوا : غاثوا وقتلوا ، وكذلك جاسوا وهاسوا وداسوا ، قاله ابن جرير ، وهو قول  
 القتيبي . وقرأ ابن عباس : « حاسوا » بالحاء المهملة . قال أبو زيد : الحوس والحسوس  
 والحوس والحسوس : الطوائف بالليل . وقال الجوهري : الحوس مصدر قولك جاسوا خلال  
 الديار ، أي تجسسوها فطلبوا ما فيها كما يحوس الرجل الأخبار أي يطلبها ، وكذلك الأجاس .  
 والجوسان ( بالتحريك ) الطوفان بالليل ، وهو قول أبي حنيفة . وقال الطبري : طافوا بين  
 الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين ، فجمع بين قول أهل اللغة . قال ابن عباس : مشوا  
 وترددوا بين الدور والمساكن . وقال الفراء : قتلوكم بين يديكم ، وأشد لسان :  
 ومن الذي لاق سيف محمد . فجاس به الأعداء عرض السامر  
 وقال قطرب : زلوا ، قال :

فجسنا ديارهم عنوة . وأبنا لسانهم مؤقنا

( وكان معنا مقولا ) أي قضاء كانوا لا خلف فيه .

قوله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين

وجعلناكم أكثر نفيرا » ①

قوله تعالى : ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَوْكَبَ عَلَيْهِمْ ) أى النواة والرجمة بموتك لما نتم وأعلمتم .  
ثم قيل : ذلك بقتل داود جالوت أو بقتل غيره ، على الخلاف من قطعهم . ( وَأَمَدَدْنَاكُمْ  
بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ ) حتى عاد أمرهم كما كان . ( وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ) أى أكثر عددا ورجالا من  
عدوكم ، والغفير من قمر مع الرجل من عشيرته ، يقال : غفير ونافر مثل قدير وقادر . ويجوز أن  
يكون التغير جمع قمر كالكلب والمميز والبيد ، قال الشاعر

فَأَكْرَمَ بِمِصْطَانٍ مِنْ وَالِدِهِ وَحَسِيرًا كَرَمَ بِقَوْمٍ خَسِيرًا

والمنى : أنهم صاروا بعد هذه الوقفة الأولى أكثر أنضاما وأصلح أحوالا ، جزاء من الله تعالى  
لهم على عودهم إلى الطاعة .

قوله تعالى : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا  
جَاءَ وَعْدُ آلِ قَرْيَةٍ لِيُذَبِّحُوا وَجوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا )

قوله تعالى : ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ) أى قم إحسانكم عائد عليكم . ( وَإِنْ أَسَأْتُمْ  
فَلَهَا ) أى فعلينا ، نحو سلام لك ، أى سلام عليك . قال :  
• غفر صريحا للذين ولعقهم •

أى على الذين وعلى النعم . وقال الطبري : اللام بمعنى إلى ، معنى وإن أسأتم فلها ، أى فلها  
ترجع الإساءة ، لقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا الصَّكَّاتِ إِلَى اللَّهِ ) وقيل : فلها الجزاء  
والعقاب . وقال الحسين بن الفضل : فلها رب ينصف الإساءة . ثم يحتمل أن يكون هذا  
(١) هذا مجزئ لربية بن مكرم . ومصدره •

• ومكنت بالرجع القوي لإمام •

وقيل هذا البيت •

سمرت واحدة فلتية نوره • معدا ليل معنى عالم يسلم

ومصدره •

وسنت قمر يسد بيانه • لجلالة لافرة كسند الأديم

ولهذه الأيات ثلث يوم القلبية . وأصح أمال فقال • ٢٠ ص ٢٧٠ طبع دار الكتب المصرية

خطابا لبني إسرائيل في أول الأمر؛ أي أسأتم قتل بكم القتل والسي والتخريب ثم أحسنت  
لعماد إليكم الملك والسُّوء وانتظام الحال . ويعمل أنه خطوب بهذا بنو إسرائيل في زمن  
محمد صلى الله عليه وسلم؛ أي عرفت استحقاق أسلافكم للعقوبة على العميان فأرتقبوا مثله .  
أو يكون خطابا لمشرك فريش على هذا الوجه . ( فَإِذَا بَيَأْ وَعَدُ الْآخِرَةِ ) من إفسادكم؛ وذلك  
أنهم قتلوا في المرة الثانية يحيى بن زكريا عليهما السلام، قتله ملك من بني إسرائيل يقال له  
لاخت؛ قاله القتيبي . وقال الطبري : اسمه هردوس، ذكره في التاريخ؛ حمله على قتله امرأة  
اسمها أزيل . وقال السدي : كان ملك بني إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويستشيره في الأمور،  
فاستشاره للملك أن يتزوج بنت امرأة له فتأه عنها وقال : إنها لا تحل لك؛ فخطبت أمتها على  
يحيى عليه السلام، ثم البست ابنتها ثيابا حرارفا وطبختها وأرسلتها إلى الملك وهو على شرابه،  
وأمرتها أن تشرع له، وإن أرادها أبت حتى يعطيا ما تسأله؛ فإذا أجاب سألت أن يؤتى  
برأس يحيى بن زكريا في طست من ذهب؛ ففعلت ذلك حتى أتى برأس يحيى بن زكريا  
والرأس نتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا تحل لك؛ لا تحل لك؛ فلما أصبح إذ دمه  
يقل، فالتقى عليه التراب فقتل فوقه، فلم يزل باقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك  
يقل؛ ذكره التلميذ وغيره . وذكر ابن صباكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال : كان  
ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وأبنته فورث مملكته أخوه، فأراد أن يتزوج امرأة  
أخيه، فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء،  
فقال له : لا تخرجها فإنها بنتي؛ فعرفت ذلك المرأة أنه قد ذكرها وصرفه عنها، فقالت :  
من أين هذا ! حتى بلغها أنه من قبل يحيى، فقالت : ليقطن يحيى أوليخرجني من ملكه،  
فعمدت إلى ابنتها وصنعتها، ثم قالت : اذهبي إلى عمك عند الملاء فإنه إذا رآك سيدعوك  
ويعلمك في حجرة، ويقول سلني ما شئت، فإني لن تسألني شيئا إلا أعطيتك، فإذا قال لك  
ذلك فقولي : لا أسأل إلا رأس يحيى . قال : وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على دوس  
الملاء ثم لم يمتص له ترفع من ملكه؛ ففعلت ذلك . قال : فجعل يأنيه الموت من قتله يحيى،



وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه ، فاختار ملكه فقتله . قال : فساخت بأتمها الأرض . قال ابن جُدعان : فحدثت بهذا الحديث ابن المسيب قال إنما أخبرك كيف كان قتل زكريا ؟ قلت لا ، قال : إن زكريا حيث قُتل ابنه أنطلق هاريا منهم وآتبعوه حتى أتى على شجرة ذات ساق فدفعه إليها فاطلوت عليه وبقيت من ثوبه هُدبة تكفها الرياح ، فأنطلقوا إلى الشجرة فلم يجدوا أثره بعدها ، ونظروا بتلك الهُدبة فدعوا بالنشار فقطعوا الشجرة فقطعوه معها .

قلت : وقع في التاريخ الكبير للطبري <sup>(١)</sup> الحديث أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بثت عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يملكون الناس ، قال : كان فيما بينهم من نكاح ابنة الأخ ، قال : وكان للملكهم ابنة أخ تعجبه ... وذكر الخبر بمعناه . وعن ابن عباس قال : بثت يحيى ابن زكريا في اثني عشر من الحواريين يملكون الناس ، وكان فيما بينهم من نكاح بنت الأخت ، وكان للملكهم بنت أخت تعجبه ، وكان يريد أن يتزوجها ، وكان لها كل يوم حاجة بفضيها ، فلما بلغ ذلك أمها أنهم نكحوا من نكاح بنت الأخت قالت لها : إذا دخلت على الملك فقال ألك حاجة فقولي : حاجتي أن تلج يحيى بن زكريا ، فقال : مليني سوى هذا ! قالت : ما سألك إلا هذا . فلما أبت عليه دعا بطست ودعا به فذبحه ، فدفنت قطرة من دمه على وجه الأرض فلم تزل تغلي حتى بثت الله عليهم يختصر فأتى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ذلك الدم ، فقتل عليه منهم سبعين ألفا ، في رواية ثمانية وسبعين ألفا . قال سعيد بن المسيب : هي دية كل نبي . وعن ابن عباس قال : أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلى قتل يحيى بن زكريا سبعين ألفا ، وإلى قاتل أبيه ابنك سبعين ألفا وسبعين ألفا . وعن سمير بن عطية قال : قتل على الصخرة التي في بيت المقدس سبعون ألفا منهم يحيى بن زكريا . ومن زيد بن واقد قال : رأيت رأس يحيى عليه السلام حيث أرادوا بناء مسجده دمشق أخرج من تحت وكن من أركان القبة التي على الخراب

عما إلى الشرق، فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير. وعن قزوة بن خالد قال: لما بكت السماء على أحد الإلهي يحيى بن زكريا والحسين بن علي؛ وحمرتها بكاءً جافاً. وعن سفيان بن عيينة قال: أوحش ما يكون بن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيخرج إلى دارهم، وليلة يبيت مع المولى فيجاور جيراناً لم ير مثلهم، ويوم يبعث فيشهد مشهداً لم ير مثله؛ قال الله تعالى ليحيى في هذه الثلاثة مواطن: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا». كله من التاريخ المذكور.

واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة؛ فقيل: بختنصر. وقاله القشيري أبو نصر، لم يذكر غيره. قال السجستاني: وهذا لا يصح؛ لأن قتل يحيى كان بعد رفع ميسى، وبختنصر كان قبل ميسى بن مريم عليهما السلام بزمان طويل، وقبل الإسكندر؛ وبين الإسكندر وعيسى نحو من ثمانية سنة، ولكنه أريد بالمرّة الأخرى حين قتلوا شعياء، فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرّب بيت المقدس وأتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها. وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فغلط عند أهل السير والأخبار؛ لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعياء وفي عهد إرمياء. قالوا: ومن عهد إرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى ابن زكريا عليهما السلام أربعاً وستين سنة، وذلك أنهم يمدّون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كرمك<sup>(١)</sup> سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وعشرين سنة، ثم من بعد ملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثمانية وثلاثين سنة<sup>(٢)</sup>.

قلت: ذكر جميعه الطبري في التاريخ رحمه الله. قال الثعلبي: والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إحقاق قال: لما رفع الله ميسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى - وبعض

(١) الذي تلوح عليه: «كبرش» ولم ترق لعمريه. (٢) في الطبري: «ثلاثة وثلاثين سنة». - راجع ص ٧١٨ من القسم الأول.

الناس يقول : لما قتلوا زكريا - بعث الله إليهم ملكا من ملوك بابل يقال له : حردوس ،  
فسار إليهم بأهل بابل وظهر عليهم بالثام ، ثم قال رئيس جنوده : كنت خلقت بأمر الله  
أظهرني الله على بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، وأمر أن يقتلهم  
حتى يبلغ ذلك منهم ، فدخل الرئيس بيت المقدس فوجد فيها دماء تسيل ، فسلم فقالوا ،  
دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة . قال ما صدقوني ، فذبح على ذلك الدم  
صبانة وسبعين رجلا من رؤسائهم فلم يهدأ ، [فأتى بسبائة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم  
قلم يهدأ ] ، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فقال :  
يا بني إسرائيل ، اصدقوني قبل ألا أترك منكم نافع بار من أتى ولا من ذكر إلا قتلته . فلما  
أرأوا الجهد قالوا : إن هذا دم نبي ما كان ينهانا عن أمور كثيرة من تحط الله فقتلناه ، فهذا  
دمه ، كان اسمه يحيى بن زكريا ، ما عصى الله قط طرفة عين ولا هم بمعصية . فقال : الآن  
صدقتوني ، ونر ساجدا ثم قال : لئلا هذا يقتل منكم ، وأمر بفتح الأبواب وقال : انخرجوا  
من كان هاهنا من جيش حردوس ، وخلا في بني إسرائيل وقال : يا بني الله ، يا يحيى بن زكريا  
قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أبلك ، فأهدأ بإذن الله قبل ألا أتى منهم احدا .  
فهذا دم يحيى بن زكريا بإذن الله عز وجل ، ورفع عنهم القتل وقال : رب ؛ إني أمنت  
بما آمن به بنو إسرائيل وصدقت به ؛ فأوحى الله تعالى إلى رأس من دعوس الأنبياء  
إن هذا الرئيس مؤمن صدوق . ثم قال : إن عدو الله حردوس أمرني أن أقتل منكم حتى  
تسيل دماؤكم وسط عسكري ، وإني لا أعصيه ، فأمرهم بخفروا خائفوا وأمر بأموالهم من الإبل  
والغنيل والبعال والحجر والبقر والبنم فذبحوها حتى سال الدم إلى السكر ، وأمر بالقتل الذين  
كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ، ثم انصرف عنهم إلى بابل ، وقد كاه

إن يحيى بن إسرائيل -

(١) في تاريخ الطبري ص ٧٢١ ط نسخة ٢٢٥ -

(٢) زيادة من تاريخ الطبري .

قلت : قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة ، وقد كتبناه في ( كتاب التذكرة ) مقطعا في أبواب في أخبار المهدي ، نذكر منها هاتما بين معنى الآية وفسرها حتى لا يحتاج معه إلى بيان ، قال حذيفة : قالت يا رسول الله ، لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسم الخطر عظيم القدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو من أجل البيوت ابتناه الله لسلطان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودرّ وياقوت وزمرد » : وذلك أن سليمان بن داود لما بناه تخشع الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من الباسان ، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد ، وخضّر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف . قال حذيفة : قلت يا رسول الله ، وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سخط الله عليهم فاختصر وهو من الجيوش وكان ملكه سبعمائة سنة ، وهو قوله : « فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يُلْغَوْنَ فِي الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا » فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف فاحتملوا على سبعين ألفا ومائة ألف فجعلته حتى أوردوها أرض بابل ، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخرزى والعقاب والكنال مائة عام ، ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى الجيوش في أرض بابل ، وأن يستغنى من في أيديهم من بني إسرائيل ؛ فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستغنى من بقي من بني إسرائيل من أيدي الجيوش واستغنى ذلك للذي كان من بيت المقدس وردّه الله إليه كما كان أول مرة وقال لهم : يا بني إسرائيل إن عدمي إلى الماضى عدنا عليكم بالسّي والقتل ، وهو قوله : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ مُدَّتْمْ عَدَاؤُنَا فَلَمَّا رَجَعْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَادُوا إِلَى الْمَاضِي فَلَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلَكُ الرُّومِ قَيْصَرٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا » فتزاحم في البر والبحر فسيامهم وفتحهم وأخذ أموالهم ونسائهم ، وأخذ كل جمع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفا ومائة ألف فجعلته حتى أوردوها

في كنيسة الذهب ، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدى فيرده إلى بيت المقدس ، وهو الآن  
مقبلة وسبيلته مقيمة يرسى بها على بابها حتى تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمع الله الأولين  
والآخرين ... وذكر الحديث .

قوله تعالى : ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ) أى من المرتين ، وجواب « إذا » عنوف ،  
تقديره بشتائم ، دل عليه « بشتا » الأول . ( لِيَسْأَلُوا وَجُوهَكُمْ ) أى بالسبي والقتل فيظهر  
أثر الحزن في وجوهكم ، فـ « ليسعوا » متعلق بمحذوف ، أى بشتا عابدا ليفعلوا بكم ما يسوء  
وجوهكم . قيل : المراد بالوجوه السادة ، أى ليدلّوكم . وقرا الكسائي « لنسوء » بنون  
وفتح الهزة ، فعل خبر عن نفسه معظم ، اعتبارا بقوله « وقضيتا » وبشتا ورددة . ونحوه  
عن علي . وتصديقها قرأته أبي « لنسوء » بالنون وحرف التوكيد . وقرا أبو بكر والأعمش  
وابن وثاب وحزمة وابن عامر « لبسوء » بالياء على التوحيد وفتح الهزة ، ولما وجهان  
أحدهما - ليسوء الله وجوهكم . والثاني - ليسوء الوعد وجوهكم . وقرا الباقون « ليسعوا »  
بالياء وضم الهزة على الجمع ، أى ليسوء البعاد الذين هم أولوا بأس شديد وجوهكم .  
( وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأَ ) أى ليدنروا ويهلكوا ، وقال فطرب  
يدنوا ، قال الشاعر :

يا الناس إلا عاملان فعامل • يتسبر ما بيني وأمر واقع

( مَا طَلُوا ) أى طلبوا عليه من بلادكم ( تَبَرَّأَ ) .

قوله تعالى : عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عَدَنَّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ  
لِلْكَافِرِينَ حَبِيرًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ) وهذا مما أخذوا به في كلامهم . و « عسى »  
ومد من الله أن يكشف عنهم . و « عسى » من الله واجبة . ( أَن يَرْحَمَكُمْ ) بعد استقام  
منكم ، وكذلك كان ، فكفر عدلهم وجعل منهم الملوكة . ( وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا ) قال قتادة :

(١) في الأصول : « عسى ما يلحق به » وتصويب عن المفسرين .

فمادوا فبحث الله عليهم عما صلى الله عليه وسلم ؛ فهم يطعون الجزية بالصغار ؛ وروى  
عن ابن عباس . وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره . وقال القشيري : وقد حل  
العقاب بيني إسرائيل مرتين على أيدي الكفار ، مرة على أيدي المسلمين . وهذا حين  
مادوا فماد الله عليهم . وعلى هذا يصح قول قتادة . ( وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا )  
أي نجسًا ونجسًا ، من الحصر وهو الحبس . قال الجوهري : يقال حصره يحصره حصراً  
ضييق عليه وأحاط به . والحصير : الضيق البخل . والحصير : البارية . والحصير : الجنب ،  
قال الأصمعي : هو ما بين العرق الذي يظهر في جنب البع والفرس معترضا لما فوقه إلى  
مقطع الجنب . والحصير : المك ؛ لأنه محبوب . قال ليذ :  
ومما قيل غلب الرقاب كأنهم • جن لدى باب الحصير قيام

وروى : • ومقامة غلب الرقاب -- •

أي أن يكون " غلب " بدلاً من " مقامة " كأنه قال : ورُبَّ غلب الرقاب . وروى عن  
أبي حنيفة : • لدى طرف الحصير قيام •

أي عند طرف البساط للثعلب بن النضر . والحصير : النجس ؛ قال الله تعالى :  
« وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا » . قال القشيري : ويقال للذي يجترش حصيراً لحصر  
بعضه على بعض بالنسج . وقال الحسن : أي فرأينا ومهادنا ذهب إلى الحصير الذي يفرش ،  
لأن العرب تسمى البساط الصنم حصيراً . قال النبطي : وهو وجه حسن .

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ  
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) ① وَأَنَّ الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ②

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي إِلَيْهِ هِيَ أَقْوَمُ ) لا ذكر المراج ذكر ما نفى  
عن بني إسرائيل ، وكان ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين أن الكتاب الذي

أنزله الله عليه سبب اعتدائه . ومعنى (الَّتِي هِيَ أَفْوَمٌ) أى الطريقة التى هى أسد وأعدل وأصوب ، ذ . التى « نمت لموصوف محذوف ، أى الطريقة إلى مص أفوم . وقال الزجاج : فقال التى هى أفوم الحالات ، وهى توجد الله والإيمان بربطه . وقاله الكلبى والفتاوى .

قوله تعالى : (وَيَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْمَوَازِي) غُذِمَ . (أَنْ لَمْ) أى بأن لم . (أَتْرَا كَيْدًا) أى الجنة . (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أى ويبشروهم بأن لأعدائهم العقاب . والقرآن معظمه وعد ووعد . وفرا حبرة والكسائي « ويبشّر » مخفيا بفتح الياء وضم الشين ، وقد ذُكِرَ .

قوله تعالى : وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

عَجُولًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) قال ابن عباس وغيره : هو دعاء الرجل على نفسه وولده عد الصحر بما لا يجب أن يستجاب له : اللَّهُمَّ أَهْلِكَ ، ونحوه . (دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ) أى كدعائه ربه أن يهب له العاقبة ، فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشَّرِّ هلك لكن بفضل لا يستجيب له في ذلك . نظيره : « وَلَوْ يَسْأَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَجَابَ لَهُمْ بِالْخَيْرِ » وقد تقدم . وقيل : نزلت في الصرير الحارث ، كان يدعو ويقول : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِمَارًا مِنَ الْبَيْلِ أَوْ أَنْتَ بَيْضَابُ أَلَمِ » . وقيل :

هو أن يدعو في طلب المخطور كما يدعو في طلب الباح ، قال الشاعر وهو ابن جاع ،

أطوف باليت بين بطوف • وأرمع من متقوى المسبيل

وأجهد بالليل حتى الصباح • وأنتلو من الخكم السبيل

على قارج المم من يوسف • يُحسر ل ربة القبيل

(١) راجع ١٨ م ١٣٨ طبة آية ١٥٤ . (٢) راجع ١٨ م ٧٥ طبة آية ١٥٤

(٣) راجع ١٨ م ٢١٤ . (٤) راجع ٧ م ٢١٨ و ٨ م ٢١٥ طبة آية ١٥٤

قال الجوهري: يقال ما عجل فلان تجل مثال جلس أى معتمد، والتجمل أيضا: واحد عامل  
الحاج . والتجمل مثال الميرجل : ملاقة السيف . وحذفت الواو من « ويدع الإنسان » في التنظ  
والخط ولم تحذف في المعنى لأن موضعها رفع لحذف لاستعمالها اللام الساكنة؛ كقوله تعالى:  
« سَنَدْعُ الزَّانِيَةَ » <sup>(١)</sup> « وَبِمَحْ أَلَّهَ الْبَاطِلُ » <sup>(٢)</sup> « وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ » <sup>(٣)</sup> « وَيَتَذَكَّرُ الْمُتَذَكِّرِينَ » <sup>(٤)</sup> « وَمَا تُنَبِّئُ  
النُّفُوسَ » <sup>(٥)</sup> « وَكَانَ الْإِنْسَانُ عُجُولًا » <sup>(٦)</sup> أى طبعه العجلة، فيسئل بسؤال الشر كما يسئل بسؤال  
الخير . وقيل : أشار به إلى آدم عليه السلام حين نهض قبل أن ترتب فيه الروح على الكمال .  
قال سلمان : أول ما خلق الله تعالى من آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخاف جسده ، فلما كان  
يهند العنصر بقيت رجلاه لم ينفخ فيهما الروح فقال : يارب عجل قبل الليل؛ فذلك قوله :  
« وَكَانَ الْإِنْسَانُ عُجُولًا » . وقال ابن عباس : لما انتهت النضجة إلى سرته نظر إلى جسده  
لمذهب لينهض فلم يقدر؛ فذلك قوله : « وَكَانَ الْإِنْسَانُ عُجُولًا » . وقال ابن مسعود :  
لما دخل الروح في جيله نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتوى الطعام فوثب قبل  
أن تبلغ الروح رجليه فجعل إلى ثمار الجنة؛ فذلك حين يقول : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عُجُولٍ »  
الله كرهه النبي . وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرَكَهُ فَعَلَّ إِبْلِيسَ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ  
فَالْمَا رَأَى أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَمُوتُ » <sup>(٧)</sup> وقد تقدم . وقيل : سلم عليه السلام أسيرا  
إلى سودة فبات بين فساتنه فقال : أنبئني لشدة القيد والأسر؛ فأرخت من كانه فلما ناست  
هرب ؛ فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « قطع الله يدك » فلما أصبحت كانت  
تتوقع الآفة؛ فقال عليه السلام : « إني سألت الله تعالى أن يجعل دماغي على ما لا يستحق  
من أهل حجة إلا أني بشر بالغضب كما يغضب البشر » ونزلت الآية؛ ذكره القشيري أبو نصر  
وحده الله . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(١) سورة النمل - (٢) سورة القصص - (٣) سورة القصص - (٤) سورة القصص - (٥) سورة القصص - (٦) سورة القصص - (٧) سورة القصص

(١) سورة القصص - (٢) سورة القصص - (٣) سورة القصص - (٤) سورة القصص - (٥) سورة القصص - (٦) سورة القصص - (٧) سورة القصص



لَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِشَرِّ مَشْصَبٍ كَمَا بَغَضْتَ الْبَشَرَ وَهِيَ قَدْ أَخَذَتْ بِكَ مِنْكَ مَعْنَانِ خَلْقِيَةٍ فَأَيُّا  
مُؤْمِنٍ لَقَيْتَ لَوْ سَمِعْتَ لَوْ جَلَدَهُ فَاجْلِسْ لَهُ كَفَارًا وَفَرَّةً فَتُؤْمَرُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝  
وَقَدْ لَبِثَ مِنْ عَائِشَةٍ وَجَارِهِ ۝ وَقِيلَ ۝ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝ أَيْ يُوَدِّعُ السَّاجِدَ وَإِنْ  
قَالَ ۝ عَلَى الْأَجَلِ وَإِنْ جَلَّ ۝

قوله تعالى : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ۚ إِنَّ آيَةَ اللَّيْلِ سُبُحًا وَأَنَّ آيَةَ النَّهَارِ مُبِصِّرَةٌ لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَكَأَنَّمَا السَّاعَاتُ كَالْفُجَيْيَةِ ۚ

قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ) أى علامتين على وحدانيته ووجوده وكمال  
علمه وقدرته . والآية فهما : إقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم . وإخراجه إلى حيث  
لا يعلم . وتقصص أحدهما بزيادة الآخر وبالعكس أية أيضا . وكذلك ضوء النهار وظلمة  
الليل . وقد مضى هذا . ( فَخَرَّوْا آيَةَ اللَّيْلِ ) ولم يقل : فخرروا الليل ، فلما أنشأت الآية  
على الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين هما لا محالة . و « فخرروا » معناه طسعا .  
وفي التفسير أن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه  
الضوء وكان كالشمس في النور ، والسواد الذي يرى في القمر من أثر الخمر . قال ابن عباس :  
يجعل الله الشمس سبعين جزاء والقمر سبعين جزاء ، فما من نور القمر تسعة وستين جزاء  
يفعل مع نور الشمس ، قال الشمس على بائة [ وتسع ] وثلاثين جزاء والخمر على جزء واحد . وعنه  
أيضا : خلق الله تسعين من نور عمره ، فجعل ما سبق في علمه أن يكون تسعا مثل الدنيا  
على قدرها ما بين مشارقتها إلى مفارقتها ، وجعل القمر دون الشمس في إرسال جبريل  
عليه السلام فأمر جناحه على وجهه ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه وبنى  
نوره ، قال السواد الذي ترونه في القمر أثر الخمر ، ولو تركه تسعاً لم يرف الخليل من الظلمة فذكر

عنه الأول الصلوة<sup>١</sup> والناسي للمهلين<sup>٢</sup>؛ وصياني سرنوما . وقال علي رضي الله عنه وقادة :  
يريد بالمو اللطنة السوداء التي في القنفر ، ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيتميز  
به الليل من النهار . ( وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ) أي جعلنا شمس مضيئة للابصار . قال  
أبو عمرو بن النلاء : أي يُبْصِرُهَا . قال الكسائي : وهو من قول العرب أبصر النهار إذا  
أضاء ، وصار بجلاء يُبْصِرُهَا . وقيل : هو كقولهم غيبت غيبت إذا كان أصحابه غيباء .  
ورجل مضطرب إذا كانت دوابه ضاعفا ، فكذلك النهار مُبْصِرًا إذا كانت أهدله بصراء .  
( لِيُبَيِّنُوا<sup>٣</sup> فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ) يريد التصرف في المأش . ولم يذكر السكون في الليل لآكفاه  
بما ذكر في النهار . وقد قال في موضع آخر : هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ  
مُبْصِرًا . ( وَتَعْلَمُوا<sup>٤</sup> عَدَدَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَابِ ) أي لو لم يفعل ذلك لما عُرف الليل من النهار ،  
ولا كان يُعرف الحساب والبعد . ( وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَهُ تَقْصِيلًا ) أي من أحكام التكليف ؛  
وهو كقوله : « يَتَاءَمَّرُ<sup>٥</sup> لِكُلِّ شَيْءٍ » « مَا قَرُطْنَا<sup>٦</sup> فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » . وعن ابن عباس أن  
النبي صل الله عليه وسلم قال : « لما أَرَمَ الله خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمساً من  
نور عرشه وقرأ فكانا جيمًا شمسين فأما ما كان في سابق علم الله أن يذمها شمساً خلقها مثل  
الدنيا ما بين مشارقها ومعاربها وأما ما كانت في علم الله أن يخلقها قرا خلقها دون الشمس  
في العظم ولكن إنما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وجدها من الأرض فلوترك الله  
الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا كان الأجبر يدرى إلى متى يعمل ولا  
الصائم إلى متى يصوم ولا المرأة كيف تفتد ولا تُدرى أوقات الصلوات والنج ولا تحمل الديون  
ولا حين يبدرون ويزرعون ولا متى يسكنون الراحة لأبدلتهم وكان الله نظر إلى عباده وهم  
أرحم بهم من أنفسهم فأرسل جبريل فأمر جنتاه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ  
شمس فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذاك قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين<sup>٧</sup> لا آية .

(١) راجع ٨ ص ٢٦٠ غيبة أرباب الأربعة .

(٢) في ٨٩ سورة النحل .

(٣) آية ٢٤ سورة الأنعام . راجع ٦ ص ٥٥٥

(٤) في ٨٩ سورة النحل .

قوله تعالى : وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقْدِهِ وَيُخْرِجُهُ لَمَمِ  
الْقَيْصَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٧﴾ أَقْرَأُ كَتَبِكَ كَتَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ  
طَائِرَكَ حَبِيبًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقْدِهِ ) قال الزجاج : ذكر النمل جارة عن  
الزورم كزورم القلادة للنعق . وقال ابن عباس : « طائر » عمله وما قدروا عليه من خير وشر  
وهو ملازمه أينما كان . وقال مقاتل والكلبي : « خير وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به » .  
وقال مجاهد : عمله ورزقه ، وحته : ما من مولود يولد إلا وفي عقه ورقة فيها مكتوب شيء .  
أو سعيد . وقال الحسن : « الزمناه طائره » أى شقاهه وسعاده وما كتب له من خير وشر  
وما طار له من التقدير ، أى صار له عند النفسة في الأزل . وقيل : أراد به التكليف  
بى قدراته إزاء الشرع ، وهو بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به ويتجرع ما أمر به .  
ذلك . ( وَيُخْرِجُهُ لَمَمِ الْقَيْصَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ) بنى كتاب طائره الذى فى عقه . وقرأ  
الحسن وأبو رباح ومجاهد : « طير » بغير ألف ، ومنه ما روى فى الخبر « اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ  
إِلَّا خَيْرَكَ وَلَا تَطِيرْ إِلَّا طَيْرَكَ وَلَا رَبَّ فَيْرَكَ » . وقرأ ابن عباس والحسن ومجاهد وابن محصين  
وأبو جعفر ويعقوب « وَيُخْرِجُ » بفتح الياء وضم الزاء ، على معنى ويخرج له الطائر كتابا ؛  
فدس كتابا مضموبا على الحال . ويحتمل أن يكون المعنى : ويخرج الطائر فيصير كتابا . وقرأ  
يحيى بن وثاب « وَيُخْرِجُ » بضم الياء وكسر الزاء ، وروى عن مجاهد : أى يخرج الله . وقرأ شيعة  
وعبد بن السميع ، وروى أيضا عن أبى جعفر : « وَيُخْرِجُ » بضم الياء وفتح الزاء على الفعل  
المجهول ، ومعناه : ويخرج له الطائر كتابا . الباقون « وَيُخْرِجُ » بنون مضمومة وكسر الزاء ؛  
أى ونحن نخرج . احتج أبو عمرو فى هذه القراءة بقوله « الزمناه » . وقرأ أبو جعفر والحسن  
وابن عامر « يَلْقَاهُ » بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، بمعنى يؤتاه . الباقون بفتح الياء  
خفيفة ، أى يراه منشورا . وقال « منشورا » تعجلا للشرى بالحسنة والتوسيع بالسيف . وقال

أبو السوار المدوني وقرأ هذه الآية « وكل إنسان ألوانه في خلقه » قال : هما ثمرتان  
وطيئة، أما ما حيت ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأبلى فيها ما شئت، فإذا مات طويت حتى  
إذا بُعث نُشرت . ( إقرأ بكائك ) قال الحسن : يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمي .  
( كنى نفسك اليوم عليك حياً ) أى غاسباً . وقال بعض الصلحاء : هذا كتاب، لسالك  
قلبه ، ويريق مداده ، وأعضاؤك قوطاسه ، أنت كنت المثل على حفظك ، ما زيد فيه  
ولا نقص منه ، ومتى أنكرت منه شيئاً يكون فيه الشاهد منك عليك .

قوله تعالى : **مَنْ أَهْتَدَى فَلَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا نَسَى**  
**يَضِلَّ عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ**  
**رَسُولًا** ١٥

قوله تعالى : ( مَنْ أَهْتَدَى فَلَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلَّ عَلَيْهِ ) أى إنما كل  
أحد بما سبب من نفسه لا من غيره؛ فمن اهتدى ثواب اهتدائه له، ومن ضل فعقاب كفره  
عليه . ( وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ) نفقهم في الأنعام . وقال ابن عباس : نزلت في الوليد  
ابن المغيرة، قال لأهل مكة : اتبعون وأكفروا بمحمد وعن أوزارك، فنزلت هذه الآية؛  
أى إن الوليد لا يحمل أثامكم وإنما إثم كل واحد عليه . يقال : وزر يزوز وزراً ووزرة،  
أى إثم . والوزر : القفل المنقل والجعب أوزار، ومنه « يحملون أوزارهم على ظهورهم »  
أى انقل ذنوبهم . وقد وزر إذا حمل فهو وازر، ومنه وزير السلطان الذى يحمل ثقل دولته .  
والهاء في قوله كناية عن النفس، أى لا تؤخذ نفس أمة بإثم أخرى ، حتى أن الوالدة تلقي  
ولدها يوم القيامة فتقول : يا بنى ! ألم يكن مجرى لك وطاء، ألم يكن عدي لك سقاء، ألم يكن  
بطنى لك وعاء، ! فيقول : بلى يا أمتي ! فتقول : يا بنى ! فإن ذنوبى أقبلتني فأحل عني منها  
ذنبا واحدا ! فيقول : إليك عني يا أمتي ! فإني بذنبي عنك اليوم مشغول .

مسألة - كرم الله تعالى عن هذا الآية في الرد على ابن عمر حيث قال : إن  
البيت ليقتب بيك أهله . قال ملائكة : وإنما حملها على ذلك أبو لم تسبه ، وأنه عارض  
للآية . ولا وجه لإنكارها ، فإن الرواية لهذا المعنى كثيرة ، كسر وابنه والمنية بن شعبة وقلة  
بنت حمزة ، وم جازمون بالرواية ، فلا وجه لتخطئهم . ولا معارضة بين الآية والحديث ،  
فإن الحديث محله على ما إذا كان النوح من وصية الميت ومثله ، كما كانت الجاهلية تفعله ،  
حتى قال طرفة :

إنما ميت فانهي بما أتاه أهله . وشق على الجيب يايت متود .

وقال .

إلى القول ثم كرم السلام عليك . ومن يك حولا كمالا فقد أخذ  
وإلى هذا نحا البخاري . وقد ذهب جماعة من أهل العلم منهم دلود إلى اعتقاد ظاهر  
الحديث ، وأنه إنما يذهب بنوحهم ، لأنه أهل نوحهم عنه قبل موته وتوابعهم بذلك ، فيذهب  
بتفسيره في ذلك ، ويترك ما أمره الله به من قوله : « قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » لا يذهب  
غيره ، والله أعلم

قوله تعالى : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) أي لم ترك الخلق مذنب ، بل أرسلنا  
الرسول . وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تنهت إلا بالشرع ، خلافا للفرقة القائلة بأن  
العقل يقيح ويعسن ويبع ويحظر . وقد تقدم في البقرة القول فيه . والجمهور على أن هذا  
في حكم الدنيا ، أي أنت الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرملة إليهم والإنذار . وقالت  
فرقة : هذا عام في الدنيا والآخرة ، لقوله تعالى : « كَلَّمَ الْبَنِيَّ فِيهِمْ فَوْجَ سَالِمٍ نَزَّهَتْهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
تَذِيرٌ » قالوا بلى قد جاءنا . قال ابن عطية : والذي يسطيه النظر أن بينه آدم عليه السلام  
بالتوحيد وبث المتعذبات في بينه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع ملاءمة الفطر توجب  
على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله ، ثم تحدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد

(١) آية سورة محرم . (٢) راجع ١ ص ٢٥١ طبة ثانية لارتقاء . (٣) آية سورة المائدة

عُرق الكفار . وهذه الآية أيضا يعطى احتمال . فانظروا نحو هذا في الذين لم يصلحهم رسالة ، وهم أهل القترات الذين قد قُتروا وبجودهم بعض أهل العلم . وأما ما روى من أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال حديث لم يصح ، ولا يقتضى ما تعطيه التسمية من أن الآخرة ليست دار تكليف . قال المهدوي : وروى عن أبي هريرة أن الله عز وجل يبعث يوم القيامة رسولا إلى أهل القفرة والأبكم والأنرس والأصم ، يقطيعه منهم من كان يريد أن يطيعه في الدنيا ، وتلا الآية ، رواه معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة ، ذكره النجاشي .

قلت : هذا موقوف ، وسيأتي مرفوعا في آثم سورة طه إن شاء الله تعالى ، ولا يصح . وقد لمتدلى قوم في أن أهل الجوار إذا سمعوا بالإسلام وآمنوا فلا تكليف عليهم فيها مضي ، وهذا صحيح ، ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل ، والله أعلم .

قوله تعالى : **وَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نُنْهِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴿٣٨﴾  
فيه ثلاث مسائل ،

الأولى - أخبر الله تعالى في الآية التي قبل أنه لم يهلك القرى قبل ابتعاث الرسل ، لا لأنه يقبح منه ذلك إن فعل ، ولكنه وعد منه ، ولا خلف في وعده . فإذا أراد إهلاك قرية مع تحقيق وعده على ما قاله تعالى أمر مترفيها بالفسق والظلم فيها حتى عليها القول بالندم . يهلك أن من هلك هلك بإرادته ، فهو الذي يسبب الأسباب ويسوقها إلى غاياتها ليحق القول السابق من الله تعالى .

الثانية - قوله تعالى : **(أَمَرْنَا)** قرأ أبو عتيان النهدي وأبو رجاء وأبو العالية ، والرابع ويأخذ بالحسن «أمرنا» بالتشديد ، وهي قراءة على رضى الله عنه ، أى سلطانا شرارها ففصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم . وقال أبو عتيان النهدي «أمرنا» بتشديد الميم ، جعلناهم

أسراء سُلَطين؛ وقاله ابن عَرَبٍ . وتأمر عليهم قسطنطين . وقرأ الحسن أيضا وقائدة  
 وأبو حنيفة الثاني ويتوب وخارجة عن تابع وحاذين مسلة عن ابن كثير وعمل وابن عباس  
 باختلافهما «أمراء» بالمد والتخفيف؛ أي أكثرنا جابريتا وأمرامعا؛ قاله الكسائي .  
 وقال أبو عبيدة : أمراء بالمد وأمرته ، لثان بمعنى كثرة؛ ومنه الحديث «خير المال مائة<sup>١</sup>  
 مأمورة أو سكة مأبورة» أي كثيرة الشَّج والنَّسل . وكذلك قال ابن عَرَبٍ : أمراء وأمرنا  
 بمعنى واحد ؛ أي أكثرنا . وعن الحسن أيضا ويحيى بن يعمر «أمراء» بالقصر وكسر الميم  
 على فُعلاء ، ورويت عن ابن عباس . قال قتادة والحسن : المعنى أكثرنا ؛ وحكى نحوه أبو زيد  
 وأبو عبيد ، وأكره الكسائي وقال : لا يقال من الكثرة إلا أمرنا بالمد؛ قال وأصلها «أمراء»  
 تخفيف ، حكاه المهدوي . وفي الصحاح : وقال أبو الحسن أمير ماله (بالكسر) أي كثر .  
 وأمر القوم أي كثروا؛ قال الشاعر :

• أَمْرُون لَا يَرْثُونَ سِوَهُمُ الْقَعْدِ<sup>٢</sup> •

وأمر الله ماله (بالمد) ، التعليل : ويقال للشيء الكبير أمرٌ ، والقول منه : أمر القوم بأمر  
 أمرا إذا كثروا . قال ابن مسعود : كما تقول في الجاهلية هني إذا كثروا : أمر أمر  
 بني فلان ؛ قال لبيد :

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ • قُلْ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْعَدِيدِ

إِنْ يَبْطُلُوا يَبْطُلُوا وَإِنْ آمُرُوا • يَوْمًا يَصِيرُوا لِهَؤُلَاءِ وَالنَّكِدِ<sup>(٣)</sup>

(١) السكة : الطريقة المصطنعة من الفل . والمأبورة : الملقحة ؛ يقال : أبوت النطفة وأبرتها ؛ فهي مأبورة  
 وخزيرة . وقيل : السكة سكة الحرب ، والمأبورة المصلحة له . أواد : خير المال ؛ تاج وزرع . (ابن الأثير) .

(٢) حلفا بمنزلة بيت الله معنى وصفه ؛

• طروفت ولا دون كل مبارك •

الطرف والطرف : الكثر . الآباء إلى الجد الأكبر . ولقعد : القليل . الآباء إلى الجد الأكبر . (٢) يقول :

إن فهدا يوما فاتهم يموتون • و«يبتلوا» حاضيا يموتوا . ويرى : «إن يبتلوا يبتلوا» يموتوا جميعا

كانهم يموتون من نير مرض . (راجع القرآن) .

قلت : وفي حديث يرفل الخليلي الصحيح : " لقد أمر أسراهم إلى كينة " <sup>(١)</sup> ، إنه ليظنه ملك بن الأسمر " أي كثره ، وكله غير متدة ، وإنك أنكره الكسان ، والله أعلم . قال المهدي ،  
 " من قرأ « أمر » فهو لغة ، ووجه عطية « أمر » أنه شبهه بغير من حيث كانت الكثرة أقرب  
 شيء إلى العلة ، فعلى كما على صهر . <sup>(٢)</sup> الباقون « أسراهم » من الأسر ، أي أسراهم بالطاعة إعذارا  
 وإنذارا وتخويفا ووعيدا ، ( قسقرا ) أي غر جوا عن الطاعة عاصين لها ، ( لحق عليها القول )  
 فوجب عليها الرعي ، من ابن عباس . وقيل : « أسراهم » جعلناهم أسرا ، لأن العريب  
 تقول : أمر غير مأمر ، أي غير مؤمر . وقيل : معناه بنتا مستكبريا . قال طرود ،  
 وهي قراءة أبي « بنتا كابر جرميا ففسقوا » ذكره الماوردي . وحكى النحاس : وقاله  
 هارون في قراءة أبي « وإنا أردنا أن نهلك قرية بنتا فيها كابر جرميا فلكروا فيها لحق عليها  
 القول » . ويعجز أن يكون « أسرا » بمعنى أكثرنا ، ومنه « خير المال مئة مأمرة » على  
 ما تقدم . وقال قوم : مأمرة اتباع لأبوة ، كالغدايا والعتايا . وكقولهم « إزجج  
 مأزورات غير مأزورات » . وعلى هذا لا يقال : أسراهم الله ، بمعنى كثرهم ، بل يقال : أسره  
 وأسره . واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة العامة . قال أبو عبيد : وإنما اختارنا « أسرا »  
 لأن للمعنى الثلاثة تجتمع فيها من الأسر والإمارة والكنة . والمنزلة ، المنتم ، وخصوا بالأسر  
 لأن قريش تبيع لهم .

الثالثة - قوله تعالى : ( قد أمرنا ) أي كسرنا ملأها بالملك . ( تديرا ) ذكر  
 للمصدر لئلا يفي السحاب الراجع بهم . وفي الصحيح من حديث زينب بنت جحش زوج  
 النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقرأ نوحا وجهه  
 يهلل : « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم الجوج ما جوج  
 مثل هذه » وحاق بأصبعه الإبهام والتي عليها . قالت : قلت يا رسول الله ، أهلك وفيها

(١) بره : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان المكون يهللون النبي صلى الله عليه وسلم دابن أبي كينة  
 فهو ، أبي كينة ، ويصل من ثمانية خائف لربنا في مادة الأركان . وهي كنية وجه بن عبد مناف جد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من قبل له ، لأنه كان يبع إلى أبي كينة . أو كنية زوج عطية العطية . (٢) كذا في الأصول .



الصالحون قال : «هم إذا كثروا جلبت» . وقد تقدم الكلام في هذا الباب ، وإن للمعاصي  
إنما ظهرت ولم تظهر كانت سببا لملاك الجيم ، والله أعلم .

قوله تعالى : وَكَرَّ أَهْلَكَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ  
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( وَكَرَّ أَهْلَكَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ) أي كم من قوم كفروا حل بهم  
البوار . يخوف كفار مكة ، وقد تقدم القول في القرن في قول سورة الأنعام ، والحمد لله .  
( وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ) « خيرا » عليا بهم . « بصيرا » بصيرا أعمالهم ،  
وقد تقدم ﴿١٧﴾

قوله تعالى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ  
نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَلْئُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ  
وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ) بني الدنيا ، والمراد العار العاجلة ، فعبء بالتمت  
من المنوت . ( عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ) أي لم تعطه منها إلا ما نشاء ثم تراخيه  
بعمله ، وعاقبته دخول النار . ( مَلْئُومًا مَدْحُورًا ) أي مطردا مبعدا من رحمة الله . وهذه  
صفة المنافقين الفاسقين ، والرائين المذبحين ، يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا  
من الغنائم وغيرها ، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون في الدنيا إلا ما قسم لهم .  
وقد تقدم في وهو أنه هذه الآية تحيد تلك الآيات المطلقة ، فطالع . ( وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ )  
أي الدار الآخرة . ( وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيًا ) أي عمل لها عملها من الطاعات . ( وَهُوَ مُؤْمِنٌ )  
لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمن . ( فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ) أي مقبولا غير

(١) راجع ج ٧ ص ٢٩١ طبة أول أربعة ، (٢) راجع ج ٦ ص ٢٩١ طبة أول أربعة .

(٣) راجع ج ٢ ص ٣٠ طبة أربعة .

مردود . وقيل : مضاعفاً أى تضاعف لم الحسنة إلى عشر ، وإلى سبعين وإلى مائة .  
ضنف ، وإلى أضعاف كثيرة ؛ كما روى عن أبي هريرة وقد قيل له : اسمعت رسول الله  
صل الله عليه وسلم يقول : " إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة " .  
فقال سمعته يقول : " إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة " .

قوله تعالى : **كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ**  
**عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴿١٧﴾ **أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآئِذَا**  
**أُكْبِرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** ﴿١٨﴾ **لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ**  
**مَثْمُومًا مَحْدُورًا** ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( **كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ** ) أعلم أنه يرزق المؤمنين  
والكافرين . ( **وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ) أى عيوباً ممنوعاً ؛ من خطر يخطر خطراً  
ويحظراً . ثم قال تعالى : ( **أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ) فى الرزق والعمل ؛ فمن  
مُقْبَلٍ ومكثَر . ( **وَلَآئِذَا أُكْبِرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** ) أى للؤمنين ؛ فالكاثر وإن وسع عليه  
فى الدنيا مرة ، وقتر على المؤمنين مرة فالآخرة لا تقسم إلا مرة واحدة بأعمالهم ؛ فمن فاته شئ  
منها لم يستردكه فيها . وقوله ( **لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم  
والمراد أمته . وقيل : الخطاب للإنسان . ( **فَتَقَعُدَ** ) أى تنق . ( **مَثْمُومًا مَحْدُورًا** )  
لأنه ترك ولا وكراً .

قوله تعالى : **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**  
**إِنَّمَا يُلْقِىَ الْفِتْنَةَ بَيْنَكَ الْكَبِيرَ إِحْدُمَا أَوْ كَلَامُهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ**  
**وَلَا قَهْرٌ مَّا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴿٢٠﴾ **وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ**  
**الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴿٢١﴾

## في ست عشرة آية :

**الأول - ( قفى )** أمر وأمر وأوجب . قال ابن عباس والحسن وقادة : وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء أمر . وفي مصحف ابن مسعود « ووصى » وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس أيضا وعلى وغيرها ، وكذلك عند أبي بن كعب . قال ابن عباس : إنما هو « ووصى ربك » قاله صحت إحدى الرواين فقرئت « وقفى ربك » إذ لو كان على القضاء ما عصى الله أحد . وقال الضحاك : تصحفت على قوم « ووصى قفى » حين اخطأت الراوي بالصاد وقت كُتِبَ المصحف . وذكر أبو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك . وقال عن ميون بن مهران أنه قال : إن على قول ابن عباس لنوراء قال الله تعالى : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » ثم أبي أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك . وقال : لو قلنا هذا لطمس الزيادة في مصحفنا ، ثم قال علمائنا المتكلمون وغيرهم : القضاء يستعمل في الفسة على وجوه : فالقضاء بمعنى الأمر ؛ كقوله تعالى : « وَقَفَى رَبُّكَ أَلاَّ تَسْبُحُوا إِلَّا بِحَمْدِهِ » معناه أمر . والقضاء بمعنى الخلق ؛ كقوله : « فَفَضَّلْتُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ » يعني خلقهن . والقضاء بمعنى الحكم ؛ كقوله تعالى : « نَاقِضٌ مَا أَنْتَ قَاضٍ » يعني احكم ما أنت تحكم . والقضاء بمعنى الفراغ ؛ كقوله : « قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » . أى فُرِغَ مِنْهُ ؛ ومنه قوله تعالى « فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ » . وقوله تعالى : « فَإِذَا قَضَيْتِ الصَّلَاةَ » . والقضاء بمعنى الإرادة ؛ كقوله تعالى : « إِذَا قَفَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » . والقضاء بمعنى العهد ؛ كقوله تعالى : « وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ النَّسْرِ إِذْ قُضِيَنا إِلَى مُوسَى الْأَمْرُ » .<sup>(٨)</sup>

فإذا كانت القضاء يحتمل هذه المعاني فلا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي قضاء الله ؛ لأنه إن أر يد به الأمر فلا خلاف أنه لا يجوز ذلك ، لأن الله تعالى لم يأمر بها ،

- |                            |                           |                          |
|----------------------------|---------------------------|--------------------------|
| (١) آية ١٢ سورة قصص .      | (٢) آية ١٤ سورة نمل .     | (٣) آية ١٤ سورة طه .     |
| (٤) آية ٤١ سورة يوسف .     | (٥) آية ٢٠٠ سورة البقرة . | (٦) آية ١٠ سورة البقرة . |
| (٧) آية ١٧ سورة آل عمران . | (٨) آية ٤٤ سورة القصص .   |                          |

لأنه لا يأمر بالقتل . وقال زكريا بن سلام : جاء ربي إلى الحسن فقال إنه طلق بأمر الله ثلاثاً . فقال : أنت قد عصيت ربك وبانت منك . فقال الرجل : قضى الله ذلك عليّ . فقال الحسن وكان فصيحاً : ما قضى الله ذلك ! أي ما أمر الله به ، وقرأ هذه الآية : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ » .

الثانية - أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده ، وجعل بر الوالدين مفروناً بذلك ، كما قرأ فكهما يشكره فقال : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا » . وقال : « أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ » . وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قال : ثم أي ؟ قال : « ثم بر الوالدين » قال ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » فأخبر صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعام الإسلام . ورتب ذلك « ثُمَّ » التي تعطي الترتيب والمهلة .

الثالثة - من البر بهما والإحسان إليهما ألا يمرض لسيما ولا يهفهما ، فإن ذلك من الكبر بلا خلاف ، وبذلك وردت السنة الثابتة ، ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الكبر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال « نعم » يسب الرجل أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .

الرابعة - عقوق الوالدين مخالفتها في أغراضهما الجائزة لهما ، كما أن برهما موافقتهما حل أغراضهما . وعلى هذا إذا أمر أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه ، وإن لم يكن ذلك الأمر معصية ، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله ، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب . وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح بصيغته في حق الولد مندوباً إليه وأمرهما بالمندوب يزيد تأكيداً في نهيته .



وروى أيضا من أسماء قالت : أتتني راضية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أصلها ؟ قال : " نعم " . قال ابن حبة : فأنزل الله عز وجل فيها .  
لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، الْأُولَى مَعَهُ وَالثَّانِي مَسَدٌ .

الثامنة - من الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد إلا بإذنهما .  
روى الصحيح من عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال : " أحمي والدك " ؟ قال نعم . قال : " فقيهما بجاهد " . لفظ مسلم . في غير الصحيح قال : نعم ؛ وتركتهما يسيكان . قال : " اذهب فاصحكما كما أبكيتهما " . وفي غير آخر أنه قال : " نوبك مع أبيك على فراشهما يضاحكانك ويلعبانك أفضل لك من الجهاد مني " . ذكره ابن خزيمة . ولفظ البخاري في كتاب بر الوالدين : أخبرنا أبو نعم أخبرنا سفيان بن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله على الهجرة ، وترك أبيه يسيكان فقال : " ارجع إليهما فاصحكما كما أبكيتهما " . قال ابن المنذر : في هذا الحديث النهي عن الخروج بغير إذن الأبوين مالم يقع التغير ؛ فإذا وقع وجب الخروج على الجميع . وذلك بين في حديث أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيش الأحرار ، فذكر قصة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وابن رواحة وأن نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى بعد ذلك : أن الصلاة جامعة ؛ فأجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أيها الناس ، أخرجوا فأميدوا إخوانكم ولا يغلظن أحد " فخرج الناس مشاة وركبانا في حر شديد . فقل قوله : " أخرجوا فأميدوا إخوانكم " أن المنذر في التخلف عن الجهاد إنما هو مالم يقع التغير ؛ مع قوله عليه السلام : " فإذا استغفرتم فأثروا " . قلت : وفي هذه الأحاديث دليل على أن المفروض أو المنذوبات متى اجتمعت قدم الأهم منها . وقد استوفى هذا المعنى الخامس في كتاب الرعية .

التاسعة - واختلوا في والدين المشركين هل يخرج بإذنهما إذا كان الجهاد من فروض الكفاية ؛ فكان التنوير يقول : لا يفرض إلا بإذنهما . وقال الشافعي : له أن يفرض

غير انهما - قال ابن المنذر : والأجداد آباء ، والحفلات أمهات فلا يجوز المرء أن يقاتهم ،  
ولا اعلم دلالة توجب ذلك لغيرهم من الإخوة وسائر القربان . وكان طاووس يرى القسي  
على الأخوات أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل .

المباشرة - من قام برهما صلة أهل ودّها ، فحق الصحيح من ابن عمر قال : سمعت  
رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : " من أبرّ القربة رجل أهل ودّ أبيه بعد أن يؤتى ."  
وروى أبو أسيد وكان بديراً قال : كنت مع النبي صل الله عليه وسلم جلّسا ببلاد دجيل من  
الأصهار فقال : يا رسول الله ، هل على من يرواقي من بعد موتها شيء ؟ أجاب به ؟ قال :  
" نعم . الصلاة عليها والاستغفار لها وإفشاء عهدهما بعدها وإكرام صديقها وصلة الرحم  
إلى لارحمك إلا من قبلها فهذا الذي على بك " . وكان صل الله عليه وسلم يهدي لصداق  
خديجة ربا ورثاء ما وهب زوجته ، فساظك بالوالدين .

الحادية عشرة - قوله تعالى : ( إِمَّا يَنْفِقَنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ إِسْدُمًا أَوْ لَكَمَّا ) غرض هذه  
الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى برّه لتغير الحال عليها بالضعف والكبر ، فالحق في هذه  
الحالة من مراعاة أصولها أكثر مما أقره من قبل ، لأنها في هذه الحالة قد صاروا كلا عليه ،  
فيحتاجان أن يفيّ منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يفيّا منه ، فذلك غرض هذه الحالة  
بالذكر . وأيضاً فطول المكث له يوجب الاستقلال له مادة ويعمل الليل ويكثر الضجر  
فيظهر غضبه على أبويه وتفتق لها أولاده ، ويستطيل عليها بدالة البتة وقلة الديانة ، وأقل  
المكره ما يظهر بنفسه القرد من الضجر . وقد أمر أن يبالغها بالقتل الموصوف بالكرامة ،  
وهو السالم من كل عيب فقال : " قَاتِلْ لِمَا أَفَى وَلَا تَهَرَّبْهَا وَقُلْ لِمَا قَوْلًا كَرِيمًا " .  
وروى سلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم : " ولم ألق الله ولم ألق الله ولم  
ألقه " قيل : من يا رسول الله ؟ قال : " من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما لم يدخل  
الجنة " . وقال البخاري في كتاب البر والوالدين : حلتنا سلسل حلتنا بشرين للفضل حلتنا  
عند الرحمن بن إسحاق عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي صل الله عليه وسلم قال :

«وَيْحَ أَتَفَ رَجُلٌ ذُكِرَتْ حَبْدُهُ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى . وَيَحْ أَتَفَ رَجُلٌ أَدْرَكَ أَبُوهُ عِنْدَ الْكَبِيرِ  
أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ . وَيَحْ أَتَفَ رَجُلٌ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانٌ ثُمَّ أَسْلَخَ قَبْلَ أَنْ  
يُفْقِرَ لَهُ .» حَدَّثَنَا أَبُو أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ  
سَعْدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ كَسْبٍ عَنْ عُجْرَةَ السَّامِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنْ كَسَبَ بِنَ عَجْرَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحْضَرُوا الْمَنِيرَ » فَلَمَّا خَرَجَ رَقِيٌّ [ إِلَى ]  
لِلْمَنِيرِ ، فَرَقِيَ فِي أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِنْهُ قَالَ آمِينَ ثُمَّ رَقِيَ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَ آمِينَ ثُمَّ لَمَّا رَقِيَ فِي الثَّلَاثَةِ قَالَ  
آمِينَ ، فَلَمَّا فَرَّخَ وَزَلَ مِنَ الْمَنِيرِ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا نَحْنُ نَسْمَعُهُ  
مِنْكَ ؟ قَالَ : « وَسَمِعْتُوهُ ؟ » قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ : « إِنْ جَبُرِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتَرَضَ قَالَ :  
بَعْدَ مِنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَفْقِرْ لَهُ قُلْتُ آمِينَ فَلَمَّا رَقَيْتَ فِي الثَّانِيَةِ قَالَ بَعْدَ مِنْ ذُكِرَتْ  
حَبْدُهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ قُلْتُ آمِينَ فَلَمَّا رَقَيْتَ فِي الثَّلَاثَةِ قَالَ بَعْدَ مِنْ أَدْرَكَ عَنْهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ  
أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ آمِينَ .» حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ بْنُ وَرْدَانَ سَمِعَتْ  
أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : أَرْتَقِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنِيرِ دَرَجَةً فَقَالَ آمِينَ  
ثُمَّ أَرْتَقِي دَرَجَةً فَقَالَ آمِينَ ثُمَّ أَرْتَقِي الدَّرَجَةَ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ آمِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى وَجَلَسَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلَامَ أَنتَ ؟ قَالَ : « أَتَانِي جَبُرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ وَيَحْ أَتَفَ مِنْ ذُكِرَتْ  
حَبْدُهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ قُلْتُ آمِينَ وَيَحْ أَتَفَ مِنْ أَدْرَكَ أَبُوهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ  
قُلْتُ آمِينَ » الْحَدِيثُ . فَالسَّعِيدُ الَّذِي يَبَادِرُ اغْتِنَامَ فُرْصَةِ رَحْمَتِهِمَا ثَلَاثَ قُوَّاتٍ بِمَوْتِهِمَا فَيَسْتَدِمُّ  
عَلَى ذَلِكَ . وَالشَّقِيُّ مَنْ حَقَّقَهُمَا ، لَا سِمَاءَ مِنْ بَلَاءِ الْأَمْرِ يَرِيهَا .

الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَحْلِلْ لِمَا أَتَى ﴾ أَيْ لَا تَحْلِلْ لِمَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى  
تَجَرُّمٍ . وَمِنْ أَبِي رِجَاءٍ السُّطَّارِيِّ قَالَ : الْأَتَى الْكَلَامُ الْقَدَحُ الرَّدِيُّ الْخَلْفَى . وَقَالَ جَاهِدٌ :  
سَمَاءُ إِنْ رَأَيْتَ مِنْهُمَا فِي حَالِ الشَّيْخِ النَّاتِقِ وَالْبَوْلِ الَّذِي رَأَاهُ مِنْكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تَقْتَرِبْهُمَا  
وَتَهْزِلْ أَتَفَ . وَالْآيَةُ أَحْمَرُ مِنْ هَذَا . وَالْأَتَى وَالْأَتَفُ وَجْهُ الْأَخْطَارِ . وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا يُضْجِرُ  
وَيُسْتَعْتَلُ : أَتَفَ لَهُ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَالْأَتَفُ أَيْضًا الشَّيْءُ الْخَفِيرُ . وَفَرَّقَ « أَتَفَ » مَتَوْنٌ



مخفوض؛ كما تخفض الأصوات وتُزَن، تحول : صيهويه : وفيه عشر لغات : أف، وأف،  
 وأف، وأفاً وأف، وأف، وأف، وإف لك (بكر الممزة)، وأف (ضم الممزة وتسكين التاء)،  
 وأفاً (خففة الفاء) . وفي الحديث : " فإني طرف ثوبه على أفه ثم قال أف أف " . قال  
 أبو بكر : معناه استندار لما شتم . وقال بعضهم : معنى أف الاحترار والاستقلال؛ أخذ من  
 الأف وهو التليل . وقال القتيبي : أصله قمك الشيء يسقط عليك من رمد وثراب وغير  
 ذلك، ولأنك تريد إماطة شيء لتعذ فيه؛ فقلت هذه الكلمة لكل مستقل . وقال أبو عمرو  
 ابن السلاء : الأف وفتح بين الأظفار، والأف قلايتها . وقال الزجاج : معنى أف التثنية وقال  
 الأصمعي : الأف وفتح الأذن، والأف وفتح الأظفار؛ فكثرت استعماله حتى ذكر في كل ما يأتى  
 به . وروى من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛  
 " لو علم الله من العنق شيئا أردأ من « أف » لذكره فليعمل الباز ما شاء أن يعمل فئن يدخل  
 للبار . وليعلم العاق ما شاء أن يعمل فئن يدخل الجنة " . قال علياؤنا : وإنما صارت  
 قوله « أف » للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وحمد التربة وود الرعية  
 التي أوصاه في التنزيل . و « أف » كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم لقومه:  
 « أَفْ لَكُمْ وَلَيْتَ أَتَبَدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »<sup>(١)</sup> أى رفض لكم ولهذا الأصنام معكم .

الثالثة عشرة - قوله تعالى : ( وَلَا تَهْرُؤَا ) التهرؤ : الزجر والفلنطة . ( وَقُلْ لِّمَا قَوْلَا  
 كَرِيمًا ) أى ليلاً طيفاً، مثل : يا ابتاه ويا ابتاه، من غير أن يسميها ويكنيها؛ قاله عطاء .  
 وقال ابن الجراح الثيجي : قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته  
 إلا قوله : « وقال لما قولاً كريماً » ما هذا القول الكريم ؟ قال ابن المسيب : قولك لسعيد  
 المغنبي لسيد القبط الغليظ .

الرابعة عشرة - قوله تعالى : ( وَأَخْفِضْ لِّمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ) هذه استمارة  
 في الشفقة والرحمة بهما. والذلل لما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة؛ كما أشار إليه سعيد بن

(١) آية ٦٧ سورة الاحياء . (٢) كما في الاموال جرداى لى ابن جرير والحر الشراء طاهر اللهاج .

السبب . وقرب تحقّق المناسخ ونصيه مثلا لجناح الطائر حين ينصب بمناحه لولده .  
والقول : هو اللين . وقراءة الجمهور بضم القال ، من ذَلْ يَذُلُّ ذَلًّا وذَلَّةً وذَلَّةً فهو ذَلٌّ وذليل .  
وقرأ سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير « الذل » بكسر القال ، ورويت عن ماسم ،  
من قولهم : ذابة ذلوله يذسه الذل . والذل في الدواب المنقاد للسل دون العصب . فينبغي  
بحكم هذه الآية أن يعمل الإنسان نفسه مع أبيه في خيرية ، في اتوائه وسكاته ونظره ،  
ولا يُجِدَّ إليها بعينه فإن تلك هي نظرة العاصب .

الخامسة عشرة - الخطاب في هذه الآية للنبي صل الله عليه وسلم والمراد به أشبه  
إذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت أبوان . ولم يذكر القل في قوله تعالى : « واخضع  
جناحك لمن استبكت من المؤمنين » وذكره هنا بحسب عظم الحق وتأكيده . و« من »  
في قوله : « من الرحمة » لبيان الجنس ، أي إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة  
في النفس ، لا بأن يكون ذلك استبالا . ويصح أن يكون لانهاء الغاية ، ثم أمر تعالى عباده  
بالتزم على آباءهم والثناء لهم ، وأن ترحمهما كما رحمك وترفق بهما كما رفق بك ، إذ وليك  
صبرا جاهلا محتاجا فأترك على أنفسهما ، وأسيرا ليلهما ، وجاهلا وأشباهك ، وتزريا وكسوك ،  
فلا تخرجهما إلا أن يلقا من الكبير المذل الذي كنت فيه من الضعف ، فقل منهما ما وليا منك ،  
ويكون لما حيث فضل التقدم . قال صل الله عليه وسلم : « لا يجرى ولد والد إلا أن يمه  
مملوكا فيشتريه فيعتقه » . وسأني في سورة مريم . الكلام على هذا الحديث .

السادسة عشرة - قول تعالى : ( كَا رَبَّيْنِي ) خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة  
الأبوين وتعبهما في التربية ، فيزيد ذلك إشفاقا لما وحانا عليهما ، وهذا كله في الأبوين  
المؤمنين . وقد نهى القرآن عن الاستغفار للشركين الأموات ولو كانوا أولى قرني ، كما تقدم .  
وذكر عن ابن عباس وقادة أن هذا كله منسوخ بقوله : « ما كَانَ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ  
يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ » - إلى قوله - استغاب النجم . فإذا كان والد المسلم ذميًّا استعمل

منهما ما امره الله به هاهنا ؛ إلا الترحم لما بعد موتهما على الكفر ؛ لأن هذا وحده نسخ  
 بالآية المذكورة . وقيل : ليس هذا موضع نسخ ، فهو جاء بالرحمة الدنيوية للأيوين المشركين  
 ما داموا حيين ، كما تقدم . أو يكون عموم هذه الآية خصّ بترك ، لارحة الآخرة ؛ لا سيما وقد  
 قيل إن قوله : « وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا » نزلت في سعد بن أبي وقاص ، فإنه أسلم ، فألغت  
 أمه نفسها في الرّمضاء متجرّدة ، فذكر ذلك لسعد فقال : يَتِمَّتْ ، فتركت الآية . وقيل ؛  
 الآية خاصة في الدماء للأيوين المسلمين . والصواب أن ذلك عموم كما ذكرناه وقال ابن عباس  
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من أمسى مُرَضِيًّا لوالديه وأصبح أُمِّيًّا وأصبح وله بابان  
 مفتوحان من الجنة وإن واحدا فواحدا . ومن أمسى وأصبح مُسَخَّطًا لوالديه أُمِّيًّا وأصبح  
 وله بابان مفتوحان إلى النار وإن واحدا فواحدا » فقال رجل : يا رسول الله وإن ظلماه ؟  
 قال : « وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه » . وقد روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله  
 رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ،  
 إنني أخذ مالي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل : « فأتني بأنيك » فزل جبريل  
 عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول  
 لك إذا جاءك الشيخ فأساله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه » فلما جاء الشيخ قال له  
 النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بال أبنك يسكرك بأمره أن يأخذ ماله ؟ » فقال : « والله  
 يا رسول الله ، هل أفتته إلا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسي » فقال له رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : « <sup>(١)</sup> لله ، دعنا من هذا . أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك ؟ »  
 فقال الشيخ : « والله يا رسول الله ، ما زلت لله عز وجل يزيدنا بك بغية ، فقلت في نفسي  
 شيئا ما سمعته أذناي . قال : « قل وأنا أسمع » قال قلت :

(١) (بالكسر) : « هذه أسراة واستفادنا ذلك » (أي ، بالصحة والصحة) (أي ، بالسر) .  
 وقال ابن سيده : « (بالكسر) كلمة زبرعني حيلته وتزين فقال لها : « وسكن من اليأس » (أي ، له)  
 في الاستفاد والاستفاد . عليه ولما في الزبرع : كفتوك . (أي ، كفتوك) (أي ، كفتوك) »

عَذْرَتُكَ مَوْلُودًا وَمَتَّكَ يَافَا . نَعَلْتُ بِمَا أَجْنَيْ عَيْنِكَ وَتَهَلَّلْتُ  
إِذَا لَيْلَةٌ صَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَتِ . نَفَعْتُ إِلَّا سَاهِرًا أَتَلَّحُلْتُ  
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِاللَّيْلِ . صُرِفْتُ بِهِ دُونَ نَفْسِي تَهَلَّلْتُ  
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي . لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُوْجَلٍ  
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالنَّهْيَةَ إِلَى . إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَتَقَلُّ  
جَعَلْتُ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَاظَةً . كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُتَمِيمُ الْمُتَفَضَّلُ  
فَلَيْتَ إِذْ لَمْ تَسْرَعْ حَتَّى أَتِي . نَعَلْتُ كَمَا الْجَارُ الْمَصَافِي بِفَعْلٍ  
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُن . عَلَيَّ بِمَا لَ دُونَ مَا لَكَ تَجْتَضَّلُ

قال : فليخذه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب آية وقال : " أنت وما لك لأنيك " .  
قال الطبراني : الحقي لا يروى - يعني هذا الحديث - عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر  
إلا بهذا الإسناد ، وشعره به عبيد الله بن خلصة . والله أعلم .

قوله تعالى : رَبِّكَرْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ  
فَأَنَّهُ كَانَ لِالَوَّائِينَ غُفُورًا ٢٥

قوله تعالى : ( رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ) أي من اعتقد الرحمة بهما والحق عليهما ،  
أو من غير ذلك من العقوق ، أو من جعل ظاهرهما برهما رياء . وقال ابن جبير : يريد البادية  
التي تبدره كالقنطرة والزلة ، تكون من الرجل إلى أبيه أو أحدهما ، لا يريد بذلك بأساً ، قال  
الله تعالى : ( إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ) أي صادقين في نية البر بالله الذين فإن الله يغفر الباطنة .  
وقوله : ( فَأَنَّهُ كَانَ لِالَوَّائِينَ غُفُورًا ) وعد الغفران مع شرط الإصلاح والأوبة بعد الأثرة

(١) ثبت هذه الآيات في أشعار الخامة الآية بن أبي الصلت . قال القرطبي : « وروى (د) من مد الأعلى .  
ويل لأن عباس الأعمى » . (٢) في الأصول : « وحسبك » . وفي أشعار الخامة : « وحسبك » أي فنت  
نجزوتك . « وإنا » ثلثا . « وتل » من طوله « مقلة ثالثة » . « وإني » أكسب . « ونيل » من أبيه .  
سقطه لخطئته . (٣) في الخامة :

لأني لست بأفكر لم أكن . لتفكره - - -

إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ، قال سعيد بن المسيب : هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب  
ثم يذنب . وقال ابن عباس رضى الله عنه : الأثواب : الحفيظ الذى إذا ذكر خطاياه استغفر  
منها . وقال عبيد بن عمير : هم الذين يذكرون ذنوبهم فى الخلاه ثم يستغفرون الله عز وجل .  
وهذه الأقوال متقاربة . وقال عون المقلب : الأثابون هم الذين يصلون صلاة الضحى  
وفى الصحيح : " صلاة الأوابين حين تَرْمَضُ الفِصَالُ " <sup>(١)</sup> . وحقيقة اللفظ من أب يذوب  
إذا وجسح .

١ قوله تعالى : وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْيَسِيرَ وَالْبَتَّ السَّبِيلِ  
وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ  
الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا <sup>(٢٧)</sup>

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ) أى كما راعيت حق الوالدَيْنِ فِصْل  
الرحم ، ثم تصدق على المسكين وابن السبيل ، وقال على بن الحسين فى قوله تعالى « وآتِ  
ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ » : هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر صلى الله عليه وسلم بإعطائهم  
حقوقهم من بيت المال ، أى من سهم ذوى القربى من الفزوة والفتية ، ويكون خطابا  
للولاة أو من قام مقامهم . وألقى فى هذه الآية ما يتعين من صلة الرحم ، وسد الخلة ،  
والمواساة عند الحاجة بالمال ، والمعونة بكل وجه .

الثانية - قوله تعالى : ( وَلَا تُبْذِرْ ) أى لا تُسرف فى الإنفاق فى غير حق . قال  
الشافعى رضى الله عنه : والتبذير إفاق المال فى غير حقه ، ولا تبذير فى عمل الخير . وهذا  
قول الجمهور . وقال أنشب عن مالك : التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه فى غير حقه ،  
وهو الإسراف ، وهو حرام لقوله تعالى : « إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » وقوله

(١) هو أن يجى الرضاء ، وبى الرمل ، فترك اتصال من شدة حرها وإيرانها أخفافها .

« إخوان » يعني أنهم في حكمهم ؛ إذ للبشر ساج في إفساد كالشياطين ، أو أنهم يفعلون ما تقول لهم أنفسهم ، أو أنهم يقرّون بهم غدا في النار ؛ ثلاثة أنوال . والإخوان هنا جمع أيخ من غير النسب ؛ ومع قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » . وقوله تعالى : ( وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ) أي آذنوا متابعتة والتشبه به في الفساد . والشيطان اسم الجنس . وقرأ الضحاك « إخوان الشيطان » على الأفراد ، وكذلك ثبت في مصحف أنس بن مالك رضي الله عنه .

الثالثة - من اتقى ماله في الشهوات زائدا على قدر الحاجات وعرضه بذلك للفناء فهو مبذر . ومن اتقى ربح ماله في شهواته وحفظ الأصل أو الرقبة ظن مبذر . ومن اتقى درهما في حرام فهو مبذر ، ويحجر عليه في هخته الدرهم في الحرام ، ولا يحجر عليه إن ينفقه في الشهوات إلا إذا خيف عليه الفناء .

قوله تعالى : وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لِّهِمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٣٨﴾  
فيه ثلاث مسائل :

الأولى - وهو أنه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا » . وهو تأديب عجيب وقول لطيف بديم ؛ أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الفنى والقدرة فتخبرهم . وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند العجز بغير وفاق يروق ، وأنت عند ذلك ترجو من الله سبحانه وتعالى فتح باب الخير لتوصل به إلى مواساة السائل ؛ فإن فقدت الحال نقّل لهم قولاً ميسوراً

الثانية - في سبب نزولها ؛ قال ابن زيد : نزلت الآية في قوم كانوا يستلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يعطيهم ؛ لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد ،

فكان يمرض عنهم رغبة في الأجر في منحهم لئلا يبينهم على فسادهم . وقال عطاء الخراساني  
في قوله تعالى « وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ عَنْهُمْ أَخْيَافَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا » قال : ليس هذا في ذكر  
الوالدين ، جاء ناس من مَرْيَتَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعملونه ، فقال : « لَا أُجِدُّ  
مَا أَحْلَمُكُمْ عَلَيْهِ » فَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّنَعِ حَرًّا ، فانزل الله تعالى : « وَإِنَّمَا تَرْضَوْنَ  
عَنْهُمْ أَخْيَافَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا » . والرحمة القويَّة .

الثالثة - قوله تعالى : ( قُلْ لَمْ يَكُنْ مَسْئُورًا ) أمره بالدعاء لهم ، أى يسرّهم  
طيسم بدعائكم لهم . وقيل : ادْعُ لَمْ دَعَاءٌ يَنْفَعُ الْفَتَحَ لَمْ وَالْإِصْلَاحَ . وقيل : للمنى  
« أو إما تعرضن » أى إن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لصديق يدّ قتل لَمْ قَوْلًا مَسْئُورًا ،  
أى أحسن القول وبسط العذر ، وأدع لَمْ بِسْمَةِ الرِّزْقِ ، وقل إنا وجدنا فعلت وأكرمك ،  
فإن ذلك يعمل في مَسْرَةٍ نفسه عمل المواساة . وكان عليه الصلاة والسلام إذا سئل وليس  
عنده ما يعطى سكت انتظارا لرزق يأتي من الله سبحانه وتعالى كرامة الرِّزْقِ ، فترت هذه  
الآية ، فكان صلى الله عليه وسلم إذا سئل وليس عنده ما يعطى قال : « يَرْزُقُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ  
مِنْ فَضْلِهِ » . فالرحمة على هذا التأويل الرزق المنتظر . وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة .  
والضمر في « عنهم » عائد على من تقدم ذكرهم من الآباء والأقارب والمساكين وأبناء السبيل .  
و « قَوْلًا مَسْئُورًا » أى ليسا لطيفا طيبا ، مفعول بمعنى الفاعل ، من لفظ اليسر كاليسرون ،  
أى وعدا بجيلا ، على ما بيناه . ولقد أحسن من قال :

إِلَّا تَكُنْ وَرَقِيَّ يَوْمًا أَجُودُ بِهَا • لِلسَّائِلِينَ فِي لَيْلِ السُّودِ

لَا يَدْعُمُ السَّائِلُونَ السُّلَيْمَانَ مِنْ خَلْقِي • إِنَّمَا تَوَالِي وَإِنَّمَا حَسَنُ مَرْدُودِي  
قول : يسرت لك كذا إذا أعدته .

قوله تعالى : وَلَا تَجْعَلْ لِّدِينِكَ مَقُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهُمَا كُلَّ

الْيَسْبِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٦٦﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ جَنْبِكَ ) هذا مجاز مجرّبه عن البخل الذي لا يقدر من قلبه على إخراج شيء من ماله ؛ ف ضرب له مثل القتل الذي يمنع من التصرف باليد . وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخل والمتصدق كتل رجلين ملهما جبينان من حديد قد أضطرت أيديهما إلى تضييقهما وتزاحمهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى انتهى إلى أهله وتفرّج أثره وجعل البخل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل خلقه بمكنتها . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فانا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبيدي هكذا في بغيته فلو رأيتكم يؤسسون ولا توسعون .

الثانية - قوله تعالى : ( وَلَا تَبْسُطْهُمَا كُلُّ الْبَسِطِ ) ضرب بسط اليد مثلا للهاب للثال ، فإن قبض الكف بحبس ما فيها ، وبسطها يذهب ما فيها . وهذا كله خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أنه ، وكثيرا ما جاء في القرآن ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان سليما وواسطتهم إلى ربهم مجرّبه عنهم كل فائدة الحرب في ذلك . ولوطيا فإنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتعرّضا لنقد ، وكان يبيع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع . وكان كثير من الصباغة يتفقون في سبيل الله جميع أموالهم ، فلم يمتنعهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة بغيهم وشدة بصائرهم . وإنما نهى الله سبحانه وتعالى عن الإفراط في الإتفاق ، وإخراج ما حوته يده من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج من يده ، فاما من وثق بموجوده الله عز وجل وحزب ثوابه فيما اتفق فيه فغير مراد بالآية ، والله أعلم وحويل ، إن هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه ، مله فيه كيفية الإتفاق ، وأمره بالاعتقاد . قال جابر وابن مسعود : جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أتى

(١) أي انتشرت من الجلبة . (٢) أي آثر مشي لحيها . (٣) أي انضمت وارتفعت . (٤) العرب تجعل القول بغيره من جميع الأفعال وتعلقه على غير الكلام واللسان ؛ فنقول ، قال يده ، أي أخذه والله يده ، في مشي . وكل ذلك على المجازة الاتباع . (٥) جواب لو علوف ، أي نصبت .



تسألك كذا وكذا . فقال : « ما عندنا اليوم شيء » . قال : « فتقول لك انكسي ؟ » .  
 تطلع فيصه فندفعه اليه وجلس في البيت هرباً ، وفي رواية جابر : « فاذن بلال الصلوة » . وانتظر  
 رسول صل الله عليه وسلم يخرج ، واشتغلت القلوب ، فدخل بعضهم فآذوا هو وارء فزلت  
 هذه الآية . وكل هذا في اتفاق الخبير . واما اتفاق القناد فقليله وكثيره حرام ، كما تقدم .  
 الثالثة - نعت هذه الآية عن استقراغ الوجد فيها بطراً اولاً من سؤال المؤمنين ؛  
 للاتباع من يأتي بعد ذلك لا شيء له ، اولاً بضميق المتيقن عياله . ونحوه من كلام الحكمة :  
 ما رأيت قط سرقاً إلا ومعه حق مضيق . وهذه من آيات فقه الحال فلا يبين حكمها إلا باختار  
 شخص شخص من الناس .

الرابعة - قوله تعالى : ( فَتَقَعُ مَلُومًا مَحْسُورًا ) قال ابن عرفة : يقول لا تصرف  
 ولا تسلف مالك فتبقى محسوراً منقطعاً عن الثقة والتصرف ، كما يكون البعير المحسور ، وهو الذي  
 ذهبت قوته فلا أكتنباث به ؛ ومنه قوله تعالى : « يَتَقَلَّبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِئًا وَهُوَ حَيْرٌ »<sup>(١)</sup>  
 أي كليل منقطع . وقال قتادة : أي نادماً على ما سلف منك ؛ فجعله من المحسرة ، وفيه بدء  
 لأن الفاعل من المحسرة حير وحسراً ولا يقال محسور . والمعلوم : الذي يلام على إغلاف  
 ماله ، أو يلوته من لا يعطيه .

قوله تعالى : إِنْ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ  
 بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا<sup>(٢)</sup>

(١) الرعد (منه الرواد) : اليسار والسهولة . (٢) تبة : سورة الملك . (٣) هذه الآية لم يتكلم  
 عليها المؤلف ولم تذكر في التفسير التي بين أيدينا وله تكلم عليها وحصل حقه من التفسير .  
 وعبارته ان سرر البصير في كلامه على الآية كما وردت في تفسيره : « يقول تعالى ذكره ليبي محمد صل الله عليه  
 وسلم ان ربك يا محمد يسطر رزقه لمن يشاء من عباده فيوسع عليه . ويقلل من يشاء » . يقول : « ويقلل من يشاء » .  
 فيبين عليه . « انه كان يبيد عباده » . يقول : « ان ربك ذو خيرة يبيده » . ومن الذي يضلعه فبعضه في الرزق  
 ونقصه » . ومن الذي يضلعه الاثارة والحق ويهلكه . « بصيرا » . يقول : « هو ذو بصير شديد ريباً بهم » . يقول :  
 « فانه يا محمد الى أمرنا نأمرناك وببصيرتك من يسطر بك فيا يسطرها فيه وفيهم يسهلها » . ومن كذاها عن تكلمها عنه  
 وتكلمها فيه ؛ فمن علم بمصالح العباد منك ومن جمع الخلق وأبصر بتدبيرهم » .

قوله تعالى : وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْوَاهُمْ  
وَأَيُّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٦١﴾

فيه مثلثان .

الأول - قدم في الكلام في هذه الآية في الأسماء ، والحمد لله . والإملاق : الفقر وعدم الملك .  
أما الرجل أي لم يبق له إلا الملقات ، وهي الحجارة العظام الملس . قال الهذلي يصف صاندا :  
أَتَيْتُهَا أَقْسِيرُ ذُو حَيْثِفَ \* إِذَا سَامَتْ عَلَى الْمَلَقَاتِ سَامَا  
الواحدة مَلَقَة . والأقْسِيرُ : تصغير الأقدار ، وهو الرجل القصير . والحَيْثِفُ من الثياب :  
الملتقى . وسامت صرت . وقال شاعر : أَمَانٌ لَأَزْمُ وَمَتَعْدٌ ، أَمَانٌ إِذَا انْفَرَّ ، وَأَمَانٌ الدَّهْرُ  
حَاطِبُهُ . قال أوسن :

وَأَمَانٌ مَا عَنَدِي خُطُوبٌ قَبْلُ \* .

الثانية - قوله تعالى : ( خَطَا ) قراءة الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء  
وبالهمزة والقصر . وفرا ابن عامر « خَطَا » بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة ، وهي قراءة  
أبي جعفر يزيد . وهاتان قراءتان مأخوذتان من « خطي » إذا أتى النصب على عمد . قال  
ابن عرفة : يقال خَطِي في ذنبه خَطَا إذا أَم فيه ، وأخطأ إذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير  
عامد . قال : ويقال خَطِي في معنى أخطأ . وقال الأزهري : يقال خَطِي يخطأ خطأ إذا  
تعمد الخطأ ، مثل أَم يَأْم أَسأ . وأخطأ إذا لم يتعمد ، إخطأ خطأ . قال الشاعر :  
دَعْنِي إِنَّمَا خَطِي وَصَوْنِي \* عَلَى وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالِ<sup>(٢)</sup>

(١) راجع ج ٧ ص ١٣٠ طبة أول أو ثانية . (٢) صدرايت :

لَمَّا رَأَيْتُ الدُّمَّ قَدْ تَأَلَّى \*

(٣) في الأصول : « وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالِ » . والنصب عن كتاب النثر والنثر لا ين فيه طبقات النثر  
لأبي سلام في ترجمة أوس بن قنادة ، ولسان العرب في مادة « صوب » . وقيل هذا البيت :  
أَلَا قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَزَا \* تُطْعِمُ بَيْنَ عَقْدِ الْحِيَالِ  
غَزَا : والغزاة أي أهلكت إسماء هو مال ، والمال يختلف ولم ألق مرثا .  
وغزوا : مكان كان فيه رمة العرب لشبنة على بني كلاب . ( راجع صم ياقوت ) .

والخطا الاسم يقوم مقام الإخطاء ، وهو ضد الصواب ، وفيه تشابه : القصص وهو الجسد  
والمد وهو قليل ، وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «خطأ» بفتح الخاء وسكون اللام  
بوجهة . وقرأ ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء ومدة المزة . قال النحاس : ولا أعرف لهذه  
القراءة وجهاً ، ولذلك جعلها أبو حاتم خطأ ، قال أبو بل : هي مصدر من خاطأ يخاطئ ، وإن  
خطأ لا نجد خاطأ ، ولكن وجدنا تخاطأ ، وهو مطاوع خاطأ ، فدلنا عليه ، ومنه قول الشاعر :  
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ . وَأَثَرُ يَوْمِي فَمَلَمَ أَتَّعِيلُ  
وقول الآخر في وصف مهابة :

تَخَطَّاهُ الْقَنَاصُ حَتَّى وَجَدَتْهُ . وَخَرَطُوهُ فِي مَتْعِ الْمَاءِ رَاسِبُ  
الجمهرى : تخاطأ أى أخطأ ؛ وقال أبو بن مطر المازنى :

أَلَا أَلْبَسَا خَلْنِي جَارِبًا . بَارَتْ خَلِيكَ لَمْ يُقْتَلْ  
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ . وَأَثَرُ يَوْمِي فَمَلَمَ أَتَّعِيلُ

وقرأ الحسن «خطأ» بفتح الخاء وإطاء والمد فى المزة : قال أبو حاتم : لا يعرف هذا  
فى اللغة وهى غلط غير جائز . وقال أبو الفتح : الخطأ من أخطأت بمثلة الطاء من أعطيت ،  
هو اسم بمعنى المصدر ، وعن الحسن أيضا «خَطَلَى» بفتح الخاء والطاء مؤنثة من غير همز .

قوله تعالى : وَلَا تَقْرَبُوا أَلْزَنَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ صَبِيلًا ﴿٢٣﴾

فيه مسألة واحدة :

قال العلماء : قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَلْزَنَ﴾ أبلغ من أن يقول : ولا تزنوا ، فإن معناه  
لا تدنوا من الزنى . والزنى بمد ويقصر ، لتان . قال الشاعر :

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا . كَانَتْ الزَّهَاءُ فَرِيضَةُ الرَّحِمِ

و(صَيْلًا) نصب على التمييز ، التقدير : ومنه صيله صيلا . أى لأنه يؤدى إلى النار . والزن  
من الكجائر ، ولا خلاف فيه وفى قبحه لاسيما بخيلة الحمار . وينشأ عنه استخدام ولد الغير  
(١) أنه : بمعنى يأنر ، بمعنى «أثر» .

وإنقاذهم كما وغير ذلك من الميراث ولساد الأنساب باختلاط المياه . وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بأمرأة <sup>(١)</sup> فبيع على باب فسطاط فقال : « لعله يريد أن يكرم بها » فقالوا : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ممتت أن الله لم يدخل معه غيره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستنله وهو لا يحل له » .

قوله تعالى : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَبْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنْهُمْ كَانَ مَتَّصُورًا <sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) قد مضى الكلام فيه في الأمام . قوله تعالى : ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَبْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنْهُمْ كَانَ مَتَّصُورًا ) . فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ) أى بغير سبب يوجب القتل . ( فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ ) أى المستحق منه . قال ابن خزيمة متناد : الولي يجب أن يكون ذكراً ؛ لأنه أفرده بالولاية بلفظ التذكير . وذكر إسماعيل بن إسحاق في قوله تعالى : « فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ » ما يدل على خروج المرأة عن مطلق لفظ الولي ، فلا جرم ، ليس للنساء حق في القصاص لذلك ولا أثر

(١) قوله « أتى بأمرأة » أى مر عليها بعض أسفاره . و « المبيع » (بمع ضموه وبمع مكسورة وحاء موحدة) صفة لامرأة ، وهى الحامل التى قربت ولادتها . وقوله : « قال لعله ... الخ » فيه حذف تقديره : « نال عنها فقالوا أنه قاتل » أى « منته » . ومن « يلها » : أى بطوها ، وكانت حاملاً سبية ، لا يحل جامعها حتى تضع . وقوله « كيف يورثه ... الخ » معناه : أنه قد تناثر ولادتها ستة أشهر ، بحيث يحتمل كون الولد من هذا السابى ، ويحتمل أنه كان من قبله . قيل تقدير كونه من السابى يكون ولداً له ، ويتوارثان . وعلى تقدير كونه من غير السابى لا يتوارثان معاً ولا السابى لعدم القرابة ، بل له استعداده لأنه يملكه . فتقدير الحديث : أنه قد يستلحقه ويملكه ابتداءً ، ويورثه مع أنه لا يحل له توريثه لكونه ليس به ، ولا يحل توريثه ومزاجته لباقي الورثة . وقد يستلحقه استخدام السيد ويملكه عبداً بملكه . مع أنه لا يحل له ذلك لكونه منه اذا وضعت له غنمة كونه من كل واحد منهما ؛ فيجب عليه الامتناع من وثيقا غنما من هذا المظنون . (راجع شرح التورى على صحيح مسلم ، كتاب النكاح باب تحريم وطء الحامل المسبية) .

(٢) راجع : ص ٧٠ ص ١٣٠ طبة أهدأ أوتانية .

لَمَعُونَهَا، وليس لها الاستيفاء، وقال الخائف: إن المراد هاجتنا بالولي الوارث؛ وقد قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»<sup>(١)</sup>، وقال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَسِيمُ مِنْ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>، وقال: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup> فاقضى ذلك إنبات القود لسائر الورثة؛ وأما ما ذكره من أن الولي في ظاهره على التذكير وهو واحد، كأن ما كان معنى الجنس يستوى الذكر والمؤنث فيه، وتنته في كتب الخلاف (سلطاناً) أى تسليطاً إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية؛ قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والضحاك وأشبه والشافعى. وقال ابن وهب قال مالك: السلطان أمر الله ابن عباس: السلطان الحجة. وقيل: السلطان طايه حتى يدفع إليه. قال ابن العربي: وهذه الأقوال متقاربة، وأوضحها قول مالك: إله أمر الله. ثم إن أمر الله عز وجل لم يقع نصاً فاختلف العلماء فيه؛ فقال ابن القاسم عن مالك وأبي حنيفة: القتل خاصة. وقال أشهب: الخيرة؛ كما ذكرنا آنفاً، وبه قال الشافعى. وقد مضى في سورة «البقرة»<sup>(٤)</sup> هذا المعنى.

التي — قوله تعالى: «فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ» فيه ثلاثة أقوال: لا يقتل غير قتله، قاله الحسن والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير. الثاني — لا يقتل بدل وليه اثنين كما كانت العرب تفعله. الثالث — لا يمتثل بالقاتل؛ قاله طلق بن حبيب، وكله مراد لأنه إسراف منهى عنه. وقد مضى في «البقرة»<sup>(٥)</sup> القول في هذا مستوفى. وقرأ الجمهور «يُسْرِفُ» بالياء، يريد الولي، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي «تسرف» بالثاء من فوق، وهى قراءة حذيفة. وروى السلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال: هو للقاتل الأول، والمسمى عندنا فلا تسرف أيها القاتل. وقال الطبرى: هو على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والأمة من بعده. أى لا تقتلوا غير القاتل. وفي حرف أبي «فلا تسرفوا في القتل».

(١) آية ٧١ سورة التوبة. (٢) آية ٧٢ سورة الأنفال. (٣) آية ٢٢ سورة النساء.

(٤) راجع ج ٢ ص ٢٤٤ وما بعدها طيبة آية.

الثالثة - قوله تعالى : (إِنَّكَ كَانَتْ مَنصُورًا) أى ممانا، بمعنى الولي . فإن قيل : ولم من وليّ مخفول لا يصل إلى حقه . قلنا : المخوفة تكون بظهور الحجة تارة وباستيفائها أخرى ، وعمومها ثالثة ، فأياها كان فهو نصر من الله سبحانه وتعالى . وروى ابن كثير عن مجاهد قال : إن المقتول كان منصورا . النحاس : ومعنى قوله إن الله نصره بوليّه . وروى أنه في قراءة أبيّ « فلا تسرفوا في القتل إن وليّ المقتول كان منصورا » . قال النحاس : الأئمة بالياء ويكون الولي ؛ لأنه إنما يقال : لا يسرف إن كان له أن يقتل ، فهذا الولي . وقد يجوز بالياء ويكون الولي أيضا ، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة . قال الضحاك : هذا أول ما نزل من القرآن في شأن القتل ، وهي مكية .

قوله تعالى : وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٢٤﴾  
فيه مسائل .

الأولى - قوله تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) قد مضى الكلام فيه في الأقسام .

الثانية - قوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) قد مضى الكلام فيه في غير موضع . قال الزجاج : كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد . (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) عنه ، تخفيف ، كقوله : «وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» به وقيل : إن العهد يسأل نيكتا لتأخذه فيقال : نعطت ، كما تسأل المؤودة نيكتا لوأندها .

قوله تعالى : وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٢٥﴾

## فيه مسائل :

الأول - قوله تعالى : **(وَأَنذِرُوا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ)** هضم الكلام له لئلا يأتى التمام ، وتنقضى هذه الآية أن لكل على القابح ، وقد مضى في سورة يوسف ، فلا معنى للإعادة ، والقسطاس (بضم القاف وكسر ما) ، لليزان بينة الروم ، قال ابن مزيه ، وقال الزجاج ، القسطاس : الميزان مذكرا كان أو كئيبا ، وقال مجاهد ، القسطاس السند ، وكان يقول ، من لغة رومية ، وكان الناس قبل ثم ، **إِنَّمَا بَيْتُهُ فِي قَوْمِكُمْ** ، ونرا بن مخيمر وأبو عمرو واقع وابن ماسر وعاصم في رواية أبي بكر ، والقسطاس بضم القاف وحزنة والكسائي وحفص من عاصم (بكسر القاف) وما لثان .

الثانية - قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْزَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ أَجْمَعِينَ)** ، قال الحسن ، **ذُكِّرْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُرُ بَيْتِي عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدْعُو لَيْسَ لِي بِهِ إِلَّا عَاقَةُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَبْلَهُ اللَّهُ فِي حَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ »**

قوله تعالى : **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ**  
**وَالْأَفْئَادَ كُلِّي أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** (٦١)

## فيه مسائل :

الأول - قوله تعالى : **(وَلَا تَقْفُ)** أى لا تتبع ما لا تعلم ولا يتبعك ، قال قتادة ، لا تغفل رأيت وأنت لم تر ، وسمعت وأنت لم تسمع ، وعليت وأنت لم تعلم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، قال مجاهد ، لا تلتزم أحدا بما ليس لك به علم ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ، وقال محمد بن الحسن ، من شهادة الزور ، وقال الثوري : للمنى لا تتبع الحديث

والظنون؛ وكلها مظاربة . وأصل التَّقْوُ الْهَيْبَةُ والتَّقَنُّفُ بِالْبَاطِلِ؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " نحن بنو النضرين كلمة لا تقفوا معنا ولا نخفى من أيدينا " أى لَأَنْتُمْ أَمْنًا . وقال الكَلْبِيُّ : -

فلا أرى البرى بفسم ذنب • ولا أقفُ الحواصن إن قُفِينَا

يقال : قَفَوْتُ أَهْوَهُ، وقَفَيْتُهُ أَهْوَهُ، وقَفَيْتُهُ إِذَا تَبَعْتَهُ أَتْرَهُ . ومنه القافاة لتبعية الآثار وقافية كل شيء آخره، ومنه قافية الشعر؛ لأنها تخفو البيت . ومنه أَمَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُقَفَّى؛ لأنه جاء آخر الأنبياء . ومنه القافف، وهو الذى يتبع أثر الشَّيْءِ . يقال : قاف القافف يقوف إذا فصل ذلك . وتقول : قَفَوْتُ الْأَثَرَ، بتقديم الفاء على القاف . ابنُ حُطَيْطٍ : ويشبه أن يكون هذا من تلعب العرب فى بعض الألفاظ، كما قالوا : رَمَعِلِي لَعَمْرِي . وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت : قفا وقاف، مثل عتات وعات . وذهب متفرعن سعيدي إلى أن قفا وقاف مثل جَبَدٌ وَجَدَبٌ . وباجسلة فهذه الآية نهي عن قول الزور والتدفع، وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة والزديعة . وقرأ بعض الناس فيما حكى الكسائي « قَفَفَ » بضم القاف وسكون الفاء . وقرأ الجراح « والقَفَاد » بفتح الفاء، وهو لغة لبعض الناس، وأنكرها أبو حاتم وعيره .

الثانية - قال ابن خزيمة : تضمنت هذه الآية الحكم بالقافاة؛ لأنه لما قال : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » دلَّ على جواز ما لنا به علم . فكل ما علمه الإنسان أو غلب على ظنه جاز أن يحكم به، وبهذا احتجنا على إثبات القرعة والخمرين؛ لأنه ضرب من غلبة الظن . وقد يسمى علما آتاعا . فالقائف يلحق الولد ببيه من طريق الشبه بينهما كما يلحق الغنبة الفرس بالأصل من طريق الشبه . وفي الصحيح عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على مسرورا تترقب أسارى وجهه فقال : " أَلَمْ تَرَى أَنَّهُ يُجَزَّزَانِ نَظَرًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَلَيْهِمَا قَطِيفَةٌ قَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا وَبَدَتْ أَعْدَامُهُمَا فَقَالَ إِنْ بَعْضُ هَذِهِ الْأَعْدَامِ لَمْ يَكُنْ بَعْضٌ " . وفي حديث يونس بن يزيد : " وَكَانَ يُجَزَّزُ قَانِفًا " .



الثالثة - قال الإمام أبو عبد الله المازري : كانت الجاهلية تقصد في نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد ، وكان زيد أبوه أبيض من القطن ، هكذا أبو داود عن أحمد بن صالح . قال القاضي عياض : وقال غير أحمد كان زيد أزهراً . . . ، وكان أسامة شديد الأدمة ؛ وزيد بن حارثة عربي صريح من قلب ، أصابه سياء ، حسباً يأتي في سورة « الأحزاب » إن شاء الله تعالى .

الرابعة - استدل جمهور العلماء على الرجوع إلى القافة عند التنازع في الولد ، بسور النبي صلى الله عليه وسلم بقول هذا القائف ؛ وما كان عليه السلام بالذي يُسرّ بالباطل ولا يمجبه . ولم يأخذ بذلك أبو حنيفة وإسحاق والثوري وأصحابهم متمسكين بإلفاء النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في حديث الثمان ، على ما يأتي في سورة « النور » إن شاء الله تعالى

الخامسة - واختلف الآخذون بأقوال القافة ، هل يؤخذ بذلك في أولاد الحارث والإمام أو يختص بأولاد الإمام ، على قولين ؛ فالأول - قول الشافعي ومالك رضى الله عنهما في رواية ابن وهب عنه ، ومشهور مذهبه فُسرَّه على ولد الأئمة . والعصحيح ما رواه ابن وهب عنه وقاله الشافعي رضى الله عنه ؛ لأن الحديث الذي هو الأصل في الباب إنما وقع في الحارث ، فإن أسامة وأباه حُرَّان فكيف يُلقى السبب الذي تُخرج عليه دليل الحكم وهو الباعث عليه ، هذا مما لا يجوز عند الأصوليين . وكذلك اختلف هؤلاء ، هل يكفي بقول واحد من القافة أو لأبد من اثنين لأنها شهادة ؛ وبالأول قال ابن القاسم وهو ظاهر الجبريل نَصَه . وبالثاني قال مالك والشافعي رضى الله عنهما .

السادسة - قوله تعالى : ( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب ، فالقواد يسأل عما أُنكر فيه وأُعقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع . وقيل : المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حَزَّاه سمع وبصر وقواده ؛ ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَاجِعٌ لِنَسْلِهِ مِنْ رَبِّهِ " .

(١) راجع المسألة الخامسة من قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قبلكم » آية ؛

قال إنسان راع على جوارحه ؛ فكانه قال كل هذه كان الإنسان عنه مسئولا ، فهو على حذف مقاصف . والمعنى الأول أبلغ في الجعة ؛ فإنه يقع تكذيبه من جوارحه ، وتلك غاية الخزي ؛ كما قال : « الْيَوْمَ نَخَيِّرُ عَلَى أَقْوَامِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ، وقوله « شَهِدَ طَائِفٌ مِّنْهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وغير من السمع والبصر والقواد بأولئك لأنها حواس لما إدراك ، وجعلها في هذه الآية مسئولة ، فهي حالة من يسئل ، فذلك صر عنها بأولئك . وقال سيويه رحمه الله في قوله تعالى « رَأَيْتُمْ لِي مَاجِدِينَ » : إنما قال : « رَأَيْتُمْ » في مضموم ، لأنه لما وصفها بالسجود وهو من قبل من يسئل غير عنها بكناية من يسئل ؛ وقد تقدم . وحكى الزجاج أن العرب تدير عما يسئل وعما لا يسئل بأولئك ، وأنشد هو والطريري :

ذُمُّ المَنَازِلِ بَعْدَ مِثْلَةِ اللَّوْىِ • وَالْبَيْتِ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْإِيَامِ

وهذا أمر يوقف عنده . وأما البيت فالرواية فيه « الأرقام » والله أعلم .

قوله تعالى : وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٢٧﴾ كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٨﴾ فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ هذا انتهى عن الخيلاء وأمر بالتواضع . والمَرَحُ : شدة الفرح . وقيل : التكبر في المشي . وقيل : تجاوز الإنسان قدره . وقال قتادة : هو الخيلاء في المشي . وقيل : هو البطر والأثر . وقيل : هو النشاط . وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين : أحدهما مدموم والآخر محمود . فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الإنسان قدره مدموم والفرح والنشاط محمود . وقد وصف الله تعالى نفسه بأحدهما ، ففي الحديث الصحيح « قَدْ أَفْرَحَ بِنُوبَةِ الْعَبْدِ مِنْ رَجُلٍ ... » الحديث . والكسل

مذموم شرعا والنشاط ضئله . وقد يكون التكبر وما في مصغه محمداً . وذلك على أمثلة الله والظلمة . أسند أبو حاتم محمد بن حبان عن ابن جابر عن عتيك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من الفرية ما يفيض الله عز وجل ومنها ما يجب الله عز وجل ومن الخيلاء ما يجب الله عز وجل ومنها ما يفيض الله فاما الفرية التي يجب الله الفرية في الدين والفرية التي يفيض الله الفرية في غير دينه والخيلاء التي يجب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يفيض الله الخيلاء في الباطل » وأخرجه أبو داود في مصغته وغيره .  
وانشدهوا :

ولا تمش فوق الأرض الا تواضعا . فكم تحتها قوم هو منك أرفع  
وإن كنت في عز وحز ومتمعة . فكم مات من قوم هو منك أمتنع

الثانية — إقبال الإنسان على الصيد ونحوه رغبة دون حاجة إلى تلك داخل في هذه الآية ، وفيه تمذيب الحيوان وإبرازه لغير معنى . وأما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة من يومه ، فيطمع فيها نفسه في التطريح والراحة ليستعين بذلك على شغل من الهم كقراءة علم أو صلاة ، فليس بداخل في هذه الآية .

قوله تعالى : ( مَرَحًا ) قراءة الجمهور بفتح الراء . وقراءة فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الراء على بناء أعم افعال . والأقول أبلغ ، فإن قولك : جاء زيد ركضاً أبلغ من قولك : جاء زيد ركضاً ؛ فكذلك قولك مَرَحًا . والمرح المصدر أبلغ من أن يقال مَرِحًا .

الثالثة — قوله تعالى : ( إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ ) يعني لن تسوِّجَ باطنها فتم ما فيها ( وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) أي لن تساوي الجبال بطولك ولا تطاولك . ويقال : خرق التوب أي شقه ، وخرق الأرض قطعها . والخرق : الواسع من الأرض . أي لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها . ( وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ) بقلمتك ، أي بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ ، بل أنت عبد ذليل ، محاط بك من تحتك ومن فوقك ، وانحاط محصور ضعيف ؛ فلا يليق بك

التكبر . والمراد بنجق الأرض هنا عنها لا قطعها بالمسافة ؛ والله أعلم . وقال الأزهري : معناه لن قطعها . النحاس : وهذا أين ؛ لأنه مأخوذ من انخرق وهي الصحراء الواسعة . ويقال : فلان أنخرق من فلان ، أى أكثر سفرنا وعزّة وسنة . وروى أن سبأ دقّخ الأرض بأجناده شرقا وغربا وسهلا وجبلا ، وقتل مائة وسبي - وبه تسمى سبأ - ودان له الخلق ، فلما رأى ذلك انفرّد عن أصحابه ثلاثة أيام ثم خرج إليهم فقال : إني لما نلت ما لم ينل أحد رأيّت الابتداء بشكر هذه النعم ، فلم أر أوقع في ذلك من السجود للشمس إذا أشرقت ، فسجدوا لها ، وكان ذلك أوّل عبادة الشمس ؛ فهذه عاقبة الخبيلاء والتكبر والمرح ، نعوذ بالله من ذلك .

الرابعة - قوله تعالى : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ « ذلك » إشارة إلى جملة ما تقدّم ذكره مما أمر به ونهى عنه . و « ذلك » يصلح للواحد والجمع والمؤنث والمذكر . وقرا عاصم وأبى عامر وحزمة والكسائي ومسروق « سيئته » على إضافة سيئ إلى الضمير ، ولذلك قال : « مَكْرُوهًا » نصب على خبر كان . والسيئ : هو المكروه ، وهو الذى لا يرضاه الله عز وجل ولا يأمر به . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية من قوله : « وَفَعَىٰ رَبُّكَ - إلى قوله - كَانَ سَيِّئُهُ » مأمورات بها ومنهيات عنها ، فلا يخبر من الجميع بأنه سيئة فيدخل المأمور به في المنهى عنه . واختار هذه القراءة أبو عبيد . ولأن في قراءة أبى « كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ » فهذه لا تكون إلا للإضافة . وقرا ابن كثير ونافع وأبو عمرو « سَيِّئَةً » بالتثنية ؛ أى كل ما نهى الله ورسوله عنه سيئة . وعلى هذا انقطع الكلام عند قوله : « وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » ثم قال : « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » ، « وَلَا تَمْشِ » ، ثم قال : « كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً » بالتثنية . وقيل : إن قوله « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ » إلى هذه الآية كان سيئة لا حسنة فيه ؛ فجعلوا « كلا » محيطا بالمنهى عنه دون غيره . وقوله : « مَكْرُوهًا » ليس نعتا لسيئة ، بل هو بدل منه ؛ والتقدير : كان سيئة وكان مكرها . وقد قيل : إن « مَكْرُوهًا » خبر ثان لكان حمل على لفظة كل ، و « سيئة » محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبل . وقال بعضهم : هو نعت لسيئة ؛ لأنه لما كان

تأنيهاً غير حقيق جاز أن توصف بذكره . وضف أبو علي القاسمي <sup>(١)</sup> فقال : إن <sup>(٢)</sup> إذا ذكرنا ما ينبغي أن يكون ما بعده مذكراً ، وإنما التناهل أن يتقدم الفعل المستعمل إلى ما انت وهو في صيغة ما يستند إلى المذكر ، ألا ترى قول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودققها • ولا أرض أبسل إبلها

مستطج عندهم . ولو قال قائل : أبسل أرض لم يكن قبيحا . قال أبو علي : ولكن يجوز في قوله • مكرها • أن يكون بدلا من • سينة • . ويجوز أن يكون حالا من الضمير الذي في • عندوك • ويكون • عندوك • في موضع الصفة لبينة • .

الخامسة - استدلل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتمايله . قال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل : قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال : « ولا تمس في الأرض مَرَحاً » . وذم الختال . والرقص أشد المرح والبطر . أولسا القين قنأ التيز على انفسر لا تخافهما في الإطراب والسكر ، فإنا لا نجس التضييب وتلحين الشعر منه على الشنبر والمزامير والطبل لاجتماعهما . فإفبع من ذي لحية ، وكيف إذا كان شية ، يرقص ويصق على إيقاع الألحان والتضبان ، وخصوصا إن كانت أصوات لنسوان ومردان ، وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والخسر والصراط ، ثم هو إلى إحدى اللارين ، يمس بالرقص شمس البهائم ، ويصق تصفيق النسوان ، ولقد رأيت مشايخي في عمري ما بان لهم من من التيسم فضلا عن الضحك مع إدمان غائلتي لهم . وقال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : وقد حدثني بعض المشايخ عن الإمام الغزالي رضي الله عنه أنه قال : الرقص حلاقة بين الكافرين لا تزول إلا بالغيب . وسأني لهذا الباب مزيد بيان في « الكهف » وغيرها <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> إن شاء الله تعالى .

(١) ثبتت الهابة : شذوت وجمعت • (٢) في المسألة الثانية من قوله تعالى : « ويطأ على قروهم ... » آية ٤ ر (٣) في أول سورة لقمان •

قوله تعالى : **ذَلِكَ بِمَا نَوَّحْتَ إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَ فَتَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا** ﴿٢٣﴾

الإشارة بذلك إلى هذه الآداب والقصص والأحكام التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة التي ترك بها جبريل عليه السلام ، لى هذه من الأنفال الحكمة التي تقتضيها حكمة الله عز وجل في عبادته ، وخلقها لهم من عاين الأخلاق والحكمة وقوانين الماني الحكمة والأفعال الفاضلة . ثم عطف قوله « ولا تجعل » على ما تقدم من التواهي . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الآية من البشر . والمدحور : المهان المجد المفضى . وقد تقدم في هذه السورة . ويقال في الدعاء : اللهم أدرعنا للشيطان ؛ أى أبده .

قوله تعالى : **لَقَدْ صَفَّحْنَا لَكُمُ الْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا تُنْكِرُ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴿٢٤﴾

هذا يرد على من قال من العرب : الملائكة بنات الله ، وكان لهم بنات أيضا مع البينين ، ولكنه أراد : أفاغص لكم البين فونه وجعل البنات مشقة بينكم وبينه . ( **إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ) أى في الإثم عند الله عز وجل .

قوله تعالى : **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا** ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ( **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا** ) أى بينا . وقيل أكرهنا . ( **فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ** ) قيل « في » زائدة ، والتقدير : ولقد صرّفنا هذا القرآن ؛ مثل « وأصلح لي في ذريتي » أى أصلح خبري . والتصريف : صرف الشيء من جهة إلى جهة . والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير . وقيل : المفارقة ؛ أى غايرنا بين المراءظ ليدذكروا ويعتبروا ويستظفوا . وقراءة العامة « صرّفنا »

بالتشديد على التكثير حيث وقع . وقرأ الحسن بالتخفيف . وقوله « في هذا القرآن »  
 يعنى الأمثال والعيبر والحكم والمواعظ والأحكام والإعلام . قال التلمبى : سمعت أبا القاسم  
 الحسين يقول بحضرة الإمام الشيخ أبى الطيب : لقوله تعالى « صرفنا » فمعينان ، أحدهما  
 لم يجعله نوعاً واحداً بل وعداً ووعيداً ونحوها ومتشابهاً ونياً وأمرها ونهيها ومنسوخاً وأخباراً  
 وأمثالاً ؛ مثل : تصريف الرياح من صباً وذيور وجنوب وشمال ، وتصريف الأفعال من الماضى  
 والمستقبل والأمر والنهى والفعل والقاعل والمفعول ونحوها . والثانى أنه لم يزل مرة واحدة  
 بل بنحوها ؛ نحو قوله « وقرأنا فرقناه » ومعناه : أكثرنا صرف جبريل عليه السلام إليك .  
 ( لِيَذْكُرُوا ) قرأنا يحيى والأعمش وحمة والكباى « لِيَذْكُرُوا » غفناً ، وكذلك فى الفرقان  
 « ولقد صرفناه بينهم لِيَذْكُرُوا » . الباقون بالتشديد . واختاره أبو عبيد ؛ لأن معناه لِيَذْكُرُوا  
 وليستظفوا . قال المهدوى : من شدد « لِيَذْكُرُوا » أراد التدبر . وكذلك من قرأ « لِيَذْكُرُوا » .  
 ونظير الأول « وَلَقَدْ صَلَّاهُ لَمْ يَقُولْ لَهُمْ يَذْكُرُونَ » والثانى — « وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ » .  
 ( وَمَا يَذْكُرُهُمْ ) أى التصريف والتذكير . ( إِلَّا هُورًا ) أى تباعداً عن الحق وغفلة عن  
 النظر والاعتبار ؛ وذلك لأنهم اعتقدوا فى القرآن أنه حيلة وسحر وكهانة وشعر .

قوله تعالى : قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِيَّاهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُوا  
 إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٦﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٧﴾  
 قوله تعالى : ( قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِيَّاهُ ) هذا متصل بقوله تعالى : « وَلَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ  
 إِلَهًا آخَرَ » وهورد على عباد الأصنام . ( كَمَا يَقُولُونَ ) قرأ ابن كثير وحفص « يقولون » ؛  
 بالياء . الباقون « تقولون » بناء على الخطاب . ( إِذَا لَا يَتَّبِعُوا ) يعنى الآلهة . ( إِلَى ذِي  
 الْعَرْشِ سَبِيلًا ) قال ابن العباس رضى الله تعالى عنهما : لطلبوا مع الله منزعة وقتالاً كما تفعل  
 ملوك الدنيا بعضهم ببعض . وقال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه : المبني إذا لطلبوا

طريقا إلى الوصول إليه يزيلوا ملكه ، لأنهم شركاؤه . وقال قتادة : المعنى إذا لا بُشْتُ  
الآلهة القربة إلى ذي العرش سيلا ، والثمت الزلفة عنده لأنهم دونه ، والقوم اعتقدوا أن  
الأصنام تقربهم إلى الله تعالى ، فإذا اعتقدوا في الأصنام أنها عبادة إلى الله سبحانه وتعالى فقد  
طل أنها آلهة . ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ عَلَوْا كِبَارًا ) نزه سجدته نفسه وقذسه وبجده  
عما لا يليق به . والتسبيح : التزويه . وقد تقدم .

قوله تعالى : تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ  
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِسَبْحٍ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا  
حَلِيلًا عَقُورًا ۝

قوله تعالى : ( تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ) أعاد على السموات  
والأرض خبير من يفل ، لما أسند إليها فعل النافل وهو التسبيح . وقوله : ( وَمَنْ فِيهِنَّ )  
يريد الملائكة والإنس والجن ، ثم عم بسد ذلك الأشياء كلها في قوله : « مَنْ فِيهِنَّ »  
إِلَّا تَسْبِيحٌ بِحَمْدِهِ . واختلف في هذا العموم . هل هو مخصص أم لا ؟ فتالت فرقة :  
ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة ، وكل محدث يشهد عن الله بأن الله عز وجل  
خالق قادر . وقالت طائفة : هذا التسبيح حقيقة ، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا  
لا يسمعه البشر ولا يفقهه ، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمرا  
مفهوما ، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقهه . وأجيبوا بأن المراد شمله : « لا تفقهون »  
الكفار الذين يمرضون عن الاعتناء فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء . وقالت  
ثالثة : قوله « مِنْ شَيْءٍ » عموم ، وسماه المحضوض في كل شيء وأما ، وليس ذلك في الجمادات .  
ومن هذا قول عكرمة : الشجرة تسبح وأرسلطان لا يسبح . وفي زيد الرقاشي : لئن هما  
في طعام وقد قدم الخوان : أيسبح هذا الخوان يا أبا سعيد ؟ فقال : قد كان تسبح مرة ،  
يريد أن الشجرة في زمن ثمرة واعداها كانت تسبح ، وأما الآن . صر سواها مدهوء .



قلت : ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال : « إيهما يُعَذَّبَان وما يُعَذَّبَان في كبرهما أحدهما فكان عشي بالجمجمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول » قال : فندما يجسب رطب فشفقه أنسين ، ثم غرس كل هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال : « لله يخفف عنهما ما لم ييبسا » .  
فقوله عليه الصلاة والسلام : « ما لم ييبسا » إشارة إلى أنهما ما داموا رطبين يسهلان ، وإذا ييبسا صاروا جمادا . والله أعلم . وفي مسند أبي داود الطيالسي : فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال : « لعله أن يهون عليهما العذاب ما دام فيهما من رطوبتهما شيء » . قال علماءنا : ويستناد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور ، وإذا خُف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن . وقد بينا هذا المعنى في ( كتاب التذكرة ) بياناً شافياً ، وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يهدي إليه . والحمد لله على ذلك . وعلى التأويل الثاني لا يحتاج إلى ذلك ؛ فإن كل شيء من الجداد وغيره يسبح .

قلت : ويستدل لهذا التأويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه وتعالى : « وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا نَحْنُ الْحَكِيمُ مِمَّنْ يَنْبَغِنُ بِالْعِشْيِ وَالْإِشْرَاقِ » ، وقوله : « وَإِنْ مِنْهَا لَمْ يَحْطِطْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » — على قول مجاهد — ، وقوله : « وَنَحْنُ الْحَكِيمُ هَذَا . أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا » . وذكر ابن المبارك في ( دقائقه ) أخبرنا يسعر عن عبد الله بن واصل عن عوف بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن الجبل يقول للجبل : يا فلان ، هل مر بك اليوم ذاك كره عز وجل ؟ فإن قال نعم مر به . ثم قرأ عبد الله « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا » الآية . قال : أقرأهم يسمن الزور ولا يسمن الخير . وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما من صباح ولا رواح إلا تنادى بقاع الأرض بعضها بعضاً : يا جاره ، هل مر بك اليوم عبد فصلته أو ذكر الله عليك ؟ فمن قائلة لا ، ومن قائلة نعم ، فإذا قالت نعم رأته بذلك فضلاً عليها . وقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " لا يسمع صوت المؤمن حين ولا يلقى ولا ينجو ولا ينجو ولا ينجو ولا ينجو ولا ينجو .  
 الا شهد له يوم القيامة " . رواه ابن ماجه في سننه ، ومالك في موطنه من حديث ابي سعيد  
 الخدري رضي الله عنه . وخرج البخاري من عبيد الله رضي الله عنه قال : لقد كنا نسمع  
 مسيح الطعام وهو يؤكل . في غير هذه الرواية من ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : كنا نأكل  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه . وفي صحيح مسلم عن جابر بن  
 سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعرف حجرا بمكة كان  
 يسلم عليّ قبل أن أبيت إني لأعرفه الآن " . قيل : إنه الحجر الأسود ، والله أعلم . والأخبار  
 في هذا للمعنى كثيرة ؛ وقد أتينا على جملة منها في الآج اللؤلؤية في شرح المشرقات النبوية  
 للقادري رحمه الله ، وخبر الجذع أيضا مشهور في هذا الباب خرج به البخاري في مواضع من  
 كتابه . وإنما ثبت ذلك في عماد واحد جاز في جميع الجادات ، ولا استعالة في شيء من ذلك ؛  
 فكل شيء يسبح الموم . وكذا قال النخعي وغيره : هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه حتى  
 حير الباب . واحتجوا بالأخبار التي ذكرنا . وليل : تسبيح الجادات أنها تدعو الناظر إليها  
 إلى أن يقول : سبحان الله ! لعلم الإدراك منها . وقال الشاعر :

مُلِّقٌ بِسُجُودِهِ مِنْ حَيْثُ مَا انْصَرَفَ . وَتَسْتَعْرِ حَسَا الرَّاغِبُ بِتَقَرُّدِ

أي يقول من رآها : سبحان خالقها . فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك  
 ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لناود ، وإنما ذلك تسبيح المائل بخاق  
 الحياة والإطلاق بالتسبيح كما ذكرنا . وقد نصبت الشبهة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح  
 كل شيء فالقول به أولى . والله أعلم . وقرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وحفص وحزرة  
 والكسائي وخلف « تَهْفُؤُونَ » بالياء تأنيث الفاعل . الياقون بالياء ، واختاره أبو عبيد ،  
 قال : للمائل بين الفعل والتأنيث . ( إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا ) عن ذنوب عباده في الدنيا . ( غَفُورًا )  
 للمؤمنين في الآخرة .

قوله تعالى : وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿١٥﴾

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت : لما نزلت سورة « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » أنزلت العواء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها خمر وهي تقول  
 مَذْمُومًا عَصِييًا • وَأَمْرَهُ أَجْنَا • وَيَدَيْهِ قَلْبَا •

والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه؛ فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله، لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتبنا لن تراه » وقرأ آراءه فاعتصم به كما قال . وقرأ « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا » . فوقف على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر، أخبرت أن صاحبك ههنا ! فقال : لا ورب هذا البيت يا هجاءك . قال : فقلت وهي تقول : قد علمت قريش أني ابنة سبيها . وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه : لما نزلت « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه؛ فقال أبو بكر : لو تَحَبَّتْ مِنْهَا لَلَا تُسْمِعُكَ مَا يُوْذِكُ ، فلما امرأة بذيئة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه سيحال بيني وبينها » فلم تره . فقالت لأبي بكر : يا أبا بكر، ههنا صاحبك ! فقال : والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله . فقالت : وإنا لمصنفه؛ فاندفعت راجعة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله، أما رأتك ؟ قال : « لا . ما زال ملك بيني وبينها يسترقني حتى ذهبت » . وقال كعب رضي الله عنه في هذه الآية : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث آيات : الآية التي في الكهف « إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا » ، والآية التي في النمل

(١) الفهر (الكسر) : الجهر من الكف . وقيل : هو الجهر مطلقا . (٢) هذا ما ورد في نسخة ابن هشام .

والقاضي في نسخ الأصل • مَذْمُومًا أَجْنَا • وَيَدَيْهِ قَلْبَا • (٣) آية ٥٧

«أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَبُصَرَّتْ أَبْصَارُهُمْ» ، والآية التي في الجاثية « أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَفَىٰ وَجْهَهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ فَنُفِثَتْ عَنْهُ الْغُلَّةُ مِنَ اللَّهِ فَاتَّبَعَ خَطْبَهُ » الآية .  
فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ من يستمر من المشركين . قال كعب رضى الله تعالى عنه :  
مُخِثَتْ بَيْنَ وَجَلَا مِنْ أَهْلِ النَّامِ ، فَأَتَى أَرْضَ الرُّومِ فَأَقَامَ بِهَا زَمَانًا ، ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ فَقَرَأَ بَيْنَ قُصَاوَرَا يَكُونُونَ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِهِ وَلَا يَبْصُرُونَهُ . قَالَ التَّطَلَّى : وَهَذَا الَّذِي يَرُونَهُ عَنْ كَعْبٍ حَقَّقْتُ بِهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ فَاسْرَ بِالَّذِينَ ، فَكُنْتُ زَمَانًا ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ فَقَرَأَ بَيْنَ حَتَّى جَلَسْتُ ثِيَابِي لَتَلَسَّ ثِيَابُهُ لَمْ يَبْصُرُونَهُ

قلت : ويزاد إلى هذه الآية أَوَّلُ سُورَةِ يَسَ إِلَى قَوْلِهِ «فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَهُ» . فَإِنَّ فِي السَّيْرِ فِي هَجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَقَامَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فِي فَرَاثِهِ قَالَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ حَفَنَةً مِنْ تَرَابٍ فِي يَدِهِ ، وَأَخَذَ اللَّهُ عَنْ رَجُلٍ عَلَى أَبْصَارِهِ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ ، فَبُغِلَ يَتَرَدَّدُ التَّرَابُ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ يَسَ : « يَسَ . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ الرَّحِيمِ . — إِلَى قَوْلِهِ — وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » . حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

قلت : وَلَقَدْ أَتَفَقَ لِي بِبِلَادِنَا الْأَنْدَلُسِ بِمَحْصَنٍ مُتَوَسِّتٍ مِنْ أَعْمَالِ قُرْبَةِ مِثْلِ هَذَا . وَذَلِكَ أَنِّي هَرِمْتُ إِمَامَ الْعِدَّةِ وَأَتَمَّزْتُ إِلَى تَاجَةِ عَنْهُ ، فَلَمْ أَلِثْ أَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِي فَارِسَانِ وَأَنَا فِي قُصَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ قَاعِدِ ابْنِ بَسْتَرَى عَنْهَا شَيْءٌ ، وَأَنَا أَقْرَأُ أَوَّلَ سُورَةِ يَسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَعَبْرًا عَلَيَّ ثُمَّ رَجَعَا مِنْ حَيْثُ جَاءَا وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ : هَذَا دَيْبِلُهُ ، يَمُونُ شَيْطَانًا . وَأَعْمَى اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يَرُونِي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ هَذَا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ . وَقِيلَ : الْحَبَابُ

(١) آية ٨-١٠ (٢) في الأصول : « في التنوير » وهو خطأ . (٣) آية ٢٣

(٤) في بعض الأصول : « الكبي » . (٥) كذا في الأصول . (٦) شيطانها بذلك لأنها

يُشَبِّهُهَا فِي الْأَسْبَابَةِ « دَيْبِل » ( بكسر الهمزة والفتح اليا . وسكون اليا . المرحلة وضمت اللام ) .

للتسور طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ولا يذكروا ما فيه من الحكمة؛ قاله قتادة . وقال  
الحسن بن أبي أنس لم يعارضهم عن فراءتك وتفاظهم منك كمن ينك وبينه حجاب في عدم رؤيته  
لك حتى كأن على قلوبهم أغشية . وقيل : نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذا قرأ القرآن ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأم جميل امرأة أبي لهب  
وحويطب ؛ فحجب الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن إصبارهم عند قراءة  
القرآن ، وكانوا يعززون به ولا يرونه ؛ قاله الزجاج وغيره . وهو معنى القول الأول بينه ، وهو  
الأظهر في الآية ، والله أعلم . وقوله : ( سَتُورًا ) فيه قولان : أحدهما — أن الحجاب  
مستور عنهم لا ترونه . والثاني — أن الحجاب ستر عنكم ما وراءه ؛ ويكون مستورا بمعنى ستره .  
قوله تعالى : وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ  
وَقُرْآنًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحُذِرُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ نَعْمُورًا ﴿١١﴾  
قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ) « أكينة » جمع كان ، وهو ماستر الشيء .  
وقد تقدم في « الأنعام » . ( أَنْ يَفْقَهُوهُ ) أى لئلا يفقهوه ، أو كراهية أن يفقهوه ، أى  
أن يفهموا ما فيه من الأوامر والنواهي والحكم والممانى . وحذارة على القدرة . ( وَفِي آذَانِهِمْ  
وَقُرْآنًا ) أى نعمًا وخلا . وفي الكلام إضمار ، أى أن يسموه . ( وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
وَحُذِرُوا ) أى قلت : لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن . وقال أبو الحوزاء أوس بن عبد الله :  
ليس شيء أكره للشيطان من القلب من قول لا إله إلا الله ، ثم تلا « وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبَّكَ  
فِي الْقُرْآنِ وَحُذِرُوا عَلَى آذَانِهِمْ نَعْمُورًا » . وقال علي بن الحسين : هو قوله بسم الله الرحمن الرحيم .  
وقد تقدم هذا في البسملة . ( وَلَوْأَىٰ آذَانِهِمْ نَعْمُورًا ) قيل : معنى بذلك المشركين . وقيل  
الشياطين . و « نَعْمُورًا » جمع نافر ، مثل شهود جمع شاهد ، وقعود جمع قاعد ، فهو منصوب  
على الحال . ويحوز أن يكون مصدرًا على غير الصدر ؛ إذ كان قوله « وَلَوْأَىٰ » بمعنى نفروا ،  
فيكون معناه نفروا نفورًا .

قوله تعالى : لَمَّا عَلِمُوا بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَدْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( لَمَّا عَلِمُوا بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ) قيل : الباء زائدة في قوله « به » أي يستمعونه . وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ثم ينشرون فيقولون : هو ساحر ومسحور ؛ كما أخبر الله تعالى به عنهم ؛ قاله قتادة وغيره . ( وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ) أي متاجرون في أمرك . قال قتادة : وكانت نجوهم قولهم إنه مجنون وأنه ساحر وأنه يأتي بأساطير الأولين ، وغير ذلك . وقيل : نزلت حين دعا عبدة أشراف فريش إلى طعام صنعته لهم ، فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله ؛ فتلجأوا ؛ يقولون ساحر ومجنون . وقيل : أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف فريش من المشركين ؛ ففعل ذلك عليّ ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد ، وقال : « قولوا لا إله إلا الله فليطمعكم العرب ويتدين لكم المسلم » وكانوا يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم متاجرين : هو ساحر وهو مسحور ؛ فزلت الآية . وقال الزجاج : النجوى اسم للصدر ؛ أي وإذ هم ذو نجوى ، أي سرار . ( إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ ) أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمثالهما . ( إِنْ تَدْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) أي مطبوعاً قد خبله السحر فاخطأ عليه أمره ، يقولون ذلك ليفروا عنه الناس . وقال مجاهد : « مسحور » أي مخدوعاً ، مثل قوله : « فَأَيُّ كُفْرٍ هَذَا » أي من أين تكفرون . وقال أبو عبيدة : « مسحور » معناه أن له سحراً ، أي ربة ، فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب ؛ فهو مثلكم وليس بملك . ويقول العرب للبيان : قد انتفخ تخره . ولكل من أكل من آدمي وغيره أو شرب مسحور ومسحر . قال ليبد :

فإن تسألني عن عصفائر من هذا الأثم المسحور

وقال امرؤ القيس :

أَرَأَيْتَ مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ • وَتُسَحَّرَ بِالطَّامِ وَالشَّرَابِ

أى تُسَدَّى وتُتَلَّى . وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من هذه التى تُسَامِنُنِي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تَوَقَّعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين تَجَرَّى وتَجَرَّى .

قوله تعالى : أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ) عَجِبَهُ من صَحْمِهِمْ كَيْفَ يَقُولُونَ تَارَةً سَاحِرَ وَتَارَةً مَجْنُونًا وَتَارَةً شَاعِرًا . ( فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) أى جِيلَهُ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْكَ . وقيل : ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَجِدُونَ سَبِيلًا ، أى إِلَى الْهُدَى . وقيل : مَخْرَجًا لِنَتَاقِضِ كَلَامِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ : مَجْنُونٌ ، سَاحِرٌ ، شَاعِرٌ .

قوله تعالى : وَقَالُوا أَوَإِذَا ضَلَلْنَا أَهْلًا لَمْ يَهْدِنَا اللَّهُ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَمُتَّعُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( وَقَالُوا أَوَإِذَا ضَلَلْنَا أَهْلًا لَمْ يَهْدِنَا اللَّهُ ) أى قَالُوا وَهُمْ يَتَنَاجَوْنَ لِمَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَسَمِعُوا أَمْرَ الْبَيْتِ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مَسْحُورًا مَخْدُوعًا لِمَا قَالَ هَذَا . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْفُتَاتُ الْغِيَارُ . يَجَاهِدُ : الْتِرَابُ . وَالْفُتَاتُ مَا تَكْتُمُ وَيَلِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : ذَاتُ الْفُتَاتِ وَالْحَطَامُ وَالرَّضَاضُ ؛ مِنْ أَبِي حَبِيبَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَالْقَزَّوَاءُ وَالْأَخْفَشُ . تَقُولُ مِنْهُ : رُفَّتِ الشَّيْءُ رَفًّا ، أى حُطِمَ ؛ فَهُوَ مَرْفُوتٌ . ( أَسَاءَ لِمُتَّعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) « أَسَاءَ » اسْتَفْهَامُ الْمَرَادِ بِهِ الْجَهْدُ وَالْإِنْكَارُ . وَ « خَلْقًا » نَصَبٌ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ ؛ أى بَنَّا جَدِيدًا . وَكَانَ هَذَا غَايَةَ الْإِنْكَارِ مِنْهُمْ .

(١) أَرْضَعِ الرِّبْلَ فِي الْحَرِّ إِذَا أَسْرَعَ . وَقَوْلُهُ « لِأَمْرِ غَيْبٍ » يَرِيدُ الْمَوْتَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَيْبًا عَنْ رَأْيِهِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْهُ بِالطَّامِ وَالشَّرَابِ . (٢) تَرِيدُ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَفَهٌ إِلَى قَدْرِهِمَا وَمَا يَخَافُ سَحَرَهُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .

قوله تعالى : **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** ﴿١٠﴾ **أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ**  
**فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ**  
**إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا** ﴿١١﴾

قوله تعالى : **( قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا )** أى قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز  
حجارة أو حديدًا في الشدة والقوة . قال الطبري : أى إن عجزتم من إنشاء الله لكم عظاما  
ولما فكنوا اتم حجارة أو حديدًا إن قدرتكم . وقال علي بن عيسى : معناه أنكم لو كنتم حجارة  
أو حديدًا لم تفوتوا الله عز وجل إذا أرادكم ؛ إلا أنه نزع مخرج الأمر ، لأنه أبلغ في الإلزام .  
وقيل : معناه لو كنتم حجارة أو حديدًا لأعادكم كما بدأكم ، ولأما نكم ثم أحياكم . وقال مجاهد :  
للمنى كونوا ما شئتم فستأدون . النحاس : وهذا قول حسن ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا  
حجارة ، وإنما للمنى أنهم قد أنفروا بخالفهم وأنكروا البعث ف قيل لهم استمعوا أن تكونوا  
ما شئتم ، فلو كنتم حجارة أو حديدًا لبعثكم كما خلقتم أول مرة . **( أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ )**  
قال مجاهد : يعنى السموات والأرض والجبال لمظلمها في النفوس . وهو معنى قول قتادة .  
يقول : كونوا ما شئتم ، فإن الله يبعثكم ثم يبعثكم . وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو  
ابن العاص وابن جبير ومجاهد أيضا وعكرمة وأبو صالح والضحاك : يعنى الموت ؛ لأنه ليس  
شئ أكبر في نفس ابن آدم منه ؛ قال أُمَيَّة بن أبي الصلت :

• وَلَوْتُ خَلَقْتُ فِي النُّفُوسِ قَطِيعَ •

يقول : إنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت لأبئتنكم ولأبئتنكم ؛ لأن  
للقدرة التي بها أنشأتم بها نبيكم . وهو معنى قوله : **( فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمُ**  
**أَوَّلَ مَرَّةٍ )** . وفي الحديث أنه " يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين  
الجنة والنار " . وقيل : أراد به البعث ؛ لأنه كان أكبر في صدورهم ؛ قاله الكلبي . **( فَطَرَكُمُ )**  
خلقكم وأنشأكم . **( فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ )** أى يمزكون رؤوسهم استهزاء ؛ يقال :



تَنَضُّضُ رَأْسِهِ يَتَنَضُّضُ وَيَتَنَضُّضُ تَنَضُّضًا رُشْوَضًا؛ أى تحركه . وانضض رأسه أى حركه ، كالتنجب من الشيء ؛ ومنه قوله تعالى : « فَسَيَنْفِقُونَ إِلَيْكَ دَرَسَهُمْ » .  
قال الراجز :

• انضض نحوى رأسه وأفتنا •

ويقال أيضا : تنضض فلان رأسه أى حركه ؛ يتعذى ولا يتعذى ، حكاية الأخصى .  
ويقال : تنضضت يته ، أى تحركت وانقلت .  
قال الراجز :

• ونضضت من هزم أسانها •

وقال آخر :

• لما راني انضضت إلى الراس •

وقال آخر :

لأما في المفردة إن لم تنضض • بمسند فوق الحمال النضض

الحمال والمخالة : البكرة العظيمة التى يستقى بها الإبل . ( وَيَقُولُونَ بَنَى هُوَ ) أى البعث والإعادة وهذا الوقت . ( قُلْ مَتَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ) أى هو قريب ؛ لأن عسى واجب ؛ نظيره « وَمَا يُدِيرُكَ لَمَلُ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا » . « وَلَمَلُ السَّاعَةِ قَرِيبٌ » . وكل ما هو آتٍ فهو قريب .

قوله تعالى : يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّا لَنُؤْمِنُ

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ( يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) الدعاء : اقتداء به إلى المحشر بكلام تسمعه الانلاق ، يدعوم الله تعالى فيه بالخروج . وقيل : بالصيحة التى يسمونها ؛ تكون داعية لهم إلى الاجتماع فى أرض القيامة . قال صل الله عليه وسلم : « أَنْتُمْ تَدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَاحْسِنُوا إِسْمَاءَكُمْ » - ( فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ) أى باستحقاقه الحمد من الإحياء .

(١) أسمع فلان دأب ، وهو أن يبلغ صوته بوجهه إلى ما حال دأب من الد . (٢) كذا (٣) مرة الأهل . (٤) كذا (٥) مرة القدر .

وقال أبو سهل : أي والحمد لله ؛ كما قال :

قَالَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا تَوْبَ قَابِرٌ • لَيْسَتْ ، وَلَا مِنْ قُدْرَةِ أَفْعَى

وقيل : حامدين لله تعالى بالستكم . قال سعيد بن جبير : تخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك وبحمدك ؛ ولكن لا يتفهم اعتراف ذلك اليوم . وقال ابن عباس : « بحمده » بأمره ؛ أي يخشون بأنه حالته . وقال قتادة : يمرقته وطاعته . وقيل : المعنى قدرته ؛ وقيل : بدعائه إياكم . قال ملائكة : وهو الصحيح ؛ فإن الفخ في الصور إنما هو سب خروج أهل القبور ؛ وبالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق ، قال الله تعالى : « يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ » فيقومون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك . قال : يوم القيامة يوم يُدعى بالحمد ويحتم به ؛ قال الله تعالى « يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ » وقال في آخره « وَقَضَىٰ سَيِّئَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (وَتَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا قَلِيلًا) يعني بين النقيضين ؛ وذلك أن المذاب يكف عن المعددين بين النقيضين ، وذلك أمر من ماما فينامون ؛ فذلك قوله تعالى : « مَن يَبْتَغِ غَيْرَ اللَّهِ فَرَدَدْنَا » فيكون خاصا للكفار . وقال مجاهد : للكافرين نجمة قبل يوم القيامة يحيدون فيها طعم النوم ، فإذا أصبح بأهل القبور قاموا مذعورين . وقال قتادة : المعنى أن الدنيا تحاقت في أعينهم وقلت حين رأوا يوم القيامة . الحسن : « وَتَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا قَلِيلًا » في الدنيا طول لبكم في الآخرة .

قوله تعالى : وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) قسّم إعرابه . والآية نزلت

في عمر بن الخطاب . وذلك أن رجلا من العرب شتمه ، وسبه عله وهم يقتله ، فكادت تنبر فتنة فأنزل الله تعالى فيه : « وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » ذكره الطبري والمأزوري .

(١) آية ٧٥ سورة الزمر . (٢) آية ٥٢ سورة يس . (٣) راجع ٩ ص ٣٦٦ طبعه دار الفاتنة .

واين عطية والواحدى . وقيل : نزلت لما قال المسلمون : ايذن لنا يا رسول الله في قتالهم فقد طال ايذاؤهم اياتا ، قال : " لم اؤمر بعد بالقتال " فانزل الله تعالى : وقل لبيادى يقولوا التي هي احسن ، قاله الكلبي . وقيل : المعنى قل لبيادى الذين اغتروا باقى خالفهم وهم يعبدون الأصنام ، يقولوا التي هي احسن من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة . وقيل : المعنى وقل لبيادى المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد ، أن يقولوا الكلمة التي هي احسن . كما قال : " وَلَا تُشِيرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبِقُوا اللَّهَ عَدُوًّا يُبْعَثُ لَهُمْ " . وقال الحسن : هو أن يقول للكفر إذا تسخط : هداك الله ! رحمتك الله ! ولهذا قيل إن أسروا بالجهاد ، وقيل : المعنى قل لهم يا أمروا بما أمر الله به وبنهوا عما نهى الله عنه ، وعلى هذا تكون الآية عاتية في المؤمنين والكافرين ، أى قل للجميع . والله أعلم . وقالت طائفة : أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين قويا بينهم خاصة ، بحسن الأدب و الإلتزام بالقول ، وخفض الجراح وألطف ترغلات الشيطان ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " وكونوا عباد الله إخوانا " . وهذا احسن ، وتكون الآية محكمة .

قوله تعالى : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَفَّعُ بَيْنَهُمْ ) أى بالفساد و تلفء العداوة والإغواء . وقد تعلّم في آخر الأعراف ويوسف . يقال : ترفع بيننا أى أفسد ؛ قاله البريدى . وقال غيره : الترفع الإغواء . ( إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ) أى شديد العداوة . وقد تمسّدهم في البقرة <sup>(١٧)</sup> . وفى الخبر " أن قوما جلسوا يذكرون الله عن وجل بجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فنهته الملائكة فجاء إلى قوم جلسوا قريبا منهم لا يذكر الله غرض بينهم فتخاصموا وتواصوا فقال هؤلاء الذناكرون قوموا بنا نصلح بين إخواننا ففادوا ونظفوا بملابسهم ورجع بذلك الشيطان " . فهذا من بعض عدلونه .

(١) آية ١٠٨ سورة الأنعام - (٢) راجع ١٧ ص ٢١٤ و ١٧ ص ١٦٥ طيبة دار آية -

(٣) راجع ٢٢ ص ٢٠٩ طيبة دار آية -

قوله تعالى : وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ مَرَحِمَكُمُ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يَعَذِّبُكُمْ  
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٦﴾

قوله تعالى : ( رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ مَرَحِمَكُمُ أَوْ إِنَّ يَسَاءَ يَعَذِّبُكُمْ ) هذا خطاب للمشركين ،  
والمعنى : إن يساء يوفىكم بالإسلام فيرحمكم ، أو يعينكم على الشرك فيعذبكم ، قاله ابن جرير .  
و « أعلم » بمعنى عليم ، غر فوفهم : الله أكبر ، بمعنى كبير . وقيل : الخطاب للؤمنين ، أى  
إن يساء يرحمكم بأن يحفظكم من كفار مكة ، أو إن يساء يعذبكم بسلطهم عليكم ، قاله الكلبي .  
( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ) أى وما وُكِّلناك فى متعهم من الكفر ولا جعلنا اليك إيمانهم ،  
وقيل : ما جعلناك كنبلا لم تؤخذ بهم ، قاله الكلبي . وقال الشاعر :  
ذكرت أبا ازوى فبث كفى • وهذا الأمور للمضايقات وكل

أى كذبل

قوله تعالى : وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا  
بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ( وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ،  
أعاد بعد أن قال : « وبكم أعلم بكم » ليبين أنه خالفهم وأنه جعلهم مختلفين في أخلاقهم  
وصورهم وأحوالهم ومالهم ، « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ » . وكذا النبيون فضل بعضهم على بعض من  
علم منه بحالهم . وقد مضى القول في هذا في « البقرة » . ( وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ) الزبور  
كتاب لبس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وإنما هو دعاء وتعبير لمحمد .  
أى كما آتينا داود الزبور فلا تنكروا أن يؤتى محمد القرآن . وهو في حجة اليهود .

قوله تعالى : قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ  
كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جَوْلًا ﴿٥٨﴾

(١) أية ١ سورة المائدة . (٢) راجع ج ٢ ص ٢٦١ مرة بعد

قوله تعالى : ( قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمُوا مِنْ دُونِهِ ) لما ابتليت قريش بالقطع وشكروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله هذه الآية ؛ أى ادعوا الذين يعبدون من دون الله وزعم أنهم آلهة . وقال الحسن : يعنى الملائكة وعيسى وعزرا . ابن مسعود : بنى الجن . ( فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ ) أى القحط صبح سين ، على قول مقاتل . ( وَلَا غَوْلًا ) من الفقر إلى الغنى ومن الشِّم إلى الصحة .

قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ) « أولئك » مبتدا « الذين » صفة « أولئك » وصحبة الصلة محذوف ؛ أى يدعونهم . بنى أولئك المدعون . و ( يَبْتَغُونَ ) خبر ، أو يكون حالا ، و « الَّذِينَ يَدْعُونَ » خبر ؛ أى يدعون إليه عبادا إلى عبادته . وقرأ ابن مسعود « يدعون » بالتاء على الخطأ . الباقر بن الباقى على الخبر . ولا خلاف فى « يبتغون » أنه بالياء . وفى صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة » قال : نفر من الجن أسلموا وكنوا يعبدون ، فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم وقد أسلم نفر من الجن . فى رواية قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون و [ الإنس ] الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون ؛ فنزلت « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة » . وعنه أيضا أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب ؛ ذكره الماوردى . وقال ابن عباس ومجاهد : عزير وعيسى . و « يبتغون » يطلبون من الله الزلفة والقرية ، ويتضرعون إلى الله تعالى فى طلب الجنة ، وهى الوسيلة . أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القرية إلى ربهم . والماء والميم فى « ربهم » تصود على العابدین أو على المعبودین أو عليهم جميعا . وأما « يدعون » فعلى العابدین . « ويبتغون » على المعبودین . ( أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ) ابتداء وخبر . ويموز أن يكون « أيهم أقرب »

فدلا من الضمير في « يفتون » والمعنى ينتفى بهم أقرب الوسيلة إلى الله . ( وَيَرْجُونَ  
وَحْشَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ عَذَابًا لَّيًّا أَيْ عَوَظًا لَا أَمَانَ لِأَحَدٍ مِنْهُ ، فَيَذْنِي أَنْ  
يُحْذَرُ مِنْهُ وَيُخَافَ . وقال سهل بن عبد الله : الرجاء والخوف زمانان على الإنسان ، فإذا  
استويا استقامت أحواله ، وإن ربح أحدهما بطل الآخر .

قوله ثالثة : « وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ  
أَوْ مُُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا » (٤٩)

قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا » أي نخرمها . ( قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ  
أَوْ مُُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ) قال مقاتل : إما الصالحة بالموت ، وإما الطالحة بالمذاب . وقال  
ابن مسعود : إذا طهر الرزق والربا في قرية أدن الله في هلاكهم . فقيل : المعنى وإن من  
قرية طاعة ، يذوق ذلك قوله : « وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ » . أي فابتغى  
المشركون ، فإنه ما من قرية كاذبة إلا سجل بها المذاب . ( كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ )  
أي في اللوح . ( مَسْطُورًا ) أي مكتوبا . والسطر : الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر .  
والسطر ( بالتحريك ) ، مثله . قال جرير :

من شاء بابسه ، إلى وحلته • ما تكيل القوم في ديوانهم سطرًا

الخلعة (نصف الخاتم) : خبار المال . والسطر جمع أسطر ، مثل سبب وأسباب ، ثم جمع على أساطير  
وجمع السطر أسطر وسطور ، مثل أنلس وفلس . والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ .

قوله تعالى : « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا  
الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا الْأَنْفَاءَ مُبْصَرًا فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ  
إِلَّا تَخَوِيفًا » (٥٠)

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ في الكلام جلف ، والتقدير : وما مِنَّا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ الَّتِي أَقْرَحُوهَا إِلَّا أَنْ يَكْذِبُوا بِهَا فَيُهْلِكُوا . كما قيل بمن كان قبلهم . قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهما . فذبح الله تعالى العذاب عن كفار قريش لعلهم أتت فيهم من يؤمن وفيهم من يؤلف مؤثما . وقد خُلق في « الأنعام » وغيرها أنهم طلبوا أَنْ يَحُولَ اللهُ لَهُمُ الصَّنَاءُ ذُعْبًا وَتَنْتَقَى الْجِبَالُ عَنْهُمْ ؛ فقتل جبريل وقال : « إِنْ شِئْتَ كَانَ مَا سَأَلَ قَوْمَكَ وَلَكُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا لَمْ يَهْلُوا . وَإِنْ شِئْتَ هَتَانِيَتْ بِهِمْ » . فقال : « لَا ، بَلْ اسْتَأْنِ بِهِمْ » . و « أَنْ » الأولى في محل نصب بوقوع المنع عليهم ، و « أَنْ » الثانية في محل رفع . والياء في « بِالْآيَاتِ » زائدة . وبجاء الكلام : وَمَا مِنَّا إِرْسَالِ الْآيَاتِ إِلَّا تَكْذِيبَ الْأَوَّلِينَ ، والله تعالى لا يكون ممنوعا عن شيء ؛ فالعنى المبالغة في أنه لا يفعل ، فكانه قد منع عنه . ثم بين ما فعل بمن سأل الآيات فلم يؤمن بها فقال : ﴿ وَأَنَّا نُمَوِّدُ الْفَاقَةَ مَيْمَرَةً ﴾ أى آية دالة مضبوطة تيرة على صدق صالح ، وعلى قدرة الله تعالى . وقد تقدم ذلك . ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أى ظلموا بتكذيبها . وقيل : جحدوا بها وكفروا . أنها من عند الله فاستاصلهم الله بالعذاب . ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ فيه حصة أقوال : الأول — العبر والمعجزات التي حملها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفا للكافرين . الثاني — أنها آيات الانتقام تخويفا من المعاصي . الثالث — أنها تغلب الأحوال من صفرائ شاب تم إلى تكمل ثم إلى شبيب ، لتعبر بقلب أحوالك فتعاف عاقبة أمرك ؛ وهذا قول أحمد بن حنبل رضى الله عنه . الرابع — القرآن . الخامس — الموت . الرابع ، قاله الحسن .

قوله تعالى : وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا آرَافِيَا أَلْتِي آرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي آفَرِآنٍ وَنُحُوتِهِمْ قَدْ بَرَّيْدُهُمْ إِلَّا طَافَيْنَا كَبِيرًا ﴿١٠﴾

(١) راجع ج ٧ ص ٢٢٨ وج ٩ ص ٦٠ طبع أول أو ثانی

(٢) أى الشجر القامى لا يكاد الناس يتناولونه .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس : الناس هنا أهل مكة ، وإحاطته بهم إهلاكهم ، أى أن الله سيهلكهم . وذكره بلفظ الماضي لتحقيق كونه . وعنى بهذا الإهلاك الموعد ما جرى يوم بدر ويوم الفتح . وقيل : معنى « أحاط بالناس » أى أحاطت قدرته بهم ، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ، قاله مجاهد وابن أبي نجیح . وقال الكلبي : المعنى أحاط علمه بالناس . وقيل : المراد عصمته من الناس أن يقتلوه حتى يبلغ رسالة ربه ، أى وما أرسلناك عليهم حفيظا ، بل عليك التبليغ ، فليجئك فإننا نمصلك منهم ونحفظك ، فلا تبهم ، وأيض لما أمرك به من تبليغ الرسالة ، فقدرتنا عجيبة بالكل ، قال مضاه الحسن وعمره وقناة وغيرهم .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ لما بين أن إزلال آيات القرآن تتضمن التخويف ضم إليه ذكر آية الإسراء ، وهى المذكورة فى صدر السورة . وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » قال : هى رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . قال : « وَالشَّجَرَةُ الْمَعْلُومَةُ فِي الْقُرْآنِ » هى شجرة الزقوم . قال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث صحيح . وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقناة وسعيد ابن جبير والضحاك وابن أبي نجیح وابن زيد . وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به . وقيل : كانت رؤيا نوم . وهذه الآية تهضى بفساده ، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها ، وما كان أحد ليكرها . وعن ابن عباس قال : الرؤيا التى فى هذه الآية هى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدخل مكة فى سنة الحديبية ، فرد فأتين المسلمون لذلك ، فزلت الآية ، فلما كان العام المقبل دخلها ، وأزل الله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » . وفى هذا التويل شبهة : لأن السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة . وقال فى رواية ثالثة : إنه عليه السلام رأى فى المنام بنى مروان يترنون



على منبره تزو القردة، فساء ذلك فقيل : إنما هي الدنيا أعطوها، فصرى عنه، وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة . وهذا التأويل الثالث قاله أيضا الجليل ابن سعد رضي الله عنه . قال سهل : إنما هذه الرؤيا هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بنى أمية يترون على منبره تزو القردة، فأغتم لذلك، وما استجمع ضاحكا من يؤخذ حتى مات صلى الله عليه وسلم . فزلت الآية غيرة أن ذلك من تملكهم وصعدهم يجعلها الله آية للناس واستبان . وقرأ الحسن بن علي بن خطيبه في شأن بيته لمعاوية : « وإن أدري لآله فتنه لكم ومنازع إلى حين » . قال ابن عطية : وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية .

قوله تعالى : ( وَالشَّجَرَةُ الْمُنُورَةُ فِي الْقُرْآنِ ) فيه تقديم وتأخير، أي ما جعلنا الرؤيا التي أرىناك والشجرة المنورة في القرآن إلا فتنه للناس . وفتننا أنهم لما خوفوا بها قال أبو جهل استهزاء : هذا محدث وعديم بنا وتحرق الحجارة، ثم زعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر، وما تصرف الرقوم إلا القروا والزبد، ثم أمر أبو جهل جارية فاحضرت تمرا وزبدنا وقال لأصحابه : ترقوا . وقد قيل : إن القائل ما نعلم الرقوم إلا القروا والزبد ابن الزبير حيث قال : كثرة الله من الرقوم في داركم، فإنه القروا بالزبد بلغة اليمن . وجاز أن يقول كلاما ذلك . فافتن أيضا لهذه المقالة بعض الضعفاء، فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام أنه إنما جعل الإسراء وذو كرشجرة الرقوم فتنه واختيارا ليكفر من سبق إليه الكفر ويصدق من سبق له الإيمان . كما روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له صبيحة الإسراء : إن صاحبك يزعم أنهم جاءه البارحة بن بيت المقدس ! فقال : إن كان قال ذلك فقد صدق . فقيل له : أنصدقه قل أن نسلع منه ؟ فقال : أين غولكم ؟ أنا أنصدقه بخبر الساء، فكيف لا أنصدقه بخبر بيت المقدس، والهيأ أبعد منها بكثير .

قلت : ذكر هذا الخبر ابن إسحاق ، ونصه : « قال كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأُم هانئ بنت أبي طالب ؛ ما اجتمع في هذا الحديث ، كُلُّ يَحْتَدِثُ عَنْهُ بِضْعُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ حِينَ أَسْرَى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ فِي مَسْرَاهُ وَمَا ذَكَرَ عَنْهُ بِلَاءٌ وَنَجِيسٌ وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ فِيهِ عِبَرَةٌ لِأَوَّلَى الْأَلْيَابِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَقِيَّةٍ ؛ فَأَسْرَى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ شَاءَ وَكَأَيُّ شَاءَ لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ ، حَتَّى عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ ، وَقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا مَا يَرِيدُ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ يَقُولُ : « أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَاءِ - وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ تَضَعُ حَافِرَهَا فِي مَتْنَى طَرَفِهَا - تَحْمِلُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ صَاحِبُهَا يَرَى الْآيَاتِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى أَتَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي قَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ جُمِعُوا لَهُ فَصَلَّاهُمْ ثُمَّ أَيُّ بِلَاةٍ آتِيَةٍ : إِنْ أَاءَ فِيهِ لَبَنٌ وَإِنْ أَاءَ فِيهِ نَمْرٌ ، وَإِنْ أَاءَ فِيهِ مَاءٌ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ ابْنُ أَخَذَ الْمَاءَ فَفَرَّقَ وَغَرَّقَتْ أُنْتَهُ وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ فَفَرَّقَ وَغَوَّثَ أَمْسَهُ وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ فَهَدَيْتَ أَمْسَهُ قَالَ فَأَخَذْتُ إِبْنَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُدَيْتَ أَمْتُكَ يَا مُحَمَّدٌ . »

قال ابن إسحاق : وحدثت عن الحسن أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا أَنَا فَأَمُّ فِي الْيَمْرِ جَاءَنِي الْجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَهَضَنِي بِقَدَمِهِ فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ثُمَّ عُدْتُ لِمَضْجِعِي بِخَائِنِي الثَّانِيَةِ فَنَهَضَنِي بِقَدَمِهِ فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا فَعُدْتُ لِمَضْجِعِي بِخَائِنِي الثَّالِثَةِ فَنَهَضَنِي بِقَدَمِهِ فَجَلَسْتُ فَأَخَذَ بِصَدْرِي فَخَمَّتْ مَعَهُ فَخَرَجَ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا دَابَّةٌ أَيْضًا بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْحِمَارِ فِي نَحْوَيْهِ جَنَاحَانِ يَحْفِزُ بِي رِجْلَيْهِ يَضَعُ حَافِرَهُ فِي مَتْنَى طَرَفِهِ فَخَمَلَنِي عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مَعِي لَا يَقُولُ وَلَا أَوْتُهُ . »

قال ابن إسحاق : سمعت من قلده له قال : سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لما دفنت من لأزكبة خمس فوضع جبريل يده على مرقته ثم قال ألا تستحي بأروق مما تصنع فوافقه ما ركبك هذه قبل عهد أكرم عليه من قال فاستجاب حتى أرفض عمر قائم قو حتى ركبته "

قال الحسن في حديثه : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى منه [ جبريل ] حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في قصر من الأنبياء ، فأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى بهم ثم أتى برأين : في أحدهما حجر وفي الآخر لين ، قال : فآخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه اللبن فشرب منه وترك إياه الحجر . قال : فقال له جبريل : خذيت الفطرة ومديت أهلك وسميت عليك الحجر . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فلما أصبح غلما على فرس فأنهمهم عليه ، فقال لا تكثر الفرس ، هذا والله الأسر اللين ! وافهم إن العير تطرد شيئا من مكة إلى الشام ، مدبرة شيئا ومقبلة شيئا ، فيذهب ذلك عهد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ، قاله . فترند كثير من كان أسلم ، يذهب فتناس إلى أبي بكر فقالوا : حل لك يا أبا بكر في صلحك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة ميت للمقدس ، وصلى فيه ويجمع إلى مكة . قال فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إنكم تكذبون عليه . فقالوا : بل ، ها هو ذا في المسجد يموت به الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يصحبكم من ذلك ؟ فوافقه أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل لو نهار فأصدقته ، فهذا أبعد مما تنجيون منه . ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال " نعم " قال : يا نبي الله ، فقص لي فإني قد جئته ؟ فقال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رفع لي حتى نظرت إليه " فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصطفه لأبي بكر ويقول أبو بكر رضي الله عنه : صدقت ، أشهد أنك رسول الله . كما

وصل الله به حيث قال : حدثت ، أشهد أنك رسول الله . قال : حتى إذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه : « رأيت يا أبا بكر الصديق » فيومئذ سماه الصديق . قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن أكرهه من الإسلام لذلك : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونحوهم » فما يريدهم إلا طغياناً كبيراً ، فهذا حديث الحسن عن مبرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من سبب قتادة . وذكر باقي الإسرائيليين عن تميم في السيرة . وقال ابن عباس : هذه الشجرة بنو أمية ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تولى الحكم . وهذا قول ضعيف نحدثت والسورة مكية ، فيمد هذا التأويل ؛ إلا أن تكون هذه الآية مدنية ، ولم يثبت ذلك . وقد قالت عائشة لمروان : لعن الله أباك وأنت في صلبه فانت بعض من لعن الله . ثم قال : « والشجرة الملعونة في القرآن » ولم يجر في القرآن لعن هذه الشجرة ، ولكن الله لعن الكفار وهم أكلوها . والمعنى : والشجرة الملعونة في القرآن أكلوها . ويمكن أن يكون هذا على قول العرب لكل طسام مكره ضار : ملعون . وقال ابن عباس : الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوى على الشجر فتفثله ، يبنى الكشوث . ( ونحوهم ) أي بالزقوم . ( فما يريدهم ) التخويف إلا الكفر .

قوله تعالى : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ) ختم ذكر كون الشيطان عدو الإنسان ، فأجيز الكلام إلى ذكر آدم . والمعنى : إذ كبر تبادى هؤلاء المشركين وعظمهم على ربه قصة إبليس حين عصى ربه وأبى السجود ، وقال ما قال ، وهو ما أخبر الله تعالى في قوله تعالى : (١) هذه جارة القبر الرازي . والذي في الأصول : « فانت ضل من لعن الله » . والقطط : القبر الجدد من الثمر ، وشر الزنجي .

( فَجَعَلُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَتَجِدُ لَكَ حَقَّتْ طَيْفًا ) أى من طيع . وهذا استعظام إنكاره .  
وقد حُكِمَ القول فى خلق آدم فى البقرة ، والأنعام ، ممتوياً . ( قَالَ لَرَأَيْتَكَ ) أى قال  
إبليس . والكاف توكيد للتأطية . ( هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَى ) أى فضله على . ودأى جوهى  
التأخر خيراً من جوهى العلىن ولم يلم أن الجواهر متافئة . وقد تخدم هذا فى الإعراف .  
و « هذا » نصب بإرأيت . « الذى » منه . والإكرام : اسم جامع لكل ما يحمد . وفى الكلام  
حذف تقديره : أخبرنى عن هذا الذى فضله على . لم فضله وقد خلقنى من تار وخلقته من  
طين ؟ لحذف لعل السامع . وقيل : لا حاجة إلى تقدير الحذف ، أى أنرى هذا الذى كرمته  
على لأفعلن به كفاً وكذا . ومعنى ( لَا تَحْنِكُنَّ ) فى قول ابن عباس : لأستولين عليهم . وقاله  
الفراء . مجاهد : لأحتويهم . ابن زيد : لأضلهم . والمعنى مطارب ؛ أى لأستاصلهم فدرته  
بالغواء والإضللال ، ولأجتاحهم . وروى عن السرب : احتك الجراد الزرع إذا ذهب به  
كله . وقيل : مائة لأسبوقهم حيث شئت وأقوتهم حيث أردت . من قولهم : حنكت  
الفرس احتكه وأحنكه حنكا إذا جعلت فى فيه الزنس . وكذلك احتكه . والقول الأول  
قريب من هذا لأنه إنما باتى على الزرع بالحنك . وقال الشاعر :

أشكر إليك سنة قد أحجفت • جهدا إلى جهيد بنا واضعفت  
• وأحتكت أموالنا واجتلفت <sup>(١)</sup> .

( إِلَّا قَلِيلًا ) بنى المصومين ، وهم الذين ذكروا فى قوله : ( إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عِلْمٌ  
سَلْطَانٌ ) وإنما قال إبليس ذلك غناء كما قال الله تعالى : ( وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ )  
أدرك من طبع البشر تركب الشهوة فيهم ، أبو بنى على قول الملايكة : ( أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ قُضِدَ  
فِيهَا ) <sup>(٢)</sup> . وقال الحسن : ظن ذلك لأنه وسوس إلى آدم عليه السلام فلم يجد له عزماً .

قوله تعالى : قَالَ أَذْهَبَ قَوْمٌ بِعَبْكَ مِنْهُمْ فَمَنْ جَهَنَّمَ بَرَاءً أَوْ كُرْ  
بَرَاءً مَوْفُورًا <sup>(٣)</sup>

(١) راجع ج ١ ص ٢٧٩ طبة ثانية أر ٥٥٠ . وج ٧ ص ١٦٨ طبة أول أر ٤٤٦ .  
(٢) أى أذهمت . (٣) آية ٢٠ سورة سبأ . (٤) آية ٢٠ سورة البقرة .

قوله تعالى : ( قَالَ أَتَقْبَلُ هَذَا أَمْرًا إِيَّاهُ ، أَمْ أَجِدُكَ بِهِ ) قد أنظرناك .  
 ( قُلْ يَحْيَى ) أى أطاعك من ذرية آدم . ( فَإِنْ جِئْتُمْ بِرَأْسِكُمْ جَاءَ تَوْفُورًا ) أى وأفراة  
 من مجاهد : وغفرة . وهو نصب على المصدر ، يقال : وقرنه إفره وقرأ ، ووفر المال بنفسه  
 وفر وقرأ فهو وافر ، فهو لازم ومتعد .

قوله تعالى : ( وَأَسْتَغْفِرُ مِنْ أَسْطَغَفْتُ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ  
 بِحَيْلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ  
 الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا )

فيه ست مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَأَسْتَغْفِرُ ) أى استبرأ واستخف ، وأصله انقطع ، ومع غفر  
 لغوب إذا انقطع . والمعنى استبرأ بقطعك إياه من الحق . واستغفره الخوف أى استغفنه .  
 وقصد مستوراً أى غير مطمئن . « وأسْتَغْفِرُ » أمر تميم ، أى أنت لا تقدر على الضلال  
 أحد ، وليس لك على أحد سلطان فأصل ما شئت .

الثانية - قوله تعالى : ( وَصَوْتُكَ ) وصوته بكل داع يدعو إلى معصية الله تعالى ،  
 من ابن عباس . مجاهد : الفناء والمزامير واللهم . الضحك : صوت المزار . وكان آدم  
 عليه السلام أسكن أولاد هابيل أعلى الجبل ، وولد قابيل أسفلها ، وفيهم بنات حسان ، فزمر  
 اللعين فلم يتالكوا أن يأخذوا فرتوا ، ذكره الفريزي . وقيل : « بصوتك » بوسوتك .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجَلِكَ ) أصل الإجلاب السوق  
 بحيلة من السائق ، يقال : أجلب إجلاباً . والجلب والجلبية : الأصوات ، نقول منه : جلبوا  
 بالتشديد . وجلب الشيء يحلبه ويحلبه جلباً وجلباً . وجلبت الشيء إلى نفسي واجلبته بمعنى .  
 وأجلب على العدو إجلاباً أى جمع عليهم . فالمنى أجمع عليهم كلما قدر عليه من مكائده .

(١) لم نجد في كتب الله « فترز التوب » بزيين هذا المنى ، وإنما هو « فترز » بزي ثم راء . فلاحظ .

وقال أكثر المفسرين : يريد كل راكب وماش في معصية الله تعالى . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس ، فاكان من راكب وماش يقال في معصية الله فهو من خيل إبليس ورجائه . وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال : كل خيل سارت في معصية الله ، وكل رجل مشى في معصية الله ، وكل مال أصيب من حرام ، وكل ولد ينفثه فهو للشيطان . والرجل جمع راجل ؛ مثل صخب وصاحب . وقرأ حفص « ورجلك » بكسر الجيم وهما لفتان ؛ يقال : رجل ورجل بمعنى راجل . وقرأ عكرمة وقتادة « ورجالك » على الجمع .

الرابعة — ( وشأركم في الأموال والأولاد ) أي اجعل لنفسك شركة في ذلك . فشركته في الأموال إغاقها في معصية الله ؛ قاله الحسن . وقيل : هي التي أصابوها من غير حياء ؛ قاله مجاهد . ابن عباس : ما كانوا يمزونهم من تنجيرة والسابة والرسيلة والحمام . وقاله قتادة . الضحاك : ما كانوا يذبحونه لأهلهم . والأولاد قيل : هم أولاد الزنى ؛ قاله مجاهد والضحاك وعبد الله بن عباس . وعنه أيضا هو ما قتلوا من أولادهم وأنوا منهم من الحرث . وعنه أيضا : هو تسميتهم عبد الحارث وعبد أمية وعبد اللات وعبد الشمس ونحوه . وقيل : هو صيغة أولادهم في الكفر حتى هودجهم ونفروهم ، كصنع النصاري بأولادهم بالنمس في الماء الذي لهم ؛ قاله قتادة . وقول خدس — روى عن مجاهد قال : إذا جامع الرجل ولم يسم أنطوى الجن على إحياله بجامع معه ، فذلك قوله تعالى : « لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان » وسأى . وروى من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فيكم مقرين » قلت : يا رسول الله ، وما المقرين ؟ قال : « الذين يشترك فيهم الجن » . رواه الترمذي الحكيم في ( نوادر الأصول ) . قال الهروي : سموا مقرين لأنه دخل فيهم هرق غريب . قال الترمذي الحكيم : فلجئ مسامة<sup>(١)</sup> بآدم في الأمور والاختلاط ؛ فمنهم من يترجح فيهم ، وكانت يقيس ملكة سبأ أحد أبيها من الجن . وسأى بيانه إن شاء الله تعالى .

الخامسة - قوله تعالى : ( وَنَعَّمْ ) أى مَنِّهم الأمانى الكاذبة ، وأنه لا حياة ولا حساب ، وأنه إن كان حساب وجنة ونار فاتم أدل بالجنة من غيركم . بقوله تعالى : « يَدْعُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا » أى باطلا . وقيل : « وَنَعَّمْ » أى مَدِّهم النعمة على من أرادهم بسوء . وهذا الأمر للشيطان تهديد ووعيد له . وقيل : استغفار به وبمن أتبعه .

السادسة - فى الآية ما يدل على تحريم المزاير والثناء واللهو ؛ لقوله : « وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَفْتَتْ مِنْهُمْ صَوْتُكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ » على قول مجاهد . وما كان من صوت الشيطان أو فصيله وما يستحسنه فواجب التره عنه . وروى تابع عن ابن عمر أنه سمع صوت زقارة فوضع أصبعه فى أذنيه ، وعدل راحته عن الطريق وهو يقول : يا تابع ! أسمع ؟ فأقول نعم ؛ ففضي حتى قلت لا ، فوضع يديه وأعاد راحته إلى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع [ صوت ] زقارة راع فصنع مثل هذا . قال طائفة : إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال ، فكيف بفناء أهل هذا الزمان وزمرهم . وسيأتى لهذا مزيد بيان فى سورة « لقمان » إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ) قال ابن عباس : هم المأمونون . وقد تقدم الكلام فيه . ( وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ) أى ما يصح من القبول من العباد ، وحافظا من كيده وسوء مكره .

قوله تعالى : رَبُّكَ الَّذِي يُرِيكَ لَكَ الْبُلْكَ فِي الْبَحْرِ تَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِرُبِّكَ رَحِيمًا ﴿١٧﴾



قوله تعالى : ( رَبُّكَ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكَ الْغُلُقَ فِي الْبَحْرِ ) الإزجاء : السدق ؛ ومنه قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَبَابًا » ، وقال الشاعر <sup>(١)</sup> :

يأبى الراكب المزيج مطيشه . سائل حتى أسد ما هذه الصوت

وإزجاء الغلج : خشوقه بالريح البية . والغلج هنا جمع ، وقد تقدم . والبحر الماء الكثير عدا كانت أو ملحا ، وقد غلب هذا الاسم على الملح . وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله عند عباده ؛ أى ربكم الذى أنعم عليكم بكذا وكذا فلا تتركوا به شيئا . ( لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ) أى فى التجارات . وقد تقدم . ( إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى : ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ) الضر « لفظ يعم خوف الفزع والإمساك عن البحرى . وأحوال حالاته اضطرابه وتوجسه . ( ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا ) « ضل » معناه تلف وتلفد ؛ وهى عبارة تحقير لمن يدعى إلها من دون الله . والمعنى فى هذه الآية : أن الكفار إنما يستغوثون فى أصنامهم أنها شافعة ، وأن لما فضل ، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يغدر على مدافعتة أن الأصنام لا فعل لما فى الشدائد النظام ، فرفقهم الله من ذلك على حالة البحر حيث تنقطع الحيل . ( فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ) أى عن الإخلاص . ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ) الإنسان هنا الكافر . وقيل : وطبع الإنسان كفورا للتم إلا من حصنه الله ، فالإنسان لفظ الحسن

قوله تعالى : أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ آلِ آلٍ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وِكِيلًا <sup>(٤)</sup> .

(١) آية ٤٣ سورة النور . (٢) جروديد بن كثير الغالب ؛ كانى الحان . (٣) راجع ج ٢ ص ١٩٤ طبة ثانية . (٤) راجع ج ٢ ص ١٩٣ طبة ثانية .



شديدة . ورعد قاصف ، شديد الصوت . يقال : قَصَفَ الرعدُ وغيره قِصَافًا ، والقَصِيفُ : حشم الشجر . والقَصِيفُ الكدر . والقَصِيفُ أيضًا : اللهو والعبث ، يقال : إِنَّا نُولِيهِ ( فَيُفَرِّقُكُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ ) أى بكفركم . وقرا ابن كثير وأبو عمرو : خَفِيفٌ بِكُمْ ، أو يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ . أن يُعَذِّبَكُمْ ، أو يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ ، فَيُفَرِّقُكُمْ ، بالون في الخمسة على التعظيم ، وقوله : « علينا » بالياقوت بالياء ؛ لقوله في الآية قيل : « إياه » . وقرا أبو جعفر وشيبة ورؤيس وبجاهد : « فَنُفَرِّقُكُمْ » بإثاء نفا للريح . وعن الحسن وقناة : فَيُفَرِّقُكُمْ « بالياء مع التشديد في الراء . وقرا أبو جعفر والربيع : « حَارِقُ كُلِّ التَّرَائِقِ » . وقيل : إن القاصف المهلكة في البر ، والقاصف المفرقة في البحر ؛ حكاه الساردي . وقوله : ( ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ مَلِيًّا تَبِيًّا ) قال مجاهد : آثارا ، النحاس ، وهو من آثار . وكذلك يقال لكل من طلب بئارا أو غيره : تبع وتابح ؛ ومعناه : « تَتَابَعُ بِالْمَعْرُوفِ » أى مطالبة .

قوله تعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٥٧﴾  
فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ) الآية . لما ذكر من الترحيب ما ذكر بين النعمة عليهم أيضا . « كرمنا » نضعف كرم ؛ أى جعلنا لهم كراما أى شرفا وفضلا . وهذا هو كرم نبي القصص لآكرم المال . وهذه الكلمة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة ، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بنى آدم أن يكون يحصل بإرادته وقصدته وتديره . وتخصيصهم بما خصهم به من الطعام والمشروب والملابس ، وهذا لا يقع فيه حيوان . أناس بنى آدم ؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ، ويلبسون الثياب . ولا يكون المرتبات من الأطعمة . وغاية كل حيوان يأكل لحما نباتا أو طامنا غير

**محب** . وحكي الطير من جملة أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بهم .  
**نوح** من ابن نوح ؛ ذكره للمعنى والناس ؛ وهو قول الكلبي وملائك ؛ ذكره  
**القاريون** . وقال الضحاك . كرمهم بالنطق والتميز . عطاء : كرمهم بتعديل القامة  
 وامتدادها . يلق : يحسن الصورة . محمد بن كعب : بأن جعل عدا خذ الله عليه وسلم منهم .  
 وقيل : أكرم الرجال بالحق . والنساء بالقنائب . وقال محمد بن جرير الطبري : بتسليطهم على سائر  
 الخلق ؛ وتفسير سائر الخلق لهم . وقيل : بالكلام والخط . وقيل : بالفهم والتمييز . والصحيح  
 الذي يؤول عليه أن التفضيل إنما كان بالفعل الذي هو عمدة التكليف ، وبه يعرف الله ويؤمن  
 بكلامه . ويوصل إلى تيممه وتصديق رساله ؛ إلا أنه لما لم ينض بكل المراد من العبد بنت  
 الهيولى وأثرت الكتب . فتأثر الشرح الشمس ، وشال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت  
 حكيمة رأيت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء . وما تقدم من الأقوال بعضها أقوى من  
 بعض . وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن آدم أيضا ؛ بكرى الفرس  
 وحديد إصابه ؛ وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك . وإنما التكرم والتفضيل بالفعل كما  
 يتبادر . والله أعلم .

**الثانية** - قالت فرقة : هذه الآية تقتضي تفضيل الملائكة على الإنس والجن من  
 حيث أنهم المستثنون في قوله تعالى : « وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمَقْرُونُونَ » . وهذا غير لازم من الآية  
 بل التفضيل فيها بين الإنس والجن ؛ فإن هذه الآية إنما عددها فيها على بنى آدم ما خصهم به  
 من سائر الحيوان ، والجن هو الكثير المفضول ، والملائكة هم الخارجون عن الكثير المفضول ؛  
 ولم تعرض الآية لذكرهم ، بل يحتمل أن الملائكة أفضل ، ويحتمل العكس ، ويحتمل  
 التساوي ، وعلى الجسالة فالكلام لا ينتهي في هذه المسألة إلى القطع . وقد تحاشى قوم من  
 الكلام في هذا كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الأنبياء على بعض ؛ إذ في الخبر  
 « لَا تُخَارُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا تَفْضَلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى » . وهذا ليس بشيء ؛ لوجود

النفس في القرآن في التفضيل بين الأنسنة . وقد يتبادر في الذهن ، ومضى لهذا الكلام في تفضيل الملائكة والمؤمنين .

الثالثة — قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ يعني لذيذ الطعام والمشروب . قال مقاتل : السمن والسسل والزبد والتمر والحلوى ، وجعل رزق غيرهم ما لا ينضج طبعهم من التبن والمظام وغيرها . ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ أي على البهائم والدواب والوحش والطير بالنبلة والاسيلاء ، والتواب والحزله والحفظ والتميز وإصابة القفراسة .

الرابعة — هذه الآية تروى ما روى عن عائشة رضي الله عنها ، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إِخْرُجُوا أَنْفُسَكُمْ طَيِّبَ الطَّعَامِ فَإِنَّمَا تَوَلَّى الشَّيْطَانُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الصُّرُوقِ شَهًا»** . وبه يستدل كثير من الصوفية في ترك أكل الطيبات ، ولا أصل له ، لأن القرآن يركه ، والسنة الثانية بخلافه ، على ما نذكر في غير موضع . وقد حكى أبو حامد الطوسي قال : كان سهل يفتت ورق التين مدة ، وأكل دُقاق ورق التين ثلاث سنين . وذكر إبراهيم بن غالبنا قال : صحبت ذا النُّون من إهم إلى الإسكندرية ، فلما كان وقت إظهاره أنزجت قمرًا ومعهما كان معي ، وقلت : **«هَلْ»** فقال لي : **«ملكك مدقوق؟»** قلت نعم . قال : **«لست تمفلح! فظنرت إلى مَزْوَدِهِ وَإِذَا فِيهِ قَلِيلٌ مَوْيِقِي شَعِيرَتَيْفٍ مِنْهُ»** . وقال أبو يزيد : ما أكلت شيئًا مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال عباؤنا : وهذا عما لا يجوز حمل النفس عليه ؛ لأن الله تعالى أكرم الآدمي بالحنطة وجعل قشورها لبها لهم ، فلا يصح مزاحمة الدواب في أكل التبن ، وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج<sup>(١)</sup> ، وإذا انقصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش فإنه يخرف مزاجه ؛ لأن خبز الشعير بارد مجفف ، والملح يابس قابض يضرب للدماع والبصر . وإذا مالت النفس إلى ما يصلحها أنعت فقد قويت حكمة البارئ سبحانه يردّها ، ثم يؤثّر ذلك في البدن ، فكان هذا الفعل مخالفًا للشرع والعقل . ومعلوم أن البدن

(١) راجع ج ٣ ص ٢٦١ طبعه أملا دار ثانية . (٢) راجع ج ١ ص ٢٨٩ طبعه ثانية أمانة .

(٣) القولنج : مرض يسمى نزول بصرته خروج قتل والرجح - سريب -

مطية الكبرى، ومنه لم يبق المطية لم يبق، فروي عن إبراهيم بن آدم أنه اشترى ثوباً وعسلًا وخبزاً حواري، فقبل له: «هذا كله؟» فقال: «إنا وجدنا أكل الرجال، وإنا مبدأ صبراً صبر الرجال». وكان النوري يأكل اللحم والخبز والعسل والفاطج ثم يقوم إلى الصلاة. ومنه هذا عن السلف كثير. وقد تقدم منه ما يكفي في المسألة والأعراف وغيرهما: والأول قولون الذين إن مع عنهم: «وهيئة استعدوها ما كتبناها عليهم».

قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ سَمِعَ» فأولئك يقرءون كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ فَنِيلاً (٧١)

قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ» روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ» قال: «يدعى أحدهم فيبلي كتابه بينه، ويؤمده في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه ويعمل على رأسه تاج من ثؤلوث. ثلاثاً فيطلق إلى أصحابه فيروونه من بعد فيقولون اللهم اثنا بهذا وبارك لهذا في هذا حتى يأتيهم فيقولوا لكل منكم مثل هذا - قال - وأما الكافر فيسود وجهه ويؤمده في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ولبس ثياباً فراء أصحابه فيقولون نموذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا» قال: «فيايهم فيقولون اللهم أنزه» فيقول أبعذك الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا». قال أبو موسى: هذا حديث حسن غريب. ونظير هذا قوله: «وترى كل أمة جانية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون» (١) والكتاب يسمى إماماً؛ لأنه يرجع إليه في تعرف أعمالهم. وقال ابن عباس والحسن وقادة والضحاك: «بإمامهم» أي بكتابهم، أي بكتاب كل إنسان منهم الذي فيه عمله؛ دليله «فمن أوفى كتابه سمع» وقال ابن زيد: بالكتاب المنزل عليهم. أي يدعى كل إنسان

(١) الفاتوح: «طوله تعدل من الحق والماء والعسل». وفيه ثلاث (عن الأنعام القارسية).

(٢) راجع ج ٦ ص ٢٦٠ - (٣) راجع ج ٧ ص ١٩٥ مطية أول أربعة -

(٤) آية ٢٧ سورة الحديد - (٥) آية ٢٨ سورة البقرة.

بكتابه الذي كان يتلو، يدعى أهل التوراة بالتوراة، وأهل القرآن بالقرآن، يقال: أهل القرآن، ماذا علم، هل استتم أوله، هل اجتمعت نواحيه! وهكذا. وقال مجاهد: «يا ماعيه» يعنيهم، والإمام من يجمع به. يقال: «هاؤنا جئنا إبراهيم عليه السلام، هاؤنا تنبي موسى عليه السلام، هاؤنا تنبي الشيطان، هاؤنا تنبي الأصنام». فيقوم أهل الحق فيأخذون كتائبهم يا ماعيه، ويقوم أهل الباطل فيأخذون كتائبهم بشياهم. وقاله قتادة. وقال علي رضي الله عنه: يا ماعيه مصرفهم. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «يوم يدعو كل فريق يا ماعيه» قال: «كل يدعى بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هاؤنا تنبي إبراهيم هاؤنا تنبي موسى هاؤنا تنبي جئنا تنبي عيسى هاؤنا تنبي عبادنا - عليهم أفضل الصلوات والسلام - فيقوم أهل الحق فيأخذون كتائبهم يا ماعيه ويقول هاؤنا تنبي الشيطان هاؤنا تنبي رؤساء الضلالة إمام هدى وإمام خلافة». وقال الحسن وأبو العالية: «يا ماعيه» أي بإمامهم. وقاله ابن عباس. يقال: أين الراضون بالقدر، أين الصابرون من الخلود. وقيل: بمذاهبهم، فيدعون بن كانوا يأتون به في الدنيا: يا حنفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدري، ونحوه، فيقيمونه في خير أو شر أو على حق أو باطل، وهذا معنى قول أبي عبيدة. وقد تقدم. وقال أبو حمزة: يدعى أهل الصدقة من باب الصدقة، وأهل الجهاد من باب الجهاد... الحديث بطوله. أبو سهل: يقال أين فلان للمصل والصلو، وعكسه الشقاق والتمام. وقال محمد بن كعب: «يا ماعيه» بأمهاتهم. وإمام جمع أئم. قالت الحكاه: وفي ذلك جملة أوجه من الحكمة؛ أحدها - لأجل ميسى. والثاني - لإظهار لشرف الحسن والحسين. والثالث - لإظهار ينتفع أولاد القرى.

قلت: وفي هذا القول نظر، فإن في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غلوة لواء فيقال هذه غلوة فلان بن فلان» ترجمه مسلم والبخاري. فخره: «هذه غلوة فلان بن فلان»

(١) الشافعي: صاحب المذهب. والامراء: «الزراف» بوزن العجوة.

دليل على أن الناس يفتخرون في الآخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا يرد على من قال : إنما يفتخرون بأسماء آبائهم لأن في ذلك سقاً على آبائهم - والله اعلم .

قوله تعالى : ( لَنْ أُوَفِّيَنَّكَ حَاجَتَكَ ) هذا يخوِّى قول من قال : « وإمامهم » بكناهم . ويخوِّيه أيضاً قوله : « وَكُلٌّ فِي أَفْئِدَتِهِمْ فِي أَيَّامٍ مَبِينَةٍ » . ( فَأُولَئِكَ يَفْسُدُونَ كُتُبَهُمْ وَلَا يَمْلِكُونَ كَيْلًا ) القتل الذي في شق القواة . وقد مضى في « النساء » .

قوله تعالى : « وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أُمَّةٌ فَأُولَئِكَ فِي الْأَخِرَةِ أَهْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا » (١)

قوله تعالى : ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أُمَّةٌ ) أى في الدنيا من الأهل والابصار الحق . ( فَأُولَئِكَ فِي الْأَخِرَةِ ) أى في آخر الآخرة ( أَهْمَى ) . وقال مكرمة : جاء من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله عن هذه الآية فقال : اقرءوا ما قبلها « رَبُّكُمُ الَّذِي يُزَيِّنُ لَكُمْ الْفَلَاحَ فِي الْبَحْرِ - إِلَى - خُفْيَلًا » . قال ابن عباس : من كان في هذه السمة والآيات التي رأى أهمى فهو عن الآخرة التي لم يصاب أهمى وأضل سبيلاً . وقيل : المسمى من همى عن السمة التي أنعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الآخرة أهمى . وقيل : المسمى من كان في الدنيا التي أهمل فيها وتوسَّح له ووعد بقبول الثوبة أهمى فهو في الآخرة التي لا ثوبة فيها أهمى . وقال الحسن : من كان في هذه الدنيا كافراً ضالاً فهو في الآخرة أهمى وأضل سبيلاً . وقيل : من كان في الدنيا أهمى عن جميع الله بشبه يوم القيامة أهمى ، كما قال : « وعشره يوم القيامة أهمى » الآيات . وقال : « وَعَشْرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ نَجْمًا وَبُكَاءًا وَمِنْهَا مَاؤُهُمْ جَوْهَرًا » . وقيل : المسمى في قوله « فَأُولَئِكَ فِي الْأَخِرَةِ أَهْمَى » في جميع الأقوال : أشد همى ، لأنه من همى القلب ، ولا يقال مثله في همى العين . قال الخليل وسيبويه : لأنه خلقه بمثلة

(١) آية ١٢ سورة يونس (٢) راجع به ص ٢٨٨ طبع أول مرة (٣) آية ١٦ سورة يونس (٤) آية ١٢١ سورة يونس (٥) آية ٩٧ من هذه السورة .



اليد والرجل ، فلم يقل ما أمناه كما لا يزال ما أيدناه . الأخصش : لم يقل فيه ذلك لأنه  
 حل أكثر من ثلاثة أحرف ، وأصله أخصى . وقد أجاز بعض النحويين ما أمناه وما أخصناه ،  
 لأن أصله فحى وفتح . وقال الفراء : حدثني بالثام شيخ بصري أنه سمع السرب يقول :  
 ما أسود شعره . قال الشاعر :

ما في المسائل لكم ظل ولا نحر • وفي المغازي لكم أشياخ وأشياخ

أما الملوك فانت اليوم الأمهس • ولما دأبهم يرمل طباخ

وأما أبو بكر حزة والكسائي وخلف الحرفين « أعى » و « أعمى » وضع الباقون . وأما  
 أبو عمرو الأثري وضع الثاني . ( وأصل سيل ) يعني أنه لا يجد طريقا إلى الهداية .

قوله تعالى : وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ إِلَهِى أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ يُفْتَرِى  
 عَلَيْنَا غَيْرُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا ﴿٧٧﴾

قال سعيد بن جبير : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود في طوافه ، فسمته  
 قريش وقالوا : لا ندعك تستلم حتى نعلم ما لكنا . فحدث نفسه وقال : « ما علم أن ألقى بها بعد  
 أن يدعوني أستلم الحجر والله أعلم أنى لما كاره » فأبى الله تعالى ذلك وأزل عليه هذه الآية ؛  
 قاله مجاهد وقادة . وقال ابن عباس في رواية خطأ : نزلت في وفد ثقيف ، أبوا النبي صلى  
 الله عليه وسلم فسأله شططا وقالوا : متنا بأهتنا سنة حتى تأخذ ما يهدى لها ، فلما أخذناه  
 كسرتهاا وأصلتها ، وحرم وأبنا كما حرمت مكة ، حتى تعرف القرب فضلنا عليهم ؛ فهم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أن يطعمهم ذلك فزلت هذه الآية . وقيل : هو قول أكابر قريش النبي  
 صلى الله عليه وسلم : اطرد عنا هؤلاء السفاط والموال حتى نجلس معك ونسمع منك ؛ فهم بذلك  
 حتى نبى عنه . وقال قتادة : ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلت ليلة  
 إلى الصبح يكلمونه ويغفخونه ، ويسودونه ويغارونه ؛ فقالوا : إنك تلقى بنى لا يأتى به  
 أحد من الناس ، وانت سيدنا يا سيدنا ؛ وما زالوا به حتى كاد يقاتلهم في بعض ما يريدون ،

ثم حصصه الله من ذلك ، وأمر الله تعالى هذه الآية . وسنى ( لَيْقِنُوكَ ) أى يزولوك . يقال :  
فلت الرجل من زايه إذا أزلته عما كان عليه ، قاله المروى . وقيل يصرفوك ، والمعنى واحده  
( من الذى أوتينا إياك ) أى حكم القرآن ، لأن فى إعطائهم ما سألوه مخالفة لحكم القرآن .  
( لَيْقِنُوكَ عَلَيْهِ ) أى لتخلق عليهما فيما أوجبا إياك ، وهو قول حنيف ، وسرى وأدينا  
كما حرمت مكة ، فبشرها وطهرها ووحشها ، فإن سألوك العرب لم خصصهم قتل الله أمرى  
بذلك حتى يكون صدرا لك . ( وَأَنَا لَأَتَّخِذُكَ خَلِيلًا ) أى لو ضلت ما أريدوا لا تتخذوك  
خليلًا ، أى والوك وصانوك ، مأخوذ من الخلة ( بالضم ) وهى الصداقة لما بينكم . وقيل :  
« لا تتخذوك خليلًا » أى قديرا . مأخوذ من الخلة ( بفتح الخاء ) وهى الفقر لحاجته إليهم .

قوله تعالى : وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنْتَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ ذَيْفًا  
قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ  
لَكَ عَلَيْهِمْ ضِعْفًا

قوله تعالى : ( وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنْتَكَ ) أى على الحق وخصمك من موافقتهم . ( لَقَدْ كُنْتَ  
تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ ) أى تميل . ( ذَيْفًا قَلِيلًا ) أى ركونًا قليلًا . قال قتادة : لما تركت هذه الآية  
قال عليه السلام : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسٍ طَرَفَةٌ مِنْ » . وقيل : ظاهر الخطاب للنبي  
صلى الله عليه وسلم وباطنه إخبار من يخيف . والمعنى : وإن كادوا ليركبوكم ، أى كادوا  
بضربونكم بآبائكم مِتَّ إلى قولهم ، ففسب لهم إليه مجازا وأتينا ، كما تحول لرجل : كفت  
تقتل نفسك ، أى كاد الناس يقتلوك بسبب ما فعلت ، ذكره المهرقى . وقيل : ما كان منه  
ثم بالركون إليهم ، بل المعنى : ولولا فضل الله عليك لكان منك ميل إلى موافقتهم ، ولكن تم  
فضل الله عليك فلم تفعل ، ذكره القشيري . وقال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
معصوما ، ولكن هذا تعريف للأمة لتلا يركن أحد منهم إلى المشركين فى شئ من أحكام  
الله تعالى وشيئائه .



من أرض العرب لم يهلكوا، وهو معنى قوله : (وَلَمَّا لَا يَتُورَنَ خَلَاكَ إِلَّا قَلِيلًا) . وقرا حطاه  
ابن أبي رباح : لَا يَتُورَنَ . إياه مشددة . « خلك » . تخرج وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو  
ومناه بحدك . وقرا ابن مامر وحض وحزة والكسائي : « خلاك » . وأختره أبو سالم  
أخباراً بقوله : « فَرَحَ الْمُشْكُونَ بِتَقْدِيمِ خَلَاكِ رَسُولِ اللَّهِ » ومناه أيضاً بحدك : قال الشاعر  
عَفَّتِ اللَّهُيَارُ خَلَاثَهُمْ فَكَأَنَّمَا • بسط الشواطِبُ بَيْنَ حَصِيصَا

بسط البواسط : في السارودي . يقال : شطبت المرأة الجريد إذا شفته لتعمل منه  
الحصر . قال أبو عبيد : ثم تحية الشاطبة إلى المنيّة . وقيل : « خلك » بمعنى بحدك .  
« وخلاك » بمعنى عافاك ؛ ذكره ابن الأنباري . (إِلَّا قَلِيلًا) فيه وجهان : أحدهما -  
أن المدة التي لبوا حاصدها من إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر ؛ وهذا قول من ذكر أنهم قريش .  
الثاني - ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير ؛ وهذا قول من ذكر أنهم اليهود .

قوله تعالى : سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا  
تَحْوِيلًا ۝

قوله تعالى : (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا) أي يذنبون كسبة من قد أرسلنا ؛  
فهو نصب بإضمار يذنبون ؛ فلما سقط الخافض عمل الفعل ؛ قاله الفراء . وقيل : انتصب  
على معنى سناسة من قد أرسلنا . وقيل : هو منصوب على تقدير حذف الكاف ؛ التقدير  
لا يثبتون خلك إلا قليلاً كسبة من قد أرسلنا ؛ فلا يوقف على هذا التقدير من قوله : (إِلَّا قَلِيلًا) .  
ويوقف على الأول والثاني . « قبلك من رسلنا » وقف حسن : (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)  
أي لا خلف في وعدنا ؛

قوله تعالى : أقيم الصلوة لربك الشمس إلى غسي الليل وقرآن  
الأنجيل إن قرآن الأنجيل كان مشهوراً ۝

بسمه سبغ سائل :

الأولى - قوله تعالى : ( أُمِمَّ الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ الشَّمْسِ ) لما ذكر مكابدة للمشركين أمر نبيه عليه السلام بالصبر والمحافظة على الصلاة ، وفيها طلب النصر على الأعداء . ومثله « وَتَقَرَّبَ تَعَلَّمَ أَنَّكَ يَكْفِيكَ صَدْرُكَ عَمَّا يَقُولُونَ » فسبح بحمد ربك وكُنِ مِنَ السَّاجِدِينَ <sup>(١)</sup> .  
وتقدم القول في معنى إقامة الصلاة في أول سورة البقرة <sup>(٢)</sup> . وهذه الآية بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة . واختلف العلماء في الذلوك على قولين : أحدهما - أنه زوال الشمس عن كبد السماء ؛ قاله عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس وطائفة سوانم من علماء التابعين وغيرهم . الثاني - أن الذلوك هو الغروب ؛ قاله علي وابن مسعود وأبو بن كعب ، وروى عن ابن عباس . قال الماوردي : من جعل الذلوك اسمًا لنزولها فلان الإنسان بذلك عينه براحة لتبينها حالة الغيب ، ومن جعله اسمًا لنزولها فلان ذلك حينئذ لشدة شحها . وقال أبو عبيد : ذلوكها غروبها . وذلك يراجح معنى الشمس ؛ أي غابت .  
وأشد قطربة :

هنا مقام قدنى رايح - ذبيح حتى ذلك رايح

رايح (فتح الباء) من وزن حرام وقطام ورقاس أعم من أسماء الشمس . ورواه القزويني (بكر الباء) وهو جمع راحة وهي الكف ؛ أي غابت وهو ينظر إليها وقد جعل كفها من حاجبه . ومنه قول السجاني :

والشمس قد كادت تكون دققا - ادفعها بالزنج كي ترحقا

قال ابن الأعرابي : الزلوفوة مكان متجذر أملس ، لأنهم يتحلقون فيه . قال : والزرقعة كالترجمة والذبح ؛ يقال : زلننه فترحقف . ويقال : دلكت الشمس إذا غابت .  
قال ذو الرمة :

مما يبيع ليست بالوائق فتودها - يحوم ولا بالافلات الذوالك

(١) آية ١٧ سورة الحجر . (٢) راجع ج ١ ص ١٦٤ طبعه تاية أم تاته (٣) أي في الحرم .

قال ابن عطية: الدلوك هو الليل - في اللغة - فأول دلوك هو الزوال وآخره هو الغروب. ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا، لأنها في حالة ميل. فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون في حالة الدلوك وعنده؛ فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب، ويصح أن تكون المغرب داخلة في غسق الليل. وقد ذهب قوم إلى أن صلاة الظهر يتأدى وقتها من الزوال إلى الغروب؛ لأن الله سبحانه علق وجوبها على الدلوك، وهذا دلوك كله؛ قاله الأوزاعي وأبو حنيفة في تفصيل. وأشار إليه مالك والثوري في حالة الضرورة.

الثانية - قوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ روى مالك عن ابن عباس قال: دلوك الشمس ميلها، وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته. وقال أبو عبيدة: الفسق سواد الليل. قال ابن عباس: الرقيات:

﴿إِنْ حَلَّتِ اللَّيْلُ قَدْ غَسَقَ﴾ واشتجبت المسم والأرقا

وقد قيل: غسق الليل مفيب الشفق. وقيل: إقبال ظلمته. قال زهير،

ظلمت تجمود يداها وهي لاهية. حتى إذا جنح الإظلام والشفق

يقال: غسق الليل غسقا. والشفق أسم يفتح السين. وأصل الكلمة من السيلان؛ يقال: غسقت العين إذا سالت، تنسق. وغسق الجرح غسقانا، أي سال منه ماء أصفر. وأغسق المؤذن، أي أخرج المغرب إلى غسق الليل. وحكى الفراء: غسق الليل وأغسق، وظلم وأظلم، ودجا وأدجى، وغس وغس وأغس، وغيش وأغيش. وكان الربيع بن خثيم يقول لمؤذنه في يوم غيم: أغسق أغسق. يقول: أخرج المغرب حتى يفسق الليل، وهو إطلاعه.

الثالثة - اختلف العلماء في آخر وقت المغرب؛ فقول: وقتها وقت واحد لا وقت لها إلا حين تحجب الشمس، وذلك بين في إمامة جبير؛ فإنه صلاها باليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس، وهو الظاهر من مذهب مالك عند أصحابه. وهو أحد قول الثوري في المشهور عنه أيضا، وبه قال الثوري. وقال مالك في الموطأ: فإذا غاب الشفق قد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء. وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه والحنس

ابن حنبل واحد وإسحاق وأبو ثور وبلود؛ لأنه وقت الغروب إلى الشفق فسق كله . ولحديث  
 لقين موسى عوفية : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالناس للغرب في اليوم الثاني فأنشروا  
 كان عند سقوط الشفق ؛ فخرجه مسلم . قالوا : وهذا أولى من أخبار إمامة جبريل ؛ لأنه  
 متأخر بالمدينة وإمامة جبريل بمكة ؛ والمتأخر أولى من قبله وأمره ؛ لأنه تابع لما قبله .  
 وزعم ابن العربي أن هذا القول هو المشهور من مذهب مالك ، وقوله في موطنه الذي أنفراه  
 طول عمره وأملأه في حياته .

والنكتة في هذا أن الأحكام المتعلقة بالأسماء هل تنطبق بأوتانها أو بأخرها أو يرتبط الحكم  
 بجميعها ؟ والأقوى في النظر أن يرتبط الحكم بأوتانها فلا يكون ذكرها لغواً فإذا ارتبط بأوتانها  
 جرى بعد ذلك النظر في تنقله بالكل إلى الآخر .

قلت : القول بالتوسعة أرجح . وقد نزع الإمام الحافظ أبو محمد عبد النبي بن معين عن  
 صاحب الأجلح بن عبد الله الكندي عن أبي الزبير عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم من مكة قريبا من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى أتى يثرب ، وذلك تسعة  
 أميال . وأما القول بالنسخ فليس بالبين وإن كان التاريخ معلوما ؛ لأن الجمع ممكن . قال  
 طائفة : تحمل أحاديث جبريل على الأفضلية في وقت المغرب ، وذلك أن خلفت الأمة فيها على  
 تسجيلها والمبادرة إليها في حين غروب الشمس . قال ابن خزيمة متناد : ولا نعلم أحدا من  
 المسلمين تأخر بإقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس . وأحاديث  
 التوسعة تبين وقت الجواز ، فيرفع التمازض ويصح الجمع ، وهو أولى من الترجيح بالتحاق  
 الأصوليين ؛ لأن فيه إعمال كل واحد من الدليلين ، والقول بالنسخ أو الترجيح فيه إسقاط  
 أحدهما . والله أعلم .

الرابعة - قوله تعالى : ( وَقرآن الفجر ) انتصب «قرآن» من وجهين : أحدهما  
 أن يكون سطوفا على الصلاة ؛ المعنى : وأتم قرآن الفجر أي صلاة الصبح ؛ قاله القرطبي . وقال  
 أهل البصرة . انتصب على الإغراء ؛ أي فليكن قرآن الفجر ؛ قاله الزجاج مودعها بالقرآن

خاصة دون غيرها من الصلوات، لأن القرآن هو أعظمها، إذ قرأتها طويلا بمجهودها حسبا هو مشهور مسطور، عن الزجاج أيضا .

قلت : وقد استقر عمل المدينة على استحباب إطالة القراءة في الصبح قلدا لا بضرب من تنقله - يقرأ فيها بطوال المفصل ، ولها في ذلك الظهور والجملة - وتخفيف القراءة في المغرب وتوسطها في العصر والمساء . وقد قيل في العصر : إنها تخفف كالغرب . وأما ما ورد في صحيح مسلم وغيره من الإطالة فيما استقر فيه التقصير ، أو من التقصير فيما استقرت فيه الإطالة ، كقراءته في الفجر المحدثين - كما رواه النسائي - وكقراءة الأعراف والمرسلات والطور في المغرب ، فتدرك بالمثل . ولأنكاره هل معاذ التطويل حين أم قومه في المساء فافتتح سورة البقرة . نزهة الصحيح . وإساره الأئمة بالتخفيف فقال : «لما الناس إن منكم متفرين فأبكم أم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والمريض والسقيم والضعيف ونا الحاجة» . وقال : «فلما صل أحدكم وحده فليطول ما شاء» . كله مسطور في صحيح الحديث .

تتامسة - قوله تعالى : ( وقرآن الفجر ) دليل على أن الصلاة إلا بقراءة ، لأنه سمي الصلاة قرآنا . وقد اختلف العلماء في القراءة في الصلاة فذهب جمهورهم إلى وجوب قراءة أم القرآن للإمام والقائد في كل ركعة . وهو مشهور قول مالك . وعنه أيضا أنها واجبة في جُل الصلاة . وهو قول إصحاق . وعنه أيضا تجب في ركعة واحدة ؛ قاله المنيعي ومجتون . وعنه أن القراءة لا تجب في شيء من الصلاة . وهو أشد الروايات عنه . وحكى عن مالك أيضا أنها تجب في نصف الصلاة ، وإليه ذهب الأوزاعي . وعن الأوزاعي أيضا وأيوب أنها تجب على الإمام والقائد والمأموم على كل حال . وهو أحد قول الشافعي . وقد مضى في ( الفاتحة ) مستوفى .

السادسة - قوله تعالى : ( كَانَ شَهِودًا ) روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » قال : « تشهد



ملائكة الليل وملائكة النهار" هنا حديث حسن صحيح - ورواه علي بن مسهر عن الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم . وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فُضِّلَ صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح " . يقول أبو هريرة : اقرعوا إن شئتم « وقرآن العجر إن قرآن العجر كان مشهودا » . ولهذا المعنى يبيِّن هذه الصلاة ، فمن لم يكره لم تنهد صلاته إلا إحدى الفتيْن من الملائكة . ولهذا المعنى أيضا قل مالك والشافعي : التَّغْلِيصُ بالصَّبح أفضل . وقال أبو حنيفة : الأفضل الجمع بين التَّغْلِيص والإِسْفَار ، فإن فاتته ذلك فالإِسْفَار أَوْثَى من التَّغْلِيص . وهذا مخالف لما كان عليه السلام يفعله من المداومة على التَّغْلِيص ، وأيضا فإن فيه تَهْوِيَتَ شهود ملائكة الليل . والله أعلم .

السابعة — استدلل بعض السامع بقوله صلى الله عليه وسلم : " تنهد ملائكة الليل وملائكة النهار " على أن صلاة الصبح ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار . قلت : وعلى هذا فلا تكون صلاة العصر أيضا لا من صلاة الليل ولا من صلاة النهار ؟ فإن في الصحيح عن النبي القاصح عليه السلام فيما رواه أبو هريرة : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر " الحديث . ومعلوم أن صلاة العصر من النهار فكذلك تكون صلاة الفجر من الليل وليس كذلك ، وإنما هي من النهار كالعصر بدليل الصيام والأيمان ، وهذا واضح .

قوله تعالى : وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٦﴾  
فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( وَمِنَ اللَّيْلِ ) « من » تبيين . والفاء في قوله « فتَهَجَّدْ » تاسقة على مضمر ، أي قم تهجد . ( به ) أي بالقرآن . والتهجد من المجود وهو من الأضداد . يقال : هجد نام ، وهجد سهر ، على الضد . قال الشاعر :

ألا زارت وأهل بني محمود . ولَيْتَ خيالها بني محمود

أخسر :

ألا طرقتا والرفاق محمود . فباتت عِلَاتُ القِرَالِ محمود<sup>(١)</sup>

بني نيسابا . وهجد وتهجد بمعنى . وهجته أى أغتته ، وهجته أى أغطته . والتهجد التيقظ بعد رُقعة ، فصار اسما للصلاة ؛ لأنه يتبه لها . فالتهجد القيام إلى الصلاة من النوم . قال معناه الأسود وعقبة وعبد الرحمن بن الأسود وغيرهم . وروى إسماعيل بن إسحاق القنص من حديث المجاج بن عمر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أجبس أحدكم إذا قام من الليل لله أنه قد تهجد ! إنما التهجد الصلاة بعد رُقعة ثم الصلاة بعد رُقعة ثم الصلاة بعد رُقعة . كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : المجدود النوم . يقال : تهجد الرجل إذا سهر ، وأتى المجدود وهو النوم . ويسمى من قام إلى الصلاة متبهجا ؛ لأن المتبهجد هو الذى يكون المجدود الذى هو النوم عن نفسه . وهذا الفعل جار مجرى تحويه ومخرج وتأم وتحت وتقدر وتقبس ؛ إذا أتى ذلك عن نفسه . ومثله قوله تعالى : « فَظَلَّمْ تَمَكُّوهُمْ » معناه تسبون ؛ أى تطرحون الفكاهة عن أنفسهم ، وهى أتبساط الضمير وسرورها . يقال زجل غيكة إذا كان كثير السرور والضحك . والمعنى فى الآية : ووقتا من الليل أسهر به فى صلاة وقراءة .

الثانية - قوله تعالى : ( فَأَنظِرْ لَكَ ) أى كرامة لك ؛ فانه مقابل . واختف العلماء فى تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر دون أمته ؛ فقيل : كانت صلاة الليل فرضة عليه لقوله : « نافلة لك » أى فرضة زائدة على الفريضة المولفة على الأمة .

قلت : وفى هذا التأويل بُدِّ لوجهين : أحدهما - تسمية القرض بالفضل ، وذلك مجازا لا حقيقة . الثانى - قوله صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات فرضن الله على عباده » وقوله تعالى : « من خمس ومن يحسن لا يُبدِّلُ القولَ لى » وهذا نص ، فكيف يقال لقرض عليه صلاة زائدة على الخمسة ، هذا مالا يصح ؛ وإن كان قد روى عنه عليه السلام :

(١) قُتَّة (ما) . ناعلة . حر فية . (٢) أية ٦٥ سورة الواقعة .

٣٠ ثلاث من فريضة ولا متى طلوع قيام الليل والوتر والسواك ٣١ . وقيل : كانت صلاة الليل مخلوفاً منه وكانت في الابتداء واجبة على الكل ، ثم نسخ الوجوب . فصار قيام الليل طوعاً بعد فريضة ، كما قالت عائشة ، على ما يأتي ميّناً في سورة « المزمل » إن شاء الله تعالى .  
وعلى هذا يكون الأمر بالنفل على جهة التنبه ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه مشغور به . فهو إذا طُوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في التبرعات . وغير من الأمة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في الفرض ، قال معاذ مجاهد وغيره . وقيل : صحيحاً ، لأن السب لا يخل من السعادة صلاه أفضل من الترفيق في العبادة .

الثالثة - قوله تعالى : ( مَسَىٰ أَنْ يَمَسَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ) اختفت في المقام المصمود على أربعة أقوال :

الأول - وهو أصحها - الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تبع نبياً يقول : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعث الله المقام المصمود . وفي صحيح مسلم عن أنس قال حدثنا جد جدنا صلى الله عليه وسلم قال : ٣٢ إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لترتيبك فيقول لست لها ولكن عليكم إبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم موسى لأنه كلم الله فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم يحيى عليه السلام فإنه روح الله وكلته فيؤتى يحيى فيقول لست لها ولكن عليكم محمد صلى الله عليه وسلم فتؤتى فأقول أناها ٣٣ وذكر الحديث . وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « مَسَىٰ أَنْ يَمَسَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » سئل عنها قال : « هي الشفاعة » قال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) جثا (جمع جثة كقرفة ومثا) له جملات .

الرابعة - إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام، حتى يتبين الأمر إلى نيتنا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة لأهل الموقف ليحبل حسابهم ويترأسوا من هول موقفهم، وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم؛ ولأجل ذلك قال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر". قال القاضى: لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر، ابن عطية: والمشهور أنهما شفاعتان فقط: العامة، وشفاعة في إخراج المذنبين من النار. وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العالماء. وقال القاضى أبو الفضل عياض: شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات: العامة، والثانية في إدخال قوم الجنة دون حساب، الثالثة في قوم من موحدى أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله أن يشفع ويدخلون الجنة. وهذه الشفاعة هي التي أنكرها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، فمتنها على أصولهم القاسدة، وهي الاستحقاق العقل المبني على التحسين والتقصير. الرابعة فعن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين. الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترقيتها، وهذه لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول.

الخامسة - قال القاضى عياض: وعرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت لقول من قال: إنه يكره أن نسال الله أن يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها لا تكون إلا للذنبين، فإنها قد تكون كما قدّمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات. ثم كل عاقل معترف بالتقصير يحتاج إلى المغفر غير معتمد بعمله مشفق أن يكون من المالكين، ويلزم هذا العاقل ألا يدعوا بالمغفرة والرحمة؛ لأنها لأصحاب الذنوب أيضا، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. روى البخارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يسمع الدعاء اللهم رب هذه الذنوبة التامة والصلاة القائمة آت عبادي - صلى الله عليه وسلم - الوسيلة والفضيلة وأبنته مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة".

القول الثاني - أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة .

قلت : وهذا القول لا تنافر بينه وبين الأول ؛ فإنه يكون بيده لواء الحمد وينفع .  
 وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>٢٥</sup> « إذا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا نغرو بيدي لواء الحمد ولا نغروا من نبي يومئذ آدم لمن سواه إلا تحت لوائي » الحديث .

القول الثالث - ما حكاه الطبري عن فرقة ، منها مجاهد ، أنها قالت : المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى عبدا صلى الله عليه وسلم معه على كرسية ؛ وروى في ذلك حديثا .  
 وعقد الطبري جواز ذلك بسطيط من القول ؛ وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى ؛ وقوله بعد . ولا ينكر مع ذلك أن يروى ، والمسلم يتأمله . وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا منهم ، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا ، من أنكر جوازه صلى الله عليه . قال أبو عمر ومجاهد : وإن كان أحد الأئمة ينازل القرآن فإن له قولين مهيئين عند أهل العلم أحدهما هذا والثاني في تأويل قوله تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّخْضَرَةٌ » إلى ربها تأخرة <sup>(١)</sup> . قال : تنتظر الثواب ؛ ليس من النظر .

قلت : ذكر هذا في باب آية شهاب في حديث التبريل ، وروى عن مجاهد أيضا في هذه الآية قال : يجلس على العرش . وهذا تأويل غير مستحيل ؛ لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء كلها والعرش قائما بذاته ، ثم خلق الأشياء من غير حاجة إليها ، بل إظهارا لخصمه وحكمته ، ولإعريف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بكل أموره الحسنة ، وخلق لنفسه هراشا استوى عليه كما شاء من غير أن صار له عماما ، أو كان العرش له مكانا . قيل : هو الآن على الصفة التي كان عليها من قبل أن يخلق المكان والزمان ؛ فقل هذا القول صوله في الجوارف أقعد مجد على العرش أو على الأرض ؛ لأن استواء الله تعالى على العرش ليس بمعنى الاستئصال والزوال ونحو ذلك الأحوال من القيام والعمود والحال التي تسفل العرش ، بل هو سعي على حرفة

كما أخبر عن نفسه بلا كَيْفٍ . وليس إقامته عندا على العرش موجبا له صفة الرفيعة أو تحريجا له من خسفة العبودية ، بل هو رفع لمحلّه وتزويج له على خلقه . وأما قوله في الإخبار : « معهُ » فهو بمنزلة قوله : « إن الذين عند ربك » ، و« رب ابن لي عندك بيتا في الجنة » ، « وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » ونحو ذلك . كل ذلك عائد إلى الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة ، لا إلى المكان .

الرابع - إخراجا من النار بشفاعته من يخرج ، قاله حابر بن عبد الله . ذكره مسلم . وقد ذكرناه في (كتاب التذكرة) والله الموفق .

السادس - اختلف العلماء في كون القيام بالليل سببا للمقام المحمود على قولين ، أحدهما - أن الباري تعالى يجعل ما شاء من فضله سببا لفضله من غير معرفة بوجه الحكمة فيه ، أو بمعرفة وجه الحكمة ، الثاني - أن قيام الليل فيه الخلوة مع الباري والمناجاة دون الناس ، فأعطى الخلوة به ومناجاته في قيامه وهو المقام المحمود . ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم ، فأجلهم فيه درجة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه يعطى ما لا يعطى أحد ويشفع ما لا يشفع أحد . ثم « عسى » من الله عز وجل واجبة . و« مقاما » نصب على الظرف - أى في مقام أو إلى مقام . وذكر الطبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » . فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الإنسان للأشياء الجليلة كالمقامات بين يدي الملوك .

قوله تعالى ، وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ  
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَلْطَأً نَصِيرًا ﴿٥٧﴾

قيل : المعنى أمتي إمامة صدق ، وأمتي يوم القيامة مبعث صدق ، ليتصل بقوله : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » . كأنه لما وعده ذلك أمره أن يدعو ليتجزئه

الوعد . وقيل : ادخلني في الأمور وأخرجني من المنى . وقيل : علمه ما يدعو به في صلاته  
 وغيرها من إخراجها من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن ، فأخرجه من مكة وصيره إلى  
 المدينة . وهذا المبنى رواه الترمذي عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة  
 ثم أمر بالمهجرة فقلت « وقيل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي  
 من لدنك سلطانا نصيرا » قال : هذا حديث حسن صحيح . وقال الضحاك : هو تروجه  
 من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آتيا . أبو سهل : حين رجع من تبوك وقد قال المناقبون :  
 « يُفَرِّجَنَّ الْأَعْيُنُ نَظْرًا الْأَذَلَّ » يعني إدخاله عن وإخراج نصر إلى مكة . وقيل : المعنى  
 ادخلني في الأمر الذي أكرهني به من التوبة مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق إذا أمتني ؛  
 قال معناه مجاهد . وللدخول والمخرج ( يضم الميم ) بمعنى الإدخال والإخراج ؛ كقوله : « أُنْزِلَ  
 مُتَوَلَّيَا بَارِكَا » أي إزالا لا أرى فيه ما أكره . وهي قراءة العامة . وقرأ الحسن وأبو العالية  
 ونصر بن عاصم « قَدْخَلْ » و « مَخْرَج » بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج ؛ فالأول  
 رباعي وهذا ثلاثي . وقال ابن عباس : ادخلني القبر مدخل صدق عند الموت وأخرجني  
 مخرج صدق عند البعث . وقيل : ادخلني حيثما ادخلني بالصدق وأخرجني بالصدق ؛ أي  
 لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه ؛ فإن ذا الوجهين لا يكون وجهها عندك . وقيل :  
 الآية لغة في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال ، ويخطر من تصرف  
 المقادير في الموت والحياة . فهي دعاء ، ومعناه : رب أصلح لي وردي في كل الأمور وصديري .  
 وقوله : ( واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ) قال الشعبي وعكرمة : أي حجة ثابتة . وهذه  
 الحسن إلى أنه العز والنصر وإظهار دينه على الدين كله . قال : فوعده الله كثير من ملك فارس  
 والروم وغيرها فيجعل له .

قوله تعالى : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ

كَانَ زَهُوقًا ﴿٤١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأول - روى البخاري والترمذي عن ابن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة ثمانية وستون نَضْبًا ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بخصره في يده - وربما قال بسود - ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " . جاء الحق وما يبدي الباطل وما يبدي " لفظ الترمذي . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وكذا في حديث مسلم " نَضْبًا " . وفي رواية صفاء . قال ملائكة : إنما كانت بهذا العدد لأنهم كانوا يعظمون في يوم صفاء ويخصون أعظمها بيومين . وقوله : " فجعل يطعنها بسود في يده " يقال : إنما كانت مثبته بالرصاص . وأنه كما طعن منها صفاء في وجهه تزعزعه ، أو في فقهه تزلزل وجهه . وكان يقول : " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " حكاه أبو عمر والقاضي مياض . وقال القشيري : فما بقي منها صنم إلا تزعزعه وجهه ، ثم أفسد بها فكسرت .

الثانية - في هذه الآية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الأوثان إذا غلب عليهم ، ويدخل بالمعنى كسر آله الباطل كله ، وما لا يصلح إلا لمصية الله كالطناير والديدان والمزامير التي لا معنى لها إلا الله بها عن ذكر الله تعالى . قال ابن المنذر : وفي معنى الأصنام الصور المتخذة من القدر والخشب وشبهها ، وكل ما يتخذ الناس مما لا منفعة فيه إلا الله المنهى عنه . ولا يجوز بيع شيء منه إلا الأصنام التي تكون من النحاس والفضة والحديد والرصاص ، إذا قُوتت عما هي عليه وصارت تُقرأ أو تقطع فيجوز بيعها والشراء بها . قال الملقب : وما كسر من آلات الباطل وكان في حياها بعد كسرها منفعة فصاحبها أولى بها مكسورة ؛ إلا أن يرى الإمام حرقها بالنار على معنى التشديد والتقوية في المال . وقد تقدم حرق ابن عمر رضي الله عنه . وقد دم النبي صلى الله عليه وسلم بخريق دور من تخلف عن صلاة الجماعة . وهذا أصل في التقوية في المال مع قوله عليه السلام في الناقة التي لمتها صاحبها :

(د) هفوة ، كسيرة .



”دعواها فانها ملعونة“ فزال ملكها عنها تاديبا لصاحبها ، وعقوبة لما فيا دعت عليه  
 فيما دعت به . وقد أراق عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبتا شيب بقاء على صاحبه .

الثالثة - ما ذكرنا من تفسير الآية ينظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : ” والله لبتان  
 يصعب بن مریم حکما عادلا فليكثر العليل وليقتل الخنزير وليضع الخنزير<sup>(١)</sup> ولتترك القلاص  
 فلا يسمى عليها “ الحديث . نحره الصحيحان . ومن هذا الباب تلك النبي صلى الله عليه وسلم  
 السر الذي فيه الصور ، وذلك أيضا دليل على إفساد الصور وآلات الملاهي كما ذكرنا . وهذا  
 كله يحظر المنع من اتخاذها ويوجب التغير على صاحبها . إن أصحاب هذه الصور يمدحون  
 يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم ؛ وحسبك ! وسأني هذا المني في « النمل » إن  
 شاء الله تعالى .

قوله تعالى : ( وَقُلْ بَاءَ الْحَقِّ ) أي الإسلام : وقيل : القرآن ؛ قاله مجاهد . وقيل :  
 الجهاد . ( وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ) قيل : الشرك . وقيل : الشيطان ؛ قاله مجاهد . والصواب تعميم  
 اللفظ بالناية الممكنة ، فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه . « زهق الباطل » :  
 يعلل الباطل . ومن هنا زهق النفس وهو بطلانها . يقال زهقت نفسه زهوقا ،  
 وازهقتها . ( إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) أي لا بقاء له ، والحق الذي يثبت .

قوله تعالى : وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ  
 وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٧﴾

في سبع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَنَزَّلَ ) قرأ الجمهور بالنون . وقرأ مجاهد : « وَنَزَّلَ » بالياء  
 تنقيطاً ، ورواه المروزي عن حفص . و« من » لا ابتداء الناية ، ويصح أن تكون لبيان  
 الجنس ، كأنه قال : ونزل ما فيه شفاء من القرآن . وفي الخبر ” من لم يستشف بالقرآن

(١) الملاهي (بكر الثلاث جمع القمار) وهي آلات التسلية .

فلا شفاء الله . و أنكر بعض المتأولين أن تكون « من » للتبويض ؛ لأنه يحفظ من أن يلزمه أن يشفه لا شفاء فيه . ابن عطية : وليس يلزمه هذا ؛ بل يصح أن تكون للتبويض بحسب أن إزالته إنما هو مبعض ؛ فكانه قال : وتزل من القرآن شيئا شفاء ؛ ما فيه كله شفاء .

الثانية - اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين : أحدهما - أنه شفاء للقلوب بزوال الجهول عنها وإزالة الريب ، وكشف غطاء القلب من مرض الجهول لقهم المعجزات والأموال الدالة على الله تعالى . الثاني - شفاء من الأمراض الظاهرة بالرق والتعوذ ونحوه . وقد روى الأئمة - واللفظ للدارقطني - عن أبي سعيد الخدري قال : بشنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرة ثلاثين راجعا قال : فزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا ؛ قال : فبلغ سيد الحمي ؛ فاتونا فقالوا : فيكم أحد يرقى من المغرب ؟ في رواية ابن قسمة : إن الملك يموت . قال : قلت أنا نعم ، ولكن لا أفعل حتى تصطونا - فقالوا : فإنا نعطيكم ثلاثين شاة . قال : فقرأت عليه « الحمد لله رب العالمين » سبع مرات فبأ . في رواية سليمان بن عمن عن أبي سعيد : فأتانا بالزبل وبعث إلينا بالشاء فاكلنا الطعام أنا وأصحابي وأبوا أن يأكلوا من اللحم ، حتى أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر فقال : « وما يدريك أنها رقية » قلت : يا رسول الله ، شيء أتى في روعي . قال : « كلوا وأطعموا من اللحم » بخرجه في كتاب السنن . وخرج في ( كتاب المديح ) من حديث البرقي بن يحيى قال : حدثني المتمر بن سليمان عن ليث بن أبي سليم عن الحسن عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينفع باذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسَّل والحمى والنفس أن تكتب بزعفران أو يمشق - يعني المثرة - أحدهم بكلمات الله التامة وأسمائه كلها عامة من شر السامة والسامة ومن شر العين والآفة ومن شر حاسد إذا حسد ومن أبي قزوة وما ولد » . كذا قال ، ولم يقل من شر أبي قزوة <sup>(١)</sup> . <sup>(٢)</sup> العين والآفة : التي تصيب بسوء . تقول : أعينه من كل حافة لامة . وأما قوله ،

(١) في بعض الأصول : « القحج » ولم يرق نسويه .

(٢) أمير ثرة ( يسكر ثقاته ويكون قاذ ) وكذا نفس .

أمره من حادثات الله فيقول : هو الدهر ، ويقال الشدة . والساعة : الساعة  
يقال : كيف الساعة والعامة . والساعة اللحم . ومن أبي قزوة وما ولد . وقال : ثلاثة وثلاثون  
من الملائكة أتوا ربهم من وجن فقالوا : وصَبَّ بأرضنا . فقال : خذوا تربة من أرضكم  
فأمسحوا نواصيكم . أو قال : نوصيكم رقية محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلع من كمها أبدا  
وأخذ عليها صفدا<sup>(١)</sup> . ثم تكتب فاتحة الكتاب وأربع آيات من أول البقرة ، والآية التي فيها  
تصرف الرياح وآية الكرسي والآيتين اللتين بعدها ، وخواتم سورة البقرة من موضع « فَرَّ  
مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ » إلى آخرها ، وعشرا من أول « آل عمران » وعشرا من  
آخرها ، وأول آية من النساء ، وأول آية من المائدة ، وأول آية من الأنعام ، وأول آية من  
الأعراف ، والآية التي في الأعراف « إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » حتى  
تَهْمُ الآية ، والآية التي في « يوسف » من موضع « قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُ بِهَ السَّحَرِ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » ، والآية التي في طه « وَأَنِّي مَافِي بَيْتِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا  
وَأَمَّا صَنَعُوا كَيْدَ سَاطِرٍ وَلَا يَهْلِكُ السَّاطِرُ حَيْثُ أَتَى » ، وعشرا من أول الصافات ، وقل هو  
الله أحد . والمردتين . تكتب في إزاء نظيف ثم تفصل ثلاث مرات بماء نظيف ثم يحرر  
منه الرجوع ثلاث حركات ثم يتوضأ منه كوضوئه للصلاة ويتوضأ قبل وضوئه للصلاة حتى  
يكون على ظهر قبل أن يتوضأ به ثم يصب على رأسه وصدره وظهوره ولا يستنجي به ثم يصل  
وكتبت ثم يستشفى الله من وجع ، يفعل ذلك ثلاثة أيام ، قدر ما يكتب في كل يوم كتابا .  
في رواية : ومن شر أبي قزرة وما ولد . وقال : « فأمسحوا نواصيكم » ولم يشك . وروى  
البخاري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَنْفُثُ بِلِغْزِهِ في المرض الذي مات  
فيه بالمعونات فلما هل كنت أَنتُ عليه بن وأمسح بيد نفيه لبركتها . فسألت الزمري  
كيف كان ينفث ؟ قال : كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه . وروى مالك عن  
ابن نهبان عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشكى قرأ على نفسه

(١) ١١ ١٢

(٢) ١١ ١٢

(٣) ١١ ١٢

(٤) الشدة ، الدهر .

(٥) السائل حرره من الرجم والله المصير .

المؤذنين وتَمَلَّ أو تَمَثَّل . قال أبو بكر بن الأثير : قال اللغويون بتفسير « تَمَثَّل » نَفَث « نَفَث » نَفَثًا ليس معه رِق ، ومعنى « تَمَلَّ » نَفَثَ نَفَثًا معه رِق . قال الشاعر :

فَإِنْ يَرَى ظِمَامًا نَفَثَ عَلَيْهِ • وَإِنْ يُفْقِدُ غَسَقًا لَهُ الْفُقُودُ

وقال ذو الرمة :

وَمِنْ جَوَفِ مَاءٍ مَرَضَ الْحَوْلِ قَبُوحَةٌ • مَتَى يَحْسُنْ عَنْهُ مَا بَعَثَ الْقَوْمُ يَتَقَلَّلُ

أراد ينفع برقي . وسيأتي ما للعلماء في التثنية في سورة الفلق إن شاء الله تعالى .

الثالثة - روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرُقَى إلا بالمعوذات . قال الطبري : وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين ، إذ في نقله من لا يعرف . ولو كان صحيحا لكان إما غلطاً وإما منسوخاً ، لقوله عليه السلام في القامحة « ما أدراك أنها رُقِيَّة » . وإذا جاز الرق بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن كانت الرقية بسائر القرآن مثلها في الجواز إذ كل قرآن . وروى عنه عليه السلام أنه قال : « شفاء أمتي في ثلاث آية من كتاب الله أولها قل أعوذ برب الفلق ، وثانيها قل أعوذ برب الأعراس ، وثالثها قل أعوذ برب الناس » . وقال رجاء بن حيوة : ومن لم يستشف بالقرآن فلا شفاؤه .

الرابعة - وأختلف العلماء في النشرة ، وهي أن يكتب شيئا من أسماء الله أو من القرآن ثم يمسح به باليد ثم يمسح به المريض أو يمسح به ، فأجازها سعيد بن المسيب . قيل له : الرجل يؤخذ من أمر أنه يحل عنه ويُنْفَر ؟ قال : لا بأس به ، وما ينفع لم يُنْه عنه . ولم ير مجاهد أن يكتب آيات من القرآن ثم تمسح به ، صاحب الفزع . وكانت عائشة تقرأ بالمعوذتين في إناء ثم تأمر أن يُصَبَّ على المريض . وقال الحارثي أبو عبد الله : النشرة أمر معروف عند أهل التزيم ، وتُسمَّى بذلك لأنها تَشِيرُ من صاحبها أي تَحُلُّ . ومنعها الحسن وإبراهيم النخعي ، قال النخعي : أخاف أن يصيبه بلاء ، وكأنه ذهب إلى أنه ما يحيى به القرآن فهو

(١٩) السجدة : قاله علي بن أبي حمزة ، وهو الرقى والفق والعليق . والماء (الحسن) : الذي يخل بالزبد المذوق . وقاله (الحسن) : ما فيه عسل العسل .

إلى أن يقبض بلاء أقرب منه إلى أن يفيد شفاء . وقال الحسن : سألت أنسا قال :  
 ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها من الشيطان . وقد روى أبو داود من حديث جابر  
 ابن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال : « من عمل الشيطان » .  
 قال ابن عبد البر . وهذه آثار لينة ولها وجوه مختلفة ، وقد قيل : إن هذا محمول على ما إذا  
 كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، ومن المداواة للعروقة . والنشرة  
 من جلس الطب نهى شاة شيء له فضل ، فهو كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
 وقال صلى الله عليه وسلم : « لا بأس بالرق ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منك أن يتبع  
 أخاه فيفضل » .

قلت : قد ذكرنا النص في النشرة صرورها وأن ذلك لا يكون إلا من كتاب الله فيعتمد عليه .  
 الخامسة - قال مالك : لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عز وجل على  
 أعتاق المرضى على وجه البركة بما إذا لم يُرد معلقها بتعليقها مدافعة العين . وهذا معناه قبل  
 أن يتربل به شيء من العين . وعلى هذا القول جماعة أهل العلم ، لا يجوز عندكم أن يعلق على  
 الصحيح من البهائم أو بني آدم شيء من العلائق خوف نزول العين ، وكل ما يعلق بعد نزول  
 البلاء من أسماء الله عز وجل وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله تعالى ، فهو كالرق للمباح الذي  
 وردت السنة بإباحته من العين وغيره . وقد روى عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : « إذا فزع أحدكم في يومه قليل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء  
 عقابه ومن شر الشياطين وأن يحضرون » . وكان عبد الله يعدّ بأوليه من أدرك منهم ، ومن  
 لم يدرك كتبها وعلقها عليه . فإن قيل : فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 « من حلق شيئا وكل إليه » . ورأى ابن مسعود على أم ولده تيمية مربوطة بقبضتها جيذا  
 شديدا فقطعها وقال : إن آل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك ، ثم قال : إن النائم والرق والتوتة  
 من الشرك . قيل : ما التوتة ؟ قال : ما تحببت به لزوجها . وروى من عقبة بن طاهر  
 الجعفي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حلق تيمية فلا إثم الله له

ومن حلق وقعة فلا ودع الله قبا. قال الخليل بن أحمد : القيمة ثلاثة فيها مودة، والودعة نحرز. وقال أبو عمر: القيمة في كلام العرب القلادة، ومنها عند أهل العلم ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها أن تنزل أو لا تنزل قبل أن تنزل . فلا أنتم الله عليه صحتة وعاقبته، ومن تعلق وكمة - وهي مثلها في المعنى - فلا ودع الله له ؛ أي فلا يارك الله له ما هو فيه من العافية . والله أعلم . وهذا كله تحذير عما كان أهل الحاشية يصنعونه من تعليق التمام والقلائد، ويظنون أنها تحميم وتصريف منهم البلاء، وذلك لا يصرفه إلا الله عز وجل، وهو العاق والمبطل، لا شريك له . فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم . وعن عائشة قالت : ما تعلق بعد زول البلاء فليس من التمام . وقد ذكره بعض أهل العلم تعليق القيمة على كل حال قبل زول البلاء وبعده . والقول الأول أصح في الأمر والنظر إن شاء الله تعالى . وما روى عن ابن مسعود يجوز أن يري بما ذكره تعليق غير القرآن أشياء مأخوذة من المرافين والكهان؛ إذ الاستشفاء بالقرآن ممثقا وغير ممثقا لا يكون شركا، وقوله عليه السلام : " من علق شيئا وكل إليه " لمن علق القرآن يبنى أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن . ويميل ابن السبب من التوبيذ أعلق ؟ قال : إنما كان في قصبة أو رقعة يميز فلا بأس به . وهذا على أن المكتوب قرآن . ومن الضحاك أنه لم يكن يرى بأسا أن يعلق الرجل الشيء من كتاب الله إذا وضعه عند الجماع وعند القاطع . وروى أبو جعفر محمد بن علي في التبريد يعلق على الصبيان . وكان ابن سيرين لا يرى بأسا بالشيء من القرآن يلقه الإنسان .

السادسة - قوله تعالى : ( وَحِجَّةٌ لِلنَّاسِ ) مخرج الكروب وتطهير المبروب وتكفير الذنوب مع ما تقدم به تعالى من التواب في تلاوته؛ كما روى الترمذي عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثال لا أنقول الله حرفه على إنش حرف ولا م حرف وسيم حرف " . قال هذا عليه حسن صحيح غريب . وقد تهمم . ( وَلَا يَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ) لتكذيبهم . قال

تجادة : « ما جالس أحد القرآن إلا قام عنه زيادة أو نقصان » ثم قرأ : « وَتَرَىٰ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ  
بِنَفْسٍ وَرَحْمَةٍ لِّلرَّسُولِ » الآية . وتظهر هذه الآية قوله : « قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هَدَىٰ وَغَفَا  
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آثَانِهِمْ وَقَسَرُوا هُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ » . وقيل : شفاء في الفرائض والأموال .  
لما فيه من البيان .

قوله تعالى : « وَإِذَا آمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ »  
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : « وَإِذَا آمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ » أي هؤلاء الذين يزيدهم  
القرآن خساراً ففهم الإعراض عن تدبر آيات الله والكفران لنعمه . وقيل : نزلت في الوليد  
ابن المغيرة . ومعنى « نأى بجانبه » أي تكبر وتباعد . وناء مقلوب منه ؛ والمعنى : بُدِّعَ عن القيام  
بحقوق الله عز وجل ؛ يقال : نأى الشيء أي بعد . ونأيته ونأيت عنه بمعنى : أي بدلت .  
وأنأيته فأنأى ؛ أي أبعدته فبُعد . وتساموا تسامعوا . والمثنأى : للوضع الجيد .  
قال التابعه :

فإنك كالبلبل الذي . هو مُبْدِرُكَ . « وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمَتَىٰ هُنَاكَ وَاسِعٌ  
وَقَرَأَ ابْنُ طاهرٍ رواية ابن ذكوان : « ناء » مثل باع ، المزمرة مؤخرة ، وهو على طريقة  
القلب من نأى ؛ كما يقال : راء ورأى . وقيل : هو من التواء وهو التهوؤ والقيام . وقد يقال  
أيضاً الوقوع والجلوس تواء ؛ وهو من الأضداد . وقرئ : وثى « بفتح التاء وكسر الميم »  
والعامة « نأى » في وزن راء . « وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا » أي إذا ناله شدة من قهر  
أو سقم أو يؤس بس وقط ؛ لأنه لا يبقى بخض الله تعالى .

قوله تعالى : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ » فَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ  
هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

(١) آية ٨٨ سورة نمل .

قوله تعالى : ( قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ ) قال ابن عباس : ناحيته . وقوله  
 التَّصَالُك . جماد . طبعته . وعنه : حديثه . ابن زيد : على قيته . الحسن وقادة : يته .  
 مقاتل : يجلته . الفراء : على طريقته ومنهجه الذي جُبلَ عليه . وقيل : قل كل يعمل على  
 ما هو أشكل عنده وأولى بالصواب في اعتقاده . وقيل : هو مأخوذ من الشكل ؛ يقال :  
 لست على شكلي ولا شاكلي . قال الشاعر :

كل أمرئ يشبه فعله • ما يعمل المرء هو أهله

فالشكل هو المثل والنظير والعرب . كقوله تعالى : « وَأَتَرَيْنَ شَكْلَهُ أَزْوَاجٌ » .  
 والشكل ( بكسر الشين ) : الهيئة . يقال : جارية حسنة الشكل . وهذه الأقوال كلها  
 متفاربة . والمعنى : إن كل أحد يعمل على ما يشاء كل أصله وأخلاقه التي ألهاها ، وهذا ذم  
 للكافر ومدح للمؤمن . والآية والتي قبلها : زنا في الوليد بن المنيرة ؛ ذكره المهدوي . ( فَرَبِّكُمْ  
 أَمَلٌ مِّنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ) أي بالمؤمن والكافر وما سيحصل من كل واحد منهم . وقيل :  
 « أهدى سبيلا » أي أسرع قبولا . وقيل : أحسن ديناً . وحكى أن الصحابة رضوان الله  
 عليهم ثنا كروا القرآن فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : قرأت القرآن من أوله إلى آخره  
 فلم أرفه آية أربى وأحسن من قوله تبارك وتعالى : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِيهِ » فإنه لا يشاء كل  
 بالبد إلا العصيان ولا يشاء كل بالرب إلا الفجران . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :  
 قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أرفه آية أربى وأحسن من قوله تعالى : « بِسْمِ اللَّهِ  
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . حم . تحريل الكتيب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد  
 العقاب ذي الطول » قدم غفران الذنوب على قبول التوبة ، وق هذا إشارة للمؤمنين . وقال عثمان  
 ابن عفان رضي الله عنه : قرأت جميع القرآن من أوله إلى آخره فلم أرفه آية أحسن وأرعى من  
 قوله تعالى : « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .



قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأجس من قوله تعالى : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

قلت : وقرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأجس من قوله تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَعِينُونَ » .

قوله تعالى : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧٠﴾

روى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله قال : سئل لما مع النبي صلى الله عليه وسلم في حُرَّتٍ وهو متكئ على صيْبٍ إذ مرَّ اليهود فقال بعضهم لبعضه صلوه عن الروح . فقالوا : ما رأيكم إليه ؟ وقال بعضهم : لا يستبلكم بشيء تكرهونه . فقالوا : سلوه . فسأله عن الروح فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه ، فقلت حظاي ، فلما نزل الوحي قال : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » لفظ البخاري . وفي مسلم : فأسكت النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه : وما أوتينا . وقد اختلف الناس في الروح المسئول عنه أي الروح هو ؟ فقيل : هو جبريل ، قاله قتادة . قال : وكان ابن عباس يكتمه . وقيل هو عيسى . وقيل القرآن . على ما يلقى نبياته في آخر الشورى . وقال علي بن أبي طالب : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، في كل وجه سبعون ألف لسان ، في كل لسان سبعون ألف لغة ، يسبح الله تعالى بكل ذلك للتعظيم . يخاف الله تعالى من كل تسبيحة ملكا بطيخ مع الملائكة إلى يوم القيامة . ذكره الطبري . قال ابن عطية : وما أظن القول يصح عن علي رضي الله عنه .

قلت : أسند البيهقي أخيراً أبو زكريا عن أبي إسحاق أخيراً أبو الحسن الطراقي حديثاً حثيثاً بن سعيد حديثاً عبد الله بن صالح عن مجازية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (١) آية ٥٣ سورة الزمر . (٢) آية ٥٢ سورة الأنعام . (٣) أي ما دعاكم إلى سؤال

نفسون ما به بأن يستبلكم بشيء تكرهونه .

عباس في قوله : « ويسئلوك عن الروح » يقول : الروح ملك . وبإسناده عن معاوية بن صالح خطبني أبو هريرة ( بكسر الهاء ) يزيد بن سبرة عن حمزة عن علي بن أبي طالب أنه قال في قوله تعالى : « ويسئلوك عن الروح » قال : هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه . الحديث بلفظه وسناده . وروى عطاء عن ابن عباس قال : الروح ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه ، يسبح الله إلى يوم القيامة ، ذكره النحاس . وعنه : جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام ، ذكره القزويني . وقال الخطابي : وقال بعضهم ، هو ملك من الملائكة بصفة وضعوها من عظم الخلقة . وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سالوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد . وقال أهل النظر منهم : إنما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان ، وكيف استراحه بالجسم وأتصال الحياة به ، وهذا شيء لا يسلمه إلا الله عز وجل . وقال أبو صالح : الروح خلق تكلم بن آدم وليسوا بنبي آدم ، لم أيد وأرجل . والصحيح الإيهام لقوله : « قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » ... أي هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى ، مبني له وتاركاً تفصيله ، ليعرف الإنسان على التقطع عجزه من علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها . وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بجذوه من إدراك حقيقة الحق أولى . وحكمة ذلك تمييز العقل عن إدراك معرفة مخلوق بمجاور له ، دلالة على أنه من إدراك خالقه أعجز .

قوله تعالى : ( وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا قَلِيلًا ) اختلف فيمن حُوطب بذلك ، فقالت فرقة : السائلون فقط . وقال قوم : المراد اليهود بمجتهم . وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود « وما أوتوا » ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقالت فرقة : المراد العالم كله . وهو الصحيح ، وعليه قراءة الجمهور « وما أوتيتهم » . وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف لم تُؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتيتنا التوراة وهي الحكمة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ؟ فأرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الله ففعلوا . وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض الأحاديث ، « كَلَّا » ، يعني أن المراد بـ « ما أوتيتهم » جميع (١) مكان هذه الألفاظ جميع نسخ الأمل : « دليل على خلق الله » . ولم تزل الآية في سياق الكلام متى .

العالم . وذلك ان يهود قالت له : نحن عتيت أم قومك . فقال : «كَلَّا» . وفي هذا المعنى  
 نزلت «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ» . حكى ذلك الطبري رحمه الله ! وقد قيل :  
 إن السائلين عن الروح هم قريش ، قالت لهم اليهود : سلوه عن أصحاب الكهف وعمر  
 ذى القرنين وعن الروح فإن أخبركم عن آيتين وأمسك عن واحدة فهو نبي ، فأخبرهم بر  
 أصحاب الكهف وسبر ذى القرنين على ما يأتي . وقال في الروح : «قل الروح من أمر ربي»  
 أى من الأمر الذى لا يعلمه إلا الله . ذكره المهدوى وغيره من المفسرين عن ابن عباس .  
 قوله تعالى : وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ  
 لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ  
 كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

قوله تعالى : ( وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ) ببنى القرآن . أى كما قدرنا على  
 إزالته نقدر على إنحائه حتى ينساه الخلق . ويتصل هذا بقوله : « وما أوتيتهم من العلم إلا قليلًا »  
 أى ولو شئت أن أذهب بذلك القليل لقدرت عليه . ( ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا )  
 أى ناصرا يردّه عليك . ( إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ) ببنى لكن لا تشاء ذلك رحمة من ربك ،  
 فهو استثناء ليس من الأول . وقيل : إلا أن يرحمك ربك فلا ينهب به . ( إِنَّ فَضْلَهُ  
 كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ) إذ جعلك سيد ولد آدم ، وأعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز .  
 وقال عبد الله بن مسعود : أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخرها تفقدون الصلاة ،  
 وإن هذا القرآن كأنه قد نُزع منكم ، تصيحون يوما وما معكم منه شيء . فقال رجل : كيف  
 يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن ! وقد ثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا ، تعلمه أبناءنا ويعلمه  
 أبناؤنا أبتاهم إلى يوم القيامة ! قال : يسرى به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وما في القلوب ،  
 فتصبح الناس كالبهائم . ثم قرأ عبد الله « وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » الآية .  
 أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة بمناه قال : أخبرنا أبو الأخوص عن عبد العزيز بن رفيع عن

ثُمَّ قَالَ بَنِيَّ قَالَ قَالَ هَبْ لَكَ - بَنِيَّ ابْنُ مَسْعُودٍ - : إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي مِنْ أَمْرِكُمْ  
يُوشِكُ أَنْ يُرْسَخَ مِنْكُمْ . قَالَ : قُلْتُ كَيْفَ يَرْسَخُ مِنْكُمْ وَقَدْ آتَيْتَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا وَشِيقَانِهِ فِي مَصَاحِفِنَا !  
قَالَ : يُرْسَخُ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَتَرَعَّ مَا فِي الْقُلُوبِ وَيَذْهَبُ مَا فِي الْمَصَاحِفِ وَيَصْبِحُ النَّاسُ  
مِنْهُ قَفَرَاءَ . ثُمَّ قَرَأَ : وَلَقَدْ آتَيْنَا لَنْهَدِّينَ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ . وَعَنْ ابْنِ  
عُمَرَ : لَا يَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْجِعَ الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ نَزَلَ ، لَهُ دَوَى كَدَوَى النَّمْلِ ، يَقُولُ اللَّهُ  
مَا بِكَ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ مَنْكَ نَحْرَجَتْ . وَإِلَيْكَ أَعُودُ ، أَتَى فَلَا يَعْمَلُ بِي ، أَتَى وَلَا يَعْمَلُ بِي .  
قُلْتُ : قَدْ جَاءَ مَعْنَى هَذَا مِنْ رُفُوعَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَحَدِيثَةٍ .  
قَالَ حَدِيثَةٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشَى النَّوْبُ  
حَتَّى لَا يَدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نَسْكٌ وَلَا صَدَقَةٌ فَيَسْرِى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي لَيْلَةٍ  
فَلَا يَبْقَى مِنْهُ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَالْمَجُوزَ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آيَاتِنَا  
حَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نَسْكٌ وَلَا صَدَقَةٌ “ .  
قَالَ لَهُ صَلَاةٌ : مَا قَتْنَى عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نَسْكٌ  
وَلَا صَدَقَةٌ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَدِيثَةٌ ، ثُمَّ رَدَّهَا ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يُرِضُ عَنْهُ حَدِيثَةٌ . ثُمَّ أَقْبَلَ  
عَلَيْهِ حَدِيثَةٌ فَقَالَ : يَا صَلَاةُ ! تَحْبِيهِمْ مِنَ النَّارِ ، ثَلَاثًا . نَحْرَجُهُ ابْنَ مَاجَةَ فِي السَّنَنِ . وَقَالَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : نَحْرَجُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ مِنْ وَجَعِ فَضْحِكَ ،  
فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ فَحَمْدُ اللَّهِ وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : ” أَيُّهَا النَّاسُ مَا هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي تَكْتُبُونَ أَكْتُابَ  
ضَرْبِ كِتَابِ اللَّهِ يُوْشِكُ أَنْ يَمْضِبَ إِلَيْهِ لِكِتَابِهِ فَلَا يَدْعُ وَرَقًا وَلَا قَلَمًا إِلَّا أَخَذَ مِنْهُ “ قَالُوا :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : ” مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَتَى فِي قَلْبِهِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ “ ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْفَرَنِّيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي التَّفْسِيرِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ  
هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

(١) جو صلة بن زفر البهي ، أحد رجاله سنة الحديث .

أى عربنا ونضياء مثل ما يتناول الشراء على بيت شرقيهم . نزلت حين قال الكفار :  
لو نشاء لئننا مثل هذا فأكفهم الله تعالى . وقد مضى القول في إجماع القرآن في أول الكتاب  
والحمد لله . و (لَا يَأْتُونَ) جواب القسم في «هأن» وقد يجوز على إرادة الشرط . قال الشاعر  
لئن كان ما حدثني اليوم صادقا . أقم في نهار القيط الشمس ياديا<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى : وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ  
فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝

قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) أى وجه القول  
فيه بكل مثل يجب به الاحتمار من الآيات والبر والترغيب والترهيب ، والأوامر والنواهي  
وأقاصيص الأنبياء ، والجنّة والنار والقيامة . (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) يريد أهل  
سكة ، من لم الحق ونصح لهم وأهلهم حتى تبين لهم أنه الحق ، فأبوا إلا الكفر وقت تبين  
الحق . قال المهدوي : ولا حجة للقدري في قولهم : لا يقال أبى إلا لمن أبى فعل ما هو قادر  
عليه ، لأن الكافر وإن كان غير قادر على الإيمان بحكم الله عليه بالإعراض عنه وطبعه على  
قلبه ، فقد كان قادرا وقت الفسحة والمهلة على طلب الحق وتبينه من الباطل .

قوله تعالى : وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْعَلَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ  
يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ حُلُلًا  
تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ  
وَأَمَلِنَاكِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُنُوفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ  
وَلَنْ نُّؤْمِنَ إِلَّا بِرَبِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَأُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي  
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝

(١) رواية خاتمة الأدب في اللغة والاصطلاح

(١) جامع ١ ص ٦٩ طبع ثانية أو ٢٠٢٠ .  
بعد صلاة : «أسم في نهالهم ...» الخ .

قوله تعالى : ( وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) الآية نزلت في رؤساء قريش مثل حنيفة وشيبة ابني ربيعة ، وأبي سفيان والنضر بن الحارث ، وأبي جهم وجهد الله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف وأبي البختري ، والوليد بن المغيرة وغيرهم . وذلك أنهم لما تجزوا عن معارضة الفرق ولم يرضوا به معجزة ، اجتمعوا - فيما ذكر ابن إسحاق وغيره - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : اجئوا إلى عهد - صلى الله عليه وسلم - فكلوه وخامضوه حتى تُنْزِلُوا فيه ، فبئنا إليه أن أشرف قومك لقد اجتمعوا إليك ليكلوك فآتهم ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن أن قد بدأ لهم فيما كلمهم فيه بئس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا يحب رشدكم ويميز عليه عتقهم ، حتى جلس إليهم فقالوا له : يا عهد ! إنا قد بشنا إليك لنكلك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شمت الآباء وعبت الدين وشمت الأمة وسفقت الأحلام وفزقت الجماعة ، فما نبي أمر فيح إلا قد جنته فيما بيننا وبينك ، أو كما قالوا له . فإن كنت إنما جنت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتينا ربيأ تراه قد ظلم عليك - وكانوا يستنون التابع من الجن ربيأ - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطلب لك حتى نُزِيلَ منك أو نُعَذِّبَ بك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مأثور من ما جنت بما جنتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله يشي إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبئسكم رسالات ربي ونصحت لكم لأن تعجلوا بي ما جنتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردده على أصدري لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قالوا : يا عهد ، فإن كنت خير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بها ولا أقل ماء ولا أشد جشعا ، فسل لنا ربك الذي يملك بما يملك به ، فليسير

ما هذه الجبال التي قد خفيت عليك ولتسط لنا بلادنا وليفترق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام  
 وليست لنا من مضي من أنهارا، ولكن نحن نحيث لنا أنهارا من كلاب، فإنه كان شيخا صديق  
 لآلهم عاصول، لم يزل يمشي على أطرافهم فأن صدقوك وصحت ما سألتك صدقناك، وعرفنا به  
 من لغة نمل، وأنه بعث رسولاً كما تقول . فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه : " ما هذا  
 بُعث إليكم إنما جئكم من الله تعالى بما بعثني به وقد بعثكم ما أرسلت به إليكم فإن قبلوه  
 فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن زودوه من أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم " . قالوا :  
 فإن لم نعمل هكذا اتخذنا منك سلفاً وإن بعث منك ملكاً يصدقك بما تقول وإرجعنا  
 منك ، وأسأله فليجعل لك جناحاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب ونضة يبتاع بها عما نرك تجتني،  
 فإنك تنصرون بالأسواق وتتمس المعاش كما تتمسه ، حتى تفرق فضلك ومثلك من ربك  
 إن كنت رسولاً كما تزعم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أنا بفاعل وما أنا  
 بالذي يسأل ربه هذا وما بعث بيئنا إليكم ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً - أو كما قال -  
 لأن تجلوا حتى جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن زودوه من أصبر لأمر الله حتى  
 يحكم الله بيني وبينكم " . قالوا : فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ؛  
 فإننا لن نؤمن لك إلا أن نعمل . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ذلك إلى الله  
 عز وجل إن شاء فأن فعله بكم فصل " . قالوا : يا عبد ، فما علم ربك أنا من قبل من  
 وسألك عما سألتك منه ونطلب منك ما نطلب ، فيعظم إليك فيملكك بما ترجعنا به ،  
 ويعبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم قبل منك ما جئنا به . إنه قد بلغنا أنك إنما فعلت هذا  
 رجل من أعيانهم يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرتنا إليك يا عبد  
 وإنا والله لا نترك ما بعثت ما حتى نهلكك أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة  
 وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام بهم وقام معه عبد الله بن أبي لمية من الأنبياء من بني عبد  
 ابن عمرو بن مخزوم من بني عبد مناف ، وهو الملائكة بعثت لخدمته ففعل به : يا عبد ! مرضى عليك

قوله ما عرضوا فلم يقبل منهم ، ثم سألوكم لأخضع أمورا لمبرؤنا بما خلقكم من الله  
 في قول ، ويصدقوك ويطيعوك فلم يقبل ! ثم سألوكم أن تأخذوا بفضلك ما يبرءون به فضلك  
 عليهم ومثلك من الله فلم يقبل ! ثم سألوكم أن تعبد لهم بعض ما يخوفونهم به من العذاب فلم  
 يقبل ! — أوكا قال له — فواته لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى فيه  
 وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصاك معه أرسنة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول .  
 وأيم الله لو قلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ! ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا آسفا لما فاتهم مما كان يطمع به  
 من قومه حين دعوه ، فلما رأى من ميعادتهم إياه ، كره لفظ ابن إسحاق . وذكر الواحدى  
 عن عكرمة عن ابن عباس : فأنزل الله تعالى « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ »  
 « يَنْزِلُهَا » . ( يَنْزِلُهَا ) بمعنى البين ، عن مجاهد . وهى يفعل ، من يَنْزِعُ يَنْزِعُ . وقرا عامر  
 وحزرة والكسائي « تُنْزِلُهَا » مخففة ، وأخبره أبو حاتم لأن البيهقي واحد . ولم يختلفوا  
 أن تنزل الأنهار أنه مشد . قال أبو عبيد : والأولى مثله . قال أبو حاتم . ليست مثله ،  
 لأن الأولى بعدها ينزوع وهو واحد ، والثانية بعدها الأنهار وهى جمع ، والتشديد يدل على  
 الكثير . أجب بأن « ينزوما » وإن كان واحدا فالمراد به الجمع ، كما قال مجاهد . البيهقي  
 من السماء ، والجمع اليانبع . وقرا قتادة « أو يكون لك جنة » . ( يَنْزِلُهَا ) أى وسطها .  
 ( أَوْ تُنْزِلُهَا ) قراءة العامة . وقرا مجاهد « أَوْ تُنْزِلُهَا السَّمَاءُ » على إسناده الفعل إلى  
 السماء . ( كَيْفًا ) قطعا ؛ عن ابن عباس وغيره . والكَيْفُ ( فتح السين ) جمع كيفية ، وهى  
 قراءة نافع وابن ماسر وماسم . اليافون « كَيْفًا » بإسكان السين . قال الأخفش : من قرأ  
 كَيْفًا من السماء جملة واحدا ، ومن قرأ كَيْفًا جملة جمعا . قال المهدوى : ومن أسكن  
 السين جاز أن يكون جمع كيفية وجاز أن يكون مصدرا ؛ من كسفت التى إذا غطيت .  
 فكانهم قالوا : أسقطها طبقا علينا . وقال الجوهري : الكَيْفَةُ القطعة من التى ، يقال :  
 أعطنى كَيْفَةً من ثوبك ، والجمع كَيْفٌ وكَيْفٌ . وقال : الكَيْفُ والكَيْفَةُ واحد .



(أَوْ تَأْتِي بِنْتٌ وَأَمَّا لَكَ فِيقَا) أى مائنة؛ من فتاة وابن جريح . وقال الضحاك وابن عباس : بكيف . قال مقاتل : شهيدا . مجاهد : هو جمع القبيلة ؛ أى بأصناف للملائكة قبيلة قبيلة . وقيل : ضئاف ؛ يضمون لنا إيتاك به . (أَوْ يَكُونُ لَكَ يَتٌ مِّنْ زَيْتُونٍ) أى من ذهب ؛ من ابن عباس وغيره . وأصله الزيتة . والمزيتون الزيتون . وزعارف الله طرائفه . وقال مجاهد : كنت لا أدري ما الزيتون حتى رأيت في قرعة ابن مسعود يَتٌ مِّنْ ذَهَبٍ . أى نحن لا نتقاد لك مع هذا الفقر الذى نرى . (أَوْ تَرَى فِي السَّمَاءِ) أى تصعد ؛ يقال : رَيتُ في السَّمِ أَرَقَّ رَقِيًّا وَرَقِيًّا إِذَا حِيَمَتْ . وأرقت مثله . (وَلَنْ نُّؤْمِنَ بِرُفُوكَ) أى من أجل رُفُوكَ ، وهو مصدر ؛ نحو مضى مضيا ، وهوى هوى هوى ؛ كذلك رَقَّ رَقِيًّا وَرَقِيًّا . (حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرُوهُ) أى كتابا من الله تعالى إلى كل رجل ماء ؛ كما قال تعالى : «لَنْ يُرِيدَ كُلُّ أُمَّةٍ أَن يَكُونَ مِنَّا مَكْفُوفَةٌ» . (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ) وقرا أهل مكة والشام «قال سبحان ربي» . يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أى قال ذلك ترحيما له عن جبل عن أن يبيح عن شيء . وعن أن يتعرض عليه في فعل . وقيل : هذا كله متجيب عن قول كثرهم واقتراحاتهم . الباقون «قل» على الأمر ؛ أى قل لهم يا عبد (مَلَكُنتُ) أى ما أنا (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) أى ما يوحى إلي من ربي ، ويقول الله ما يشاء من هذه الأشياء التى ليست في قدرة البشر ، فهل سمعتم أحدا من البشر أتى بهذه الآيات ! وقال بعض المسلمين : ليس هذا جوابا مقننا ، فليطوا ؛ لأنه أجابهم فقال : إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتوني ، وليس لي أن أختير على ربي ، ولم تكن الرسل قبل بأنهم بكل ما يريدونه ويخفونه ، وسبيل سبيلهم ، وكانوا يقتصرون على ما آتاهم الله من آياته الباطنة على صحة نبوتهم ، فإنا إنا وما عليهم الخبة لم يجب قلوبهم أن يقتربوا فيها ، ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقربونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بمن يختارونه من الرسل ، ولو وجب لكل إنسان أن يقول : لا أؤمن حتى ألقى بآية خلاف ما طلبت فرى . وهذا يشول إلى أن يكون التدبير إلى الناس .

وإنما التدبير إلى الله تعالى

قوله تعالى : وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٣٥﴾

قوله تعالى : ( وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ) بنى الهمل والكتب من عند الله بالدعاء إليه . ( إِلَّا أَنْ قَالُوا ) جهلا منهم . ( أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ) أى الله أجل من أن يكون رسوله من البشر . فبين الله تعالى فرط عاظم لانهم قالوا : أنت مثلا فلا يلزمنا الاقياد ، وغفلوا عن المعجزة . فوبَّأن « الأول » فى محل نصب بإسقاط حرف أنخفض . وه « أن » الثانية فى محل رفع بـ « منع » أى وما منع الناس من أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا .

قوله تعالى : قُلْ لَوْ كُنَّ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشُّونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٣٦﴾

ألم الله تعالى أن الملاك إنما يرسل إلى الملائكة ؛ لأنه لو أرسل ملكا إلى آدميين لم يقدرُوا أن يروه على الهيئة التى خلق عليها ، وإنما أفرد الأنبياء على ذلك وخلق فيهم ما يقدرُونَ به ؛ ليكون ذلك آية لهم ومعجزة . وقد تقدم فى « الأنعام » نظير هذه الآية ؛ وهو قوله : « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَّلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْتَظِرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا » وقد تقدم الكلام فيه .

قوله تعالى : قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٧﴾

يرى أن كبار قريش قالوا حين سمعوا قوله « هل كنت إلا بشرا رسولا » : فن يشهد لك أنك رسول الله . فقل « قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا » .

قوله تعالى : وَمَنْ يَدَّ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ  
أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابًا وَبُكْرًا  
وَصَحَابًا مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( وَمَنْ يَدَّ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ ) أى لو هدام الله لاحتدوا . ( وَمَنْ يُضِلْ )  
فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ) أى لا يهديهم أحد . ( وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ )  
فيه وجوهان — أحدهما — أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم ؛ من قول العرب ؛  
قديم القدم على وجوههم إذا أسرعوا . الثانى — أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى  
جهنم كما يفعل في الدنيا بين يبالغ في هوانه وتعذيبه . وهذا هو الصحيح ؛ لحديث أنس  
أن رجلا قال : يا رسول الله ، الذين يحشرون على وجوههم ، أي يحشر الكافر على وجهه ؟  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس الذى أشاء على الرجلين قادرا على أن يثبته على  
وجهه يوم القيامة " قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا . أخرجه البخارى ومسلم  
وحسبك . ( عَذَابًا وَبُكْرًا وَصَحَابًا ) قال ابن عباس والحسن : أى عُمى عما يسرهم ؛ بكم من  
التكلم بحجة ، ثم عما يضعهم ؛ وعلى هذا القول حواسم باقية على ما كانت عليه . وقيل هـ  
أنهم يحشرون على الصفة التى وصفهم الله بها ؛ ليكون ذلك زيادة في عذابهم ، ثم يخلق ذلك  
لهم في النار ، فأبصروا ؛ لقوله تعالى : « وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي النَّارِ لَاقٍ »  
لقوله تعالى : « دَعَا هَٰؤُلَاءِ ثُبُورًا » ، وسموا ؛ لقوله تعالى : « سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا » .  
وقال مقاتل بن سليمان : إذا قيل لهم « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تَكْبُرُوا » صلبوا عُمى إلى ابصرين صمًا  
لا يسمعون بكاء لا يفقهون . وقيل : عمو حين دخلوا النار لثقة سوادها ، واقطع كلامهم  
حين قيل لهم : اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تَكْبُرُوا . وذهب الزهير والشوق بسمعهم فلم يسمعوا شيئا .  
( مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمَ ) أى مستقرهم ومقامهم . ( كُلًّا خَبَتْ ) له سكنت من الضلال

(١) آية ٥٢ سورة الكهنة . (٢) آية ١٢ سورة الفرقان . (٣) آية ٥٢ سورة الفرقان .

(٤) آية ١٠٨ سورة الفرقان

وضيره . مجاهد طفت . يقال : خبت النار تخبو خبوا أى طفت ، وأخيتها أنا . ( زدناهم سيرة ) أى نارا تلهب . وسكون التهايا من غير نقصان فى آلامهم ولا تخفيف عنهم من مناهم . وقيل : إذا أردت أن تخبو . كقوله : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ »

قوله تعالى : ذَلِكَ جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أودا كنا عظاما ورفقتنا أونا لمبعوثون خلقا جديدا (١) أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأتى الظالمون إلا كفورا ﴿١﴾

قوله تعالى : ( ذَلِكَ جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا ) أى ذلك العذاب جزاء كفرهم . ( وقالوا أودا كنا عظاما ورفقتنا ) أى ترابا . ( أُنسا لمبعوثون خلقا جديدا ) فانكروا البعث فأجابهم الله تعالى فقال : ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ) قيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل لهم أجلا لا ريب فيه قادر على أن يخلق مثلهم . والأجل : مدة قيامهم فى الدنيا ثم موتهم ، وذلك ما لا شك فيه إذ هو مشاهد . وقيل : هو جواب قولهم : « أَوَلَمْ نُنْظِرْ السَّامِئَةَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَيْفًا » . وقيل : هو يوم القيامة . ( فأتى الظالمون إلا كفورا ) أى للمشركون إلا حمودا بذلك الأجل وآيات الله . وقيل : ذلك الأجل هو وقت البعث ، ولا ينبغي أن يشك فيه .

قوله تعالى : قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ نَحْنُ رَحِمَةٌ رَبِّ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ غَشِيَةَ الْإِنشَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا ﴿٢﴾



«فَأَيُّكُمْ أَنْ تُسَلِّمَ» قَالَا : إِنَّ دَاوُدَ دَعَا اللَّهَ أَلَّا يُزَالَ فِي خُزَيْتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ أَنْ أَسْلَمَنَا أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُودَ . قَالَ أَبُو مَيْسَى : هَذَا حَلِيلٌ حَسَنٌ مُصَحِّحٌ . وَقَدْ مَضَى فِي الْبَقَرَةِ . وَقِيلَ : الْآيَاتُ بِمَعْنَى الْمَجْزَاتِ وَالِدَّلَالَاتِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ : الْآيَاتُ التَّسْعُ الْعِصَا وَاللِّسَانُ وَالْبَحْرُ وَالطُّوفَانُ وَالْجُرَادُ وَالْقَتْلُ وَالضَّفَادِعُ وَالنَّمْلُ ؛ آيَاتُ حَفْصَاتٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ : الْخَمْسُ الْمَذْكُورَةُ فِي «الْأَعْرَافِ» ؛ يَنْبِذَانِ الطُّوفَانِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ ، وَالْيَدُ وَالْعِصَا وَالسِّينُ وَالنَّقْصُ مِنَ الثَّمَرَاتِ . وَرَوَى نَحْوَهُ عَنِ الْحَسَنِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَجْعَلُ السِّينَ وَالنَّقْصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَاحِدَةً ، وَجَعَلَ التَّاسِعَةَ تَقْفُ الْعِصَا مَا يَأْكُونُ . وَعَنْ مَالِكٍ ذَلِكَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ مَكَانَ السِّينِ وَالنَّقْصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ : الْبَحْرَ وَالْجَلِيلَ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : هِيَ الْخَمْسُ الَّتِي فِي «الْأَعْرَافِ» : وَالْبَحْرُ وَالْعِصَا وَالْجَمْرُ وَالطَّمْسُ عَلَى أُمُومِهِمْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ هَذِهِ الْآيَاتِ مُسْتَوْفًى وَالحَمْدُ لَهُ . ( فَاسْأَلْنَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ) أَيُّ سَلَامِهِمْ يَا عِدُّ إِذْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِهَذِهِ الْآيَاتِ ، حَسْبًا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي يُونُسَ . وَهَذَا سُؤَالُ اسْتِفْهَامٍ لِيَعْرِفَ الْيَهُودُ صِحَّةَ مَا يَقُولُ عِدُّ حِينَ جَاءَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ( فَقَالُوا لَا فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ) أَيُّ سَاحِرًا بِتَرَاتِبِ أَضَالِكَ ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو صَيْدَةَ . فَوَضَعَ الْقَمْعُولُ مَوْضِعَ الْفَاعِلِ ؛ كَمَا تَجَوَّلَ : هَذَا مَسْحُومٌ وَمِيمُونٌ ، أَيُّ شَانِمٌ وَرَائِمٌ . وَقِيلَ غَدُوتَا . وَقِيلَ مَقَاتِلَا ؛ قَالَهُ مَقَاتِلٌ . وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَنَّهُمَا قَرَأَا : فَسَأَلَ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ عَلَى الْخَبَرِ ؛ أَيُّ سَأَلَ مُوسَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ يَبْغِي عَلَى إِسْرَائِيلَ وَيَطْلُقُ سَبِيلَهُمْ وَيَرْمِلُهُمْ سَهْمًا .

قوله تعالى : قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَّاتِهِمْ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ ) بِمَعْنَى الْآيَاتِ التَّسْعِ . وَهُوَ أُنْزِلَ بِمَعْنَى أَوْدِعَ . ( إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَّاتِهِمْ ) أَيُّ دَلَالَاتٍ يُطْلَقُ بِهَا عَلَى لِقَائِهِمْ وَوَحْيِهِمْ .

وقراءة المائدة « علمت » بفتح الميم ، خطايا فرعون . وقرأ الكسائي بضم الميم ، وهي قراءة على رضى الله عنه ؛ وقال : والله ما علم عدوا لله ولكن موسى هو الذى علم ، فقلت ابن عباس فقال : إنها « لقد علمت » ، واحتج بقوله تعالى : « وَتَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَفْتَيْتُمُوهَا فَعُتِبْتُمْ » . ونسب فرعون إلى العناد . وقال أبو عبيد : والمأخوذ به عندنا فتح الميم ، وهو الأنصع للعين الذى احتج به ابن عباس ؛ ولأن موسى لا يخرج بقوله : علمت أنا ، وهو الرسول الماعى ، ولو كان مع هناكه تصح به القراءة عن علي لكانت حجة ، ولكن لا تثبت عنه ، إنما هي عن كائنهم المرادى وهو مجهول لا يعرف ، ولا نعلم أحدا قرأ بها غير الكسائي . وقبل : إنما أضاف موسى إلى فرعون العلم بهذه المعجزات ؛ لأن فرعون قد علم مقلدا ما يتبعه للحرية فعله ، وأن مثل ما فعل موسى لا يتبعه لاسحر ، وأنه لا يقدر على فعله إلا من يفعل الأجسام ويملك السموات والأرض . وقال مجاهد : دخل موسى على فرعون في يوم شات عليه قطيفة له ، فالتى موسى عصاه فإذا هي ثعبان ، فرأى فرعون جانبي البيت بين قدميه ففسزع وأحدث في قطيفته . ( وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ) الظن هنا بمعنى التحقيق . والثبور : الهلاك والحسران أيضا . قال الكشي :

ورأت قضاة في الآية . من رأى مثبور وثابر

أى مخسور وخاسر ، يعنى في انتسابها إلى النسر . وقيل : ملعونا . رواه النبال عن حميد بن جابر عن ابن عباس . وقاله أبان بن تغلب . وأنشد :

يا قومنا لا تروموا حربنا سقمها . إن السقام وإن البقي مثبور

أى ملعون . وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس : « مثبور » ناقص العقل ونظر المأمون رجلا فقال له : يا مثبور ؛ فسل عنه قال : قال الرشيد قال المنصور لرجل : مثبور ؛ فالكه فقال : حدثني ميمون بن مهران ... فذكره . وقال قتادة هالكا . وعنه أيضا والحسن ومجاهد : مهلكا . و« مثبور » الهلاك ؛ يقال : قهر الله المسلمين لملكهم . وقيل : محمدا

من الخبر: حكى أهل اللغة: ما نبتك عن كذا أي ما نبتك منه. ونبتهاه يثيره تثيراً. قال  
أبو جرير: .

إذ أجاز الشيطان في سن الله . أي ومن مال يسله مشور

الضمك: «مشوراء مسحورا» وقد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ. وقال ابن زيد:  
«مشوراء» مخولاً لا عقل له.

قوله تعالى: فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ  
جَمِيعًا ﴿١٣٦﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ  
وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: (فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أي أراد فرعون أن يخرج موسى  
وبنى إسرائيل من أرض مصر بالقتل أو الإبعاد؛ فاهلكه الله عز وجل. (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ)  
أي من بعد إغراقه (لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ) أي أرض الشام ومصر. (فَإِذَا  
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أي القيامة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) أي من قبوركم غنطين من كل موضع،  
قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا يخاز أحد منهم إلى قبيله وحبه. وقال ابن عباس  
وقائدة: جئنا بكم جميعاً من جهات شتى. والمعنى واحد. قال الجوهري: واللفيف  
ما اجتمع من الناس من قبائل شتى؛ يقال: جاء القوم بلفيف ولفيفهم، أي وأخلاطهم.  
وقوله تعالى: «جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا» أي بجمعين غنطين. وطعام لفييف إذا كان مخلوطاً من  
جسين فصاعداً. وفلان لفييف فلان أي صديقه. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له  
واحد، وهو مثل الجمع. والمعنى: أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنشر،  
غنطين لا يتعارفون. وقال الكلبي: «فلذا جاء وعد الآخرة» يعني عيسى عليه السلام  
من الله.



قوله تعالى : **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴿١٥﴾

قوله تعالى : **(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ)** هذا متصل بما سبق من ذكر المعجزات والقرآن . والكتابة ترجع الى القرآن . ووجه التكرير في قوله « وبالحق نزل » يجوز أن يكون معنى الأول : أوجبنا إنزاله بالحق . ومعنى الثاني : نزل وفيه الحق كقوله نرج بياضه أي وعليه ثيابه . وقيل الباء في « وبالحق » الأول بمعنى مع ، أي مع الحق كقولك ركب الأمير بسيفه أي مع سيفه . « وبالحق نزل » أي بحمد صلى الله عليه وسلم ، أي نزل عليه ، كما تقول نزلت بزيد . وقيل : يجوز أن يكون المعنى والحق قدرنا لأن يقل ، وكذلك نزل .

قوله تعالى : **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ﴿١٦﴾

قوله تعالى : **(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ)** ملهوب صيويه أن « قرآنًا » منصوب بفعل مضمر يفهمه الظاهر . وقراء جمهور الناس « قرآنًا » تقفيف الراء ، وسماء يثناه وأوصفناه ، وفرقنا فيه بين الحق والباطل ، قاله الحسن . وقال ابن عباس : فصلناه . وقراء ابن عباس وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وقناة وأبو رجاء والنخعي « قرآنًا » بالشد في أي أنزلناه شيئاً بعد شيء لا جملة واحدة ؛ إلا أن في قراءة ابن مسعود وأبي « قرآنًا طبعًا »

واختلف في كم نزل القرآن من المدة ؛ فقيل : في خمس وعشرين سنة . ابن عباس في ثلاث وعشرين . أنس : في عشرين . وهذا بحسب الخلاف في من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة . وقد مضى هذا في « البقرة » . **(عَلَى مُكْتٍ)** أي تناول في المدة شيئاً بعد شيء . ويتناسق هذا القرآن على قراءة ابن مسعود أي أنزلناه آية آية وسورة سورة . وأما على القول الأول فيكون « عَلَى مُكْتٍ » أي على زميل في التلاوة وترسيل ، قاله مجاهد وابن عباس وابن جرير . فيعطى القارئ القراءة حقها من

تزيلها وتحسينها وتطيبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير  
لنظ القرآن بزيادة أو نقصان فإن ذلك حرام على ما تقدم أوّل الكتاب . وأجمع القراء على ضم  
الميم من « مَكْتُ » إلا ابن محيىن فإنه قرأ « مَكْتُ » بفتح الميم . ويقال . مَكْتُ ومَكْتُ  
ومَكْتُ ؛ ثلاث لغات . قال مالك : « على مَكْتُ » على تَبَت وترسيل .

قوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُ تَرْيَلًا ﴾ مبالغة وتأكيده بالمصدر للمنى المتقدم ، أى أنزلناه نجما  
بعد نعيم ؛ ولو أخذوا بجميع القرائن في وقت واحد لقروا .

قوله تعالى : قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ  
قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلاَّذْقَانِ جَعْدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾ مبنى القرآن . وهذا من الله عز وجل على  
وجه التبكيت ولم التهديد لا على وجه التحفيز . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أى من قبل  
نزول القرآن ونزوح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ؛ في قول ابن جرير  
وغيره . قال ابن جرير : معنى « إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ » كتابهم . وقيل القرآن . ﴿ يَجِرُونَ لِلاَّذْقَانِ  
جَعْدًا ﴾ وقيل : هم قوم من ولد إسماعيل تمسكوا بدينهم إلى أن يث الله تعالى النبي عليه السلام ،  
منهم زيد بن عمرو بن ثعلب وورقة بن نوفل . وعلى هذا ليس يريد أوتوا الكتاب بل يريد  
أوتوا علم الدين . وقال الحسن : الذين أوتوا العلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقال مجاهد :  
انهم ناس من اليهود ؛ وهو أظهر لقوله « مِنْ قَبْلِهِ » . ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ مبنى القرآن في قول  
مجاهد . كانوا إذا سمعوا ما أنزل الله تعالى من القرآن جعدوا وقالوا : « سبحان ربنا إن كان  
وعد ربنا لمفعولا » . وقيل : كانوا إذا تلاوا كتابهم وما أنزل عليه من القرآن خشموا ومجدوا  
وسبحوا ، وقالوا : هذا هو المذكور في التوراة ، وهذه صفته ، ووعده الله به واقع لا محالة ،  
وجئنا إلى الإسلام ؛ فقلت الآية فيهم . وقالت فرقة : المراد بالذين أوتوا العلم من قبضه

عَدُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالضَّمِيرُ فِي « قَبْلَهُ » عَائِدٌ إِلَى الْفَرَاكِ حَسْبِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ « قُلِ السَّوَاءُ » . وَيُقَالُ : الضَّمِيرَانِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبْنَاهُ ذَكَرُ الْفَرَاكِ فِي قَوْلِهِ : « إِذَا بَلَغَ مَلِكٌ » .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٢٥﴾

دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّسْبِيحِ فِي السُّجُودِ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَرُ أَنْ يَقُولَ فِي صُحُودِهِ وَرُكُوعِهِ « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ ﴿١٢٦﴾ وَيَرْجِعُونَ خَشُوعًا ﴿١٢٧﴾

فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ :

الْأُولَى — قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ ) هَذِهِ بَالِغَةٌ فِي حَالَتِهِمْ وَحُضُوعِهِمْ . وَحَقُّ لِكُلِّ مَنْ تَوَسَّعَ بِالْعِلْمِ وَحَقَّقَ مِنْهُ شَيْئًا أَنْ يَجْرِيَ إِلَى هَذِهِ الْمَقِيَّةِ ، فَيَخْشَعُ مِنْهَا مُجْتَمِعٌ الْقُرْآنُ وَبَيِّنَاتُهَا وَيَذِلُّ . وَفِي مَسْنَدِ الذَّاهِرِيِّ (أَيْ عَمْدِ عَنِ النَّبِيِّ) قَالَ : مَنْ قَوِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَخْلُقُ إِلَّا بِكَوْنِ أَوْنٍ عِلْمًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتْ الْعُلَمَاءَ ثُمَّ تَلَاهَا آيَةُ : « كَرِهَ الْغَاطِرُ أَيْضًا . وَالْأَذْقَانُ جَمْعُ ذَقْنٍ ، وَهُوَ جَمْعُ الْقِيَمِ . وَقَالَ الْجِسْنُ : « الْأَذْقَانُ مِثْلُ مَنْزِلِ الْقِيَمِ » أَيْ يَضَعُهَا عَلَى الْأَرْضِ فِي حَالِ السُّجُودِ وَهُوَ غَايَةُ التَّوَاضُّعِ . وَتِلْكَ الْفِعْلُ عَلَى تَقْوِيٍّ مَقْطُوفٍ بِهِ أَيْ عَلَى فِعْ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا » أَيْ السُّجُودَ وَفِيهَا خُصُصَ الْأَذْقَانُ بِأَنَّ كَرِثَانَ الذَّقْنِ أَقْرَبُ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ الْإِنْسَانِ . قَالَ ابْنُ خَرِّزْمَةَ : « وَلَا يَمُوزُ السُّجُودَ عَلَى الذَّقْنِ ، لِأَنَّ الذَّقْنَ هَاهُنَا عِبَارَةٌ عَنْ لَوْنِهِ ، وَقَدْ يَمُوزُ بِالنَّاسِ عَمَّا جَانِبَهُ وَيَعْبُضُهُ عَنْ جِهَتِهِ » فَيَقَالُ : « خَرَلَوْحَهُ سَاجِدًا » وَإِلَّا كَانَ لَمْ يَنْتَجِدْ عَلَى عُنْدِهِ وَلَا مَرَّةً .

لَا تَخْشَى إِلَى قَوْلِهِ :

« تَلْزَمُ رَبَّهُمَا الْيَمِينَ وَالشِّمَالِ » .

لَا تَخْشَى أَرَادَ : « تَلْزَمُ رَبَّهُمَا عَلَى وَجْهِهِ وَبَيْنَهُ » .

الثانية - قوله تعالى : ( يَتَكُونَ ) دليل على مبراز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى ، لو على مصيئته في دين الله ، وأن ذلك لا يقطعها ولا يضرها . ذكر ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولحرفه أنور كآزير الميريل من البكاء . وفي كتاب أبي داود ، وفي صدره لزي كآزير الرس من البكاء .

الثالثة - واختطف القهقهة في الأئين ، فقال مالك : الأئين لا يقطع الصلاة الربض ، وأكرمه الصحيح ، وبه قال الثوري . وروى ابن الحكم عن مالك : لا تتنحط والأئين والنفخ لا يقطع الصلاة . وقال ابن القاسم : يقطع . وقال الثوري : إن كان له حروف تسمع ونظم يقطع الصلاة . وقال أبو حنيفة : إن كان من خوف الله لم يقطع . وإن كان من وجع قطع . وروى عن أبي يوسف أن صلاته في ذلك كله تامة ، لأنه لا يجلس مريض ولا ضيف من أئين .

الرابعة - قوله تعالى : ( وَرَبِّعُكُمْ خُشُوعًا ) تلزم القول في التشروع في « البقرة » ويأتي .

قوله تعالى : قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝

قوله تعالى : قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) سبب نزول هذه الآية أن المشركين سموا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا " يا الله يا رحمن " فقالوا : كان عبد يامرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو للملئ ، قاله ابن عباس . وقال مكحول : تهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه : " يا رحمن يا رحيم " فسمعه رسول

من المشركين ، وكان بالعبادة زحل يسمى الرحمن ، فقال فلاننا السامع : ما زال عند يدعي  
رحمان العبادة . فزلت الآية مبنية أنهما اسمان لسمى واحد ، فإن دعوتهم بالله فهو ذلك ،  
وإن دعوتهم لإلهن فهو ذلك . وقيل : كانوا يكتبون في صدر الكتب : يا ربك اللهم ؛  
قلت : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فقال المشركون : هذا الرحيم نرفه فإله الرحمن ؛ فزلت الآية .  
وقيل : إن اليهود قالوا : ما لنا لا نسمع في القرآن اسما هو في التوراة كثير . يعنون الرحمن ؛  
فزلت الآية . وقيل : طلحة بن عسف : رأيت من تدعى هذه الأسماء الحسنى ، أى التى تقتضى  
أنفصل الأوصاف وأبرز المعاني . وحسن الأسماء إنما يتوجه بتحصين الشرع ، لإطلاقها  
والنفس مليحة . وأضاف إلى ذلك أنها تقتضى معاني حسنة شريفة ، وهى بتوفيق لا يصح  
وضع آدم فتهطل لا بتوفيق من القرآن أو الحديث أو الإجماع . حسبما بيناه في ( الكتاب  
الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ ﴾

الآية : لا تخفوا في كفرهم

الأول - ما روى ابن عباس في قوله تعالى : « وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ »  
قال : قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجاوزهم ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته  
بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون قهروا القرآن عن أن يله من جأه به ، فقال الله تعالى :  
« وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ » فسمع المشركون قرأتك : « وَلَا تَجْهَرُوا لَهُمْ » من أخطاك .  
أسمعهم القرآن ولا تجهر بك الجهر . ( وأنتج بين ذلك شيئا ) قال : يقول من الجهر  
والخافتة ؛ أنجبه البخارى وسلم والزهدى وغيرهم . واللفظ لمسلم . والخافتة : خفض الصوت  
والسكون ؛ يقال ليت إذا برء : خفت . قال الشاعر :

لم يسبق إلا نفس خافت . ومثله إنسانها باهت

رقى لها القامت بما بها . يأتج من يرقى له التامت

الثاني - ما رواه مسلم أيضا عن عائشة في قوله عز وجل : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » قالت : أنزل هذا في الدعاء .

الثالث - قال ابن سيرين : كان الأعراب يجهرون بتشدهم فزلت الآية في ذلك . قلت : وعلى هذا فتكون الآية متضمنة لإخفاء التشديد ، وقد قال ابن مسعود : من السنة أن تخفي التشديد ، ذكره ابن المنذر .

الرابع - ما روى عن ابن سيرين أيضا أن أبا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته ، وكان عمر يجهر بها ، ف قيل لها في ذلك ؛ فقال أبو بكر : إنما ألتجى ربي ، وهو يعلم حاجتي إليه . وقال عمر : أنا أطرد الشيطان وأوقف الوثان ؛ فلما زلت هذه الآية قيل لأبي بكر : ارفع قليلا ، وقيل لعمر انخفض أنت قليلا ؛ ذكره الطبري وغيره .

الخامس - ما روى عن ابن عباس أيضا أن مناهما ولا تجهر بصلاة النهار ، ولا تخافت بصلاة الليل ؛ ذكره يحيى بن سلام والزهراني . فتضمنت أحكام الجهر والإسرار بالقراءة في التوافل والفرائض ، فأما التوافل فالصل على غير الجهر والسرف الليل والنهار ، وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل الأمرين جميعا . وأما الفرائض فحكها في القراءة معلوم ليلا ونهارا . وقول سادس - قال الحسن : يقول الله لا ترائي صلاتك تحسبها في العلانية ولا نسيها في السر . وقال ابن عباس : لا تصل مرأيا للناس ولا تدعها غافة للناس .

الثانية - عبر تعالى بالصلاة هاج عن القراءة كما عبر بالقراءة عن الصلاة في قوله : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر ، لأن الصلاة تشمل على قراءة وركوع وسجود وهي من جملة أجزائها ؛ فعبير بالجزء عن الجملة والجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير . ومنه الحديث الصحيح : « فست الصلاة بيني وبين عبدي » أي قراءة العاتجة على ما تقدم .

قوله تعالى : وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ هذه الآية رائدة على اليهود والنصارى  
والعرب في قولهم أفضلنا : عزير ويحيى والملائكة ذرية الله سبحانه ، تعالى الله عن أقوالهم .  
﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته .  
﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ مِنَ الْقُلِّ ﴾ قال معاهد : للنبي لم يخالف أحدا ولا ابتنى نصر أحد ، أي لم  
يكن له ناصر يغيره من القل فيكون مدافعا . وقال الكلبي : لم يكن له ولي من اليهود والنصارى ؛  
لأنهم أذل الناس ، ردا لقولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه . وقال الحسن بن الفضل :  
« وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ مِنَ الْقُلِّ » يعني لم يولد فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لزمه وكبريائه . ( وكبره  
تكريما ) أي عظمه عظمة تامة . ويقال : ألح لفظة العرب في معنى التعظيم والإجلال : الله  
أكبر ؛ أي صفه بأنه أكبر من كل شيء . قال الشاعر :

رأيت الله أكبر كل شيء • عاقلة وأكثرهم جنونا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل في الصلاة قال : « الله أكبر » وقد تقدم أول  
الكتاب . وقال عمر بن الخطاب . قول العبد الله أكبر خير من الدنيا وما فيها . وهذه الآية  
هي خاتمة التوراة . روى مطرف عن عبد الله بن كعب قال : افتتحت التوراة بخاتمة سورة  
الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة . وفي الخبر أنها آية المز ، رواه معاذ ، جبل عن النبي  
صلى الله عليه وسلم . وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان النبي صلى الله  
عليه وسلم إذا أفصح الغلام من جن عبد المطلب عليه « وقال الحمد لله الذي » الآية . وقال  
عبد الحميد بن واصل : سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ وقال الحمد لله  
الآية كتب الله له من الأجر مثل الأرض والجبال لأن الله تعالى يقول فيمن زعم أن له ولدا  
تكد السّموات يطرّون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً » . وجاء في الخبر أن النبي  
صلى الله عليه وسلم أمر رجلا تشكا إليه بالذين بأن يقرأ قل أدعوا الله أو ادعوا الرحمن •  
— إلى آخر السورة ثم يقول — توكلت على الله الذي لا يموت ، ثلاث مرات .

تمت سورة الإسراء ، والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .





## تفسير سورة الكهف

وهي مكية في قول جميع المفسرين . وروى عن فرقة أن أول السورة ثل بالمدينة إلى قوله « جزأ » ، والأول أصح . وروى في فضلها من حديث أنس أنه قال : « من قرأ بها أعطى نوراً بين السماء والأرض وروى بها قننة القبر . وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك ملائكة ما بين السماء والأرض ثلها مثل ذلك » . قالوا : بلى يا رسول الله ؟ قال : « سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نوراً يبلغ السماء وروى قننة الدجال » ذكره التلبي ، والمهدي أيضاً بمائة . وروى مسند القاري عن أبي سعيد الخدري قال : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضله الله من النور لما يشهرون ليلت النبي » . وروى صحيح مسلم عن أبي القزوين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال » . وروى رواية « من قرأ الكهف » . وروى مسلم أيضاً من حديث النحاس بن سفيان « إن أدركه - يعني الدجال - قبل أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف » . وذكره التلبي . قال « شجرة بن جندب قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظها لم تضربه قننة الدجال » . ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة .

قوله تعالى : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَلَاءًا شَدِيدًا مِّنَ الدُّنْيَا وَيُنشِئَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبدًا ③ قوله تعالى : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ) ذكر ابن إسحاق أن قرينا بعثوا النضر بن الحارث وطه بن أبي ميثم إلى أخبار يهود وقلوا لما :

سلام عن جد وصفاً لم صفة وأخبرهم بقوله ؛ فأنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ؛ فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفاً لم أمره ، وأخبرهم ببعض قوله ، وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لها أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم ؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوائف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان تنبؤه . وسلوه عن الروح ، ما هي ؛ فإذا أخبركم بذلك فأتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فأصنعوا في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضرين الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش ! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين جد - صلى الله عليه وسلم - قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم . بغاموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا جد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عجيبة ، وعن رجل كان طوائفا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخبركم بما سألتكم عنه غدا " ولم يستثن . فأنهروا عنه ، فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه في ذلك وجباً ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا جد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة ، وقد أصبحتنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية ، والرجل الطوائف والروح ، قال ابن أبي عمير : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بليريل : " قد احتجست عنى (١) أى لم يقل - صلى الله عليه وسلم - إلا شاء الله . (٢) لم يخف هروم ، خافوا على الأخبار السنية وذكر القنبر .

يا جبريل حتى سَوَّيْتُ غُلًّا فقال له جبريل : « وما سَتَرْتُكَ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْ أَيْدِينَا  
وَمَا خَلَقْنَا وَمَا يَنْ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » . « فافتح السورة تبارك وتعالى بحمده ، وذكر  
شجرة رسوله صلى الله عليه وسلم لما أنكروا عليه من ذلك فقال : « الحمد لله الذي  
أنزل على عبده الكتاب » ، بنى عبداً ، إنك رسول مَنَّى ، أى تحقيق لما سألو عنه من نبؤك .  
« وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيًّا » ، أى متديلاً لا اختلاف فيه . « لِيُشِيرَ بِأَنَّا شَيْدِينَا مِنْ لَدُنْهُ »  
أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وعذاباً أيضاً فى الآخرة ، أى من عند ربك الذى بعثك رسولا .  
« وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنَّ فِيهِ أَبَدًا » ، أى دار  
الملك لا يموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبت به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به  
من الأعمال . « وَنُذِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْتَحُوا لِلَّهِ دَارًا » ، بنى قرينة فى قولهم : إنا نعيد الملائكة  
وهي نبات الله . « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ » ، الذين أعطوا فراقهم وغيَّب دينهم .  
« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » ، أى لقولهم إنا الملائكة نبات الله . « إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا  
كُذِبًا . فَلَوْلِكَ بَايَعُوكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » ، لحزنه عليهم حين  
فاته ما كان يرجوه منهم ، أى لا تفعل . قال ابن هشام : « بايع نفسك » ، مهلك نفسك ؛  
لما جئنى أبو عبيدة . قال ذو الرقة :

إلا أيها البايع الوجد ته . بنى ، تحته عن يديه المقادير

وجعلها باغمضت وجمعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وقول الرب : قد نجحت له  
نفسى ونفسى ، أى جهدت له . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لما لنسلكوهم أيامهم أحسن  
تملاً » ، قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمرى وأعمل طاعتى . « وإنا بلعيلون ما عليها  
صعيداً جزاً » ، أى الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ، وإن للرجع إلى فاجزى كل عمله ؛  
فلا ناس ولا يترك ما ترى وتسمع فيها . قال ابن هشام : الصعيد وجه الأرض ، وجمعه  
صُعد . قال ذو الرقة يصف علياً جبهة :

(١) آية ٦٤ سورة مريم . (٢) عليها

لما جعلهم صائر . حقا القوال بعدا والواجر

كانه بالفضاء تربي الصبيد به . دبابه في عظام الراس تُرطوم<sup>١١١</sup>  
وهذا البيت في تفسيره<sup>١١٢</sup> . والصبيد أيضا : الطريق ، وقد جاء في الحديث : " إياكم  
والعمود على الصُّمُلات " يريد الطرق . والجُرُز : الأرض التي لا تبت ثبثا ، وجمعا  
أجرال . ويقال : سَفَرٌ جُرُزٌ يسعون أجزال ؛ وهي التي لا يكون فيها مطر . وتكون فيها جذوبة  
ويشرب وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلا :

كوى النحر والأجزاء ما لي بطونها . لما حيت إلا الضلوع المرائع<sup>١١٣</sup>  
قال ابن إسحاق : لم استعمل قصة تلجبر فيها سألوه عنه من شأن الغيبة فقال : " أم  
حسبت أن أصحاب الكونف والرقم كانوا من آياتنا عجبا . أي قد كان من آياتي فيما وضعت  
على العباد من حجب ما هو أعجب من ذلك . قال ابن هشام ، والرقم الكتاب الذي رُمي  
بهم ، وحده رُم . قال السَّجَّاح :

وَمُتَرُ الصَّفِّ الرَّقْمِ .

وهذا البيت في ترجمته<sup>١١٤</sup> . قال ابن إسحاق : لم قال : إذ أتى الغيبة إلى الكونف  
لقد أروا آياتي من لفتك راحة يعني : لما من أسرها رقتا . فترتبا على آياتهم في الكونف  
بين عددا . ثم بتاتم لستم أي الجزير أخصى إلى لثوا لثما . ثم قال : " نحن نخص  
عليك نياهم الحق " أي يصف تلجبر . أنهم نية آمنوا برؤسهم وإدعاهم عدى . ورجلا على  
فلو يسهم إذ قاموا قاتلوا وبنا رب السموات والأرض أن تدعوا من دونه إلى لقد قاتل إذا  
شططا . أي لم يشركوا في ما أشركتم في ما ليس لكم به علم . قال ابن هشام ، ولشططا  
الفرج وبارزة الحق . قال أصفهين ليس بن قلة :

أنتهوت ولا يبقى ذوق شطيط . كالطعن يذهب إليه لقرت وانفنت

(١) بن الهبة : الحر . والطريق : الطريق . والرقم : الرقم .

من رمت من رمة . رمة : رمة .

(٢) حر : حر . والرقم : الرقم . والرقم : الرقم .

بالرقم : بالرقم . والرقم : الرقم .

وهذا البيت في قصيدة له . قال ابن إسحاق : « هؤلاء قومًا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم سلطان بين » . قال ابن إسحاق : أي بحجة بالغة . « فن أظلم من آفة آل الله كذبًا » . وإذا اعتزلهم وما يعبودون إلا الله فاقولوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقًا . ورتى الشمس إذا طلعت تزاوَرُ عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه » . قال ابن هشام : تزاوَرُ تيل ؛ وهو من الزور . وقال أبو الزحف الكلابي يصف بلدا :

جَدَّبَ المُنْدَى عَنْ هَوَاءِ أَزُورٍ • يُنْفِخُ المَطْلَا بِأُحْمِهِ العَسْتَرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . وه تقرضهم ذات الشمال • تجاوزهم وتحرهم عن شالما . قال ذو الرمة :

إلى طَمَنٍ تَقْرِضُ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ • شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِ القَوَارِسِ

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السمة ، وجمعها الفجاء . قال الشاعر :

أَلْبَسْتَ قَوْمَكَ نَحْرَاءَ وَمَقْصَةً • حَتَّى أَجْجُوا وَهَلُّوا بِجَوَةِ الدَّارِ

« ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أي في الحجة على من عرف ذلك من أموره من أهل الكلاب بمن أمر هؤلاء بمسلكك عنهم في صدق نبؤتك بتحقيق الخبر عنهم . « مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَرَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرِيدًا » . وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود وعلمهم ذات اليمين وذات

(١) مطلقا : ودع هرة إن أركب مربجل • وهمل تطلق وداعا أي الرجل

(٢) في اللسان مادة « سجد » أنه أبو الزحف الكلابي . واستترك عليه مصحح اللسان قوله : « قوله الكلابي نسبة لكاتب كأمير بلدي باري » . وما يقوى أنه الكلابي (بالياء) ما ذكره ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء أنه أبو الزحف بن حلاء بن النخعي ابن عم جبر الشاعر . ومن الذين أن جبراً من بني كلب . (٣) بهله :

• ودومت ليل به سهد •

وهو سهد : جيد مفضل واسع . والمثلي : حيث يرفع ساعة من النهار . والأزول : الطريق الموح . وأضنى البير : منزله بكثرة البير . والشمس (بكسر السين) من أظلم . الأيل : أو ترى ثلاثة أيام وورد اليوم الزايع . والشتر : الشدة . (٤) يعني باليمين هنا شطرى اليمين .

(٥) القوز (بالفتح) : المال من الرزق كأنه جبل . والقوارس : دمال بالهاء . (٦) مطلقا :

ألم تَلَّك اليوم الموم القوارس • مجزى وهل تدري القوارس

التبلي وتكليمهم بأسطى فيروا في الوعيد . قال ابن هشام : الوعيد الباب . قال المصنف وأسمه  
عبد بن رجب .

بارض فلا لا يند وصيدا . على ومعروف بما غير منكر  
وهذا البيت في آيات له . والوحيد أيضا الفناء ، وجمعة وصانده ووصد ووصدان .  
« لو أطلعت عليهم لوليت منهم قرارا » إلى قوله - الذين غلبوا على أمرهم . أهل السلطان  
والملك منهم . « لتتخذن عليهم حبيدا » يقولون « يعني أحبار اليهود الذين أسروهم  
بالمسئلة عنهم . « ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم ربحا والقيس ويقولون  
سبعة وتابعهم كلهم قل ربى أعلم بصدقهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تخار بهم . أى لا تكابرهم .  
« إلا امرأة ظالمه » ولا تستفت فيهم منهم أحدا » فإنهم لا علم لهم بهم . « ولا تقولن لشيء  
إني فاعل ذاك غدا » إلا أن يشاء الله وأذكر ربك إذا نسيت وقل منى أن يهديني ربى  
لأقرب من هذا رشدا » أى لا تقولن لشيء سألوكم عنه كافت في هذا بى غيركم غدا ،  
واستن شيعة الله ، وأذكر ربك إذا نسيت وقل منى أن يهديني ربى لغير ما سألوني عنه  
وشدا ، فإنك لا تسمى ما أتا صانع في ذلك . « ولتوقن كنههم ببقية سنين وأزادوا تسما »  
أى يقولون ذلك . « قل الله أعلم بما ليسوا له فيب السموات والأرض أيسريه وأسمع  
ما لم يكن من دونه من ولى ولا يترك في حكمه أحدا » أى لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه .  
قلت : هذا ما وقع في السيرة من خبر أصحاب الكهف ذكرناه على نفسه . ويأتى خبر  
فى القرنين ، ثم نورد إلى أول السورة فنقول :

قد تقدم معنى الحدة . وزعم الأخفش والكسائى والنزاه وأبو عبيد وجوه للمأزول  
أن في أول هذه السورة تحديما وتأخيرا ، وأن المعنى : الحدة الذى أنزل على عبده الكتاب قتيما  
ولم يعمل له عوجا . و « قتيما » نصب على الحال . وقال قتادة : الكلام على سبانه من غير تقديم  
ولا تأخير ، ومعناه . ولم يعمل له عوجا ولكن جعلناه قتيما . ونقول الضمك فيه حسن ، وأن

(١) في سيرة ابن هشام . « عبد بن رجب » .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ص ١٩٢ طبع أوروبا ص ١٠٦ طبع مطبعة المطب .

المنى : مستقيم ، أى مستقيم الحكمة لا خطأ فيه ولا فساد ولا تناقض . وقيل : « قيا » على الكتب السابقة بصحتها . وقيل : « قيا » بالجمع أبداً . « عوجاً » مفعول به « زرع » ( بكسر العين ) فى الدين والراى والأمر والطريق . وفتحها فى الأجسام كالخشب والسير . وقد تقدم<sup>(١)</sup> . وليس فى القرآن عوج ، أى عيب ، أى ليس متافضاً عنفاً ، كما قال تعالى : « وَلَوْ كُنَّ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »<sup>(٢)</sup> . وقيل : أى لم يعملوا مخلوقاً كما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ »<sup>(٣)</sup> قال : غير مخلوق . وقال مقاتل : « عوجاً » اختلاطاً . قال الشاعر :

أدوم بؤدى للصدقين تكملاً • ولا خير فىمن كان فى الود أقرماً

( يُبَيِّنُ بَأْسًا شَدِيدًا ) أى لينذر عباد القرآن . وفيه إخبار ، أى لينذر الكافرين عذاب الله . وهذا المذهب الشديد قد يكون فى الدنيا وقد يكون فى الآخرة . ( مِنْ لَدُنْهُ ) أى من عنده . وقرا أبو بكر عن طاهر « من لدنه » باسكان اللام وإشباعها الغم وكسر النون ، والماء موصولة بياه . الباقون « لدنّه » بضم اللام وإسكان النون وضم المياء . قل الجهرى « وفى « لدن » ثلاث لغات : لدن ، ولدى ، ولد . وقالم :

• مِنْ لَدُنْ لَحِيَّتِهِ إِلَى مُنْخَوْرِهِ<sup>(٤)</sup> •

المُنْخَوْرُ لَفَةٌ فِي الْمُنْحَرِ .

قوله تعالى : ( وَيُؤَيِّسُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ ) أى إن لم . ( أَجْرًا حَسَنًا ) وهى الجنة . ( مَا كُنْتُمْ ) دائمين . ( فِيهِ ) أبداً لا إلى غاية . ولان حلت التشديد على البيان لم يمتنع إلى الباء فى « بأن » . والأجبر الحسن : الثواب العظيم الذى يؤدى إلى الجنة .

(١) أى سنى قوله « قيا » . (٢) راجع ج ٤ ص ١٥٤ طبة أملى أركانية . (٣) آية ٨٢ سورة النحل راجع ج ٥ ص ٢٨٨ (٤) آية ٢٨ سورة الزمر . (٥) هذا مجزئ لبيان من حرت يومه كفى فى البيان ، يستوعب البرمين من جزيه •

والمنصور (إلى الماء المهمة وضم الميم) لفة فى المنحر ، وهو الصدو . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول وصحاح الجهرى واللسان مادة « غز » ولان « بالماء المعجمة » وهو الآنف . وقد استوفى عليه ابن برى قال : « وصواب إنشاء كآتشه مبيوه » أى منخوره « بالماء » . وصف الشاعر بعباً أفرساً بطول الباقى ، بلغة يستوعب من حبه طلقى يرمى به متدار باعين فباين عليه ونحوه . والبرج : الباقى . والبرج : الجبل •

قوله تعالى : وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ① مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ②

قوله تعالى : ( وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) وهم اليهود ، قالوا عزير ابن الله ، والنصارى قالوا المسيح ابن الله ، وقريش قالت لللائكة بنات الله . فالإنذار في أول السورة عام ، وهذا خاص فبين قاله ولد . ( مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ) ومنه صلة ، أى ما لهم بذلك القول علم ، لأنهم مغفلون قالوه بغير دليل . ( وَلَا لِآبَائِهِمْ ) أى أسلافهم . ( كَبُرَتْ كَلِمَةً ) وكلمة نصب على البيان ، أى كبرت تلك الكلمة كسفة . وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن عمرو وابن أبى إسحاق « كلمة » بالرفع ، أى عظمت كلمة ، مبنى قولهم اتخذ الله ولدا . وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إسماعيل . يقال : كبر الشيء إذا عظم . وكبر الرجل إذا أسن . ( تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) فى موضع الصفة . ( إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) أى ما يقولون إلا كذبا .

قوله تعالى : فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ③

قوله تعالى : ( فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ) « باخع » أى مهلك وقاتل ، وقد تقدم . « آثَرِهِمْ » جمع أثر ، ويقال أثر . والمعنى : على أثر توليهم وإعراضهم عنك . ( إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ) أى القرآن . ( أَسَفًا ) أى حزنا وغضبا على كفرهم ، واشتد على التفسير .

قوله تعالى : إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ④

قوله تعالى : ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا ) فيه مائلان



الأولى — قوله تعالى : ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ) « وما » و« زينة » مقبولان . والزينة كل ما على وجه الأرض ، فهو عموم لأنه خال على بابه . وقال ابن جرير عن ابن عباس : أراد بالزينة الرخاء ؛ قال مجاهد . وروى عكرمة عن ابن عباس أن الزينة الخلفاء والأمراء . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا » قال : العلماء زينة الأرض . وقالت فرقة : أراد الثمن والملابس والحقار والخضرة والمياه ، وغو هذا مما فيه زينة ؛ ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحليات والمقارب . والقول بالصوم أولى ، وأن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وحسنه وإحكامه . والآية بسط في التسلية ، أي لا تهتم يا عبد الدنيا وأهلها فإننا جعلنا ذلك آتعا واختارا لأهلها ؛ فمنهم من يتدبر ويؤمن ، ومنهم من يكفر ، ثم يوم القيامة بين أيديهم ؛ فلا يظننّ عليك كفرهم فإننا نجازيهم .

الغاية — معنى هذه الآية ينظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>٣٥</sup> « إن الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون » . وقوله صلى الله عليه وسلم : <sup>٣٦</sup> « إن أخوف ما أتعاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا » قال : وما زهرة الدنيا ؟ قال : <sup>٣٧</sup> « بركات الأرض » خرجها مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري . والمعنى : أن الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالتبر المسنن المحبب للرأي ؛ فأبطل الله بها عباده لينظر أيهم أحسن عملا . أي من أزهدها وأترك غشا ، ولا سبيل للعباد إلى معصية ما زينه الله إلا [ أن ] يبينه على ذلك . ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخاري : اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينه لنا ، اللهم إني أسألك أن أعقه في حقه . فدعا الله أن يبينه على إتافه في حقه . وهذا معنى قوله عليه السلام : <sup>٣٨</sup> « فمن أخذه بطيب نفس يورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس كان كالذي يأكل ولا يشبع » . وهكذا هو المكتر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له منها بل هتمه جمعها ؛ وذلك لعدم الفهم عن الله تعالى ورسوله ؛ فإن الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبية ، وقد أطلع من أسلم ورزق كفافا وقته

الله بما آتاه . وقال ابن عطية : كان ابن رضى الله عنه يقول في قوله « أحسن عملا » :  
 بأحسن العمل أخذ بحق رواتقي في حق مع الإيمان ، وإدلاء الفرائض واجتناب المعاصم والإكثار  
 من المنسوب إليه .

قلت : هذا قول حسن ، ويجوز في ألفاظه بلوغ في معناه ، وقد جمعه النبي صلى الله  
 عليه وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال : يا رسول الله ، قل لي  
 في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك - في رواية : غيرك . قال : « قل آميت بالله  
 ثم استقم » أخرجه مسلم . وقال سفيان الثوري : « أحسن عملاً » أزهدهم فيها . وكذلك  
 قال أبو عصام السقلاني : « أحسن عملاً » أترك لها . وقد اختلفت عبارات العلماء  
 في الزهد ؛ فقال قوم : قصر الأمل وليس بأكل الخشن وليس العباء ؛ قاله سفيان الثوري .  
 قال علماؤنا : وصدق رضى الله عنه ! فإن من قصر أمله لم يتأق في المعطومات ولا يتفطن  
 في الملبوسات ، وأخذ من الدنيا ما تيسر ، واجترأ منها بما يبلغ . وقال قوم : بفض المحمدة  
 وحُب الله . وهو قول الأوزاعي ومن ذهب إليه . وقال قوم : ترك الدنيا كلها هو الزهد ؛  
 أحب تركها أم كره . وهو قول فضيل . ومن بشر بن الحارث قال : حُب الدنيا حُب لقاء  
 الناس ، والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس . ومن الفضيل أيضاً : علامة الزهد في الدنيا  
 الزهد في الناس . وقال قوم : لا يكون الزاهد زاهداً حتى يكون ترك الدنيا أحب إليه من  
 أخذها ؛ قاله إبراهيم بن آدم . وقال قوم : الزهد أن تزهد في الدنيا بخليك ؛ قاله ابن المبارك .  
 وقالت فرقة : الزهد حُب الموت . والقول الأول يتم هذه الأقوال بالمتى فهو أولى .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَجَنَعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٥﴾

نقدم بيانه . وقال أبو سهل : تراباً لا نبات به ؛ كأنه قطع نباته . والجُرُز : القطع ؛  
 ومنه سَنَ جُرُز . قال الرازي :

• قد جُرُزَتِ السَّوْنُ الأجزاء •

• (١) من ٣٤٨ من هذا الجزء .

والأرض الجُرْزُ التي لا نبات فيها ولا شيء من عماره وغيرها ، كأنه قطع وأزيل . **بني يرم**  
**القفية** ، فإن الأرض تكون مسوية لا مستقر فيها . **الصلاب** : والجرز في القفنة الأرض التي  
 لا نبات بها . قال الكشاف : يقال جرزت الأرض تجرزه ، ويجرزه القوم جرزه إذا أكلوا  
 كل ما جاء فيها من النبات والزرع فهي مجرزة <sup>(١)</sup> وجرز .

قوله تعالى : **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ**

**أَصْنَانًا يَجْبَىٰ ۝**

مذهب سيويه أن « أم » إذا جاءت دون أن يتقدمها ألف استفهام أثبتا بمعنى بل  
 وألف الاستفهام ، وهي المقطعة . وقيل . « أم » عطف على معنى الاستفهام في تلك ،  
 أو بمعنى ألف الاستفهام على الإنكار . قال الطبري : وهو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم  
 على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا عجا ، بمعنى إنكار ذلك عليه ، أي لا يعظم ذلك بحسب  
 ما عظمه تلك السائلون من الكفرة ، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشعب ، هذا قول  
 ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن  
 المشركين سألوه عن فية قُعدوا ، وعن ذي القرنين وعن الروح ، وأبطأ الوحي على ما تقدم .  
 فلما نزل قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : أحسبت يا عبد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا  
 من آياتنا عجا ، أي لبسوا بحجب من آياتنا ، بل في آياتنا ما هو أعجب من خبرهم . الكلبي :  
 خالق السموات والأرض أعجب من خبرهم ، الضحاك : ما أطلعك عليه من النيب أعجب .  
 الجنيدي : شائك في الإسراء أعجب . الماوردي : معنى الكلام النفي ، أي ما حسبت لولا  
 إخبارنا . أبو سهل : استفهام تخرير ، أي أحسبت ذلك فإنهم عجب . والكهف : القبة  
 المتسع في الجبل ، وما لم يتسع فهو غار . وحكي النقاش عن أنس بن مالك أنه قال :  
 الكهف الجبل ، وهذا غير شهور في اللغة .

واختلف الناس في الرقيم ، فقال ابن عباس : كل شيء في القرآن أعلمه إلا أربعة :  
خسفين وحنان والأقواء والرقيم . وسئل مرة عن الرقيم فقال : زعم كعب أنها حمرة خرجوا  
 (١) في الكلمة أربع لغات : جرزه ، جرزه ، جرزه ، جرزه .

منها . وقال مجاهد : الرقيم ولد . وقال السدي : الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف .  
 وقال ابن زيد : الرقيم كتاب رقم الله علينا أمره ، ولم يشرح لنا قصته . وقالت فرقة : الرقيم  
 كتاب في لوح من نحاس . وقال ابن عباس : في لوح من رصاص كتب فيه القوم الكفار  
 الذين فرقتهم منهم فصنعتهم وجعلوها تاريخا لهم ، ذكروا وقت قدومهم ، ولم كانوا ، وبين من  
 كانوا . وكذا قال القسراء ، قال : الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسمائهم وأنسائهم ودينهم  
 ومن هربوا . قال ابن عطية : ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوما مؤرخين للوحدات ،  
 وذلك من نيسل الملكية ، وهو أمر مفيد . وهذه الأقوال مأخوذة من الرقيم ، ومنه كتاب  
 معروف . ومنه الأرقم لتخطيطه . ومنه رقعة الوادي ، أي مكان جزى الماء وأسطوانه .  
 وسأروي عن ابن عباس ليس يمتنع ، لأن القول الأول إنما سمع من كتب . والقول الثاني  
 يحوز أن يكون حرف الرقيم بضم . وروى عنه سعيد بن جبير قال : ذكر ابن عباس أصحاب  
 الكهف فقال : إن القصة تقدموا فطلبهم أهلهم فلم يجدوهم فرجع ذلك إلى الملك فقال :  
 ليكن لهم نيا ، وأحضروا من رصاص فكتب فيه اسماءهم وجعله في ثرائته ، فذلك اللوح  
 هو الرقيم . وقيل : إن مؤسسه كان في بيت الملك فكتبوا ثلث القصة واسماءهم وأنسائهم في لوح  
 من رصاص ثم جعلوا في ثبوت من نحاس وجعلوا في البيان ، فانه أعلم . وعن ابن عباس أيضا :  
 الرقيم كتاب معروف كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام .  
 وقال النقاش من قسادة : الرقيم دراهمهم . وقال أنس بن مالك والتخمي : الرقيم كتابهم .  
 وقال عكرمة : الرقيم الدواة . وقيل : الرقيم اللوح من الذهب تحت الجدار الذي أقامه الخضر  
 وقيل : الرقيم أصحاب النار الذي انطبق عليهم ، فذكر كل واحد منهم أصلح عمله .

قلت : وفي هذا خبر معروف أخرجه الصحاح<sup>(١)</sup> ، وإليه نحا البتاري . وقال قوم :  
 أخبر الله عن أصحاب الكهف ، ولم يخبر عن أصحاب الرقيم بشيء . وقال الضحاك : الرقيم بلدة  
 بالقرب منها ، فادخلوا فيها أحد وعشرون نفسا كأنهم نيام على هيئة أصحاب الكهف . فقل هذا هم

(١) داجح صحيح مسلم ٨٠ ص ٨٩ طبع الاسكندرية . وشريح القسطنطيني من صحيح يهودي ١ ص ٢١٧  
 ص ٥٠ ص ٥٠٩ ص ٥٠٩ طبع برلين .

فَتَبَيَّنَ لَنَا مِنْ جَرَى لَأَسْحَابِ الْكَهْفِ . وَاقَهُ أَعْلَمَ . وَقِيلَ : لِلرَّقْمِ وَلَدٌ دُونَ قَلْبِطَيْنِ  
فِيهِ الْكَهْفُ ، مَاخُذْ مِنْ رُقَّةِ الْوَادِي وَهِيَ بَوَاضِعُ الْمَاءِ ، يَقَالُ : عَلَيْكَ بِالرَّقَّةِ رَدْعُ الصَّعْدَةِ ،  
ذَكَرَهُ الْفَرَزْدَقُ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَبِالنَّامِ عَلَى مَا صُنِفَتْ بِهِ مِنْ نَاسٍ كَثِيرٍ [كَهْفٌ] فِيهِ مَوْتٌ ،  
يَزْعَمُ جَاوِدُوهُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَعَلَيْهِمْ سَجْدٌ وَبَنَاءٌ يُسَمَّى الرَّقْمَ وَمَعَهُمْ كَلْبٌ رَقَّةٌ .  
وَبِالْأَنْدَلُسِ فِي جِهَةِ غَرْبِهَا بِقَرْبِ قَرْيَةٍ تُسَمَّى لَوْثَةَ كَهْفٍ فِيهِ مَوْتٌ وَمَعَهُمْ كَلْبٌ رَقَّةٌ ،  
وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ تَجَرَّدَ . وَبَعْضُهُمْ مِمَّا سَلَّكَ ، وَقَدْ مَضَتْ الْقُرُونُ السَّالِفَةُ وَلَمْ يَجِدْ مِنْ عِلْمِ شَأْنِهِمْ  
أَثَارَةٌ . وَيَزْعَمُ نَاسٌ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ ، دَخَلَتْ إِلَيْهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ سِتَّةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَهِيَ هَذِهِ  
الْحَالَةُ ، وَعَلَيْهِمْ مَسْجِدٌ ، وَقَرِيبُهُ مِنْهُمْ بَنَاءٌ رُومِي يُسَمَّى الرَّقْمَ ، كَأَنَّهُ فَعْرٌ خُلِقَ قَدْ بَقِيَ بَعْضُ  
جِدْرَانِهِ ، وَهُوَ فِي فَلَائِمٍ مِنَ الْأَرْضِ خَرِبَةٍ ، وَبِأَعْلَى غَرْبِهَا طَرِيقٌ عَلَى الْقِبْلَةِ آثَارُ مَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ رُومِيَّةٍ  
يَقَالُ لَهَا مَدِينَةُ دَقْيُوسَ . وَجُنْدَانَا فِي آثَارِهَا غَرَائِبُ مِنْ قُبُورٍ وَنَحْوِهَا .

قُلْتُ : مَاذَا كَرَمَ مِنْ رُؤْيَاهِ لَمْ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَتَا هُمُ غَيْرُهُمْ ، لِأَنَّهُ نَسَا لِي يَقُولُ فِي حَقِّهِ  
أَصْحَابُ الْكَهْفِ : « لَوْ أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فَرَارًا وَلَبَلْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا » . وَقَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَا بَوَّاهُ لِمَا أَرَادَ رُؤْيَاهُمْ : قَدْ مَنَعَ اللَّهُ مِنْ هُوَ خَيْرُكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَسَبَّاقِي قِاسِ  
الْقِصَّةِ . وَقَالَ جَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ « كَانُوا مِنْ آبَائِنَا غَنًا » قَالَ : هُمْ تَجَبُّ . كَذَا رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ  
عَنْهُ ، يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْكَارٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَكُونَ عَنْدهُ أَنَّهُمْ تَجَبُّ .  
وَرَوَى ابْنُ جَبْرِ عَنْهُ قَالَ : يَقُولُ لَيْسَ بِأَعَجَبٍ آبَائِنَا .

قَوْلُهُ نَسَا لِي : إِذَا أَوَى الْفَتْنَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنَّا  
لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا وَشَدَا ⑤

فِيهِ ثَلَاثُ سَأَلٍ :

الْأَوَّلُ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِذْ أَوَى الْفِتْنَةُ إِلَى الْكَهْفِ ) رَوَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ لُسُرَاةِ  
مَدِينَةِ دَقْيُوسَ الْمَلِكِ الْكَافِرِ ، وَيَسَالُ فِيهِ دَقْيُوسَ . وَرَوَى أَنَّهُمْ كَانُوا مَطْلُوفِينَ مِنْ قِبَلِ  
(١) الْأَمْرَةِ ، الْفِتْنَةِ .

بالذهب ذوى ذواتهم وهم من الروم واتبعوا دين عيسى - وقيل : كانوا قبل عيسى ،  
 والله أعلم - وقال ابن عباس : إن ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر له مدينة من مدائن  
 الروم يقال لها أقيوس . وقيل هي طرموس وكان بعد زمن عيسى عليه السلام فامر عبادة  
 الأصنام فدعا أهلها إلى عبادة الأصنام ، وكان بها سبعة أحدات يعبدون الله سرًا ، فرفع خبرهم  
 إلى الملك وخافوه فهربوا ليلا ، وصروا براع معه كلب فقبضهم فأودوا إلى الكهف فقبضهم الملك -  
 إلى ثم النار ، فوجد أثر دخولهم ولم يجد أثر خروجهم ، فدخلوا فاعلم الله إصهارهم فلم يروا شيئا ،  
 فقال الملك : سدوا عليهم باب النار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا . وروى مجاهد عن ابن عباس  
 أيضا أن هؤلاء القتيبة كانوا في دين ملك يعبد الأصنام ويذبح لها ويكثر بالله ، وقد تابعه من  
 ذلك أهل المدينة ، فوقع القتيبة علم من بعض الخوارج - حبا ذكر الفلاس أو من مؤمنى  
 أنهم قبلهم - فأمسوا بالله ورأوا يصايرهم فيبع فعل الناس ، فأخذوا تفرسهم بالزام الدين وعبادة  
 الله ، فرفع أمرهم إلى الملك وقيل له : إنهم قد فارقوا دينك واستخفوا أمتك وكفروا بها ،  
 فاستحضرهم الملك إلى مجلسه وأمرهم باتباع دينه والتدخ لآلته ، وتوعدهم على فراق ذلك  
 بالقتل ، فقالوا له فيما روى : « رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - إلى قوله - « وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهَا »  
 وروى أنهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به ، فقال لهم الملك : إنكم شأن أغمار لا أقول لكم ،  
 وأنا لا أنجز بكم بل أتناي فأذهبوا إلي منازلكم وذبروا رأيكم وأرجعوا إلى أمري ، وضرب  
 لهم في ذلك أجلا ، ثم إنه سافر خلال الأجل فتشاور القتيبة في المروء بأديانهم ، فقال لهم  
 أحدهم : إني أعرف كهفا في جبل كذا ، كان أبي يدخل فيه غنمه فلنذهب فلنختب فيه  
 حتى يفتح الله لنا ، فخرجوا فيما روى يلبسون بالصُّلحان والكزة ، وهم يدرجونها إلى نحو  
 طرهمم لتلا يشمر الناس بهم . وروى أنهم كانوا متخفين خضرة عید خرجوا إليه فركبوا  
 في حملة الناس ، ثم أخذوا باللقب بالصُّلحان حتى خفصوا بذلك . وروى وهب بن منبه أن  
 أول أمرهم إنما كان حواري لعيسى بن مريم جاء إلى مدينة أصحاب الكهف يريد دخولها ،  
 فأجر نفسه من صاحب الحمام وكان يعمل فيه ، فرأى صاحب الحمام في أعماله بركة عظيمة ،

قَالَنِي إِلَيْهِ بِكُلِّ آسْرَةٍ ، وَمَرَفَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَنِيَانِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَمَرَفَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى قَامَتَا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ ، وَاشْتَرَتْ خَطْمَتَهُمْ بِهِ ، فَأَتَى يَوْمًا إِلَى ذَلِكَ الْحِمَامِ وَلَدَهُ الْمَلِكُ بِأَمْرَةٍ أَرَادَ الْخَلْقُ بِهَا ، فَتَبَاهُ ذَلِكَ الْحَوَارِيُّ قَاتِنِي ، ثُمَّ جَاءَ صَبْرَةً أُخْرَى فَتَبَاهُ فَشْتَمَهُ ، وَأَمَضَى عَزَمَهُ فِي دُخُولِ الْحِمَامِ مَعَ الْبَيْتِ ، فَدَخَلَ فَنَاقَا بِهِ جَمِيعًا ، فَأَتَاهُمْ ذَلِكَ الْحَوَارِيُّ وَأَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمَا ، فَفَرَّوا جَمِيعًا حَتَّى دَخَلُوا الْكَهْفَ . وَقِيلَ فِي خُرُوجِهِمْ فِيهِ هَذَا .

وَأَمَّا الْكَلْبُ فَرَوَى أَنَّهُ كَانَ كَلْبَ صَيْدٍ لَمْ ، وَرَوَى أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي طَرَفِهِمْ رَاعِيًا لَهُ كَلْبٌ فَاتَّبَعَهُمُ الرَّاعِي عَلَى رَأْسِهِمْ وَذَهَبَ الْكَلْبُ مَعَهُمْ ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَلِاسْمِ الْكَلْبِ حِرَانٌ وَقِيلَ قَطْمِيرٌ .

وَأَمَّا أَسْمَاءُ أَهْلِ الْكَهْفِ فَاعْجَمِيَّةٌ ، وَالسَّنْدُ فِي مَعْرِفَتِهَا وَاهٍ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ هِيَ هَذِهِ : مَكْسَلِيَّةٌ وَهِيَ أَكْبَرُهُمْ وَالْمُتَكَلِّمُ عَنْهُمْ ، وَحَسْبِيلِيَّةٌ وَبَعْلِيَّةٌ ، وَهِيَ الَّتِي مَضَى بِالْوَيْقِ إِلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ بَيْتِهِمْ مِنْ رَقْدَتِهِمْ ، وَمَرْطُوسٌ وَكَنْثُوطُوشُ وَدِيغُوسُ وَيَطُونُوسُ وَيِيرُونُوسُ . قَالَ مِقَاتٌ : وَكَانَ الْكَلْبُ لِمَكْسَلِيَّةٍ ، وَكَانَ أَسْمُهُمْ وَصَاحِبُهُمْ .

الثَّانِيَّةُ - هَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي الْفِرَارِ بِالَّذِينَ وَهَجَرُوا الْأَهْلَ وَالْبَيْنَ وَالضَّرَائِبَاتِ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَوْطَانَ وَالْأَمْوَالَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ وَمَا يُلْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْهَيْبَةِ . وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَارًا بِدِينِهِ ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ ، وَجَلَسَ فِي الْمَارِ حَسْبًا قَدَمًا فِي سُورَةِ النُّحْلِ (١) . وَقَدْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ فِي « رَاةٍ » وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَهَجَرُوا أَوْطَانَهُمْ وَتَرَكُوا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَقُرَابَاتَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ ، وَجَاءَ السَّلَامَةُ بِأَيِّهِمْ ، وَالنَّجَاةُ مِنْ فِتْنَةِ الْكَافِرِينَ . فَسُكِّنَ الْجِبَالُ وَدُخِلَ الْبَيْرَانُ ، وَالْمَزَلَةُ عَنِ الْخَلْقِ وَالْأَفْرَادِ بِالْخَلْقِ ، وَجَوَّازُ الْفِرَارِ مِنَ الظَّالِمِ هِيَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَقَدْ فَضَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَزَلَةَ ، وَفَضَّلَهَا جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ لِأَسْيَا عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَفَسَادِ النَّاسِ ، وَقَدْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : « فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ »

(١) رَابِعٌ ص ١٥٩ مِنْ هَذَا الْبَعْزِ . (٢) رَابِعٌ ص ٨٤ ص ١٤٣ رَمَا يَحْدُثُ .

قال العلماء: ألا اعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرياط، ومرة في البيوت، وقد جاء في الخبر: "إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكُف لسانك". ولم يخص موضعا من موضع. وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، إن كنت بين أظهرهم. وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: إن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله غص منهم، وإن خاضوا في غير ذلك فأسكت. وروى الباقون عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن الذي يحاط الناس وبصر على أذنام أفضل من المؤمن الذي لا يحاط لهم ولا يصبر على أذنام". وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نعم صوامع المؤمنين بيوتهم" من مراسل الحسن وعمره. وقال عفة بن عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما النجاة يا رسول الله؟ فقال: "بأعفة أسكت عليك لسانك ولتسكت فمك وأبك على خطيئتك". وقال صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان خبر مال الرجل المسلم المم بنع بها شغف الجبال ومواقع القطر يميز بيده من الفس". أخرجه البخاري. وذكر على بن سعد عن الحسن أن واقدا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كانت سنة ثمانين ومائة فقد حلت لأمتي العزلة والعزلة والترهب في رؤوس الجبال". وذكر أيضا على بن سعد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن رحمه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من قرأ دينه من شاعق إلى شاعق أو هجر إلى هجر فإذا كان ذلك لم تتل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان ذلك حلت المرأة". قالوا: يا رسول الله، كيف تجل العزلة وأنت تأمرنا بالتزويج؟ قال: "إذا كان ذلك كان فساد الرجل على بدى أيوبه فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على بدى زوجته فإن لم تكن له زوجة كان هلاكه على بدى ولده فإن لم يكن له ولد كان هلاكه على بدى القرامات والحيران". قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "يسيرونه مضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فسد ذلك بورد فضه الموارد التي يملك فيها".



قلت : أحوال الناس في هذا الباب تختلط ، فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والسيران في الجبال ، وهي أرفع الأحوال لأنها الحلة التي اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في بداية أمره ، ونص عليها في كتابه فخرا عن الفتية ، فقال : « وإذا آتواكم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف » . ورب رجل تكون العزلة له في بيته أخف عليه وأسهل ، وقد اعتزل رجال من أهل بدر فزبروا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم . ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبرها على مخالطة الناس وأذاهم ، فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن . وذكر ابن المبارك حثشا وهيب بن الورد قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا ! وقد حثت نفسي ألا أخاطبهم . فقال : لا تفعل ! إنه لا بد لك من الناس ، ولا بد لهم منك ، ولك الجسم حوايج ، ولهم لك حوايج ، ولكن كن فيهم أصم سميا ، أعمى بصيرا ، سكوتا ظلوفا . وقد قيل : إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب ، مثل الاعتكاف في المساجد ، ولزوم السواحل للزباط والذكر ، ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس ، وإنما جاءت الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع القوم — والله أعلم — لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها ؛ فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه ؛ كما ذكرنا ، والله الموفق وبه العصمة . وروى عتبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يسحب<sup>(١)</sup> ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصل فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعملي وأدخلته الجنة » . نرحله الناس .

الثالثة — قوله تعالى : ( وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ) لما أمرنا من يطلبهم اشتغلوا بالدعاء ولبثوا إلى الله تعالى فقالوا : « رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً » أي مغفرة ورضا . « وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا » توفيقا للرشاد . وقال ابن عباس : خرجنا من النار في سلامة . وقبل صوابا . وفي هذا المعنى أنه عليه السلام كان إذا خرج أمر فزع إلى الصلاة .

(١) سحب : كسب ، أي يرشيه ويثيبه . (٢) الشظية (بفتح الشين زكر الطاء) : قطعة مرصعة لداس الجبل . (٣) لما إذا نزلت بهم أو أماءهم ، وفي الأصول : « إذا أجزه » والصواب من كتب الحديث .

قوله تعالى : فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ⑪

عبارة عن إلقاء الله تعالى النوم عليهم . وهذه من فصيحات القرآن التي أقرت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله . قال الزجاج : أى متعاهم عن أن يسمعوا ؛ لأن التأثم إذا سمع انقبه . وقال ابن عباس : ضربنا على آذانهم بالنوم ؛ أى سلدنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها . وقيل : المعنى « فضربنا على آذانهم » أى فاستجبنا دعاءهم ، وصرفنا عنهم شر قومهم ، وأغناهم . والمعنى كله متقارب . وقال فطرب : هذا كقول السرب ضرب الأمير على يد الرعيبة إذا منهم الفساد ، وضرب السيد على يد عبده الماذون له في التجارة إذا منعه من التصرف . قال الأسود بن يسكر وكان ضيرياً :

ومن الحوادث لا أباك إني \* ضربت على الأرض بالأسد

وأما تخصيص الأذنان بالذكر فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم ، ولما يقطع نوم تأثم إلا من جهة أذنه ، ولا يستحكم نوم إلا من تعطل السمع . ومن ذكر الأذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم : « ذلك رجل بال الشيطان في أذنه » خرج به الصحيح . أشار عليه السلام إلى رجل طويل النوم ، لا يقوم الليل . و « عددًا » نعت للسنين ؛ أى معدودة ، والقصد به العبارة عن الكثير ؛ لأن القليل لا يحتاج إلى عدد لأنه قد عُرف . والمعد المصدر ، والمعد اسم المعدود كالنفض والخطب . وقال أبو عبيدة : « عددًا » نصب على المصدر . ثم قال قوم : بين الله تعالى عدد تلك السنين من بعد فقال : « وَلَيُّوْا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا » .

قوله تعالى : ثُمَّ بَشَّرْنَاهُمْ لِنُعَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ⑫

قوله تعالى : ( ثُمَّ بَشَّرْنَاهُمْ ) أى من بعد نومهم . ويقال لمن أُخِي أو أُقِيم من نومه مبعوث ؛ لأنه كان غموما من الانكبات والتصرف .

(١١) واحد الأسد : مد ، وهو ذئب البصر ، يقول : مدت على الطريق ؛ أى عبت على مداعير .

قوله تعالى : ( لَتَلْمِزُنَّكُمُ الْمَظْمُونُ ) « لَتَلْمِزُ » عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود ومشاهدته ؛ وهذا على نحو كلام العرب ، أى لَتَلْمِزُ ذلك موجودا ، وإلا لقد كان الله تعالى علم أى المظمين أحصى الأمد . وقرا الزمخشرى « لَتَلْمِزُ » بالياء . والحزبان الفريقان . والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفئة إذ ظنوا لبهم قليلا . والحزب الثانى أهل المدينة الذين بُسَّتْ عَلَيْهِمْ عُلُوبُهُمْ ، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفئة ؛ وهذا قول الجمهور من المفسرين . وقالت فرقة : هما حزبان من الكافرين ، أختلفا في مدة أصحاب الكهف . وقيل : هما حزبان من المؤمنين . وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بالفاظ الآية . وه « أَحْصَى » فعل ماضى . وه « أَمَدًا » نصب على المفعول به ؛ قاله أبو علي . وقال السجستاني : نصب على التمييز . وقال الزجاج : نصب على الظرف ، أى أى المظمين أحصى للبهم في الأمد ، والأمد الغاية . وقال مجاهد : « أَمَدًا » معناه عددا ، وهذا تفسير بالمبنى على جهة التفسير . وقال الطبري : « أَمَدًا » منصوب به « لَتَلْمِزُنَّ » . ابن عطية : وهذا غير متجه ، وأما من قال إنه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال أن أفضل لا يكون من فعل رباعى إلا في الشاذ ، وه « أَحْصَى » فعل رباعى . وقد يمتنع له بأن يقال : إن أفضل في الرباعى قد كثر ، كقوله : ما أعطاه لئلا وآتاه الخير . وقال في صفة حوضه صلى الله عليه وسلم « ماؤه أبيض من اللبن » . وقال عمر بن الخطاب : فهو لما سواها أفضح .

قوله تعالى : ( مَن نَّقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى )

قوله تعالى : ( مَن نَّقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ) لما انقضت قوله تعالى « لَتَلْمِزُكُمُ الْمَظْمُونُ » اختلغا وقع في أمد الفتنة ، غلب بالخبر من أنه عز وجل يعلم من أمرهم بالحق الذى وقع . وقوله تعالى « إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ » أى شياطين أحدث حكم لهم بالفتنة حين آمنوا بلا واسطة ؛ كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتنة الإيمان . وقال الجنيدي : الفتنة بذل التدى وكُفِّ الأذى وترك الشكوى . وقيل : الفتنة اجتناب الحارم واستقبال المكالم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جدا ، لأنه يتم بالمعنى جميع ما قيل في الفتنة .

قوله تعالى : ( وَرَبَّنَا هِدْئِ ) أى يترتّب العمل الصالح من الاقطاع إلى الله تعالى ، ومباعدة الناس ، والزهد في الدنيا . وهذه زيادة على الإيمان . وقال السدى : زادهم هدى بكتاب الراعى حين طردوه وزجوه عفاة أن يفتح عليهم ويؤتاهم بهم ، فرفع الكلب يديه إلى السماء كالبداعى فأطلقه الله ، فقال : يا قوم ! لم تطردوني ، لم ترجعوني ! لم تضربوني ! فوافقه لقد صرفت الله قبل أن تعرفه بأربعين سنة ، فزادهم الله بذلك هدى .

قوله تعالى : وَرَبَّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝

قوله تعالى : ( وَرَبَّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ) عبارة من شدة مزج وقوة صبر ، أعطاهم الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار : « رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا » . ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط ، ومنه يقال : فلان رابط الجاش ، إذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها . ومنه الربط على قلب أم موسى ، وقوله تعالى : « وَلَيَرْبِطَنَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » وقد تقدم

قوله تعالى : ( إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ) فيه مسائلان ،

الأولى - قوله تعالى : ( إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ) يحمل ثلاثة معان : أحدها - أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر - كما تقدم ، وهو مقام يحتاج إلى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ، ورفضوا في ذات الله هيته . والمعنى الثاني فيما قيل : إنهم أولاد عظام تلك المدينة ، فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير مياد ، فقال أسفهم : إني أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض ، فقالوا ونحن كذلك نجد في أنفسنا . فقالوا جميعا : « رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا » .

أى ثن دعوتنا لما فيه فقد قلنا إذا جوراً وعيلاً . والمعنى الثالث : أن يبر بالقيام من اتبعهم بالزم إلى المروب إلى الله تعالى ومناينة الناس كما يقول : قام فلان إلى أمر كذا إذا بزم عليه غاية الجدة .

الثانية - قال ابن عطية : تعلقت الصوفية في القيام والقول بقوله « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » .

قلت : وهذا تلقى غير صحيح ؛ هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته ، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم ؛ وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء . أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام ؛ وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان ؛ هيات ؛ يهنأ والله ما بين الأرض والسماء . ثم هذا حرام عند جماعة العلماء ، على ما يأتي ، سيأتي في سورة لقمان إن شاء الله تعالى . وقد تقدم في « سبلات » عند قوله : « ولا تمش في الأرض مرحاً » ما فيه كفاية . وقال الإمام أبو بكر الطرسوسى : وسئل من مذنب الصوفية . فقال : وأما الرقص والتواجد فأقول من أحدثه أصحاب السامرية ؛ لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوالبه ويتواجدون ؛ فهو دين الكفار ومبادئ السبل ، على ما يأتي .

قوله تعالى : هَذُولًا قَوْمًا أَعْمَلُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ قَدْ أَظْلَمُ لِمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝

قوله تعالى : ( هَذُولًا قَوْمًا أَعْمَلُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ) أى قال منهم لبعض : هؤلاء قومنا ، أى أهل عسرتنا ولجنتنا ، عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة . ( لَوْ لَا ) أى هلا . ( يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) أن نجدة على عبادتهم الصنم . وقيل : « عليهم » راجع إلى الآلهة ، أى هلا أقاموا آية على الأصنام في كونها آلهة ؛ فنولم هلولاً تعريض بمعنى التضييق ؛ وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يفتت إلى دعواتهم

قوله تعالى : وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْفُوا بِإِلَى  
الْكَهْفِ بِنُشْرُكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرِيقًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : (وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ) قيل : هو من قول الله لهم . أى وإذ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ فَأَوْفُوا  
إِلَى الْكَهْفِ . وقيل : هو من قول رئيسهم يليخا ؛ فيما ذكر ابن عطية . وقال القرطبي :  
رئيسهم مكليبا ؛ قال لهم ذلك ؛ أى إِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَأَعْرَضْتُمْ مَا يَعْبُدُونَ . ثم استثنى وقال  
(إِلَّا اللَّهَ) أى أنكم لم تتركوا عبادته ؛ فهو استثناء مفرغ . قال ابن عطية : وهذا على تقدير  
إِنَّ الَّذِينَ فِي أَهْلِ الْكَهْفِ مِنْهُمْ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ؛ وَإِنَّمَا يَتَّقُونَ الْأَسْمَاءَ  
فِي الْوَحْيِهِمْ فَقَطْ . وَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ لَكِنَّمْ يَشْرَكُونَ أَصْنَامَهُمْ  
مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ فَلَا اسْتِثْنَاءَ مُتَصِلَ ؛ لِأَنَّ الْإِعْرَاضَ وَقَعَ فِي كُلِّ مَا يَعْبُدُ الْكَافِرُ إِلَّا فِي جِهَةِ اللَّهِ .  
وفى مصحف عبد الله بن مسعود « وما يعبدون من دون الله » . قال قتادة هذا ضميرها .

قلت : ويدل على هذا ما ذكره أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني في قوله تعالى  
« وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ » قال : كان خيبة من قوم يعبدون الله ويعبدون معه  
ألهة فاعترلت الفتيحة عبادة تلك الألهة ولم تعزل عبادة الله .

ابن عطية : فعل ما قال قتادة تكون « إِلَّا » بمتزلة غير ، و « مَا » من قوله « وما يعبدون  
إِلَّا اللَّهَ » في موضع نصب ، عطفا على الضمير في قوله « اعترضتمهم » . ومضمن هذه الآية  
أَنْ بَعْضُهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ : إِذَا قَارَعْنَا الْكَافِرَ وَأَقْرَعْنَا بِاللَّهِ تَعَالَى فَتَجْعَلِ الْكَهْفَ مَأْوًى وَتَكُنْ  
عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ سَيَبْسُطُ لَنَا رَحْمَتَهُ ، وَيَنْشُرُهَا عَلَيْنَا ، وَيَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَرِيقًا . وهذا كله  
دعاء بحسب الدنيا ، وعلى ثقة كانوا من الله في أمر آخرتهم . وقال أبو جعفر محمد بن علي  
ابن الحسين رضى الله عنه : كان أصحاب الكهف صياقة ، واسم الكهف جحوم . (مرقأ) (مرقأ)  
فَرَى بِكسر الميم وفتحها ، وهو ما يُرْفَقُ بِهِ . وكذلك مَرِيقُ الْإِنْسَانِ وَمَرِيقُهُ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ  
يَعْمَلُ « الْمَرِيقَ » بفتح الميم الموضع للمسجد ، وهما لغتان .

قوله تعالى : وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْرَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ  
وَلَيَا مَرِشِدًا ۝ (١٧) وَنَحْبِسُهُمْ آيَاتُنَا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ۝ (١٨)

قوله تعالى : ( وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ) أي ترى آياتها المخاطبة الشمس عند طلوعها تبجل عن كهفهم . والمضى : إنك لو رأيتهم لأبهم كما لا ألة المخاطب رآهم على التحقيق . و « تزور » تفتي وتبجل . من الأزورار . والأزور الميل . والأزور في العين المسائل النظر إلى ناحية ، ويستعمل في غير العين ؛ كما قال ابن أبي ربيعة .  
• وَجَنَّبِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ •

ومن اللفظة قول عنترة :

• فَأَزُورُ مَنْ وَقَعَ الْقَتْلُ بِلَيْلِهِ •

وق حديث غزوة مؤتة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في سريره عبد الله بن رواحة أزوراراً عن سريره جعفر وزيد بن حارثة . وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو « تزور » بإدغام التاء في الزاي ، والأصل « تزاور » . وقرأ عاصم وحزرة والكسائي « تزور » بحفظة الزاي .

(١) واليت غناه كان « يراه »

وحسن من الصوت أفلت بشية له . حباب وحصى حشبة الخ أزور  
والحباب ( بالضم ) : الحبة . وقيل هذا البيت :

فلما خفت الصوت منهم والحيث • صايح وثبت بالشد وانزور  
وطاب كسر كنت أهوى لمهوى • وروى دجانب ففهم كسر

(٢) ونماه .  
والإبان ( بالفتح ) : الصدر . والحسم : صوت خفق نفس بالصيل .

وقرأ ابن عامر « تَرَوُّز » مثل تَجَر . وحكى الفراء « تَرَوَّاز » مثل تَحَار ، كلها بمعنى واحد .  
 ( وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ) قرأ الجمهور بالناء على معنى تركهم ؛ قاله مجاهد . وقال قتادة :  
 تدعهم . النحاس : وهذا معروف في اللغة ؛ حكى البصريون أنه يقال : فرضه يفرضه  
 إذا تركه ؛ والمعنى : أنهم كانوا لا تصيبهم شمس ألبنة كرامة لهم ؛ وهو قول ابن عباس . معنى  
 أن الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين ، أي يمين الكهف ، وإذا غربت تحزبهم  
 ذات الشمال ، أي شمال الكهف ، فلا تصيبهم في ابتداء النهار ولا في آخر النهار . وكان كهفهم  
 مستقيل بنات نقش في أرض الروم ، فكانت الشمس تقبل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تباليهم  
 لتؤذيهم بحرها ، وتغير ألوانهم وتبيل ثيابهم . وقد قيل : إنه كان لكهفهم حاجب من جهة  
 الجنوب ، وحاجب من جهة القبور وهم في زاويته . وذهب الزجاج إلى أن فعل الشمس  
 كان آية من الله ، دون أن يكون باب الكهف إلى جهة توجب ذلك . وقرأت فرقة  
 « يقرضهم » بإلواء من القرض وهو القطع ، أي يقطعهم الكهف بظلمة من ضوء الشمس .  
 وقيل : « وإذا غربت تقرضهم » أي يصيبهم يسير منها ، مأخوذ من قرأضة الذهب والفضة ،  
 أي تعطيمهم الشمس اليسير من شعاعها . وقالوا : كان في سبيلها لم يفتني إصلاح لأجسادهم .  
 وعلى الجملة فالآية في ذلك أن الله تعالى أوامهم إلى كهف هذه صفته لا إلى كهف آخر  
 يتأذون فيه بانسباط الشمس عليهم في معظم النهار . وعلى هذا فيمكن أن يكون صرف  
 الشمس عنهم بإظلال غمام أو سبب آخر . والمقصود بيان حفظهم عن طعن البلاء وتبديل  
 الأبدان والألوان إليهم ، ولما أدى بحراو يد . ( وَهُمْ فِي بَقْعَةٍ مِنْهُ ) أي من الكهف . والبقعة  
 المنع ، وجمعها بقعات وبقعات ، مثل ركة وركاء وركوات . وقال الشاعر :

و نحن ملأنا كل وادٍ وبِقْعَةٍ • رجلا وخيلا غير ميل ولا عُرَا

أي كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهواء . ( ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) لطف بهم ، وهذا يقوى قول  
 الزجاج . وقال أهل التفسير : كانت أعينهم مفتوحة وهم نامون ، فكذلك كان الرائي يحسبهم  
 أيقاظا . وقيل : تحسبهم أيقاظا لسكرتهم فقلبتهم كالسبيقت في مضجعه . ( أَيْقَظَا )



جمع غظ و يظنان، وهو المنيب . ( وَهُمْ رُّؤُودٌ ) كقولهم : وهم قوم وكرم وعبود وقعود ؛  
فوصف الجمع بالمصدر . ( وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ) قال ابن عباس : فلا تأكل  
الأرض لجوعهم . قال أبو هريرة : كان لهم في كل عام قليتان . وقيل : في كل سنة مرة .  
وقال مجاهد : في كل سبع سنين مرة . وقالت فرقة : إنما قَلَبُوا في السبع الأواخر ، وأما  
في الثمانية فلا . وظاهر كلام المفسرين أن القليب كان من فعل الله . ويجوز أن يكون من  
مَلَيْكَ بأمر الله ، فيضرب إلى الله تعالى .

قوله نصال : ( وَكَلَّمَهُمْ بِاسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ) فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَكَلَّمَهُمْ ) قال عمرو بن دينار : إن مما أخذ على القنبر  
ألا ينظر أخيراً [ قَالَ ] في ليله أو في نهاره : صلى الله على نوح . وإن مما أخذ على الكلب  
ألا ينظر من حمله عليه [ إِذَا قَالَ ] : وكلمهم باسط ذراعيه بالوصيد .

أكثر المفسرين على أنه كلب حقيقة ، وكان لصيد أحدهم أو لزمه أو غنمه ، على ما قال  
مقاتل . واختلف في لونه اختلافاً كثيراً ، ذكره التلمبي . تحصيله : أي لون ذكوت أصبت ؛  
حتى قيل لون الجبر وقيل لون السماء . واختلف أيضاً في اسمه ، فمن على : ريان . ابن عباس :  
قطمير . الأوزاعي : مشير . عبد الله بن سلام : بسط . كعب : صيا . وهب : قيا .  
وقيل قطمير ؛ ذكره التلمبي . وكان اقتناء الكلب جائزاً في وقتهم ، كما هو عندنا اليوم جائز  
في شرعنا . وقال ابن عباس : هريرة ليلاً ، وكانوا سبعة فزوا برأع معه كلب فأتيهم على  
دينهم . وقال كعب : مرّوا بكنب فتبع لم فطرده فناد فطرده مراراً ، فقام الكلب على  
رجله ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي ، فطلق فقال : لا تخافوا مني ! أنا أحب أحباً الله  
تعالى فقاموا حتى أحرسكم .

الثانية - ورد في الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من اتقى  
كلباً إلا كلب صيد أو ماشية غصص من أجرة كل يوم فیراطان " . وروى الصحيح أيضاً عن

(١) زاد نيس كلب حياء المهران . (٢) في حياة المهران : « سلام على نوح » .

أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع أشقى من أجره كل يوم قيراط " . قال الزهري : وذكر لابن عمر قول أبي هريرة فقال : يرحم الله أبا هريرة ! كان صاحب زرع ، فقد دلت السنة السابقة على اقتناء الكلب للصيد والزروع والماشية . وجعل النفس في أجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعة ، إما لترويع الكلب المسلمين وترويضه عليهم بفساحه ، أو لمنع دخول الملائكة البيت ، أو لدحاسته ، على ما يراه الشافعي ، أو لاحتحام النبي عن اتخاذ مالا منفعة فيه ، والله أعلم . وقال في إحدى الروايتين " قيراطان " وفي الأخرى " قيراط " . وذلك بمحتمل أن يكون في نوعين من الكلاب أحدهما أشد أذى من الآخر كالأسود الذي أمر عليه السلام بقتله ، ولم يدخله في الاستثناء حين نهى عن قتلها كما هو منصوص في حديث جابر ؛ أخرجه الصحيح . وقال : " عليكم بالأسود البهي ذي التفتين فإنه شيطان " . ويحتمل أن يكون ذلك لاختلاف المواضع ، فيكون مسك بالمدينة مثلا أو بمكة ينقص قيراطان وبغيرها قيراط . وأما المباح اتحاده فلا ينقص ؛ كالغرس والهزة . والله أعلم .

الثالثة — وكلب الماشية المباح اتحاده عند مالك هو الذي يسرح معها ، لا الذي يحفظها في الدار من السرقة . وكلب الزرع هو الذي يحفظها من البرحوش بالليل أو بالنهار لا من السرقة . وقد أجاز غير مالك اتحاده لسراق الماشية والزرع . وقد تقدم في « المسألة » من أحكام الكلاب ما فيه كفاية ، والحمد لله .

الرابعة — قال ابن عطية : وحديث أبي رضى الله عنه قال سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة : إن من أحب أهل الخير مال من يركبهم ؛ كلب أحب أهل فضيل ومجهم فذكره الله في محكم تنزيله .

قلت : إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحته ومعالظته الصالحا والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا فما ظنك المنزعين الموحدين المخالفين

الحسين الأولياء والصالحين ! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقفرين عن درجات البكال ،  
 للحسين النبي صلى الله عليه وسلم وآله خير آل . روى الصحيح عن أنس بن مالك قال : بينا  
 أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجلا عند سدة المسجد قال :  
 يا رسول الله ، متى الساعة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أعددت لها " قال :  
 فكان الرجل أسكنا ، ثم قال : يا رسول الله ، ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام  
 ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله . قال : " فأت مع من أحببت " . في رواية قال  
 أنس بن مالك : فما فرحتنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : " فأت  
 مع من أحببت " . قال أنس : فانا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فارجو أن أكون  
 معهم وإن لم يعمل بأعمالهم .

قلت : وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس ، فكذلك تطلعت  
 أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين ، كتب أحب  
 قوما قد كره الله معهم ! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام ، وحسب النبي صلى الله  
 عليه وسلم ، « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على  
 كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وقالت فرقة : لم يكن كلبا حقيقة ، وإنما كان أحدهم ، وكان قد قدم عند باب القنطرة  
 لهم ، كما سمى النعم التاج لجوزاء كلبا ، لأنه منها كالكلب من الإنسان ، ويقال له : كلب الجبار .  
 قال ابن عطية : فسئ باسم الحيوان الملازم لتلك الموضع أما إن هذا القول يعضده ذكر  
 بسط القترابين فلأنها في العرف من صفة الكلب حقيقة ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :  
 " ولا بسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب " . وقد حكى أبو عمر الطعز في كتاب البواقيت

(١) في بعض نسخ الأصل بدله « طيبة لم » ، « قال ابن عطية : فسئ باسم الحيوان الملازم لتلك الموضع » .  
 وزاد غير لازمة . وألقى في سياة الحيوان للسيرى في اسم الكلب : « وقال فرقة : كان أحدهم وكان قد قدم عند باب  
 القنطرة طيبة لم ، فسئ باسم الحيوان الملازم لتلك الموضع من أناس كما سمى النعم التاج لجوزاء كلبا لأنه منها كالكلب من  
 الإنسان ، وهذا القول يعضده ... » الخ . (٢) الجبار : اسم لجوزاء .

أنه قرئ « وكالهم باسط ذراعيه بالوصيد » . فيحتمل أن يريد بالكالب هذا الرجل  
 حل ما زوى ، إذ باسط الذراعين والوصوف بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الريسة  
 المستخفي بنفسه . ويحتمل أن يريد بالكالب الكلب . وقرأ جعفر بن محمد الصادق  
 « وكالهم » يعني صاحب الكلب .

قوله تعالى : ( بَاسِطُ ذِرَاعَيْهِ ) أعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي ؛ لأنها حكاية حال  
 ولم يقصد الإخبار عن فعل الكلب . والذراع من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى .  
 ثم قيل : باسط ذراعيه لطول المدة . وقيل : نام الكلب ، وكان ذلك من الآيات . وقيل :  
 نائم مفتوح العين . والوصيد : الفناء ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير ، أى فناء الكهف ،  
 والجمع وصائد ووُصِد . وقيل الباب . وقاله ابن عباس أيضا . وأُنشد :

بارض قضاء لا يسد وصيدها • على وممروى بها غير منك

برودة تقدم . وقال عطاء : عتبة الباب ، والباب الموصد هو المنطق . وقد أوصدت الباب  
 وأصدته أى أغلقتها . والوصيد : النبات المتغارب الأصول ، فهو مشترك ، والله أعلم .

قوله تعالى : ( لَوَأْطَلَمْتَ عَلَيْهِمْ ) قرأ الجمهور بكسر الواو . والأعشى ويحيى بن وثاب  
 بضمها . ( لَوَأْطَلَمْتَ مِنْهُمْ فَرَارًا ) أى لو أشرفت عليهم لمهرب منهم . ( وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنْتُمْ  
 آتَاهُمْ ) أى لما حفرهم الله تعالى من الرعب واكتشفهم من الحمية . وقيل : لوحشة مكانهم ، وكُنْتُمْ  
 آتَاهُمْ الله إلى هذا المكان الوَحْشِ (١) في الظاهر ليغفر الناس عنهم . وقيل : كان الناس محجوبين  
 عنهم بالرعب ، لا يحس أحد منهم على الدنو إليهم . وقيل : الفرار منهم لطول شعورهم  
 وأظفارهم ؛ ذكره المهدوي والناس والزجاج والقشيري . وهذا جيد ؛ لأنهم لما استيقظوا  
 قال بعضهم لبعض : لبنا يوما أو بعض يوم . ودل هذا على أن شعورهم وأظفارهم كانت  
 بجالدا ؛ إلا أن يقال : إنما قالوا ذلك قبل أن ينظروا إلى أظفارهم وشعورهم . قال ابن عطية :  
 والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيها

(١) مكان وحش = غليظ .

آية ، فلم يُبَلِّ لم ثوب ولم تُبَرِّ صفة ، ولم يُكِر الناحض إلى المدينة إلا معالم الأرض والباء ، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم . وقرأ نافع وابن كثير وابن عباس وأهل مكة والمدينة « لَمَلَّتْ مِنْهُمْ » بتشديد اللام على تضعيف المبالغة ؛ أي ملئت ثم ملئت . وقرأ الباقون « ملئت » بالتخفيف ، والتخفيف أشهر في اللغة . وقد جاء التنزيل في قول الخُبَل السعدي :

وإذ فَتَكَ الثَّعْلَانِ بالاس تحميراً • فُلِّيَ من كعب بن عوف سلاسله  
وقرأ المجهور « رُعْبًا » بإسكان العين . وقرأ بضمة أبو جعفر . قال أبو حاتم : هما لثان .  
و « فرارا » نصب على الحال و « رُعْبًا » مفعول ثان أو تميز .

قوله تعالى : وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ قَالِ قَابِلٌ مِنْهُمْ  
كَرَّ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ  
فَاقْبَعُوا أَحَدَكُمْ يَوْمَ فِكْرِهِ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا  
فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا  
عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ) البعث : التحريك عن سكون .  
والمعنى : كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدى وقلبان بشتائم أيضا ؛ أي أيقظناهم من نومهم  
على ما كانوا عليه من هيبتهم في ثيابهم وأحوالهم . قال الشاعر :  
وَفَيْنَانِ صَدَقَ قَدْ بَعَثَتْ بَسْحَرَةً • فقاموا جميعا بين عاتٍ وثوان

أي أيقظت . واللام في قوله « لِنِسَاءِهِمْ » لام العيرورة وهي لام الماقبة ؛ كقوله « لِيَكُونَ  
لَهُمْ عَذَابٌ وَاسِعًا » فيمئذ لم يكن لأجل تساؤلهم .

(١) البيت لأمرئ القيس . والسرعة (النهم) : السر . وقيل أعل السر . وقيل : هو من ثل الليل الآثر  
ال طبع الله به .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا بُرِّئُوا وَبُرِّئَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ وَابْغَضُوا إِلَهُهُمْ وَدُخِلُوا فِي سُلُوكِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا ﴾ وذلك أنهم دخلوه غدوةً وبغتهم الله في آخر النهار ؛ فقال ويحكم علينا أمكسليها : الله أعلم بالحق .

قوله تعالى : ﴿ فَأَبْغَضُوا إِلَهُكُمْ يَوْمَ ذَلِكَ لَمَّا لَبِثُوا فِي الْعِلْيَةِ ﴾ فيه سبع مسائل :

الأولى - قال ابن عباس : كانت ورقهم كأخفاف الریح ؛ ذكره النحاس . وقرأ ابن كثير ونافع وابن عمر والكسائي وحفص عن عاصم « بورقكم » بكسر الراء . وقرأ أبو عمرو وحسنه وأبو بكر عن عاصم « بورقكم » بشكون الراء ، حذفوا الكسرة لتقلها ، وهما لثتان . وقرأ الزجاج « بورقكم » بكسر الواو وسكون الراء . ويرى أنهم ابتدوا جياعا ، وأن المبعوث هو تميم ، كان أمغريه ؛ فإذ ذكر القرينة : والمدينة : أنفوس ؛ ويقال هي طرسوس ؛ وكان اسمها في أيامه أنفوس ؛ فلما جاءه الإسلام سموها طرسوس . وقال ابن عباس : كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم .

الثانية - قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرُوا فِي آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ قال ابن عباس : أهل ذبيصة ؛ لأن أهل بلدهم كانوا يذبحون على أسم الصنم ، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم . ابن عباس : كان عاقبتهم مجوسا . وقيل « أذكى طعاما » أى أكثر بركة . قيل : إنهم أصروه أن يشتري ما يظن أنه طعام اثنين أو ثلاثة لئلا يطلع عليهم ، ثم إذا طبخ كفى جماعة ؛ ولهذا قيل ذلك الطعام الأرز . وقيل : كان زيبا . وقيل قرا ؛ فانه أعلم . وقيل : « أذكى » أحلىب . وقيل أرخص . ﴿ فَلْيَنْظُرُوا فِي آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أى بقوت . ﴿ وَلْيَسْلُفُوا ﴾ أى فى دخول المدينة وشراء الطعام . ﴿ وَلَا يُسْمِرْكُمْ أَيُّكُمْ أَخَذَ ﴾ أى لا يخبر . وقيل : إن ظهر عليه فلا يوقع إخوانه فيها وقع فيه . ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ قال الزجاج : معناه بالجماعة ، وهو أخبث القتل . وقيل : يرموكم بالسب والتمس ؛ والأول أصح ، لأنه كان عازما على قتلهم كما تقدم في قصصهم . والرجم فيما سلف هى كانت على ما ذكر قبله [ عقوبة ] مخالفة دين الناس إذ هى أشنى لجنه أهل ذلك الدين من حيث إنهم يشتركون فيها .

(١) الرج (كفر) ؛ همل ينجى في الرج . (٢) زيادة يفضي البياض .

الثالثة - في هذه البينة بالورق دليل على الوكالة وصحتها . وقد وكل علي بن أبي طالب أخاه عقلاً عند عثمان رضي الله عنه ؛ ولا خلاف فيها في الجملة . والوكالة معروفة في الجاهلية والإسلام ؛ ألا ترى إلى عبد الرحمن بن عوف كيف وكل أمية بن خلف بأهله وحاشيته بمكة ؛ أي يحفظهم ، وأمية مشرك ، ولترحم عبد الرحمن لأمية من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازةً لصحة . روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أمية بن خلف كاتباً بأن يحفظني بمكة وأحفظه في صاغية بالمدينة ؛ فلما ذكرت الرحمن ؛ قال : لا أعرف الرحمن ! كاشي بأسمك الذي كان في الجاهلية ؛ فكانت عبد عمرو ... وذكر الحديث ، قال الأنصبي : صاغية الرجل الذين يملكون إليه ويأمنونه ؛ وهو مأخوذ من صاغ يَصْنَعُو وَيَصْنَعُو إذا مال ، وكل مائل إلى الشيء ، أو منه فقد صاغ إليه وأصغى ؛ من كتاب الأئمال .

الرابعة - الوكالة عقد نيابة ؛ إذن الله سبحانه فيه لمصلحة إليه وقيام المصلحة في ذلك ؛ إذ ليس كل أحد يقدر على تناول أموره إلا بمعونته من غيره أو بقرنه فيستنب من يريجه . وقد استدل علماءنا على صحتها بآيات من الكتاب ، منها هذه الآية ، وقوله تعالى « **وَالْعَالَمِينَ طِبْهَا** » وقوله « **أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا** » . وأما من النسبة فأحاديث كثيرة ؛ منها حديث عروة البارقي ، وقد تقدم في آخر الأقسام . روى جابر بن عبد الله قال أزدت الخروج إلى خيبر فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : إني أردت الخروج إلى خيبر ؟ فقال : « **إِذَا آتَيْتَ وَكَلَّ تَخَذْ مِنْهُ نَحْصَ عَشْرَ سَفَاقٍ فَإِنْ أَبْتَغَى مِنْكَ آيَةً فَضَعْ يَدَكَ عَلَى تَوَكُّفِهِ** » ترجمه أبو داود . والأحاديث كثيرة في هذه المعنى ، وفي إجماع الأمة على جوازها كفاية .

الخامسة - الوكالة جائزة في كل حق تجوز النيابة فيه ، فلو وكل الناصب لم يحجز ، وكان هو الوكيل ؛ لأن كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه .

السادسة - في هذه الآية نكتة بدعية ، وهي أن الوكالة إنما كانت مع الثقة خوفاً أن يشعروهم أحد لما كانوا عليه من الخوف على أنفسهم . وجواز توكل ذوي العذر متفق

عليه ؛ فأما من لا علم له بالجمهور على جوازها . وقال أبو حنيفة ومُحمَّدون : لا يجوز . قال ابن العربي : وكان مُحَنُونٌ تلقَّه من أحد بن الفُرات بحكم به أيام قضائه ، ولعله كان يفعل ذلك بأهل الظلم والجبروت ؛ إحصاءاً منهم وإذلالاً لهم ، وهو الحق ؛ فإن الوكالة معونة ولا تكون لأهل الباطل .

قلت : هذا حسن ؛ فأما أهل الدين والفضل فلم أن يؤكلوا وإن كانوا حاضرين أصحاء . والدليل على صحة جواز الوكالة للشاهد الصحيح ما تَرَّسَه الصحيحان وغيرهما من أبي هريرة قال : كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سنٌّ من الإبل بفاء يتقاضاه فقال : "أعطوه" فطلبوا له منه فلم يجدوا إلا شيئاً فوقها ؛ فقال : "أعطوه" فقال : "أوفيتني أدنى الله لك . قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن خيركم أحسنكم قضاء" . لفظ البخاري . فدل هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل الحاضر الصحيح البدن ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يُعطوا عنه السن التي كانت عليه ؛ وذلك توكيل منه لهم على ذلك ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضاً ولا مسافراً . وهذا يرد قول أبي حنيفة ومُحمَّدون في قولها ؛ أنه لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن إلا برضا خصمه ؛ وهذا الحديث خلاف قولها .

السابعة - قال ابن خُوَيزِمَنَداد : تضمنت هذه الآية جواز الشركة لأن الورق كان بجميعهم . وتضمنت جواز الوكالة لأنهم بشوا من وكَّلوهُم بالشراء . وتضمنت جواز أكل الرقاع وخططهم طعامهم مما ، وإن كان بعضهم أكثرَ أَكْلاً من الآخر ؛ ومثله قوله تعالى : " وإن تَخَالَفْتُمُوهَا فَاكْرَمُوا بَيْنَهُمَا " حسباً تقدم بيانه في «البقرة» . ولهذا قال أصحابنا في المسكين يُصَدَّقُ عليه فيخطه طعاماً لنبي ثم يأكل منه : إن ذلك جائز . وقد قالوا في المضارب يخطط طعامه بطعام غيره ثم يأكل منه : إن ذلك جائز . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اشترى له أحمية . قال ابن العربي : ليس في الآية دليل على ذلك ؛ لأنه يحتمل أن يكون كل واحد منهم قد أعطاه منفرداً فلا يكون فيه اشتراك . ولا مُؤَوَّلٌ في هذه المسئلة



إلا على حديثين : أحدهما - أن ابن عمر رضي عنهما يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاقتران إلا أن يشاذن الرجل أخاه . - الثاني - حديث أبي عبيدة في جيش الخبط . وهذا دون الأول في الظهور ؛ لأنه يحتمل أن يكون أبو عبيدة يعطيه كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم عليه .

قلت : وما يدل على خلاف هذا من الكتاب قوله تعالى : « وَإِنْ تَخَالَطَوْمْ فَإِخْوَانُكُمْ » وقوله « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا » على ما يأتي إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أُمُورُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رِيسُكُمْ أَعْلَمُ رِيسَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أُمُورِهِمْ لَنَنْصِفَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ ) أى أطلنا عليهم وأظهرناهم . و« أثر » تنذية جهر بالهزيمة ، وأصل المثار في القديم . ( لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ) يعنى الأمة المسلمة الذين بُعث أهل الكهف على عهدهم . وذلك أن ديقانوس مات ومهت قرون وملك أهل تلك الدار رجل صالح ، فأختلف أهل بلده في الحشر وبعث الأجساد من القبور ، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوا وقالوا : إنما نحشر الأرواح والجسد تأكله الأرض . وقال بعضهم : تبعث الروح والجسد جميعا ؛ فكبر ذلك على الملك وبنى حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم ، حتى لبس المسوح وقعد على الرُماذ وتضرع إلى الله تعالى في حجة وبيان ، فأعز الله على أهل الكهف ، فيقال : إنهم لما بنوا أجدهم يورقهم إلى المدينة لأنهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت دراهمه لبعده المهد ، فعمل إلى الملك وكان صالحا قد آمن وآمن من معه ، فلما

(١) سوا جيش الخبط لأنهم تهربوا في سرية إلى أرض بعيدة فأصابهم جوع فأكلوا الخبط ؛ فيسور .

(٢) آية ٦١ سورة النور .



الرجل الصالح فأتى بَنُوهُ عَلَى قَبْرِهِ مُسْجِدًا وَهُمْ يَرْوُونَ فِيهِ ذَلِكَ الصُّورَ أَوَّلَ ذَلِكَ شَرَّهُ الْخَلْقُ عِنْدَ اللَّهِ  
تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ . لَفْظُ مُسْلِمٍ . قَالَ عَلَمَاؤُنَا : وَهَذَا يَحْرِمُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا قُبُورَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مَسَاجِدَ . وَرَوَى الْأَعْمَى عَنْ أَبِي مَرْقَدٍ الْقَنْوِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا تَصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا » لَفْظُ مُسْلِمٍ . أَيْ لَا تَتَّخِذُوا قُبَاةَ  
فَتَصَلُّوا عَلَيْهَا أَوْ إِلَيْهَا كَمَا فَعَلَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَيُؤَدَّى إِلَى عِبَادَةٍ مِنْ فِيهَا كَمَا كَانَ السَّبَبُ  
فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . فَحَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ، وَسَدَّ الذَّرَائِعَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى  
ذَلِكَ فَقَالَ : « اسْتَشِدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَمُصَاحِفِهِمْ مَسَاجِدَ » . وَرَوَى  
الصَّحِيحَانِ عَنْ عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاسٍ قَالَا : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُفِيقَ  
يَطْرَحُ خِمِصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا أَعْتَمَتْ<sup>(١)</sup> بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ : « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى  
الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » بِحَذَرٍ مَاضِي . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ قَالَ ،  
نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحْمَصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُنْبَى عَلَيْهِ . وَنَزَّجَهُ  
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحْمَصَ  
الْقَبْرُ وَأَنْ يَكْتَبَ عَلَيْهَا وَأَنْ يُنْبَى عَلَيْهَا وَأَنْ تَوْطَأَ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .  
وَرَوَى الصَّحِيحُ عَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَلَا أَعْتَمْتُكَ عَلَى  
مَا بَنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَدْعُ نَحْسَالًا إِلَّا طَمَسَتْهُ وَلَا قُبُورًا مَشْرِفًا  
إِلَّا اسْوَيْتَهُ - فِي رِوَايَةٍ - وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا . وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ . قَالَ  
عَلَمَاؤُنَا : ظَاهِرُهُ مَنَعَ تَسْنِيمِ الْقُبُورِ وَرَفْعِهَا وَأَنْ تَكُونَ لَاطَةً . وَفَدَّ قَالَ بِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ .  
وَذَعَبُ الْجُمْهُورِ إِلَى أَنَّ هَذَا الْارْتِفَاعَ الْمَأْمُورُ بِإِزَالَتِهِ هُوَ مَا زَادَ عَلَى التَّسْنِيمِ ، وَيَسْقِي الْقَبْرَ  
مَا يَكُونُ بِهِ وَيَحْتَرِمُ ، وَذَلِكَ صِفَةُ قَبْرَيْنِ أَحَدُهِمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْرِ صَاحِبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا  
- عَلَى مَا ذَكَرَ مَاكُ فِي الْمَوْطَأِ - وَقَبْرِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ عَلَى مَا رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ

(١) قرأه «إذا أعتم» أي تسنن بالعمية وأخذ يشبهه من شدة الحمره (٢) أي في حالة الطرح والكشف.

(٣) أي يحذر أنه أن يصنع قبره مثل صنع اليهود والنصارى فيؤن أن ينامهم . (٤) قرأه «الا»

يشبهه الكلام المتعريض . وقيل بنحوا لقيه .

من حديث ابن عباس . وأما تلبية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تنفخا وتعظما  
فذلك يهدم ويزال ؛ فإن فيه استهلال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة ، وتشبهاً بمن كان يعظم  
القبور ويعبدها . وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال : هو حرام . والتسليم  
في القبر : ارتفاعه قدر شبر ، مأخوذ من سنام البعير . ويرش عليه بالماء ثلاثين باربع .  
وقال الشافعي لا بأس أن يطعن القبر . وقال أبو حنيفة : لا يخصص القبر ولا يطعن ولا يرفع  
عليه بناء فيسقط . ولا بأس بوضع الأحجار لتكون علامة ؛ لما رواه أبو بكر الأثرم قال :  
حدثنا مسدد حدثنا نوح بن دُراج عن أبيان بن تغلب عن جعفر بن عمدة قال : كانت فاطمة  
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور قبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعة وعلمته بصخرة ؛  
ذكره أبو عمر .

وأما الحائِزة — فالدفن في التابوت ؛ وهو جائز لا سيما في الأرض الرخوة . وروى أن  
دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجر ، وأن يوسف عليه السلام أوصى بأن يتخذ له  
تابوت من زجاج ويلي في ركة <sup>(١)</sup> خائفة أن يُعبد ، وفي ذلك إلى زمان موسى صلوات الله عليهم  
اجتمعين ؛ فدلّبه عليه عبور فرعه ووضع في حظيرة إسحاق عليه السلام . وفي الصباح عن سمد  
ابن أبي وقاص أنه قال في مرضه الذي حلك فيه : اتخذوا لي لحداً وأنصروا عليّ اللّٰه نصراً ؛  
كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحمد : هو أن يسقى في الأرض ثم يُغفر قبره  
في جانب الشق من جانب القبلة إن كانت الأرض صلّبة يُدخّل فيه الميت ويسدّ عليه باللّٰين .  
وهو أفضل عندنا من الشق ؛ لأنه الذي اختاره الله تعالى لرَسُوله صلى الله عليه وسلم . وبه قال  
أبو حنيفة قال : الستة الحمد . وقال الشافعي : الشق . ويكره الأثرم في الحمد . وقال الشافعي :  
لا بأس به لأنه نوع من الجبر . وكرهه أبو حنيفة وأصحابه ؛ لأن الأجر لإحكام البناء ، والقبر  
وما فيه للّٰي ؛ فلا يليق به الإحكام . وعلى هذا يسوّى بين الجبر والآثر . وقيل : إن الأجر  
أثر البار فيكره تمازوا ؛ فلي هذا يفرق بين الجبر والآثر . قالوا : ويستحب اللّٰين والتّصّيب  
لما روى أنه وضع على قبر النبي صلى الله عليه وسلم حُرمة من قصب . وحكى عن الشيخ الإمام  
(١) الركة : قبر .

أبي بكر محمد بن الفضل الحنفى رحمه الله أنه يجوز اتخاذ التابوت في بلادهم لراحة الأرض .  
وقال : لو أخذ تابوت من حديد فلا بأس به ؛ لكن ينبغي أن يقرش فيه التراب وتطين  
الطينة الملبأ على الميت ، ويُعمل اللين الخفيف على عيين الميت ويأمره بصير بتمزلة اللذ .  
قلت : ومن هذا المعنى جعل القطيفة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن المدينة سبعة ،  
قال شقران : أما والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهر . قال  
أبو عيسى الترمذى : حديث شقران حديث حسن غريب .

قوله تعالى : سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبِهِمْ كَلِمَتٌ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ  
كَلِمَتٌ رَجُلًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَمَانُهُمْ كَلِمَةً قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ  
بِعِبَادِهِ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا  
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ٢٢

قوله تعالى : ( سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبِهِمْ كَلِمَةً ) الضمير في « سيقولون » يراد به أهل  
التوبة ومعاشرى محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا  
الاختلاف للمتنصوص . وقيل : المراد به النصارى ؛ فإن قوما منهم حضروا النبي صلى الله  
عليه وسلم من تجران جفري ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية : كانوا ثلاثة رابعهم كليم .  
وقالت السطورية : كانوا خمسة سادسهم كليم . وقال المسلمون : كانوا سبعة ثامنهم كليم .  
وقيل : هو إخبار عن اليهود الذين أسروا المشركين بمسألة النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب  
الكهف . والواو في قوله « وثمانهم كليم » طريق النحويين أنها واو عطف دخلت في آخر  
إخبار عن عددهم ؛ لفصل أمرهم ، وتدل على أن هذا غاية ما قيل ، ولو سقطت لضح الكلام .  
وقالت فرقة منها ابن خالويه : هي واو الثانية . وحكى الحلبي عن أبي بكر بن عيَّاش أن قريشا  
كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية ؛ فتدخل الواو في الثمانية . وحكى نحوه للقال ، فقال :  
(١) أرض سبعة : ذات طع ورتة .

إن قوما قالوا العدد يقبى عند العرب إلى سبعة ، فإذا أجيح إلى الزيادة عليها انتزقوا خبر آخر  
 هذا جالو الواو ، كقوله « الثَّيْنُونُ العابدون » - ثم قال « والناحون من المنكر والمناظرون » .  
 وهذا عليه أنه لما ذكر أبواب جهنم « حتى إذا جاعروها أصبحت أبوابها » بالواو ، ولما ذكر  
 الجنة قال : « وصيحت أبوابها » بالواو . وقال « خيرا متكن مسلمات » ثم قال « وأبكارا »  
 فالبسطة نهاية العدد عندهم كالشرة الآن عندها . قال القشيري أبو بكر : ومثل هذا الكلام  
 تحكم ، ومن أين البسطة نهاية عندهم ! ثم هو منقوض بقوله تعالى : « هو الله الذي لا يلهي إلا هو »  
 الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . ولم يذكر الأسم الثامن بالواو .  
 وقال قوم ممن صار إلى أن عندهم سبعة : إنما ذكر الواو في قوله « سبعة وثانهم » لئلا  
 على أن هذا العدد هو الحق . وأنه ميان الأعداد الأخرى قال فيها أهل الكتاب ، ولهذا  
 قال تعالى في الجنتين المتقدمين « رَجَعَا بِالْيَبِ » ولم يذكر في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها  
 بشيء ، فكانه قال لئلا هم سبعة وثانهم كلهم . والرجع : القبول بالغل ، يقال لكل ما يجرى  
 ورجع فيه ورجعوا ورجعتم ، كما قال :

وما الحرب إلا ما علمت وذُقم<sup>(١)</sup> . وما هو منها بالحسيت المورم<sup>(٢)</sup>

قلت : قد ذكر الماوردي والقشيري : وقال ابن جرير ومحمد بن إسحاق كانوا ثمانية ،  
 وجعلوا قوله تعالى « وثانهم كلهم » أي صاحب كلهم . وهذا بما يقوى طريق التصوير  
 في الواو ، وأنها كما قالوا . وقال القشيري : لم يذكر الواو في قوله « ثوانهم سادسهم » ولو كان  
 بالنسك لكان جائزا ، فطلب الحكمة والسعة في مثل هذه الواو تكلف بييد ، وهو كقوله  
 في موضع آخر « وما أهلكنا من قرية إلا ولما يكاب<sup>(٣)</sup> معلوم » . وفي موضع آخر : « إلا لسا  
 منبرون » . ذكرى .

قوله تعالى : ( قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ) أمر الله تعالى فيه عليه السلام في هذه الآية  
 أن يرد علم عدتهم إليه عن وجل . ثم أخبر أن عالم ذلك من البشر قليل . والمراد به قوم من

(١) البيت من سقفة زهير . (٢) آية : سورة الحجر . (٣) آية ٥٠ : سورة الشعراء .

أجمل الكتابة ، في قول علماء . وكان ابن عباس يقول : إذا من ذلك القليل ، كانوا سبعة  
وثمانين عليهم ، ثم ذكر السبعة بأسمائهم ، والكلب اسمه قطيع . كلب آدمي فوقه التليل<sup>١</sup> ودون  
الكردي . وقال محمد بن سعيد بن المسيب : هو كلب صيني . والمعصم<sup>٢</sup> أنه زيرى .  
وقال : ما بين بنيانور عنت إلا كتب على هذا الحديث إلا من لم يقدر له . قال : وكتبه  
أبو عمرو الجبلي عن .

قوله نمل : ( قَلَّ مَسَارِينُمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ) أي لا تجادل في أصحاب الكهف  
إلا بما أوجبناه إليك ، وهو رد علم عنهم إلى الله تعالى . وقيل : معنى المراء الظاهر أن قول :  
فمن كما تقولون ، ونحو هذا ، ولا تنزع كل أمر مقتدر في ذلك . وفي هذا دليل على أن  
الله تعالى لم يبين لأحد مدتهم فلماذا قال « إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا » أي ظاهراً ، كما قال :  
« وَتَكُ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ مِنْكَ عَارِهَا »<sup>٣</sup> .

ولم يبع له في هذه الآية أن يبارى ، ولكن قوله « إِلَّا مِرَاءً » استعارة من حيث يباريه أهل  
الكتاب . سميت مراجعتهم لمراءهم ثم قيد بأنه ظاهر ، فتأرق المرء الخفي المنعوم .  
والضمير في قوله « فيهم » مائد على أهل الكهف . وفي قوله « منهم » مائد على أهل الكتاب  
للمعارضين . وقوله : « قَلَّ مَسَارِينُمْ » يعني في عدتهم ، وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها .  
قوله تعالى : ( وَلَا تَسْتَفْتِ بِهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) وروى أنه عليه السلام سأل نصارى تخران عنهم  
فنهى عن السؤال . وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم .

قوله تعالى : وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا أَنْ  
يَسَاءَ اللَّهُ وَآذُكَرَ رَبِّكَ إِذَا تُسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ  
مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٧﴾

(١) التليل ( كرمي ) ، التميم من القاس والسائر والكلاب . قال الجبلي : « وفتل على كلب صيني » .

(٢) هذا مجزيت لأحد ذريب . ومعه :  
وغيره الراشون آل أحبا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُعَذِّبُكُم بِمَا أَنْتُمْ كَاذِبُونَ ۚ إِنَّمَا يُعَذِّبُكُم بِمَا أَنْتُمْ كَاذِبُونَ ۚ إِنَّمَا يُعَذِّبُكُم بِمَا أَنْتُمْ كَاذِبُونَ ۚ ﴾

الأول - قال العلماء : عاتب الله تعالى نبيه عليه السلام على قوله للكفار حين ساءوه عن الروح والفنية وذى القرنين : غدا أخبركم بحواب أسئلكم ، ولم يستثن في ذلك . فأحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه وأرجف الكفار به ، فزلزلت عليه هذه السورة مفزعة . وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدا كذا وكذا ، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل حتى لا يكون عتفاً لحكم الظاهر ، فإنه إذا قال : لأفعلن ذلك ولم يفعل كان كاذباً ، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققاً للغير عنه . واللام في قوله « لنشيء » عترة في ، أو كأنه قال لأفعلن شيء .

الثانية - قال ابن عطية : وتكلم الناس في هذه الآية في الاستثناء في اليقين ، والولاية ليست في الأيمان وإنما هي في سعة الأيمان في غير اليقين . وقوله « إلا أن يشاء الله » في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحتمل الإيجاز ، بقدره : إلا أن يقول إلا أن يشاء الله ، أو إلا أن تقول إن شاء الله . فالمعنى : إلا أن تذكر مشيئة الله ، فليس « إلا أن يشاء الله » من القول الذي نهي عنه .

قلت : ما اختاره ابن عطية وأرتضاه هو قول الكشاف والفسر والآخر . وقال البصريون : المعنى إلا بمشيئة الله . فإذا قال الإنسان أنا أفعل حيناً إن شاء الله فعناه بمشيئة الله . قال ابن عطية : وقالت فرقة « إلا أن يشاء الله » استثناء من قوله « ولا تقولوا » . قال : وهذا قول حكاه الصبري وروى عليه ، وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى . وقد تقدم القول في الاستثناء في اليقين وحكمه في « المائدة » .

قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ فِيهِ سَلَاةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهُوَ الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ بَعْدَ النِّسْيَانِ ۚ - واختلف في الذكر المأمورية ؛ قيل : هو قوله « وقل عسى أن ينسيك ربّي لأقرب من هذا رشداً » . قال محمد الكوفي المنصور : إنها بالفاظها مما أمر أن يقولها كل



من لم يستن ، وإنها كفارة لنسيان الاستثناء . وقال الجمهور : هو دعاء مأثورة دون هذا التخصيص . وقيل : هو قوله « إن شاء الله » الذي كان نسيه عند بيته ، حكى عن ابن عباس أنه إن نسي الاستثناء ثم ذكر ولو بعد سنة لم يبحث إن كان حالاً . وهو قول مجاهد . وحكى إسماعيل بن إسحاق ذلك عن أبي المالية في قوله تعالى « وأذكر ربك إذا نسيت » قال : يستثنى إذا ذكره . الحسن : ما دام في مجلس الذكر . ابن عباس : سنتين ؛ ذكره الغزوي قال : فيحمل على تدارك التبرك بالاستثناء للتخلص عن الإثم . فأما الاستثناء المفيد حكماً فلا يصح إلا متصلاً . السدي : أي كل صلاة نسبها إذا ذكرها . وقيل : استثنى باسمه لئلا تنسى . وقيل : ذكره متى ما نسيته . وقيل : إذا نسيت شيئاً فأذكره يذكره . وقيل : أذكره إذا نسيته غيره أو نسيته نفسك ؛ فذلك حقيقة الذكر . وهذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهي استفهام كلام على الأصح ، وليست من الاستثناء في اليمين بشيء . وهي بعدتم جميع أمته ؛ لأنه حكم يرتد في الناس لكثرة وقوعه . والله الموفق .

قوله تعالى : وَلْيَتُوبُوا فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّهْيِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدُادُوا فِيهَا

هذا خبر من الله تعالى عن مدة نفيهم . وفي قراءة ابن مسعود « وقالوا ليتوا » . قال الطبري : إن بني إسرائيل اختطفوا نبياً مضى لهم من المدة بعد الإعرار عليهم إلى مدة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : إنهم ليتوا ثلاثة سنة وتسع سنين ، فأخبر الله تعالى نبيه أن هذه المدة في كونهم نياماً ، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر . فأمر الله تعالى أن يرة لهم فلك إليه . قال ابن عطية : فقوله على هذا « ليتوا » الأول يريد في يوم الكهف ، و « ليتوا » الثاني يريد بعد الإعرار إلى مدة عدا الله عليه وسلم ، أو إلى وقت عداهم بالآلة . مجاهد : إلى وقت نزول القرآن . الضحاك : إلى أن ماتوا . وقال بعضهم : إنه لما قال « وازدادوا نفاقاً » لم يدرك الناس أمي ساعات أم أيام أم جمع أم شعور أم أعوام . واختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك ، فأمر الله تعالى برد العلم إليه في التسع ، فهي على هذا مبهمة . وظاهر كلام العرب المفهوم منه أنها أعوام ، والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى

يسير وقد بقيت من الطوامير بقية . وقيل في معناها على ما يأتي . قال القرطبي : لا يفهم من التسع تسع ليالٍ وتسع ساعات لسبق ذكر السنين ؛ كما تقول : عتدي مائة درهم وتسعة والمفهوم من تسعة دراهم . وقال أبو علي : وازدادوا تسماً أي ازدادوا لبث تسع ، خذف . وقال الضحاك : لما نزلت « ولبثوا في كهفهم ثلثمائة » قالوا سنين أم شهور أم جمع أم أيام ؛ فانزل الله عز وجل « سنين » . وحكى القفاش ما معناه أنهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية بحساب الأيام ؛ فلما كان الإغفار هنا للنبي ذكر التسع ؛ إذ المفهوم عنده من السنين القمرية ، وهذه الزيادة هي ما بين الحسنيين . ونحوه ذكر القرطبي . أي باختلاف سني الشمس والقمر ؛ لأنه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلاث سنة فيكون في ثلثمائة تسع سنين . وقرأ الجمهور « ثلثمائة سنين » بنون مائة ونصب سنين ، على التقديم والتأخير ؛ أي وسنين ثلثمائة تقدم الصفة على للوصوفه فتكون « سنين » على هذا بدلاً أو عطف بيان . وقيل ، على التفسير والتمييز . و « سنين » في موضع سنة . وقرأ حمزة والكسائي بإضافة مائة إلى سنين ، وترك التنوين ؛ كأنهم جعلوا سنين بترلة سنة إذ للمعنى بهما واحد . قال أبو علي : هذه الأعداد التي تضاف للمشهور إلى الأحاد بحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف إلى المجموع . وفي مصحف عبد الله « ثلثمائة سنة » . وقرأ الضحاك « ثلثمائة سنون » بأنوار . وقرأ أبو عمرو بخلاف « تسماً » بفتح التاء . وقرأ الجمهور بكسرهما . وقال الضراء والكسائي وأبو عبيدة : التقديم ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة .

قوله تعالى : <sup>ط</sup> قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا <sup>ط</sup> اللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَغْبِرُ بِهِ وَأَنْصِتُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ( قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ) قيل بعد موتهم إلى نزول القرآن فيهم ، على قول مجاهد . أو إلى أن ماتوا ؛ على قول الضحاك . أو إلى وقت تغييرهم بالليل ؛ على ما تقدم . وقيل : بما لبثوا في الكهف ، وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود وإن ذكروا زيادة ونقصاً . أي لا يعلم علم ذلك إلا الله أو من علمه ذلك « لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

قوله تعالى : ﴿ اَبْصِرْ وَاسْمِعْ ﴾ اى ما ابصره واسمعه . قال قتادة : لا أحد ابصر من الله ولا اسمع . وهذه عبارات عن الإدراك . ويحتمل أن يكون المعنى « ابصره » اى بوحيه وإرشاده هداك وحججك والحق من الأمور ، واسمع به العالم ، فيكونان أمرين لا على وجه التعجب . وقيل : المعنى ابصرهم واسمعهما ما قال الله فيهم . ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ اى لم يكن لأصحاب الكهف ولّى يتولّ حفظهم دون الله . ويحتمل أن يعود الضمير في « لهم » على معاصرى محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار . والمعنى : ما هؤلاء المختطفين في مدة بُعثهم ولّى دون الله يتولّى تدبير أمرهم ؟ فكيف يكونون أعلم منه ، أو كيف يتعلمون من غير إعلامه إياهم ؟

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ قرئ بالياء ورفع الكاف ، على معنى انلبر عن الله تعالى . وقرأ ابن عاصم والحسن وأبو زبّاه وقادة والبخديرى « وَلَا تُتْرِكُ » بالياء من فوق وإسكان الكاف على جهة النفي صلى الله عليه وسلم ، ويكون قوله « وَلَا تُتْرِكُ » عطفا على قوله « اَبْصِرْ وَاسْمِعْ » . وقرأ مجاهد « يُتْرِكُ » بالياء من تحت والجزم ، قال يعقوب : لا أعرف وجهه .  
مسئلة — اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا وقتلوا ، لوهم نيام وأنجسدهم مخوفة ؛ فروى عن ابن عباس أنه مرّ بالشام في بعض غزواته مع ناس حل موضع الكهف وجبله ، فثنى الناس معه إليه فوجدوا عظاما فقالوا : هذه عظام أهل الكهف . فقال لم ابن عباس : أولئك قوم قُتِلُوا وعُدوا منذ مدة طويلة ؛ فسمعه راحب فقال : ما كنت أحسب أن أحدا من العرب يعرف هذا ؛ فقبل له : « هَذَا آيُنْ عَمِ نَبِيْنَا صلى الله عليه وسلم . ورويت فرقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لِيَحْنَنَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ومعه أصحاب الكهف فلهم لم يحجوا بد » . ذكره ابن عطية

قلت : ومكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، وأنه يمر بالزّوجاء حاجا أو مستنيرا أو يبيع الله له ذلك فيجعل الله حوارية أصحاب الكهف والرقم ، فيمرون بجانبهم لم يحجوا ولم يدعوا . وقد ذكرنا حكاية الخبر بكافة في كتاب « التذكرة » .  
فل هذا هم نيام ولم يموتوا إلى يوم القيامة ، بل يموتون خيل الساعة .

قوله تعالى : وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ  
وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ (٢٧)

قوله تعالى : ( وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ) قيل : هو من تمام قصة أصحاب الكهف ؛ أى اتبع القرآن فلا يبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أنزله من قصة أصحاب الكهف . وقال الطبري : لا منبر لنا أوعد بكتابنا أهل معاصيه والمخالفين لكتابهِ . ( وَلَنْ يَجِدَ ) أنت ( مِنْ دُونِهِ ) إن لم تتبع القرآن وخالفته . ( مُلْتَحَدًا ) أى ملجأ . وقيل مولا . وأصله الليل ؛ ومن لجأت إليه فقد ملأت إليه . قال القشيري : أبو نصر عبد الرحيم : وهذا آخر قصة أصحاب الكهف . ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فأتته إلى الكهف الذى فيه أصحاب الكهف ؛ فقال مسأولة : لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر إليهم ؛ فقال ابن عباس : قد منع الله من هو خير منك عن ذلك ، فقال : « لو أظلمت عليهم لو كنت منهم فرارا » فقال : لا أنتهى حتى أعلم عنهم ، وبثت قوما لذلك ؛ فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم ؛ ذكره الثعلبي أيضا . وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يرثه إمام ، فقال إنك لن تراه في دار الدنيا ولكن أبعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : كيف أبعثهم ؟ فقال : أنسط كساءك وأبلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن أبي طالب ، ثم أَدْعِ الرِّيحَ الرُّخَاءَ المسخرة لسلطان فإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك ؛ ففعل فحملتهم الرِّيحَ إلى باب الكهف ، ففعلوا منه حجرا ، فجعل الكلبُ عليهم فلما رأهم حرك رأسه وبصيص بَنَتْنِه وأومأ إليهم برأسه أن أدخلوا فدخلوا الكهف فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فردَّ الله على النِّبْيَةِ أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ؛ فقالوا لهم : معشر النِّبْيَةِ ، إن النبيَّ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ؛ فقالوا : وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض ، وعليكم بما أبلغتم ، وقبلوا

دينه وأسلواهم ثم قالوا : أنفروا معا رسول الله صا السلام ، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي . فيقال : إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة ، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ، ثم رقتهم الرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كيف وجدتموه ؟ » فأخبروه الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأصحابي وأخفرتني أحب أمتي وأحب أهل بيتي وخاصتي وأصحابي » . وقيل : إن أصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح ، فأخبر الله تعالى المسيح بنحوهم ثم بشرنا في القصة بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : كانوا قبل موسى عليه السلام وأن موسى ذكرهم في التوراة ؛ ولما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : دخلوا الكهف بعد المسيح ، فله اعلم أي ذلك كان .

قوله تعالى : وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْكُفْرِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعُ مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْكُفْرِ ) هذا مثل قوله : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَالْكُفْرِ » في سورة الأنعام ، وقد مضى الكلام فيه . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : جاءت الملائكة فلورهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَيْتَ بْنَ حِصْنٍ وَالْأَفْرَاحِ بْنِ جَابِسٍ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ لَوَ جَلَسْتَ فِي صَلَاحِ الْمَجْلِسِ وَنَحَيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ وَأَرَوَّاحَ جِبَابِهِمْ - يَتَوَنَّ سَلْمَانَ وَإِبَادَتَهُ وَقَرَأَ السُّلَيْمَانَ وَكَانَتْ طَلَبُهُمْ جِبَابِ الصَّوْفِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ خِيَرَةٌ - جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثْنَاكَ وَأَخَذْنَا مِنْكَ ، فَكَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى » وَأَكَلْنَا مَا أَرَجَى إِلَيْكَ مِنْ خَلْبٍ وَرَبَّكَ لَا يَبْدُلُ لِكَلِمَاتِهِ وَلِي تَحْسَدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَلِّقًا . وَأَصْبِرْ

فكثرت مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - حتى بلغ - إنا أعدنا للظالمين  
 قارا أحاط بهم سرادقها ، يهدتهم النار . بقيام النبي صلى الله عليه وسلم بينهم حتى إذا  
 أصابهم في مؤخر المسجد يذكر الله قال : « الحيد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر  
 نفسي مع رجال من أمي ، معكم المصطفى ومعكم المصطفى » ( يريدون وجهه ) أي طاعته .  
 وقرأ نصر بن عاصم ومالك بن دينار وأبو عبد الرحمن « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة  
 والعشي » وجهتهم أنها في السواد بالواو . وقال أبو جعفر النحاس : وهذا لا يلزم لكنهم الحياة  
 والصلاة بالواو . ولا تكاد العرب تقول الغدوة لأنها معروفة . وروى عن الحسن « ولا تعد<sup>(١)</sup>  
 عبيك عنهم » أي لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم من أبناء الدنيا طلبا لزيارتها ، حكاية لليربدي .  
 وقيل : لا تحفظهم عيناك ؛ كما يقال فلان يتبوعه العين ؛ أي مستحقرا .

( تريد زينة الحياة الدنيا ) أي تتزين بحالة هؤلاء الرؤساء الذين اقترحوا إبعاد الفقراء  
 من مجلسك ؛ ولم يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك ، ولكن الله تعالى أن يفعله ،  
 وليس هذا بأكثر من قوله « لن أنشركن ليعطين عمتك » . وإن كان الله أحاطه من الشرك .  
 و« تريد » فعل مضارع في موضع الحال ؛ أي لا تعد عيناك مريدا ؛ كقول أمي القيس :  
 فقلت له لا تشك عيتك إنما . نحاول ملكا أو نموت فنموت

وزعم بعضهم أن حق الكلام : لا تعد عبيك عنهم ؛ لأن « تعد » متعد بنفسه . قيل له :  
 والذي وردت به التلاوة من رفع اليدين يسأل إلى معنى النصب فيها ؛ إذ كان لا تعد عيناك  
 عنهم بمنزلة لا تتصرف عيناك عنهم ، ومعنى لا تتصرف عيناك عنهم لا تصرف عبيك عنهم ؛  
 فالقول مستند إلى اليمينين وهو في الحقيقة موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال تعالى :

(١) في كتاب صحيح البخاري « ولما كان الحسن ( ولا تعد عيناك ) يضم الله . وسكون العين وكسر الهمزة الحلقية ، من  
 الغداة ونصب العتيد . ومنه ومن جسر والأعرس أنهم قرءوا ( ولا تعد عيناك ) يضم الله . وضع العين وتشديد الهمزة  
 فكسروها من مداه وهداه ونصب عيناك » .

(٢) في صحيح مسلم .

« قُلْ تَتَجَبَّحُوا بُرَاهِمْ » فاستد الإجاب إلى الأنزال ، والمعنى : لا تعجبك يا محمد أموالهم .  
 « وَيَذْكُرُكَ وَضَوْحًا قَوْلًا زِنَاجًا » إن المعنى لا تصرف بصرك عنهم إلى شيء من ذوى الهيئات والرتب .  
 قوله تعالى : « وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْلَا قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا » روى جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى « وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْلَا قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا » قال : نزلت في أمية بن خلف الجهمي ، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة ، فأرسل الله تعالى : « وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْلَا قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا » يعني من ختمنا حل قلبه عن التوحيد . ( وَأَنْتَ حَوَاهُ ) بنى الشبرك . ( وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا ) قيل هو من التقريط الذي هو التقصير وتقدير العجز بترك الإيمان . وقيل : من الإفراط وبماؤزة الحقد ، وكان القوم قالوا : ونحن أنشرف مضر إن أسلمنا إسم الناس ، وكان ههنا من التكيد والإفراط في القول . وقيل : « قَرْطًا » أى قدما في الشر ، من قولهم : قَرط منه أى سبق . وقيل : معنى « أَغْلَا قَلْبِهِ » وجدناه غافلا ، كما نقول : لقيت فلانا قاحلته ، أى وجدته غموذا . وقال عمرو بن معد يكرب لبنى الحارث بن كعب : والله لقد سالتكم فما أجبتكم ، وقالنا لكم فما أجبتكم ، وعاجبناكم فما ألحقناكم ، أى ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مقحشين . وقيل : نزل « وَلَا تَطْعَمُ مِنْ أَغْلَا قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا » في هيئة بن حصن القرظري ، ذكره جند الرزاق ، وحكاه النحاس عن سفيان الثوري . والله أعلم .

قوله تعالى : « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ قَدْ كَانَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَعْثُبُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ » وقيل الحق من ربكم قَدْ كَانَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ( « الْحَقُّ » وقع على خبر الابتداء المضمر ، أى قل هو الحق . وقيل : هو رفع على الابتداء ، وهو في قوله

« مِنْ رَبِّكُمْ . وَبُنَى آيَةَ : قُلْ يَاجِدُ لَوْلَا الَّذِينَ أَغْلَا قُلُوبِهِمْ عَنْ ذِكْرِنَا : أَيُّهَا النَّاسُ ! مِنْ رَبِّكُمْ الْحَقُّ قَالَهُ التَّوْفِيقُ وَالْخِلَافَانِ ، وَبَيْنَهُ الْحَسَنُ وَالضَّلَالُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤْمِنُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَكْفُرُ ، لَيْسَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَأَقْبَلُ يَوْقِي الْحَسَنُ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ، وَيَعْرِضُ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنْ كَانَ قَوِيًّا غَنِيًّا ، وَلَسْتُ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ كُنتُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَأَمْنُوا ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَالْكَفَرُوا ، وَلَيْسَ هَذَا بِتَرْخِيسٍ وَتَحْيِيرٍ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفَرِ ، وَإِنَّمَا هُوَ وَعْدٌ وَتَهْدِيدٌ . أَيْ إِنْ كَفَرْتُمْ قَدْ أَمَدَّ لَكُمْ النَّارَ ، وَإِنْ آمَنْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ .

قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ) أى أنزلناه . ( لِقَوْمٍ لَاطِلِينَ ) أى للكافرين الجاحدين . ( نَارًا أَسْطَاطًا بِهِمْ سُورَاقُهَا ) قال الجوهرى : السُّرَاقُ واحد السُّرَادِقَاتِ الَّتِي تَحْدُ فَوْقَ مَحَنٍ الْبَارِ . وَكُلُّ بَيْتٍ مِنْ كُرُفٍ فَهُوَ سُرَادِقٌ . قَالَ رُؤْبَةُ :

بِأَحْسَنِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ الْحَارُودِ . سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ  
يَقَالُ : بَيْتٌ مُسَرَّدَقٌ . وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ يَذْكُرُ أَرْبُوزَ وَقْتِهِ النَّمَانُ بْنُ الْمُغَرِّ تَحْتَ  
أَرْجُلِ الْقَبِيلَةِ :

هُوَ الَّذِي دَخَلَ النَّمَانُ بَيْتًا سَمَّاهُ : صُدُورُ الْقَبِيلِ بَيْتَ مُسَرَّدَقٍ  
وَقَالَ ابْنُ الْأَمْرَأِيِّ : « سُورَاقُهَا » سُورُهَا . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : حَاطٌّ مِنْ نَارٍ . الْكَلْبِيُّ :  
عَنْ تَخْرُجُ مِنَ النَّارِ فَتَحِيطُ بِالْكَفَّارِ كَالْحَظِيرَةِ . الْقَتَنِيُّ : السُّرَادِقُ الْمَجْرُزَةُ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ  
الْقِسْطَاطِ . وَقَالَ ابْنُ عَزَّازٍ : وَقِيلَ : هُوَ دُخَانٌ يَحِيطُ بِالْكَفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ « الْمُرْسَلَاتِ » حَيْثُ يَقُولُ : « أَنْظِلُّوهُ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ » وَقَوْلُهُ :  
« وَظِلٌّ مِنْ عَجْنٍ » قَالَهُ قَتَادَةُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ بِالدُّنْيَا ، وَرَوَى يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَ قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ - ثُمَّ تَلَا - نَارًا أَسْطَاطًا بِهِمْ سُورَاقُهَا -

(١) الْكُرُفُ : الْخُطُوبُ . (٢) كَذَا فِي الْأَعْمَلِ وَالنَّاسِ ، وَاسْتَوْفَى عَلَيْهِ حَاسِبُ النَّاسِ بِأَنَّهُ لِكُلِّ نَاسٍ  
أَلْفُ مَرَاتٍ ، وَتَابِعَهُ عَلَيْهِ حَاسِبِيهِ وَالْأَمَلُ التَّسْمِي . مَدَحَ الرَّابِعُ أَحَدَ بَنِي الْمُتَغَوَّرِينَ بِالْمَارِدَةِ الْهَدْيِ ، وَتَمَّكَ هَذَا أَحَدُ  
وَلَاةِ بَصْرَةَ خُشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبَنَى جِدَّةَ الْمَارِدَةِ لِأَنَّهُ أَعَارَ عَلَى قَوْمٍ فَكَتَسَحَ أَسْوَاطُهُمْ ، فَتَبَعَ بِالسُّبُلِ الَّتِي يَجْرِدُ مَارِدَةً .  
(٣) بَنَى الْوَلَدُ وَكُفَّرَهَا ، مَكَانٌ مِنْ لُحُوكِ هَرَسَ . (٤) آيَةُ : ٣ . (٥) آيَةُ هَمَزُ سُورَةِ الرَّاهِغَةِ .



ثم قال - والله لا أدخلها أبدا مادمت حيا ولا يصيبني منها قطرة - ذكره الماوردي . وخرج  
 ابن المبارك من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لسرادق  
 الساراريج جبركتف كل جدار مسيرة أربعين سنة " . وخرجه أبو عيسى الترمذي ، وقال  
 فيه : حديث حسن صحيح غريب .

قلت : وهذا يدل على أن السرادق ما يملأ الكفار من دخان أو نار ، وجدره ما وصف ،  
 قوله تعالى : ( وَإِنْ يَسْتَفِثُوا يَفُتُّوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ) قال ابن عباس :  
 المهل ماء غليظ مثل زبد الزيت . مجاهد : القيح والدم . الضحاك : ماء أسود ، وإن  
 جهنم سوداء ، وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود . وقال أبو عبيدة : هو كل ما أذيب  
 من جواهر الأرض من حديد ورماس ونحاس وقزدير ، قتموج بالفلان ، فلذلك المهل  
 ونحوه عن ابن مسعود . قال سعيد بن جبير : هو الذي قد انتهى حره . وقال : للهل ضرب  
 من القطران ، يقال : مهلت البيرة فهو مهول . وقيل : هو الحم . والمعنى في هذه الأقوال  
 متقارب . وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « كالْمُهْلِ » قال : « كَهَكَرَ الزَّيْتِ »  
 فإذا قرب به إلى وجهه سقطت قررة وجهه " قال أبو عيسى : هذا حديث إنما نثره من حديث  
 رَشِيدِ بْنِ سَعْدٍ وَرَشْدِينَ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ مِنْ قَبْلِ حَفْظِهِ . وخرج عن أبي أمامة عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم في قوله : " وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَجْعَرُهُ " قال : " يقرب إلى فيه فيكرهه  
 فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت قررة رأسه فإذا شربه قطع أسماءه حتى يخرج من دبره .  
 يقول الله تعالى « وسقوا ماء حيا فقطع أسماءهم » يقول « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالْمُهْلِ  
 يشوي الوجوه » يش الشرب وساءت مرثقا " قال : حديث غريب .

قلت : وهذا يدل على صحة تلك الأقوال ، ولها مرادة ، والله أعلم . وكذلك نص عليها  
 أهل اللغة . في الصحاح « المهل » النحاس المذاب . أن الأعرابي : المهل الذباب من

(١) الكف : جمع كنيف ، وهو الثنين الملقب . (٢) لخدري (بضم) : ما ينزل في الأسفل .

(٣) آية ١٤ سورة هود .

الرماس . وقال أبو عمرو . الملل دودي الزيت . والمهل أيضا الفيج والصيد . وفي حديث  
أبي بكر : أدتوني في قوتي . هذين لآلها المل والتراب . و ( مُرْتَقًا ) قال مجاهد : معناه  
مجتمعا ، كما أنه ذهب إلى معنى المرافقة . ابن عباس : مترا . معناه : مقرا . وقيل مهانا .  
وقال الفتي : مجلسا . والمعنى متقارب ، وأصله من المتكأ ، يقال منه : أركضت أي أتكأت  
على المرقى . قال الشاعر .

قالت له وأركضت ألا فسق . يسوق بالقوم غزالات الفسقا

ويقال : ارتقى الرجل إذا نام على مرقة لا يأتيه نوم ، قال أبو ذؤيب المذلي :  
نام الخليل ويث الليل مُرْتَقًا . كان عيني فيها الصاب مدبوح  
الصاب : عصاة غير صرة .

قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَهُمْ  
مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ  
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ  
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ  
مُرْتَقًا ۝

لما ذكر ما أعد للكافرين من العوان ذكر أيضا ما المؤمنين من الثواب . وفي الكلام  
إستارة أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عملا ، فأما من أحسن عملا من غير المؤمنين فعمله  
محبط . و « عملا » نصب على التمييز وإن شئت بإيقاع « أحسن » عليه . وقيل :

(١) غزاة الجلبا وغزاة الآه ، به ما تنبسط الشمس وتضيئ . وقيل : هو أول الفضا إلى لمة النهار الأكبر حتى  
ينضي من النهار نحو من محبة . (٢) رواية أبو يران : « مُشْتَبَرًا » والمشتبر : الذي قد تجرعه ووضعه  
بعد بحث غيره على حكمة أو على له . والمشتبر : ما بين العرين . ومذبح : مشرق .

« إِنَّا نَضِيعُ آيُنَا مِنْ أَحْسَنِ مَحَلٍّ » كلام منقوض ، والخبر قوله « أولئك لم ينجت مدن » و (جَنَّتْ عَدْنُ) سُرَّةُ الْجَنَّةِ أَيْ وَسْطُهَا وَسَارِ الْجَنَاتِ مُجَدَّةٌ بِهَا . وَذَكَرَتْ بَقْعُ الْجَمْعِ لِسَعْتِهَا ، لِأَنَّ كُلَّ بَقْعَةٍ مِنْهَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ جَنَّةً . وَقِيلَ : الْعَدْنُ الْإِقَامَةُ ، يُقَالُ : عَدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ . وَعَدَنَتِ الْبِلَادُ تَوَطَّنَتْ . وَعَدَنَتِ الْإِبِلُ يَمَكَّنُ كَذَا لِمَتِهِ فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْهُ ، وَمِنْهُ « جَنَّتْ عَدْنُ » أَيْ جَنَاتُ إِقَامَةٍ . وَمِنْهُ يُعْنَى الْمَعْدِنُ (بِكسر الدال) ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَقِيمُونَ فِيهِ بِالصَّيْفِ وَالشَّتَاءِ . وَمَرَكَزُ كُلِّ شَيْءٍ مَدِينُهُ . وَالْعَادْنُ : النَّافَةُ الْمُقِيمَةُ فِي الْمَرْعَى . وَعَدْنٌ بِلَادٌ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ . (تَجَرَّى مِنْ تَحِيْمِهِمُ الْإِنْبَارُ) تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ . (يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) وَهُوَ جَمْعُ سَوَارٍ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ أَسَوِرَةٍ : وَاحِدٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَوَاحِدٌ مِنْ وَرَقٍ ، وَوَاحِدٌ مِنْ لَوْزٍ .

قلت : هَذَا مَنْصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ هُنَا « مِنْ ذَهَبٍ » وَقَالَ فِي الْإِنْبَارِ « مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْزًا » وَفِي الْإِنْسَانِ « مِنْ فِضَّةٍ » . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : سَمِعْتُ خَلِيلَ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تَنْتَاجُ الْجَلْدَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَلْبِغُ الْوُضُوءَ » خَرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَحَكَى الْفَرَّاهُ : « يُحْلَوْنَ » بِفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْحَاءِ وَقَعَ اللَّامُ خَفِيفَةً ، يُقَالُ : حَلَيْتِ الْمَرْأَةَ تَحْلِيٌّ فَهِيَ حَالِيَةٌ إِذَا لَبَسَتْ الْحُلِيَّ . وَحَلَى الشَّيْءُ بِعَيْنِي يُحْلَى ، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ . وَالسَّوَارُ سَوَارُ الْمَرْأَةِ ، وَالْجَمْعُ أَسَوِرَةٌ ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ أَسَاوِرَةٌ . وَقُرِئَ « فَلَوْلَا أَتَيْنِي عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » وَقَدْ يَكُونُ الْجَمْعُ أَسَاوِرَ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى « يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ » قَالَ الْجَوْهَرِيُّ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَسَاوِرُ جَمْعُ أَسَوِرَةٍ ، وَأَسَوِرَةٌ جَمْعُ سَوَارٍ وَسُوَارٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَلْبَسُ فِي الْفَرَاحِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ فَهُوَ قَلْبٌ وَجَمْعُهُ قَلَبَةٌ ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ قَرْنٍ أَوْ عَاجٍ فَهِيَ تَسْكَةُ وَجَمْعُهُ تَسَكٌ . قَالَ النَّحَّاسُ : وَحَكَى قُطْرُوبٌ فِي وَاحِدِ الْأَسَاوِرِ أَسَاوِرًا ، وَقُطْرُوبٌ صَاحِبُ ثَنُودٍ ، فَذَكَرَ يَسْقُوبَ وَتَجَرَّهَ فَلَمْ يَذْكُرْ .

(١) راجع ١٣٦ ص ١٣٦ طبع ثانية بزيادة (٢) آية ٢٢

(٤) آية ٢١ (٥) آية ٥٥ سورة الزمر .

قلت ، قد جاء في الصحيح وقال أبو عمرو بن العلاء : واحدها إسوار . وقال المفسرون :  
لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والفيجان جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة .  
قوله تعالى : ( وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُتْدٍ وَيَسْتَبْرِقُ السُّتْدُ ) الرقيق الخفيف ،  
واحدة ستدة ، قاله الكشاف . والاستبرق : ما تحن منه - عن عكرمة - وهو الحرير .  
قال الشاعر :

تران يهسن الشاهر مرة . واستبرق الدياح طورا لبنا

قال الاستبرق الدياج . ابن بحر : اللسوج الذهب . القتي : فارسي مغرب . الجوهري :  
وتصدرة أبيض . وقيل : استغل من البريق . والصحيح أنه وفاق بين اللذين ، إذ ليس  
في القرآن ما ليس من لغة العرب ، على ما تقدم ، والله أعلم .

وخص الأخصر بالذكر لأنه للواقع للبصر ، لأن الياض يتبد النظر ويؤلم ، والسواد  
يئثم ، وأخضره بين الياض والسواد ، وذلك يجمع الشاع . والله أعلم . روى الثنائي عن  
جدهم بن عمرو بن العاص قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه  
رجل فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن ثياب الجنة ، أخلق يخلق أم نسج ينسج ؟ فضحك  
بعض القوم . فقال لم : "م" تضحكون من جاهل يسأل علما " فجلس يسيرا أو قليلا  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أين السائل عن ثياب الجنة ؟" قال : هاهو ذا يا رسول  
الله ، قال " لا بل تصفق عنها ثمر الجنة " فلما تلمت . وقال أبو هريرة : دار المؤمنين مدة  
مجرؤة في وسطها نخيرة تبت الحلال ويأخذ بأصبعه أو قال بأصبعه سبعين حلة منظمة بالذ  
والمرئان . ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقايقه . وقد ذكرنا إسناده  
في كتاب التذكرة . وذكر في الحديث أنه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل  
وجه لون ، يتكلمان بصوت يستحسهما ، يقول أحد الوجهين للآخر : أنا أكرم على ولي  
له منك ، أنا ألي جسده وأنت لا تلي . ويقول الآخر : أنا أكرم على ولي الله منك ، أنا أبصر  
وسهه وأنت لا تبصر .

قوله تعالى : ﴿ شَكَّيْنِ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ « الأرائك » جمع أريكة ، وهي السرير في المجال . وقيل القروش في المجال ، قاله الزجاج . ابن عباس : هي الأسرة من ذهب ، وهي مكللة بالثمر والياقوت عليها المجال ، الأريكة ما بين صنعاء إلى أيلة وما بين عدن إلى الجالية . وأصل متكئين مؤتكئين ، وكذلك انكأ أصله اوتكأ ، وأصل التثكاة وكأة ، ومنه التوكأ للتعامل على الشيء ، فقبلت الواو تاء وأدغمت . ورجل وكأة كثير الاتكأة . ﴿ نِعِمَّ الثَّوَابُ وَحُسْنُ مَرْفَقًا ﴾ يعني الجفات ، عكس « وساعت مرفقا » . وقد تقدم . ولو كان « نِعَمَتْ » لجاز لأنه أسم للجنة . وعلى هذا « وحسنت مرفقا » . وروى البراء ابن عازب أن أعرابيا قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بمرقات على ناقته المضياء فقال : إني رجل مسلم فأخبرني عن هذه الآية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنت منهم بعيد ولا هم بعيد منك هم هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فاعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم » ذكره الماوردي ، وأسند النحاس في كتاب معاني القرآن ، قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن سهل قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيى بن الضريس عن زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال : قام أعرابي ... فذكره . وأسند السهيلي في كتاب الاعلام . وقد رويناه جميع ذلك بالإجازة ، والحمد لله .

قوله تعالى : وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَّفْنَاهُ بِتَخْلِ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٦﴾ كَلَّتِ الْأُكُتَيْنِ تَوَاتَتْ أُكُلُهُمَا وَلَزَّ تَطَائِمُ مَتْنُهُ شَيْعًا وَفَجَرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٧﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٨﴾

(١) المجال : جمع الحجة (جنتين) كناية عن موضع يزين بالياب والسرور والأسرة العروس .

قوله تعالى : ( وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ) هذا مثل لمن يتوزع بال دنیا ويستنكف عن  
 مجالسة المؤمنين ، وهو متصل بقوله « وأصبر نفسك » . واختلف في اسم هذين الرجلين  
 وتعيينهما ، فقال الكلبي : زلت في أخوين من أهل مكة مخزومين ، أحدهما مؤمن وهو  
 أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، زوج أم سلمة قبل  
 النبي صلى الله عليه وسلم . والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ، وهما الأخوان المذكوران  
 في سورة « العنكبات » في قوله « قال قاتل منهم إني كان لي قرين » ، وورث كل واحد منهما  
 أربعة آلاف دينار ، فاتفق أحدهما ماله في سبيل الله وطلب من أخيه شيئا فقال ما قال ... ؛  
 ذكره التلمی والقسیری . وقيل : زلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مكة . وقيل :  
 هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر . وقيل : هو مثل لعينة بن حصن وأصحابه  
 مع سلمان وصهيب وأصحابه ، شبههم الله برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن  
 واسمه يهوذا ، في قول ابن عباس . وقال مقاتل : اسمه تليخا . والآخر كافر واسمه قرطوش .  
 وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات . وكذا ذكر محمد بن الحسن المقرئ قال :  
 اسم الخير منهما تليخا ، والآخر قرطوش ، وأنها كانا شريكين ثم اقسما المال فصار لكل  
 واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، فاشتري المؤمن منهما عبيدا بألف وأعتقهم ، وبالألف الثانية  
 ثيابا فكبها المرأة ، وبالألف الثالثة طعاما فأطعم الجوع . وبن أيضا مساجد ، وفعل خيرا .  
 وأما الآخر فنكح بماله نساء ذوات يسار . واشترى دواب وغرا فاستنجزها فتمت له نساء  
 مقرطلا ، وأنجز بياقها فربح حتى فق أهل زمانه غنى ، وأدركت الأول الحاجة ، فأراد أن  
 يستخدم نفسه في جنة يخدمها فقال : لو ذهبت لشريكي وصاحبي فساكنه أن يستغنى  
 في بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح بي . فحساء فلم يكد يصل إليه من غلظ  
 الحجاب ، فلما دخل عليه وعرفته وسأله حاجته قال له : ألم أكن قاسمتك المال نصفين !  
 فما صنعت بمالك ؟ قال : اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وأبقى . فقال : أشك

لمن المصدقين، ما أنظر الساعة قاعة ! وما أراك إلا سقيماً، وما جزائك عندي على سفاهتك  
 إلا الحرمان، أو ما ترى ما صنعتُ أنا بحال حتى آلى إلى ما تراه من الثروة وحسن الحال،  
 وذلك أني كُتِبْتُ وسفَهْتُ أنت، اخرج عني : ثم كان من قصة هذا النبي ما ذكره الله  
 تعالى في القرآن من الإحاطة بفسره وفعايلها أصلاً بما أرسل عليها من السماء من الحبَّان .  
 وقد ذكر النبي هذه القصة بلفظ آخر وهو المعنى متقلب . قال عطاء : كانا شريكين لها  
 ثمانية آلاف دينار . وقيل : ورثاه من أبيهما وكانا أخوين فأقتسماه، فأشترى أحدهما أرضاً  
 بألف دينار، فقال صاحبه : اللهم إن فلانا قد اشترى أرضاً بألف دينار وإني اشتريت منك  
 أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال : اللهم إن  
 فلانا بنى داراً بألف دينار وإني اشترى منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بها، ثم تزوج  
 امرأته فاتفق عليها ألف دينار، فقال : اللهم إن فلانا تزوج امرأة بألف دينار وإني أخطب  
 إليك من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار . ثم اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار،  
 وإني اشترى منك خدماً ومتاعاً من الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار . ثم أصابته  
 حاجة شديدة فقال : لعل صاحبي يتألمي معروفه فأتاه فقال : ما فعل مالك ؟ فأخبره قصته  
 فقال : وإني لمن المصدقين بهذا الحديث ! والله لا أعطيك شيئاً ! ثم قال له : أنت تعبد الله  
 السماء، وأنا لا أعبد إلا صنماً فقال صاحبه : والله لأعطيه، فوعظه وذكره وخوفه . فقال :  
 سرتنا نصطد السمك، فن صاد أكثر فهو على حق، فقال له : يا أحمق ! إن الدنيا أحقر  
 عند الله من أن يجعلها ثواباً لمحسن أو عقاباً لكافر . قال : فأكرهه على الخروج منه، فأبلاهما  
 الله ، فجعل الكافر يرى شبكته ويسمى باسم صنمه ، فقطع متدقة سمكا ، وجعل المؤمن  
 يرى شبكته ويسمى باسم الله فلا يطلع له فيها شيء ، فقال له : كيف ترى ! أنا أكثر منك  
 في الدنيا نعيماً ومزلةً وقرراً، كذلك أكون أفضل منك في الآخرة إن كان ما تقول برعمك  
 حقاً . قال : فضجَّ الملك المسوَّك لهما، فأمر الله تعالى جبريل أن يأخذه فيذهب به إلى  
 الجحيم فيرى به منازل المؤمنين فيها، فلما رأى ما أعد الله له قال : وعزتك لا يضرك ما قاله من

الدنيا بعد ما يكون مصيره إلى هنا ؛ وأراه منزل الكافر في جهنم فقال : وعمرتك لا ينفعه ما أصابه من الدنيا بعد أن يكون مصيره إلى هنا . ثم إن الله تعالى توفى المؤمن وأهلك الكافر بجناب من عبده ، فلما استقر المؤمن في الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون ، فقال : « إني كان لي قرين <sup>١</sup> . يقول أئتتك من المصدقين » الآية ؛ فنأدى مثله : يا أهل الجنة ! هل أتم مطيعون فأطلع إلى جهنم فرآه في سواء الجحيم ؛ فزلت « واضرب لم مثلاً » .

بين الله تعالى حال الأخوين في الدنيا في هذه السورة ، وبين حالهما في الآخرة في سورة « الصافات » في قوله « إني كان لي قرين <sup>١</sup> . يقول أئتتك من المصدقين » — إلى قوله بعد لمثل هذا فليعمل الماملون » . قال ابن عطية : وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد أن بحيرة تبتس كانت هاتين الجنتين ، وكانتا لأخوين فباع أحدهما نصيبه من الآخر فأتى في طاعة الله حتى عبره الآخر ، وجرت بينهما المحاورة ففرقها الله تعالى في ليلة ، وإياها عنى بهذه الآية . وقد قيل : إن هذا مثل ضرب به الله تعالى لهذه الأمة ، وليس بجبرين حال متقدمة ، لترصد في الدنيا وترغب في الآخرة ، وجعله زجراً وإنداراً ؛ ذكره الماوردي . وسياق الآية يدل على خلاف هذا ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَحَقَّقْنَا لَهُمَا أَخْلَافَهُمَا مِنْ حِوَارِهِمَا بَنَخْلَ . وَالْحِقَافَ الْجَانِبِ ، وَجَمْعَهُ أَحْقَافٌ . وَيُقَالُ : حَقَّبَ الْقَوْمَ بَعْلَانِ يُحَقِّقُونَ حَقًّا ، أَيْ طَانُوا بِهِ ؛ وَمِنْهُ « سَاقِينَ مِنْ حَوْلِ الرَّشِ » . ﴿ وَحَقَّقْنَا لَهُمَا زَيْدًا ﴾ أَيْ جَعَلْنَا حَوْلَ الْأَعْنَابِ النَّخْلَ ، وَوَسَطَ الْأَعْنَابِ الزَّرْعَ . ﴿ كَلَّفَ الْجَنَّتَيْنِ ﴾ أَيْ كَلَّ وَاحِدَةً مِنَ الْجَنَّتَيْنِ ﴿ أَنْتَ أَكْلَهُمَا ﴾ تَأْمَا ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ أَنَا . وَأَخْتَلَفَ فِي لَفْظِ « كَلَّفَا وَكَلَّ » . هَلْ هُوَ مُفْرَدٌ أَوْ مثنًى ؟ فَقَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ : هُوَ مُفْرَدٌ ؛ لِأَنَّهُ كَلَّا وَكَلَّفَا فِي تَوْكِيدِ الْأَشْيَاءِ تَطْرُقُ كُلُّهُ فِي الْمَجْمُوعِ ، وَهُوَ اسْمُ مُفْرَدٍ غَيْرِ مثنًى ؛ فَإِذَا وَلَّى اسْمًا ظَاهِرًا كَانَ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَفْضِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَوْلُ : رَأَيْتُ كَلَّا الرَّجُلَيْنِ وَجَاءَ فِي كَلَّا الرَّجُلَيْنِ وَمَرَدَتْ بِكَلَّا الرَّجُلَيْنِ ؛ فَإِذَا اتَّصَلَ بِمَضْمَرٍ فَلَيْتُ الْأَلْفِ يَاءٌ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ وَالنَّصْبِ ، فَقَوْلُ :

(١) آية ١٠١ نوابغا . (٢) أكثر سورة الزمر . (٣) كذا في الأصول والصحاح لم يجرى والله تالله صاحب اللسان . وكان الأول أن يقال : « فأذا وله اسم ظاهر ... » .



رَأَيْتَ كَلِمَاتِهِمَا وَمَرَدَّتْ بِكَلِمَاتِهِمَا، كَمَا تَقُولُ عَلَيْهِمَا . وَقَالَ الْقَرَاءُ : هُوَ مَنِّي، وَهُوَ مَا أَخُذُ مِنْ كُلِّ  
تَخَفَّفَتْ اللَّامُ وَزِيدَتْ الْآلِفُ لِلتَّنْبِيْهِ . وَكَذَلِكَ كَلِمَاتُ الْوَيْتِ، وَلَا يَكُونَانِ إِلَّا مَضَاهِينَ وَلَا يَتَكَلَّمُ  
بِوَاحِدٍ، وَلَوْ تَكَلَّمَ بِهِ لَقِيلَ : كُلٌّ وَكُلٌّ وَكُلَانٌ وَكُلَّتَانٌ . وَاحْتِجَّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ  
فِي كَلِمَتِهِ وَجَلِيهَا سَلَامِي وَاحِدَةً . كَلِمَاتُهَا مَقْسُومَةٌ بِزَائِدَةٍ

أَرَادَ فِي إِحْدَى وَجَلِيهَا فَاغْرَدَ . وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَنِّي  
لَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي النَّصَبِ وَالْخُرُوبَةِ مَعَ الْأَسْمِ الظَّاهِرَةِ، وَلَازِمٌ مَعْنَى «كَلَا» مُخَالَفٌ  
لِمَعْنَى «كُلٌّ» لِأَنَّ «كَلَا» لِلْإِمَامَةِ وَ«كَلَا» يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مُخْصَصٍ، وَأَمَّا هَذَا الشَّاعِرُ فَأَمَّا  
حَذْفُ الْآلِفِ لِلزُّرُورَةِ وَقَدَرَتْهَا زَائِدَةٌ، وَمَا يَكُونُ ضَرُورَةٌ لَا يَحْوَ أَنْ يَحْمِلَ هَجَةً، فَبِتِ  
أَنَّهُ اسْمٌ مَقْسُودٌ كَيْفِيٌّ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ لِيَدُلَّ عَلَى التَّنْبِيْهِ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ «نَحْنُ» اسْمٌ مَقْرَدٌ يَدُلُّ  
عَلَى الثَّنِيْنِ فَمَا فَوْقَهُمَا، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ :

كَلَّا يَوْمِي أُمَامَةٌ يَوْمٌ صَدُّ . وَإِنْ لَمْ تَأْتِهَا إِلَّا لِإِمَامَةٍ

فَاخْبَرَ عَنْ «كَلَا» بِيَوْمٍ مَقْرَدٍ، كَمَا أَفْرَدَ الْخَبَرُ بِقَوْلِهِ «أَتَتْ» وَلَوْ كَانَ مَنِّي لَقَالَ أَنَا، وَيَوْمًا .  
وَاخْتَلَفَ أَيْضًا فِي الْآلِفِ «كَلَا»؛ فَقَالَ سَيُوبَةُ : الْآلِفُ «كَلَا» ثَلَاثِيْنِ وَالتَّاءُ يَدُلُّ مِنْ لَامِ  
الْفِعْلِ وَهِيَ وَאו وَالْأَصْلُ كَلَّوْا، وَإِنَّمَا أَبْدَلَتْ تَاءً لِأَنَّ فِي التَّاءِ عِلْمَ الثَّانِيْنِ، وَالْآلِفُ «فِي كَلَا»  
قَدْ تَصِيرُ يَاءً مَعَ الْمُضَمِّ فَتَخْرُجُ عَنْ عِلْمِ الثَّانِيْنِ، فَصَارَ فِي إِبْدَالِ الْوَاوِ تَاءً تَأْكِيْدٌ لِّلثَّانِيْنِ .  
وَقَالَ أَبُو عَمْرِو الْجَرْمِيُّ : التَّاءُ مُلْحَقَةٌ بِالْآلِفِ لَامِ الْفِعْلِ، وَتَقْدِيرُهَا عِنْدَهُ : فَعَتَلْتُ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ  
عَلَى مَا زَعَمَ لَقَالُوا فِي التَّنْبِيْهِ إِلَيْهَا كَلَّيْتُ، فَلَمَّا قَالُوا كَلَّيْتُ وَأَسْقَطُوا التَّاءَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ أَجْرَوْهَا  
تَجْرِيءًا فِي التَّاءِ فِي أَخْتِ إِذَا نَسَبَتْ إِلَيْهَا قُلْتُ أُخْرِيْ؛ ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ :  
وَأَجَازَ الصَّوْبِيُّونَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ الْحَمْلَ عَلَى الْمَعْنَى، وَأَنْ يَقُولَ : كَلَّتَا الْجَمْعَيْنِ أَنَا أَكَلَهُمَا؛ لِأَنَّ  
الْمَعْنَى الْمُخْتَارَ كَلِمَاتُهُمَا أَنَا . وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ : كَلَّتَا الْجَمْعَيْنِ آتَى أَكَلَهُ، قَالَ : لِأَنَّ الْمَعْنَى كُلَّ

(١) السَّامِيُّ (كَبَارِيُّ) : عَتَامُ الْأَسَابِغِ فِي الْيَدِ وَالْقَدَمِ . (٢) كَذَلِكَ الْأَمْرُ وَاللَّامُ مَادَّةُ «كَلَا» .

عَنْ دِيْرَانَةَ الْمَلْبُوعِ : «يَوْمٌ مَضَى» . وَالْيَتِ مِنْ تَصْدِيقِهَا :

أَلَا سَاحِلُ الْخَزَالِ مَاتِلِيْنَا • وَمَكَاتُ طَالِ نَهْيَا • أَتَاغَا

الجبنتين . قال : وفي قراءة عبد الله « كل الجنتين آتى أكله » . والمعنى على هذا عند الفراء : كل شيء من الجنتين آتى أكله . والأكل ( بضم الهمزة ) تمر النخل والشجر . وكل ما يؤكل فهو أكل ، ومنه قوله تعالى : « أَكُلَاهَا دَائِمٌ » وقد تقدم . ( وَلَمْ تَطْلُمِ مِنْهُ شَيْئًا أَي لَمْ تَقْصُ . قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَا خِلَافَهُمَا ذُرِّيًّا أَي أَبْرَحِنَا وَشَقَقْنَا وَسْطَ الْجَبَتَيْنِ نَهْرٌ . وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ ) قرأ أبو جعفر وشيبة وعاصم ويعقوب وابن أبي إسحاق « تمر » بفتح التاء والميم ، وكذلك قوله « وأحيط بتمره » جمع تمره . قال الجوهري : التمرة واحدة التمر والثمرات ، وجمع التمر ثماره مثل جبل وجبال . قال الفراء : وجمع الثمار تمرٌ مثل كتاب وكتب ، وجمع الثمر أغماره مثل أصناع وعتي . والتمر أيضا المالك المتجر ، يخفف ويتقل . وقرأ أبو عمرو « وكان له تمرٌ » بضم التاء وإسكان الميم ، وفسره بأنواع المال . الباقون بضمهما في الحرفين . قال ابن عباس : ذهب فضة وأموال . وقد مضى في « الأنعام » نحو هذا ميئاً . وذكر النحاس : حدثنا أحمد بن شعيب قال أخبرني عمران بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي قال حدثنا شبيب بن إسحاق قال هارون قال حدثني أبان عن ثعلب عن الأعمش أن الحجاج قال : لو سمعت أحدا يقرأ « وكان له تمرٌ » لقطعت لسانه ، فقلت لا أعش : أناخذ بذلك ؟ فقال : لا ! ولا نُسَمِّعُ عَيْنَ (٣١) فكَانَ يَقْرَأُ « تمرٌ » ويأخذه من جمع التمر . قال النحاس : فالتقدير على هذا القول أنه جمع تمره على ثماره ، ثم جمع ثماره على تمرٍ ، وهو حسن في العربية إلا أن القول الأول أشبه والله أعلم ، لأن قوله « كلنا الجنتين آتت أكلها » يدل على أن له ثمرًا .

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي راجعه في الكلام ويحاو به . والمحاورة المحيولة، والتحاوَر التجاوب . ويقال : كلمته ما أحار إلى جوابا ، وما رجس إلى حوira ولا حورية ولا حورة ولا حوراء؛ أي ما رد جوابا . ﴿إِنَّا أَكْثَرُكُمْ نِكَارًا﴾ أي ما رد جوابا . وأراد ههنا الأنبياء والخلد والولد . حسبما تقدم بيانه .

[illegible]

قوله تعالى : **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝**

قوله تعالى : ( **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ** ) قيل : أخذ بيد أخيه المؤمن يطيف به فيها ويريه إيها . ( **وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** ) أى يكفره ، وهو حلة في موضع الحال . ومن أدخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه . ( **قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** ) أنكر قائه الدار . ( **وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً** ) أى لا أحسب البعث كأنسا . ( **وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي** ) أى وإن كان بعث فكما أعطاني هذه النعم في الدنيا فسيمطيني أفضل منه لكرامتي عليه ، وهو معنى قوله : ( **لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا** ) وإنما قال ذلك لما دعاه أخوه إلى الإيمان بالخير والنشر . وفي مصاحف مكة والمدينة والشام « منها » . وفي مصاحف أهل البصرة والكوفة « منها » هل التوحيد ، والثنية أولى ، لأن التسمير أقرب إلى الجنتين .

قوله تعالى : **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۝ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝**

قوله تعالى : ( **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ** ) يهودا أو تلميذا ، على الخلاف في اسمه . ( **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا** ) وعظه وبين له أن ما اعترف به من هذه الأشياء إلى لا ينكرها أحد أبداً من الإعادة . و **سَوَّاهُ** رجلاً أى جعلك مقسداً القائمة واتحاشى ، صحيح الأعضاء ذكرها . ( **لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي** ) كذا قرأه أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العافية . وروى عن الكسائي « لكن هو الله » بمعنى لكن الأمر هو الله ربى ، فأنشئ اسمها فيها . وقرأ الباقون « لكنا » بـ **لَئِنَّا** الكسائي : فيه تقديم وتأخير

تقدمه: لكن الله هو ربى أنا، حذفت الميمزة من «أنا» طلبا لتخفة لكثرة الاستعمال وأدغمت إحدى التونين في الأخرى وحذفت ألف «أنا» في الوصل وأثبتت في الوقف . وقال النحاس : مذهب الكسائي والفراء والمازني أن الأصل لكن أنا فالألف حركة الميمزة على نون لكن وحذفت الميمزة وأدغمت النون في التون فالوقف عليها لكنا وهى ألف أنا لبيان الحركة . وقال أبو عبيد: الأصل لكن أنا، حذف الألف فالتفت نونان بقاء بالتشديد لذلك، وأنشدنا الكسائي :

لَمَنْكَ مِنْ قَسِيَّةٍ تَوَسَّيْتُ<sup>(١)</sup> عَلَى هَوَاتٍ كَاذِبٍ مِنْ يَحُولِهَا

أراد : لله إنك، فأسقط إحدى اللامين من « لله » وحذف الألف من إنك . وقال آخر يطأ به على الأصل :

وَتَرِمِيَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ . وَتَقْلِيَنِي لَكِنْ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

أى لكن أنا . وقال أبو حاتم : ورووا عن عاصم « لكنا هو الله ربى » وزعم أن هذا لحن، يعنى إثبات الألف في الإدراج . قال الزجاج : إثبات الألف في « لكنا هو الله ربى » في الإدراج جيد لأنه قد حذفت الألف من أنا فجاءوا بها عوضا . قال : وفي قراءة أبي : « لكن أنا هو الله ربى » . وقرأ ابن عامر والمسيلى<sup>(٢)</sup> عن نافع ورويس عن يعقوب « لكنا » في حال الوقف والوصل معا بإثبات الألف . وقال الشاعر :

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَأَمْرُ فَوْى . حَيْثَا قَدْ تَذَرَبْتُ السَّامَا

وقال الأحمسي :

فَكَيْفَ أَنَا وَأَقْتَالُ الْفَوَاتِ . بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ حَارَا

ولا خلاف في إثباتها في الوقف . ( هُوَ اللَّهُ رَبِّي ) « هو » ضمير القصة والشان والأمر ؛ كقوله « فَإِذَا مَنِ شَاحِصَةً أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » وقوله « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » . ( وَلَا تُشْرِكْ

(١) هو أميرالباس أحد بن محمد بن سعيد . وهذه النسبة إلى مسيلة (كافية) بهذه بالمغرب .

(٢) أي هذه سورة الأبيد .

رَبِّي أَحَدًا ۖ دَلَّ مَقْهُومُهُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ نَفْسِهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ  
أَرَادَ لَا أَرَى الْفَقْرَ وَالْفَقْرَ إِلَّا مَعَهُ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُثَلِّبَ صَاحِبَ الدُّنْيَا دُنْيَاهُ قَدَّرَ عَلَيْهِ ،  
وَهُوَ الَّذِي أَتَانِي الْفَقْرُ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِجُودِكَ الْبَحْثَ مُصْبِرُهُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَفْقِرُ  
عَلَيْهِ ، وَهُوَ تَعْيِيزُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَنْ يَخْزِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَيْئًا بَخْلَهُ ، فَهُوَ لِشَرِّكَ .

قوله تعالى : وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ  
إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٥﴾ فَسَمِعَ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي  
خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصْبِحُ صَعِيدًا  
زَلْفًا ﴿٣٦﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهَا طَلِبًا ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ( وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) فِيهِ سَائِلَتَانِ ؟  
الْأُولَى - قوله تعالى : ( وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ )  
أَيُّ بِاللَّهِ ، وَهُوَ تَوْجِيحٌ وَصِيَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْكَافِرِ وَرَدَّ عَلَيْهِ ، إِذْ قَالَ « مَا أَظُنُّ أَنَّ يَدَ هَذِهِ  
أَبْدًا » « مَا » فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، تَقْدِيرُهُ : هَذِهِ الْجَنَّةُ هِيَ مَا شَاءَ اللَّهُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَالْفَرَّاهُ :  
الْأَمْرُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، أَوْ هُوَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، أَيْ الْأَمْرُ مُشَبَّهٌ بِاللَّهِ تَعَالَى . وَقِيلَ : الْجَوَابُ مُضْمَرٌ  
أَيُّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَالًا يَشَاءُ لَا يَكُونُ . ( لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) أَيْ مَا لَجُئْتُكَ مِنَ الْمَالِ  
فَهُوَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَوْتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ وَفَوْتُكَ ، وَلَوْ شَاءَ لَفَرَّقَ الْبَرَكَةَ مِنْهُ لَمْ يَجْتَمِعْ .

الثَّانِيَّةُ - قَالَ أَتَمَّجِبُ قَالَ مَالِكٌ : يَذْنِي لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ مَسْرَقَةً أَنْ يَقُولَ هَذَا ،  
وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ قَالَ لِي حَفْصُ بْنُ تَيْسَرَةَ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ وَهْبٍ بَنٍ مِنْهُ مَكْتُوبًا مَا شَاءَ  
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : « أَلَا إِذَا كُنْتَ  
عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ الْجَنَّةِ - أَوْ قَالَ كَتَمْتَ مِنَ الْجَنَّةِ - قُلْتَ : يٰ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ  
« لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّا قَالِمَا الْبَيْدَ قَالَ اللَّهُ مِنْ وَجِلِ أَسْمِ عَبْدِ وَاسِعٍ » أَخْبَرَهُ سَلَمٌ

في صحيحه من حديث أبي موسى . وفيه : فقال " يا أبا موسى أو ياعد الله بن قيس إلا أنك  
على كلمة من كثر الجنة - في رواية على كثر من كنوز الجنة - " قلت : ما هي يا رسول الله قال :  
" لا حول ولا قوة إلا بالله " . وعنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنك على كلمة  
من كنوز الجنة أو قال كثر من كنوز الجنة " . قلت : بلى ، فقال " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي  
ال العظيم " . وروى أنه من دخل منزله أو خرج منه فقال : بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله تافرت  
عنه الشياطين من بين يديه وأزل الله تعالى عليه البركات . وقالت عائشة : إذا خرج الرجل  
من منزله فقال بسم الله قال الملك هديت ، وإذا قال ما شاء الله قال الملك كفييت ، وإذا قال  
لا قوة إلا بالله قال الملك وقيت . خرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : " من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله  
لا حول ولا قوة إلا بالله يقال كفييت ووقيت ويحیی عنه الشيطان " هذا حديث غريب  
لا نعرفه إلا من هذا الوجه . خرجه أبو داود أيضا وزاد فيه - فقال له : " هديت وكفييت  
ووقيت " . وخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . " إذا  
خرج الرجل من بيته أو لب داره كان معه ملكان موكلان به فإذا قال بسم الله قالاه هديت  
وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قالاه وقيت وإذا قال توكلت على الله قالاه كفييت قال فيلقاه  
قريانه فيقولان ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقى وكفى " . وقال الحاكم أبو عبد الله في علوم  
الحديث : مثل محمد بن إسحاق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : " تحتاج  
الجنة والثار فقال هذه - يعني الجنة - بدخلتي الضعفاء " من الضعيف ؟ قال : الذي  
يرى نفسه من الحول والقوة يعني في اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة . وقال أنس بن مالك  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره  
عين " . وقد قال قوم : ما من أحد قال ما شاء الله كان فأصابه شيء إلا رضى به . وروى  
أن من قال أربعا آمن من أربع : من قال ههنا آمن من الدين ، ومن قال حسبنا الله ونعم  
الوكيل آمن من كيد الشيطان ، ومن قال وأفوض أمري إلى الله آمن مكر الناس ، ومن قال  
" إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين آمن من النعم .

قوله تعالى : ( **إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ مَالًا فَوَلَّاهُ** ) « **إِنْ** » شرط « **تَرَىٰ** » مجزوم به ،  
 والجواب « **فَمَسِي رُبِّي** » و « **أَنَا** » فاصلة لا موضع لها من الإعراب ، ويحور أن تكون  
 في موضع نصب توكيدا للنون والياء . وقرأ عيسى بن عمر « **إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَمَ مِنْكَ** » ،  
 يحصل « **أَنَا** » مبتدأ و « **أَقْلَمَ** » خبره ، والجملة في موضع المفعول الثاني ، والمفعول الأول ون  
 والياء ؛ إلا أن الباء حذفت لأن الكسرة تدل عليها ، وإثباتها جيد بالغ وهو الأصل لأنها الاسم  
 على الحقيقة . و ( **فَمَسِي** ) بمعنى لعل ، أى قلد ربي . ( **أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ** ) أى  
 فى الآخرة . وقيل فى الدنيا . ( **وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا** ) أى عل جنتك . ( **حُطْبَاءَ** ) أى مراعى من  
 السماء ، واحدها حُطْبَاءَةٌ ، قاله الأخفش والفنّى وأبو عبيدة . وقال ابن الأعرابي : والحطبان  
 السحابة ، والحطبانة الوسادة ، والحطبانة الصّاعقة . وقال الجوهرى : والحبيان (بالضم) ،  
 العذاب . وقال أبو زياد الكلابى : أصاب الأرض حبيان أى جراد . والحبيان أيضا  
 الحساب ، قال الله تعالى : « **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** » . وقد فُسر الحُبان هنا بهذا . قال  
 الزجاج : الحبيان من الحساب ، أى يرسل عليها عذاب الحساب ، وهو حساب ما اكتسبت  
 بذلك ؛ فهو من باب حذف المضاف . والحبيان أيضا : سهام قصار يرى بها فى طلق واحد ،  
 وكان من رعى الأكاسرة . والمرامى من المياه عذاب . ( **فَتَصْبَحُ صَعِيدًا زَلَقًا** ) بنى أرضا  
 بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم ، وهى أضر أرض بعد أن كانت جنة أرفع  
 أرض ، و « **زَلَقًا** » تأكيد لوصف الصعيد ؛ أى ترل عنها الأقدام لملاسها . يقال : مكان  
 زَلَقٍ ( بالتحريك ) أى دَحْض ، وهو فى الأصل مصدر قولك : زلقت رجله ترتق زلقا ،  
 وأزلقها غيره . والزلق أيضا عجر الدابة . قال رؤبة :

• كَانَهَا حَقْبَاءَ بَلَقَاءِ الزَّلَقِ •

والمزقة والمزلفة : الموضع الذى لا يثبت عليه قدم . وكذلك الزلاقة . والزلق الحلق ، زلق  
 رأسه يزلقه زلقا حلقه ؛ قاله الجوهرى . والزلق الملقوق ، كالنقض والنقص . وليس المراد

أنها تصير حزقة، بل المراد أنها لا يبقى فيها نبات كالرأس إذا حلق لا يبقى عليه شعر،  
 قاله القشيري . ( أَوْ يَصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ) أي غارًا قاهيا ، فتكون أعدم أرض الماء بعد .  
 أن كانت أوجد أرض الماء . والقور مصدر وضع موضع الاسم ، كما يقال : وجعل صوم  
 وقطر وعذل ورضا وفعل وزور وفشاء فوج ، ويستوى فيه للذكر والمؤنث والثنية والجمع .  
 قال عمرو بن كلثوم :

تَظَلَّ جِيَادُهُ نَوَاسًا عَلَيْهِ • مَقْلَبَةً أَهْتَبَا صُفُوفَنَا  
 آخر :

مهربق من دموعها حجابا • ضبايح وجاوبى نوحا قياما  
 أي ثأغات . وقيل : أو يصبح مأوها ذا غور، لحذف المضاف ، مثل « وأسأل القرية »  
 ذكره النحاس . وقال الكاسي : ماء غور . وقد غار الماء يغور غورا وغورا ، أي سفل  
 في الأرض ، ويجوز الممز لأضباع الواو . وغارت عنه تغور غورا وغورا ، دخلت في الرأس .  
 وغارت تمار لفة فيه . وقال :

• أَظَارَتْ عَيْنُهُ لَمْ تَنَارًا •

وغارت الشمس تغور غيارا ، أي غمرت . قال أبو ذؤيب :

هل الدهر إلا ليله ونهارها • وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

( لَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ) أي لن تستطيع رد الماء الفائر، ولا تكثر عليه بحيلة . وقيل : فلن  
 تستطيع طلب غيره بدلا منه . وإلى هذا الحديث أثبتت مناظرة أخيه وإنذاره .

قوله تعالى : وَأَحِيطْ بِشَجَرِهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفِّهِ عَلَى مَا انْفَقَ فِيهَا  
 وَهِيَ خَاطِيَةٌ عَلَى عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأْسِكَ رَبِّي أَحَدًا ﴿٦١﴾

قوله تعالى : ( وَأَحِيطْ بِشَجَرِهِ ) اسم ما لم يتم فاعله مضمر، وهو المصدر ، ويجوز أن  
 يكون المخفوض في موضع رفع . ومعنى « أحيط بشجره » أي أحكك ماله كله . وهذا أول  
 ملحق الله تعالى به إنذار أخيه . ( فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفِّهِ ) أي فأصبح الكافر يضرب إحدى



يديه الى الأخرى تدماء لأن هذا يصدر من التادم . وقيل : « قلب ملكه فلا يرى فيه عرض ما أنفق » وهذا لأن الملك قد يعبره باليد من قولهم : في يده مال ، أى في ملكه مال ؛ ودل قوله « فأصبح » على أن هذا الإهلاك جرى بالليل ؛ كقوله « غَطَّافٌ عَلَيْهِمَا يَأْتِيَانِ مِنْ رَبِّكَ وَهُمَا غَمَامُونَ » فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ » وقال : أغتف في هذه الدار كذا وأغتت عليها . (وَيْحَى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) أى خالية قد سقط بعضها على بعض ؛ ماخوذة من خوت النجوم تخوى خياً أغتت ، وذلك إذا سقطت ولم تغط في نوبها . وأخوت مثله . وخوت الدار خولاء أقرت ، وكذلك إذا سقطت ؛ ومنه قوله تعالى : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا » ويقال ساقطة ؛ كما يقال فهي خاوية على عروشها أى ساقطة على نقوشها ؛ فجمع عليه بين هلاك العمر والأصل ، وهذا من أعظم الجوارح ، مقابلة على بئيه . (وَيَقُولُ يَأْتِيَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) أى يأتيني صرفت نعم الله على ، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به . وهذا تدم منه حين لا يتفقه التدم .

قوله تعالى : وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مُنْتَصِرًا ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) « فِتْنَةٌ » اسم « يَكُنْ » و « له » الخبر . « يَنْصُرُونَهُ » في موضع الصفة ، أى فتنة ناصرة . ويجوز أن يكون « يَنْصُرُونَهُ » الخبر . والوجه الأول عند سيويه أولى لأنه قد تقدم « له » . وأبو العباس يخالفه ، وينجى بقول الله عز وجل « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » . وقد أجاز سيويه الآخر . و « يَنْصُرُونَهُ » على معنى فتنة ؛ لأن معناها أفرام ، ولو كان على اللفظ لقال ولم تكن له فتنة تنصره ؛ أى فرقة وجماعة يلتجئ إليهم . (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) أى بمنها ؛ قاله قتادة . وقيل : مسترداً بدل ما ذهب منه . وقد تقدم اشتقاق الفتنة في « آل عمران » . والماء عوض من الباء التي قصبت

من وسطه، أصله في مثل فيج، لأنه من فاء، ويجمع على ثرون وثبات، مثل شيات وثبات واثبات، أى لم تكن له عشيرة يمنعه من عذاب الله، وضل عنه من اقتريهم من الخدم والولد.

قوله تعالى : هَٰذَا لَكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ( هَٰذَا لَكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ) اختلف في العامل في قوله « هَٰذَا لَكَ » وهو ظرف، فقيل : العامل فيه « ولم تكن له فئة » ولا كان هَٰذَا ؛ أى ما نصر ولا انتصر هَٰذَا ؛ أى لما أصابه من العذاب . وقيل : تم الكلام عند قوله « متصيرا » . والعامل في قوله « هَٰذَا لَكَ » : « الولاية » ، وتقديره على التقديم والتأخير : الولاية لله الحق هَٰذَا لَكَ ، أى في القيامة . وقرا أبو عمرو والكسائي « الحق » بالرفع نعتا للولاية . وقرا أهل المدينة وحمة « الحق » بالخفض نعتا لله عز وجل ، والتقدير : لله ذى الحق . قال الزجاج : ويوزن « الحق » بالنصب على المصدر والتوكيد كما تقول : هذا لك حقا . وقرا الأعمش وحمة والكسائي « الولاية » بكسر الواو ، الباقون يفتحها ، وهما بمعنى واحد : الرضاعة والرضاة . وقيل : الولاية بالفتح من الموالاتة ؛ كقوله « الله ولي الذين آمنوا » . « ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ الَّذِينَ آمَنُوا » . وبالكسر معنى السلطان والقدرة والإمارة ؛ كقوله « وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ » أى له الملك والحكم يومئذ ، أى لا يُرَدُّ أمره إلى أحد ؛ والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوى والقرمات يوم القيامة . وقال أبو عبيد : إنها بفتح الواو الخالق ، وبكسرهما المخلوق . ( هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ) أى الله خير ثوابا في الدنيا والآخرة لمن آمن به ، وليس ثم غير ربى منه ، ولكنه أراد في ظن الجهال ؛ أى هو خير من ربى . ( وَخَيْرٌ عُقْبًا ) قرأ عاصم والأعمش وحمة وبمجي « عُقْبًا » ساكنة الفاف ، الباقون بضمها ، وهما بمعنى واحد ؛ أى هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به . يقال : هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه ، أى آخره .

قوله تعالى : وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ  
السَّمَاءِ فَأَخْطَلَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هُبُوبًا تَدْرُوهُ أَلَرَبِّحُ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ( وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) أى صف هؤلاء التكبرين الذين سألوك  
طرد قسراء المؤمنين مثل الحياة الدنيا، أى شبهها . ( كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَلَتْ بِهِ )  
أى بالماء . ( نَبَاتُ الْأَرْضِ ) حتى استوى . وقيل : إن النبات اخطط بعضه ببعض حين  
نزل عليه الماء ، لأن النبات إنما يختلط ويكثر بالمطر . وقد تهدم هذا المعنى فى « يونس »  
ميتاً . وقالت الحكمة : إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر فى موضع ، كذلك  
الدنيا لا تبقى على واحد ، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ، ولأن الماء  
لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفتى ، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يجل كذلك الدنيا  
لا يسل أحد دخلها من فتنها وآفتها ، ولأن الماء إذا كان بقدر كان ثلجاً ميتاً ، وإذا جاوز  
المقدار كان ضاراً مهلكاً ، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفصولها يضر . وفى حديث النبي  
صل الله عليه وسلم قال له رجل : يا رسول الله ، إني أريد أن أكون من الفائزين ، قال :  
« تَدِرُ الدُّنْيَا وَتُحْدِثُهَا كَالْمَاءِ الرَّائِدِ فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنْهَا يَكْفِي وَالكَثِيرُ مِنْهَا يُطْفِئُ » . وفى صحيح  
مسلم عن النبي صل الله عليه وسلم : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كِفَافًا وَفَتَنَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ » .  
( فَأَصْبَحَ ) أى النبات ( هُبُوبًا ) أى متكرراً من اليبس متفتتاً ، معنى باقطاع الماء عنه ،  
لخفف ذلك إيحازاً لدلالة الكلام عليه . والمهشم : كسر النون ، اليبس . والمهشم من النبات  
اليبس المتكسر ، والشجرة البالية بأخذها الحاطب كيف يشاء . ومنه قولهم : ما فلان إلا هَيْبَةٌ  
حُزْمٌ ؛ إنا كان تهما . ورجل هَيْبٌ : ضعيف البهت . وتهشم عليه فلان إذا تطلف . واهتمش

ما في ضرع الناقة إذا احتلبه . ويقال : هَتَمَ التَّيْدُ ، ومنه سُمِّيَ هَاتِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ عَمْرُو ، وفيه يقول عبد الله بن الزُّمَيْرِ :

عَمْرُو الْمَلَأَ هَتَمَ التَّيْدِ لِقَوْمِهِ . وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسَيِّتُونَ بِجَنَافِ

وكان سبب ذلك أن قريشا أصابهم سَنَوَقٌ ذهبن بالأموال فخرج هاتِمُ إلى الشام فامرَ بغيره كثير غزير له ، فجعله في الغراز على الإبل حتى وافى مكة ، وهشم ذلك الخبز ، فبني كسره وثرَّده ، ونحر تلك الإبل ، ثم أمر الطَّهَّاءَ فطبخوا ، ثم كفا القدور على الجفان فاشبع أهل مكة ، فكان ذلك أول الحياه بعد السنة التي أصابهم ، فسَمَّى بذلك هاتِمًا . ( تَدْرُوهُ الرِّيحُ ) أي تفرقه ، قاله أبو عبيدة . ابن قتيبة : تسفه . ابن كيسان : تذهب به ونجى . ابن عباس : تديره ، والمخني متقارب . وقسراً طلحة بن مُصَرِّفٍ « تديره الرِّيح » . قال الكسائي : وفي قسراءة عبد الله « تديره » . يقال : ذَرَنَ الرِّيحَ تَدْرُوهُ ذَرَوًا وَ[ تَدْرِيهَ ] ذَرِيًا وَذَرَنَهُ تَدْرِيهَ إِذْراءَ إِذَا طَارَتْ بِهِ . وحكى الفراء : أذريت الرجل عن فرسه أي قلبه . وأشدَّ ميديه والفراء . فقلت له صَوَّبٌ وَلَا تَجْهَدْنَهُ . فَيُذْرِكُ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ فَتَرْتَقِي

قوله تعالى : ( وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ) من الإنشاء والإفناء والإحياء ، سبحانه !

قوله تعالى : أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ

الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) ويعوز « زينا » وهو خير الابتداء في التنبيه والإفراد . وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لأن في المال جماعاً ونفعاً ، وفي البنين قسوة ودفعاً ، فصاوا زينة الحياة الدنيا ، لكن معه قريضة الصفة للمال

(١) في كتاب سيويه : « حديثك » وهي رواية أخرى في الحديث . وقد نسب سيويه إلى عمرو بن معاذ الطائي . ومنه صوب : « أخذ القصد في السير وارتضى بالقرى ولا يجهد . وأخرى القطاة : أكرها ؛ والقطاة : مفقذ الوقت . أي مؤثر الظهور حيث يكون ردق الراكب) . يقول هذا لقلام وقد حله على فرسه لبيد له . (راجع التنصير على كتاب سيويه) .

والبين ، لأن المعنى : المال والبنون زينة هذه الحياة المحترقة فلا تُجمَعوها ففوسم . وهو رَدٌّ على حَيْسَةَ بْنِ حِصْنٍ وأمثاله لما افتخروا بالثنى والشرف ، فأخبر تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى ، كالشمس حين تحترق الریح ، إنما يبقى ما كان من زاد الثبر وعُدد الآخرة . وكانت يقال : لا تعقد قلبك مع المال لأنه في ذهاب ، ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغدا مع غيرك ، ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغدا لغيرك . ويكنى في هذا قول الله تعالى : هَ إِذَا نَزَّلْنَا لَكُمُ الْوَلَدَ كَمْ تَمَنَّى . . . وقال تعالى : هَ إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادٍ كُمْ عُدُوا لَكُمْ فَأَخَذُوهُمْ . . .

قوله تعالى : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) أى ما بقى به سَلَامٌ وصُيِّبَ وفقره المسلمين من الطاعات (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) أى أفضل (وَسَيَرَاَمَلًا) أى أفضل أملا من ندى المال والبين دون عمل صالح ، وليس في زينة الدنيا خير ، ولكنه نرج مخرج قوله « انصحب الجنة يومئذ خير مستقرا » . . . وقيل : خير في التحقيق لما يظنه الجهال أنه خير في ظنهم .

واختلف العلماء في «الباقيات الصالحات» فقال ابن عباس وابن جرير وأبو بكرة وعمرو ابن شريحيل : هي الصلوات الخمس . وعن ابن عباس أيضا : أنها كل عمل صالح من قول أو فعل سبى للآخرة . وقاله ابن زيد ورجحه الطبري . وهو الصحيح إن شاء الله ؛ لأن كل ما بقى ثوابه جاز أن يقال له هذا . وقال علي رضي الله عنه : ألحرت حرثان لحرق الدنيا المال والبنون ؛ وحرق الآخرة الباقيات الصالحات ، وقد يجمعن الله تعالى لأقوام . وقال الجمهور هي الكلمات المانورة فضلها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . نرجه مالك في موطنه عن عمارة بن حبيد عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . أسنده النسائي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله

صل الله عليه وسلم قال : "استكثروا من الباقيات الصالحات" قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : "التكبير والتبجيل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله" . صححه أبو محمد عبد الحق رحمه الله ، وروى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصناً فخرطه حتى سقط ورقه وقال : "إن المسلم إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تحمّلت خطاياها كما تحمّلت هذا خضن إليك أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فأنهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام ومن الباقيات الصالحات" . ذكره التعلي ، ونسبه ابن ناجية بمناه من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأنهن معنى يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها" . وأخرجه الترمذى من حديث الأعمش عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بشجرة بإبسة الورقة فضرها بمصاة فتناثر الورق فقال : "إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة" . قال : هذا حديث غريب ولا نعرف للأعمش سمعا من أنس ، إلا أنه قد رآه ونظر إليه . وخرج الترمذى أيضا من ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال بإعبد أفرئ أمك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة مذيبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" قال : حديث حسن غريب ، أخرجه الماوردي بمناه . وفيه - فقلت : وما غراس الجنة ؟ قال : "لا حول ولا قوة إلا بالله" . وخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو يفرس غرسا فقال : "يا أبا هريرة ما الذى يفرس" قلت غراسا . قال "ألا أدلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يفرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة" . وقد قيل : إن الباقيات الصالحات هي النيات والهمات ؛ لأن بها تقبل الأعمال وترفع ، قاله الحسن . وقال عبيد ابن عمير : هن البنات ؛ يدل عليه أوائل الآية ؛ قال الله تعالى : «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» ثم قال «والباقيات الصالحات» يعنى البنات الصالحات هن عند الله لأبائهن خير نوابا ،

وغير أملا في الآخرة لمن أحسن الدين . بذل عليه ما رويته عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على امرأة مسكينة ... الحديث ، وقد ذكرناه في سورة التعل في قوله « يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ » الآية .<sup>(١)</sup>  
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد رأيت رجلا من أمتي أمر به إلى النار فتعلق به بناته وجعلن يهرخن ويقلن رب إنه كان يحسن إلينا في الدنيا فرحمه الله بهن » .  
وقال قتادة في قوله تعالى : « فَأَرَادَ أَنْ يَبْدُلَهَا رَبُّهَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا » قال :  
أبدلها منه ابنة أتوجعها نبي فقلت له اني عشر غلاما كلهم أنبياء .

قوله تعالى : وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ) قال بعض النحويين : التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير الجبال . قال النحاس : وهذا غلط من أجل الواو . وقيل : المعنى وأذكريوم نسير الجبال ، أي تزيلها من أماكنها من على وجه الأرض ، ونسيرها كما نسير السحاب ، كما قال في آية أخرى « وَجِي تَحْمُرُ مِنَ السَّحَابِ » . ثم تكسر فتعود إلى الأرض ، كما قال « وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا » . وقرأ ابن كثير والحسن وأبو عمرو وابن عباس « وَيَوْمَ نُسِيرُ » بناء مضمومة وفتح الياء . و « الجبال » رافعا على الفعل المجهول . وقرأ ابن محيصين ومجاهد « وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ » بفتح التاء مخففا من سار . والجبال رافعا . دليل قراءة أبي عمرو « وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ » . ودليل قراءة ابن محيصين « وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا » . واختار أبو عبيد القراءة الأولى « نسير » بالنون لقوله « وحشرناهم » . ومعنى ( بَارِزَةً ) ظاهرة ، وليس عليها ما يسرها من جبل ولا شجر ولا بستان ، أي قد أجتثت ثمارها ونقلت جبالها ، وهدم بساتينها ، فهي بارزة ظاهرة . وعلى هذا القول أهل التفسير . وقيل : « وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً » أي برز ما فيها من الكنوز والأموات ، كما قال « وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا »

وَقَمَلَتْ<sup>(١)</sup> » وقال: « وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْلًا<sup>(٢)</sup> » وهذا قول عطاء. (وَحَشَرْنَا<sup>(٣)</sup> أَيْ إِلَى  
الْبُؤْسِ. (فَلَمْ تَدْرِ مِنْهُمْ أَحَدًا) أَيْ لَمْ تَرَكَ؛ قَالَ: طَادَرْتُ كَذَا أَيْ رَكَبَهُ. قَالَ عَتَرَةُ:  
طَادَرْتُهُ مَقْفُورًا أَوْصَالُهُ. وَالْقِسْمُ بَيْنَ بَعْضِ وَبَعْضٍ يُجَرَّجُ وَيُجَدَّلُ  
أَيْ رَكَبَهُ. وَالْمُنَادِرَةُ التُّرْكُ وَمِنْهُ التَّدْرِءُ لِأَنَّهُ تَرَكَ الْوَفَاءَ. وَإِنَّمَا سَمِيَ التَّدْرِءُ مِنَ الْمَاءِ غَدِيرًا لِأَنَّ الْمَاءَ  
ذَهَبَ وَتَرَكَ. وَمِنْهُ غَدَاثُ الْمَرْأَةِ لِأَنَّهَا تَجْعَلُهَا خَلْفَهَا. يَقُولُ: حَشَرْنَا زَيْمًا وَفَاحَرَّمُ وَجَنَّهُمْ وَإِسْمُهُمْ.  
قوله تعالى: «وَعَرِضْهُ عَلَى رَبِّكَ صَفًا لِّتَقْدِرَ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا<sup>(٤)</sup>»

قوله تعالى: (وَعَرِضْهُ عَلَى رَبِّكَ صَفًا) «صَفًا» نصب على الحال. قال مقاتل:  
يعرضون صَفًا بعد صَفٍّ كالصفوف في الصلاة، كل أمة وزمرة صفًا؛ لا أنهم صف واحد.  
وقيل جميعًا، كقوله «ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا<sup>(٥)</sup>» أَيْ جَمِيعًا. وقيل قِيَامًا. ونرجع الحافظ أبو القاسم  
عبد الرحمن بن منبه في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:  
«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ غَيْرِ مُطْفَعٍ يَا عِبَادِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ  
أَحْضِرُوا حُجَّتَكُمْ وَيَسِرُوا جَوَابًا فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَاسِبُونَ. يَا مَلَائِكِي أَقِيمُوا عِبَادِي صُفُوفًا عَلَى  
أَطْرَافِ أَتَامِلِ أَقْدَامَهُمْ لِلْحِسَابِ».

قلت: هذا الحديث غايبة في الياض في تفسير الآية، ولم يذكره كثير من المفسرين؛  
وقد كتبناه في كتاب التذكرة، ومنه قلناه والحمد لله.

(لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أَيْ قَالَ لَمْ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا حُفَاءَ عُرَاءَ، لَا مَالٍ  
مَعَكُمْ وَلَا وِلْدَانَ. وقيل فرادى؛ دليله قوله «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ»<sup>(٦)</sup>.  
وقد تقدم. وقال الزجاج: أَيْ بَشَاتِكُمْ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ. (بَلْ زَعَمْتُمْ) هذا خطاب لمنكري  
(١) آية ٤ سورة الانشقاق. (٢) آية ٢ سورة الزلزلة. (٣) آية ٦٤ سورة طه.  
(٤) آية ٦٤ سورة الأنعام. راجع ج ٧ ص ٤٢ طبة أمهات. (٥) آية ٦٤ سورة طه.



البعث، أي زعمتم في الدنيا أن لن تبشروا وأن لن نجعل لكم موعدا للبعث . وفي صحيح مسلم  
عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُشِّرْ  
الناس يوم القيامة حَقًّا عُمرًا غُرْلًا » قلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء ينظر بعضهم  
إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض . » « غُرْلًا » .  
أي غير مخنزين . وقد تقدم في « الأُحْكام » بيانه .

قوله تعالى : وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ  
وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّيْنَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً  
إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ( وَوَضَعَ الْكِتَابُ ) « الكتاب » اسم جنس ، وفيه وجهان : أحدهما  
— أنها كتب الأعمال في أيدي العباد ، فله مُقاتل . الثاني — أنه وضع الحساب ، فله  
الكُفَيّ ، فبهر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة . والقول الأول  
أظهره ذكره ابن المبارك قال : أخبرنا الحكم أو أبو الحكم — شك نعم — عن إسماعيل بن  
عبد الرحمن عن رجل من بني أسد قال قال عمر لكتب : ويحك يا كتب ! حدثنا من حديث  
الآخرة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! إذا كان يوم القيامة رُفِعَ اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من  
الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله — قال — ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتشر  
حول العرش ، وذلك قوله تعالى « وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ  
يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا — قال الأسدى : الصغيرة  
مادون الشرك ، والكبيرة الشرك ، إلا أحصاها — قال كتب : ثم يدعى المؤمن فيُعطى  
كتابه بميمه فينظر فيه فإذا حسنته بإيات للناس وهو يقرأ ميثاقه ليجل يقول كانت لي  
حسنت فلم تذكر فأحب الله أن يرهبه عمله كله حتى إذا استقص ما في الكتاب وجد في آخر

ذلك كله أنه مغفور وأنت من أهل الجنة؛ فتد ذلك يُقِيل إلى أصحابه ثم يقول « مَاؤُمُ  
أَقْرَبُوا حَاجَتِهِ . إِنْ قُتِلَتْ أُنْثَى مَلَاقٍ حِسَابِيهِ <sup>(١)</sup> » ثم يدعى بالكافر فيعطى كتابه بين يديه ثم يلق  
فيجعل من وراء ظهره ويأوى عنقه؛ فذلك قوله « وَأَنَا مِنْ أَوَّلِي كِتَابِهِ وَرَأَى ظَهْرَهُ <sup>(٢)</sup> » فينظر  
في كتابه فإذا سبَّاه بدايات الناس وينظر في حسابه لكيلا يقول أنا تاب على السبَّات، وكان  
الْقُضِيل بن عِيَّاض إذا قرأ هذه الآية يقول : يا ويلته ! فنجوا إلى الله تعالى من الصغائر  
قبيل الكبائر . قال ابن عباس : الصغيرة التسميم ، والكبيرة الضحك ؛ يعنى ما كان من ذلك  
في معصية الله عز وجل ، ذكره الثعلبي . وحكى الماوردي عن ابن عباس أن الصغيرة الضحك .

قلت فيحمل أن يكون صغرة إذا لم يكن في معصية ، فإن الضحك من المعصية رصاها  
والرضا بالمعصية معصية ، وعلى هذا تكون كبيرة ، فيكون وجه الجمع هذا والله أعلم . أو يُعَل  
الضحك فيما ذكر الماوردي على التسميم ، وقد قال تعالى : « تَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا » . وقال  
معيد بن جبير : إن الصغائر التسميم كالمَيْسِل والقُبْل ، والكبيرة الواقعة والزنى . وقد مضى  
في « النساء » بيان هذا . قال قتادة : اشتكى القوم الإحصاء ، وما اشتكى أحد ظُلما ، فلما كم  
وعقرات الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه . وقد مضى . ومعنى « أحصاها »  
حدها وأحاط بها ، وأضيف الإحصاء إلى الكتاب توسعا . « وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا » أى  
وجدوا إحصاء ما عملوا - انبرا . وقيل : وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا . « وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ  
أَحَدًا » أى لا يأخذ أحدا بجرم أحد ، ولا يأخذ بما لم يعمل به ؛ قاله الضحاك . وقيل :  
لا يتقص طائفا من نوابه ولا يزيد عاصبا في عقابه .

قوله تعالى : وَإِذْ قُلْتُ لِلْمَلَكِ اجْعِدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ  
كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ  
مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٣٥﴾

(١) آية ١٩ سورة الحاقة . (٢) آية ١٠ سورة الانشقاق . (٣) راجع ج ٥ ص ١٥٨

قوله تعالى : ( وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذْمَمْتُمْ قَسَبَدُوا إِلَّا إِلَيْسَ كَانَ مِنَ الْإِنِّ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ) تقدم في « البقرة » هذا مستوفى قال أبو جعفر النعمان : وفي هذه الآية سؤال ، قال : ما معنى « فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » ففي هذا قولان : أحدهما - وهو منسوب الخليل وسيبويه أن المعنى آتاه الفسق لما أمر ففسى ، فكان سبب الفسق أمره به ؛ كما تقول : أطمعته من جوع . والقول الآخر - وهو منسوب محمد بن قطرب أن المعنى فسق عن ردة أمره به . ( اتَّخَذُونَهُ وَذَوِيَّهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ ) وقف عز وجل الكفرة على جهة التوبيخ بقوله اتَّخَذُونَهُ يَا بَنِي آدَمَ وَذَوِيَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ لَكُمْ عَدَاؤُا أَيَّ عَدَاؤُا ، فهو اسم جنس . ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ) أي يشعرون عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله . أو يشعرون إبليس بدلا عن الله . واختلف هل لإبليس ذرية من صلبه ؛ فقال الشعبي : سألني رجل فقال هل لإبليس زوجة ؟ قلت : إن ذلك عرس لم أشهده ، ثم ذكرت قوله « اتَّخَذُونَهُ وَذَوِيَّهِ أَوْلِيَاءَ » فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة قلت نعم . وقال مجاهد : إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض نحس بيضات ؛ فهذا أصل ذريته . وقيل : إن الله تعالى خلق له في الجنة البني ذكرا وفي اليسرى فرجا ؛ فهو يتنجس هذا بهذا ، فيخرج له كل يوم عشر بيضات ، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة ، فهو يخرج وهو يطير ، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فتنة . وقال قوم : ليس له أولاد ولا ذرية ، وذريته أعوانه من الشياطين . قال الفريزي أبو نصر ، والجملة أن الله تعالى أخبر أن لإبليس أتباعا وذرية ، وأنهم يوسوسون إلى بني آدم وهم أعداؤهم ، ولا يثبت عدة كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن إبليس ، فيتوقف الأمر فيه على نقل صحيح .

قلت : الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن الإمام أبي بكر البرقاني أنه نرج في كتابه مستندا عن أبي محمد عبد النبي بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن أبي عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تكن

أَوَّلُ من يدخل السوق ولا آمن من يخرج منها باض الشيطان وقريح . وهذا يدل على أن الشيطان ذرية من صلبه ، والله أعلم . قال ابن عطية : وقوله «وذريته» ظاهر اللفظ يقتضى الموسوسين من الشياطين ، الذين يأتون بالمتكر ويحلون على الباطل . وذكر الطبري وغيره أن مجاهدا قال : ذرية إبليس الشياطين ، وكان يندم : زلتبور صاحب الأسواق ، يضع رايته في كل سوق بين السماء والأرض ، يجعل تلك الراية على حانوت أول من يفتح وآخرون يفاق . وثبر صاحب المصائب ، يأمر بضرب الوجوه وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والحرب . والأهمل صاحب أبواب الزنى . ومسوط صاحب الأخبار ، يأق بها فيلقها في أفواه الناس فلا يحذون لها أصلا . وداسم الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع وما لم يحسن موضعه ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه . قال الأعمش : وإني ربما دخلت البيت فلم أذكر الله ولم أسلم ، فرأيت منظره قتل : ارفعوا هذه ! وحاصمتهم ، ثم أذكر فأقول : داسم داسم ! أعوذ بالله منه ! زاد التلمي وغيره من مجاهد : والأبيض ، وهو الذي يوسوس للأنياء . ومحر وهو الذي اختلس خاتم سليمان عليه السلام . والولغان وهو صاحب الطهارة يوسوس فيها . والأقيس وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها . ومرة وهو صاحب المزمار وبه يكتفى . والمهفاف يكون بالصغار يضل الناس ويتهيم . ومنهم الفيلان . وحكى أبو مطيع مكحول بن الفضل النسي في كتاب اللؤلؤيات عن مجاهد أن المهفاف هو صاحب الشراب ، ولقوس صاحب التحريش ، والأهمل صاحب أبواب السلطان . قال وقال الذارقي : إن لإبليس شيطانا يقال له المتقاضى ، يتقاضى ابن آدم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة ، فيحدث به في العلانية . قال ابن عطية : وهذا وما جابسه مما لم يأت به سند صحيح ، وقد طرأ النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة ، ولم يزد في هذا صحيح إلا ما في كتاب مسلم من أن للصلاة شيطانا يسمى شُزْب . وذكر الترمذي أن للوضوء شيطانا يسمى الولغان .

قلت : أما ما ذكر من الصين في الأسم فصحيح ؛ وأما أنت له أنبا طوبأونا وجنودا  
فقطوع به ، وقد ذكرنا الحديث الصحيح في أن له أولادا من صلبه ، كما قال مجاهد وفيه .  
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل -  
القوم فيعلمهم بالحديث من الكذب فيفتنون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه  
ولا أدري ما اسمه يحدث . وفي مسند البزار عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه  
وسلم : " لا تكون إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة  
الشيطان وبها ينصب رايه " . وفي مسند أحمد بن حنبل قال : أنبا عبد الله بن المبارك  
قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى الأشعري  
قال : إذا أصبح إبليس بن جوده فيقول من أضل مساماً أبنته التاج قال فيقول له القائل  
لم أزل بفلان حتى طلق زوجته ، قال : يوشك أن يتزوج . ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى  
حق ، قال : يوشك أن يبر . قال ويقول القائل : لم أزل بفلان حتى شرب ، قال : أنت !  
قال ويقول : لم أزل بفلان حتى زنى ، قال : أنت ! قال ويقول : لم أزل بفلان حتى قتل ،  
قال : أنت أنت ! وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن  
إبليس يضع حرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يميء أحدهم  
فيقول فلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يميء أحدهم فيقول ما تركت حتى فزعت  
بينه وبين أهله قال فيذنيه أو قال فيلزمه ويقول نعم أنت " . وقد تقدم . وسمعت شيخنا  
الإمام أبامحمد عبد المعطي بقر الإسكندرية يقول : إن شيطانا يقال له اليساوى يتمثل  
للقراء المواصلين في الصيام فإذا استحك منهم الجوع وأضر بأدبهم يكشف لهم عن ضياء  
ونور حتى يملأ عليهم البيوت فيظنون أنهم قد وصلوا وإن ذلك من الله وليس كما ظنوا .

قوله تعالى : مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ  
أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ بَادُوا  
شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ قُلْتُ لَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٧﴾  
وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِدُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٨﴾

قوله تعالى : ( مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ) قيل :  
الضمير عائد على إبليس وذريته ؛ أي لم أشاورهم في خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ،  
بل خلقتهم على ما أردت . وقيل : ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض  
« ولا خلق أنفسهم » أي أنفس المشركين فكيف اتخذهم أولياء من دوني ؟ . وقيل : الكتابة  
في قوله : « مَا أَشْهَدْتُهُمْ » ترجع إلى المشركين ، وإلى الناس بالجملة ، فتضمن الآية الرد على  
طوائف من المتجيمين وأهل الطوائع والمتحكين من الأطباء وسواهم من كل من يخرط في هذه  
الأشياء . وقال ابن عطية : سمعت أبي رضي الله عنه يقول سمعت للفقهاء أبا عبد الله  
عبد بن معاذ المهدي بالهذلي يقول : سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ، ويتأول  
هذا التأويل في هذه الآية ، وأنها رادة على هذه الطوائف ، وذكر هذا بعض الأصوليين .  
قال ابن عطية وأقول : إن الفرض المقصود أولا بالآية هم إبليس وذريته ؛ وبهذا الوجه  
يتجه الرد على الطوائف المذكورة ، وعلى الكهان والعرب والمعتبين للجن ؛ حين يقولون : أعوذ  
بجزئ هذا الولد ؛ إذ الجميع من هذه الفرق متفقون بإبليس وذريته وهم أضلوا الجميع ، فهم  
المراد الأول للمضلين ؛ وتندرج هذه الطوائف في معانهم . قال التعلي : وقال بعض أهل  
العلم « مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » رد على المتجيمين أن قالوا : إن الإفلاك تحدث  
في الأرض وفي بعضها في بعض ، وقوله : « والأرض » رد على أصحاب الهندسة حيث قالوا :

إن الأرض كربة والأفلاك تجري تحتها ، والناس ملبصون عليها وتحته ، وقوله : « ولا خلق  
 أنفسهم » رد على الطبايين حيث زعموا أن الطبايع هي العاقل في النفوس . وقرأ أبو جعفر  
 « ما أشهدناهم » بالنون والألف على التعظيم . الباقر بن الوليد قوله : « وما كنت منعذ »  
 بنى ما استعنتهم على خلق السموات والأرض ولا شاورتهم . ( وَمَا كُنْتُ مَنَعِدُ الْمُضِلِّينَ )  
 يعني الشياطين . وقيل : الكفار . ( عَصُدًا ) أي أعواما . يقال : أعصدت بخلان إذا  
 استعنت به وتقويت . والأصل فيه عضد اليد . ثم يوضع موضع العود ؛ لأن اليد قوامها  
 العضد . يقال : عضده وعاضده على كذا إذا أعانه وأعززه . ومنه قوله : « سَنَشُدُّ عَضُدَكَ  
 بِأُخِيكَ » أي سنعينك بأخيك . ولفظ العضد على جهة المثل ، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج  
 إلى عون أحد . وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ . وقرأ أبو جعفر بالجحدري .  
 « وَمَا كُنْتُ » بفتح التاء ، أي وما كنت بأحد منعذ المضلين عضدا . وفي عضد ثمانية أوجه :  
 « عَصُدًا » بفتح العين وضم الصاد وهي قراءة الجمهور ، وهي أفصحها . و « عَصُدًا » بفتح العين  
 وإسكان الصاد ، وهي لغة بني تميم . و « عَصُدًا » بضم العين والصاد ، وهي قراءة أبي عمرو  
 والحسن . و « عَصُدًا » بضم العين وإسكان الصاد ، وهي قراءة عكرمة . و « عَصُدًا » بكسر العين  
 وفتح الصاد ، وهي قراءة الصحابة . و « عَصُدًا » بفتح العين والصاد وهي قراءة عيسى بن عمر .  
 وحكي هرون الفارسي « عَصُدًا » . واللفظة الثامنة « عَصُدًا » على لغة من قال : كَتَفَ وَفَضَدَ .  
 وقوله تعالى : ( وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ) أي أذكروا يوم يقول الله :  
 أين شركائي ؟ أي ادعوا الذين أشركتموهم في طاعتكم من عبادي . وإنما يقول ذلك  
 لعبد الأوثان . وقرأ حمزة ويحيى وعيسى بن عمر « قول » بنون . الباقر بن الوليد ؛ لقوله :  
 « شركائي » ولم يقل : شركائنا . ( قَدَعَوْهُمْ ) أي فصلوا ذلك . ( فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ )  
 أي لم يجيبوهم إلى نصرهم ، ولم يكفوا عنهم شيئا . ( وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ) قال أنس  
 ابن مالك : هو وادئ جهنم من قيح ودم . وقال ابن عباس : أي جعلنا بين المؤمنين  
 والكافرين حاجزا . وقيل : بين الأوثان وعبيدتها ، نحو قوله : « فَرَبُّنَا يُنْهِنُهُمْ » .

قال ابن الأعرابي : كل شيء حاجز بين شيئين فهو مؤيق . وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله تعالى : « مؤيقا » قال وايد في جهنم يقال له مؤيق . وكذلك قال توف اليكالي إلا أنه قال : يصحز بينهم وبين المؤمنين . عكرمة : هو نهر في جهنم يسيل نارا ، جلى خافيه حيات مثل البغال القبح ، فإذا تارت إليهم لتأخذهم استأفوا منها بالاعتحام في النار . وروى زيد بن درهم عن أنس بن مالك قال : « مؤيقا » وايد من قبح ودم في جهنم . وقال عطاء والضحاك : مهلكا في جهنم ؛ ومنه يقال : أوقته ذوبه إياقا . وقال أبو عبيدة : موعدا للهلاك . الجوهرى : ويقي يقي ويوقا هلك ، والمؤيق مثل الموعد مفعول من وعد يعد ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا بينهم مؤيقا » . وفيه لغة أخرى : ويقي ويوقى وبقا . وفيه لغة ثالثة : ويقي يقي بالكسر فهما ، وأوقته أى أهلكه . وقال زهير :

ومن يشتري حسن الثناء بماله \* يصن عرصة من كل شئء مؤيق

قال الفراء : جعلوا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة .

قوله تعالى : ( وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ ) « رأى » أصله رأى ؛ قلبت الياء ألفا لأنفتحها وأنفتح ما قبلها ، ولهذا زعم الكوفيون أن « رأى » يكتب بالياء ، وتابعهم على هذا القول بعض البصريين . فاما البصريون الخذاق ، منهم محمد بن يزيد فلنهم يكتبونه بالألف . قال النحاس : سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول : لا يجوز أن يكتب مضى ورمى وكل ما كان من ذوات الياء إلا بالألف ، ولا فرق بين ذوات الياء وبين [ ذوات<sup>(١)</sup> ] الواو في الخط ، كما أنه لا فرق بينهما في اللفظ ، ولو وجب أن يكتب ذوات الياء بالياء لوجب أن يكتب ذوات الواو بالواو ، وهم مع هذا ياقضون فيكتبون رى بالياء ورماء بالألف ، فإن كانت اللة أنه من ذوات الياء وجب أن يكتبوا رماء بالياء ، ثم يكتبون محاء جمع حقوة ، وكنا جمع كسوة ، وهما من ذوات الواو بالياء ، وهذا ما لا يحصل ولا يثبت على أصل . ( فَعَلُوا أَنَّهُمْ مَوَاقِمُهَا ) « فعلوا » هنا بمعنى يقين والعلم ، كما قال :

فَعَلْتُ لَمْ ظُنُّوا بِالْقِي مَدْح .

(١) في الأصل يزيد وهو مخرب ؛ والقصوي يسم « القهب » . (٢) الزيادة من « إعراب القرآن » للنحاس .

(٣) هو زيد بن الصفة ؛ وقام البيت : « سرائهم في القمارى المرد » .



أى أيقنوا ، وقد تقدم . قال ابن عباس : أيقنوا أنهم مواقفها . وقيل : راوها من مكان بعيد فزعموا أنهم مواقفها ، وظنوا أنها تأخفهم في الحال . وفي الخبر : « إن الكافر ليرى جهنم ويطن أنها موافقة من مسيرة أربعين سنة » . والمواقفة ملازمة الشيء بشدة . [ وعن علقمة أنه قرأ ] « فظنوا أنهم ملاقوما » أى مجتمعون فيها ، وألّف الجمع . ( ولم يجدوا عنها معبراً ) أى مهراً لإحاطتها بهم من كل جانب . وقال القتيبي : معديلاً ينصرفون إليه . وقيل : ملأوا بيجشون إليه ، والمعنى واحد . وقيل : ولم تجد الأصنام مصيراً لشار من المشركين .

أ قوله تعالى : وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿١٨﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿١٩﴾ وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢١﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٢٣﴾

(١) راجع - ١ ص ٣٧٥ وما بعدها طبعه ثانية في ١٤٠٤ . (٢) الزيادة من تفسير «البحر المحيط» .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتمل وجهين أحدهما - ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية . الثاني - ما أوضحه لهم من دلائل الروية وقد تقدم في «سحاح» فهو على الوجه الأول زجراً وعلى الثاني بيان . ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أى جدلاً ومجادلة، والمراد به الصرب الحريث وحدا له في القرآن . وقيل: الآية في أبي بن خلف . وقال الزجاج : أى الكافر أكثر شئ . جدلاً ؛ والدليل على أنه أراد الكافر قوله : « وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ » . وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالرجل يوم القيامة من الكفار فيقول الله له ما صنعتَ فيها أرسلتُ إليك فيقول رب آمنتُ بك وصدقتُ برسلكَ وعملتُ بكذلك فيقول الله له هذه الملائكة الحفظة يشهدون عليك فيقول ولا أقبلهم يارب وكذب أقبلهم ولا هم من عندي ولا من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ أتم الكتاب قد شهد بذلك فقال يارب ألم تُجرى من الظلم قال بلى فقال يارب لا أقبل إلا شاهدة على من نقضى فيقول الله تعالى الآن نبعتُ عليك شاهداً من نفسك فينكر من ذا الذي يشهد عليه من نفسه فيحتم على فيه ثم تنطق جوارحه بالشرك ثم يُجلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وإن بقية ليس بعضا يقول لأعضائه لتكن الله فنكن كنّا أناصل فنقول أعضاؤه سنك الله أفعلم أن الله تعالى يُكتم حديثاً فذلك قوله تعالى « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » أخرجه مسلم بمعناه من حديث أنس أيضاً . وفي صحيح مسلم عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم طرفة وفاطمة فقال : « ألا نصلون » فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعتنا ؛ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر يضرب غلظه ويقول : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » .

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ أى القرآن والإسلام ومجد عليه الصلاة والسلام . ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْآوَلِينَ﴾ أى سنتنا في إهلاكهم ؛

أى ما منعهم عن الإيمان إلا حكى عليهم بذلك ؛ ولو حكمت عليهم بالإيمان آمنوا . وسنة  
الأولين عادة الأولين فعداب الاستئصال . وقيل : المنى وما منع الناس أن يؤمنوا إلا طلب  
أن تأنيهم سنة الأولين غذف . وسنة الأولين معاية العذاب ، فطلب المشركون ذلك ،  
وفالوا : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ » الآية . ( أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قَبْلًا )  
نصب على الحال ، ومعناه عيانا ؛ قاله ابن عباس . وقال الكلبي : هو السيف يوم بدر .  
وقال مقاتل : بخفة . وفسرأ أبو جعفر وعاصم والأعمش وحمنة ويحيى والكاسي « قُبْلًا »  
بضمين أرادوا به أصناف العذاب كله ؛ جمع قَبِيل نحو سَبِيل وسَبِيل . النحاس : ومذهب  
الفراء أن « قُبْلًا » جمع قَبِيل أى متفرقا يتلو بعضه بعضا . ويموز عنده أن يكون المعنى  
« عيانا » . وقال الأعرج : وكانت قراءته « قُبْلًا » معناه جميعا . وقال أبو عمرو : وكانت قراءته  
« قَبْلًا » ومعناه عيانا .

قوله تعالى : ( وَمَا تُرْمَلُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ) أى بالجنة لمن آمن . ( وَمُنذِرِينَ )  
أى مخوفين بالعذاب من كفر . وقد تقدم . ( وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ  
الْحَقَّ ) قيل : نزلت في المفسمين ، كانوا يجادلون في الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقولون :  
باجر ومجنون وشاعر وكاهن كما تقدم . ومعنى « يدحضوا » يزملوا ويطلوا . وأصل الدحض  
الزلق . يقال : دَحَضْتُ رِجْلَهُ أى زَلَقْتُ ، تَدَحَضُ دَحَضًا ، ودَحَضَتِ الشَّمْسُ عن كبد  
السماء زالت ، ودَحَضَتْ نُجْمَهُ دَحُوضًا بطلت ، وأدحضها الله . والإدحاض الإزلاق .  
وفى وصف الصراط : « وَيُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيَحُلُّ<sup>(٢)</sup> الْإِسْفَاعُ<sup>(٣)</sup> فيقولون اللهم سلم سلم »  
قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : « دَحَضُ مَرْقَعة » أى ترقى فيه القدم . قال طرفة  
أبا منسيذير رُمِتِ الْوَفَاءُ فَنَيْتَسُهُ . وحدث كما حاد البير عن الدحوض

(١) هذه قراءة « جامع » التى كان يقرأ بها « تفسر » الله تعالى .

(٢) راجع ج ١ ص ٨ طبعة أول أو ثانية .

(٣) محل : تقع ويزن فيها ، وهو ( بكر الحاء ) وقيل : ( بضمها ) . التورى

(وَاتَّخَذُوا آيَاتِي) بـنى القرآن (وَمَا أَنْذَرُوا) من الوعيد (هَزُوا) . و «ها» بمعنى المصدر أى والإنذار . وقيل : بمعنى الذى ؛ أى اتَّخَذُوا القرآن الذى أَنْذَرُوا به من الوعيد هَزُوا أى لعباً وباطلاً ، وقد تقدّم فى « البقرة » بيانه . وقيل : هو قول أبى جهل فى الزُّيد والتمتر هذا هو الزُّقوم . وقيل : هو قولهم فى القرآن هو سحر واضغات أحلام واساطير الأولين ، وقالوا للرسول : « هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » ، « وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » و « مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا » .

قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) أى لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات ربه ، قهّاون بها وأعرض عن قبولها . (وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) أى ترك كفره ومعاصيه فلم يفتب منها ؛ فالنسيان هنا بمعنى الترك . وقيل : المعنى نسي ما قدم لنفسه وحصل من العذاب ؛ والمعنى متقارب . (إِنَّا جَمَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) بسبب كفرهم ؛ أى نحن منعت الإيمان من أن يدخل قلوبهم واسماعهم . (وَأَن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى) أى إلى الإيمان (فَلَنْ يَسْتَمِعُوا إِذَا أَتَيْنَا بِآيَاتِنَا) نزل فى قوم معينين ، وهو يردّ على القدرة قولهم ؛ وقد تقدّم معنى هذه الآية فى « سبحان » وغيرها .

قوله تعالى : (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ) أى للذنوب . وهذا يخص به أهل الإيمان دون الكفرة بدليل قوله : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » . « ذُو الرَّحْمَةِ » فيه أربع تأويلات : أحدها - ذو العفو . الثانى - ذو الثواب ؛ وهو على هذين الوجهين يخص بأهل الإيمان دون الكفر . الثالث - ذو النعمة . الرابع - ذو الهدى ؛ وهو على هذين الوجهين يتم أهل الإيمان والكفر ؛ لأنه ينتمى فى الدنيا على الكافر كما ينتمى على المؤمن . وقد أوضح هذه للكافر كما أوضحه للمؤمن وإن أهدى به المؤمن دون الكافر . ومعنى قوله : (لَوْ يَرَوْا إِحْدَهُمْ بِمَا كَفَرُوا) أى من الكفر والمعاصى (لَمَتَّ بِهُمْ الْعَذَابَ) ولكنه يعمل . (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) أى أجل مفتر يؤخرون إليه . نظيره « لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ » ، « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » .

أى إذا حل لم يتأخر عنهم إما فى الدنيا وإما فى الآخرة . ( لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ) أى ملياً ، قاله ابن عباس وابن زيد ، وحكاه الجوهري فى الصحاح . وقد وآل يُلِّقُ وآلَا وَوَدَّوَلَا على فُعل أى بلى ، وآلَل منه على فاعل أى طلب النجاة . وقال محامد . تحرّزا . فتادة . ولياً . وأبو عبيدة : متخج . وقيل : تحبصا ؛ والمعنى واحد . والعرب تقول : لا وآلْت نفسه أى لا تحبجته ؛ ومنه قول الشاعر :

لَا وآلْتْ نَفْسُكَ خَلْبَتَهَا • العاصميين ولم تُكْخَرْ

وقال الأضنى

وقد آخَالِسُ رَبِّ الْبَيْتِ غَلْبَهُ • وقد يحاذِرُ منى ثم ما يَلِ

أى ما يخجو .

قوله تعالى : ( وَتِلْكَ الْقُرَى أَعْلَاكُمُ ) « تلك » فى موضع رفع بالابتداء . « القرى » نعت أو بدل . و « أعلاكم » فى موضع الخبر محمول على المعنى ؛ لأن المعنى أهل القرى . ويجوز أن تكون « تلك » فى موضع نصب على [قول] من قال : زيدا ضربته ، أى وتلك القرى التى قضضنا عليك نياهم ، نحو قرى عاد وثمود ومدین وقوم لوط أعلاكم لما ظلموا وكفروا . ( وَجَعَلْنَا لِيَهْلِكِهِمْ مَوْجِدًا ) أى وقتاً معلوماً لم تعده . و « مهلك » من أهلكوا . وقرأ حاصم « مهلكهم » بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك . وأجاز الكسائى والفراء « لمهلكهم » بكسر اللام وفتح الميم . النحاس : [قال الكسائى] وهو أحب إلى لأنه من هلك . الزجاج : اسم للزمان والتقدير : لو فت مهلكهم ، كما يقال : أنت الناقة على مضربها .

قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ آبرُحُ حَتَّى أَتْلُغَ بَحْرًا )

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿١٠﴾

(١) الزيادة من « إمراب القرآن » الشمس .

(٢) هذه قراءة الجمهور كما فى البحر وشبهه .

(٣) الزيادة من « إمراب القرآن » الشمس .

(٤) ضرب الجمل الناقة يضربها إذا را غلبتها .

ماتت الناقة على مضربها . أى على الزمن والوقت الذى يضربها الضرب كالمكان .

## فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ ) انجهد من العلماء وأهل التاريخ أنه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره . وقالت فرقة منها توفى <sup>(١)</sup> بكالي : إنه ليس ابن عمران وإنما هو موسى بن منشا بن يوسف بن يفتوب وكان نبيا قبل موسى ابن عمران . وقد رد هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره . وقناه : هو يوشع بن نون . وقد مضى ذكره في « المسألة » وآخر « يوسف » . ومن قال هو ابن منشا فليس النبي يوشع بن نون . « لَا أَبْرَحُ » أى لا أزال أسير ؛ قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

وَأَبْرَحُ مَا أَدَامَ اللَّهُ قَوْمِي • بحمد الله مستطفاً محمداً

وقيل : « لَا أَبْرَحُ » لا أفارقك . ( حَتَّى أَتْلُجَّ بَحْرَ الْبَحْرَيْنِ ) أى ملتصقا . قال قتادة : وهو بحر فارس والروم ؛ وقاله جاهد . قال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب في أرض فارس من وراء أنديجان ، فالركن الذي لا اجتماع البحرين مما على بر الشام هو جمع البحرين على هذا القول . وقيل : هما بحر الأرذت وبحر القلزم . وقيل : جمع البحرين عند طنجة ؛ قاله محمد بن كعب . وروى عن أبي بن كعب أنه بأفريقية . وقال السدي : الكر والزس بأربنية . وقال بعض أهل العلم : هو بحر الأندلس من البحر المحيط ؛ حكاه القاسم ؛ وهذا مما يذكر كثيرا . وقالت فرقة : إنما هما موسى والخضر ؛ وهذا قول ضعيف ؛ وحكى عن ابن عباس ، ولا يصح ؛ فإن الأمرين من الأحاديث أنه إنما وُسم له بحرهما . وسبب هذه القصة ما نخرجه الصحيحان عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن موسى عليه السلام قام خطيبا

(١) راجع ٦٠ ص ١٢٠ وما بعدها طبع أول أو ثانية . (٢) راجع ٩٠ ص ٣٧ وما بعدها

طبع أول أو ثانية . (٣) هو خدائس بن زهير . يقول : لا أزال أسبغ عرس جواد ؛ وقال : يته أواد فولا يستجاد في الشط على نوى . وفي ( الهام ) : « على الأعداء » بدل « بحمد الله » .

(٤) الكر والزر . سراسر .

فَبْنِ إِسْرَائِيلَ فَهَلْ أَى النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا نَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمُ إِلَيْهِ فَأَوْسَى اللَّهُ  
إِلَيْهِ إِنَّ لِي عِبَادًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى يَا بَوَّابُ كَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ مَعَكَ  
حَوْنًا فَتَجْعَلُهُ لِي مِثْلَ خَيْثِيَا فَصَدَّتِ الْحَوْتُ فَهُوَ ثُمَّ<sup>١</sup> وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَالْفِظُ لِلْبَحَارَى .  
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا ظَهَرَ مُوسَى وَقَوْمُهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ أُنْزِلَ قَوْمُهُ مِصْرَ ، فَلَمَّا اسْتَفْرَتَ  
بِهِمُ الْمَدَارُ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ ذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، فَخَطَبَ قَوْمَهُ فَذَكَّرَهُمْ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ  
إِذْ نَجَّاهُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ ، وَاسْتَخْلَفَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَكُمْ  
تَمَكِّيًّا ، وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَلْقَى عَلَى حَبَّةٍ مِنْهُ ، وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، بِفَطْمِكُمْ أَفْضَلَ أَهْلِ  
الْأَرْضِ ، وَرَزَقَكُمْ الْغِزَّ بَعْدَ الذَّلِّ ، وَالْفَنَى بَعْدَ الْفَقْرِ ، وَالتَّوْرَةَ بَعْدَ أَنْ كُنتُمْ جَهْلَالًا ، فَقَالَ  
لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : عَرَفْنَا الَّذِي تَقُولُ ، فَهَلْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟  
قَالَ : لَا ؛ نَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمُ إِلَيْهِ ، فَجَعَلَ اللَّهُ جِبْرِيلَ : أَنْ يَأْمُرَ وَمَا يَدْرِيكَ  
أَيْنَ [ أَصْبَحَ ] عَلَيَّ ؟ بَلَى ! إِنَّ لِي عِبَادًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ أَعْلَمُ مِنْكَ ؛ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قَالَ عَلَمَانَا :  
قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ " هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ " أَى بِأَحْكَامِ وَقَائِعِ مَفْصَلَةٍ ، وَحُكْمِ نَوَازِلِ مِصْنَعَةٍ ، لَا مُطْلَقًا ،  
بِدَلِيلِ قَوْلِ الْخَضِرِ لِمُوسَى : إِنَّكَ عَلَى حِلْمٍ عَاشَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا ، وَأَنَا عَلَى حِلْمٍ عَاشَنِي لَا تَعْلَمُهُ  
أَنْتَ ، وَعَلَى هَذَا فَيُصَدَّقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْآخَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَحِلُّهُ كُلِّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمَا وَلَا يَحِلُّهُ الْآخَرُ ، فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى هَذَا تَسَوَّغَتْ نَفْسُهُ الْفَاضِلَةَ ، وَهَمَّتْ بِالْمَالِيَةِ ، لِيُحْصِلَ  
حِلْمَ مَا لَمْ يَحِلُّ ، وَلِلْقَاءِ مَنْ قِيلَ فِيهِ : أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ ، فَعَزَمَ فَسَأَلَ الذَّلِيلَ بِكَيْفِ السَّبِيلِ ،  
فَأَمَرَ بِالْإِتِّحَالِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَقِيلَ لَهُ أَحَلَّ مَعَكَ حَوْنًا مَالِحًا لِي مِثْلَ . وَهُوَ الزَّنْبِيلُ -  
لَحِيثٌ بِحَا وَنَفَقْدُهُ ثُمَّ السَّبِيلُ ، فَانْطَلَقَ مَعَ فَنَاءِ لَمَّا وَاتَّاهُ ، مُجْتَهِدًا خَبِيًّا قَائِلًا : وَلَا أَرْجُ حَتَّى  
أَتِلُجَ بِيحَ الْبَحْرَيْنِ . ( أَوْ أَمْنِي حَقًّا ) بِضَمِّ الْمَاءِ وَالْقَافِ وَهُوَ الدَّهْرُ ، وَابْتِغَاءُ احْتِفَافٍ .  
وَقَدْ تَسَكَّنَ قَائِلُهُ فَقَالَ : حَقُّبٌ . وَهُوَ بِجَانُونِ مَبْنًى . وَيُقَالُ : أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . وَلِلْجَمْعِ  
حَقِيبٌ . وَالْحَقِيبَةُ بِكَسْرِ الْمَاءِ وَاحِدَةُ الْحَقْبِ وَهِيَ الْهَيْئَةُ .

(١) الزائدة من كتبهم .

الثانية - في هذا من الفقه رحمة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستانة على ذلك بالخدام والصاحب، واختتام لقاء الفضلاء والعلماء وإن سدت أقطارهم، وذلك كان في ذاب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الخط الرابع، وحصلوا على السرى الناجح، فريحت لهم في العلوم أقدام، وضح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام .  
قال البخاري : ورخل بيار بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث .

الثالثة - قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاءَهُ » للعلماء فيه ثلاثة أقوال : أحدها - أنه كان معه يخدمه، والفتى في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون شيئا قيل للخدام فتى على جهة حسن الأدب، وتبدت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صل الله عليه وسلم : « لا يقل أحدكم عبدي ولا أبنى وليقل فتأى وفتأى » فهذا تدبُّ إلى التواضع، وقد تقدم هذا في « يوسف » . والفتى في الآية هو الخدام وهو يوشع بن نون بن إفراتيم ابن يوسف عليه السلام . ويقال : هو ابن أخت موسى عليه السلام . وقيل : إنما سمى فتى موسى لأنه لزمه ليدلّمه وإن كان حرا، وهذا معنى الأول . وقيل : إنما سماه فتى لأنه قام مقام الفتى وهو الوليد، قال الله تعالى : « وَقَالَ لِفَتَايَاهُ اجْعَلُوا لِيضَاعَتَهُمْ فِي رِجَالِهِمْ » وقال : « تَرَاوَدُّ فَأَظَاهَا عَنْ نَفْسِهِ » قال ابن العربي : فظاهر القرآن يقتضي أنه عبد، وفي الحديث : أنه كان يوشع بن نون . وفي « التفسير » أنه ابن أخته، وهذا كله مما لا يُقطع به، والتوقف فيه أسلم .

الرابعة - قوله تعالى : « أَوْ أَمْنِي حُبًّا » قال عبد الله بن عمر : والحُبُّ تَمَوُّنٌ سنة . مجاهد : سبعون خريقا . قتادة : زمان . النحاس : الذي يعرفه أهل اللغة أن الحُبُّ والحببة زمان من الأهرم ميسم غير محبود، كما أن رهطا وقوما ميسم غير محبود : وجمعه أحقاب .



قوله تعالى : فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ  
 فِي الْبَحْرِ مَرْجًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا نَادَاكَ لَقَدْ نَسِينَا  
 مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي  
 نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُّ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ  
 فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا  
 قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّدِنَا وَعَلَّمَهُ  
 مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ( فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ مَرْجًا ) الضمير  
 في قوله : « بينهما » للبحرين ؛ قاله مجاهد . والرَّبُّ المسلك ؛ قاله مجاهد . وقال قتادة :  
 جحد الماء فصار كالسَّري . وجمهور المفسرين أن الحوت بنى موضع سلوكة فارطا ، وأن  
 موسى مشى عليه متجما للحوت ، حتى أنضى به الطريق إلى جزيرة في البحر ، وفيها وجد الخضر .  
 وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر في ضفة البحر . وقوله : « نسيا حوتهما »  
 وإنما كان النسيان من التقي وحده قليل : المعنى ؛ نسي أن يعلم موسى بما رأى من حاله  
 فنسب النسيان إليهما للصعبة ، كقوله تعالى : « يخرج بينهما الزُّكُورَ والمِرجان » وإنما يخرج  
 من الملح ، وقوله : « يا معشر الجن والإنس ألم ياتكم رسل منكم » وإنما الرسل من الإنس  
 لا من الجن . وفي البخاري ؛ فقال لقناه : لا أكلفك إلا أن تتبرئ بحيث يفارقك الحوت ،  
 قال : ما كنت كثيرا ؛ فذلك قوله عز وجل : « وإذ قال موسى لقناه » يوشع بن نون —  
 ليست عن سعيد — قال فينا هو في ظل صخرة في مكان ثريان<sup>(١)</sup> إذ تضرب الحوت<sup>(٢)</sup> وموسى قائم

(١) أي قال ابن جرير — عن أحد رواة الحديث — ليست نسبة القوم عن سعيد بن جبير . (مستطاب)

(٢) ثريان : أي يقال سكان ثريان وأرض ثريا إذا كان في ثراها مال وعلى . (٢) تضرب : أي تضرب  
 وتحرك إذا حرك في المثل .

فقال فاه : لا أوقفه ؛ حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ، وتقرَّب الموت حتى دخل البحر ، فأمسك الله عنه جريرة البحر حتى كان أثره في حجر ؛ قال لي عمرو : <sup>(١)</sup> هكذا كان أثره في حجر وساق بين إيهاميه والتين تليانها . وفي رواية : وأمسك الله عن الموت جريرة المياه ؛ فصار مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالموت فانطلقا بقية يومهما وليتهما ، حتى إذا كان من الند قال موسى لفته . « آتَا غَدَاةً لَقَدْ لَفِيتَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا » ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوز المكان الذي أمر الله به ، فقال له فاه : « أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْمَوْتَ وَمَا أَنتَسِيهِ إِلَّا الشُّطْرَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ » . وقيل : إن النسيان كان منهما لقوله تعالى : « نَسِيا » فنسب النسيان إليهما ؛ وذلك أن بدو حمل الموت كان من موسى لأنه الذي أمر به ، فلما مضيا كان فاه هو الحامل له حتى أويا إلى الصخرة نزل ؛ <sup>(٢)</sup> (لَمَّا جَاوَزَا) يعني الموت هناك منسيا - أي متروكا - فلما سأل موسى النداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة ، وإنما ذكر الله نسيانها عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة ، فقد كان موسى شريكا في النسيان ؛ لأن النسيان التأخير ؛ من ذلك قولهم في النداء : أنسا الله في أجلك . فلما مضيا من الصخرة أنرا حوتها عن حمله فلم يحمله واحد منهما ، بفاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركوا الموت .

قوله تعالى : « آتَا غَدَاةً » <sup>(٣)</sup> فيه مُسْئَلَةٌ واحدة ، وهو أخذ الزاد في الأسفار ، وهو ردُّ على الصوفية الجهلة الأغمار ، الذين يتنحمون المهامه والقفار ، زعما منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار ؛ هذا موسى نبى الله وكليمه من أهل الأرض قد أخذ الزاد مع معرفته بربه ، وتوكله على رب العباد . وفي صحيح البخارى : إن ناسا من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يترددون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فلما قدموا سألو الناس ، فأنزل الله تعالى « وتزدودا » . وقد مضى هذا في « البقرة » <sup>(٤)</sup> . واختلف في زاد موسى ما كان ؛ فقال ابن عباس : كان حوتا عموما في زنبيل ، وكانا يصبيان منه غداء وعشاء ، فلب آتيا إلى

(١) أن قال ابن جريج قال لي عمرو... الخ. (٢) الفاق: عقد الباش. (٣) الأغمار جمع غمر (بالهمز) : وهو الجاهل الغر الذي لم يجرت الأمور (٤) راجع ج ٢ ص ٤١١ وما بعدها طبع ثانية .

الله خرة على ساحل البحر، وضع قناه المكل، فأصاب الحوت جرى البحر فتحرك الحوت في المكل، فقلب المكل وانسرب الحوت، ونسى القتي أن يذكر قصة الحوت لموسى .  
وقيل : إنما كان الحوت دليلا على موضع الخضر لقوله في الحديث : أحمل منك حوتا في مكل حيث فقدت الحوت فهو تم، على هذا فيكون ترودا شيئا آخر غير الحوت، وهذا ذكره شيخنا الإمام أبو العباس وأختره . وقال ابن عطية : قال أبو رضى الله عنه، سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه : مشى موسى إلى المناجاة فيق أربعين يوما لم يمتج إلى طعام، ولما مشى إلى شتر لحقه الجوع في بعض يوم . وقوله : « نصيباً » أى تهيأ، والنصيب التعب والمشقة . وقيل : عني به هنا الجوع، وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يحده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن خبر ولا سخط . وفي قوله : « وَمَا أَنَسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ » أن مع الفعل بتأويل المصدر، وهو منصوب بدل اشتغال من الضمير في « أَنَسَيْنِي » وهو بدل الظاهر من المضمرة، أى وما أنساني ذكره إلا الشيطان؛ وفي مصحف عبد الله « وما أنسانيه إن أذكره إلا الشيطان » . وهذا إنما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى : لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يبارك الحوت، فقال : ما كلفت كثيراً؛ فاعتذر بذلك القول.

قوله تعالى : ( وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ) ) يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى؛ أى اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس . ويحتمل أن يكون قوله : « واتخذ سبيله في البحر » تمام الخبر، ثم استأنف التعجب فقال من نفسه : « عجبا » لهذا الأمر . وموضع العجب أن يكون حوت قد مات فأكل شحمه الأيسر ثم حى بعد ذلك . قال أبو شجاع في كتاب « الطبرى » : رأيته - أثبت به - فإذا هو شق حوت وعين واحدة، وشق آخر ليس فيه شيء . قال ابن عطية : وأنا رأيته والشق الذى ليس فيه شيء عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة . ويحتمل أن يكون قوله : « وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ » إخبارا من الله تعالى : وذلك على وجهين : إما أن يخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا، أى تعجب منه . وإما أن يخبر

عن الحوت أنه أخذ سبيله عجيا للناس . ومن غريب ما روى في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الآية : أن الحوت إنما حيي لأنه منه ماء عين هناك تدعى عين الحياة ، ما مسحت قط شيئا إلا حيي . وفي « التفسير » : إن العلامة كانت أن يحيا الحوت ؛ فليل لما نزل موسى بعد ما أجهدته السفر على حفرة إلى جنبها ماء الحياة أصاب الحوت شيء من ذلك الماء فحي . وقال الترمذي في حديثه قال صفيان : يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة ، ولا يصيب ماؤها شيئا إلا عاش . قال : وكان الحوت قد أكل منه فلما قطر عليه الماء عاش . وذكر صاحب كتاب « العروس » أن موسى عليه السلام تواضعا من عين الحياة فقطرت من لحية على الحوت قطرة فحي ؛ وألقه أعلم .

قوله تعالى : ( ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْئِي )<sup>(١)</sup> أي قال موسى لفتاه أمر الحوت وقطعه هو الذي كنا نطلب ، فإن الرجل الذي جئنا له ثم فرجنا بقصان آثارهما لئلا يخطئ طريقهما . وفي البخاري : فوجدنا خضرا على طيفسة خضراء على كبد البحر مسجي بثوبه ، قد جعل طوقه تحت رجله ، وطوقه تحت رأسه ، فلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه وقال : هل بارضك من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بن إسرائيل ؟ قال : نعم . قال : فما شأنك ؟ قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا ؛ الحديث . وقال التلميذ في كتاب « العرائس » : إن موسى رثاه وجنا الخضر وهو قائم على طيفسة خضراء على وجه الماء وهو مئيش بثوب أخضر فلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه فقال : وأنى بارضنا السلام ؟ ثم رفع رأسه واستوى جالسا وقال : وعليك السلام يا نبي بن إسرائيل ، فقال له موسى : وما أدراك بي ؟ ومن أخبرك أنني نبي بن إسرائيل ؟ قال : الذي أدراك بي وذلك علي<sup>(٢)</sup> ، ثم قال : يا موسى لقد كان لك في بني إسرائيل شغل ، قال موسى : إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأعلم من علمك ، ثم جلسا يتحدثان ، فجاءت خطافة وحملت بمقارها من الماء ؛ وذكر الحديث على ما يأتي .

(١) في الأصل : « نبي » بإياء . وهي قراءة « تاج » . (٢) التي في كتاب « العرائس » التلميذ : « فقال أنا موسى ، فقال : موسى بن إسرائيل ؟ قال نعم ؟ قال : يا موسى لقد كان لك في بني إسرائيل شغل ... الخ » ولعل ما هنا زيادة في بعض النسخ .

قوله تعالى : ﴿ قَوْلًا عَجَبًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ للعبد هو الخضر عليه السلام في قول بله .  
 وبمعنى الأحاديث الثابتة . وخالف من لا يمتد بقوله ، فقال : ليس صاحب موسى .  
 بل هو عالم آخر . وحكى أيضا هذا القول القشيري ، قال : وقال قوم هو عبد صالح ، والصحيح  
 أنه كان الخضر ، بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال مجاهد : سمي الخضر  
 لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله . وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرَّةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ عَنْهُ خَضِرًا »  
 هذا حديث صحيح غريب . الفروة هنا وجه الأرض ، قاله الخطابي وغيره . والخضر نبي عند  
 الجمهور . وقيل : هو عبد صالح غير نبي ، والآية تشهد بنبوته ؛ لأن موطن أفعاله لا تكون  
 إلا بوحى . وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتتبع إلا من فوقه ، وليس يجوز أن يكون فوق  
 النبي من ليس بنبي . وقيل : كان ملكاً امر الله موسى أن يأخذه عنه مما حله من علم الباطن .  
 والأقول الصحيح ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ الرحمة في هذه الآية النبوة . وقيل : النعمة .  
 ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ أى علم الغيب . ابن عطية : كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد  
 أوحيت إليه ، لا تملأ ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا  
 بظواهر أقوال الناس وأفعالم .

قوله تعالى : قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ  
 رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى  
 مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي  
 لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنْ أَتْبَعَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّى أَهْدِيَ  
 لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَ عَلَىٰ أَنْ تَمْلِكُنِي بِمَا عَمِلْتُ . رُشْدًا ۖ فِيهِ مَثَلَانِ :

الأول - قوله تعالى : « قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَ » هذا سؤال اللطيف، والمخاطب المسترسل المبالغ في حسن الأدب، المعنى : هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهذا كما في الحديث : هل تستطيع أن ترى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوحا؟ وعلى بعض التأويلات يحى، كذلك قوله تعالى : « هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ » حسب ما تقدم بيانه في « المسألة » .

الثانية - في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب، ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يلهيه المفضول، والفضل لمن فضله الله؛ فالخضر إن كان ولياً فوسى أفضل منه، لأنه نبى والنبى أفضل من الولي، وإن كان نبيا فوسى فضله بالرسالة . والله أعلم . « ورشدا » مفعول ثان بـ « علمنى » . ﴿ قَالَ ۖ الْخَضِرُ : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ ﴾ أى انك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الطواهر التي هي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تحبر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب؛ وهو معنى قوله : ﴿ وَكَيْفَ تُصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ ﴾ والأخبار لا يفكرون على منكرو ولا يجوز لهم التقرير . أى لا يسمع السكوت جريا على عادتك وحكمك . وأتصّب « خُبْرًا » على التمييز المنقول عن الفاعل . وقيل : على المصدر الملاق في المعنى، لأن قوله : « لَمْ تُحِطْ » معناه لم تحبره، فكانه قال : لم تحبره خُبْرًا؛ وإليه أشار مجاهد . والخبر بالأمور هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ۖ ﴾ أى ساصبر بمشيئة الله . ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ ﴾ أى قد أزلت نفسى طاعتك . وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله : « وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا » أم لا؟ قيل : يشمله كقوله : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَىٰ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَفَرُوا » . وقيل : استثنى في الصبر فصبر، وما أمنتني في قوله : « وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا » فاعترض

وسأل - قال علماؤنا : إنما كان ذلك منه ؛ لأن الصبر أمر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه ، ومعُ المعصية مزموم عليه حاصل في الحال ، فالاستثناء فيه بيان للزم عليه . و : أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسباً لنا بخلاف فعل المعصية وتركه ، فإن ذلك كله مكتسب لنا ، والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنِ ابْتِغَيْتَنِى فَلَا تَتَّبِعَنِ عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ بِهِ ذِكْرًا ﴾<sup>(١)</sup> أي حتى أكون أنا الذي أنصره لك ، وهذا من الخضر تأديب وإرشاد لما يقتضي درام الصحة ، فله صبر وتداب رأى العجب ، لكنه أكثر من الاعتراض ، فعين للفراق والإعراض .

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَنْرَقَهَا لِنُفِّقَ أَمْهَلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا<sup>(٢)</sup> قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا<sup>(٣)</sup> قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا<sup>(٤)</sup> ﴾ قوله تعالى : ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ فيه مسطمان :

الأول - في صحيح مسلم والبخاري : فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فزرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بنير نزل ، فلما ركبوا في السفينة لم يجبا [ موسى ] إلا والخضر قد قلع منها لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قوم حملونا بنير نزل عمدت إلى سفيتهم فخرقتها لتغرق أهلها « لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا » . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وكانت الأولى من موسى نبيانا " قال : وجاء عصفور فوضع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر ، فقال له الخضر : ما على وعليك من علم الله إلا مثل ما تقص هذا العصفور من هذا البحر . قال علماؤنا : حرف السفينة طرفها وحرف كل شيء طرفه . [ ومته حرف الجبل<sup>(٥)</sup> ] ودو أعلاه المحدث . والعلم هنا بمعنى المعلوم ، كما قال :

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ » أى من «معلوماته» ، وهذا من الخضر تمثيل ، أى معلوماتي ومعلوماتك لا أثر لها في علم الله ، كما أن ما أخذ هذا المصنوع من هذا البحر لا أثر له بالنسبة إلى ماء البحر ، وإنما مثل له ذلك بالبحر لأنه أكثر ما يشاهده ما بين أيدينا ، وإطلاق لفظ النفس هنا تجوز قصد به التمثيل والفهم ، إذ لا قص في علم الله ، ولا نهاية لمعلوماته . وقد أوضح هذا المعنى البخارى فقال : والله ما على وما عليك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطير بمنقاره من البحر . وفي «التفسير» عن أبي العالية : لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبدا لا تراه إلا عين من أراد الله له أن يريه ، ولورثه القوم لمعه من خرق السفينة . وقيل : خرج أهل السفينة إلى جزيرة ، وتخلف الخضر فخرق السفينة . وقال ابن عباس : لما خرق الخضر السفينة تحيى موسى ناحية ، وقال في نفسه : ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل ! كنت في بني إسرائيل أتلو كتاب الله عليهم غدوة وعشية فيطيعوني ! قال له الخضر : يا موسى أريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك ؟ قال : نعم . قال : كذا وكذا . قال : صدقت ، ذكره التلمبي في كتاب «البرانس» .

الثانية - في خرق السفينة دليل على أن للول أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحا ، مثل أن يخاف على رعيه ظالما فيخرب بعضه . وقال أبو يوسف : يجوز للول أن يصانع السلطان ببعض مال اليتيم عن البعض . وفرا حمزة والكسائي «لِيَتَرَقَّ» بالياء «أهلها» بالرفع فاعل يترق ، فاللام على قراءة الجماعة في «لِيَتَرَقَّ» لام المآل مثل «يَكُونُ لَهُمْ عُدُوًّا وَحَرًّا» . وعلى قراءة حمزة لام كي ، ولم يقل لخرقتي ، لأن الذي غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم ، ومراعاة حقهم . و«إِمرأ» معناه عجبا ، قاله الفتى . وقيل : سكرًا ، قاله مجاهد . وقال أبو عبيدة : الإمر الباهية العظيمة ، وأشد :

قَدْ لَبَّيْ الْأَقْرَانُ مَنَى نُسْرًا • دَلِيلَةَ دَهْيَا إِذَا إِمْرًا

وقال الأخفش : يقال إِمْرٌ أَمْرُهُ بِأَمْرٍ [ أَمْرًا ] إذا أشد ، والاسم الإمبر .



قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ في معناه قولان : أحدهما - يروى من ابن عباس ، قال : هذا من معارض الكلام . والآخر - أنه نسي فاعتذر فقيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخذه ، وأنه لا يدخل تحت الكليف ، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره ، وقد تقدم . ولو نسي في الثانية لاعتذر .

قوله تعالى : فَأَنْظَلْنَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴿٦٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْظَلْنَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ في البخارى قال يعلى قال سعيد : وجد غلاما يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاصعبه ثم ذبحه بالسكين ، « قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ » لم تعمل بالحنث . وفي الصحيحين وصحیح الترمذی : ثم خرجا من السفينة فيناهما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان ، فاخذ الخضر رأسه بيده فأقتله بيده فقتله ، قال له موسى : « أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا » قال : وهذه أشد من الأولى . « قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا » . لفظ البخل . وفي « التفسير » : إن الخضر مر بهما يلعبون فاخذ بيد غلاما ليس فيهم أضواء منه ، وأخذ حجرا فضرب به رأسه حتى دمعه ، فقتله . قال أبو العباس : لم يره إلا موسى ، ولو راوه لحالوا بينه وبين التلام .

(١) لأنها لم تبلغ الحلم ، وهو نسيه قوله : « زَكِيَّة » أى أقتلت قسا زكية لم تعمل بالحنث مع نفس . ولأبي ذر : لم تعمل بالحنث (بجاء موحدة مفتوحة) . فمطلوب . (٢) هو سليمان بن عيينة : كما في المصطلح . وقيل : كانت هذه أشد من الأولى لما فيها من زيادة « لك » .

قلت : ولا اختلاف بين هذه الأحوال الثلاثة ، فإنه يحتمل أن يكون دمه أظلم بالجهر ، ثم أحضبه فذبحه ، ثم أقتلع رأسه ، والله أعلم بما كان من ذلك ، وحسبك بما جاء في الصحيح .  
وقرأ الجمهور « زَاكِيَّة » بالالف . وقرأ الكوفيون وابن عامر « زَكِيَّة » بغير الف وتشديد الياء ، قيل : المعنى واحد ، قاله الكسائي . وقال ثعلب : الزكية البليغ . قال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذهب قط ، والزكية التي أذنت ثم تابت .

قوله تعالى : « غلاما » اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغا أم لا ؟ قال الكلبي : كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين ، وأبوه من عظماء أهل إحدى القريتين ، وأمه من عظماء القرية الأخرى ، فأخذته الخضر فصصره ، وزرع رأسه عن جسده . قال الكلبي : وأسم الغلام شمعون . وقال الضحاك : حيسون . وقال وهب : أسم أبيه سلاس وأسم أمه رُحْمَى . وحكى السجستاني أن أسم أبيه كازير وأسم أمه سهوى . وقال الجمهور : لم يكن بالغا ، ولذلك قال موسى زاكية لم تذهب . وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام ، فإن الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ ، وتقاله الجارية في النساء . وكان الخضر قتله لما علم من صبره ، وأنه طُبع كافرا كما في صحيح الحديث ، وأنه لو أدرك لأرحق أبوه كفرا . وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله في ذلك ، فإن الله تعالى العمال لما يريد ، القادر على ما يشاء . وفي كتاب « المرائس » إن موسى لما قال للخضر : « أَفَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً » - الآية - غضب الخضر وأقتلع كنف الصبي الأيسر ، وقشر اللحم عنه ، وإذا في عظم كتفه مكتوب : كافرا لا يؤمن بالله أبدا . وقد أحتج أهل القول الأول بأن العرب تقي على الشاب أسم الغلام ، ومنه قول لبيد الأخيلية<sup>(١)</sup> :

شَفَاها من الداءِ المُضالِ الذي بها • غُلامٌ إذا هَمَّ الفَناءُ سَقَاها  
وقال صفوان لحسان<sup>(٢)</sup> .

تَلَقَّى دُبابَ السَّيفِ عَنِّي لَأَتِي • غُلامٌ إذا هُوِجَتْ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

(١) البيت من قصيدة مدحت بها الحاج بن يونس ، وفيه :

إذا زلَّ الحاجُّ أروما مريسة • تتبع أقصى دائها شفاها

(٢) قد كان حسان رضي الله عنه قال شعرا يمرض فيه بصفوان بن الحنظل ومن أسلم من العرب من صبر ، فاعترفته

أبن الحنظل وضربه بالسيف وقال البيت . ( راجع القصص في سيرة ابن هشام ) .

وفي الخبر: إن هذا النمل كان يفسد في الأرض، ويقسم لأبويه أنه ما فعل، فيقسمان على قسمه، ويحيانه من يطلبه، قالوا وقوله: «يغير نفس» يقتضى أنه لو كان من قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر النمل، وإلا فلو كان لم يحتمل لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغا عاصيا. قال ابن عباس: كان شابا يقطع الطريق. وذهب ابن جبير إلى أنه بلغ سن التكليف لقراءة أبي وأبى عباس «وأما النمل فكان كانوا وكان أبواه مؤمنين» والكفر والإيمان من صفات المكلفين، ولا يطلق على غير مكلف إلا بحكم التهمة لأبويه، وأبوا النمل كانوا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه أسم الكافر إلا بالبلوغ، فعين أن يصار إليه. والنمل من الاعتلام وهو شدة الشك.

قوله تعالى: ﴿نُكِّرًا﴾ اختلف الناس أينما ألغ «إمرا» أو قوله «نكرا» فقالت فرقة: هذا قتل بين، وهناك مترقب؛ «نكرا» ألغ. وقالت فرقة: هذا قتل واحد وذلك قتل جماعة «إمرا» ألغ. قال ابن عطية: وعندي أنهما لمعين وقوله: «إمرا» انقطع وأمر من حيث هو متوقع عظيم، و«نكرا» بين في الفساد لأن مكرمه قد وقع، وهذا بين. قوله: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَدَأْ فَلَا تُصَاحِبْهُ﴾ شرط وهو لازم، والمسلمون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفى به ما التزمه الأتباع، والتزم للأتباع. وقوله: ﴿قَدْ لَبَّيْتَ مِنَ لَدُنِّي مُدْرًا﴾ يدل على قيام الاحتفال للمرة الواحدة مطلقا، وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع؛ قاله ابن العربي. ابن عطية: ويشبه أن تكون هذه القصة أيضا أصلا للأجال في الأحكام التي هي ثلاثة، وأيام المظوم ثلاثة؛ فتأمل.

قوله تعالى: «فَلَا تُصَاحِبْهُ» كذا قرأ الجمهور؛ أي تباحب. وقرأ الأعرابي «تصاحبي» بفتح التاء والياء وتسديد النون. وقرأ «تصاحبي» أي تميمي. وقرأ يعقوب «تصاحبي» بضم التاء وكسر الحاء؛ ورواهما سهل عن أبي عمرو؛ قال الكسائي: معناه فلا تتركني أحمك. «قَدْ لَبَّيْتَ مِنَ لَدُنِّي مُدْرًا» أي بلغت مبلغا تستدبر به في ترك مصاحبي. وقرأ الجمهور: «مِنْ لَدُنِّي» بضم الدال، إلا أن نافعا وعاصما خففا النون، فهي «لدين» اتصلت بهذا ياء

التكلم التي في غلامى وقرى، وكسر ما قبل الياء كما كسرى هـ. وقرأ أبو بكر، ماصم  
«لَدُنِّي» بفتح اللام وسكون الدال وتحفيف النون. وروى عن عاصم «لَدُنِّي» بضم اللام  
وسكون الدال؛ قال ابن جاعد: وهى غلط؛ قال أبو علي: هذا التخطيط يشبه أن يكون من  
جهة الرواية؛ فأما على قياس العربية فهى صحيحة. وقرأ الجمهور «مُتَوًّا».. وقرأ عيسى  
«عُدًّا» بضم القاف. وحكى الفايء أن أبا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «عُدِّي»  
بكسر الزاء، وباء بعدها.

مسئلة - أسند الطبري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ  
بنفسه، فقال يوما: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه  
قال: «فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُدًّا»». والذى في صحيح مسلم قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: «رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه تجل لراى العجب ولكنه أخذه من  
صاحبه دَمَامَةً ولو صبر لراى العجب» قال: وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه:  
رحمة الله علينا وعلى أنى كذا. وفي البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يرحم الله  
موسى لو بدنا أنه صبر حتى يقضى علينا من أمرها» - النمامة بالقال المعجمة المفتوحة،  
وهو بمعنى المذمة بفتح الدال وكسرها، وهى الرقة والعار من تلك الحرمة: يقال أخذت منك  
مذمة ومذمة وذمامة، وكأنه استحي من تكرار مخالفته، وما صدر عنه من تظليط الإنكار.

قوله تعالى: فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا  
فَأَبَوْا أَنْ يُضْفِئَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّى فَأَقَامَهُ قَالَ  
لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَٰذَا قَرْيَةُ بَنِي وَدَّانَ سَأُنَبِّئُكَ  
بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾

## فيه ثلاث عشرة مسألة

الأول - قوله تعالى : ( حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ ) في صحيح مسلم عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : لساناً فطافاً في المجالس ( اسْتَطَمَ أَهْلُهَا قَائِمًا أَنْ يُضِيقُوا فَوْجًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ ) يقول : مائل قال : ( فَأَقَامَهُ ) الحضر يسد قال له موسى : قوم أنيتاهم فلم يضيقونا ، ولم يطمعونا ( لَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا . قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَنْتَبِكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يرحم الله موسى لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرِي يَفُصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمَا " .

الثانية - واختف العلماء في القرية ؛ فقبل : هي أدلة ؛ قاله قتادة ، وكذلك قال محمد ابن سيرين ، وهي إبل قرية وأبعدها من السماء . وقيل : أنطاكية . وقيل : بجزيرة الأندلس ؛ روى ذلك عن أبي هريرة وغيره ، وبذكر أنها الجزيرة الخضراء . وقالت فرقة : هي بآجروان وهي بناحية أذربيجان . وحكى السبكي وقال : إنها برفة . الثعلبي : هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة ، واليهما نسب النصارى ؛ وهذا كله بحسب الخلاف في أبي ناحية من الأرض كانت قصة موسى . والله أعلم بحقيقة ذلك .

الثالثة - كان موسى عليه السلام حين سقى لبني شعيب أحوج منه حين أتى القرية مع الخضر ، ولم يسأل قوماً بل سقى آبدهاء ، وفي القرية سالا القوت ؛ وفي ذلك للعلماء انفصالات كثيرة ؛ منها أن موسى كان في حديث مدين منفرداً وفي قصة الخضر تبعاً لغيره .

قلت : وعلى لسان المعنى يتمنى قوله في أول الآية لفتاه « أَتَيْنَا عَدَدًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرًا هَذَا نَصَبًا » فأصابه الجوع مرعاة لصاحبه يوشع ؛ والله أعلم .

وقيل : لما كان هذا سفر تاديب وكل إلى تكلف المشقة ، وكان ذلك سفر هجرة فوكل إلى اللون والنصرة بالقوت .

الرابعة - في هذه الآية دليل على سؤال القوت ، وأن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه خلافاً لجهال المنصرف . والاستعلام سؤال الطعام ، والمراد به هنا سؤال الضيافة ،

بدليل قوله : « فَأَبْرَأُ أَنْ يَضَيِّقُوهُمَا » فاستحق أهل القرية لذلك أن يُدْتَرَا ، ويُسبوا إلى اللُّؤْم والبخل ، كما وصفهم بذلك نيتاً عليه الصلاة والسلام . قال قتادة في هذه الآية : شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقّه . ويظهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة ، وإن الخضر وموسى إنما سالا ما وجب لهما من الضيافة ، وهذا هو الأليق بمجال الأضياء ، ومنصب الفضلاء والأولياء . وقد تقدّم القول في الضيافة في «هود» والجد لله . ويمفو الله عن الحريرى<sup>(١)</sup> حيث استخف في هذه الآية وتجنّب ، وأنى يخطئ من القول وزلّ ، فأستدل بها على الكذبة والإلحاح فيها ، وأنى ذلك ليس بمحبب على فاعله ، ولا منقصة عليه ، فقال :

وإن رُدِّدَتْ لها في الردّ منقصةٌ = عليك قد رُدّ موسى قبل والخضر

قلت : وهذا لعب بالدين ، وأنسلا عن احترام النبيين ، وهي شنيئة أدبية ، وهفوة سخافة ، ويرحم الله السلف الصالح ، فلقد بالتوا في وصية كل ذى عقل راجح ، فقالوا : مهما كنت لاهيا بشيء فإياك أن تلعب بدينك ،

الخامسة — قوله تعالى : « جِدَارًا » الجدار والجدر بمعنى : وفي الخبر : « حتى يبلغ الماء الجدر » . ومكان جديرى حوله جدار ، وأصله الرقع . وأجدرت الشجرة طلعت ، ومنه الجادري

السادسة — قوله تعالى : « يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ » أى قرب أن يسقط ، وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله : « مائل » فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن ، وهو مذهب الجمهور . وجميع الأفعال التي حقها أن تكون هي الناطق متى أسندت إلى جاد أو بهيمة فإنما هي استعارة ، أى لو كان مكانهما إنسان لكان مبتلا لذلك العمل ، وهذا في كلام العرب وأشعارها كثير ، فمن ذلك قول الأعشى :

( ١ ) راجع ٩ ص ٦٤ وما بعدها طعة أول أو ثانية .  
 ( ٢ ) هو صاحب المقامات المشهورة ،  
 ( ٣ ) الكعبة : تكفف الناس .  
 ( ٤ ) الحديث في تخمعة الزبير لزيل من الأصاغر في سبيل شرح المزة فقال صلى الله عليه وسلم : « أنسى يا زبير ثم أحببت الماء حتى يرجع إلى الجدر » أراد ما وضع حول المزة كالسدور .

أَتَتَهُنَّ وَلَا يَهَيَّ ذَوِي شَطِيطٌ ۝ كَالطَّنِّ يَنْدَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ  
فَأَنشَأَتْ التَّهْيَى إِلَى الطَّنِّ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

يُرِيدُ الرُّحَّ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ۝ وَيُرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ  
وقال آخر :

إِنَّ دَهْرًا يُلْقِي ثَمَلِي بِمُجْدِلٍ ۝ لَزِمَانٌ يَسْمُ بِالْإِحْسَانِ  
وقال آخر :

فِي مَهْمَةٍ قُلْتُ بِهِ هَامَاتُهَا ۝ فَلَقَّ النَّفْسُ إِذَا أُرْدُنَ نُصُولًا  
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ ؛ مِنْ قَوْلِهِ : نَصَلَ السِّبْ إِذَا تَجَتَّ فِي الرِّيَّةِ ؛ فَشَيْءٌ وَقَعَ السُّيُوفُ  
عَلَى رِمَاسِهِمْ بِوَقْعِ النَّفْسِ فِي الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّ الْفَاسَ يَسْمُ فِيهَا وَيَنْبَتُ لَا يَكْدُ يَخْرُجُ . وَقَالَ  
حَسَّانُ بْنُ تَابِتٍ :

لَوْ أَنَّ اللَّوْمَ يُنْسَبُ كَانَ عَيْدًا ۝ قِيَحَ الْوَجْهِ أَعْرَمَ مَنْ يَتَقَيَفُ  
وقال عَنَزَّةٌ :

فَأَزَوْرٌ مَنْ وَقَعَ الْقَنَاءُ بِلَانِهِ ۝ وَشَكَ إِلَى بَسْبَرٍ وَتَحْمُجٍ  
وقد فسر هذا المعنى بقوله :

• لَوْ كَانَتْ يَتْرَى مَا الْمَأْوَرَةُ أَتَتْكَ •

وهذا فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ جَدًّا . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ : إِنَّ دَارِي نَظَرَ إِلَى دَارِ فُلَانٍ .  
وَفِي الْحَدِيثِ : « أَتَشَكُّتُ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا » . وَدَعَبَ قَوْمٌ إِلَى مَعْنَى الْحِجَازِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِنْهُمْ  
أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِي وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِي وَغَيْرُهُمَا ؛ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
وَكَلَامَ رَسُولِهِ حَمَلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوَّلَى بَدْنِ الْفَضْلِ وَالذِّينِ ؛ لِأَنَّهُ يَفْصَحُ الْحَقُّ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ  
تَعَالَى فِي كِتَابِهِ . وَمِمَّا أَحْتَجُّوا بِهِ أَنْ قَالُوا : لَوْ خَاطَبَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْحِجَازِ لَزِمَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ مُتَجَوِّزٌ

(١) الشَّطِيطُ : الْبُحُورُ وَالْعَالَمُ ؛ يَقُولُ : لَا يَهَيَّ الْعَالَمُ مِنْ ظِلِّهِ إِلَّا الطَّنُّ الْخَافُ الَّذِي يَتِيَّبُ فِيهِ الْقَتْلُ

(٢) أَيُّ عَنَزَّةٌ وَتَسَامُ الْبَيْتُ :

• وَلَكِنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كُنَى •

أيضا ، فإن السجود عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة ، وهو على الله تعالى محال ، قال الله تعالى : « يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَتْهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وقال تعالى : « وَتَقُولُ هَلْ مِنْ حَزَبٍ » وقال تعالى : « إِنْ رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا » وقال تعالى : « تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى » و « أَشْنَكِ النَّارَ إِلَى رَبِّهَا » واحتج النار والجنة ، وما كان مثلها حقيقة ، وأن خالقها الذي أنطق كل شيء أطلقها . وفي صحيح مسلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم « يُفْتَحَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِنَفْسِهِ أَنْطَقَ فَتَنْطِقُ نَفْسُهُ وَلَمْ يَعْظَمْهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِخَيْرٍ مِنْ فَسْهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ . هذا في الآخرة . وأما في الدنيا ، ففى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي تَمْسِي يَدَيْهِ لِتَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُمُ السَّاعَةُ الْإِنْسَ وَحَتَّى تُكْمُ الرَّجُلُ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَفْسِهِ وَتُغَيِّرُهُ نَفْسُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ » [ قال أبو عيسى ] : وفي الباب عن أبي هريرة ، وهذا حديث حسن غريب .

السابعة - قوله تعالى : « فَأَقَامَهُ » قيل : هدمه ثم قعد بيده ، فقال موسى للنضر : « لَوْ شِئْتُ لَأَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا » لأنه فعل يستحق أجرا . وذكر أبو بكر الأباري عن ابن عباس عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ « فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد بيده » قال أبو بكر : وهذا الحديث إن صح سنده فهو جار من الرسول عليه الصلاة والسلام يجرى التفسير للقرآن ، وأن بعض التافلين أدخل [ تفسير ] قرآن في موضع فسرى أن ذلك قرآن نقص من مصحف عثمان ، صلى الله عليه وسلم ، وقال سعيد بن جبير : سمعته بيده وأقامه مقام ، وهذا القول هو الصحيح . وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بل والأولياء . وفي بعض الأخبار : إن شئت ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن ، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع ، وعرضه خمسون ذراعا ، فأقامه النضر

(١) مقرر : بالياء التام من الإهداء ، والمضى : لم يزل الله يهدمه من قبل نفسه .

(٢) الزيادة من صحيح الترمذي . (٣) زيادة ينصبها السابق . وفي الأصل : « أدخل قرآن » الخ



عليه السلام أى سواء بيده فاستقام؛ قاله الصليبي في كتاب «المراس» . فقال موسى فخصر  
«فَوَشَّتْ لَأَتَّخِذَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا» أى طامعا ما تأكله ، ففى هذا دليل على كرامات الأولياء ،  
وكذلك ما وصف من أحوال الخضر عليه السلام فى هذا الباب كلها أمور خارقة للعادة . هذا  
إذا تفرقا على أنه ولي لآدم .

وقوله تعالى: «وَمَا نَفَعْتُهُ مِنْ شَيْءٍ» يدل على نبوته وأنه يوحى إليه بالتكليف والأحكام ،  
كما أوحى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير أنه ليس برسول؛ والله أعلم .

الثامنة — واجب على الإنسان ألا يتعرض للجولوس تحت جدار مائل يخاف سقوطه ،  
بل يسرع فى المشى إذا كان مارا عليه؛ لأن فى حديث النبي عليه الصلاة والسلام «إذا مررت  
أحدكم بطريق مائل فليهرج المثنى» . قال أبو عبيد القاسم بن سلام: كان أبو عبيدة يقولوا:  
الطَّرْبَالُ شبيهة بالنظرة من منظر العجم كهيئة الصومعة؛ والبناء المرتفع؛ قال جرير:  
أَلَوَى بِهَا شَذْبُ الْهَرَقِ مُشْدَبٌ<sup>(١)</sup> . فكأنما وَصَفَتْ<sup>(٢)</sup> على طريق بل  
يقال منه : وَكُنْ يَكُنْ إِذَا جَلَسَ . وفى الصحاح : الطَّرْبَالُ القطعة المالية من الجدار ،  
والصخرة العظيمة المشرقة من الجبل ، وطَّرَابِيلُ الشام صوامعها . ويقال : طَّرْبِلُ بَوْلُهُ إِذَا  
مَدَّهُ إِلَى فَوْقَ .

التاسعة — كرامات الأولياء ثابتة على ما دللت عليه الأخبار الثابتة ، والآيات المتواترة ،  
ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد ، أو الفاسق الخائذ ؛ فالآيات ما أخبر الله تعالى فى حق مريم  
من ظهور القواكه الشنوية فى الصيف ، والصفية فى الشتاء — على ما تقدم — وما ظهر  
على يدها حيث أمرت النحلة وكانت بإسرة قائموت ، وهى ليست بنبية ؛ على الخلاف .  
ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر عليه السلام . من نرق السفينة ، وقتل السلام ، وإقامة  
الجدار . قال بعض العلماء : ولا يجوز أن يقال كان نبيا ؛ لأن إثبات النبوة لا يجوز بإخبار

(١) ألقى : ذهب بها حيث أراد .

(٢) شذب الهرق : ظاهر الهرق لغة الغم ، من قولهم : رجل مشذب أى خفيف قليل الغم .

الآعاد، لاسيما وقد روى من طريق التواتر - من غير أن يحتمل - تأويلا - بإجماع الأمة قوله عليه الصلاة والسلام: "لا نبي بعدى" وقال تعالى: وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وانخفض [إلياس] جميعا باقيا مع هذه الكرامة، فوجب أن يكونا غير نبيين، لأنهما لو كانا نبيين لوجب أن يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، إلا ما قامت الدلالة في حديث عيسى أنه يتزل بعده .

قلت : انخفض كان نبيا - على ما تقدم - وليس بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبي، أى يدعى النبوة بعده ابدا، والله أعلم .

العاشرة - اختلف الناس هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا؟ على قولين : أحدهما - أنه لا يجوز؛ وأن ما يظهر على يديه يجب أن يلاحظه بين خوف المكر، لأنه لا يامن أن يكون مكرًا واستدراجا له؛ وقد حكى عن السري أنه كان يقول : لو أن رجلا دخل بستانا فكله من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح : السلام عليك يا ولي الله؛ فلو لم يخف أن يكون ذلك مكرًا لكان ممكورا به؛ ولأنه لو علم أنه ولي لزال عنه الخوف، وحصل له الأمن . ومن شرط الولي أن يستديم الخوف إلى أن تستزل عليه الملائكة، كما قال عز وجل : «تَسْتَزِلُّ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا» ولأن الولي من كان محتوما له بالسعادة، والموافق مستورة ولا يدري أحد ما يجتم له به؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : "إنما الأعمال بالخواتم" .

القول الثاني - أنه يجوز للولي أن يعلم أنه ولي؛ ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام يجوز أن يعلم أنه ولي، ولا خلاف أنه يجوز لغيره أن يعلم أنه ولي الله تعالى، بخلافه أن يعلم ذلك . وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام من حال العشرة من أصحابه أنهم من أهل الجنة، ثم لم يكن في ذلك زوال خوفهم، بل كانوا أكثر تنظيمًا لله سبحانه وتعالى، وأشد خوقا وحيية؛ فإذا جاز للعشرة ذلك ولم يفرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم . وأنا أمان هذا الجانب؛ فلما مات وثقن عبر الديلم دجلة ذلك اليوم، وأستولوا على بغداد، ويقول الناس : مصيبتان موت الشيل - وعبور الديلم . ولا يقال : إنه يحتمل أن يكون ذلك استدراجا لأنه

(١) في الأصل : «دائيا» وهو تحريف .

لوجاز ذلك لحاز ألا يعرف النبي أنه نبي وولي الله، بل واز أن يكون ذلك استدرجا، فلما لم يميز ذلك لأن فيه إبطال المعجزات لم يميز هذا، لأن فيه إبطال الكرامات . وما روى من ظن ر الكرامات على يدى بلعام وأفسلخه عن الدين بعد ما لقوه : « فأنسلخ منها » فليس في الآية أنه كان وليا ثم أنسلخت عنه الولاية . وما قيل أنه ظهر على يديه ما يجري مجرى الكرامات هو أخبار آحاد لا توجب العلم ، والله أعلم . والفرق بين المعجزة والكرامة أن الكرامة من شرطها الاستتار، والمعجزة من شرطها الإظهار . وقيل : الكرامة ما تظهر من غير دعوى ، والمعجزة ما تظهر عند دعوى الأنبياء ، فيطالبون بالبرهان فيظهر أثر ذلك . وقد تقدم في مقدمة الكتاب شرائط المعجزة ، والحمد لله تعالى وحده لا شريك له . وأما الأحاديث الواردة في الدلالة على نبوت الكرامات ، فن ذلك ما أخرجه البخارى من حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية فيتا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى<sup>(١)</sup> وهو جند عاصم بن عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ، فاطلقوا حتى إذا كانوا بالمسدة<sup>(٢)</sup> وهى من سفان ومكة ذكروا لى من هذيل يقال لهم بنو ليان، فنضروا إليهم قريبا من مائتى راجل كلهم رام، فاقصصوا آثارهم حتى وجدوا ما كلهم ترا تردده من المدينة، فقالوا : هذا تمر يرب ، فاقصصوا آثارهم، فلما رأهم عاصم وأصحابه لمشوا إلى قنفة<sup>(٣)</sup> وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم : أنزلوا فاعطونا أيديكم ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحدا، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية : أما فوائده لا أنزل اليوم في ذمة الكافر، اللهم أخبر عنا نيك، فرموا بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالسهد والميثاق، وهم خبيب الأنصارى<sup>(٤)</sup> وأبن الدنسة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فارتقوهم، فقال الرجل الثالث : هذا أول القدر ! والله لا أحصيكم - إن لى في هؤلاء لأسوء - يريد القتل - بخرروه وعلجوه على أنى يصحبهم فلم يفعل فقتلوه؛ فاطلقوا خبيب وأبن الدنسة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابشاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن

(١) وقيل : أمر عليهم مرثد بن أبي حنيفة النوى . (٢) قال القسطلاني : هذا دم ، وإنما هو حال ناسم ، لأن أم ناسم جميلة بنت ثابت . (٣) قنفة : رواية مشرقة . (٤) الرجل الأحمر مر عباده بن طارق .

عاصم يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً؛ فأخبر عبيد الله بن عياض أن بنت الحرث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استأمر منها موسى يستعذبها فأبارتها، فأخذ ابن لي وأنا غافلة حتى أتاه، قالت: فوجدته جلسته على نخله والموسى بيده، ففرغت فرقة عرفها خبيب في وجهي؛ فقال: انخسئين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب؛ والله لقد وجدته يوماً يأكل قطف عنب في يده، وإنه لموتق بالحديد وما بمكة من ثمر؛ وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله تعالى خبيبا؛ فلما خرجوا به من الحرم ليقنوه في الحقل قال لهم خبيب: دعوني أركع ركعتين؛ فركعوا ركعتين ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع من الموت لذت؛ ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، وأقاتلهم بدداً، ولا تبسق منهم أحداً؛ ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً • على أي شئ كان لله مضراً  
وذلك في ذات الإله وإن يتسأ • بيارك على أوصال شلو ممزج

فقتله بنو الحرث، وكان خبيب هو الذي سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً؛ فاستجاب الله تعالى لعاصم يوم أصيب؛ فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه خبرهم وما أصيبوا. وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بنى، منه يعرفونه، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر؛ فبعث الله على عاصم مثل الظلة من الدبر فحتمه من رسلهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لجه شيئاً. وقال ابن إسحق في هذه القصة: وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليعبوه من سلافة بنت سعد بن شبيب، وقد كانت نذرت حين أصاب أبنها بأحد لئن قُدرت على رأسه لتسربن في خفيه<sup>(١)</sup> انخرقنهم الدبر، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه حتى يمسي فنذهب عنه فتأخذه، فبعث الله تعالى الوادي فاحمل عاصماً فذهب، وقد كان عاصم أعطى الله تعالى عهداً ألا يمس مشركاً ولا يمسه شركاً أبداً في حياته، فمسه الله تعالى بعد وفاته بما أمتنع منه في حياته. وعن عمرو بن أمية الضمري:

(١) البر: الزاير أذكره النمل • (٢) الضف: الجبة •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً وحده فقال : نجت إلى خشية قريب فربيت فيها وأنا اتخوف العيون فأطلقت ، فوقع في الأرض ، ثم أختصت فأبتذلت قبلاً ، ثم ألفت فكأنما أبطلت الأرض . وفي رواية أخرى زيادة : فلم تذكر لحبيب ومدة حتى الساعة ، ذكره البيهقي .

الحادية عشرة - ولا يتكر أن يكون الولي مال وبغية يصون بها ماله وعياله ، وحسبك بالصباغة وأموالهم مع ولايتهم وفضلهم ، وهم المحبة على غيرهم . وفي صحيح مسلم من أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينا رجل فضلة من الأرض فسمع صوتاً في صحابة أسرى حديّة فلان فتشعّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فلما شربة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ففتح الماء فلما رجع قائم في حديقته يقول الماء بمسماة فقال يا عبد الله ما أسمك قال فلان الاسم الذي سمعته في الصحابة فقال له يا عبد الله لم سألني عن أسمي قال إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول أسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها فلان إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بك وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه " وفي رواية " وأجعل ثلثه في المساكين والساكنين وآبن السبيل " .

قلت : وهذا الحديث لا يتناقض قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تتخذوا الضميمة تركتوا إلى الدنيا " بحرحه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال فيه حديث حسن ، فإنه محمول على من اتخذها مستكثراً أو متعماً بزهرتها ، وأما من اتخذها مغناة يصون بها دينه وعياله فاتخذها بهذه النية من أفضل الأعمال ، وهي من أفضل الأموال ، قال عليه الصلاة والسلام : " نعم المال الصالح للرجل الصالح " . وقد أكثر الناس في كرامات الأولياء وما ذكرناه فيه كفاية ، والله الموفق للهداية .

الثانية عشرة - قوله تعالى : « لَا تَخْلُتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجٌ » فيه دليل على صحة جواز الإجارة ، وهي سنة الأنبياء والأولياء على ما يأتي بيانه في سورة « القصص » <sup>(١)</sup> إن شاء الله تعالى . وقراء الجمهور « لَا تَخْلُتْ » وأبو عمرو « تَخْلُتْ » وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقاعدة ، وهما

(١) حجة : أرض ذات جارة سود . والشرية : طريق المارميلة - (٢) المسألة : الهجرة من المدينة .

(٣) في نسخة قوله تعالى : « قَالَتْ لِمَ تَصْنَعُ الْإِسْطِغْوَةَ ... الخ » كذا

لثانٍ بمعنى واحدٍ من الأخذ، مثل قولك : تسمع وأسمع، وتنفى وأتفى، وأدغم بعض القراء الذال في التاء، ولم يدغمها بعضهم . وفي حديث أبي بن كعب : لو شئت لأويت أجرا . وهذه صديرت من موسى سؤالاً على جهة العرض لا الاعتراض، فيند ذلك قال له الخضر : « هذا فراق بيني وبينك » بحكم ما شرطت على نفسك، وتكريره « بيني وبينك » وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد . قال سيويه : كما يقال أنزى الله الكاذب مني ومنك، أى منّا . وقال ابن عباس : وكان قول موسى في السفينة والنعلم لله ، وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا ، فكان سبب الفراق . وقال وهب بن منبه : كان ذلك الجدار جداراً طوله في المسافة ذراع .

الثالثة عشرة - قوله تعالى : « سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » تأويل الشيء مأله ، أى قال له : إني أخبرك لم فعلت ما فعلت . وقيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر : إنها حجة على موسى ، وعجبا له . وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة نودى : يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في الثابت مطروحا في اليم ! فلما أنكر أمر الغلام قيل له : أين إنكارك هذا من وكرك التبطي وقضائك عليه ! فلما أنكر إقامة الجدار نودى : أين هذا من رفضك حجر البثر لثبات شعيب دون أجر !

قوله تعالى : « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا » (٦٧) « وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا » (٦٨) « فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا » (٦٩) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » (٧٠)

قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ استدلل بهذا من قال : إن المسكين أحسن حالا من الفقير ، وقد مضى هذا المعنى مستوفى في سورة « براءة » . وقد قيل : إنهم كانوا تجارا ولكن من حيث هم مسافرون عن قسلة في بلدة بحر ، ويشد ضعف عن مدافعة خطب عبّ عنهم بمساكين ؛ إذ هم في حالة يُسْفَق عليهم بسببها ، وعدا كما تقول لرجل عني وهلة أو خطب : مسكين . وقال كعب وغيره : كانت لعشرة إخوة من المساكين ورتوها من أبيهم ؛ خمسة زنتى ، وخمسة يعملون في البحر . وقيل : كانوا سبعة لكل واحد منهم زمانة ليست بالآخر . وقد ذكر النقاش اسمهم ؛ فأما الهال منهم فأحدهم كان مجذوما ، والثاني أعور ، والثالث أعرج ، والرابع أقر ، والخامس مجنونا لا تقطع عنه الحى الدهر كله وهو أصغرهم ؛ والخمسة الذين لا يطيقون العمل : أعمى وأحم وأخرس ومقعذ ومجنون ، وكان البحر الذى يعملون فيه ما بين فارس والروم ؛ ذكره التلمي . وقرأت فرقة : « لِمَسَاكِينَ » بتشديد السين ، وأختلفت في ذلك فقيل : هم ملاحو السفينة ، وذلك أن المساك هو الذى يمسك رجل السفينة ، وكل الخدمة تصلح لإسماكه فسمى الجميع مساكين . وقالت فرقة : أراد بالمساكين دبة المسوك وهى الجلود واحداً تسك . والأظهر قراءة « مساكين » بالتحفيف جمع مسكين ، وأن معناها : إن السفينة لقوم ضعفاء يبنى أن يسفّق عليهم . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ فَارْتَدُّوا أَنْ أَعْيَبَا ﴾ أى جعلها ذات عيب ، يقال : عيب الشيء عيباً ، فإذا صار ذا عيب ، فهو معيب وعائب . وقوله : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ قرأ ابن عباس وابن جبر « صححة » وقرأ أيضاً ابن عباس وعقبان بن عفان « صالحة » . و « وراء » أصلها بمعنى خلف ؛ فقال بعض المفسرين : إنه كان خلفه وكان رجوعهم عليه . والأكثر على أن معنى « وراء » هنا أمام ؛ يعضده قراءة ابن عباس وابن جبر « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةً غَصْبًا » . قال ابن عطية : « وراءهم » هو عندى على بابهم ؛ وذلك

أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعى بها الزمان ، وذلك أن الحديث المقدم الموجود هو الإمام ، والذي يأتي بعده هو الوراء وهو ما خلف ، وذلك بخلاف ما يظهر بآدى الراى ، وتأمل هذه الألفاظ فى مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ، فهذه الآية معناها : إن هؤلاء وعملهم وسميهم يأتي بعده فى الزمان غصب هذا الملك ؛ ومن قرأ « أمامهم » أراد فى المكان ، أى كأنهم يسيرون إلى بلد ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « الصلاة أمامك » يريد فى المكان ، وإلا فكأنهم فى ذلك الوقت كان أمام الصلاة فى الزمان ؛ وتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شغب هذه الألفاظ ؛ ووقع لقادة فى كتاب الطبرى « وكان وراعهم ملك » قال قتادة : أمامهم ألا تراه يقول : من « ورائهم جهنم » وهى بين أيديهم ؛ وهذا القول غير مستقيم ، وهذه هى المعجزة التى كان الحسن بن أبى الحسن يضحك منها ؛ قاله الرجاء .

قلت : وما آخراه هذا الإمام قد سبقه إليه فى ذلك آبن عرفة ؛ قال المروى قال آبن عرفة : يقول القائل كيف قال « من ورائه » وهى أمامه ؟ فزعم أبو عبيد وأبو على قُطِرْب أن هذا من الأضداد ، وأن وراء فى معنى قدام ، وهذا غير محصل ؛ لأن أمام ضد وراء ، وإنما يصلح هذا فى الأوقات ، كقولك للرجل إذا وعد وعدا فى رجب (رمضان ثم قال : ومن ورائك شبان لحاز وإن كان أمامه ، لأنه يخلفه إلى وقت وعده ؛ وأشار إلى هذا القول أيضا القشيري وقال : إنما يقال هذا فى الأوقات ، ولا يقال للرجل أمامك إنه ورائك ؛ قال الفراء : وجوزه غيره ؛ والقوم ما كانوا عالين بخبر الملك ، فأخبر الله تعالى الخضر حتى عيب السفينة ؛ وذكره الرجاء . وقال المساورى : أختلف أهل العربية فى استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقوال : أحدها — يجوز استعمالها بكل حال وفى كل مكان وهو من الأضداد قال الله تعالى : « وَبَيْنَ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ » أى من أمامهم : وقال الشاعر :

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي • وَقَوِي تَسْمُ وَالْقِسْلَةُ وَرَائِيَا

(١) الحديث فى الجمع بين القرب والبُعد .

(٢) حوسار بن المضرب .



بني أمي . والسائق — أن رواه تستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن  
 الإنسان يحسورها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها . الثالث — أنه يجوز في الأجسام التي  
 لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ولا يجوز في غيرها ، وهذا قول علي بن  
 عيسى . واختلف في اسم هذا الملك فقيل : هُدد بن بُدد . وقيل : الجَلْدِي ؛ وقاله  
 السهيلي . وذكر البخاري اسم الملك الآخذ لكل سفينة غصبا فقال : هو [هُدد بن بُدد والقلام  
 المقتول] اسمه جيسور ، وهكذا فيناه في « الجامع » من رواية يزيد المروزي ، وفي غير هذه  
 الرواية جيسور بالحاء وعندى في حاشية الكتاب رواية ثالثة : وهي جيسون . وكان يأخذ كل  
 سفينة جيدة غصبا فلذلك عابا الخضر ونرقها ؛ ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق  
 وجهها ، وجواز إصلاح كل المال بإنساد بعضه ، وقد تقدم . وفي صحيح مسلم وجه الحكمة  
 بخرق السفينة وذلك نسو له : فإذا جاء الذي يسخرها وجدها متخرقة فتجاوزها ، فأصلحوها  
 بخشبة الحديث . ونحصل من هذا الحضي على الصبر في الشدائد ، فك في ضمن ذلك المكره  
 من الفوائد ، وهذا معنى قوله : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ »

قوله تعالى : ( وَأَمَّا الْقَلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ) جاء في صحيح الحديث : « أنه طبع  
 يوم طبع كافرا » وهذا يؤيد ظاهره أنه غير بالغ ، ويحتمل أن يكون خبرا عنه مع كونه بالغاً ،  
 وقد تقدم .

قوله تعالى : ( تَخْشِبَانِ أَنْ يُرْجِعَهُمَا ) قيل : هو من كلام الخضر عليه السلام ، وهو الذي  
 يستبدله سيان الكلام ، وهو قول كثير من المفسرين ؛ أي ، حتما أن يرجعهما طغيانا وكفرا ،  
 وكان الله قد أباح له الاجتهاد في قتل العوس على هذه الجهة . وقيل : هو من كلام الله تعالى  
 وعنه عبر الخضر ؛ قال الطبري : مناد ضامنا ، وكذا قال ابن عباس أي فعلنا ، وهذا كما كنى  
 عن العلم بالخوف في قوله : « إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقَيِّمَا حَدُودَ اللَّهِ » . وحكى أن أبي فراس « عليم  
 ربك » . وقيل : الخشية بمعنى الكراهة ؛ يقال : تفرقت بينهما خشية أن يقتلها ؛ أي كراهة

ذلك . قال ابن عطية : والأظهر عدى في توجيه هذا التأويل وإن كان اللفظ يدافه أنها استشارة ، أى على طن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لو فقت منهم خشية الرحمن للأبوين .  
وقرأ ابن مسعود « تخلف ركن » وهذا بين في الاستشارة ، وهذا نظير ما وقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى وإن جميع ما في هذا كله من ترجح وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون . و « يرفقهما » يحشهما ويكفهما ، والمعنى أن يلقيهما حين أنبأه فيصلاً ويندينا يدينه

قوله تعالى : ( فَأَوَدَتْ أَنْ يُنْطَلِمَا رَبَّهُمَا ) قرأ الجمهور بفتح الباء وشد الدال . وقرأ عاصم بسكون الباء وتخفيف الدال ، أى أن يرفقهما الله ولما . ( خَيْرًا مِنْ زَكَاةٍ ) أى ديناً وصلاً ، يقال : بذل وأبدل مثل مهمل وأمهل ونزل وأنزل . ( وَأَقْرَبَ رَحْمًا ) قرأ ابن عباس « رُحْمًا » بالضم ، قال الشاعر :

وكيف بظلم جارية . ومنها القرب والرُّحْمُ

الباقر بسكونها . ومعه قول رؤبة بن العجاج :

يا مَنَزِلَ الرَّحْمِ على إدريس . وَمَنَزِلَ الْقُرْبِ على إيليس

وأختلف عن أبي عمرو . و « رحماً » معطوف على « زكاة » أى رحمة ؛ يقال : رحمة ورحماً ، وألفه للتانيث ، ومذكره رَحْمٌ . وقيل : الرَّحْمُ هنا بمعنى الرَّحِمِ ، قرأها ابن عباس « وَأَوْصَلَ رُحْمَاهُ » أى رَحْمَاهُ ، وقرأ أيضاً « أَزَكِي مِنْهُ » . وعن ابن جبر وأن جريح أنها بدلًا جارية ؛ قال الكلبي : تزوجها نبي من الأنبياء ، فولدت له نبياً فهدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم . قتادة : ولدت أنثى عشر نبياً . وعن ابن جريح أيضاً أن أم الفلام يوم قتل كانت حاملاً بفلام مسلم وكان المقتول كافراً . وعن ابن عباس : فولدت جارية ولدت نبياً ، وفي رواية : أبدلها الله به جارية ولدت سبعين نبياً ، وقاله جعفر بن محمد عن أبيه ، وقال علماؤنا : وهذا بعيد ولا تُعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل ، وهذه المرأة لم تكن فيهم ، ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بقصد الأولاد وإن كانوا قطعاً من الأجداد ، ومن سلم للنصاء

أسسغرت عاقبته عن اليد البيضاء . قال قتادة : لقد فرح به أبواه حين ولد وحزننا عليه حين  
تقل ، ولو بين كان فيه هلاكهما ، فالواجب على كل أمرئ الرضا بقضاء الله تعالى ، فإن  
قضاء الله للؤمن فيما يكره خير له من قضاءه له فيما يحب .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ فِي هَذَانِ الْقَرْيَتَيْنِ صَغِيرَانِ قَرِينَةٍ وَصَغِيرَا  
الْيَتِيمِ ، وَاسْتَهْمَا أَصْرَمَ وَصَرِيمَ . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا يَتِمُّ بَدَ بُلُوغُ " هَذَا  
هُوَ الظَّاهِرُ . وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِمَا اسْمُ الْيَتِيمِ بَعْدَ الْبُلُوغِ إِنْ كَانَا يَتِيمَيْنِ ، عَلَى مَعْنَى الشَّفَقَةِ  
عَلَيْهِمَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْيَتِيمَ فِي النَّاسِ مِنْ قَبْلِ فَقْدِ الْأَبِ ؛ وَفِي عِيَرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ مِنْ قَبْلِ  
فَقْدِ الْأُمِّ . وَدَلَّ قَوْلُهُ : « فِي الْمَدِينَةِ » عَلَى أَنَّ الْقَرْيَةَ تَسْمَى مَدِينَةً ؛ وَمِنَ الْحَدِيثِ " أُمِرْتُ  
بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ " وَفِي حَدِيثِ الْمُهَاجِرَةِ " لِمَنْ أُنْتُ " فَقَالَ الرَّجُلُ : مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ بِمَعْنَى مَكَّةَ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مَحْتَضًا كَثْرَتُهُمَا ﴾ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْكثرةِ ؛ فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ :  
كَانَ مَالًا جَسِيًّا وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنْ اسْمِ الْكثرةِ إِذْ هُوَ فِي اللَّفْظِ الْمَالَ الْمُجْمُوعُ ؛ وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ  
فِيهِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ عِلْمًا فِي صَحْفٍ مَدْفُونَةٍ . وَمِنَ الْإِسْلَامِ قَالَ : كَانَ لَوْحًا مِنْ دِجَبٍ  
مَكْتُوبًا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ  
بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَنَبَّهُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ  
يَنْفُلُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْأَلْبَانِ وَتَقْلِبِهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ لَهَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَمْدِ رَسُولِ  
اللَّهِ . وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ عِكْرِمَةَ وَعَمْرُو مَوْلَى عُفْرَةَ ، وَرَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ عُفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ظَاهِرُ الْفَرْقِ وَالسَّابِقِ مِنْهُ أَنَّهُ وَالِدُهُمَا دُنِيَّةً . وَقِيلَ :  
هُوَ الْأَبُ السَّاجِدُ ؛ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ . وَقِيلَ : الْمَاشِرُ حَقِيقًا فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَدْكُرْ بِصَلَاحٍ ؛ وَكَانَ  
يَسْمَى كَاتِبًا ؛ قَالَه مُقَاتِلٌ . وَأَسْمُ الْأُمِّ دُنِيًّا ؛ ذَكَرَهُ النَّقَاشُ . فَفِيهِ مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) راجع ج ٢ ص ١٤ طبع ثانية . (٢) القرية هي مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومعنى  
أكله القرية ما ينتج على أيدي أهلها من المدن ، ويريدون من نتائجها . (٣) راجع ج ٨ ص ١٢٢ طبع  
أولى ، وثانية . (٤) دنية : لها ، وهو الأب الأقرب . (٥) في روح المعاني : دها .

يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بدوا عنه . وقد روى أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعة من ذريته ؛ وعلى هذا يدل قوله تعالى : « إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَرَقَّى الصَّالِحِينَ » .

قوله تعالى : ( وَمَا فَتَنَّهُ عَنْ أُخْرَى ) يقتضي أن الحضر في ؛ وقد تقدم الخلاف في ذلك . ( ذَلِكَ تَأْوِيلُ ) أي غدير . ( مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ) قرأت فرقة « نَسْطِعْ » . وقرأ الجمهور « نَسْطِعْ » قال أبو حاتم : كذا تحركا في خط المصحف . وهذا خمس مسائل : الأولى - إننا قال قائل لم يسمع لفتي موسى ذكر في آزل الآية ولا في آخرها ، قيل له : اختلف في ذلك ؛ فقال عكرمة لابن عباس : لم يسمع لفتي موسى بذكر وقد كان معه ؟ فقال : شرب الفتى من الماء بخلد ، وأخذ العالم فطبق عليه سفينة ثم أرسله في البحر ، وإنها تسبح به فيه إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب منه . قال التشيبي : وهذا إن ثبت فليس الفتى يوشع بن نون ؛ فإن يوشع بن نون قد مر بعد موسى وكان خليفته ؛ والأظهر أن موسى صرفناه لمسلمي الحضر . وقال شيخنا الإمام أبو العباس : يحتمل أن يكون آكنفى بذكر المتبوع عن التابع ؛ والله أعلم .

الثانية - إن قال قائل : كيف أضاف الحضر قصة استخراج كثر الغلامين لله تعالى ، وقال في حرق السفينة : « فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَيِّبَهَا » فأضاف العيب إلى نفسه ؟ قيل له : إنما أسند الإرادة إلى الجدار إلى الله تعالى لأنها في أمر مستأنف في زمن طول غيب من الغيوب ، فمن أفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى ، وإن كان الحضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالى أن يريد . وقيل : لما كان ذلك خيرا كله أضافه إلى الله تعالى ، وأضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب ، لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه ؛ كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله : « وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي » فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى ، وأسند إلى نفسه المرض ، إذ هو معنى تقص ومصلحة ، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستغيب ، وهذا كما

قال تعالى : «يَدُكَ الْخَيْرُ» واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر والضر والنفع، إذ هو على كل شيء قدير، وهو بكل شيء خير . ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل أنه يقول يوم القيامة : « يا ابن آدم مرضت فلم تعدني وأسخطمتك فلم تطعنني وأسخطيتك فلم آسفني » فإن ذلك تَرُدُّ في الخطأ، وتلطّف في العتاب، مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال . وقد تقدّم هذا المعنى . والله تعالى أعلم . والله تعالى أن يطلق على نفسه ما يشاء، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة . ببل وتعالى عن النقائص والآفات علوا كبيرا . وقال في التلازم : « فأردنا » فكانه أضاف القتل إلى نفسه، والتبديل إلى الله تعالى . والأشدّ كمال الحقائق والعقل . وقد مضى الكلام فيه في « الأنعام » والحمد لله .

الثالثة — قال شيخنا الإمام أبو العباس : ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا : هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما ينسب إليهم من خواطرهم . وقالوا : وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكتابية، كما أتفق المحضرون، فإنه استغنى بما تجلّ له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الأنهموم . وقد جاء فيما يقولون : آسفت عليك وإن أفنك المقتنون . قال شيخنا رضي الله عنه : وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رساله السراء بينه وبين خلقه، وهم المبلّغون عنه رسالته وكلامه، المبلّغون شرائعه وأحكامه، آخراهم لذلك، وخصمهم بما هنالك؛ كما قال تعالى : « اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

إِنَّ اللَّهَ تَجِيعٌ بَعِيرٌ» وَقَالَ تَعَالَى : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » وَقَالَ تَعَالَى : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِمُ النَّبِيُّنَ وَبُشَيْرِينَ وَنَذِيرِينَ » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ . وَعَلِ الْجَلَّةِ قَدْ حَصَلَ الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ ، وَالْيَقِينُ الضَّرُورِيُّ ، وَاجْتِنَاعُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ طَرِيقٍ لِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَلَا يَعْرِفُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الرِّسْلِ ، فَمَنْ قَالَ : إِنَّ هَذَا طَرِيقًا أَنْ يَعْرِفَ بِهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ غَيْرَ الرِّسْلِ يَحِثُّ بِسُتْنَى عَنْ الرِّسْلِ فَهُوَ كَاذِبٌ ، يُحْتَلُّ وَلَا يُسْتَأْتَبُ ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى سَوْأَلٍ وَلَا جَوَابٍ ، ثُمَّ هُوَ قَوْلُ بَنَاتِيَاتِ أَنْبِيَاءٍ بَعْدَ نَبِيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، الَّذِي قَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ . فَلَا يَجِيءُ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولٌ . وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَالَ يَأْخُذُ عَنْ قَلْبِهِ وَأَنْ مَا يَجْعُ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهُ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، قَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ حَاسَةَ النُّبُوَّةِ ، فَإِنَّ هَذَا نَحْوُ مَا قُلْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَزَلَ فِي رُوحِي » الْحَدِيثُ .

لِرَابِعَةٍ - ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ الْخَضِرَ مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : حَتَّى لَأَنَّهُ شَرِبَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يَمُجُّ الْيَتِ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَقَدْ أَطْلَبَ الْقَاسِمُ فِي هَذَا الْمَنْعِيِّ ، وَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ ، وَكُلُّهَا لَا تَقُومُ عَلَى سَاقٍ . وَلَوْ كَانَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيًّا يَمُجُّ لَكَانَ لَهُ فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ظُهُورٌ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ بِتَفَاصِيلِ الْأَشْيَاءِ لَا رَبَّ غَيْرَهُ . وَمِمَّا يَقْضِي بِمَوْتِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآلَانَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَرَأَيْتُمْ لِيَلَيْكُمُ هَذِهِ فَنَانَةٌ لَا يَبْقَى مِنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » .

قُلْتُ : إِلَى هَذَا ذَهَبَ الْبُخَارِيُّ وَأَخْتَارَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرِيِّ ، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ أَنَّهُ حَيٌّ عَلَى مَا نَذَرَهُ . وَالْحَدِيثُ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ صَلَّى بَنَاتِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلَاةَ النَّبِيَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لِيَلَيْكُمُ هَذِهِ فَنَانَةٌ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ »

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَرَسُولَهُ » وَهِيَ قِرَاءَةٌ ثَانِيَةٌ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا الْقُرْطُبِيُّ .

قال ابن عمر : قُوتِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فَمَا يُحَدِّثُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ ؛ وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : <sup>(١)</sup> " لَا يَبْقَى مِنْهُ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ " يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يُتَحَرَّمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ . وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ : <sup>(٢)</sup> " تَسَالُونِي عَنِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْفَسُ بَاقٍ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ " وَفِي أُخْرَى قَالَ سَالِمٌ : " تَذَكَّرْنَا أَنَهَا " هِيَ مَخْلُوقَةٌ يَوْمئِذٍ . " وَفِي أُخْرَى : " مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمئِذٍ " . وَفَسَّرَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ السَّقَايَةِ قَالَ : تَقْصُصُ الْعُمَرَاءُ . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ نَحْوُ هَذَا الْحَدِيثِ . قَالَ عَلَاقَةُ : وَحَاصِلُ مَا تَضَمَّنَتْ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ مُوجُودًا فِي ذَلِكَ لَا يَزِيدُ عُمُرُهُ عَلَى مِائَةِ سَنَةٍ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : <sup>(٣)</sup> " مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ " وَهَذَا اللَّفْظُ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَلَائِكَةَ وَلَا الْجِنَّ إِذْ لَمْ يَصْغِ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَلَمَاتُ ، وَلَا الْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ الْمَاقِلِ ؛ لِقَوْلِهِ : <sup>(٤)</sup> " مَنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ " وَهَذَا إِذَا يُقَالُ بِأَصْلِهِ وَضَعَهُ عَلَى مَنْ يَمُوتُ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بَنِي آدَمَ . وَقَدْ بَيَّنَّ عُمَرُ هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَقَالَ : يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يُتَحَرَّمَ ذَلِكَ الْقَرْنُ . وَلَا حِجَّةَ لِمَنْ أَسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى طِلْإِ قَوْلٍ مِنْ يَقُولُ : إِنَّ الْخَضِرَّ هُوَ لِمَعْمُومٌ قَوْلُهُ : <sup>(٥)</sup> " مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ " لِأَنَّ الْمَعْمُومَ وَإِنْ كَانَ مُؤَكَّدَ الْاِسْتِغْرَاقِ فَلَيْسَ نَفْصًا فِيهِ ، بَلْ هُوَ قَابِلٌ لِلتَّخْصِيسِ ، فَكَيْفَ لَمْ يَتَنَاوَلْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَمْ يَقْتُلْ فَهُوَ حَيٌّ بَنَصِ الْقَرْنِ وَمَعَاهُ ، وَلَا يَتَنَاوَلُ الدِّجَالُ مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ بِدَلِيلِ حَدِيثِ الْجَسَّاسَةِ ؛ فَكَذَلِكَ لَمْ يَتَنَاوَلْ الْخَضِرُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ مُشَاهِدًا لِلنَّاسِ ، وَلَا يَمْنُ بِخَالِطِهِمْ حَتَّى يَخْطُرَ بِأَلْهَمِ حَالَةَ خَالِطَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، فَكَيْفَ هَذَا الْمَعْمُومُ لَا يَتَنَاوَلُهُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ أَحْيَاءُ

(١) وَهَلْ إِلَى اللَّهِ كَيْفٌ ؟ أَيْ لَفْظٌ وَذَكَرَ رَحِمَهُ إِلَى حِلَافِ الْبُيُوتِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَحْمِيهِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ فَظَلُّوا وَذَكَرَ رَحِمَهُمْ إِلَى حِلَافِ الْأَصْرَابِ فِي تَأْثِيلِ مَقَالَةِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَ بَعْضِهِمْ يَقُولُ : تَقَوْمُ السَّاعَةِ هَذَا أَتَقَضُّوا مِائَةَ ؟ فَيَنْزِلُ عَنْ عُمَرُ رَأَى أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ : يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ رَمَزَ ذَلِكَ الْقَرْنِ . وَجَبَّزَ وَهَلْ كَتَبَ . (٢) مَنفُوسَةٌ : مَوْلُودَةٌ . (٣) الْجَسَّاسَةُ : دَابَّةُ الْأَرْضِ الَّتِي تَخْرُجُ أَكْثَرَ الزَّمَانِ ، وَسَمِيَتْ جَسَّاسَةً لِتَجَسُّبِ الْأَخْيَارِ لِلدِّجَالِ .

ويجوز مع عيسى عليه الصلاة والسلام ، كما تقدم . وكذلك في قول ابن عباس  
 كما ذكرناه ، وقد ذكر أبو إسحق التلي في كتاب « المراس » له : والصحيح أن الخضر نبي مقيم  
 محبوب عن الأبطال ، وروى محمد بن المتوكل عن [ حمزة بن ربيعة ] عن عبد الله بن  
 [ شوفب ] <sup>(١)</sup> قال : الخضر عليه السلام من ولد فارس ، وإلياس من بني إسرائيل يتقيان كل  
 عام في الموسم . وعن عمرو بن دينار قال : إن الخضر وإلياس لا يزالان حين في الأرض  
 مادام القرآن على الأرض ، فإذا رفع ماتا . وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمد عبد المعطي بن  
 محمود بن عبد المعطي الحمصي في شرح الرسالة له للشيرازي حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين  
 والصالحات بأنهم رأوا الخضر عليه السلام ولقوه ، فبعد مجموعها غاية الفتن بجماعة مع ما ذكره  
 النقاش والتعلي وغيرهما . وقد جاء في صحيح مسلم : « أن الدجال يتجهى إلى بعض السباخ  
 التي تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس — أو — من خير الناس » الحديث ؛  
 وفي آخره قال أبو إسحق : يعني أن هذا الرجل هو الخضر . وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب  
 « المواتف » بسند يوقفه إلى علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه لقي الخضر وعلمه  
 هذا الدعاء ، وذكر أن فيه توابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله في أثر كل صلاة ، وهو : يا من  
 لا يشغلني سمع عن سمع ، ويا من لا تظلمني المسائل ، ويا من لا يتبرم من إلفاح الملعبين ، أنفني  
 برؤفوك ، وحلاوة مفترتك . وذكر أيضا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في هذا الدعاء  
 بعينه نحو ما ذكر عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه في سماعه من الخضر . وذكر  
 أيضا اجتماع إلياس مع النبي عليه الصلاة والسلام . وإذا جاز بقاء إلياس إلى عهد النبي  
 صلى الله عليه وسلم جاز بقاء الخضر ، وقد ذكر أنهما يجتمعان عند البيت في كل حول ،  
 وأنهما يقولان عند اقترانهما : ما شاء الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله  
 ما شاء الله ، ما يكون من نعمة فمن الله ، ما شاء الله ما شاء الله ، توكلت على الله ، حبسنا الله  
 ونعم الوكيل . وأما خبر إلياس فيأتي في « والصفات » <sup>(٢)</sup> إن شاء الله تعالى . وذكر أبو عمر

(١) الزيادة والصواب من « عند الجبل » ليعني قتلا عن التلي . وفي الأصل : « روى عن محمد بن المتوكل  
 عن عبد الله بن سوار » (٢) في تفسير قوله تعالى : « وإني إلياس من الرسل » آية ١٢٣



آبَن مَد الْبَرِّ كِتَاب « التَّهْيِيد » عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّحِي شَبَّوْبُ هَنْفٍ هَانَفٍ مِنْ نَاجِيَةِ الْيَتِ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلَا يَرَوْنَ شَخْصَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » — الْآيَةُ — إِنَّ فِي اللَّهِ خُفَاً مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَعَوَاضاً مِنْ كُلِّ نَافٍ ، وَعِزّاً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، فَبَاقِهِ نَفْتَوْا ، وَإِيَادَ فَارْجُوا ، فَإِنَّ الْمَصَابَ مِنْ حُرْمِ الثَّوَابِ ؛ فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ . بَنَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَالْأَثَقُ وَالْإِلَامُ فِي قَوْلِهِ : « عَلَى الْأَرْضِ » لِلْمَهْدِ لَا لِلْجَنَسِ وَهِيَ أَرْضُ الْعَرَبِ ، بِذَلِيلٍ تَصْرِفُهُمْ فِيهَا وَإِلَيْهَا غَالِبًا دُونَ أَرْضِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ ، وَأَقَاصِي جَزْرِ الْمُنْدِ وَالسُّنْدِ مِمَّا لَا يَفْرَعُ السَّمْعُ اسْمَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ صِلَهُ . وَلَا جَوَابَ عَنِ الدِّجَالِ .

قَالَ السَّيْلِيُّ : وَأَخْتَلَفَ فِي أَسْمِ الْخَضِرِ اخْتِلَافًا مُتَبَايِنًا ؛ فَضَنَّ آبَن مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ : أَيْبَا بَيْنَ مَلَكَيْنِ بَيْنَ قَالِغِ بْنِ شَاخِ بْنِ أَرْغَشْدِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ . وَقِيلَ : هُوَ آبَنُ عَامِيلِ بْنِ سَمَاعِقِينَ آبَنُ أَرِيَابِ بْنِ طَلْحَانَ بْنِ عَصْرِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَأَنْ أَبَاهُ كَانَ مَلِكًا ، وَأَنْ أُمَّهُ كَانَتْ بِنْتُ فَارِسٍ وَأَسْمَاهَا أَلْمَى ، وَأَنَّهَا وَلَدَتْهُ فِي مَذَارَةِ ، وَأَنَّهُ وَجَدَ هُنَاكَ وَشَاةً تَرْضَعُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ غَنَمٍ رَجُلٍ مِنَ الْقُرْبَةِ ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ فَرَبَّاهُ ، فَلَمَّا شَبَّ وَطَلَبَ الْمَلِكُ — أَوَاهُ — كَاتِبًا وَجَمَعَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ وَالنَّبَاةِ لِيَكْتُبَ الصَّحُفَ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَشَيْتَ ، كَانَ مِنْ أَقْدَمِ عَلَيْهِ مِنَ الْكُتَّابِ ابْنُ الْخَضِرِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا اسْتَحْسَنَ خُطَّهُ وَدَعَفَتْهُ ، وَبَحَثَ عَنْ جَلِيَّةِ أَمْرِهِ عَرَفَ أَنَّهُ ابْنُهُ ، فَضَمَّهُ لِنَفْسِهِ وَوَلَّاهُ أَمْرَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ إِنَّ الْخَضِرَ تَوَقَّعَ مِنَ الْمَلِكِ لِأَسْبَابِ يَطُولُ ذِكْرُهَا إِلَى أَنْ وَجَدَ عَيْنَ الْحَيَاةِ فَشَرِبَ مِنْهَا . فَهُوَ حَيٌّ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الدِّجَالُ ، وَأَنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَقْتُلُهُ الدِّجَالُ وَيَقْطَعُهُ ثُمَّ يَحْيِيهِ اللَّهُ تَعَالَى . وَقِيلَ : لَمْ يَدْرِكْ زَمَنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهَذَا لَا يَصِحُّ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْهُمْ شَيْخَانَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْمِائَةِ ، مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِلَى رَأْسِ مِائَةِ عَامٍ لَا يَبْقَى عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ عَلَيْهَا أَحَدٌ » يَعْنِي مَنْ كَانَ حَيًّا حِينَ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ .

قلت : قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه ، وبيننا حياة الخضر إلى الآن ، والله أعلم .  
الخامسة - قيل : إن الخضر أذهب يارق موسى قال له موسى : أوصني ، قال :  
كن بساماً ولا تكن تخافاً ، ودع الحاجة ، ولا تمس في غير حاجة ، ولا تعب على الخطأين  
خطاياهم ، وأبك على خطيئتك يا ابن عمران .

قوله تعالى : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ  
ذِكْرًا ﴿٨٦﴾ إِنَّا مَكَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَهَاتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٧﴾  
فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَجَرُّبٌ فِي عُيُنٍ  
حِمِيَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَذُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ  
وَأَمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٩﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ  
إِلَيْكَ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ  
جِزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾  
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ  
مِنْ دُونِهَا سِرًّا ﴿٩٣﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٤﴾

قوله تعالى : (( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا )) قال ابن إسحق :  
وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يوت غيره ، فهدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد  
إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا سَطَّ على أهلها ، حتى انتهى من المشرق  
والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق . قال ابن إسحق : حدثني من يسوق الأحاديث  
عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان من أهل مصر اسمه مزيان  
ابن مردبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح . قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ،

وهو الذي بنى الإسكندرية فسميت إليه . قال ابن إسحق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلبي - وكان خالد رجلا قد أدرك الناس - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : " ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب " . وذا خالد : وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول يا ذا القرنين ، فقال : ألا غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى نسميت بأسماء الملائكة ! قال ابن إسحق : فافه ! أى ذلك كان ؟ أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أم لا ؟ والحق ما قال .

قلت : وقد روى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه مثل قول عمر ، سمع رجلا يدعو آخر يا ذا القرنين ، فقال علي : أما كفاكم أن تسميت بأسماء الأنبياء حتى تسميت بأسماء الملائكة ! ومنه أنه عبد ملك ( بكسر اللام ) صالح نصحه الله فأبده . وقيل : هو نوح مبوءت فتح الله تعالى على يديه الأرض . وذكر الدارقطني في كتاب الأخبار أن ملكا يقال له ربا قيل كان يرسل على ذي القرنين ، وذلك الملك هو الذي يطوى الأرض يوم القيامة ، ويتعضها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة ؛ فيما ذكر بعض أهل العلم . وقال السهيلي : وهذا مشا كل شوكة بذى القرنين الذي قطع الأرض مشارقها ومغاربها ؛ كما أن قصة خالد ابن سنان في تسخير النار له مشاكلة بحال الملك الموكل بها ، وهو مالك عليه السلام وعلى جميع الملائكة أجمعين . ذكر ابن أبي خيثمة في كتاب البداء له خالد بن سنان العيسى وذكر نبوته ، وذكر أنه وكل به من الملائكة مالك خازن النار ، وكان من أعلام نبوته أن نارا يقال لها نار الحدنان ، كانت تخرج على الناس من مغارة فأتى كل الناس ولا يستطيعون ردها ، فرداها خالد ابن سنان فلم تخرج بعد . وأختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا ؛ فاما اسمه فقيل : هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني ، وقد تشدد قافه فيقال : المقدوني . وقيل : اسمه هرمس . ويقال : اسمه هرديس . وقال ابن هشام : هو الصمص

(١) كذا في الأصل ، وفي بعض النسخ « ربا قيل » وفي الدر المنثور « زرافيل » .

(٢) الساهرة : أرض يجدها الله يوم القيامة .

ابن ذى القرن الجبرى من ولد وائل بن حجر؛ وقد تقدم قول ابن إسحق، وقال وهب بن منبه :  
هو روى . وذكر الطبرى حديثا عن النبي عليه الصلاة والسلام أن ذا القرنين شاب من الروم .  
وهو حديث واهى السند؛ قاله ابن عطية ، قال السبيل : والظاهر من علم الأخبار أنهما  
أثنان : أحدهما - كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، ويقال : إنه الذى قضى لإبراهيم عليه  
السلام حين تمأكوا إليه في سر السبع الشام . والآخر - أنه كان قريبا من عهد عيسى  
عليه السلام . وقيل : إنه أفريدون الذى قتل بيوراسب بن أرونداسب الملك الطاغى على عهد  
إبراهيم عليه السلام ، أو قبله زمان . وأما الاختلاف في السبب الذى سمي به ، فقيل : إنه  
كان ذا صغيرتين من شعر فسمى بهما ؛ ذكره الثعلبي وغيره . والضعاف قرون الرأس ؛ ومنه  
قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

فَقَسَمْتُ فَأَمَّا أَخَذًا يُسْرُونِيَا \* شُرْبَ التَّزْيِيفِ يَزِيدُ بَاءَ الْحَشَرِجِ

وقيل : إنه رأى في أوّل ملكه كأنه قابض على قرن الشمس ، فقص ذلك ، ففسر أنه سيقبض  
ما ذرت عليه الشمس ، فسمى بذلك ذا القرنين . وقيل : إنما سمي بذلك لأنه بلغ المغرب  
والمشرق فكانه حلز قرنى الدنيا . وقالت طائفة : إنه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية  
قرونها فسمى بذلك ذا القرنين ؛ أو قرنى الشيطان بها . وقال وهب بن منبه : كان له قرنان  
تحت عمامته . وسأل ابن الكواء عليا رضى الله تعالى عنه عن ذى القرنين أنيا كان أم ملكا؟  
فقال : لا ذا ولانا ، كان عبدا صالحا دعا قومه إلى الله تعالى فشنجوه على قرنه ، ثم دعاهم  
فشنجوه على قرنه الآخر ، فسمى ذا القرنين . واختلفوا أيضا في وقت زمانه ، فقال قوم :  
كان بعد موسى . وقال قوم : كان في الفترة بعد عيسى . وقيل : كان في وقت إبراهيم  
واسماعيل . وكان الخضر عليه السلام صاحب لوائه الأعظم ؛ وقد ذكرناه في « البقرة »<sup>(٢)</sup> .  
وبالجملة فإن الله تعالى مكّنه وملكه ودانت له الملوك ، فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ؛ والتزيف : الهدوم التى منع من الماء ، والكران : الفترة في الجلاء .

يجمع فيها الماء فيفسد ، والكرز الصغير اللطيف أيضا . (٢) راجع ج ٣ ص ٢٨٩ طبة أول أدبانية .

أربعة : مؤمنان وكافران ، فالؤمنان سليمان بن داود وإسكندر ، والكافران نمرود وبختنصر ؛  
وسمى كلهما من هذه الأمة خامس لقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله » وهو المهدي .  
وقد قيل : إنما سمى ذا القرنين لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شريف من قبيلة  
وأمة . وقيل : لأنه أقمرض في وقته قرنان من الناس وهو حي . وقيل : لأنه كان إذا قاتل  
قاتل يديه وركبائه جميعا . وقيل : لأنه أعطى علم الظاهر والباطن . وقيل : لأنه دخل  
الظلمة والنور . وقيل : لأنه ملك فارس والروم .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّالُهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ قال علي رضي الله عنه : سخره السحاب ،  
وهدت له الأسباب ، وبسط له في النور ، فكان الليل والنهار عليه سواء . وفي حديث عقبة  
ابن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أهل الكتاب سالوه عن ذى القرنين  
فقال : " إن أول أمره كان غلاما من الروم فأعطى ملكا فارسا حتى أتى أرض معمر فابتنى  
بها مدينة يقال لها الإسكندرية فلما فرغ أتاه ملك مصرج به فقال له أنظر ما تحتك قال أرى  
مدينة وحدها لا أرى غيرها فقال له الملك تلك الأرض كلها وهذا السواد الذي تراه محيضا بها  
هو البحر وإنما أراد الله تعالى أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطانا فيها فسر في الأرض  
فعلم بالماض وبثبت العالم " الحديث .

قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ قال ابن عباس : من كل شيء عسا  
يتسبب به إلى ما يريد . وقال الحسن : بظنا إلى حيث أراد . وقيل : من كل شيء يحتاج  
إليه الخلق . وقيل : من كل شيء يستعين به الملوك من فتح للمدائن وفقر الأعداء . وأصل  
السبب الجبل فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء . ﴿ فَأَتَيْنَاهُ سَبِيًّا ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم  
وحمرة والكسائي « فَأَتَيْنَ سَبِيًّا » مقطوعة الألف . وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو « فَأَتَيْنَ سَبِيًّا »  
بوصلها ؛ أي أتبع سببا من الأسباب التي أوتيا . قال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى ؛ مثل  
رديته وأردفته . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ ومنه  
الإتباع في الكلام مثل حسن بن قبيح شقيق . قال النحاس : وأختار أبو عبيد قراءة

أهل الكوفة قال : لأنها من السير، وحكى هو والأصمعي أنه يقال : تبعه وأتبعه إذا سار ولم يلحقه، فأتبعه إذا لحقه، قال أبو عبيد : ومثله « فأتبعوهم مشيرين » . قال النحاس : وهذا التفریق وإن كان الأصمعي قد حكاه لا يقبل إلا بسلة أو دليل . وقوله عز وجل : « فأتبعوهم مشيرين » ليس في الحديث أنهم لحقوهم، وإنما الحديث : لما خرج موسى عليه السلام وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه أنطبق عليهم البحر . والحق في هذا أن تبع وأتبع وأتبع لفات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاقه ألا يكون . (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حنية) فراء ابن عامر وعامر وحزرة والكسائي « حامية » أي حارة . الباقون « حنة » أي كثيرة الحماة وهي الطينة السوداء، تقول : حمأت البر حماً (بالسكين) إذا زعت حماتها . وحيث الترحماً (بالتحريك) كثرت حماتها . ويجوز أن تكون « حامية » من الحماة خففت الهدة وقلت ياء . وقد يجمع بين القراءتين فيقال : كانت حارة وذات حمأة . وقال عبد الله بن عمرو : نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غربت، فقال : « نارا الله الحامية لولا ما زعها من أمر الله لأخرفت ما على الأرض » . وقال ابن عباس : أقرأني أبي كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم « في عين حنة » وقال معاوية : هي « حامية » فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : فأنام مع أمير المؤمنين ؛ فغملوا كتبنا بينهم حكماً وقالوا : يا كعب كيف تجد هذا في التوراة ؟ فقال : أجدها تقرب في عين سوداء، فوافق ابن عباس . وقال الشاعر وهو يبع الحمام :  
فد كان ذو القرنين قبل ملأ  
ملكاً تدبر له الملك وثجد

بلغ المنارب والمشارق ينسني . أسباب أمير من حكيم مرشد  
فراى منيب الشمس عند غروبها . في عين ذي خلط وثأط حرم  
الخلط : الطين . والثأط : الحماة . والحرم : الأسود . وقال الفحل قال بعض العلماء :  
ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس من ربا ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومنها ؛ لأنها تدور

مع السماء حول الأرض من غير أن تنشق بالأرض ، وهي أعظم من أن تدخل في عين من  
عيون الأرض ، بل هي أكبر من الأرض أضاعافاً مضاعفة ، بل المراد أنه أتت إلى آخر الآية  
من جهة المغرب ومن جهة المشرق ، فوجدتها في رأى العين تقرب في عين حنة ، كما أنشأه  
في الأرض للساء كأنها تدخل في الأرض ؛ ولهذا قال : « وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهَا  
مِنْ دُونِهَا سِتْرًا » ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تعاسهم وتلاصقهم ، بل أراد أنهم أول من تطلع  
عليهم . وقال النبي : « ويموز أن تكون هذه العين من البحر ، ويموز أن تكون الشمس تنيب  
وراءها أو معها أو عندها ، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه ؛ والله أعلم . ( وَوَجَدَ عِنْدَهَا  
قَوْمًا ) أى عند العين ، أو عند نهاية العين ، وهم أهل جابرس ، ويقال لها بالسريانية :  
جرجيسا ؛ يسكنها قوم من نسل نوحو بنينهم الذين آمنوا بصالح ؛ ذكره السهيلي . وقال وهب  
أبن منبه : كان ذو القرنين رجلاً من الروم أين عجز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه  
الإسكندر ، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً قال الله تعالى : يا ذا القرنين ! إني باعتك إلى أم الأرض  
وهي أم مختلفة ألسنتهم ، وهم أم جمع الأرض ، وهم أصناف : أمان بينهما طول الأرض  
كله ، وأمان بينهما عرض الأرض كله ؛ وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس وإاجوج  
وماجوج ؛ فأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ،  
وأما الأخرى فعند مطلعها ويقال لها منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر  
الأرض الأيمن يقال لها هاويل ؛ وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر يقال لها ناوليل .  
فقال ذو القرنين : إلهي ! قد تدبقتي لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ؛ فأخبرني عن هذه  
الأمم بأى قوة أكافهم ؟ وبأى صبر أفايهم ؟ وبأى لسان أناطقهم ؟ فكيف لي بأن أفقه  
لغتهم وليس عندي قوة ؟ قال الله تعالى : ما ظفرك بما حملتك ؛ أشرح لك صدرك فتسمع  
كل شيء ، وأثبت لك فهمك فتفقه كل شيء ، وألبسك الحية فلا يروغك شيء ، وأحضر لك  
النور والظلمة فيكونان جثا من جنودك ، يهديك النور من أمامك ، وتحفظك الظلمة من  
رؤئك ؛ فلما قيل له ذلك سار بين أتبعه ، فأنطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس ؛ لأنها

كانت أقرب إليهم منه وهي ناسك، فوجد جوعاً لا يحصيه إلا الله تعالى وقوة وإسلاً يطيقه  
 إلا الله، والسنة مختلفة، وأهواءٌ مُشْتَقَّةٌ، فكأثيرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر من  
 جند الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان، حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور  
 فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فبينهم من آمن به ومنهم من كفر وصده عنه، فادخل  
 على الذين تولوا الظلمة فضيبتهم من كل مكان، فدخلت إلى أفواههم وأتوتهم وأعينهم وبيوتهم  
 وغشيتهم من كل مكان، فتعبدوا وماجوا وأشفقوا أن يهلكوا، فنجوا إلى الله تعالى بصوت  
 واحد: إنا آتاء فكشفها عنهم، وأخذهم عنوة، ودخلوا في دعوته، فخذ من أهل المرب أعما  
 عظيمة بجمعهم جنسداً واحداً، ثم أطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوفهم ونجرسده من خلفه،  
 والنور أمامهم يقوده ويدله، وهو يسير في ناحية الأرض التي يريد الأمة التي في قطر الأرض  
 الأيمن وهي هاويل، وسبح الله تعالى يده وقبلة وعقله ونظيره فلا يخطئ إذا عمل عملاً، فإذا  
 أتوا مخاضة أو بحراً بنى سقفاً من الراح صتار مثل النعال فظلمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع  
 من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار فتتها ودفع إلى كل رجل لرحا فلا يكترث  
 بحمله، فأتته إلى هاويل وفعل بهم كفضله بناسك فأمنوا، ففرع منهم، وأخذ جيوشهم  
 وأطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى أتته إلى منسك عند مطلع الشمس، ففعل فيها  
 وجند منها جنوداً كفعله في الأولى، ثم كرم قبلاً حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد هاويل،  
 وهي الأمة التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض، ففعل فيها كفعله فيها قبلها، ثم عطف  
 إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجن والإنس وماجوج، فلما كلف في بعض  
 الطريق مما يلي منقطع الترك من المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين!  
 إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله تعالى كثيراً ليس لهم عدد، وليس فيهم مشابهة من  
 الإنس، وهم أشباه البهايم، يأكلون العشب: ويعتصمون الدواب والوحش كما تقتربها السباع،  
 ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والمقارب والوزغ وكل ذي روج مما خلق الله  
 تعالى في الأرض، وليس لله تعالى خلق يخونهم في العام الواحد، فإن طالت المدة



فسيملئون الأرض، ويملئون أهلها، فهل يجعل لك نرجا على أن تجعل بيتنا وبينهم صدا ؟  
وذكر الحديث، وسيأتى من صفة ياجوج وماجوج والتارك إذ هم نوع منهم ما فيه كفاية .

قوله تعالى : ( قلنا ياذا القرنين ) قال القشيري أبو نصر : إن كان نيا فهو وحى ،  
وإن لم يكن نيا فهو إلهام من الله تعالى . ( إِمَّا أَنْ تُدَبِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا )  
قال إبراهيم بن السري : خيره بين هذين كما خیرنا صل الله عليه وسلم فقال : « فإن جاعوك  
فاحكم بينهم أو أفرس منهم » ونحوه . وقال أبو إسحق الزجاج : المعنى إن الله تعالى خيره  
بين هذين الحكيمين ، قال النحاس : ورد على بن سليمان عليه قوله ؛ لأنه لم يصح أن ذا القرنين  
نبي فيخاطب بهذا ، فكيف يقول لربه عز وجل : « ثم يرد إلى ربه » ؟ وكيف يقول : « فسوف  
تصعبه » فيخاطب بالنون ؟ قال : التقدير ، قلنا يا محمد قالوا ياذا القرنين . قال أبو جعفر  
النحاس : هذا الذى قاله أبو الحسن لا يلزم منه شيء . أما قوله : « قلنا ياذا القرنين »  
فيجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي في وقته ، ويجوز أن يكون قال له هذا  
كما قال لنيه : « فَأَمَّا بَدُّ وَإِمَّا فِدَاءٌ » ، وأما إشكال « فسوف تصعبه ثم يرد إلى ربه »  
فإن تقديره أن الله تعالى لما خيره بين القتل في قوله تعالى : « إِمَّا أَنْ تُدَبِّبَ » وبين الاستبقاء  
في قوله جل وعز : « وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا » قال لأولئك القوم : ( أَمَّا مَنْ ظَلَمَ ) أى أقام  
حل الكفر منكم : ( فَسَوْفَ تُصَدِّقُ ) أى بالقتل : ( ثُمَّ يَرْدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ ) أى يوم القيامة :  
( فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ) أى شديدا في جهنم : ( وَأَمَّا مَنْ آمَنَ ) أى تاب من الكفر : ( وَعَمِلَ  
صَالِحًا ) قال أحمد بن يحيى : « أن » في موضع نصب في « إِمَّا أَنْ تُدَبِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ  
فِيهِمْ حُسْنًا » قال : ولو رُفِضَ كَانَ صَوَابًا بِمَعْنَى فَنَاءً هُوَ ، كما قال :

فسيرا إنا حاجة تنقضيانها • وإما قليل صالحٌ وصدق

( تِلْكَ جَزَاءُ الْحَسَنَى ) قراءة أهل المدينة وأبو عمرو وطامم « قُلْتُ جَزَاءُ الْحَسَنَى » بالرفع من  
الابتداء أو بالاستقرار . و « الحسنى » في موضع خفض بالإضافة ويحذف التنوين بالإضافة ؛  
أى له جزاء الحسنى عند الله تعالى في الآخرة وهى الجنة ، فأضاف الجزاء إلى الجنة ، كقوله :

«حقّ اليقين»، «ولدار الآخرة»، قاله القراء . ويحتمل أن يريد بـ «الحسنى» الأعمال الصالحة . ويمكن أن يكون الجزء من ذى القرنين ؛ أى أعطيه وأخضع عليه . ويجوز أن يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويكون «الحسنى» فى موضع رفع على البدل عند البصريين ، وعلى الترجمة عند الكوفيين ، وعلى هذا قراءة ابن أبى إسحق «فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى» إلا أنك لم تحذف التنوين، وهو أجود . وقرا سائر الكوفيين «فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى» منصوبا منونا ؛ أى فله الحسنى جزاء . قال القراء : «جزاء» منصوب على التمييز . وقيل : على المصدر ؛ وقال الزجاج : هو مصدر فى موضع الحال ؛ أى يجزيها بها جزاء . وقرا ابن عباس ومسروق «فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى» منصوبا خبر منون . وهى عند ابن ستم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل «فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى» فى أحد الوجهين . التماس : وهذا عند غيره خطأ لأنه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين، ويكون تقديره : فله الثواب جزاء الحسنى .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَتَىٰ سَبِيًّا﴾ تقدم معناه أن أتبع وأتبع بى، أى سلك طريقا ومثالا . ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ وقرا مجاهد وابن محيصن بفتح الميم واللام ؛ يقال : طلعت الشمس والكواكب طلوعا ومطلعا . والمطلع والمطلوع أيضا موضع طلوعها ؛ قاله الجوهري . المعنى أنه انتهى إلى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس . والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ . وقد اختلف فيهم ؛ فمن ذهب إلى منه ما تقدم ، وأنها أمة يقال لها منسك وهى مقابلة ناسك ؛ وقاله مقاتل . وقال قتادة : يقال لها الریح . وقال الكلبي : هم نارس وهاول ومنسك ؛ حفاة عرارة عمارة عن الحق ؛ يشاهدون مثل الكلاب ، ويتهاجون تهاج الحمير . وقيل : هم أهل جَابَلْتِ ، وهم من نسل مزى عاد الذين أسوأ يهود ، ويقال لهم بالسريانية مرقيسا . والذين عند مغرب الشمس هم أهل جَابَرَسْ ؛ ولكل واحدة من المدينتين عشرة آلاف باب ، بين كل بابين فرسخ . وأولاء جَابَلْتِ أمم ، وهم تامل وتارس ، وهم مجاورون بإجوج وماجوج . وأهل جَابَرَسْ وجَابَلْتِ آمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام ، مريم ليلة الإسراء فدعاهم فأجابوه ،

ودعا الأمم الآخرين فلم يبيحوه؛ ذكره السجيل وقال : اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه الطبري مستندا إلى مقاتل يرفعه؛ والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ دُونِهَا بَيْتًا ﴾ أى حجابا يستترون منها عند طلوعها . قال قتادة : لم يكن بينهم وبين الشمس متر ؛ كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وهم يكونون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم رجعوا إلى معاليقهم وحروشهم ؛ يبنى لا يسترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها . وقال أمية : وجدت رجلا بسمرقند يحدثون الناس ، فقال بعضهم : خرجت حتى جاوزت الصين ، فقبل لي : إن بينك وبينهم مسيرة يوم ويلة ، فاستأجرت رجلا يرليهم حتى صبحتهم ، فوجدت أحدهم يفرش أذنه ويلتحف بالآخرى ، وكان صاحبي يحسن كلامهم ، فبينما هم ، فقالوا : فيم جئتم ؟ قلنا : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس ؛ فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيفة الصلصلة ، ففشي على ، ثم أفقت ومم مسحوق بالدمع ، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي على الماء كهيفة الزيت ، وإذا طرف السماء كهيفة القسقاط ، فلما أرتفعت أدخلوني سرا لم ، فلما أرتفع النهار وزالت الشمس عن رؤوسهم خرجوا يصطادون السمك ، فيطرحونه في الشمس فينضج . وقال ابن جرير : جاءهم جيش مرة ، فقال لهم أهلها : لا تطلع الشمس وأتم بها ، فقالوا : ما نبيع حتى تطلع الشمس . ثم قالوا : ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه واقعة عظام جيش طلعت عليهم الشمس ما هنا فأتوا . قال : فولوا هاربين في الأرض . وقال الحسن : كاتب أرضهم لاجبل فيها ولا نجبر ، وكانت لا تحمل البناء ، فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء ، فإذا أرتفعت عنهم خرجوا ، فيتراعون كما تراعى البهائم .

قلت : وهذه الأقوال تدل على أن لا مدينة هناك . والله أعلم . وروينا يكون منهم من يدخل في النهر ، ومنهم من يدخل في السرب فلا تنافض بين قول الحسن وقادة .

قوله تعالى : ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ  
 مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٨﴾ قَالُوا يَنْذَا لَاقِرَتَيْنِ  
 إِن بَاجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ مُّفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ  
 أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٩﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي  
 بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٢٠﴾ ؤاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا  
 سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ؤاتُونِي  
 أَنْفِيسَ عَلَيْهِمْ فِطْرًا ﴿٢١﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٢٢﴾  
 قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ  
 وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ) وهما جبلان من قبل أرمينية  
 وأذربيجان . روى عنه الخراساني عن ابن عباس : « بين السدين » الجبلين أرمينية وأذربيجان .  
 ( وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا ) أي من وراءهما : ( قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ) . وقرا حزة والكسائي  
 « يَفْقَهُونَ » بضم الياء وكسر القاف من أفقه إذا لم يكن أي لا يفقهون غيرهم كلاما .  
 الباقون بفتح الباء والقاف ، أي يعلمون . والقراءتان صحيحتان ، فلا هم يفقهون من غيرهم  
 ولا يفقهون غيرهم

قوله تعالى : ( قَالُوا يَنْذَا لَاقِرَتَيْنِ ) أي قالت له أمة من الإنس صالحة : ( إِنْ بَاجُوجٌ  
 وَمَأْجُوجٌ مُّفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ) . قال الأخفش : من همز « باجوج » بجعل الألفين من  
 الأصل يقول : باجوج مفعول وماجوج مفعول كأنه من أجيح النار . قال : ومن لا همز ويجعل  
 الألفين زائدتين يقول : « باجوج » من عيجت وماجوج من عيجت وهما غير مصرعين ، قال رؤبة :  
 لو أن بَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مَعَا • وَعَادَ عَادَ وَاسْتَعَاشُوا نَبِيًّا

ذكره الجوهري . وقيل : إنما لم يصرفا لأهما آسمان أعجميان ، مثل طالوت وبلات  
غير مشتقين ، علما في منع الصرف المعجمة والتعريف والثانيث . وقالت فرقة : هو معرب  
من آج وأج عساه في منع الصرف التعريف والثانيث . وقال أبو علي : يجوز أن يكونا  
عربيين ، فن هز « يا جوج » فهو على وزن يفعل مثل ربوع ، من قولك أجبت النار أي  
ضويت ، ومنه الأجاج ، ومنه ملح أجاج ، ومن لم يهزم أمكن أن يكون خفف المعجمة فقلها  
ألنا مثل راس ، وأما « مأجوج » فهو مفعول من آج ، والكلمتان من أصل واحد في الاشتقاق  
ومن لم يهزم فيجوز أن يكون خفف المعجمة ، ويجوز أن يكون فاعولا من جج ، ترك الصرف  
فيهما للتانيث والتعريف كأنه أمم للقبيلة . وأختلف في إفسادهم ، سعيد بن عبد العزيز :  
إفسادهم أكل بني آدم . وقالت فرقة : إفسادهم إنما كان متوقفا ، أي سيفسدون ، فقلبا  
وجه التحريك منهم . وقالت فرقة : إفسادهم هو الظلم والقسمة والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم  
من البشر ، والله أعلم . وقد وردت أخبار بصفتهم ونروجهم وأنهم ولد يافث . روى أبو هريرة  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام الهرب وفازس  
والروم وانلير فيهم وولد يافث يا جوج وما جوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط  
والبربر والسودان » . وقال كعب الأبحار : أحتمل آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب  
فأمس تخلفوا من ذلك الماء ، فهم متصلون بنا من جهة الأب لا من جهة الأم . وهذا  
فيه نظر ، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يمتثلون ، وإنما هم من ولد يافث ، وكذلك قال  
مقاتل وغيره . وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يموت  
رجل منهم حتى يولد لصبيه ألف رجل » . يعني يا جوج وما جوج . وقال أبو سعيد : هم  
خمسة وعشرون قبيلة من وراء يا جوج وما جوج لا يموت الرجل من هؤلاء ومن يا جوج  
وما جوج حتى يخرج من صلبه ألف رجل ، ذكره القشيري . وقال عبد الله بن مسعود :  
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن يا جوج وما جوج ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا جوج  
وما جوج اثنتان كل أمة أربعمائة ألف [ أمة ] كل أمة لا يعلم عددها إلا الله لا يموت الرجل

منهم حتى يولده ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح" قيل : يا رسول الله صفهم لنا . قال : " هم ثلاثة أصناف نصف منهم أمثال الأرز <sup>(١)</sup> - شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع . - ونصف عرضه وطوله سواء نحووا من القزاع ونصف يقرش أذنه ويتعطف بالأنثى لا يرون قبيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه وياكلون من مات منهم مقدسهم بالشام وساقهم يخرسان يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمتهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس " . وقال على رضى الله تعالى عنه : ونصف منهم في طول شعر ، لهم مخالب وأنياب السباع ، وتداعى الحمام ، وتساءل البهايم ، وعواء الذئاب ، وشعور قهيم الحز والبرد ، وأذان عظام إحداهما وبرة يشنون فيها ، والأخرى جلدة يصيقون فيها ، يحفرون السد حتى كادوا يبقوه فيبيده الله كما كان ، فيقولون : تنقبه غدا إن شاء الله تعالى فيغيبوه ويخرجون ، ويحصن الناس بالحصون ، فيرمون إلى السماء فيرد السهم عليهم ملطفا بالدم ، ثم يهلكهم الله تعالى بالتخف <sup>(٢)</sup> في رقابهم . ذكره التزوي . وقال على " عن النبي صلى الله عليه وسلم : " يا جوج أمة لها أرملة أبير وكذا ماجوج لا يموت أحدهم حتى ينظروا إلى ألف فارس من ولده " . قلت : وقد جاء مرغوما من حيث أبي هريرة ، خرج ابن ماجه في السنن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن يا جوج ويا جرج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال القدي عليهم أرجعوا فستحفره غدا فيبيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدنتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفرها حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال أرجعوا فستحفره غدا إن شاء الله تعالى فاستنوا فيمجدون إليه وهو كهيته حين تركوه فيحفره ويخرجون على الناس فينشقون الماء ويحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع عليها الدم - الذي أحفظ - فيقولون فهزنا أهل الأرض وطونا أهل السماء يبعث الله تعالى عليهم سفا في أفتاتهم فيقتلهم بها " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتكثر شكا من لحومهم " قال الجوهري

(١) الأرز: شجر الصنوبر . (٢) التخف (بالضرب): دود يكون في أنوف الإبل والتمم واحدا منها نعمة . (٣) يشنون الحب: أي يرحلونه . (٤) هذا من كلام الراوى . (عاشق ابن ماجه) .

شَكَرَتْ النَّافَّةُ تَشْكُرًا شَكَرًا فِيهِ شِكْرَةٌ ، وَأَشْكُرُ الضَّرْعَ أَمْلًا لَنَا . وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مِنْه : رَأَيْتُ  
ذُو الْقَرَيْنَيْنِ ، وَطَبَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مِثْلَ نِصْفِ الرَّجُلِ الْمَرْبُوعِ مِثًا ، لَمْ يَخَالِيفِ فِي مَوَاضِعِ  
الْإِطْفَاءِ وَأَضْرَاسِ وَأَنْسَابِ كَالسَّابِغِ ، وَاحْتَاكَ كَأَحْتَاكَ الْإِبِلُ ، وَهُمْ هُلْبٌ عَلَيْهِمُ مِنَ الشَّعْرِ  
طَوَّارِبِهِمْ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أُذُنَانِ عَظِيمَتَانِ ، يَلْتَحِفُ إِحْدَاهُمَا وَيَقْرَشُ الْأُخْرَى ، وَكُلُّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ عَرَفَ أَجَلَهُ لَا يَمُوتُ حَتَّى يَخْرُجَ لَهُ مِنْ صُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ إِنْ كَانَ ذَكَرًا ، وَمِنْ  
رُحْمِهِ أَلْفُ أُنْثَى إِنْ كَانَتْ أُنْثَى . وَقَالَ السُّدِّيُّ وَالضَّحَّاكُ : التَّرَكُّ شُرْطَةٌ مِنْ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ  
نَزَجَتْ تَغِيرُ ، بَغَاءُ ذُو الْقَرَيْنَيْنِ فَضَرَبَ السَّدَّ فَبَقِيَ فِي هَذَا الْجَانِبِ . قَالَ السُّدِّيُّ : بَنَى السَّدَّ  
عَلَى إِسْدَى وَعِشْرِينَ قَبِيلَةً ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ قَبِيلَةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ السَّدِّ فَهِيَ التَّرَكُّ . وَقَالَ قَتَادَةُ .  
قُلْتُ : وَإِذَا كَانَ هَذَا ، فَقَدْ نَمَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّرَكُّ كَمَا نَمَتْ يَاجُوجَ  
وَمَاجُوجَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التَّرَكُّ قَوْمًا  
وَجُوهُهُمْ كَالْجَنَانِ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ وَيَشُونَ فِي الشَّعْرِ " فِي رِوَايَةٍ " يَنْتَمِلُونَ الشَّعْرَ " - يَجِيهِ  
مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا . وَمَا عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُدُودَهُمْ وَكَثَرَتْهُمْ وَحِدَّةُ شُوكَتِهِمْ  
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " أَتَزَكُّوا التَّرَكُّ مَا تَزَكُّوكم " . وَقَدْ خَرَجَ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتُ أُمَمٌ  
لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا يَرُدُّهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ  
أَوْ مَقْدَمَتَهُمْ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَزِلُّ  
نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِمَاقِطِ بَسْمُوْنَةِ الْبَهْرَةِ عِنْدَ نَهْرِ يَقَالُ لَهُ دَجَلَةٌ يَكُونُ عَلَيْهِ جَسَرٌ يَكْتَرُ أَهْلُهَا  
وَتَكُونُ مِنْ أَصْبَارِ الْمُهَاجِرِينَ - . قَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ - وَتَكُونُ مِنْ أَصْبَارِ الْمُسْلِمِينَ  
فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَطَطَوْرَاءَ عَرَاضَ الْوُجُوهِ صَنَارَ الْأَعْيُنِ حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَاطِئِ  
النَّهْرِ فَيُفَرِّقُ أَهْلَهَا ثَلَاثَ فُرُقٍ فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِيَّةِ وَهَلَكُوا وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ  
لَا تُغْنِيهِمْ وَكَثِيرُوا وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذُرَارِيَهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَيَقَاتِلُونَهُمْ وَهُمْ الشَّهْدَاءُ " . فَالنَّاقِطُ  
الْمُطْمِنُّ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْبَصْرَةُ الْجَبَّارَةُ الرَّخْوَةُ وَبِهَا سَمِيَتْ الْبَصْرَةُ . وَبَنُو قَطَطَوْرَاءَ هُمُ التَّرَكُّ .  
يُقَالُ : إِنْ قَطَطَوْرَاءَ أَسْمٍ جَارِبَةٌ كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَادَّتْ لَهُ أَوْلَادًا  
جَاءَ مِنْ نَسْلِهِمُ التَّرَكُّ .

قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ فيه مسئلتان :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ استفهام على جهة حسن الأدب .

« خَرْجًا » أى جمصلا . وقرئ « خراجا » والخرج إخص من الخراج . يقال : أَدْخَرَج رأسك وخَرَجَ مدينتك . وقال الأزهري : الخراج يقع على الضريبة ، ويقع على مال النفي ، ويقع على الجزية ، وعلى الفلّة . والخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الأموال . والخرج المصدر . وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أى ردما ، والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل . وثوب مردم أى مرصع ، قاله المروى . يقال : ردمت الثملة أَرَدِمَهَا بالكسر ردما أى سدتها . والردم أيضا الاسم وهو السد . وقيل : الردم أبلغ من السد إذ السد كل ما يصد به ، والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع . ومنه ردم ثوبه إذا رقمه برفاع متكافة بعضها فوق بعض . ومنه قول عنترة :

• هل غادر الشعراء من مَرْدَمٍ •

أى من قول يَرْكَب بعضه على بعض . وقرئ « سَدًّا » بالفتح في السين ؛ فقال الخليل وسيبويه : الضم هو الاسم بالفتح المصدر . وقال الكسائي : الفتح والضم لثان بمعنى واحد . وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة : ما كان من خلفه الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضم ، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح . ويلزم أهل هذه المقالة أن يرمعوا « سَدًّا » بالفتح ، وقيل « بين السدَّين » بالضم ، وهى قراءة حمزة والكسائي . وقال أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال أبو عبيدة . وقال ابن أبي عمير : ما رأته عينك فهو سُد بالضم ، وما لا ترى فهو هَد بالفتح .

الثانية - في هذه الآية دليل على اتخاذ السجون ، وحبس أهل الفساد فيها ، ومنعهم من التصرف لما يريدونه ، ولا يتركون وما هم عليه ، بل يوجعون صرنا ويحبسون أو يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضی الله عنه .



قوله تعالى : ( قَالَ مَآ مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ) فيه مستطان :

الاول - قوله تعالى : ( قَالَ مَآ مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ) المعنى قال لهم ذو القرنين : ما استطاع الله تعالى من القسرة والملك خير من نزعكم وأموالكم ولكن أعينوني بقوة الأسماء ، أى يرسل وعمل منكم بالأبدان ، والآلة التى أبغى بها الزم وهو السد . وهذا تأييد من الله تعالى لدى القرنين في هذه المحاورة ، فإن القوم لو جمعوا له نجرا لم يمتد أحد ولوكلوه إلى البيان ، ومعونته بأفئدتهم أجل به وأسرع في إقفاء هذا العمل ، وربما أربى ما ذكره له على الخرج . وقرأ ابن كثير وحده « مَآ مَكَّنِّي » بنون . وقرأ الباقون « مَآ مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي » .

الثانية - في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم ، وسد فرجتهم ، وإصلاح نفوسهم ، من أموالهم التى تقي عليهم ، وحقوقهم التى تجمعها خزائنتهم تحت يده ونظرة ، حتى لو اكتسبوا الحقوق ، وأخذتها المؤن ، لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم ، وعليه حسن النظر لهم ، وذلك سلامة شروط : الاول - ألا يستأثر عليهم بشئ . الثاني - أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم . الثالث - أن يسوى في العطاء بينهم على قدر منازلهم ، فإذا فئت بعد هذا وبقيت صفرا فأطلعت الحوادث أصرا بذلوا أنفسهم قبل أموالهم ، فإن لم يكن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تحذير ، وتُعرف بتدبير ؛ فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم ما يمحذرونه من عادية بأجور وما جوج ؛ قال : لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم « فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ » أى اخدموا بأفئدتكم معي ، فإن الأموال عندى والزجال عندكم ، ورأى أن الأموال لا تفي عنهم ، فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه ، فيعود بالأجر عليهم ، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى . وضابط الأمر أنه لا يعمل مال أحد إلا لضرورة تعرض ، فيؤخذ ذلك المال جهرا لا سرا ، ويتقى بالعدل لا بالاستئثار ، ويرأى الجماعة لا بالاستبداد بالأمر . والله تعالى الموفق للصواب .

قوله تعالى : ( أَنُؤْتِي زَبْرَ الْحَدِيدِ ) أى أعطوني زبر الحديد وتاولونها . أمرهم بتقل الآلة ، وهذا كله إنما هو استدعاء الطيبة التى بغير معنى الحبة ، وإنما هو استدعاء للتأولة ،

لأنه قد ارتبط من قوله : إنه لا يأخذ منهم الخرج ، فلم يبق إلا استدعاء المتأولة ، وأعمال الأبدان . « وَزَبَرَ الْحَدِيدَ » قطع الحديد . وأصل الكلمة الاجتماع ، ومنه زُبْرَةُ الأسد لما اجتمع من الشعر على كاهله . وزبرت الكلاب أى كتبت وجمعت حروفه . وقرأ أبو بكر والمفضل « ردما آيتون » من الإتيان الذى هو المحيى ، أى جيئنى بزبر الحديد ، فلما سقط الخافض انتصب الفعل على نحو قول الشاعر :<sup>(١)</sup>

• أَمَرْتُكَ أَنْ تَحْمِرَ ... •

حذف الجار فنصب الفعل ، وقرأ الجمهور « زَبَرَ » بفتح الباء . وقرأ الحسن بضمها ؛ وكل ذلك جمع زُبْرَةٌ وهى القطعة العظيمة منه .

قوله تعالى : ( حَتَّى إِذَا سَاوَى ) ببنى البناء لحذف لقوة الكلام عليه . ( بَيْنَ الصُّدْقَيْنِ ) قال أبو عبيدة : هما جانبَا الجبل ، وسما بذلك لتصادفهما أى لتلاقيهما . وقاله الزهرى وابن عباس ؛ كأنه يمرض عن الآخر ؛ من الصدوف ؛ قال الشاعر :

كَلَّا الصُّدْقَيْنِ يَتَفَعَّدُهُ سَنَاهَا • تَوَقَّدُ مِثْلَ مِصْبَاحِ الظَّلَامِ

ويقال البناء المرتفع صدف تشبيهه بجانب الجبل . وفى الحديث : كان إذا مر بصدف مائل أسرع المشى . قال أبو عبيد : الصدف والمصدف كل بناء عظيم مرتفع . ابن عطية : الصَّدْقَانِ الجبلان المتناحِضَانِ ولا يقال للواحد صدف ، وإنما يقال صَدْقَانِ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا يصادف الآخر . وقرأ نافع وحزمة والكسائى « الصُّدْقَيْنِ » بفتح الصاد وشذها وفتح الدال ، وهى قوله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعمر بن عبد العزيز ، وهى اختيار أبى عبيدة لأنها أشهر اللغات . وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو « الصُّدْقَيْنِ » بضم الصاد والدال . وقرأ عامر فى رواية أبى بكر « الصُّدْقَيْنِ » بضم الصاد وسكون الدال ، نحو الجُرْفِ والجُرُوفِ ، فهو تخفيف . وقرأ ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال . وقرأ قتادة « بَيْنَ الصُّدْقَيْنِ » بفتح الصاد وسكون الدال ، وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناحِضَانِ .

(١) هو عمرو بن مقلد كعب الزيدى . والبيت بتمامه :

أَمَرْتُكَ أَنْ تَحْمِرَ فَاقْفُلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ • قَدْ تَرَحُّمَكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

(٢) التناوح : للتقابل .

قوله تعالى : ( قَالُوا أَتُحِبُّونَ ) إلى آخر الآية أي حل زبر الحديد بالأكليل ، وذلك أنه كان بأمر بوضع طاقة من الزبر والنجار ، ثم يرد عليها الحطب والقهم بالتأخير حتى يحمى ، وإذا أوقد عليه صار كالنار ، فذلك قوله تعالى : ( حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ) ثم يؤتى بالنحاس الثابت أو بالبرص أو بالحديد بحسب الخلاف في القطر ، ويفرغ على تلك الطاقة المنضدة ، فإذا التأم واشتد ولصق البعض بالبعض استأنف وضع طاقة أخرى ، إلى أن استوى العمل نصار جبالاً صلوا . قال قتادة : هو كالبرد المحب ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال : يا رسول الله ! إني رأيت سبعة ياجوج وماجوج ، قال : " كيف رأيته " قال : رأيتهم كالبرد المحب ، طريقة صفراء ، وطريقة حمراء ، وطريقة سوداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قد رأيته " . ومعنى « حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا » أي كالنار . ومعنى ( أَرُونِي أَقْرَبَ عَلَيْهِ قَطْرًا ) أي املطوني قطرا أفرغ عليه ، على التقديم والتأخير . ومن قرأ « أتوني » فالمعنى عنده تناولوا أفرغ عليه نحاسا . والقطر عند أكثر المتأخرين النحاس المنذاب ، وأصله من القطر ، لأنه إذا أذيب فطر كما يقطر الماء . وقالت فرقة : القطر الحديد المنذاب . وقالت فرقة منهم ابن الأثير : الرصاص المنذاب . وهو مشتق من قَطَرَ قَطْرًا . ومعنى « وَأَسْلَمْنَا لَهُ مِنَ الْقِطْرِ » .

قوله تعالى : ( قَالُوا أَتُحِبُّونَ ) أي ما استطلاع ياجوج وماجوج أن يعلوه ويصعدوا فيه ؛ لأنه ألس مستنوع الجبل والجبل على لا يرام . وأرتفاع السد مائتا ذراعاً وخمسون ذراعاً . وروى : في طوله ما بين طرف الجبلين مائة فرسخ ، وفي عرضه خمسون فرسخاً ، قاله وهب بن منبه . ( وَمَا أَتُحِبُّونَ لَهُ نَقِيًّا ) ليعذر عرصه وقوته . وروى في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " نُفِخَ الْيَوْمَ مِنْ رِدم ياجوج وماجوج مثل هذه " وعقد وهب بن منبه بيده تسمين - وفي رواية - وحقاً بإصبعه الإبهام والتي تليها ؛ وذكر الحديث : وذكر يحيى بن سلام عن سعد بن أبي هريرة عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ياجوج وماجوج

يفخرون الله كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم أرجعوا فستخرفونه غدا فيعيد الله كأثمة ما كان حتى إذا بلغت مقتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم أرجعوا فستخرفونه إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرفونه ويفرجون على الناس "الحديث وقد تقدم .

قوله تعالى : « قَا اسْتَطَاعُوا » بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور . وقيل : هي لغة بمعنى استطاعوا . وقيل : بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا : استطاعوا . وحذف بعضهم منه الطاء فقال : استاع يستع بمعنى استطاع يستطيع ، وهي لغة مشهورة . وقرأ حزة وحده « قَا اسْتَطَاعُوا » بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا ، ثم أدغم التاء في الطاء فشدها ، وهي قراءة ضعيفة الوجه ؛ قال أبو علي : هي خير جائزة . وقرأ الأعمش « قَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا » بالناء في الموضعين .

قوله تعالى : « قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي » القائل ذو القرنين ، وأشار بهذا إلى الرِّدْم ، والقوة عليه ، والاستفاد به في دفع ضرر ياجوج وماجوج . وقرأ ابن أبي عملة « هَذِهِ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي » .

قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي » أي يوم القيامة . وقيل : وقت خروجهم . « جَعَلَهُ دَكًّا » أي مستويا بالأرض ؛ ومنه قوله تعالى : « إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ » قال ابن عرفة : أي جعلت مستوية لا أكمة فيها ، ومنه قوله تعالى : « جَعَلَهُ دَكًّا » قال الزبيدي : أي مستويا ؛ يقال : ناقة دكاه إذا ذهب سنامها . وقال الفتي : أي جعله مذكوكا ملصقا بالأرض . وقال الكلبي : قطعنا متكسرا ؛ قال :

« هَلْ غَيْرُ غَايِدٍ دَكٌّ غَارًا فَانْهَدَمَ »

(١) وقال النحاس : لا يشترط أن يتلقيا ، لأن السين ساكنة والطاء المدغمة ساكنة ، وقال سيوطي :

هكذا محال .

وقال الأزهري : يقال دككته أى دقفته . ومن قرأ « دكاً » أراد جلال الجبل أرضاً دكاً ، ومعى الرابية التى لا تبلغ أن تكون جبلاً وجمعها دكاوات . قرأ حمزة وعاصم والكسائى « دكاً » بالمد على التشبيه بالنافذة الدكاء ، ومعى التى لا سنام لها ، وفى الكلام حذف قد جعله مثل دكاه ، ولا بد من تقدير هذا الحذف . لأن السند مذكور فلا يؤصف بدكاه . ومن قرأ « دكاً » فهو مصدر ذلك يدك إذا هدم ورش ؛ ويحتمل أن يكون « جسل » بمعنى خلق . وينصب « دكاً » على الحال . وكذلك النصب أيضاً فى قراءة من مد يحتمل الوجهين .

قوله نال : وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ ١٥ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ١٦ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ١٧ الْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَخَذِلُوا عِبَادِي مِن دُونِي أُولَئِكَ إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمُ الْجَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ١٨ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ١٩ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ٢٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ هَٰ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ٢١ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ثَالِثِيَّيَ وَرُسُلِي هُرُوا ٢٢ إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ٢٣ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ٢٤ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَتَنفَذَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كُنْتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ٢٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ٢٦

قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ الضمير في « تركا » لله تعالى ؛ أى تركا الجن والإنس يوم القيامة يوج بعضهم في بعض . وقيل : تركا ياجوج وماجوج « يومئذ » أى وقت كمال السد يوج بعضهم في بعض . واستارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض ، كالملوك من هم وخوف ؛ فشبهم بموج البحر الذى يضطرب بعضه في بعض . وقيل : تركا ياجوج وماجوج يوم افتتاح السد يوجون في الدنيا غنطلين لكثرتهم .

قلت : فهذه ثلاثة أقوال ، أظهرها أوسطها ، وأبعدا آخرها . وحسن الأول ؛ لأنه تقدم ذكر القيامة في تأويل قوله تعالى : « فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي » . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ تقدم في « الأنعام » . ﴿ جَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ يعنى الجن والإنس في عرصات القيامة . ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أى أبرزناها لهم . ﴿ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴾ . ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ﴾ في موضع خفض نعت « للكافرين » . ﴿ فِي غُطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ أى هم بمنزلة من عينه مغطاة فلا ينظر إلى دلائل الله تعالى . ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ أى لا يطيعون أن يسمعوا كلام الله تعالى ، فهم بمنزلة من صم .

قوله تعالى : ﴿ أَلْحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى ظن . وقرا على وعركة ومجاهد وابن محيصن « أَلْحَسِبُ » بإسكان السين وضم الباء ؛ أى كفاهم . ﴿ أَنْ يَتَّخِذُوا عِيَادِيَ ﴾ يعنى عيسى والملائكة وعزيرا . ﴿ مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءٍ ﴾ ولا أعاقبهم ؛ ففى الكلام حذف . وقال الزجاج : للمعنى ؛ أَلْحَسِبُوا أَنْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ . ﴿ إِنْ أَعَدَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَزَنَّا ﴾ فيه مستطان : الأول - قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ - الآية - فيه دلالة على أن من الناس من يعمل العمل وهو يظن أنه محسن وقد حبط سعيه ، والذي يوجب إحباط السعى إما فساد الاعتقاد أو المراجعة ، والمراد هنا الكفر . روى البخارى عن مصعب قال :

سالت أبي : قل هل تنبئكم بالآخرين أعمالا ، أم الحسروية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا عما صل الله عليه وسلم ، وأما النصارى فكفروا بالجنه ، فقالوا : لا طعام فيها ولا ثياب ، والحسروية الذين يتقصون عهد الله من بعد ميثاقه ، وكان يسيمهم الفاسقين ، والآية معناها التي بينح ، أى قل ل هؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيرى : يجب سعيهم وأعمالهم غدا ، فهم الآخرى أعمالا ، وهم ( الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ) في عبادة من سواى . قال ابن عباس : يريد كفار أهل مكة . وقال علي : هم الخراج أهل حروراء . وقال مرة : هم الزهاني أصحاب الصواع . وروى أن ابن الكواء سأل عن الآخرى أعمالا فقال له : أنت وأصحابك . قال ابن عطية : ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك : ( أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ) وليس من هذه الطوائف من يكفر بالله ولقائه واليهت والفتور ، وإنما هذه صفة مشرك مكة عبدة الأوثان ، وعل : وسعد رضى الله عنهما ذكرا أقروا أخذوا بحظهم من هذه الآية . و هو أعمالا ، نصب على التمييز . و « حبطت » قراءة الجمهور بكسر الباء . وقرأ ابن عباس « حبطت » بفتحها .

الثانية - قوله تعالى : ( فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ) قراءة الجمهور « قيم » بنون العظمة . وقرأ مجاهد بياء التانيب ، يريد فلا قيم الله عز وجل . وقرأ عبيد بن عمر « فلا يقوم » ويزنه أن يقرأ « وزن » وكذلك قرأ مجاهد « فلا يقوم لهم يوم القيامة وزن » . قال عبيد بن عمير : يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكل الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة . قلت : هذا لا يقال مثله من جهة الرأى ، وقد ثبت معناه مرفوعا في صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنه لا يأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة إلا يزن عند الله جناح بعوضة أقروا إن شقتم » فلا قيم لهم يوم القيامة وزنا » . والملتقى أنهم لا ثواب لهم ، وأعمالهم مقابلة بالعذاب ، فلا حصة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حصة له فهو في النار . وقال أبو سعيد انطدوى : يؤتى بأعمال

بجبال تامة فلا تزن شيئا . وقيل : يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة؛ كأنه قال : فلا قدر لم عندنا يومئذ؛ والله أعلم . وفي هذا الحديث من الفقه ذم السن لمن تكلفه، لما في ذلك من تكلف المطامع والأشغال بها عن المكارم؛ بل يدل على تحريم الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتنى به الترفه والسنن . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الحبر السنن " . ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خيركم قرني ثم الذين يلونهم — قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرني قرنين أو ثلاثة — ثم إن من بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويحسبون ولا يحسبون ويتبنون ولا يؤمنون ولا يوفون ويظهر فيهم السنن " وهذا ذم . وسبب ذلك أن السنن المكتسب إنما هو من كثرة الأكل والشره، والدعة والراحة والأمن والاسترسال مع النفس على شهواتها، فهو عبد نفسه لا عبده، ومن كان هذا حاله وقع لا محالة في الحرام، وكل لحم تولد عن سحت فالتار أولى به؛ وقد ذم الله تعالى للكفار بكثرة الأكل فقال : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ » فإذا كان المؤمن يتشبه بهم، ويتمتع بتمتعهم في كل أحواله وأزماته، فإن حقيقة الإيمان، والقيام بوظائف الإسلام؟! ومن كثرة أكله وشربه كثرتهم وحرصه، وزاد بالليل كسله ونومه، فكان نهاره هانئا، وليله ثامنا . وقد مضى في « الأعراف » هذا المعنى؛ وتقدم فيها ذكر الميزان، وأن له كفتين توزن فيهما صحائف الأعمال فلا معنى للإعادة . وقال عليه الصلاة والسلام حين ضحكوا من حش ساق ابن مسعود وهو يصعد السفلة : " تضحكون من ساق توزن بعمل أهل الأرض " فدل هذا على أن الأشخاص توزن؛ ذكره التزوي .

قوله تعالى : ( ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ ) « ذلك » إشارة إلى ترك الوزن، وهو في موضع رفع بالابتداء « جزاؤهم » خبره و ( جَهَنَّمَ ) يدل من المبتدأ الذي هو « ذلك » و « ما » في قوله : ( يَأْكُلُوا كَقَرُورٍ ) مصدريه؛ والمز، الاستخفاف والسخرية؛ وقد تقدم .

(١) راجع به ٧ ص ١٩٦ وما بعدها طبعه أدل أو ثانية . (٢) راجع به ٧ ص ١٦٥ وما بعدها طبعه أدل أو ثانية . (٣) حش الساق : دقيقتها .



قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ) قال قتادة : الفirdوس روية الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرضها . وقال أبو أمامة الباهلي : الفirdوس سره الجنة . وقال كعب : ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفirdوس ؛ فيها الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها " قالوا : يا رسول الله أفلا نبشركم ؟ قال : بل إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفirdوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة — أراه قال — ونفقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة " وقال مجاهد : والفirdوس البستان بالرومية . الفراء : هو عربي . والفirdوس حديقة في الجنة . وفردوس اسم روضة دون العجامة . والجمع فردايس ، قال أمية بن أبي الصلت التقي :

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة • فيها الفردايس والقومان والبصل

والفردايس موضع الشام . وكرم مفردس أي مكرم . ( خالدين فيها ) أي داعمين . ( لَا يَمُوتُونَ فِيهَا ) أي لا يطلبون تحويلا عنها إلى غيرها . والحول بمعنى التحويل ؛ قاله أبو صل . وقال الزجاج : حال من مكانه حولا كما يقال : عظم عظاما . قال : ويجوز أن يكون من الحيلة ، أي لا يمتثلون متولا غيرها . قال الجوهري : التحول التنقل من موضع إلى موضع ، والأكس الحول ، ومنه قوله تعالى : « خالدين فيها لَا يَمُوتُونَ فِيهَا حَوْلًا » .

قوله تعالى : ( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي ) نفس الشيء ، إذا تم ونفخ . وقد تقدم . ( وَلَوْ جُمِعَ مِثْلُهُ مِدَادًا ) أي زيادة على البحر عددا أو وزنا . وفي مصحف أبي : « مِدَادًا » وكذلك قسرها مجاهد وأبو حمزة وسعيد . وآتصب « مددا » على التميز أو الحال . وقال ابن عباس : قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « وَمَا أُرْسِيَّتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » قالوا : وكيف وقد أوتينا التوراة ، ومن

أولى التوراة فقد أوى غيرا كثيرا ؟ فترت : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ » الآية . وقيل : قالت اليهود إنك أوتيت الحكمة ، ومن أولى الحكمة فقد أوى غيرا كثيرا ، ثم زعمت أنك لاعم لك بالروح ؟ ! فقال الله تعالى قل : وإن أوتيت القرآن وأوتيت التوراة فهي بالنسبة إلى كلمات الله تعالى قليلة . قال ابن عباس : « كَلِمَاتُ رَبِّي » أى مواضع ربي . وقيل : معنى بالكلمات الكلام القديم الذى لا غاية له ولا منتهى ، وهو وإن كان واحدا فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فرائد الكلمات ، ولأنه ينوب منها ، فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيا ، وقال الأصبهاني .

ووجه في اللون صاف يزينة . مع الجيد لآت لها ومعاصم

فعب بالليات عن اللبة . وفي التزييل « وَنَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ » و « إِنَّا نَحْنُ زَكَاةُ الذِّكْرِ » « وَإِنَّا لَنَعْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ » وكذلك « إِنَّا إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً » لأنه تاب مناب أمة . وقيل : أى ما هدت المبارات والألالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وتعالى . وقال السدي : أى إن كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ صفات الجنة التي هي دار الثواب . وقال عكرمة : لنفد البحر قبل أن ينفذ جواب من قال لا إله إلا الله . ونظير هذه الآية « وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَدْفَعُ مِنْ يَمِينِهِ سَجَةً أَجِرَ مَا نَعِدْتَ قَلَمَاتُ اللَّهِ » . وقرا حمزة والكسائي « قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ » بالياء لتقدم الفعل .

فوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ) أى لا أعلم إلا ما يملئني الله تعالى ، وعلم الله تعالى لا يحصى ، وإنما أمرت بأن أبلغكم بأنه لا إله إلا الله . ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ) أى يرجو رؤيته وفوائده ويخشى عقابه ( فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُفْسِدْ يَمِينَهُ رَيْبًا أَهْلَكَ ) قال ابن عباس : نزلت في جندب بن زهير الباصري ، قال : يا رسول الله إنني أصعل العمل لله تعالى ، وأريد وجهه الله تعالى ، إلا أنه إذا أطلع عليه سررتي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَلَا يَقْبَلُ مَا شُورَكَ بِهِ » فترت الآية . وقال طائوس قال رجل : يا رسول الله ! إنني أحب الجهاد في سبيل الله تعالى وأحب أن يرى مكاني فترت

هذه الآية . وقال مجاهد : جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إلى أنصديق وأصيل الرحم ولا أصح ذلك إلا الله تعالى فيذكر ذلك متى وأحد عليه فيسرى ذلك وأعجب به ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا ، فأنزل الله تعالى : **مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** .

قلت : والكل مراد ، والآية تضم ذلك كله وغيره من الأعمال . وقد تقدم في سورة « هود » حديث أبي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم أوّل الناس . وقد تقدم في سورة « النساء » الكلام على الرباء ، وذكرنا من الأخبار هناك ما فيه كفاية . وقال الساوردي وقال جميع أهل التأويل : معنى قوله تعالى : **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** : إنه لا يرأى بعمله أحدا . وروى الترمذي المحكم رحمه الله تعالى في « نوارد الأصول » قال : حدثنا أبي رحمه الله تعالى قال : حدثنا مكى بن إبراهيم قال : حدثنا عبد الواحد ابن زيد عن عبادة بن نسي قال : أتيت شداد بن أوس في مصلاه وهو يبكي ، فقلت : ما الذي أنكأك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، إذ رأيت بوجهه أمرا ساءني فقلت : يا أبي أنت وأبي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك ؟ قال : « أمرا اتخوفه على أمتي من بعدي » قلت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : « تشرك والشهوة الخفية » قلت : يا رسول الله ! وتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : « يا شداد أما إنهم لا يعبدون شئما ولا فرسا ولا تميرا ولا وثنا ولكنهم يزعمون بأعمالهم » قلت : والرباء شرك هو ؟ قال : « نعم » . قلت : فالشهوة الخفية ؟ قال : « تصح أحدهم صاعا فخرض له شهوات الدنيا فيفطر » قال عبد الواحد : ففقت الحسن ، فقلت : يا أبا سعيد ! أخبرني عن الرباء أشرك هو ؟ قال : نعم ، أما تقرأ « **مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** » . وروى إسماعيل بن إسحق قال حدثنا محمد بن أبي بكر قال حدثنا المعتمر بن سليمان عن إيث عن شهر بن حوشب قال : كان عبادة بن الصامت وشداد

(١) راجع ٩٠ ص ١٤ طبعة أول مرة . (٢) راجع ٣٥ ص ١٨٠ وما بعدها طبعة أول مرة .

ابن أوس جالسين ، فقالا : إنا نتخوف على هذه الأمة من الشرك والشهوة الخفية ، فاما الشهوة الخفية فمن قبل النساء . وقال : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى صلاة رأى بها فقد أشرك ومن صام صياما رأى به فقد أشرك » ثم تلا « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

قلت : وقد جاء تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا ، وقد ذكرناه في « النساء » . وقال سهل بن عبد الله : وسئل الحسن عن الإخلاص والرياء فقال : من الإخلاص أن تحب أن تُكتم حسناتك ولا تحب أن تُكتم سيئاتك ، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك وإحسانك ، وليس هذا من فعل ولا من صنعي ، وتذكر قوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » . « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا » الآية ، يؤتون الإخلاص ، وهم يخافون ألا يقبل منهم ، وأما الرياء فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا ، قيل له : كيف يكون هذا ؟ قال : من طلب عمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة فهو رياء . وقال علماؤنا رضي الله تعالى عنهم : وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهراء الناس به ، كما يحكى أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزي : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم ، فقال يا أبا عبد الله سألتك عن مسألة فأجبنا عن مستثنين . وحكى الأصمعي أن أعرابيا صلى فاطالا وإلى حانته قوم ، فقالوا : ما أحسن صلاتك ؟ ! فقال : وأما مع ذلك صائم . ابن هذا من قول الأشعث بن قيس وقد صلى تخف ، فقيل له إنك خفت ، فقال : إنه لم يخالفها رياء ، فخلص من تقصم بني الرياء عن نفسه ، والتصنع من صلاته ، وقد تقدم في « النساء » دواء الرياء من قول له إن : وأنه كتمان العمل . وروى الترمذي الحكيم حدثنا أبي رحمه الله تعالى قال : أنبأنا الجاني قال : أنبأنا جرير عن ليث عن شيبخ عن تميم بن يسار قال قال أبو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك ، قال : « هو فيكم أخفى من ديب النمل » . (١) راجع ص ١٨١ طبع أول مرة . (٢) راجع ص ١٨١ وما بعدها طبع أول مرة .

وسادك على شيء، إذا قلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره يقول اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ههنا ثلاث مرات . وقال عمر بن قيس الكندي سمعت معاوية تلا هذه الآية على المنبر « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ » قال : إنها لأخر آية نزلت من السماء . وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لو سألني الله أن أقرأ « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فليعمل عملاً صالحاً » وضع له نور ما بين عدن إلى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له " . وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من قرأ أول سورة الكهف وأجرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء " وعن ابن عباس أنه قال له رجل : إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيبغيني النوم ، فقال : إذا أردت أن تنوم أي ساعة شئت من الليل فافعل إذا أخفت مضجعك « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذْبَاً لِكَلِمَاتِ رَبِّي » إلى آخر السورة فإن الله تعالى يوفقك متى شئت من الليل ، ذكر هذه الفضائل الشريفة رضي الله تعالى عنه ، وفي مستند الدرر أبي محمد أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن عبدة عن زبدي بن حبيش قال : من قرأ آخر سورة الكهف لماعة يريد أن ينام من الليل قامها ، قال عبدة بخبرناه فوجدناه كذلك . قال ابن العربي : كان شيخنا الطرطوشي الأكبر يقول : لا تنهض بكم الألمان في مصالاة الأقران ، ومواصلة الإخوان ، وقد ختم سبحانه وتعالى البيان بقوله : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحدًا » .

## تفسير سورة مريم عليها السلام

وهي مكية بإجماع . وهي تسعون وثمان آيات

ولما كانت وقعة بدر ، وقتل الله فيها صناديد الكفار ، قال كفار قريش : إن نازك بأرض الحبشة ، فأهدوا إلى التجاشي ، وأبستوا إليه رجلين من ذوى رأيكم بالله يستطيع من عنده من قريش ، فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر ، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وسبوا الله

ابن أبي ربيعة، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتهما، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وأرسل إلى الرهبان والقيسين بجمعهم، ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ سورة هريم «كهيعص» وقاموا بفيض أعينهم من السمع، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم «وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَى مِثْلِ الَّذِي آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَاءَ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ». وقرأ إلى قوله: «الشاهدين». ذكره أبو داود. وفي السيرة؛ فقال النجاشي: هل ملك مما جاء به عن الله شيء؟ قال جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: اقرأه عليّ. قال: فقرأ «كهيعص» فيكي والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفتهم حتى أخضلوا لحامهم حين سمعوا ما يتلى عليهم؛ فقال النجاشي: هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة؛ أطلقا فوالله لا أسلمهم إلينا أبداً، وذكر تمام الخبر.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: كهيعص ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِئُنِي وَرِثٌ مِّنْ آلِ يَعْقُوبَ ⑥ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑦ بَنَزَكِيًّا إِنَّا نَنْشُرُكَ بِغُلَامٍ اٰمِنٍ يَّحْيِي لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَئِنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑩

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ أَنْتَ لِبَالٍ  
 سَوِيًّا ﴿١٠﴾ خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ نَسَبُوا  
 بَكَرَةً وَعَشيًا ﴿١١﴾ يَبْحَثُ خِذَ الْكِتَابِ يَقُولُ وَعَاشَيْتُهُ الْحُكْرَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾  
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَوْ يَكُنْ جَبَرًا  
 عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ كَهَيْصَعٍ ﴾ تقدم الكلام في أوائل السور . وقال ابن عباس  
 في « كهيمص » : إن الكاف من كاف ، والماء من هاء ، والياء من حيم ، والين من لم ،  
 والصاد من صادق ؛ ذكره ابن عزي القشيري عن ابن عباس ؛ معناه كاف لخالقه ، هاد لعباده ،  
 يده فوق أيديهم ، عالم بهم ، صادق في وعده ؛ ذكره التلي عن الكلبي والسدي وبجاءه  
 والفساك . وقال الكلبي أيضا : الكاف من كرم وكبير وكاف ، والماء من هاء ، والياء من  
 رجم ، والين من لم وعظيم ، والصاد من صادق ، واللمن واحد . وعن ابن عباس أيضا :  
 هو اسم من أسماء الله تعالى ؛ وعن علي رضي الله عنه هو اسم الله عز وجل وكان يقول :  
 يا كهيمص أغفر لي ؛ ذكره الفريزي . السدي : هو اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ،  
 وإذا دعي به أجاب . قتادة : هو اسم من أسماء القرآن ؛ ذكره عبد الرزاق عن ممر عنه .  
 وقيل : هو اسم للسورة ؛ وهو اختيار القشيري في أوائل الحروف ؛ وعلى هذا قيل : تمام  
 الكلام عند قوله : « كهيمص » كأنه إعلام باسم السورة ، كما تقول : كتاب كذا أو باب  
 كذا ثم تشرع في المقصود . وقرأ ابن جعفر هذه الحروف متقطعة ، ووصلها بالاقون ،  
 وأمال أبو عمرو الماء وفتح الياء ، وأبن عامر وحمة بالعكس ، وأمالها جميعا الكسائي وأبو بكر  
 وخلف . وقرأهما بين الفظتين أهل المدينة نافع وغيره . وفتحهما بالاقون . وعن خارجة أن  
 الحسن كان يضم كاف ، وحكي غيره أنه كان يضم ها ، وحكي اسمعيل بن إسحق أنه كان يضم  
 يا . قال أبو حاتم : ولا يجوز ضم الكاف والماء والياء ؛ قال التناس : قراءة أهل المدينة  
 (١) رابع ١٥٤ وما بعدها طيبة الآية أو ثالثة .

من أحسن ما في هذا، والإمامة جائزة في هاويًا . وأما قراءة الحسن فاشكلت على جماعة حتى قالوا : لا تجوز؛ منهم أبو حاتم . والقول فيها ما بينته هرون القاري؛ قال : كان الحسن يسمي الرفيع؛ فمضى هذا أنه كان يرمي؛ كما حكى سيوريه أن من العرب من يقول : الصلاة والزكاة يرمي إلى الواو؛ ولهذا كتبها في المصحف بالواو . وأظهر الدال من جهاء « من » نافع وابن كثير وعاصم ويقوب، وهو اختيار أبي عبيد؛ وأدغمها الباقون .

قوله تعالى : ( ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْهٗ ذَكْرًا . إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نَبِّدْهُ خَيًّا )

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ) في رفع « ذكر » ثلاثة أقوال؛ قال الفراء : هو مرفوع بـ « كعبص »؛ قال الزجاج : هذا حال؛ لأن « كعبص » ليس هو بما أنبأنا الله عز وجل به عن زكريا ، وقد خبر الله تعالى عنه وعن ما بشر به ، وليس « كعبص » من فصته . وقال الأخفش : التهدير؛ فيما يقص عليكم ذكر رحمة ربك . والقول الثالث : أن المعنى هذا الذي يتلوه عليكم ذكر رحمة ربك . وقيل : « ذكر رحمة ربك » رفع بإضمار مبتدأ؛ أي هذا ذكر رحمة ربك ؛ وقرا الحسن « ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ » أي هذا المتلوم من القرآن ذكر رحمة ربك . وقري « ذَكْرٌ » على الأسماء . ورحمة « تكتب ويوقف عليها بالماء » وكذلك كل ما كان مثلها ، لا اختلاف فيها بين النحويين ، واعتلوا في ذلك أن هذه الماهة لتأنيث الأسماء فوطئها وبين الأفعال .

الثانية — قوله تعالى : ( عِبْدُهُ ) قال الأخفش : هو منصوب بـ « رحمة » . « زكريا » بدل منه ؛ كما تقول : هذا ذكر ضرب زيد عمرا؛ فعمر منصوب بالضرب؛ كما أن « عبده » منصوب بالرحمة . وقيل : هو على التقديم والتأخير؛ معناه : ذكر ربك عبده زكريا برحمة ؛ فـ « عبده » منصوب بالذكر؛ ذكره الزجاج والفراء . وقرا بعضهم « عِبْدُهُ زَكْرِيَا » بالرفع؛ وهي قراءة أبي العالبة . وقرا يحيى بن يعمر « ذَكْرٌ » بالنصب على معنى هذا القرآن ذكر رحمة عبده زكريا . وقطعت اللغات والقراءة في « زكريا » في « آل عمران » .



الثالثة - قوله تعالى: (إِذْ تَدَّي رَّبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) مثل قوله: «أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُحْتَدِينَ» وقد تَقَدَّمَ . والنداء النداء والرغبة؛ أى تاجي ربه بذلك في عرابيه . دليله قوله: «فَتَدَّي اللَّائِكَةُ وَهِيَ قَائِمٌ يَصِلُ فِي الْغُرَابِ» فينبئ أنه استجاب له في صلاته، كما تَدَّي في الصلاة . واختطف في إخفائه هذا النداء؛ فينبئ: أخفاه من قومه . لإبلاغهم على مسألة الولد عند كبر السن؛ ولأنه أمر دينوي؛ فإن أوجب فيه نال بيته، وإن لم يجب لم يعرف بذلك أحد . وقيل: لخفا فيه لم يطلع عليه إلا الله تعالى . وقيل: لما كانت الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء أخفاه . وقيل: «خَفِيًّا» سرًّا من قومه في جوف الليل؛ والكل غافل والأول أظهر؛ والله أعلم . وقد تَقَدَّمَ أن المستحب من الدعاء الإخفاء في سورة «الأعراف» وهذه الآية نص في ذلك؛ لأنه سبحانه أثنى بذلك على زكريا . وروى إسماعيل قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد عن أسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن أبي كبشة عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «<sup>١</sup> إِنْ خَيْرَ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْنِي» وهذا عام . قال يونس بن عبيد: كان الحسن يرى أن يدعو الإمام في الثنوت ويؤمن من خلفه من غير رفع صوت، وتلا يونس «إِذْ تَدَّي رَّبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» . قال ابن العربي: وقد أمر مالك الثنوت وجهه به الشافعي، وإليه به أفضل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به جهرا .

قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) فيه مستطان :

الأولى - قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ» قرئ «وَهَنَ» بالحرركات الثلاث أى ضعف . يقال: وَهَنَ يَنْ وَهْنًا إذا ضعف فهو وَهَنٌ . وقال أبو زيد يقال: وَهَنَ يَنْ وَهْنًا وَهْنًا . وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقت سائر قوته؛ ولأنه أشد تناهي وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن .

(١) راجع ج ٧ ص ٢٢٣ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية .

(٢) راجع ج ٧ ص ٢٢٣ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية .

منه . ووجهه لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام ، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، وأرجع لكان قصد إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يكن منه بعض عظامه ولكن كلها .

الثانية - قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْئًا ﴾ ادغم السين في الشين أبو عمرو . وهذا من أحسن الاستمارة في كلام العرب . والاشتغال انتشار شمع النار ، شبه به انتشار الشيب في الرأس ، يقول : نخت وضعت ؛ وأضاف الاشتغال إلى مكان الشعر وسببه وهو الرأس . ولم يُضف للرأس اكتفاء بلم مخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام . « وشيا » في نصبه وجهان : أحدهما - أنه مصدر لأن معنى اشتعل شاب ، وهذا قول الأخفش . وقال الزجاج : وهو منصوب على التمييز . التماس : قول الأخفش أولى لأنه مشتق من فعل فالصدر أولى به . والشيب غائلة الشعر الأبيض الأسود .

الثالثة - قال العلماء : يستحب لله أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخشوع ، لأن قوله تعالى : « وَهَنَ الْقَوْمُ مِنِّي » إظهار للخضوع . وقوله : « وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا » إظهار لمادات تفضله في إجابته أذنيه ؛ أي لم أكن بدعائي إياك شقيا ، أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك ؛ أي إنك عودتي الإجابة فيما مضى . يقال : شقي بكذا أي تب فيه ولم يحصل مقصوده . وعن بعضهم أن محتاجا سأل وقال : أنا الذي أحسنت إليه في وقت كذا ، فقال : مرحبا بمن توسل بنا إليك ، وقضى حاجته .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنِّي وَرَأَيْتُ أَصْرَارِي عَاقِرًا فَتَبَّ لِي مِن لَّدُنكَ وَيًّا ﴾ فيه سبع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : « وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ » قرأ عثمان بن عفان وعمر بن عبد الله بن الحسين رضي الله تعالى عنهما ويحيى بن عيسى « خِفْتُ » ففتح الحاء ، وتشديد الفاء وكسر التاء وسكون الياء من « الموالى » لأنه في موضع رفع « بحفت » ومعناه انقطعتم بالموت . وقرأ الباقون : « خِفْتُ » بكسر الحاء وسكون الفاء ، وضم التاء ونصب الياء من « الموالى » لأنه

في موضع نصب به «خفت» . و «الموال» هنا الأقارب وبنوالم والمصبة الذين يلونه في النسب . والمرب تسمى بنوالم الموالى؛ قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

مَهَلًا نَبِيَّ عَمَّا مَهَلًا مَوَالِيًا • لَا تَنْشُؤُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدُونًا

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : خاف أن يرثوا ماله وأن يرثه الكلالة فأشفق أن يرثه غير الولد . وقالت طائفة : إنما كان مواليه مهملين للدين يخاف بموته أن يضيع الدين ، فطلب وليا يقوم بالدين بعده ؛ حكى هذا القول الزجاج ؛ وعليه فلم يرث من يرث ماله ؛ لأن الأنبياء لا تورث . وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية ، وأنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثته العلم والنبوة لا وراثته المال ؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
 «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركا صدقة» وفي كتاب أبي داود : «إن النساء وريثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم» . وسيأتي في هذا مزيد بيان عند قوله : «يرثي» .

الثانية — هذا الحديث يدخل في التفسير المستند ؛ لقوله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وعجاجة عن قول زكريا : «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثَنِي وَرِثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» وتخصيص العموم في ذلك ، وأن سليمان لم يرث من داود مالا خلفه داود بعده ؛ وإنما ورث منه الحكمة والعلم ، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب ؛ هكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض ، وإلا ما روى عن الحسن أنه قال : «يرثي» مالا «ويرث من آل يعقوب» النبوة والحكمة ؛ وكل قول يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو مدفوع مہجور ؛ قاله أبو عمر . قال ابن عطية : والأكثر من المفسرين على أن زكريا إنما أراد وراثته المال ؛ ويحتمل قول النبي صلى الله عليه وسلم : «إنا معشر الأنبياء لا نورث» ألا يريد به العموم ، بل على أنه غالب أمرهم ؛ فأنمله . والأظهر الألبق بزكريا عليه السلام أن يريد وراثته العلم والدين ، فتكون الوراثة مستمارة . ألا ترى أنه لما طلب وليا ولم يخصص ولدا بلغه الله تعالى أسأله على أكل الوجوه . وقال أبو صالح وغيره : قوله «من آل يعقوب» يريد العلم والنبوة .

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي طالب ؛ وهو من شعراء بني هاشم بن عبد مناف .

الثالثة - قوله تعالى : ( **مَنْ رَأَى** ) قرأ ابن كثير بالمة والمهمز وفتح الياء . وعنه أنه قرأ أيضا مقصورا مفتوح الياء مثل عصا . الباقون بالمهمز وولدة وسكون الياء . والقراء على قراءة « خفت » مثل نيت إلا ما ذكرنا عن عثمان . وهي قراءة شاذة بعيدة جدا ، حتى زعم بعض العلماء أنها لا تجوز . قال كيف يقول : **خَفَّتِ المَوَالِي مِنْ** بعيدى أى من بعد موتى وهو حى ؟ ! . النحاس : والتأويل لما ألا يفتى بقوله : « من رأى » أى من بعد موتى ، ولكن من رأى في ذلك الوقت ؛ وهذا أيضا بعيد يحتاج إلى دليل أنهم خفوا في ذلك الوقت وقلوا ، وقد أخبر الله تعالى بما يدل على الكثرة حين قالوا : « أيهم يكفل مريم » . ابن عطية : « من رأى » من بعيدى في الزمن ، فهو وراء على ما تقدم في « الكهف » .

الرابعة - قوله تعالى : ( **وَكَاَنَتِ أَمْرَأَتَايَ عَاقِرًا** ) أمرأته هي إشباع بنت فاقودا ابن قبيل ، وهي أخت حنة بنت فاقودا ؛ قاله الطبري . وحنة هي أم مريم حسب ما تقدم في « آل عمران » <sup>(٢)</sup> بيانه . وقال القتيبي : امرأة زكريا هي إشباع بنت عمران ، فعل هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى عليهما السلام على الحقيقة . وعلى القول الآخر يكون ابن خالة أمه . وفي حديث الإمراء قال عليه الصلاة والسلام : « **فَلَقِيتُ آجِنِي الْخَالَةَ يَحْيَى وَمَعِي** » <sup>(٣)</sup> شاهدا للقول الأول ، والله أعلم . والعاقرة التي لا تلد لكبر سنها ؛ وقد مضى بيانه في « آل عمران » . <sup>(٤)</sup> والعاقرة من النساء أيضا التي لا تلد من غير كبر . ومنه قوله تعالى : « **وَيَحْمِلُ مِنْ نَسَاءٍ عَقِيًّا** » . وكذلك العاقرة من الرجال ؛ ومنه قول عامر بن الطفيل :

لبس الفتى إن كنتُ أعورَ عاقراً • جيانا فإعذري لَدَى كُلِّ مُحَضَّرٍ

الخامسة - قوله تعالى : ( **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا** ) سؤال ودعاء . ولم يصرح بولد لما علم من حاله وبعده عنه بسبب المرأة . قال قتادة : جرى له هذا الأمر وهو ابن بضع وسبعين سنة . مقاتل : خمس وتسعين سنة ؛ وهو أشبه ؛ فقد كان غلب على ظنه أنه لا يولد له لكبره ؛ ولذلك قال : « **وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** » . وقالت طائفة : بل طلب الولد ،

(١) راجع ص ٣٤ وما بعدها من هذا الجزء . (٢) راجع ص ٤٥ ص ٦٥ طيبة أول أرثانية .

(٣) المراد بالقول الأول هنا قول القتيبي . (٤) راجع ص ٤٥ وما بعدها طيبة أول أرثانية .

ثم طلب أن تكون الإجابة في أن يعيش حتى يرثه، تحفظاً من أن تقع الإجابة في الولد ولكن يُحْتَرَم، ولا يحصل منه الغرض .

السادسة - قال العلماء : دعاء زكريا عليه السلام في الولد إنما كان لإظهار دينه، وإحياء نبوته، ومضاعفة لأجره لا للدنيا، وكان ربه قد عزده الإجابة، ولذلك قال : « وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا »، أي بدعائي إليك . وهذه وسيلة حسنة؛ أن يُشْفَعَ إليه بنعمه، يستتر فضله بفضلها؛ روى أن حاتم الجلود لقيه رجل فسأله؛ فقال له حاتم: من أنت؟ قال: أما الذي أحسنت إليه عام أول؟ فقال : مرحبا بمن تشفع لي يا ربنا . فإن قيل : كيف أقدم زكريا على مسألة ما يخرق العادة دون إذن؟ فالجواب أن ذلك جائز في زمان الأنبياء . وفي القرآن ما يكشف عن هذا المعنى؛ فإنه تعالى قال : « كَلَّمَا دَخَلَ طَلِيًّا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » فلما رأى خارق العادة استحسك حلمه في إجابة دعوه؛ فقال تعالى : « هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً » الآية .

السابعة - إن قال قائل : هذه الآية تدل على جواز الدعاء بالولد، والله سبحانه وتعالى قد حذرنا من آفات الأموال والأولاد، ونبه على المفاسد الناشئة من ذلك؛ فقال : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » . وقال : « إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَآخِذُوا بِهِمْ » . فالجواب أن الدعاء بالولد معلوم من الكتاب والسنة حسب ما تقدم في « آل عمران » بيانه . ثم إن زكريا عليه السلام تحرز فقال : « ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً » وقال : « وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » . والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج من حد العداوة والعنة إلى حد المسرة والنعمة . وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة خادمه فقال : « اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَالِهِ وَلَدُهُ وَابْنُكَ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ » فدعا له بالبركة تحريزا مما يؤتى إليه الإكثار من الملكة . وهكذا فيتضرع العبد إلى مولاه في هداية ولده، ونجاة في أولاده وأخراه أفتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأفضلاء؛ وقد تقدم في « آل عمران »<sup>(٢)</sup> بيانه .

(١) راجع ج ٧٢ وما بعدها طيبة أمارة . (٢) راجع ج ٤ ص ٧٢ طيبة أمارة .

قوله تعالى : ( يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ) فيه أربع مسائل .

الأولى - قوله تعالى : « يَرْثِي » قرأ أهل الحرمين والحسن وعاصم وحمة « يَرْثِي وَيَرِثُ » بالرفع فيهما . وقرأ يحيى بن يسر وأبو عمرو ويحيى بن وثاب والأعشى والكسائي بالجرم فيهما ، وليس هما جواب « هب » على مذهب سيويه ، إنما تقديره إن تهبه يرثي ويرث ، والأول أصوب في المعنى لأنه طلب وارثا موصوفاً أي هب لي من ذلك الول الذي هذه حاله وصفته ، لأن الأولياء منهم من لا يرث ، فقال : هب لي الذي يكون وارثاً ، قاله أبو عبيد ، وزعم قراءة الجزم ، قال : لأن مماء إن وهبت وراثت ، وكيف ينجر الله عز وجل بهذا وهو أعلم به منه ؟ ! الحاس : وهذه حجة متقصاة ، لأن جواب الأمر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة ، نقول : أطلع الله يدخلك الجنة ، أي إن نطعمه يدخلك الجنة .

الثانية - قال النحاس : فأما معنى « يرثي ويرث من آل يعقوب » فلهلما فيه ثلاثة أجوبة ، قيل : هي وراثة نبوة . وقيل : هي وراثة حكمة . وقيل : هي وراثة مال . فأما قولهم وراثة نبوة فقال ؛ لأن النبوة لا تورث ، ولو كانت تورث لقال قاتل : الناس ينسبون إلى نوح عليه السلام وهو نبي مرسل . ووراثة العلم والحكمة مذهب حسن ، وفي الحديث « العلماء وراثتنا الأنبياء » . وأما وراثة المال فلا يمتنع ، وإن كان قوم قد أنكروه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تورث ما تركنا صدقة » فهذا لاجتماع فيه ؛ لأن الواحد ينجر عن نفسه بإختيار الجمع . وقد يؤول هذا بمعنى : لا تورث الذي تركناه صدقة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلف شيئاً يورث عنه ؛ وإنما كان الذي أباحه الله عز وجل إياه في حياته بقوله تبارك اسمه : « وَأَمْلُوا أَمْثًا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ نَحْمُهِ وَلِلرَّسُولِ » لأن معنى « لله » لسبيل الله ، ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام حياً ، فإن قيل : ففي بعض الروايات « إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة » ففيه التاويلان جميعاً ، أن يكون « ما » بمعنى الذي . والآخرة لا يورث من كانت هذه حاله . وقال أبو عمر : واختلف العلماء في تأويل قوله عليه السلام : « لا تورث ما تركنا صدقة » على قولين : أحدهما - وهو

الأكثر عليه الجمهور - أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث وما ترك صدقة . والآخر - أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يورث ؛ لأن الله تعالى خصه بأن جعل ماله كله صدقة زيادة في فضيلته ، كما خُص في الكناج بأشياء . إباحها له وحرما على غيره ؛ وهذا القول قاله بعض أهل البصرة منهم ابن علية ، وسائر علماء المسلمين على القول الأول .

الثالثة - قوله تعالى : « مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » قيل : هو يعقوب إسرائيل ، وكان زكريا متزوجا بأخت مريم بنت عمران ، ويرجع نسبها إلى يعقوب ؛ لأنها من ولد سليمان بن داود وهو من ولد يسوفا بن يعقوب ، وزكريا من ولد هرون أخت موسى ، وهرون وموسى من ولد لاوى بن يعقوب ، وكانت النبوة في سبط يعقوب بن إسحق . وقيل : المعنى بـيعقوب هاهنا يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان أبي مريم أخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام ؛ لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان ، وبنو ماثان رؤساء بني إسرائيل ؛ قاله مقاتل وغيره . وقال الكلبي : وكان آل يعقوب أخواله ، وهو يعقوب بن ماثان ، وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هرون بن عمران أخت موسى . وروى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله - تعالى - زكريا ما كان عليه من ورثته » . ولم ينصرف يعقوب لأنه أعجمي .

الرابعة - قوله تعالى : « وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا » أى مرضيا في أخلاقه وأفعاله . وقيل : راضيا بقضائك وقدرك . وقيل : رجلا صالحا ترضى عنه . وقال أبو صالح : نينا كما جعلت آباء نينا .

قوله تعالى : ( يَازْكَرِيَا ) في الكلام حذف ؛ أى فاستجب الله دعاءه فقال : ( يَازْكَرِيَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ) فضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء : أحدها - إجابة دعائه وهى كرامة . الثانى - إعطاؤه الولد وهو قوة . الثالث - أن يفرد بتسميته ؛ وقد تقدم معنى تسميته في « آل عمران » . وقال مقاتل : سماه يحيى لأنه حي بين أب شيخ وأم عجوز ؛ وهذا فيه نظير لما تقدم من أن امرأته كانت عقيلا لا تلد . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي لم نسم أحدا قبل يحيى بهذا الاسم ، قاله ابن عباس وفائدة وإن أسلم والبدى . ومن عليه تعالى بأن لم يجعل تسميته إلى الأبوين . وقال مجاهد وغيره : « سَمِيًّا » معناه مثلا ونظيرا ، وهو مثل قوله تعالى : « مَنْ تَعَلَّمَ لَهْ سَمِيًّا » معناه مثلا ونظيرا كأنه من المسامة والسو ؛ وهذا فيه بعد ؛ لأنه لا يفصل على إبراهيم وموسى ؛ اللهم إلا أن يفضل في خاص كالسودد والحصر حسب ما تقدم بيانه « في آل عمران » . وقال ابن عباس أيضا : معناه لم تلد الواقرة مثله ولدا . وقيل : إن الله تعالى اشترط القبل ، لأنه أراد أن يخلف بعده أفضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم . وفي هذه الآية دليل وشاهد على أن الاسمى السبع <sup>(١)</sup> جدية بالآخرة ، وإياها كانت العرب تسمى لكونها أنبى وأزهر عن النبز حتى قال قائل :

سَمُّعُ الْأَسْمَى سُبَيْلُ أَرْو • حُمُرُ تَمَسُّ الْأَرْضَ بِالْغُدُبِ

وقال رؤبة للنسابة الكبرى وقد سألته عن نسبه : أأ ابن القبايح ؛ فقال : قَصُرَتْ وَعَرِفَتْ .

قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أُنْزِلْ لِي غُلَامًا﴾ ليس على معنى الإنكار بل أخبر الله تعالى به ، بل على سبيل التعجب من قدرة الله تعالى أن يخرج ولدا من امرأة عاقر وشيخ كبير . وقيل : غير هذا مما تقدم في « آل عمران » بيانه . ﴿وَقَدْ لَقِيتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يعني النهاية في الكبر واليبس والجفاف ؛ ومثله العيسى ؛ قال الأصمعي : « شَأُ الشَّيْءِ يَمُوتُ عُسُورًا وَعَسَاءَ مَحْدُودِ أَيِ يَبْسُ وَهَلْبُ ، وقد عا الشيخ يَمُوتُ عِتِيًّا وَلَوْ كَبِرَ مِثْلَ عَتَا ، يقال : عَتَا الشَّيْخُ يَمُوتُ عِتِيًّا وَعِتِيًّا كَبِرَ وَلَوْ ، وعَتَوْتُ يَا مُلَانُ تَمُوتُ عَتَوًا وَعِتِيًّا . والأصل عَتُوٌّ لَأَنَّهُ مِنْ ذُرَاتِ الْوَاوِ ، فَأَبْدَلُوا مِنَ الْوَاوِ يَاءَ ، لِأَنَّهُمَا اخْتَبَرَا وَهِيَ أَخَفُّ مِنْهَا ، وَالْآبَاتُ عَلَى الْيَاءِ ، وَمِنْ قَالَ : عِتِيًّا » . كره الضمة مع الكسرة والياء ؛ وقال الشاعر :

إِنَّمَا يُسَدِّرُ الْوَلِيدُ وَلَا يُد • دَرُّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ عِتِيًّا



وقرأ ابن عباس «عصياً» وهو كذا في مصحف أبي. وقرأ يحيى بن وثاب وجماعة والكسائي وحفص «عينا» بكسر العين وكذلك «جثيا» و «مليا» حيث كن. وضم حفص «يخيا» خاصة، وكذا الباقر في الجميع، وهما لفتان. وقيل: «عينا» قيساً؛ قال: ملك نابت إذا كان قامى القلب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أى قال له الملك «كذلك قال ربك» والكاف في موضع رفع؛ أى الأمر كذا؛ أى كما قيل لك: «هو على هين». قال القرطبي: خلقه على هين. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أى من قبل يحيى. وهذه قراءة أهل المدينة والبصرة وطاجم. وقرأ سائر الكوفيين «وَقَدْ خَلَقْنَاكَ» بنون والفتح بالجمع على العظيم. والقراءة الأولى أشبه بالسواد. ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أى كما خلقك الله تعالى بعد الدم ولم تكن شيئاً موجوداً، فهو القادر على خلق يحيى وإعادة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ طلب آية على حملها بعد بشارة الملائكة إياه، وبعد قوله تعالى: «وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» زيادة طمأنينة؛ أى تم النعمة بأن تجعل لي آية، وتكون تلك الآية زيادة نعمة وكرامة. وقيل: طلب آية تدله على أن البشرى منه يحيى لا من الشيطان، لأن إبليس أودعه ذلك. قال الضحاك وهو معنى قول السدي؛ وهذا فيه نظر لإخبار الله تعالى بأن الملائكة نادته حسب ما تقدم في «آل عمران». ﴿قَالَ آيَاتُكَ الْأُنْكُمُ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ تقدم في «آل عمران» بيانه فلامنى للإعادة. قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْقُرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: «تَخْرُجُ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْقُرَابِ» أى أشرف عليهم من المصل. والمغرب أرفع المواضع، وأشرف المجالس، وكانوا يفتنون المحارب فيما أرفع من الأرض؛ دليله محراب داود عليه السلام على ما يأتى. واختلف الناس في اشتقاقه؛ فقالت فرقة:

هو ماخوذ من الحرب كأن ملازمه يحارب الشيطان والشهوات . وقالت فرقة : هو ماخوذ من الحرب (فتح الراء) كأن ملازمه يلقي منه حربا وتبنا ونصبا .

التائبة - هذه الآية تدل على أن ارتضاع إمامهم على المأمومين كان مشروعا عندهم في صلاتهم . وقد اختلف في هذه المسئلة فقهاء الأصهار ، فأجاز ذلك الإمام أحمد وفيه منسكا بقصة المنبر . ومنع مالك ذلك في الارتضاع الكثير دون اليسير ، وعَلَّ أصحابه المنع بخوف الكبر على الإمام .

قلت : وهذا فيه نظري وأحسن ما فيه ما رواه أبو داود عن همام أن حذيفة أم الناس بالمدين على دكان ، فأخذ أبو مسعود بقميصه فجذبه ، فلما فرغ من صلاته قال : ألم تعلم أنهم كانوا يهون عن هذا - أو - يُنهي عن ذلك ! قال : بلى ، قد ذكرت حين مددني . وروى أيضا عن عدي بن ثابت الأنصاري قال : حدثني رجل أنه كان مع عمار بن ياسر بالمدين ، فأقيمت الصلاة فتقدم عمار بن ياسر ، وقام على دكان يصل والناس أسفل منه ، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه فاتبعه عمار حتى أنزله حذيفة ، فلما فرغ عمار من صلاته ، قال له حذيفة : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا تم الرجل القوم فلا يقيم في مكان أرفع من مقامهم » أو نحو ذلك ؟ فقال عمار : لتلك انتبطت حين أخذت على يدي .

قلت : فهؤلاء ثلاثة من الصحابة قد أخبروا بالنهي عن ذلك ، ولم يحتج أحد منهم على صاحبه بحديث المنبر فدل على أنه منسوخ . وبما يدل على نسخه أن فيه عملا زائدا في الصلاة ، وهو النزول والصعود ، فنسخ كما نسخ الكلام والسلام . وهذا أول ما اعتذر به أصحابنا من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الكبر ؛ لأن كثيرا من الأئمة يوجد لا كبر عندهم . ومنهم من علله بأن ارتضاع المنبر كان يسيرا ، والله أعلم .

قوله تعالى : « قَاوُوا إِلَهُم أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا » قال الكلبي وقائدة وابن منه : أوسى إليهم أشار . الثقيبي : أوما . مجاهد : كتب على الأرض . عكرمة : كتب في كتاب . والوسى في كلام العرب الكتابة ؛ وصته قول ذي الرمة :

سوى الأربع الدُّمَّ اللّوَانِي كَأَنَّهَا \* قَبِيَّةٌ وَحْيِي فِي بَطْنِ الصَّنَائِفِ

وقال عنترة :

كُوجِي صَنَائِفٍ مِنْ عَهْدِ كَسْرَى • فَأَمْلَاهَا لِأَعْجَمِ طَبِطَيْسِي<sup>(١)</sup>

و « بكزة وعشيا » ظرفان . وزعم النفران أن العشي يؤث ويحور تذكره إذا أبهت ؛ قال :  
وقد يكون العشي جمع عشية .

الرابعة - قد تقدم الحكم في الإشارة في « آل عمران » . واختلف ملأؤنا قمن حلف  
الايكلم إنسانا فكتب إليه كتابا ، أو أرسل إليه رسولا ؛ فقال مالك : إنه يبحث إلا أن ينوى  
مشافهته ، ثم رجع فقال : لا ينوى في الكتاب ويبحث إلا أن يرتفع الكتاب قبل وصوله .  
قال ابن القاسم : إذا قرأ كتابه حنت ، وكذلك لو قرأ الحالف كتاب المحلوف عليه . وقال  
أشهب : لا يبحث إذا قرأه الحالف ؛ وهذا بين ؛ لأنه لم يكلمه ولا ابتدأه بكلام ، إلا أن يريد  
ألا يعلم معنى كلامه فإنه يبحث وعليه يخرج قول ابن القاسم . فإن حلف ليكلمته لم ير إلا  
بشافهته ، وقال ابن الساجشون : وإن حلف لئن علم كذا ليُكَلِّمَنِي أو ليُخْبِرَنِي فكتب إليه  
أو أرسل إليه رسولا برًّا ، ولو علمه جيمًا لم ير ؛ حتى يُكَلِّمَهُ لأنَّ صِلَهُمَا مختلف

الخامسة - وأُتِفِقَ مالك والشافعي والكوفيون أن الأخرس إذا كتب الطلاق بيده  
لزمه ؛ قال الكوفيون : إلا أن يكون رجل أُصِيبَتْ أَيْمَانُهُ فكتب لم يَزِمْنِ ذَلِكَ شَيْءٌ . قال  
الطحاوي : الأخرس مخالف للصمت العارض ، كما أن المجز عن الجماع العارض لمرض ونحوه  
يوما أو نحوه مخالف للمجز المايوس منه الجماع ، نحو الجنون في باب خيار المرأة في الفرقة .  
قوله تعالى : ( يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ) في الكلام حذف ؛ المعنى قوله له ولد وقال الله  
تعالى للولد : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » . وهذا اختصار يدل الكلام عليه . و « الكتاب »  
التوراة بلا خلاف . « بقوة » أى يجهد واجتهاد ؛ قاله مجاهد . وقيل : العلم به ، والحفظ له  
والعمل به ، وهو الالتزام لأوامره ، والكف عن نواهيه ؛ قاله زيد بن أسلم ؛ وقد تقدم

(١) طططسي : الأعمى الذي لا يفتح . (٢) رابع ج ٤ ص ٨١ طبة أول أرتانية .

في « البقرة » . ( وَأَيُّهَا الْحَكَمُ صَبِيًّا ) قيل : الأحكام والمعرفة بها . وروى معمر أن الصبيان قالوا ليحيى : أذهب بنا نلعب ، فقال : ما للعب خلقت . فأنزل الله تعالى « وَأَيُّهَا الْحَكَمُ صَبِيًّا » . وقال قتادة : كان ابن سكتين أو ثلاث سنين ، وقال مقاتل : كان ابن ثلاث سنين . و« صبا » نصب على الحال . وقال ابن عباس : من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو من أولي الحكم صبا . وروى في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا » . وقال قتادة : إن يحيى عليه السلام لم يمض الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بأمرأة . وقال مجاهد : وكان طمام يحيى عليه السلام النشوب ، وكان للنشوب في خديه مجار ثابتة . وقد مضى الكلام في معنى قوله : « وَيَسَيِّدًا وَحَصُورًا » في « آل عمران » .

قوله تعالى : « وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا » « حنانا » عطف على « الحكم » . وروى عن ابن عباس أنه قال : واقع ما أدري ما « الحنان » ؟ . وقال جمهور المفسرين : الحنان الشفقة والرحمة والمحبة ؛ وهو فعل من أفعال اللبس . النحاس : وفي معنى الحنان عن ابن عباس قولان : أحدهما - قال : تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة . والقول الآخر ما أعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشرك . وأصله من حنين الناقة على ولدها . ويقال : حنانك وحنانك ؛ قيل : هما لتان بمعنى واحد . وقيل : حنانك شئنة الحنان . وقال أبو هيدة : والعرب تقول : حنانك يا رب وحنانك يا رب بمعنى واحد ؛ تريد رحمتك . وقال امرؤ القيس :

وَيَمْنَحُهَا بَشُو تَمَجِّي بَنِ بَرِّم • مُبَيِّزُهُمْ حَنَانُكَ ذَا الْحَنَانِ

وقال طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أُنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضًا • حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضٍ

وقال الزعزعي : « حنانا » رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفًا وشفقة ؛ وأنشد سيبويه :

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بَكَ هَاهُنَا • أَذُو كَسِبَ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ

(١) راجع - ١ ص ٤٣٧ طبع أول أو ثانية .

(٢) راجع - ٤ ص ٨٦ حبة أول أو ثانية .

(٣) حنانك ذا الحنان ) معناه : رحمتك يا رحمن .

قال ابن الأعرابي : الحنان من صفة الله تعالى مشدداً الرحيم ، والحنان مخفف : العطف والرحمة . والحنان : الرزق والبركة . ابن عطية : والحنان في كلام العرب أيضاً ما عظم من الأمور في ذات الله تعالى ؛ ومنه قول زيد بن عمرو بن نُقيل في حديث بلال : والله لئن قُتِمَ هذا العبد لأتخذن قبره حُتاً ؛ وذكر هذا الخليل المحروى ؛ فقال : وفي حديث بلال وصر عليه ورقة بن نوفل وهو يغلب فقال : والله لئن قُتِمَوه لأتخذنه حُتاً ؛ أى لأتمسكن به . وقال الأزهري : مناه لأتطفن عليه ولأترحم عليه لأنه من أهل الجنة .

قلت : فالحنان العطف ، وكذا قال مجاهد . و « حننا » أى تعطفنا منا عليه أو منه على الخلق ؛ قال الخطيب :

تَمَنَّ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِكُ « فَإِنْ لَكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

عُكْرَمَة : محبة . وَحَنَّهُ الرَّجُلُ أَمْرَهُ لِنَوَادِمِهِ ؛ قال الشاعر :

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَى بَكَ هَامَا « أَفَوَسَّيْتُ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَادَفُ

قوله تعالى : ﴿ وَزَكَاةً ﴾ « الزكاة » التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر ؛ أى جعلناه مباركاً للناس يهديهم . وقيل : المعنى زكيتاه بحسن الثناء عليه كما تركى الشهود إنساناً . وقيل : « زكاة » صدقة به على أبيه ؛ قاله ابن قتيبة . ﴿ وَكَانَ نَجِيًّا ﴾ أى مطيباً لله تعالى ، ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يُلْمَ بها .

قوله تعالى : ﴿ وَرَبًّا يَرْزُقُ ﴾ البر بمعنى البار وهو الكثير الإحسان . و « جباراً » متكبراً . وهذا وصف ليحيى عليه السلام بين الجانب وخفض الجناح .

قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ قال الطبري وغيره : مناه أمان . ابن عطية : والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة فهي أشرف وأنبه من الأمان ؛ لأن الأمان متحصل له بنى العصيان عنه وهى أقل درجاته ، وإنما الشرف في أن سلم الله عليه ، وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله تعالى عظيم الحول .

قلت : وهذا قول حسن ، وقد ذكرنا معناه عن صفوان بن عينة في سورة « سبحان »  
عند قول يحيى . وذكر الطبري عن الحسن أن عيسى ويحيى النجيا — وهما آباؤا الثلاثة — فقال  
يحيى لعيسى : أَدْعِ الله لي فأت خير مني ، فقال له عيسى : بل أنت ادع الله لي فأت خير مني ؛  
سلم الله عليك وأنا سلمت على نفسي ؛ فاترع بعض العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى ؛  
فإن قال : إلاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله تعالى التي اقتضت ذلك حين قرروا حكمي  
في حكم التزويل أعظم في الميزة من أن يسلم عليه . قال ابن عطية : ولكل وجه .

قوله تعالى : **وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ٦٦ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ٦٧** **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَفِيًّا ٦٨**  
**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ٦٩** **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ**  
**لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٧٠** **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ**  
**هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٧١**  
**فَحَمَلْنَاهُ فَاتَّخَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٧٢** **فَأَجَاءَهَا الْمَخاضُ إِلَيْهَا جَلْعًا**  
**النَّخْلَةَ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا ٧٣** **فَنَادَاهَا**  
**مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٧٤** **وَهَرَجَتْ إِلَيْكَ**  
**يَجِدُكَ النَّخْلَةُ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٧٥** **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي**  
**عَيْنًا فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ**  
**أَكْلِمَ الْيَوْمَ نِسَاءً ٧٦**

قوله تعالى : ( وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ) القصة إلى آخرها . هذا ابتداء لفظة (كِتَاب) من الأولى . والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، أى عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتها . ( إِذْ أَنْبَأَتْ ) أى تحت وتباعدت . والنبد الطرح والرمى ، قال الله تعالى : « قَبْلَهُ وَرَأَاهُ عَلَيْهِمْ » . ( مِنْ أَهْلِهَا ) أى من كان معها . و « إِذ » بدل من « مريم » بدل اشكال . لأن الأحيان شاملة على ما فيها . والانتفاء الاعتزال والاختفاء . واختطف الناس لم أنبئت ، فعزل السدى : أنبئت لظهور من حيز أو غاس . وقال غيره : تبعذ الله ؛ وهذا حسن . وذلك أن مريم عليها السلام كانت وقفا على سداثة المعبود وخدمته والعبادة فيه ، فتحت من الناس لذلك ، ودخلت في المسجد إلى جانب المحراب في شرقه لتخلو للعبادة ، فدخل عليها جبريل عليه السلام . فقوله : ( مَكَانًا شَرْقِيًّا ) أى مكانا من جانب الشرق . والشرق يسكن الرأه المكان الذى تشرق فيه الشمس . والشرق بفتح الراء الشمس . وإنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث تطلع الأنوار ، وكانت الجهات الشرقية من كل شيء أفضل من سواها ؛ حكاه الطبري . وحكى عن ابن عباس أنه قال : إني لأعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة ؛ لقول الله عز وجل : « إِذْ أَنْبَأَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا » فأتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة ؛ وقالوا . لو كان شيء من الأرض خيرا من المشرق لوضعت مريم عيسى عليه السلام فيه . واختطف الناس في نبوة مريم ؛ فقيل : كانت نية بهذا الإرسال والمحاورة للذك . وقيل : لم تكن نية وإنما كلمها مثال بشر ، ورؤيتها للذك كما رؤى جبريل في صفة دحية حين سؤاله عن الإيمان والإسلام . والأول أظهر . وقد مضى الكلام في هذا المعنى مستوفى في « آل عمران » والحمد لله .

قوله تعالى : ( فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ) قيل : هو روح عيسى عليه السلام ؛ لأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، فركب الروح في جسد عيسى عليه السلام الذى خلقه في بطنها . وقيل : هو جبريل وأضيف الروح إلى الله تعالى تخصيصا وكرامة . والظاهر أنه جبريل عليه

السلام عليه لليلة : ﴿ تَمَثَّلَ لَهَا ﴾ أى تمثل الملك لها . ( بَرَأ ) تسمير أو حال . ( سَوَاءً )  
 أى سَوِيٌّ باللفظ ؛ لأنها لم تكن لتطيق أو تنظر جبريل في صورته . ولما رأت رجلاً حسن  
 الصورة قد حُصِرَ البشر قد نزع عليها الحجاب ظنت أنه يريد بها بسوء . ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ  
 بِاللَّهِ مِنْكَ ﴾ أى من يتق الله . الْكِتَابُ : فكسب جبريل عليه السلام  
 قيثارة من ذكر الرحمن تبارك وتعالى . التلويح : كان رسلاً صالحاً فتوقفت به تسجداً . وقيل :  
 تلقى قيثارة بمعنى مفعول أى كنت ممن يتلقى منه . في البخاري قال أبو وائل : علمت مريم  
 أن النبي ذُو نَبِيٍّ حين قالت : « إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا » . وقيل : تلقى اسم جابر معروف في ذلك  
 الوقت ؛ قاله وهب بن منبه ؛ حكاه مكي وغيره . ابن عطية : وهو ضعيف ذاهب مع  
 النخعي . فقال لما جبريل عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ جل  
 اللمبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله . وقرأ ورش عن نافع « لَهَبَ لَكِ » على معنى  
 أرسلني الله لهيب لك . وقيل : متى « لَهَبَ » بالهمز محمول على المعنى ؛ أى قال :  
 أرسلته لأهَبَ لك . ويحتمل « لهيب » بلا همز أن يكون بمعنى الملهوز ثم خففت الهمزة .  
 فلما سمعت مريم ذلك من قوله استقصت عن طريقه . ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ  
 يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ أى بَشَرٌ . ﴿ وَلَمْ أَكُ نَبِيًّا ﴾ أى زانية . وذكر هذا تأكيداً ؛ لأن قولها  
 لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرام . وقيل : ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئاً ولكن  
 أرادت كيف يكون هذا الولد ؟ من قبل الزوج في المستقبل أم يخلق الله ابتداء ؟ وروى أن  
 جبريل عليه السلام حين قال لها هذه القالة ففزع في جيب درعها وكفها ؛ قاله ابن جرير .  
 ابن عباس : أخذ جبريل عليه السلام ودن فبصا بإصبعه ففزع فيه فحملت من ساعتها ببسب .  
 قال الطبري : وزعمت النصارى أن مريم حملت ببسب ولما ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش  
 إلى أن رفع اثنين وثلاثين سنة وأياماً ، وأن مريم بقيت بعد وضعه ست سنين ، فكان جمع عمرها  
 نيفاً وخمسين سنة . وقوله : ﴿ وَلَنَجْهَنَّ ﴾ متعلق بمجنون ؛ أى ونخلفه ليجعله : ﴿ آيَةً ﴾  
 دلالة على قدرتنا عجيبة ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن آمن به . ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ مقدراً في اللوح مسطوراً .



قوله تعالى : ﴿ فَأَتَيْنَاهُ فِي الْمَكَاةِ كَيْفًا ﴾ أى تحت بالحمل إلى مكان بعيد؛ قال ابن عباس : إلى أقصى الوادى ، وهو وادى بيت لحم بينه وبين ليلاه أربعة أميال ؛ وإنما عدت فرارا من تمييز قومها إياها بالولادة من غير زوج . قال ابن عباس : ما هو إلا أن حلت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر ؛ لأن الله تعالى ذكر الاقتاذ عقب الحمل . وقيل : غير ذلك على ما يأتي .

قوله تعالى : ﴿ فَأَتَيْنَاهُ الْخِثَّاسُ إِلَىٰ بَيْتِ الْحَيْلِ ﴾ «اجتماع» اضطرها ؛ وهو تحدي جاء بالحمل . يقال : جاء به وأجاءه إلى موضع كذا ؛ كما يقال : ذهب به وأذهب . وقرأ شبل ورويت عن عاصم « فاحسها » من المفاجأة . وفي مصحف أبي « فلما أجاءها الخثاس » . وقال زهير :

وَجَاءَ سَلَوَ مُتَمَدًّا إِلَيْهَا . أَجَاءَهُ الْخِثَّاسُ وَالرَّجَاءُ

وقرأ الجمهور « الخثاس » بفتح الخيم . وابن كثير فيها روى عنه بكسرهما وهو الطلق وشدة الولادة وأوجاعها . تحضت المرأة تخض تخاضا وتخاضا . وثقة ماخض أين دنا ولادها . « إلى بَيْتِ الْحَيْلِ » كأنها طلبت شيئا تستند إليه وتتعلق به ، كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق . والمخضع ساق الخنقة اليابسة في الصحراء الذى لا سقف عليه ولا غصن ؛ ولما لم يقل إلى الخنقة . ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ تمنى مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين : أحدهما — أنها خافت أن يظن بها الشر في دينها وتبريقيتها ذلك . الثاني — لتلايق قوم يسيبها في البهتان والنسبة إلى الزنى وذلك مهلك . وعلى هذا الحد يكون تمنى الموت جائزا ، وقد مضى هذا المعنى ميتا في سورة « يوسف » عليه السلام . والحمد لله .

قلت : وقد سمعت أن مريم عليها السلام سمعت نداء من يقول : أخرج يا من يبيد من دون الله غرنت لذلك ، و﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نِيًّا مَنِيًّا ﴾ . النفس في كلام العرب الشيء الحقيق الذى شأنه أن يضي ولا يتألم لفقده كالولد والحبل للسافر ونحوه .

رواه عنه عليه السلام . " لعل شقة رداء (ثياب زينة) من ثيابي تذهب راحة رجلي " .  
وحكى عن العرب أنهم إذا أرادوا الرجل عن منزل قالوا : أحفظوا أنساءكم ؛ الأنساء جمع  
نسي وهو الشيء الخفيف يغفل فينسى . ومنه قول الكبيت رضى الله تعالى عنه :  
جفأنا نسي

انجعلنا جسراً للكب قصاعة . ولست بنسي في معد ولا دحل

وقال الفراء : النسي ما تقيه المرأة من تحرق أعتلاها ؛ فقول مريم : « نسيأ منيا » أى حيضة  
ملقاة . - وقرئ « نسيأ » بفتح النون وهما لغتان مثل الججر والمججر والوثر والوثر . وقرأ محمد بن  
كعب القرظي بالهمز « نسيأ » بكسر النون . وقرأ يوف اليكالي « نسيأ » بفتح النون من نسا  
الله تعالى في آجله أى آخره . وحكاها أبو الفتح وللأئمة عن محمد بن كعب . وقرأ بكر بن حبيب  
« نسيأ » بتشديد السين وقح النون دون همز . وقد حكى الطبري في قصصها أنها لما حملت  
بعيسى عليه السلام حملت أيضا أختها يحيى ، فباعتها زاترة فقالت : يا مريم أشعرت  
أنت أنى حملت ؟ فقالت لها : وإنى أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك ؛ فذلك أنه روى  
أنها أحسبت يمينها يمر برأسه إلى ناحية بطن مريم ؛ قال السدي فذلك قوله : « مُصَدِّقًا  
يَكَلِّمُهُ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » . وذكر أيضا من قصصها أنها خرجت  
فازة مع رجل من بني إسرائيل يقال له يوسف النجار ، كان يخدم معها في المسجد وطول  
في ذلك ؛ قال الكلبي : قيل ليوسف - وكانت سميت له أنها حملت من الرزق - فالآن يقتلها  
الملك ، فهرب بها ، فهم في الطريق يقتلها ، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : إنه من روح  
القدس ؛ قال ابن عطية : وهذا كله ضعيف . وهذه القصة تقتضى أنها حملت ، وأستترت  
حاملًا على عرف النساء ، وتظاهرت الروايات بأنها ولدت ثمانية أشهر . قاله عكرمة ، ولذلك  
قيل : لا يعيش ابن ثمانية أشهر حفظًا لمخاض عيسى . وأُقبل : ولدت تسعة . وقيل : لسته .  
وما ذكرناه عن ابن عباس أصح وأظهر . والله أعلم .

قوله تعالى : ( فَتَدَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ) قرئ بفتح الميم وكسرهما . قال ابن عباس : المراد  
« من » جبريل ، ولم يتكلم عيسى حتى أتته قومها ؛ وقاله علقمة والضحاك وقنادة ؛ فنى  
هذا لما آية وأما أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد عظيم . وقوله :

(الْأَعْرَضَى) تفسير البناء ، « وَأَنْتَ » مفسرة بمعنى أى ، المعنى : فلا تحزنى بولادتك .  
 (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سِرًّا) بنى عيسى . والسرى من الرجال العظيم الخصال الدنيا . قال  
 الحسين : كان والله سرًّا من الرجال . ويقال : سرى فلان على فلان أى تكرم . وعلان  
 سرى من قوم سرّة . وقال الجمهور : أثار لها إلى الجدول الذى كان قريب جذع النخلة .  
 قال ابن عباس : كان ذلك نهرا قد انقطع مائه فأجراه الله تعالى لمريم . والنهر يسمى سِرًّا  
 لأن الماء يسرى فيه ، قال الشاعر :

سَلَّمَ تَرَى الْعَالِي مِنْهُ أَزْوَرًا . إِنْما يَجِبُ فِي السَّرَى هَرَمَرًا

وقال لبيد :

فَوَسَطًا عُرْشَ السَّرَى وَصَدًا . مَسْجُورَةً مُتَعَابِرًا قُلَامَهَا

وقيل : ناداه عيسى ، وكان ذلك معجزة وآية وتسكيناً لقلها ، والأول أظهر . وقرأ ابن عباس  
 « فناداه ملك بن تحيا » قالوا : وكان جبريل عليه السلام في بقعة من الأرض اخفض من  
 البقعة التي كانت هي عليها .

قوله تعالى : ( وَهَزَى إِلَيْكَ النُّخْلَ نَسِيطٌ عَلَيْكَ رُبًّا جَنًّا . فَكُفِّي وَأَنْزَرِي  
 وَتَرَى مَبْنًى ) فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : « وَهَزَى » أمرها بمن الجذع الباس لرى آية أخرى في إحياء  
 موات الجذع . والياء في قوله : « يَجْذَع » زائدة مؤكدة كما يقال : خذ الزمام ، وأصل بيدك ،  
 قال الله تعالى : « فَلْيَسُدُّ سَيْبَ إِلَى السَّمَاءِ » أى فليسد سببا . وقيل : المعنى ، وهزى إليك  
 رطباً على جذع النخلة . « وَنَسِيطٌ » أى نَسِيطٌ فادغم التاء في السين . وقرأ حمزة « نَسِيطٌ »  
 مخففاً لخلف التي أدغمها غيره . وقرأ عائش في رواية حفص « نَسِيطٌ » ضم التاء مخففاً  
 وكسر القاف . وقرأ « نَسِيطٌ » بإظهار التامين و « نَسِيطٌ » بالياء وإدغام التاء « وَنَسِيطٌ »

(١) سلم : القلوة التي لها معرفة واحدة كقول السكاكيني . والقال : المنق باللو . والمروعة : موت الماء  
 إذا جرى . (٢) أى من النور والأمان التي أتت على الماء . ومسجورة : حين ملة . والنجار : الخياط  
 والقلام : نحت ؛ وقيل : هو القصب . واليت من مقته .

و « يُنْقِط » و « تُسْقَط » و « يَنْقُط » بالناء للنخلة وبالياء للبدع، فهذه تسع قراءات ذكرها الرمضاني رحمه الله تعالى عليه. « رطباً » نصب بالمرء، أي إذا هزئت البدع هزئت بهزه « و رطباً جنباً ». وعلى الجملة فـ « رطباً » يختلف نصبه بحسب معاني القراءات، فمرة يستند الفعل إلى البدع، ومرة إلى المرء، ومرة إلى النخلة. « و جنباً » معناه قد طابت وصحلت للاجتماع، وهي من جيت القرة. و يروى عن ابن مسعود - ولا يصح - أنه قرأ « تساقط عليك رطباً جنباً بريئاً ». وقال مجاهد: « و رطباً جنباً » قال: كانت عجوة. وقال عباس بن الفضل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله: « و رطباً جنباً » فقال: لم يذو. قال وتفسيره: لم يحف ولم يمس ولم يبعد عن يدي بحيثيه؛ وهذا هو الصحيح. قال الفراء: الجنبى - والجنبى - واحد؛ يذهب إلى أنهما بمقتلة القتل والمقتول والجريح والمجروح. وقال غير الفراء: الجنبى - المقطوع من نخلة واحدة، والمأخوذ من مكان نشأته؛ وأنشدوا:

وطيب ثمار في رياض إرضية • وأغصان أشجار جنباً على قُسرٍ  
يريد بالجنبى ما يجنى منها أى يقطع ويؤخذ. قال ابن عباس: كان جذعاً غراً فلما هزت نظرت إلى أصل البدع فإذا السعف قد طلع، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف، ثم اخضر فصار بلعاً ثم أحمر فصار زخواً، ثم رطباً؛ كل ذلك في طرفه عين، فجعل الرطب يقع بين يديها لا يندسج منه شئ.

الثانية - استدلل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوماً فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي قايه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بالانهز.

الثالثة - الأمر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافاً لما يقوله جهال المترهدة؛ وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه. وقد كانت قبل ذلك يأتيها رزقها من غير تكسب كما قال: « كَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْغُرَابَ

(١) البرق: ضرب من القز أصفر مدود، وهو أجود القز؛ واحدة ربة.

وَجَدَ صَدَقًا رِزْقًا ۝ الآية . فلما ولدت أمرت بهز الجذع . قال علماءنا : لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها عن النصب ، فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه ، واشتغل سرها وأمره ، وكلها إلى كسبها ، ورددها إلى العادة بالتعلق بالأسباب في عياده . وحكى الطبري عن ابن زيد أن عيسى عليه السلام قال لها : لا تعزني ، فقالت له : وكيف لا أحزن وأتأسمي ؟ ! لا ذات زوج ولا مملوكة ! أي شيء عذري عند الناس ؟ ! يا ليتني ميت قبل هذا وكنت نبياً مبشياً ۝ فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام .

الرابعة - قال الربيع بن خثيم : ما لفضاء عندي حير من الرطب لهذه الآية . ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب لفضاء لأطعمه مريم ، ولذلك قالوا : الخير عادة للفضاء من ذلك الوقت ، وكذلك التحريك . وقيل : إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ، ولا للرطب خير من الصل ؛ ذكره الزمخشري . قال ابن وهب قال مالك قال الله تعالى : ۝ رطباً جنيماً ۝ الجنى من الثمر ما طاب من غير قش ولا إفساد . والقش أن ينش من أسفل البصرة حتى ترطب ؛ فهذا مكروه ؛ حتى مالك أن هذا تعجيل للشئ قبل وقته ، فلا ينبغي لأحد أن يفضله ، وإن فعله فاعل ما كان ذلك مجزواً ليمه ؛ ولا حُكماً بطييه . وقد مضى هذا القول في الأنعام . والحمد لله . عن طلحة بن سليمان ۝ جنيماً ۝ بكسر الجيم للإتياع ؛ أي جملاً لك في السرى والرطب فائدتين : إحداهما الأكل والشرب ، الثانية سلوة الصدر ؛ لكونهما معجزتين ؛ وهو [ معنى ] قوله تعالى : ( فَكُنْكِ وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ) أي فكل من الجنى ، واشربي من السرى ، وقري عينا برؤية الولد النبي . وقري بفتح القاف وهي قراءة الجمهور . وحكى الطبري قراءة ۝ وَقَرِّي ۝ بكسر القاف وهي لغة نجد . يقال : قر عينا يقر ويقر بضم القاف وكسرها ؛ وأقر الله عبته فقرت . وهو مأخوذ من القر والقرزة وهما البرد . ودسة السرور باردة ، ودسة الحزن حارة . وضمت فرقة هذا وقالت : الدسع كله حار ، فبني أفراده عنه أي سكن الله عبته بالنظر إلى من يحبه حتى تفر وتسكن ، وفلان قرّة عيني ، أي

(١) راجع ج ٧ ص ٥٠ . ربما يدها طية أدل أو ثانية . (٢) الزيادة من الكتاف الزمخشري .

نمى تسكن بقره . وقال الشيباني : « وقوى عينا » معناه نامى ؛ حضبا على الأكل والشرب والنوم . قال أبو عمرو : أقر الله عينه أى أنام عينه ، وأذهب سهره . و « عينا » نصب على التمييز ؛ كقولك : طب نفسا . والفعل فى الحقيقة إنما هو للمعين فقل ذلك إلى ذى العين ؛ وينصب الذى كان فاعلا فى الحقيقة على التفسير . ومثله طببت نفسا ، وتغفقت شعبا ، وتصببت عرقا ، ومثله كثير .

قوله تعالى : ( قَامَا تَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا قُضِيَ لِي نَذْرٌ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ) فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : « قَامَا تَرَيْنِ » الأصل فى تَرَيْنِ تَرَايَيْنِ <sup>(١)</sup> فحذفت المعزة كما حذفت من ترى وحققت فتحتها إلى الراء فصار « ترين » ، ثم قلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فاجتمع ساكنان الألف المتقلبة عن الياء وياء التانيث ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، فصار تَرَيْنِ ، ثم حذفت النون علامة للجر لأن إن حرف شرط وما صلة فيبقى تَرَى ، ثم دخله نون التوكيد وهى مثقلة ، فكسر ياء التانيث لالتقاء الساكنين ؛ لأن النون المثقلة بمنزلة نون الأولى ساكنة فصار تَرَيْنِ وعلى هذا النحو قول ابن دريد :

• إما تَرَى رَأْمِي حَاكِي لَوْنِي <sup>(٢)</sup>

وقول الأقبوه : • إما تَرَى رَأْسِي أَزْدَى بِهِ <sup>(٣)</sup>

ولما دخلت النون هنا بتوسطة « ما » كما يوصلون لدخولها أيضا لام القسم . وقرأ طلحة وأبو جعفر وشيبة « تَرَيْنِ » بسكون الياء وفتح النون خفيفة ؛ قال أبو التيج : وهى شاذة .

الثانية - قوله تعالى : « قُضِيَ لِي نَذْرٌ » هذا جواب الشرط وفيه إضمار ؛ أى فسألك عن ذلك « قُضِيَ لِي نَذْرٌ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا » أى صمتا ؛ قاله ابن عباس وأنس ابن مالك . وفى قراءة أبى بن كعب « لِي نَذْرٌ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا صَمْتًا » . وروى عن أنس .

(١) أى قبل التوكيد ودخول الجازم ، وهى بروز ثنتين .

(٢) تمامه : • طرة صبح تحت أذيال الدجى .

(٣) تمامه : • مأس زمان ذى انكاس متوس .

وعنه أيضا « وصحنا » يواو، واختلاف القطين يدل على أن الحرف ذكر تحسيرا لا قسرا؛ فإذا أنت معه واو فمكن أن يكون غير الصوم . والذي تابعت به الأخبار عن أهل السنة ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت؛ لأن الصوم إمساك والصمت إمساك عن الكلام . وقيل : هو الصوم للمعروف، وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة . وعلى هذا تخرج قراءة أس « وصحنا » يواو، وأن الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما بالنذر، كما أن من نذر من المني إلى البيت اقتضى ذلك الإحرام بالجماع أو العمرة . ومعنى هذه الآية أن الله تعالى أمرها على لسان جبريل عليه السلام - أو ابنها على الخلاف المتقدم - بأن تمسك من مخاطبة البشر، وتحجب على ابنها في ذلك ليرتفع عنها نجسها، وتدين الآية فيقوم مذهبها . وظاهر الآية أنها أبيع لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية، وهو قول الجمهور . وقالت فرقة : معنى « قولي » بالإشارة لا بالكلام . والغرض : وفيه أن السكوت عن الشيء واجب، ومن أدل الناس فيه لم يجد مساقها .

الثالثة - من التزم بالنذر ألا يكلم أحدا من الأدميين فيحتمل أن يقال إنه قربة فليزم بالنذر، ويحتمل أن يقال : ذلك لا يجوز في شرعنا لما فيه من الضيق وتعذيب النفس، كفر في القيام في الشمس ونحوه . وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شرعنا؛ وقد تقدم . وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالطلاق بالكلام . وهذا هو الصحيح لحديث أبي إسرائيل، نرحه البخاري عن ابن عباس<sup>(١)</sup> . وقال ابن زيد والسدي : كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام .

قلت : ومن سلتنا نحن في الصيام الإمساك عن الكلام التقيح؛ قال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن أمرؤا قاله أو شاعه فليقل إلى صائمه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

(١) الحديث كما في البخاري عن ابن عباس قال : بينما نبي صل الله عليه وسلم يجلب إذا هو بربيل قائم؛ قال له فقالوا : يا إبراهيم تد أن نكرم ولا يحد ولا يستقل ولا يتكلم ويصوم؟ فقال نبي صل الله عليه وسلم : « مره تيكلم ويستقل ويلقد وليم موهه » .

قوله تعالى : فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَسْرِمٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا  
 قَرِيبًا ﴿٧٧﴾ يَتْلُو هَؤُلَاءِ مَا كَانَ آبَاؤُكَ أَكْرَأُ سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُكَ بَغِيًّا ﴿٧٨﴾  
 قوله تعالى : ( فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ) روى أن سررم لما أطمأنت بما رأت من الآيات ،  
 وعلقت أن الله تعالى سيبين عذرها ، أتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت انتقذت  
 فيه . قال ابن عباس : خرجت من عندهم حين أشرقت الشمس ، فبأنهم عند الظهر ومعهما  
 صبي تحمله ، فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار . وقال الكلبي : ولدت حيث  
 لم يشعر بها قومها ، ومكثت أربعين يوما للفاس ، ثم أتت قومها تحمله ، فلما رأوها ومعهما  
 الصبي حزنا وكأوا أهل بيت صالحين ، فقالوا منكبن : ( لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيبًا ) أى جئت  
 بأمر عظيم كالآتي بالشيء يفتر به . قال مجاهد : « فريا » عظميا . وقال سعيد بن مسعدة :  
 أى غثظا مفتعلا ، يقال : فريت وأفريت بمعنى واحد . والولد من الزنى كالشيء المفترى .  
 قال الله تعالى : « وَلَا يَأْتِيَنَّ يَهُودُ يَنْفَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنِ وَأَرْجُلِيْنِ » أى بوله بقصد إلحاقه  
 بالزوج وليس منه . يقال : فلان يفري الفري أى يعمل العمل البالغ ، وقال أبو عبيدة :  
 الفري - المصيب البادر ، وقاله الأخفش . قال : فريا عجميا . والفري القطع كأنه مما يخرق  
 العادة ، أو يقطع القول بكونه عجميا نادرا . وقال قطرب : الفري الجديد من الأسقية ، أى جئت  
 بأمر جديد بدع لم تسبق إليه . وقرأ أبو حنيفة : « شَيْئًا قَرِيبًا » بسكون الراء . وقال السدي  
 ووهب بن منبه : لما أتت به قومها تحمله تسمع بذلك بنو إسرائيل ، فاجتمع رجالهم ونساؤهم ،  
 فذت امرأة إليها لتضربها فأجف الله شطرها فحملت كذلك . وقال آخر : ما أراها إلا  
 زنت فأخبره الله تعالى ، فتصاحى الناس من أن يضربوها ، أو يقولوا لها كلمة تؤذيها ، وجعلوا  
 ينفضون إليها القول ويليتون ، فقالوا : « يا سررم لقد جئت شيئا فريا » أى عظميا ، قال الرازي :  
 (١) هو زارة بن صعب بن دهر يخاطب العامرية ، وكان قد خرج معها في سفر يمارون من اليمامة فلما انشأوا  
 ومردوا جعل زارة بن صعب يأخذه بطنه ، فكان يثقل خلف القوم فقالت العامرية :  
 لقد رأيت رجلا دهريا . بمعنى وراء القوم سنيا  
 . . . . . كأنه منطعن سنيا .  
 تريد أنه اعتلا بطنه ، فأجابها زارة بالآيات . و « جريا » منسوب إلى جهر اليمامة وهو قصبها .



قَدْ أَطْعَمْتَنِي دَقْلًا حَوْلًا • مُسَوًّا مُنَوَّدًا حَجْرِيًّا •

• قَدْ كُنْتَ تَقْرَيْنِي بِهِ الْفَرِيًّا •

أى [تظلمتيه] •

قوله تعالى : ( يَا أُخْتَ هَارُونَ ) آخِظُ النَّاسِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْأُخُوَّةِ ، وَمِنْ هَارُونَ ؟  
 قَبِيلُ : هُوَ هَارُونَ أَخُو مُوسَى ، وَالْمُرَادُ مِنْ كَأَنَّهَا مِثْلُ هَارُونَ فِي الْعِبَادَةِ تَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا .  
 وَقِيلَ : عَلَى هَذَا كَانَتْ مَرِيَمُ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ أُنْثَى مُوسَى فَتَسَمِّي إِلَيْهِ بِالْأُخُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنْ وَلَدِهِ ،  
 كَمَا يُقَالُ لِلتَّمِيمِيِّ : يَا أَخَا تَيْمٍ ، وَلِلْعَرَبِيِّ يَا أَخَا الْعَرَبِ • وَقِيلَ : كَانَ هَذَا أَخٌ مِنْ أَبِيهَا اسْمُهُ  
 هَارُونَ ، لِأَنَّ هَذَا الْاسْمَ كَانَ كَثِيرًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَبَرُّكًا بِاسْمِ هَارُونَ أُنْثَى مُوسَى ، وَكَانَ لِمَنْزِلِ  
 رَجُلٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ • وَقِيلَ : هَارُونَ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ تَبِعَ  
 جَنَازَتَهُ يَوْمَ مَاتَ أَدْرِيونَ أَلْفَا كُلَّهُمْ اسْمُهُ هَارُونَ • وَقَالَ قَسَادَةُ : كَانَتْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ  
 فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدَةٌ مُقَطَّعَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَمِّي هَارُونَ فَتَسْبُوهُا إِلَى أُخُوَّتِهِ مِنْ حَيْثُ  
 كَانَتْ عَلَى طَرَفِيهِ قَبْلُ ، إِذْ كَانَتْ مَوْقُوفَةً عَلَى خِدْمَةِ الْبَيْعِ ، أَيْ بِإِعْذَارِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ مَا كُنَتْ  
 أَهْلًا لِذَلِكَ • وَقَالَ كَتَبُ الْأَحَارِ بِحَضْرَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّ مَرِيَمَ لَبِسَتْ  
 بِأُخْتِ هَارُونَ أُنْثَى مُوسَى ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : كَذَبْتَ • فَقَالَ لَهَا : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ فَهَرُ أَصْدَقُ وَأَخْبَرُ ، وَإِلَّا فَأَنْتِ أَجْدُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُنَّةِ سِتْمَانَةَ  
 سَنَةٍ • قَالَ : فَتَسَكَّتْ • وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْمُنْبَرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : لَمَّا قَدِمْتُ تَجْرَانِ  
 سَأَلُونِي فَقَالَ إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ « يَا أُخْتَ هَارُونَ » وَمُوسَى قَبْلَ عِيْسَى بِكُنَا وَكُنَا ، فَلَمَّا قَدِمْتُ  
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ  
 وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » • وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ فِي غَيْرِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّصَارَى قَالُوا لَهُ : إِنْ  
 صَاحِبُكَ يُزَعِّمُ أَنَّ مَرِيَمَ هِيَ أُخْتُ هَارُونَ وَبَيْنَهُمَا فِي الْمُنَّةِ سِتْمَانَةَ سَنَةً ؟ قَالَ الْمُنْبَرَةُ : فَلَمْ أَدْرِ  
 مَا أَقُولُ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ اسْمُ وَاقِفٍ اسْمًا • وَيَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا جَوَازُ التَّسْمِيَةِ  
 بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ •

قلت : فقد دل الحديث الصحيح أنه كان بين موسى وعيسى وهرون زمان منيد .  
 الزمخشري : كان بينهما وبينه ألف سنة أو أكثر فلا تخيل أن مريم كانت أخت موسى  
 وهرون ؛ وإن صح فكا قال السدي لأنها كانت من نسله ؛ وهذا كما تقول للرجل من قبيلة :  
 يا أخا فلان . وبه قوله عليه الصلاة والسلام : " <sup>(١)</sup> **إِنْ أَخَا صَدَاءَ قَدْ أَذَّنَ فَنِ أَذَّنَ نَهْوُهُمْ** " .  
 وهذا هو القول الأول . ابن عطية : وقالت فرقة : بل كان في ذلك الزمان رجل فاجر اسمه  
 هرون ففسبها إليه على جهة التعمير والتوبيخ ؛ ذكره الطبري ولم يسم قائله .

قلت : ذكره التزوي عن سعيد بن جبير أنه كان فاسقا مثلاً في الفجور فنسبت إليه .  
 والمعنى : ما كان أبوك ولا أمك أهلاً لهذه المعلقة فكيف جئت أنت بها ؟ وهذا من التعريض  
 الذي يقوم مقام الصريح . وذلك يوجب عندنا الحذف وسأيت في سورة « النور » القول فيه  
 إن شاء الله تعالى . وهذا القول الأخير يرده الحديث الصحيح ، وهو نص صريح فلا كلام  
 لأحد معه ، ولا غبار عليه . والحمد لله . وقرأ عمرس لما التفتي : **« مَا كَانَ أَتَاكَ أَمْرٌ سَوِيٌّ »** .

قوله تعالى : **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي آلِهَةٍ**  
**صَبِيًّا** ٢١ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٢٢**  
**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ**  
**حَيًّا ٢٣ وَبِرَأٍ يَوْمَئِذٍ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٢٤ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ**  
**وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٢٥**

فيها خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : **( فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي آلِهَةٍ صَبِيًّا )**  
 ألزمت مريم عليها السلام ما أمرت به من ترك الكلام ، ولم يرد في هذه الآية أنها نطقت  
 (١) هو رادس الحرب الصادي ، كان قد أمره الله صلى الله عليه وسلم أن يؤذن لصلاة الصبح فأذن فأراد بلال  
 أن يقيم فقال صلى الله عليه وسلم : " **إِنْ أَخَا صَدَاءَ قَدْ أَذَّنَ ...** " الحديث . (٢) قال في « البحر » :  
 يجعل المبر المبروة والاسم المكرة ، وحسن ذلك قبلنا كونها بها سوء حوازل الأعداء بالكرة وهو الإضافة .

«إني نزلت الرحمن صوما» وإنما ورد بأنها أشارت، فيقوى بهذا قول من قال: إن  
إبراهيم «يقول» إنما أريد به الإشارة. وروى أنهم لما أشارت إلى العليل قالوا:  
استخفافها بنا أشد علينا من زناها، ثم قالوا لها على جهة التقرير: «كيف تكلم من كان  
في المهدي صيا» و«كان» هنا ليس يراد بها الماضي؛ لأن كل واحد قد كان في المهدي صيا،  
وإنما هي في معنى هو [الآن]. وقال أبو عبيدة: «كان» هنا لنو، كما قال:

«وجيران لنا كانوا كرام»

وقيل: هي بمعنى الوجود والحديث كقوله: «وإن كان ذو عسرة» وقد تقدم.  
وقال ابن الأثير: لا يجوز أن يقال زائدة وقد نصبت «صيا»، ولا أن يقال «كان»  
بمعنى حدث، لأنه لو كانت بمعنى الحدث والوقوع لاستغنى فيه عن الخبر، تقول: كان  
الحجر وتكنى به. والصحيح أن «من» في معنى الجزاء و«كان» بمعنى يكن؛ التصدير:  
من يكن في المهدي صيا فكيف نكلمه؟ كما تقول: كيف أعطى من كان لا يقبل عطية،  
أي من يكن لا يقبل. والماضي قد يذكر بمعنى المستقبل في الجزاء؛ كقوله تعالى: «تبارك  
الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار» أي إن يشاء يجعل.  
وتقول: من كان إلى منة إحصان كان إليه من مثله، أي من يكن منه إلى إحصان يكن  
إليه من مثله. «والمهدي» قيل: كان سريرا كالمهدي. وقيل: «المهدي» هاهنا محرر الأم.  
وقيل: المعنى كيف تكلم من كان سبيله أن ينوم في المهدي لصفره، فلما سمع عيسى عليه السلام  
كلامهم قال لهم من مرقد (إني عبد الله) وهي:

الثانية - فقيل: كان عيسى عليه السلام يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل  
عليهم بوجهه، وأتى على يساره، وأشار إليهم بسببته اليمنى، و«قال إني عبد الله» فكان أزل  
ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وروبوته، ردا على من غلا من بعده في شأنه.  
والكتاب الإنجيل، قيل: أتاه في تلك الحالة الكتاب، وفهمه وعلمه، وأتاه النبوة كما علم آدم

(١) الزيادة من كتب التفسير.

(٢) هو الرزق؛ ومدراليت:

«فكيف إذا رأيت ديار غرم»

الاسماء كلها، وكان يصوم ويصل . وهذا في غاية الضعف على ما نبيه في المسئلة بعد هذا .  
 وقيل : أي حكم لي بإنشاء الكتاب والنبوة في الأزل، وإن لم يكن الكتاب متولاً في الحال،  
 وهذا أصح . ( وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ) أي ذا زكات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعامله .  
 التَّشْرِى : وخلفي أمر المعروف، وأنهى عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم،  
 وأغث الملهوف . ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) أي لاؤذيهما إذا أدركني التكليف، وأمكنني  
 إداؤهما، على القول الأخير الصحيح . ( عَادَتُنِي حَيًّا ) في موضع نصب على اللطف أي دوام  
 حياتي . ( وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي ) قال ابن عباس : لما قال « وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي » ولم يقل بوالدي  
 علم أنه شيء من جهة الله تعالى . ( وَلَمْ يَحْطِنِي جَبَّارًا ) أي منعظًا متكبرًا يقتل ويضرب على  
 الغضب . وقيل : الجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقًا قط . ( شَقِيًّا ) أي خائبًا من الخير .  
 ابن عباس : عاقا . وقيل : عاصبار له . وقيل : لم يحملي تاركًا لأمره فاشتق كما شق للبس  
 لما ترك أمره .

الثالثة : قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى في هذه الآية : ما أشدها على أهل النعذر !  
 أخبر عيسى عليه السلام بما عفى من أمره ، وما هو كائن إلى أن يموت . وقد روى  
 في قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره أنهم لما سمعوا كلام عيسى أذهنوا وقالوا : إن هذا  
 لأمر عظيم . وروى أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية ، ثم عاد إلى حالة  
 الأطفال ، حتى متى على عادة البشر إلى أن بلغ مبلغ الصبيان ، فكان نطقه إظهار ريادة أمه  
 لا أنه كان ممن يعقل في تلك الحالة ، وهو كما ينطق الله تعالى الجوارح يوم القيامة . ولم يقل  
 أنه دام نطقه ، ولا أنه كان يصل وهو ابن يوم أو شهر ، ولو كان بدوم نطقه وسببها  
 ووسطه وصلاته في صمره من وقت الولادة لكان مثله مما لا يتكلم ، وهذا كله مما بدل على  
 فساد القول الأول ، وصرح بجهالة قائله . وبدل أيضا على أنه تكلم في المهد خلافا لليهود  
 والنصارى . والدليل على ذلك إجماع الفرق على أنها لم تتحد . وإنما صح برأيتها من الزن  
 بكلامه في المهد . ودلت هذه الآية على أن الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا على الأمم

الساقية، والقرون الخالية الماضية؛ فهو مما ثبت حكمه، ولم يفسخ في شرعية أمره. وإن عيسى عليه السلام في غاية القواضع؛ يأكل الشجر، ويلبس الشعر، ويجلس على التراب، ويأوى حيث جنته الليل، لا مسكن له، صلى الله عليه وسلم.

الرابعة - الإشارة بمثالة الكلام، وتضم ما يفهم القول. كيف لا وقد أخبر الله تعالى عن مريم قال: «فاشارت إليه» وفهم منها القول مقصودها وغرضها فقالوا: «كيف نكلم» وقد مضى هذا في «آل عمران» مستوفى.

الخامسة - قال الكوفيون: لا يصح قذف الأخرس ولا لعنه. وروى مثله عن الشعبي، وبه قال الأوزاعي وأحمد وإسحق، وإنما يصح القذف عندهم بصريح الزنى دون معناه، وهذا لا يصح من الأخرس ضرورة، فلم يكن قاذفاً ولا يميز بالإشارة بالزنى من الوطء للجلال والشبهة. قالوا: واللعن عندنا شهادات، وشهادة الأخرس لا تقبل بالإجماع. قال ابن القصار: قولهم إن القذف لا يصح إلا بالتصريح فهو باطل بسائر الأئمة ماعدا العربية، فكذلك إشارة الأخرس. وما ذكروه من الإجماع في شهادة الأخرس فغلط. وقد نص مالك أن شهادته مقبولة إذا فهمت إشارته، وأنها تقوم مقام اللفظ بالشهادة، وأما مع القدرة باللفظ فلا تقع منه إلا باللفظ. قال ابن المنذر: والمخالفون يزنون الأخرس الطلاق واليوع وسائر الأحكام، فينبغي أن يكون القذف مثل ذلك. قال المهلب: وقد تكون الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام؛ مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «بشت أنا والساعة كهاتين» تعرف قرب ما بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السابعة. وفي إجماع المقول على أن البيان أقوى من الخبر دليل على أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام. (والسلام على) أي السلامة على من الله تعالى. قال الزجاج: ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام لحسن في الثانية ذكر الألف واللام. وقوله: (يوم ولدت) يعني في الدنيا. وقيل: من همز الشيطان كما تقدم في «آل عمران». (ويوم أموت) يعني

في القبر . ( وَيَوْمَ أُبْعِثَ حَيًّا ) يعني في الآخرة ؛ لأن له أحوالا ثلاثة : في الدنيا حيا ، وفي القبر ميتا ، وفي الآخرة مبعوثا ؛ فسلم في أحواله كلها ؛ وهو معنى قول الكلبي . ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ النابان . وقال قتادة : ذكر لنا أن عيسى عليه السلام رآه امرأة ينجي الموتى ، ويرى الآكله والأبرص في سائر آياته فقالت : طوبى للبطن الذي حملك ، والندى الذي أرضعك ؛ فقال لها عيسى عليه السلام : طوبى لمن تلا كتاب الله تعالى وأتبع ما فيه وعمل به .

قوله تعالى : ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٧١﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْذَ مِنْ وَلَدٍ مَسْجُتَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَمَاذَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ أَسْمِعْ يَسْمِعُ وَأُبَصِّرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧٥﴾ وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّا نَحْنُ زَرِئُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى : ( ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ) أي ذلك الذي ذكرناه عيسى بن مريم فكذلك اعتقدوه ، لأنما يقول اليهود إنه لنير رشدة ، وأنه ابن يوسف النجار ، ولأنما قالت النصارى : إنه الإله أو ابن الإله . ( قَوْلُ الْحَقِّ ) قال الكسائي : « قَوْلُ الْحَقِّ » نعت لعيسى ؛ أي ذلك عيسى ابن مريم [ قَوْلُ الْحَقِّ ] . وصي قول الحق كما سمى كلمة الله ؛ والحق هو الله عز وجل . وقال أبو حاتم : المعنى هو قول الحق . وقيل : التقدير هذا الكلام قول الحق . قال ابن عباس : يريد هذا كلام عيسى صل الله عليه وسلم قول الحق ليس بباطل ؛ وأضيف القول إلى الحق كما قال : « وَعِنْدَ الصِّدِّيقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » أي الوعد الصديق . وقال :

« وَلَمَّا الْآخِرَةَ خَيْرٌ » أى ولا القدر الآخرة . وقرأ ماصم وعبد الله بن ماص « قَوْلُ الْحَقِّ » بالنصب على الحال ؛ أى أقول قولاً حقاً . وللمسلم معنى الإنشودة في « ذلك » . الزجاج ؛ هو مصدر أى أقول قول الحق ؛ لأن ما قبله يدل عليه . وقيل ؛ مدح . وقيل ؛ اغراء . وقرأ عبد الله « قَالَ الْحَقُّ » . وقرأ الحسن « قَوْلُ الْحَقِّ » بضم القاف ، وكذلك في « الانعام » « قَوْلُهُ الْحَقُّ » . والقول والقَالُ والقَوْلُ بمعنى واحد ؛ كالرَّهْبِ والرَّهْبِ والرَّهْبِ (الملي) من نعت عيسى . ( فِيهِ يَمْتَرُونَ ) أى يشكون ؛ أى ذلك عيسى بن مريم الذى فيه يمترون القول الحق . وقيل ؛ « يمترون » يفتنون . ذكر عبد الرزاق قال لخبيرا معمر عن قتادة في قوله تعالى : « ذَلِكَ عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » قال ؛ كجئهم بنو إسرائيل فأنجبوا منهم أربعة نفر ؛ أخرج كل قوم فأمروا في عيسى حين رفع ؛ فقال أحدهم ؛ هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ؛ ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية ، فقالت الثلاثة ؛ كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث ؛ قل فيه ؛ قال ؛ هو آبن الله وهم النسطورية ، فقال الاثنان كذبت ؛ ثم قال أحد الاثنان للآخر قل فيه ؛ فقال ؛ هو ثالث ثلاثة ؛ الله إله وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسمائية ملوك النصارى . قال الرابع ؛ كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكنهه وهم المسلمون ، فكان لكل رجل منهم أتباع — على ما قال — فافتلوا فظيهر على المسلمين ، فلذلك قول الله تعالى ؛ « وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ » . وقال قتادة ؛ وهم الذين قال الله تعالى فيهم ؛ « فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ » اختفوا فيه فصاروا أحزاباً فهذا معنى قوله ؛ « الذى فيه تمرون » . بإناء المجعلة من فوق وهى قراءة أبى عبد الرحمن السُّلَمي وغيره . قال ابن عباس ؛ فرمى مريم ابن عمها ومعا ابنها إلى مصر فكانوا فيها اثنتى عشرة سنة حتى مات الملك الذى كانوا يخافونه ؛ ذكره الماوردي .

قلت ؛ وروى في تاريخ مصر فيما رأيت وجاء في الإنجيل ؛ الظاهر أن السيد المسيح لما ولد في بيت لحم كان هيرودس في ذلك الوقت ملكاً ، وأن الله تعالى أوحى إلى يوسف النجار

في الحکم وقال له : لم تطلب الصبي وأنه وانتهب إلى مصر وكان هناك حتى أقول لك ، فإن  
هيرودس منزع أن يطلب ميسي ليلكده ، فقام من لومته ، وامتلأ أمر وبه ، وأخذ السيد  
المسيح ومريم أمه وجاء إلى مصر ، وفي حال مجيئه إلى مصر نزل بيتر البتّان التي يظلم  
القاهرة ، وحملت ثيابه على ذلك البئر ، فالبتّان لا يطلع ولا ينزل إلا في تلك الأرض ،  
ومنه يخرج اللبن الذي يخاطب الزيت الذي تمعده به النصارى ، ولذلك كانت قارورة واحدة  
في أيام المصريين لها مقدار عظيم ، وتضع في غوص ملوك النصارى مثل ملك القسطنطينية  
وملك صقلية وملك الحبشة وملك القنوة وملك الفرنجة وغيرهم من الملوك عندما يجادهم به ملوك  
مصر موقعا جليلا جدا ، وتكون أحب إليهم من كل هدية لها قدر . وفي تلك السفرة وصل  
السيد المسيح إلى مدينة الإسموثيين وقسمهم المعروف الآن بالخرقة ، فلذلك يظلمها النصارى إلى  
الآن ، ويحضرهم إليها في عيد الفصح من كل مكان ، لأنها نهاية ما وصل إليها من أرض مصر ،  
وسنها عاد إلى الشام . والله أعلم .

قوله تعالى : ( مَا كَانَ لِلَّهِ ) أى ما ينبغي له ولا يجوز ( أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَادٍ ) « من » صلة  
الكلام ، أى أن يتخذ ولدا . و « أن » في موضع رفع اسم « كان » أى ما كان لله أن يتخذ  
ولدا ، أى ما كان من صفته اتخاذ الولد ، ثم زره نفسه تعالى عن مقاتلهم فقال : ( سُبْحَانَهُ ) أن  
يكون له ولد . ( إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) تقدم في « البقرة » مستوفى . ( وَإِنْ  
أَنَّ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ) قرأ أهل المدينة وابن كثير وأبو عمرو بفتح « أن » وأهل الكوفة « وإن »  
بكسر الهمزة على أنه مبتدأ . تدل عليه قراءة ابن « كُنْ فَيَكُونُ » . إن الله « بغير وادٍ على  
المطوف على « قَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ » . وفي الفتح أقوال : فمنع الخليل وسبويه أن المعنى  
ولأن الله ربى وربكم ، وكذا « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » . ف « أن » في موضع نصب عندهما .  
وأجاز الفراء أن يكون في « وضع خفض على حذف اللام ، وأجاز أن يكون أيضا في موضع

(١) الأشعثين : إحدى قرى مركز ملوى . (٢) قسم : هي القرية الآن إحدى قرى مركز مغفلوط .  
(٣) الخرقة : وتعرف اليوم بالخرق المحرق بمركز مغفلوط . (٤) راجع به ٢ ص ٨٧ وما بعدها  
طبعة ثانية أو ثالثة .



خضع بمعنى، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبأن الله ربي وربكم . واجاز للكسائي أن يكون في موضع رفع بمعنى، والأمر أن الله ربي وربكم . وفيها قول خاس، حكى أ . أن أبا عمرو بن العلاء، قاله، وهو أن يكون المعنى : وقضى أن الله ربي وربكم، فهي «سورة حل قوله : «أمرأ» من قوله : «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا» والمعنى إذا قضى أمرا وقضى أن الله . ولا يتبدأ به أن «حل هذا التفسير» ولا على التفسير الثالث . ويجوز الابتداء بها على الأرجح الباقية . (فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أي دين قويم لا أعوجاج فيه .

قوله تعالى : (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) «من» زائدة، أي اختلف الأحزاب بينهم . وقال قتادة : أي ما بينهم . فاختلفت للفرق من أهل الكتاب في أمر يسمى عليه السلام فاليهود بالفتح والحدح . والنصارى قالت النسطورية منهم : هو ابن الله . والمكانية قالت ثلاثة . وقالت اليعقوبية : هو الله، فأفرطت النصارى وغلّت، وأفرطت اليهود وقصرت . وقد تقدم هذا في «النساء» . وقال ابن عباس : المراد من الأحزاب الذين تمخروا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين . (قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي من شهود يوم القيامة، والمشهد بمعنى المصدر، والشهود الحضور . ويجوز أن يكون الحضور لهم، ويضاف إلى الظرف لوقوعه فيه، كما يقال : ويل لعنان من قاتل يوم كذا، أي من حضره ذلك اليوم . وقيل : للمشهد بمعنى الموضع الذي يشهده الخلائق، كالمشهد للوضع الذي يحضر إليه الخلق . وقيل : قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ حُضُورِهِمُ الْمَشْهَدَ الْعَظِيمَ الذي اجتمعوا فيه للتشاور، فأجمعوا على الكفر بالله، وقولهم : إن الله ثالث ثلاثة .

قوله تعالى : (أَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ وَأُصْرُ يُؤْتُونَآ) قال أبو العباس : العرب تقول هذا في موضع التعجب، فنقول : أسمع يزيد وأبصر يزيد أي ما اسمه وأبصره . قال : فعناء أنه تعجب بيه منهم . قال الكلبي : لا أحد أسمع منهم يوم القيامة ولا أبصر، حين يقول الله تبارك وتعالى لميسى : «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّبِعُونِي وَأَنْهَىٰ عَنْ دُونِ اللَّهِ» . وقيل : «أسمع»

بمعنى الطاعة ؛ أى ما أطوعهم الله فى ذلك اليوم . ( لَكِنَّ الظَّالِمِينَ الْيَوْمَ ) يعنى فى الدنيا . ( فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) وأى ضلال آيين من أن يستبذل المرء فى شخص مثله حملته الأرحام ، وأكل وشرب ، وأحدث واحتاج أنه ؟ ! ومن هذا وصفه فهو أحمى وأعمى ولكنه سيصر ويسمع فى الآخرة إذا رأى العذاب ، ولكنه لا ينفعه ذلك ؛ قال معناه قتادة وغيره .

قوله تعالى : ( وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ) روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما من أحد يدخل النار إلا وله بيت فى الجنة فيتحصر عليه . وقيل : تقع الحسرة إذا أعطى كتابه بشأله . « إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ » أى فرغ من الحساب ، وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار . وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جاءهم بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح <sup>(١)</sup> فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت — قال — ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشربون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت — قال — فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت — ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم — « وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ » وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » ترجمه البخارى بمعناه عن أبى عمر ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، والترمذى عن أبى سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن صحيح . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب « التذكرة » وبيننا هالك أن الكفار مخلدون بهذه الأحاديث والآى ربما على من قال : إن صفة التعذيب تنقطع ، وإن إبليس ومن تبعه من الكفرة كفرعون وهامان وقارون وأشياهم يستلون الجنة .

قوله تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ زَرْعُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْنَا ) أى نميت سكانها فنزها . ( وَآلِئِنَّا رَاجِعُونَ ) يوم القيامة فتنجازى كلأ بعمله ، وقد تقدم هذا فى « البحر » وغيرها .

(١) الأملح : الذى يمانه أكثر من سواده ؛ وقيل اللق اليابس .

(٢) رابع جـ ١٠ ص ١٨ وما بعدها طيبة أولى أو ثانية .

قوله تعالى : **وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا** (١) **إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ يَتَّبِعِ لِي تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا** (٢) **يَتَّبِعِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْنِي إِنَّكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** (٣) **يَتَّبِعِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** (٤) **يَتَّبِعِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** (٥) **قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ الْمُنَى يَبْنَؤُا بَرَاهِيمُ لَنْ لَنْ تَنْتَ لَأَرْجُحَنَّكَ وَاتَّخِزَنِي مَلِيًّا** (٦) **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** (٧) **وَأَعْتَزُّكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَشْيَ أَلَّا أُكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** (٨) **فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا** (٩) **وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِبَاقٍ صَدِيقًا** (١٠)

قوله تعالى : **(وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا)** المعنى : وإذ كنّا في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قصة إبراهيم وخبره . وقد تقدّم معنى الصديق في « النساء » واشتقاق الصديق في « البقرة » فلا معنى للإعادة . ومعنى الآية : أقرأ عليهم يا محمد في القرآن أمس إبراهيم فقد عرفوا أنهم من ولده ، فإنه كان حنيفا مسلما وما كان يفتخّر بالأنداد ؛ فهو لاه لم يفتنّهم الأنداد ؟ ! وهو كما قال : **وَمَنْ يَرْجُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** .

قوله تعالى : **(إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ)** وهو آزر وقد تقدّم . **(يَتَّبِعِ)** قد تقدّم القول فيه **نق في يوسف** « **(لِي تَعْبُدْ)** أي لأى شيء تعبد : **(مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ)** (١)

(١) راجع ج ١ ص ٢٢٢ طبع ثانية .

(٢) راجع ج ٥ ص ٢٧٢ طبع أول أو ثانية .

(٣) راجع ج ١ ص ١٢١ طبع أول أو ثانية .

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٢ طبع أول أو ثانية .

شَيْئًا) يريد الأصنام. (يَا آيَّتِ إِيَّيْ قَدْ جَدَدْنِي مِنَ الْغَيْمِ مَا أَلَمْ يَأْتِكِ) أى من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت، وإن من جدد خرافه غيب (فَأَتَيْنِي) إلى ما أدموك إليه. (أَعْيَدَكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) أى أرشدك إلى دين مستقيم فيه النجاة. (يَا آيَّتِ لَا تَعِيدُ الشَّيْطَانَ) أى لا تطلعه فيما يأمرك به من الكفر، ومن أطلع شيطان في معصية فقد عبده. (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) «كان» صلة زائدة. وقيل: بمعنى صار. وقيل: بمعنى الحال؛ أى هو للرحمن، وعصيا وعاص بمعنى واحد؛ قاله الكسائي. (يَا آيَّتِ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ) أى إن مت على ما أنت عليه. ويكون «أخاف» بمعنى أعلم. ويعوز أن يكون «أخاف» على بابها فيكون المعنى: إلى أخاف أن تموت على كفرتك فيمسك العذاب. (تَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) أى قريئا في النار. (قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَمِي إِبْرَاهِيمَ) أى أترغب عنها إلى غيرها. (لَنْ تَنْتَهِيَ لَأَرْبُحَنَّكَ) قال الحسن: معنى بالجارة. الضحاك: بالقول؛ أى لاشتغكتك. ابن عباس: لأضربتك. وقيل: لأظهرن أمرك. (وَأُخْرِفُ مَلِيًّا). قال ابن عباس: أى اعتزلت سالم العرض لا يصيبك منى ممزة؛ وأختره الطبري، فقله: «مليا» على هذا حال من إبراهيم. وقال الحسن ومجاهد: «مليا» دهرًا طويلا؛ ومنه قول المهمل: قَصَصَدَعَتْ صُمُّ الْجِبَالِ لَمُوتِهِ. وَبَكَتْ عَلَيْهِ الْمُرُمَلَاتُ مَلِيًّا

قال الكسائي: يقال هجرته مليا وملاوة وملاوة وملاوة، فهو على هذا القول ظرف، وهو بمعنى الملاوة من الزمان، وهو الطويل منه.

قوله تعالى: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ) لم يعارضه إبراهيم عليه السلام بسوء الرد؛ لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره. والجمهور على أن المراد بسلامه المسالمة التي هي الماركة لا التحية؛ قال الطبري: معناه أمنة مني لك. وعمل هذا لا يبدأ الكافر بالسلام. وقال النقاش: حلیم خاطب سفيها؛ كما قال: «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا». وقال بعضهم في معنى تسليمه: هو تحية مفارقة؛ وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها. قيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر؟ قال: نعم؛ قال الله تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

ولم يخرجوكم من دياركم أنتم تدرهم وتطيحوا باليسم إن الله يحب المطيحين . وقال :  
 هـ فدا كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم الآية وقال إبراهيم لأبيه : سلام عليك ،

قلت : الأظهر من الآية ما قاله سفیان بن عينة ، وفي الباب حديثان صحيحان : روى  
 أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبتدعوا لليهود والنصارى بالسلام فلما اتبعتم  
 أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أخيه » خرجه البخاري وسلم . وفي الصحيحين عن أسامة  
 ابن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه أكاف تحته فطيفة فذكية ، وأردف  
 وراءه أسامة بن زيد ، وهو يود سعد بن عباد في بني الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وفاة  
 بدر ، حتى مر في مجلس فيه أخلط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفيهم  
 عبد الله بن أبي بن سلول ، وفي المجلس عبد الله بن ربيعة ، فلما غشيت المجلس عجاوبة العباد ،  
 نهر عبد الله بن أبي أنه يريته ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ،  
 الحديث . فالأول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء ، لأن ذلك إكرام ، والكافر ليس أهله .  
 والحديث الثاني يميز ذلك . قال الطبري : ولا يارض ما رواه أسامة بمحدث أبي هريرة ،  
 فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخر ، وذلك أن حديث أبي هريرة خرجه العموم ، وخبر أسامة  
 يبين أن معناه الخصوص . وقال الحنفي : إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابذاه  
 بالسلام ، فإن بهذا أن حديث أبي هريرة « لا تبتدعهم بالسلام » إذا كان لغرض سبب يدعوكم  
 إلى أن تبتدعهم بالسلام ، من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق محبة أو جوار  
 أو سفر . قال الطبري : وقد روى عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب . وفعله  
 ابن مسعود بدعقان محبة في طريقه ؛ قال علقمة : قلت له يا أبا عبد الرحمن اليس يكره أن  
 يبتدعوا بالسلام ؟ قال : نعم ؛ ولكن حق الصحة . وكان أبو أسامة إذا أنصرف إلى بيته  
 لا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير ولا كبير إلا سلم عليه ؛ فليل له في ذلك فقال : أمرنا أن  
 نقضي السلام . وسئل الأوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم عليه ، فقال : إن سلمت فقد سلم  
 الصالحون قبلك ، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك . وروى عن الحسن البصري أنه  
 قال : إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم .

قلت : وقد أحتج أهل المقالة الأولى بأن السلام الذي معنا : التحية إنما خص به هذه الأمة ؛ لحديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم السلام وهي تحية أهل الجنة » الحديث ؛ ذكره الترمذي الحكيم ؛ وقد مضى في القاطعة بسنده . وقد مضى الكلام في معنى قوله : « سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي » .  
واوئع السلام بالابتداء ، وجاز ذلك مع نكرته لأنه نكرة مخصصة ففرت المعرفة .

قوله تعالى : ( إِنَّهُ كَانَ فِي شَيْءٍ ) : الحنفى المبالغ في البر والإطاف ؛ يقال : حنفي به وتعني إذا بره . وقال الكاشي يقال : حنفي في عفاوة وخفوة . وقال الفراء : « إِنَّهُ كَانَ فِي شَيْءٍ » أي ماله لطيفاً يعني إذا دعوه .-

قوله تعالى : ( وَأَعْتَرَكُمُ ) : العزلة المفارقة وقد تقدم في « الكهف » بيانها . وقوله : ( عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِمُعَادٍ رَبِّي شَيْئًا ) قيل : أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أملاً وولياً يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه . ولهذا قال : ( فَلَمَّا أَعْتَرَلْتُمْ وَمَا يُبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ) أي آتينا وحشته بولد ؛ عن ابن عباس وغيره .  
وقيل : « عسى » يدل على أن العبد لا يقطع بأنه يبقى على المرة أم لا في المستقبل . وقيل : دعا لأبيه بالمهداية . « عسى » شك لأنه كان لا يدري هل يستجاب له فيه أم لا ؟ والأول أظهر . وقوله : ( وَجَعَلْنَا لِمِيسَانَ صَافِيَّ عَلِيًّا ) أي آتينا عليهم ثناء حسناً ؛ لأن جمع المال غهن ثناء عليهم . والسان يذكر ويؤنث ؛ وقد تقدم .

قوله تعالى : ( وَأَذْكُرُ فِي إِلِكَتِيبَ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ) وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ (١) وَنَدْبَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ (٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ (٣)

(١) راجع ج ١ ص ١٣ طبة ثانية أرتاة . (٢) راجع ج ١ ص ١٠ طبة أرتاة

(٣) راجع ج ١ ص ١٢ طبة أول أرتاة

قوله تعالى : (وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ مُوسَى) أى وأقرأ عليهم من القرآن قصة موسى .  
 (إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا) في عباده غير مرأى . وقرا أهل الكوفة بفتح اللام ؛ أى أخلصناه بفتح  
 غنارا . (وَأَذْكُرْنَا) أى كثرناه لئلا ينسى . (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) أى يمين موسى ،  
 وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر ؛ قاله الطبري  
 وغيره ؛ فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال . (وَقَرَّبْنَاهُ نَبِيًّا) نصب على الحال ؛ أى كثرناه من  
 فيرويس . وقيل : أدنيه لتقريب المترلة حتى كثرناه . وذكر وكيع وقبيصة عن صفيان عن  
 عطية بن السائب عن سعيد بن جبير عن آبن جاس في قول الله عز وجل : « وقربناه نجيا »  
 أى أدنى حتى سمع صرير الأقدام . (وَوَعَدْنَاهُ لَهٗ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) وذلك حين  
 سأله فقال : « أَهَاجِلٌ لِي وَزَرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَيْسَ » .

قوله تعالى : (وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِبْرَاهِيمَ) كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ  
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ  
 عِنْدَ رَبِّهِ بِمَرْضِيًّا ۝

فيه ست مسائل :

الأولى - قوله تعالى : (وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِبْرَاهِيمَ) اختلف فيه ؛ قيل : هو إسماعيل  
 ابن حنظل ، بته الله إلى قومه فسلخوا جلدة رأسه ، فغيره الله تعالى فيما شاء من مذاهم ،  
 فاستغفاه ورضى بشوابه ؛ وفوض أمرهم إليه في عفوه وعقوبته . والجمهور أنه إسماعيل الذبيح  
 أبو العرب بن إبراهيم . وقد قيل : إن الذبيح إسحق ؛ والأول أظهر على ما تقدم ويأتى  
 في «الوصافات» (١٧) إن شاء الله تعالى . وخصه الله تعالى بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره  
 من الأنبياء تشريفا له وإكراما ، كاللقب بغير الحليم والأزاه والصدق ؛ ولأنه المشهور  
 بالتواصف من خصاله .

(١) بكسر الهمزة وفتحه «دفع» . (٢) في نسخة قوله تعالى : « فلما فتح » . العسى ... إلخ » . آية ١٠٢

الثانية - صدق الوعد بمحذ وهو من خلق للبين والمرسلين ، وشدته وهو الخلف  
 مضمون ، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين على ما تقدم بيانه في « برائة » . وقد اتى  
 الله تعالى على نبيه إسماعيل فوصفه بصدق الوعد . وأخطب في ذلك ؛ فقل : إنه وعد من  
 نفسه بالصبر على الذبح فصبر حتى فدى . هذا في قول من يرى أنه الذبيح . وقيل : وعد رجلا  
 أن يلقاه في موضع بلاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليته ، فلما كان في اليوم الآخر جاء ؛  
 فقال له : ما زلت هاهنا في انتظارك منذ أمس . وقيل : انتظره ثلاثة أيام . وقد فعل مثله  
 نبينا صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ؛ ذكره النقاش وتخرجه الترمذى وغيره عن عبد الله بن  
 أبي الجهم قال : يا بخت النبي صلى الله عليه وسلم بيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده  
 أن آتيه بها في مكانه فنبئت ، ثم ذكرت بعد ثلاثة أيام ، بخت فإذا هو في مكانه ؛ قال :  
 " يا بختي لقد شفقت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك " لفظ أبي داود . وقال يزيد الرقاشي :  
 انتظره إسماعيل اثنين وعشرين يوما ؛ ذكره المساورى . وفي كتاب ابن سلام أنه انتظره  
 سنة . وذكره الزعفراني عن ابن عباس أنه وعد ضاحيا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة .  
 وذكره القشيري قال : فلم يرح من مكانه سنة حتى أتاه جبريل عليه السلام ؛ فقال : إن  
 التاجر الذي سألك أن تفعله حتى يعود هو إبليس فلا تفعله ولا كرامة له . وهذا بعيد  
 ولا يصح . وقد قيل : إن إسماعيل لم يبع شيئا إلا وقى به ، وهذا قول صحيح ، وهو الذي  
 يفتضيه ظاهر الآية ؛ والله أعلم .

الثالثة - من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : « العدة دين » . وفي الأثر « وأى  
 الزمن واجب » أى في أخلاق المؤمنين . وإنما قلنا إن ذلك ليس بواجب فرضا لإجماع  
 العلماء على ما حكاه أبو عمر أن من وعد بمال ما كان ليضرب به مع الفراء ؛ فذلك قلنا  
 إيجاب الوفاء به حسن مع المروءة ، ولا يقضى به . والعرب تمنح بالوفاء ، وتذم بالخلف  
 والتندر ، وكذلك سائر الأمم ، ولقد أحسن القائل :

مَنْ مَاتَ بِقَلْبٍ حُرٍّ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ حَاجَةً . تَمَّ بِقِيضِهَا وَالْحَرُّ لِلْأَيِّ ضَامِنٌ

(١) راجع به ٨ ص ٢١٢ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية . (٢) الرواى : القرطبي .



ولا خلاف أن الوفاء يستحق صاحبه الحمد والشكر، وبلى الخلف الدم . وقد أثنى الله  
تبارك وتعالى على من صدق وعده، ووفى بنذره، وكفى بهذا مدحا وشما، وبما قاله ذاه  
الرابعة - قال مالك : إنما سأل الرجل الرجل أن يحب له الحبة فيقول له نعم، ثم ينفذ  
له ألا يفعل فبأرى يلزمه . قال مالك : ولو كان ذلك في قضاء دين فسأله لأن يقضيه منه  
تقال نعم، وثم رجال يشهدون عليه فأمره أن يلزمه إذا شهد عليه كتمان . وقال أبو حنيفة  
وأصحابه والأوزاعي والثوري وسائر الفقهاء : إن العدة لا يلزم منها شيء لأنها منافع لم يقضها  
في المارية لأنها طارئة ، وفي غير المارية هي أنقص وأعيان موهوبة لم يقض فلهذا  
الرجوع فيها . وفي البخاري : وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدَةِ ، وقضى ابن  
أشوع بالوعد وذكر ذلك عن شجرة بن جندب . قال البخاري : وبدأت إحدى بن إبراهيم بنج  
يحببت ابن أشوع .

الخامسة - (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) قيل : أرسل إسماعيل إلى جرهم . وكل الأنبياء  
كانوا إذا وعدوا صدقوا، وخص إسماعيل بالذكر تشريفا له . والله أعلم .

السادسة - (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) قال الحسن : يعني أمته . وفي حرف ابن مسعود  
« وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ جُرْهُمَ وَوَلَدَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ » . (وَكَانَ يَنْذِرُ رِبِّيَ مَرْضِيًّا) أي رضيا زائجا  
صالحا . قال الكسائي والفراء : من قال مرضى بنه على رضيت ، قالوا . وأهل الجواز  
يقولون : مرضو . وقال الكسائي والفراء : من العرب من يقول يَرْضَوْنَ وَيَرْضِيَانِ يَرْضَوْنَ  
على مرضو، ورضيان على مرضى ولا يميز البصريون أن يقولوا إِلَّا يَرْضَوْنَ وَرِيَّوْنَ . قال  
أبو جعفر النحاس : سمعت أبا إسحق الزجاج يقول : يخطئون في الخلط فيكتبون رباً بالياء ثم  
يخطئون فيها هو أشد من هذا فيقولون يربيان ولا يجوز إلا يَرْضَوْنَ وَيَرْضَوْنَ . قال الله تعالى :  
« وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ يَبُذَرُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى » .

(١) قاله في «تاريخ الأوسط» كافي «تليق التليق» . (٢) أي في تنبيه الرضا .

قوله تعالى : **وَإِذْ كُنَّا فِي الْكَتِّبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** ﴿٥٦﴾  
**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴿٥٧﴾

قوله تعالى : **(وَإِذْ كُنَّا فِي الْكَتِّبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)** إدريس عليه السلام  
 أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب ولبس الخيط ، وأول من نظر في علم النجوم  
 والحساب وسيرها . وسمى إدريس لكثرة دهره لكاتب الله تعالى . وأنزل الله تعالى عليه  
 ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر . الزعزعي : وقيل سمي إدريس لإدريس لكثرة دهره كتاب  
 الله تعالى ، وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح ؛ لأنه لو كان إنبلا من الدرس لم يكن فيه  
 إلا سبب واحد وهو العلية وكان مصرفا ، فامتناعه من الصرف دليل على العجمة ؛ وكذلك  
 إبليس أعجمي وليس من الإبلان كما يزعمون ؛ ولا يصفوب من العرب ، ولا إسرائيل بإسرائيل  
 كما زعم ابن السكيت ، ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ؛  
 يجوز أن يكون سمي إدريس عليه السلام في تلك اللغة قريبا من ذلك لحسبه الراوى مشتقا من  
 الدرس . قال التبرلي والقرنوي وغيرهما : وهو جد نوح وهو خطأ ، وقد تقدم في «الأعراف»  
 بيانه . وكذا وقع في السيرة أن نوحا عليه السلام بن لأمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس  
 النبي فيما يزعمون ؛ والله تعالى أعلم . وكان أول من أعطى النبوة من بني آدم ، وخط بالقلم .  
 ابن يرد بن مهلايل بن قتيان بن يانث بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : **(وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)** قال أنس بن مالك وأبو سعيد المحدث وغيرهما :  
 يعني السماء الرابعة . وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقاله كعب الأحبار . وقال  
 ابن عباس والضحاك : يعني السماء السادسة ؛ ذكره المهدوي .

قلت : ووقع في البخاري عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال ختم أنس بن مالك  
 بها ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة ، الحليث ، وفيه : كل  
 سما . بها أنباء — قد سمعهم — منهم إدريس في الثانية . وهو وهم ، والصحيح أنه في السماء

الزوجة ؛ كذلك وراه ثابت التبايني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكره سلم في الله حجاج . وروى مالك بن حصصة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لما خرج بي إلى السماء أتيت حل إدريس في السماء الزوجة » . ترجمه مسلم أيضا . وكان سبب رفقه حل ما قال ابن عباس وكعب وغيرهما : أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وجم الشمس ؛ فقال : يا رب أنا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد ! اللهم خفف عنه من ثقلها . يني الملك الموكل بملك الشمس ؛ يقول إدريس : اللهم خفف عنه من ثقلها وأجل عنه من حرها . فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف ؛ فقال : يا رب خففتي لحمل الشمس فالتقى قضيت فيه ؟ فقال الله تعالى : « أما إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته » فقال : يا رب أجمع بيني وبينه ، واجعل بيني وبينه خلة . فأذن الله له حتى أتى إدريس ، وكان إدريس عليه السلام يسأله . فقال : أخبرتك أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت ، فاشفع لي إليه لتؤخر أجله ، فأزاد شكرا ومباقة . فقال الملك : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ؛ فقال الملك : قد طمت ذك ولكنه أطيب لنفسى . قال نعم . ثم حمله على جناحه فرفقه إلى السماء ووضع عند مطلع الشمس ؛ ثم قال ملك الموت : لي صديق من بني آدم تشفع لي إليك لتؤخر أجله . فقال : ليس ذلك لي ولكن إن أحببت عليه أعلمته متى يموت . قال : « نعم » ثم نظر في ديوانه ، فقال : إنك تسألني عن إنسان ما أراه يموت أبدا . قال : وكيف ؟ قال : لا أبجده يموت إلا عند مطلع الشمس . قال : فإني أتيتك وزرتك هناك ؛ قال : أنطلق فأأراك تعجده إلا وقدمات فوائقه ما بقي من أجل إدريس شيء . فرجع الملك فوجده ميتا . وقال السدي : إنه تام فامر . يوم ، وأشدت عليه حر الشمس ، فقام وهو منها في كرب ؛ فقال : اللهم خفف عن ملك الشمس حرها ، وأعنه على ثقلها ؛ فإنه يمارس فلورا حامية . فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور ، عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ، ومثلها عن يساره يخدمونه ، ويتولون أسرته وعمله من تحت حكمه ؛ فقال ملك الشمس : يا رب من أين لي هذا ؟ قال : « دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس » ثم ذكر نحوه حديث كعب . قال فقال له ملك الشمس : أتريد حاجة ؟ قال : نعم وددت أني لو رأيت الجنة .

قال : فرغته على جناحه ، ثم طار به ، فيينا هو في السماء الرابعة التي بملك الموت ينظر في السماء ،  
ينظر يميناً وشمالاً ، فلم عليه ملك الشمس ، وقال : يا إدريس هذا ملك الموت فلم عليه ،  
فقال ملك الموت : سبحان الله ! ولأى معنى رفته هنا ؟ قال : رفته لأرويه الجنة . قال :  
فإن الله تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة . فلت : يا رب وأين إدريس  
من السماء الرابعة ، فزلت فإذا هو ملك ، فقبض روحه فرمها إلى الجنة ، ودعت الملائكة  
جنته في السماء الرابعة ، فذلك قوله تعالى : « ورضناه مكاناً علياً » . قال وهب بن منبه : كان  
يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في زمانه ، فحبب له الملائكة  
وأشبهت إليه ملك الموت ، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له ، فأراه في صورة آدمي ، وكان  
إدريس عليه السلام يصوم النهار ، فلا كان وقت إنطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل .  
فغسل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس ، وقال له : من أنت ! قال : أنا ملك الموت ،  
أستأذنت ربي أن أحملك فأذن لي ، فقال : إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال :  
أن تقبض روحي . فأوحى الله تعالى إليه أن أقبض روحه ، فقبضه وودعه إليه بعد ساعة ،  
وقال له ملك الموت : ما الفائدة في قبض روحي ؟ قال : لأنني كرت المسرة فأكون له  
أشدّ استعداداً . ثم قال له إدريس بعد ساعة : إن لي إليك حاجة أخرى . قال : وما هي ؟  
قال : أن ترفعني إلى السماء فانظر إلى الجنة والنار ، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات ،  
فرأى النار فصمق ، فلما أفاق قال أروني الجنة ، فأدخله الجنة ، ثم قال له ملك الموت : أخرج  
لنمود إلى مقوك . فتعاق بشجرة وقال : لا أخرج منها . فبعث الله تعالى بينهما ملكاً حكماً ،  
فقال : مالك لا تخرج ؟ قال : لأن الله تعالى قال : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » وأنا ذائقه ،  
وقال : « وَإِنْ مِنْكُمْ آلَاءٌ وَارِدُكُمْ » وقد وردتها ، وقال : « وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ » فكيف أخرج ؟  
قال الله تبارك وتعالى لملك الموت : « يا ذئ دخل الجنة وبأسرى بخرج » . فهو حي هناك  
فذلك : « ورضناه مكاناً علياً » قال النحاس : قول إدريس « وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ »  
يعني : « يكون الله أعلم بهذا إدريس ، ثم نزل القرآن به . قال وهب ابن منبه : فإدريس تارة  
يرفع في الجنة وتارة يعيد الله تعالى مع الملائكة في السماء .

قوله تعالى : **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ**  
**آدَمَ وَمِمَّنْ جَعَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا**  
**وَأَجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٢٢**

### بـ اربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : **(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ)** يريد  
 آدم وسبع وحده . **(وَمِمَّنْ جَعَلْنَا مَعَ نُوحٍ)** يريد إبراهيم وحده . **(وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ)** يريد  
 إسماعيل وإسحق ويعقوب . **(وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِسْرَءِيلَ)** موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى .  
 فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم ، وإبراهيم شرف القرب من نوح وإسماعيل  
 وإسحق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم . **(وَمِمَّنْ هَدَيْنَا)** أى إلى الاسلام . **(وَأَجْتَبَيْنَا)**  
 بالإيمان . **(إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ)** . وفرا شيل بن عباد المكى « بئلى » بالذكر لأن التائيت  
 غير حقيق <sup>(١)</sup> مع وجود الفاصل . **(خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا)** وصفهم بالخشوع لله والبكاء . وقد مضى  
 فى « سبحان » . يقال بكى يبكى بكاءً وبُكى وبُكياً ، إلا أن الخليل قال : إذا فصرت البكاء  
 فهو مثل الحزن ، أى ليس معه صوت كما قال الشاعر :

بكى صبي وحقق لما بكاه • وما بنى البكاء ولا العويل

« ومجئداً نصب على الحال « وبكى » عطف عليه .

الثانية - فى هذه الآية دلالة على أن آيات الرحمن تأثيراً فى القلوب . قال الحسن  
 « إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً » فى الصلاة . وقال الأعمى : المراد بآيات  
 الرحمن الكتب المتضمنة لتوجيهه ومجيئه ، وأنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ، ويكون عند  
 ذكرها . والمراد عن ابن عباس أن المراد به القرآن خاصة ، وأنهم كانوا يسجدون ويكون

(١) راجع ج ١٠ ص ٢٤١ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية .

(٢) حرمه الله بن عبادة بن كنانة بن عبد المطلب ، رحمه الله وأئذده أبو زيد لكعب بن مالك فى آيات .

عند تلاوته، قال البخاري: وفي هذا دلالة من قوله على أن القرآن هو الذي كان يتلى على جميع الأنبياء، ولو كان كذلك لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام مختصاً بإتزاله إليه .

الثالثة - احتج أبو بكر الرازي بهذه الآية على وجوب سجود القرآن على المستمع والقارئ . قال البخاري: وهذا بعيد، فإن هذا الوصف شامل لكل آيات الله تعالى . وضرب السجود إلى البكاء، وأبان به من طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في تعظيمهم لله تعالى وآياته، وليس فيه دلالة على وجوب ذلك عند آية مخصوصة .

الرابعة - قال العلماء: ينبغي لمن قرأ سجدة أن يدعو فيها بما يليق بآياتها، فإن قرأ سورة السجدة « ألم تنزيل » قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين من أمرك . وإن قرأ سجدة « سبحان » قال: اللهم اجعلني من الباكرين إليك، الخاشعين لك: وإن قرأ هذه قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهديين الساجدين لك، الباكرين عند تلاوة آياتك .

قوله تعالى: تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَيُؤْفَقُونَ غِيًّا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ جَنَّتٍ عَذْنٌ آلَتِي وَعَذُّ الرَّحْمَنِ عِبَادُهُ وَالْغَيْبُ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٩﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٧٠﴾

إليه أربع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: ( تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ) أي أولاد سوء . قال أبو حنيفة: حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: ذلك عند قيام الساعة، وذهاب صالحى هذه الأمة

أمة عبد صلى الله عليه وسلم يترو بعضهم على بعض في الأئمة زنى . وقد تقدم القول في « حلف »  
في « الأعراف »<sup>(١)</sup> فلا معنى للإعادة .

الثانية - قوله تعالى : ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ) وقرا عبد الله والحسن « أَضَاعُوا الصَّلَاةَ »  
على الجمع . وهو ذم ونص في أن إضاعة الصلاة من الكبار التي يوجب بها صاحبها ولا خلاف  
في ذلك . وقد قال عمر : ومن ضيعها فهو لمساوما ضيع . واختلفوا فيمن المراد بهذه الآية ؟  
فقال مجاهد : النصارى خلفوا بعد اليهود . وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد أيضا وعطاء :  
هم قوم من أمة عبد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان ؛ أي يكون في هذه الأمة من هذه صفته  
لا أنهم المراد بهذه الآية . واختلفوا أيضا في معنى إضاعتها ؛ فقال القرظي : هي إضاعة  
كفر وجمد بها . وقال القاسم بن غبيرة ، وعبد الله بن مسعود : هي إضاعة أوقاتها ، وعدم  
القيام بحقوقها وهو الصحيح ، وأنها إذا صليت على ما لا تصح ولا تجزئ ؛ لقوله صلى الله  
عليه وسلم لرجل الذي صلى وجاء فسلم عليه " أرجع فصل فإلك لم تصل " ثلاث مرات  
خرجه مسلم . وقال حذيفة لرجل يصل فطفف<sup>(٢)</sup> : منذ كم تصل هذه الصلاة ؟ قال منذ أربعين  
عاما . قال : ما صليت ، ولو مت وأنت تصل هذه الصلاة لمت على غير فطرة عبد صلى الله  
عليه وسلم . ثم قال : إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويمس . خرجه البخاري واللفظ  
للنسائي ، وفي الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل " يعني صلبه في الركوع والسجود ؛ قال : حديث حسن  
صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ؛  
يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود ؛ قال الشافعي وأحمد وإسحق : من لم يقيم  
صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة ؛ قال صلى الله عليه وسلم " تلك الصلاة صلاة  
النافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنصرها أربعا لا يذكر  
الله فيها إلا قليلا " . وهذا ذم لمن يفعل ذلك . وقال فروة بن خازم بن سنان : استبطا

(١) راجع ج ٧ ص ٣١٠ وما بعدها طبع أول أو ثانية .

(٢) أي قص ، والتلفيف يكون بمعنى الزيادة والقص .

أصحاب الضحاك مرة أميرا في صلاة العصر حتى كادت الشمس تغرب ؛ فقرأ الضحاك هذه الآية ؛ ثم قال : والله لأن أدعها أحب إلى من أن أضيعها . وجملة القول في هذا الباب أن من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس يحافظ عليها ، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ، ومن ضيعها فهو لما سؤلها أضيع ، كما أن من حافظ عليها حفظ الله عليه دينه ، ولا دين لمن لا صلاة له . وقال الحسن : عطلوا المساجد ، واشتغلوا بالصنائع والأسباب . « وَاتَّبِعُوا السُّبُوحَاتِ » أى اللغات والمعاصي .

الثالثة — روى الترمذى وأبو داود عن أنس بن حكيم الضبي أنه أتى المدينة فلقي أبا هريرة فقال له : يا أنس ألا أحدثك حديثا لعل الله تعالى أن يتفكك به ؛ قلت : بلى . قال : " إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة وهو أعلم انظروا في صلاة عبدى أمها أم قصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال أكلوا لعبدى فريضة من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك " . قال يونس : وأحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لفظ أبي داود . وقال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا داود بن أبي هند عن زرارة بن أوفى عن تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى . قال : " ثم الزكاة مثل ذلك " ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك . وأخرجه النسائى عن همام عن الحسن عن حريث بن قبيصة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة بصلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر — قال همام لا أدرى هذا من كلام قتادة أو من الرواية — فإن انتقص من فريضة شيء قال انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما نقص من الفريضة ثم يكون سائر " . على نحو ذلك . طائفة أبو العوام فرواه عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن وجدت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيء قال انظروا هل يتجددون له من



تطوع بكل ما ضيع من فرضته من تطوعه ثم سائر الأعمال تجري على حسب ذلك . قال  
النسائي : أخبرنا إسحق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا حماد بن سلمة عن  
الأوزني بن قيس عن يحيى بن يعمر عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل أنظروا  
لعبدى من تطوع فإن وجد له تطوع قال أكملوا به الفريضة » . قال أبو عمر بن عبد البر  
في كتاب « التمهيد » : أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون — والله أعلم — فيمن  
سها عن فريضة فلم يأت بها ، أو لم يحسن ركوعها وسجودها ولم يدر قدر ذلك ، وأما من  
تركها ، أو نسى ثم ذكرها ، فلم يأت بها عائدا ، واشتغل بالتطوع عن إداها فرضها وهو ذاكر  
له ، فلا تكمل له فريضة من تطوعه ، والله أعلم . وقد روى من حديث الشاميين في هذا  
الباب حديث منكر يرويه محمد بن حبر عن عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن قنوط عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده زيد فيها من  
تسبحاته حتى تتم » . قال أبو عمر : وهذا لا يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا  
الوجه ، وليس بالقوى ، وإن كان مع كان معناه أنه يخرج من صلاة كان قد أكملها عند نفسه  
وليس في الحكم بئامة .

قلت : فينبغي للإنسان أن يحسن فرضه وقوله حتى يكون له نفل يحده زائدا على فرضه  
يقربه من ربه ، كما قال سبحانه وتعالى : « وما يزال عبيدى يتقربون إلى بالنوافل حتى أحبه »  
الحديث . فإما إذا كان نفل يكمل به الفرض لحكه في المعنى حكم الفرض . ومن لا يحسن أن  
يصل الفرض فأحرى وأولى ألا يحسن التفضل ، لا جرم تفضل الناس في أشدة ما يكون من  
التقصان والخلل خلفه عندهم ، وتهاونهم به ، حتى كأنه غير متدبه . ولعمركم لقد يشاهد  
في الوجود من يشار إليه ، ويظن به العلم تنفله كذلك ، بل فرضه إذ يتقره قمر الديك لعدم  
معرفة بالحديث ، فكيف بالجهال الذين لا يعلمون . وقد قال العلماء : ولا يميز ركوع  
ولا سجود ، ولا وقوف بعد الركوع ، ولا جلوس بين السجدين ، حتى يعتدل راكعا واقفا

وساجدا والجالسا . وهذا هو الصحيح في الأثر، وعليه جمهور العلماء وأهل النظر . وهذه رواية ابن وهب وأبي مصعب عن مالك . وقد مضى هذا للمضى في « البقرة » . وإذا كان هذا فكيف يكل بذلك النفل ما نقص من هذا الفرض على سبيل الجهل والسوء ؟ بل كل ذلك غير صحيح ولا مقبول ؛ لأنه وقع على غير المطلوب . والله أعلم .

قوله تعالى : ( وَأَتَّبِعُوا النَّهْيَاتِ ) وعن علي رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى : « وَأَتَّبِعُوا النَّهْيَاتِ » هو من بني [المشيد<sup>(١)</sup>] وركب المنظور، وليس المنصور .

قلت : الشهوات عبارة عما يوافق الإنسان ويشتهي ويلازمه ولا يتبته . وفي الصحيح : « حُفَّتِ الجنة بالمكاره وحُفَّتِ النار بالشهوات » . وما ذكر من علي رضي الله عنه جزء من هذا .

قوله تعالى : ( فَسَوْفَ يَقْوُونَ غَيًّا ) قال ابن زيد : شرا أو ضللا أو خيبة ، قال :

فمن يلق شيئا يحمده الناس أمره . ومن يتو لا يمدح على الشيء لأنما

وقال عبد الله بن مسعود : هو واد في جهنم . والتقدير عند أهل اللغة فسوف يقعون هذا الشيء ؛ كما قال جل ذكره : « وَمَنْ يَقْسَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا » . والأظهر أن الذي اسم للوادي سمى به لأن النازين يصيرون إليه . قال كعب : يظهر في آخر الزمان قوم بأيديهم سياط كأذناب البقر، ثم قرأ « فَسَوْفَ يَقْوُونَ غَيًّا » أي هلاكا وضللا في جهنم . وعنه : غي واد في جهنم أبدها قمرًا ؛ وأشدّها حرا ؛ فيه يرمى يسمى البهيم ، كلما خبث جهنم فتح الله تعالى تلك البئر فتسرع بها جهنم . وقال ابن عباس : غي واد في جهنم ، وأن أودية جهنم تستعيز من حرا ، أعد الله تعالى ذلك للوادي الزاني المصر على الزنى ، ولشارب الخمر المدمن عليه ، ولأكل الربا الذي لا يتزع عنه ، ولأهل العقوق ، ولشاهد الزور ، ولأمرأة أدخلت على زوجها وإنما ليس منه .

(١) راجع ج ١ ص ١٧٠ وما بعدها طبعه دار آية آر ٢٥٢ . (٢) في الأصل : « من بني هاشم » .

(٣) البيت للرئيس كان في الحسان .

قوله تعالى : (إِلَّا مَنْ تَابَ) أى من تضييع الصلاة واتباع الشهوات، فرجع إلى طاعة ربه . (وَأَمَّنْ) به (وَعَمِلَ صَالِحًا قَاتِلًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) . قرأ أبو جعفر وشيبة وابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو وبنعوب وأبو بكر « يَدْخُلُونَ » بفتح الهمزة . وفتح الياء بالقيون . (وَلَا يَظْلُمُونَ شَيْئًا) أى لا ينقص من أعمالهم الصالحة شيء، إلا أنهم يكتب لهم بكل حسنة عشر إلى مائة . (جَنَّاتٍ مَّدْيَنَ) بدلا من الجنة فانتصت . قال أبو إسحق الزجاج : ويجوز « جَنَّاتٌ مُدَيْنٌ » على الابتداء . قال أبو حاتم : ولولا الخط لكان « جَنَّةٌ عَدْنٌ » لأن قبله « يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » . (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالْغَيْبِ) أى من عبده وحفظ عهده بالنيب . وقيل : آمنوا بالجنة ولم يروها . (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا) « مأتيا » مفعول من الإتيان . وكل ما وصل إليك فقد وصلت إليه ؛ تقول : أنت على ستون سنة وأنت على سبعين سنة . ووصل إلى من فلان خير ووصلت منه إلى خير . وقال القتيبي : « مأتيا » بمعنى آت فهو مفعول بمعنى فاعل . و « مأتيا » مهموز لأنه من آتى يأتى . ومن خفف الميمزة جعلها ألفا . وقال الطبري : الورد حاشاء الموعود وهو الجنة ؛ أى يأتيا أوليائه . (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) أى فى الجنة . والغفوف ممناه الباطل من الكلام والنقص منه والفضول وما لا ينفع به . ومنه الحديث : « لما قلت لصاحبك يوم الجمعة أتيت والإمام يخطب فقف لفوت » ويروى « فلبت » وهى لغة أبى هريرة ؛ كما قال الشاعر :

وَرَبِّ أَسْرَبِ حَبِيبِ كُلِّمْ • مِنْ أَلْفَا وَرَقَتْ التَّكَلِّمُ

قال ابن عباس : الغفوف كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالى ؛ أى كلامهم فى الجنة حدائقه وتسميته . (إِلَّا مَلَأْنَا) أى لكن يسمعون سلاما فهو من الاستثناء المتعلق ، بمعنى سلام بعضهم على بعض ، و سلام الملك عليهم ، قاله مقاتل وغيره . والسلام اسم جامع للخير ؛ والمعنى أنهم لا يسمعون فيها إلا ما يحبون . قوله تعالى : (وَلَمْ يَذْكُرْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًا) أى لم يذكرهم من الطعام والمشارب بكرة وعشيا ؛ أى فى قدر هذين الوقتين ؛ إذ لا بكرة ثم ولا عشيا ؛

(١) حريدة منه ابن عبد الساج . « اللذان » .

كقوله تعالى : « فَرَّغُوا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا » أى قدر شهره ، قال معناه ابن عباس وابن جرير وغيرهما . وقيل : صرّفهم احتفال أحوال أهل الجنة ، وكان أهل الجنة عند العرب التمكن من الطعام والمشرب بكرة وعشيا . قال يحيى بن أبى كثير وقتادة : كانت العرب فى زمانها من وجد غذاء وعشاء معا فذلك هو النائم ، فترت . وقيل : أى رزقهم فيها غير مقطوع ، كما قال : « لا مقطوعة ولا ممنوعة » وهو كما تقول : أنا أصبح وأمسى فى ذكرك ، أى ذكرى لك دائم . ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بقلوبهم ، والعشى بعد فراغهم من ليلتهم ، لأنه يغفلها فترات أنتقال من حال إلى حال . وهذا يرجع إلى القول الأول . وروى الزبير ابن بكار عن اسمعيل بن أبى أويس قال قال مالك بن أنس : طعام المؤمنين فى اليوم مرتان ، وتلا قول الله عز وجل : « وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعِشَاءً » ثم قال : وعرض الله عز وجل المؤمنين فى الصيام السحور بدلا من الغذاء ليقوا به على عبادة ربهم . وقيل : إنما ذكر ذلك لأن صفة الغذاء هيئته [تختلف<sup>(١)</sup>] عن صفة الشاء هيئته ، وهذا لا يبرهن إلا الملوك . وكذلك يكون فى الجنة رزق الغذاء غير رزق الشاء تتلون عليهم النعم ليزدادوا تنمنا وغبطة . ونرجع الترمذى الحكيم فى « نوادر الأصول » من حديث أبان عن الحسن رأى قلاية قال قال رجل : يا رسول الله هل فى الجنة من ليل ؟ قال : « وما هيئك على هذا » قال سمعت الله تعالى يذكر فى الكتاب « وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعِشَاءً » فقلت : الليل بين البكرة والعشى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدق على الرواح والرواح على الغدق وتأتيهم كُرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها فى الدنيا وتسلم عليهم الملائكة » وهذا فى غاية البيان لمعنى الآية ، وقد ذكرناه فى كتاب « التذكرة » . وقال العلماء : ليس فى الجنة ليل ولا نهار ، وإنما هم فى نور أبدا ، إنما يعرفون مقدار الليل من النهار بإرطه المحب ، وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع المحجب وفتح الأبواب . ذكره أبو الفرج الجوزى والمهدوى وغيرهما .

(١) زيادة بنصفها الباق .

قوله تعالى : ( تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي ) أى هذه الجنة التى وصفتنا أحوال أهلها ( نُورِثُ )  
 بالتخفيف . وقرا يعقوب « نُورِثُ » بفتح الواو وتشديد الراء . والاختيار التخفيف ؛ لقوله  
 تعالى : « ثم أوردنا الكتاب » . ( مِنْ جَدِيدًا مَنْ كَانَ قَيًّا ) قال ابن عباس : أى من أهانى  
 وعمل بلائى . وقيل : هو على التقديم والتأخير ، تقديره : نورث من كان غيا من عبادة .

قوله تعالى : وَمَا نَنْتَهِلُ إِلَّا يُأَخِرُ رَبُّكَ لَهُمْ مَا يَبِينُ إِلَيْنَا وَمَا خَلَقْنَا  
 وَمَا يَبِينُ ذَلِكَ وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١١﴾ رَبِّ أَسْمُنُوكَ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا يَنْهِيهَا فَاغْبُوهَا وَأَاصِعْهُمْ لِعَبْدِيهِ هَلْ نَعْلَمُ لَهُمْ سَمِيًّا ﴿١٢﴾

وروى الترمذى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : « ما منعك  
 أن تزودنا أكثر مما تزودنا » قال : فقلت هذه الآية « وَمَا نَنْتَهِلُ إِلَّا يُأَخِرُ رَبُّكَ » لى آخر الآية .  
 قال هذا حديث حسن غريب . ورواه البخارى : حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا حماد بن ندر  
 قال سمعت أبا بصير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 لجبريل : « ما يمنعك أن تزودنا أكثر مما تزودنا فقلت « وما ننتهل إلا بأمر ربك » »  
 الآية ؛ قال : كان هذا الجواب لحمد صلى الله عليه وسلم . وقال مجاهد : أبطأ الملك على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه ، فقال : « ما الذى أبطأك » قال : كيف تأتيتكم وأنتم  
 لا تأخذون أطعاركم ، ولأننا أخذون من شواربكم ، ولا نتفقون رؤسنا بكم ، ولا نساكون ؛ قال  
 مجاهد : فقلت الآية فى هذا . وقال مجاهد أيضا وقادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي :  
 أحببنا جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قوله عن قصة أصحاب الكهف  
 ونفى القرين والروح ولم يدر ما يعيهم ، وربما أن يأتيه جبريل بجواب ما سألوا عنه ؛ قال  
 عكرمة : فأبطأ عليه أربعين يوما . وقال مجاهد : أتتني عشرة ليلة . وقيل : خمسة عشر يوما ؛  
 وقيل : ثلاثة عشر . وقيل : ثلاثة أيام . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبطأت على حتى

(١) الزايب : ما بين هذه الأماع من داخل ؛ راجعها راجعة .

سأخبرك وأشتت إليك فقال جبريل عليه السلام : إني كنت أشوق ، ولكنني عبد مأمور  
إذا بعثت نزلت ، وإذا حبست أحتبست ، فقلت الآية : « وَمَا تَسْتَرْقِلُ إِلَّا نَفْسَ رَبِّكَ » وأنزل  
« وَالْفُتَيْحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . ذكره التلمبي والواحدى والقشيري  
وفيهيم . وقيل : هو إخبار من أهل الجنة أنهم يقولون عند دخولها : وما تسترقل هذه الجنة  
إلا بأمر ربك ، وعلى هذا تكون الآية متصلة بما قبل . وعلى ما ذكرنا من الأقوال قيل : تكون  
غير متصلة بما قبلها ، والقرآن سور ، ثم السور تستعمل على جمل ، وقد تفصل جملة عن جملة .  
« وَمَا تَسْتَرْقِلُ » أى قال الله تعالى : قل يا جبريل « وَمَا تَسْتَرْقِلُ إِلَّا نَفْسَ رَبِّكَ » . وهذا يحتمل  
وجوهين : أحدهما - إنا إذا أمرنا نزلنا عليك . الثانى - إذا أمرك ربك نزلنا عليك .  
فيكون الأمر على الأول متوجها إلى النزول ، وعلى الوجه الثانى متوجها إلى التبريل .

وقوله تعالى : (لَهُ) أى لله . ( مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ) أى علم ما بين أيدينا ( وَمَا خَلْفَنَا  
وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ) قال ابن عباس وابن جرير : ما مضى أمامنا من أمر الدنيا ، وما يكون بعدها  
من أمرها وأمر الآخرة « وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ » من البرزخ . وقال قتادة ومقاتل : « له ما بين  
أيدينا » من أمر الآخرة « وما خلفنا » ما مضى من الدنيا « وما بين ذلك » ما بين التفتحين  
وبينهما أربعون سنة . الأخفش : « ما بين أيدينا » ما كان قبل أن نحلق « وما خلفنا »  
ما يكون بعد أن نموت « وما بين ذلك » ما يكون منذ خلقنا إلى أن نموت . وقيل : « ما بين  
أيدينا » لمن الثواب والعقاب وأمور الآخرة . « وما خلفنا » ما مضى من أعمالنا في الدنيا  
« وما بين ذلك » أى ما يكون من هذا الوقت إلى يوم القيامة . ويحتمل خامسا : « ما بين  
أيدينا » السماء « وما خلفنا » الأرض « وما بين ذلك » أى ما بين السماء والأرض . وقال  
ابن عباس فى رواية : « له ما بين أيدينا » يريد الدنيا إلى الأرض « وما خلفنا » يريد  
السموات - وهذا على عكس ما قبله - « وما بين ذلك » يريد الهواء ، ذكر الأول المساورى  
والثانى القشيري . الرغزبى : وقيل ما مضى من أعمارنا وما خبرناها ، والحال التى نحن فيها .  
ولم يقل : ما بين ذينك لأن المراد ما بين ما ذكرنا ، كما قال : « لَا تَأْرِيضُ وَلَا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ »

لنرى ما ذكرنا . ( وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا ) أى نسبنا إنا شابه لمن جعل لك لرسول . وقيل :  
لنرى لم يهلك وإن تأخر منك الروح . وقيل : لنرى أنه علم جميع الأسماء مقدما وماترها ،  
ولا ينس شيئا منها .

قوله تعالى : ( رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ) أى وهما ومثلهما ومثل ما بينهما  
ومالكهما وماك ما بينهما ، لكان إليه تدبير الأزمان كذلك إليه تدبير الأعيان . ( فَأَمَّا هُوَ )  
أى وحده لذلك . ون هذا دلالة على أن اكتسابات الخلق مفعولة لله تعالى ، كما فعله أهل  
الحق ، وهو القول الحق ، لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه إلا مل  
المالك ، وإذا ثبت أنه مالك ما بين السماء والأرض . دخل في ذلك اكتساب الخلق ،  
ورجبت حياته ، لما ثبت أنه المالك من الإطلاق ، وحقيقة العبادة الطاعة ببناء الخضوع ،  
ولا يستحقها أحد سوى المالك للعبود . ( وَأَصْطَفَى بِلَادَهُ ) أى لطاعه ولا تحزن لتأخير  
الروح منك ، بل اشتغل بما أمرت به . وأصل أصطبر اصبر ، فكل الجمع بين الله والعباد  
لاختلافهما ، فأبدل من الله طاه ، كما تقول من الصوم : أصطام . ( هَلْ تَسْمَعُ لَهُ نَدِيًّا )  
قال ابن عباس : يريد هل تسمع له ولما أى نظيرا ، أو مثلا ، أو شيئا يستحق مثل اسمه الذى  
هو الرحمن . وقاله بجاهد . مأخوذ من المسامة . وروى إسرائيل عن سماك عن مكرمة عن  
ابن عباس قال : هل تسمع له أحد سمي الرحمن . قال النحاس : وهذا أجل إسماء طهته روى  
في هذا الحرف ، وهو قول صحيح ، لا يقال الرحمن إلا لله .

قلت : وقد مضى هذا مينا في البسطة<sup>(١)</sup> . والمجده . وروى ابن أبي نجيح عن بجاهد  
« هل تسمع له سمي » قال : مثلا . ابن المسيب : عدلا . قتادة والكلبي : هل تسمع أحدنا  
بسمي الله تعالى غير الله ، أو يقال له الله إلا الله . وهل معنى لا ، أى لا تعلم . والله  
تعالى أعلم .

قوله تعالى : وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْنَا مَا مَيِّتَ لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾  
أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ قَوْرَبِكَ  
لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينُ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ  
مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَئِمَّةً عَلَى الرَّحْمَنِ جِثِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَنْحُبَنَّ أَطْعَمَ وَالَّذِينَ  
كُنَّا مِنْهُمْ أَوْلَىٰ صِلَىٰ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يَنْتَكِرْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا  
مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَلْعَلُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

قوله تعالى : ( وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْنَا مَا مَيِّتَ لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا ) الإنسان هنا ابن  
ابن خلف ، وجد عظاما بالية ففتحا بيده ، وقال : زعم جد أنا تمت بعد الموت ، قاله الكلبي ؛  
ذكره الواحدي والشمس والشمس . وقال المهدوي : نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه ،  
وهو قول ابن عباس . واللام في « لسوف أخرج حيا » للتأكيد ، كأنه قيل له : إذا ماتت  
لسوف تمت حيا فقال : « أنذا ماتت لسوف أخرج حيا » ! قال ذلك منكرا لحامت  
اللام في الجواب كما كانت في القول الأول ، ولو كان مبتدأ لم تدخل اللام ، لأنها للتأكيد  
والإيجاب وهو منكر البعث . وقرا ابن ذكوان « إننا ماتت » على الخبر . والياقوت بالاستفهام  
على أصولهم بالهمز . وقرا الحسن وأبو حنيفة « لَسَوْفَ أُنْرَجُ حَيًّا » ، قاله استنزه لأهمهم  
لا يصدقون بالبعث . والإنسان هاهنا الكافر .

قوله تعالى : ( أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ ) أي أَوَلَا يَذْكُرُ هَذَا الْفَاعِلُ ( أَنَّا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ )  
أي من قبل سؤاله وقوله هَذَا الْقَوْلُ ( وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ) فالإعادة مثل الابتداء فلم ينقص ، وقرا  
أهل الكوفة إلا صامعا ، وأهل مكة وأبو عمرو وابن جعفر « أَوَلَا يَذْكُرُ » . وقرا شاذية ونافع وعاصم  
« أَوَلَا يَذْكُرُ » بالتحفيف ، والاختيار التشديد وأصله يتذكر ، لقوله تعالى : « إنما يذكركم  
أولو الألباب » وأخواتها ، وفي حرف أبي « أَوَلَا يَتَذَكَّرُ » وهذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة  
لخط المصحف . ومعنى « يَتَذَكَّرُ » يتفكر ، ومعنى « يَذْكُرُ » يتلوه ويعلم ، قاله النحاس .



قوله تعالى : ( قَدْ رَبَّكَ تُنْحَرِتُهُمْ ) أقسم بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قیوم إلى اللحد كما يحشر المؤمنین . ( وَالشَّيَاطِينَ ) أى ولنحشرن الشیاطین قراء لهم . قيل : يحشر كل كافر مع شیطان فى سلسلة ، كما قال : « أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ » .  
 الزحشرى : والواو فى « وَالشَّيَاطِينَ » يجوز أن تكون السلف وبمعنى مع ، وهى بمعنى مع أو مع . والمضى أنهم يحشرون مع قرأتهم من الشیاطین الذين أعوهم ، يقرنون كل كافر مع شیطان فى سلسلة . فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة ، فإن أريد الإناسی من العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشیاطین ؟ قلت : إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفهم الكفرة مقرونین بالشیاطین ، فقد حشروا مع الشیاطین كما حشروا مع الكفرة .  
 فإن قلت : هلا عزل السعداء عن الأشقیاء فى الحشر كما عزلوا عنهم فى الجزاء ؟ قلت : لم يفرق بينهم فى الحشر ، وأحضرُوا حيث تجاثوا حول جهنم ، وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التى تجاهم الله منها وخلصهم ، فيزدادوا ذلك خبطة ، وسرورا إلى سروره ، ويستمتوا بأعلاء الله تعالى وأعدائهم ، فتزداد مسامتهم وحسرتهم ، وما ينظهم من معادة أولیاء الله وشمايتهم بهم . فإن قلت : ما معنى إحضارهم جیاء ؟ قلت : أما إذا فرس الإنسان بالخصوص فالذى أنهم یعتلون من الحشر إلى شاطئ جهنم قتلا على حالم الذى كانوا علیها فى الموقف ، جیاء على ركبهم غیر مشاة على أقدامهم . وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجحى ، قال الله تعالى : « وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ » على الحالة المعهودة فى مواقف المقاولات والمناقلات ، من تجامى أهلها على الركب . لما فى ذلك من الاستیفاز والفاق ، وإطلاق الحبا خلاف الطمأنينة ، أولا يدهمهم من شدة الأمر التى لا یأتون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جحوا . وإن فرس العموم فالذى أنهم یجاثون عند موافاة شاطئ جهنم .  
 هل أن «جیاء» حال مقدرة كما كانوا فى الموقف متجائین ، لأنه من تواجى التواقف الحساب ، قبل التواصل إلى التواب والعقاب . ويقال : إن معنى ( تُنْحَرِتُهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِئًا )

(١) التل : الفع والإرهاق بالسرقة النيف . (٢) الاستیفاز : عدم الاطمئنان ، قال الجوهري

قد سئروا أى فرسوا .

أى جنباً على ركبهم، عن مجاهد وقادة؛ أى أنهم لشدة علم فيه لا يندرون على القيام .  
 « وحول جهنم » يجوز أن يكون داخلها ؛ كما تقول : جلس القوم حول البيت أى داخله  
 مطبقين به ؛ فتقوله : « حول جهنم » هل هذا يجوز أنت يكون بعد الدخول . ويجوز  
 أن يكون قبال الدخول . و « جنباً » جمع جانب . يقال : جنا على ركبته يحنو ويحنو جُنُوءاً  
 وجُنُوءاً على قولين ؛ وجناهما ؛ واجتأه فيه . وقوم يحنُّ أيضاً ؛ مثل جلس جلوساً وقوم جلوس ؛  
 ويحنُّ أيضاً بكسر الجيم لما بعدها من الكسر . وقال ابن عباس : « جنباً » جماعات . وقال  
 مقاتل : جماً جماً ؛ وهو على هذا التاويل جمع جُنُوءَةٍ وجُنُوءَةٍ ثلاث لغات ، وهى الحجارة  
 المجموعة والتراتب المجموع ؛ فأهل النهر على حدة ، وأهل الزنى على حدة ، وهكذا ؛ قال طرفة :  
 ترى جُنُوءَيْنِ من تَرَابٍ عليهما • صفائحُ صُم من صفيحٍ مُسَدِّدٍ

وقال الحسن والضحاك : جاتية على الركب . وهو على هذا التاويل جمع جات على ما تقدم .  
 وذلك لضيق المكان ؛ أى لا يمكنهم أن يجلسوا جلوساً تاماً . وقيل : جنباً على ركبهم  
 لتخاضعهم ؛ كقوله تعالى : « ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » . وقال الكلبى :  
 هم تَرَكُّوا سَرَاتَهُمْ جُنُوءاً • وهم دون السراء مقرَّبون

قوله تعالى : ( ثُمَّ لَنَزَعُنَّ مِنَ كُلِّ شِيعَةٍ ) أى لنستخرجن من كل أمة وأهل دين  
 ( أَيْمُهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ) العتاس : وهذه آية مشككة فى الإعراب ؛ لأن القراء كلهم  
 يقرءون « أَيْم » بالرفع إلا هزرون الفارنى الأعمود فإن سيوبه حكى عنه : « ثم لنزعن من كل  
 شِيعَةٍ أَيْمٌ » بالنصب أوقع على أَيْمٍ لنزعن . قال أبو إسحق فى رفع « أَيْم » ثلاثة أقوال ؛  
 قال الخليل بن أحمد حكاه عنه سيوبه : إنه مرفوع على الحكاية ؛ والمعنى : ثم لنزعن من كل  
 شِيعَةٍ الذى يقال من أجل عتوه أَيْمٍ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ؛ وأشد الخليل ، فقال :

ولقد أبيت من الفتاة بمزول • فأبيت لا حرج ولا محروم

فأبيت بمزلة الذى يقال له لا هو حرج ولا محروم . وقال أبو جعفر النحاس : ورأيت  
 إسحق يختار هذا القول ويستحسنه ؛ قال : لأنه معنى قول أهل التفسير . وزعم أن معنى

« ثم لتزمن من كل شعبة » ثم لتزمن من كل فرقة الأخرى فالأخرى . كأنه يتحداه بالتعليق  
بأشدهم حياء ثم الذى يليه ، وهذا نص كلام أبي إسحق ، في معنى الآية ، وقال يونس : « لتزمن »  
بترتلة الأنفال التي تلقى ورفع « أيهم » على الابتداء ، المهدوى : والفعل الذى هو « لتزمن »  
هند يونس معلق ، قال أبو علي : معنى ذلك أنه يعمل في موضع « أيهم أشد » لأنه ملقى .  
ولا يلقى عند الخليل وسيويه مثل « لتزمن » ، إنما يلقى بأفعال الشك وشبهها ما لم يتحقق  
وقوعه . وقال سيويه : « أيهم » مبنى على الضم لأنها خالفت أخواتها في الحذف ، لأنك  
لو قلت : رأيت الذى أفضل ومن أفضل كان قبيحا ، حتى تقول من هو أفضل ، والحذف  
في « أيهم » جائز . قال أبو جعفر : وما علمت أحدا من الصحوين إلا وقد خطأ سيويه  
في هذا ، وسمعت أبا إسحق يقول : ما بين لي أن سيويه غلط في كتابه إلا في موضعين هذا  
أحدهما ، قال : وقد علمنا أن سيويه أعرب أيا وهى مفردة لأنها تضاف ، فكيف يلقب وهى  
مضافة ؟ ولم يذكر أبو إسحق نيا علمت إلا هذه الثلاثة الأقوال . أبو علي : إنما وجب  
البناء على منضم سيويه ، لأنه حذف منه ما يعرف به وهو الضمير مع افتقار إليه ، كما حذف  
في « من قبل ومن بعد » ما يعرفان به مع افتقار المضاف إلى المضاف إليه ، لأن الصلة تبين  
الموصول وتوضحه كما أن المضاف إليه بين للمضاف ويخصه . قال أبو جعفر : وفي أربعة  
أقوال سوى هذه الثلاثة التي ذكرها أبو إسحق ، قال الكسائي : « لتزمن » واقعة على المعنى ،  
كما تقول : لبست من الثياب ، وأكلت من الطعام ، ولم يقع « لتزمن » على « أيهم »  
قبضها . زاد المهدوى : وإنما الفعل عنده واقع على موضع « من كل شعبة » وقوله :  
« أيهم أشد » جملة مستأنفة صرغمة بالابتداء ، ولا يرى سببه زيادة « من » في الواجب .  
وقال الفراء : المعنى ثم لتزمن بالبذاء ، ومعنى « لتزمن » لتنادين . المهدوى : وتنادى فعل  
يلقى إذا كان بعده جملة ، كطلعت فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ . قال أبو جعفر :  
وحكى أبو بكر بن شفيق أن بعض الكوفيين يقول في « أيهم » معنى الشرط والمجازاة ، فذلك  
لم يعمل فيها ما قبلها ، والمعنى : ثم لتزمن من كل فرقة إن تشايروا أو لم يتشايروا ، كما تقول :  
ضربت القوم أيهم غضب ، وللمنى إن غضبوا أو لم يغضبوا . قال أبو جعفر : فهذه ستة

يقول، وصمت علي بن سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال : « أهم » متعلق « بشيعة » فهو  
 مرفوع بالابتداء، والمعنى : ثم لتضمن من الذين تشابها بهم، أي من الذين تعاونوا فظفروا  
 بهم أشد على الرحمن حياء، وهذا قول حسن . وقد حكى الكسائي أن الشياخ الثماون .  
 و « حياء » نصب على اليان . ( ثُمَّ لَتَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلًى ) أي أحق بدخول  
 النار . يقال : صُلِيَ صُلًى ، نحو مضى الشيء ، مضى مضياً إذا ذهب ، وهوى هوى هُوياء .  
 وقال الجوهرى : ويقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته بصلها ، لأن ألقينه  
 فيها لقسا كأنك تريد الإحراق قلت : أصله بالآلئ وصلته تعلية . وقرئ « ويُصَلُّ »  
 سميماً . ومن خفف فهو من قولهم : صلي فلان بالنار (بالكسر) يصل صلياً احترق ؛  
 قال الله تعالى : « هُم أَوْلَىٰ بِهَا صُلًى » . قال السجاق :

« ولقد لولا النار أن تصلاها »

ويقال أيضاً : صلي بالأمر إذا قلبي حر وشغته . قال الطهوي :

وَلَا تَسْأَلُ بِسَائِلِهِمْ وَإِنْ هُمْ . « لَوْ بِالْحَرْبِ حِيَاءٌ بَدَّ حِينَ

وَأَصْطَلَتْ بِالنَّارِ وَتَصَلَّتْ بِهَا . قال أبو زيد :

وَقَدْ تَصَلَّتْ حَرَّ حَرِيْسٍ . كما فصل المفرد من قريس

وفلان لا يصطل بناره إذا كان حياء لا يطاق .

قوله تعالى : ( وَإِنْ يَنْتَهِ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا ) فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : « وَإِنْ يَنْتَهِ » هذا قسم ، والوار ينتهيه . ويضمر حليت

التي صل الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تدسه النار إلا تحلته

(١) « حياء » بضم الصاد قراءة « قانع » وعليها التفسير .

(٢) ونصب في اللسان مادة « فيه » إل الزمان ، وأوردته في أبيات من :

ما بال من عرفها استبكاها . في رثم دار لبيت بلاها

فأله لولا النار أن تصلاها . أو يدخر الناس عليا الله

لما سمعت لأمر قاتلها .

القسام<sup>(١)</sup> قال الزهري : كأنه يريد هذه الآية : « وإن ينكح إلهها » ذكره أبو دارد الطيالسي؛ فقله : « إلا تحل القسم » يخرج في التفسير المستند؛ لأن القسم المذكور في هذا الحديث ممتنع عند أهل العلم قوله تعالى : « وإن ينكح إلهها » . وقد قيل : إن المراد بالقسم قوله تعالى : « والذاريات ذروا » إلى قوله : « إنما توعدون لعيانكم . وإن الدين لأوسع » والأول أشهر والمعنى مثالب .

الثانية - وأختلف الناس في الورد؛ فقبل : الورد الدخول؛ وروى عن جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الورد الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين رداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم » ثم نسخ النبي آتقوا وتلوا الطالين فيها جئنا<sup>(٢)</sup> « أسنده أبو عمر في كتاب « التمهيد » . وهو قول ابن عباس وسالمة بن معدان وابن جريج وغيرهم . وروى عن يونس أنه كان يقرأ « وإن ينكح إلهها » الورد الدخول ؛ على التفسير للورد؛ فغلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقرآن . وفي مستند الدرر من عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرد الناس النار ثم يصعدون منها بأعمالهم فمنهم كلح البصر ثم كالريح ثم كخضر الفرس ثم كالراكب المحبذ في رحله ثم كشد الرجل في مشيته » . وروى عن ابن عباس أنه قال في هذه المسئلة نافع بن الأزرق الخارجي : أما أنا وأنت فلا بد أن زدها ، أما أنا فينجيني الله منها ، وأما أنت فلا طنة ينحك لكذبك . وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورد والجمل بالصدر ؛ وقد بيناه في « التذكرة » . وقالت فرقة : الورد المهر على الصراط . وروى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار والسدي ، ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقاله الحسن أيضاً ؛ قال : لبس الورد الدخول ، إنما تقول : وردت البصرة ولم أدخلها . قال : فالورد أن يمزوا على الصراط . قال أبو بكر الأنباري : وقد بنى على مذهب الحسن قوم من أهل الفسفة ، وأحتجوا بقول الله تعالى : « إن الذين سبقتم من المؤمنين أولئك عنها » (١) « إلا محلة القسم » : أي لا يدخل النار لحاقية بها ، ولكنه يبرز طياً فلا يكون ذلك الأبعد ما يراه الله فيه . (٢) الخضر (التميم) . العرة وثلة الرجل . غيره أيضاً .



ورود المؤمنين النار هو الجني التي تصيب المؤمنين في دار الدنيا، وهي حظ المؤمنين من النار.  
 فلا يردها . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مرضنا من وعاء به ،  
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " إني إن الله تبارك وتعالى يقول « هي ثلثي أسلحتها  
 على عبدي المؤمنين لتكون حظهم من النار » " أسنده أبو هريرة قال : حدثنا عبد الوارث بن سليمان  
 قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ قال حدثنا أبو أسامة قال حدثنا  
 عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله [عن أبي صالح] الأشعري عن أبي هريرة  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ما مرضنا فذكره . وفي الحديث " الحظي حظ المؤمنين من النار " .  
 وقالت فرقة : الورد النظر إليها في القبر ، فيجني منها القارئ ، ويصلها من قدر عليه دخولها ،  
 ثم يخرج منها بالشفاعة أو يخرجها من رحمة الله تعالى . واحتجوا بحديث ابن عمر : " إذا  
 مات أحدكم عرض عليه مقعده بالنساء والنسي " الحديث . وروى وكيع عن شعبة عن  
 عبد الله بن السائب عن رجل من ابن عباس أنه قال في قول الله تعالى : « وإن ينكم  
 إلا وإردنا » قال : هذا خطاب للكفار . وروى عنه أنه كان يقرأ « وإن ينكم » ردا على  
 الآيات التي قبلها في الكفار : قوله « قوربك لتحضرنهم والشياطين ثم لتحضرنهم حول جهنم  
 جنيها . ثم لتبرعن من كل شعبة أبهم أشد على الرحمن جنيها . ثم لتعن أعظم الذين هم أول بها  
 جنيها . وإن ينكم » وكذلك قرأ عكرمة وجماعة ، وعليها فلا شعب في هذه القراءة . وقالت  
 فرقة : المراد به « حنك » الكفرة ، والمعنى : قل لم يحد . وهذا التأويل أيضا سهل التأويل ،  
 والكاف في « حنك » راجعة إلى الماء في « لتحضرنهم والشياطين » . ثم لتحضرنهم حول جهنم  
 جنيها . فلا ينكر رجوع الكاف إلى الماء ، فقد عرف ذلك في قوله عز وجل : « وسقاهم  
 منهم شرابا طهورا . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » معناه كان لهم ، فرجعت  
 الكاف إلى الماء . وقال الأكثر : المخاطب العالم كله ، ولا بد من ورود الجمع ، وعليه نشأ  
 الاختلاف في الورد . وقد بينا أحوال العلماء فيه . وظاهر الورد الدخول ، لقوله عليه الصلاة

والسلام : "نفسه النار" لأن المسمى حقيقته في اللغة الحامية ، إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين ، ويخون منها سالمين . قال خالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا : إنا نرد النار ؟ فيقال : لقد وردتموها فالتقيتموها رماداً .

قلت : وهذا القول يجمع شتات الأقوال ؛ فإن من وردوها ولم يؤخذ بها وحرها فقد أهدئ منها ونجى منها . لجنا الله تعالى منها بفضلها وكرمها ، وجعلنا ممن وردوها فدخلها سالماً ، ونخرج منها قائماً . فإن قيل : فهل يدخل الأتياء النار ؟ قلنا : لا نطلق هذا ، ولكن نقول : إن الخلق جميعاً يردونها كما دل عليه حديث جابر أول الباب ؛ فالعصاة يدخلونها بحرامهم ، والأولياء والسعداء لشفاعتهم فينزلونهم بؤناً . وقال ابن الأنباري محتجاً بالمصحف هناك وقراءة العامة : جازى الله أن يرجع من خطاب النبية إلى لفظ المواجهة بالخطاب ؛ كما قال : **وَسَقَاتُمْ رَبُّهُمْ شَرَأَ مَا ظَهَرَا . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا** فابدل الكاف من الماء . وقد تقدم هذا المعنى في "يونس" .

الثالثة - الاستثناء في قوله عليه السلام : "إلا تحلة القسم" . يحتمل أن يكون استثناء مقطوعاً ؛ لكن تحلة القسم ؛ وهذا معروف في كلام العرب ؛ والمعنى ألا تحية النار أصلاً ؛ وتم الكلام هنا ثم ابتدأ "إلا تحلة القسم" أي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى : **وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** وهو الجواز على الصراط أو الرؤية أو الدخول دخول سلامة ، فلا يكون في ذلك شيء من مسيس ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : "لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيعتسبهم إلا كانوا له بجنة من النار" والجنة الوقاية والستر ، ومن وقى النار وستر عنها فزن تحية أصلاً ، ولو مته لمسا كان موقى .

الرابعة - هذا الحديث يفسر الأول لأن فيه ذكر الجنة ؛ ولذلك جعله مالك بائنه معسراً . ويقتد هذا الحديث الثاني أيضاً ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار" - أو -

(١) راجع ج ٨ ص ٣٢٤ وراجعها طيبة أولى أرفاقية . (٢) "كان" : بالإزراء وأسمها ضمير يورد وت المفهوم مساقى ؛ أي كان منهم له حجاب . ولأبي ذر عن الكشي كانوا له حجاباً . "فمطلول" .



دخل الجنة " قوله عليه السلام : " لم يلقوا الحِثَّ " - ومعناه عند أهل العلم لم يلقوا الحِلْمَ ولم يلقوا أن يترهم حِثٌّ - دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة - والله أعلم - لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يُرْحَمُوا من أجل [من] ليس بمحروم . وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شلت من الجبرية تجلستهم في المشية ، وهو قول مذهب مريدو بإجماع المجبة الذين لا يجوز عقابهم ، ولا يجوز على منظم النطق ، إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار الأحاد الثقات المدول ، وأن قوله عليه الصلاة والسلام : " الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وأن الملك يقرئ فيكتب أجله وعمله ورزقه " الحديث مخصوص ، وإن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو بمن سعد في بطن أمه ولم يشق بذليل الأحاديث والإجماع . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها : " يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم " ماقط ضعيف مرهود بالإجماع والآثار ، وطبعة بن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يمتنع به . وهذا الحديث مما انفرد به فلا يترجح عليه . وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة ابن إياس المزني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من الأنصار مات له ابن صغير فوجد عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما يترك الآتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته يستفتح لك " فقالوا : يا رسول الله أله خاصة أم للسلمين عامة ؟ قال : " بل للسلمين عامة " قال أبو عمر : هذا حديث ثابت صحيح ، يعني ما ذكرناه مع إجماع الجمهور ، وهو يارض حديث يحيى ويدفعه . قال أبو عمر : والوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار أنها لمن حافظ على أداء فرائضه ، وأجنب الكبائر ، وصبر وأحتسب في مصيئته ، فإن الخطاب لم يتوجه في ذلك العصر إلا إلى قوم الأغلب من أمرهم ما وصفت ، وهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين . وذكر التفاسير عن بعضهم أنه قال : نسخ قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » قوله : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَةُ أُولَئِكَ عِنَّا

مُعدون » وهذا ضعيف ، وهذا ليس موضع نسخ . وقد بينا أنه إذا لم تحسه النار فقد أبدعها . وفي الخبر : « قول النار للذين يوم القيامة جزأ مؤمن فقد أحلفا نورك لمي » .  
 الخامسة - قوله تعالى : « كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » الحتم إحكام القضاء ؛ أي كان ذلك حتما . « مقضيا » أي قضاء الله تعالى عليكم . وقال ابن مسعود : أي قضا واجبا .  
 قوله تعالى : « ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ أَلْتَقَوْا » أي تخلصهم ( ونذر الظالمين فيها جثيا ) وهذا مما يدل على أن ورود الدخول ؛ لأنه لم يقل : وتدخل الظالمين . وقد مضى هذا المعنى مستوفى . والمنعجب أن صاحب الكبرية وإن دخلها فإنه ينافى بقدر ذنبه ثم يجبر . وقالت المرجئة ألا يدخل . وقالت الوعيدية : يخلد . وقد مضى بيان هذا في غير موضع . وقرا عاصم المجدري ومعاوية بن قرة « ثُمَّ نَحْنُ » مخففة من أنجي . وهي قراءة حميد وعقوب والكسائي . وتقل الباقون . وقرا ابن أبي ليل « ثُمَّ » بفتح التاء أي هناك . و « ثُمَّ » ظرف إلا أنه مبني لأنه غير محصل فني كما بنى ذاء ، والماء يجوز أن تكون لبيان الحركة فتعذف في الوصل ، ويجوز أن تكون لتأنيث البقرة فتثبت في الوصل تاء .

قوله تعالى : « وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا » ﴿٧٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعِيًّا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا أَلْعَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : « وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ » أي على الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى : « أَيُّهَا مَائَتْ لَسَوْفَ أُنْخَرُجُ حَيًّا » . وقال فيهم : « ونذر الظالمين فيها جثيا » أي هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تمزروا بالدنيا ، وقالوا : لما بالنا - إن كنا على باطل - أكثر أموالا وأعز قرا . وعرضهم لإدخال الشبهة على المستضعفين ولإيهامهم أن من كثرة ماله طه ذلك على أنه

الحق في دينه؛ وقأنهم لم يروا في الكفر تقديراً ولا في المسلمين غناً، ولم يعلموا أن الله تعالى  
 تحي أولياءه عن الاعتدال بالديناء، وقرط الليل إليها. و «يُنَات» مطه مرتلات الإلفاظ،  
 ملخصة للمعاني، مبيات المقاصد؛ لها محكمت، أو منشآت قد تبعها البيان بالحكمت،  
 أو تبين الرسول صل الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً. أو ظاهرات الإعجاز تحلى بها لم  
 يسدر على معارضتها. أو حجاباً و برهين. والوجه أن تكون حالا مؤكدة؛ كقوله تعالى: «  
 وَهُوَ الْحَقُّ بِصَدَقَةٍ» لأن آيت الله تعالى لا تكون إلا واضحة وحجبا. (عَلَّيْكُمْ كَفَرُوا)  
 يريد مشرك قريش الضعفين الحرب واصحابه. (لَقَدْ كَفَرُوا) يبنى قراء اصحاب النبي صل  
 الله عليه وسلم؛ وكلت فيهم قتالاً، وفي عيشهم خشية، وفي نياهم رثاة؛ وكان للمشركون  
 يرسلون شعورهم، ويحدثون دعوسهم، ويلبسون خير نياهم، فقالوا للضعفين: (أَيُّ الْقَرِيبَيْنِ  
 خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدْبًا). فإيهن كثير وأيهن محيص وحيد وشبل بن جلد. مَقَامًا. بضم  
 الميم وهو موضع الإقامة. ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإقامة. تباقرون «سَلَامًا» بالفتح؛  
 أي متراً ومسكاً. وقيل: المقام الموضع الذي يقام فيه بالأمر الجليلة؛ أي أي القريبتين  
 أكثر جاهاً وأصلاراً. «وَأَحْسَنُ نَدْبًا» أي مجلساً؛ عن ابن عباس. وعنه أيضاً المنظر وهو  
 المجلس في اللغة وهو الداي. ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يتناورون فيها في أمورهم.  
 وتداء جالس في البنادي. قال: «أنادي به آل الوليد وجعفرًا».

والندى على قيل مجلس القوم ومتحدثهم، وكذلك الندوة والنادي [والمُتَدَي] والمُتَدَي، فإن  
 يفرق القوم فليس بندي؛ قاله الجوهري.

قوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أي من أمة وجافة. (هُمْ أَهْسَنُ أَنَا) أي  
 لهم مقاماً كتباً؛ قال:

وَفَرَجَ زَيْنُ الْمَنِّ اسْوَدَ قَائِمٍ • أَيُّثْ كَيْفِيَّةُ النَّظَرِ التَّشْكِيلِ

(١) الزيادة من «المنح» مرمي. (٢) هو كرم القيس. والفرج: الشرف. والممن: ما من  
 بين الصلب والصلب من الصلب والممن. والقسم: القسمة السواء. وأيت: كثير أصل الفات. وقدره: القدر. وهو  
 السراج. يصفى كل شيء به جعل به في بعض الكثرة. وقيل: المثل.

والأثاث مناع البيت . وقيل : هو ما جاز من القرض والقرض ما ليس منها ، وأنشد الحسن  
 ابن علي الطوسي فقال :

تقدم المهد من أم الوليد بنا . دهرنا وصار أثاث البيت ثمرينا

وقال ابن عباس : حبة . مقاتل : ثيابا . « وريثا » أى منتظرا حسنا . وفيه خمس قراءات ؛  
 قرأ أهل المدينة « وريثا » بغير همز . وقرأ أهل الكوفة « وريثا » بالهمز . وحكى يعقوب  
 أن طلحة قرأ « وريثا » بياء واحدة مخففة . وروى صفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن  
 ابن عباس : « هم أحسن أثاثا وريثا » بالزاي ؛ فهذه أربع قراءات . قال أبو إسحق :  
 ويموز « هم أحسن أثاثا وريثا » بياء بعدا همزة . النحاس : وقراءة أهل المدينة في هذا  
 حسنة وفيها تهريان : أحدهما — أن تكون من رأيت ثم خففت همزة فأبدل منها ياء ،  
 وأدخمت الياء في الياء . وكان هذا حسنا لتتفق رموس الآيات لأنها غير مهموزات . ومثل  
 هذا قال ابن عباس : الرئي المنظر ؛ فاللغى : هم أحسن أثاثا ولياسا . والوجه الثاني — أن  
 جلودهم مرتوية من النعمة ؛ فلا يميز الهمز على هذا . وفي رواية ووش عن نافع وأبى ذكوان  
 عن أبى حمزة « وريثا » بالهمز تكون على الوجه الأول . وهى قراءة أهل الكوفة وأبى عمرو  
 من رأيت على الأصل . وقراءة طلحة بن مصرف « وريثا » بياء واحدة مخففة أحسبها ظلالا .  
 وقد زعم بعض النحويين أنه كان أصلها الهمز فقلبت الهمزة ياء ، ثم حذفت إحدى البائتين .  
 المهدوى : ويموز أن يكون « وريثا » فقلبت ياء فصارت وريثا ثم هلت حركة الهمزة على الياء  
 وحذفت . وقد قرأ بعضهم « وريثا » على القلب وهى القراءة الجليسة . وحكى سيويه  
 رأه بمعنى رأى . الجوهري : من همزة جملة من المنظر من رأيت ، وهو ما رأته العين من  
 حال حسنة وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيدة لمحمد بن نعيم الثقفى فقال :

أشاققتك الظمائن يوم بانوا . يذى الرئي الجليل من الأثاث

ومن لم يميز إما أن يكون على تخفيف الهمزة أو يكون من وريث الوانهم وجلودهم ريثا ؛  
 أى أمثالات وحسنت . وأما قراءة ابن عباس وأبى آئين كعب وسعيد بن جبير والأصم للمكي

ويزيد البربري « وزيا » بالزاي فهو الحيشة والحسين . ويعسوز أن يكون من زَوَيْتِ أَى جمعت ، فيكون أصلها زَوَا قُلت بالواو ياء . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « زَوَيْتَ لِي الْأَرْضَ » أَى جمعت ؛ أَى فلم يبقَ ذلكَ عنهم شيئاً من عذاب الله تعالى ؛ فليمش هؤلاء ما شاموا فصيرهم إلى الموت والعذاب وإن عُمِّروا ؛ أو العذاب العاجل يأخذهم الله تعالى به . قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴾ أَى في الكفر ﴿ فَلْيَسُدُّ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ أَى فليدعه في طغيان جهله وكفره ؛ فقطعه لفظ الأمر وسماه التحريم ؛ أَى من كان في الضلالة مَدَّهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حتى يطول اعتقاره فيكون ذلك أشدَّ لعقابه . نظيره : « إنما نعلم ليزدادوا إنما » وقوله : « ونذرهم في طغيانهم يسمهون » وشبه كثير ؛ أَى فليمش ما شاء ، وليوسع لنفسه في العمر ؛ فصيره إلى الموت والعقاب . وهذا غاية في التهديد والوعيد . وقيل : هذا دعاء أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ تقول : من سرق مَالِي فليقطع الله تعالى يده ؛ فهو دعاء على السارق . وهو جواب الشرط . وعلى هذا فليس قوله : « فليمدد » خبراً .

قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ قال « وأو » لأن لفظ « من » يصلح للواحد والجمع . و « إنذار » مع الماضي بمعنى المستقبل ؛ أَى حتى يروا ما يوعدون . والعذاب هنا إما أن يكون بنصر المؤمنين عليهم فيمذبذبهم بالسيف والأسر ؛ وإما أن تقوم الساعة فيصيرون إلى النار . ﴿ فَيَسْأَلُونَكَ عَنْهُ ﴾ أَى تكشف حينئذ الحقائق . وهذا رد لقولهم : « أَى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » .

قوله تعالى : وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الْأَصْلَحَتُ

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ أَى ويشبث الله المؤمنين على الهدى ، ويزيدهم في النصر ، ويترل من الآيات ما يكون سبب زيادة اليقين بمجازاة لهم . وقيل : يزيدهم هدى بتدبيرهم بالناصح والمنسوخ الذي كفر به غيرهم ؛ قال مناه الكبي ومقاتل .

ويحصل ثلثا - أي « ويزيد الله الذين أخذوا » إلى الطاعة « هدى » إلى الجنة ؛ والمعنى متقارب . وقد حتم القول في معنى زيادة الأعمال وزيادة الإيمان والمعنى في « آل عمران » وضربها . ( وَلَهَبَتْ الشَّيَاطِينُ ) تقدم في « الكهف » القول فيها . ( خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا ) أي جزاء : ( خَيْرٌ مَرَدًا ) أي في الآخرة مما استخر به الكفار في الدنيا . و « المرء » مصدر كالرد ؛ أي وخير دأ على حاملها بالتواب ؛ يقال : هذا رُدُّ عليك ، أي أضع لك . وليل : « خير مرء » أي مرجعا فكل أحد يرد إلى عمله الذي عمله .

قوله تعالى : أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ ائْتَمَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَكَتَ مِمَّا يَقُولُ وَتَمَسَّدَ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَتَرَاهُمْ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ( أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ) روى الأئمة - واللفظ لمسلم - عن خباب قال كان لي على العاص بن وائل دين فآتيته أنقاضه فقال لي : لن أقضيك حتى تكفر بعمد . قال : فقلت له لن أكفر به حتى نموت ثم تبعت . قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد . قال وكيع : كذا قال الأصمعي ؛ فزلت هذه الآية « أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا » إلى قوله : « ويأتينا فردا » . في رواية قال : كنت قنبا في الجمالية فسمعت للعاص بن وائل عملا ، فآتيته أنقاضه . نرجسه البخاري أيضا . وقال الكلبي ومقاتل : كان خباب قنبا فصاغ للعاص حلما فآتاه أجروته ؛ فقال للعاص : ما عندي اليوم ما أقضيك . فقال خباب : لست بمفارقك حتى تقضيني ؛ فقال للعاص يا خباب مالك ؟ ! ما كنت هكذا ، وأن كنت لحسن الطلب . فقال خباب : أتى صكت على دينك فأما اليوم فأنا على دين الإسلام مفارق لدينك . قال : أو لستم تزعمون أن في الجنة نهبا وفضة وحريرا ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنزني حتى أقضيك

(١) راجع - ٤٨٠ ص وما بعدها طيبة أول أو ثانية . (٢) راجع ج ١٠ ص ٤١٤ وما بعدها طيبة أول أو ثانية . (٣) القبر : الحداد والمناجاة .

في الجنة — استهزاء — فوالله لئن كان ما تقول حقاً إلى لأفصيك فيها، فوالله لا تكون أنت  
 بإخجاب وأصحابك أول بها مني، فأنزل الله تعالى « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا » يعني للعاص  
 ابن وائل، الآيات . (أَطْلَعَ الْغَيْبَ) قال ابن عباس : أنظرني الروح المفوظ ١٩ . وقال  
 مجاهد : أعلم الغيب حتى يعلم أن الجنة هوام لا ١٩ (أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) قال  
 قتادة «الثوري» : أي عملاً صالحاً . وقيل : هو التوحيد . وقيل : هو من الوعد . وقال  
 الكلبي : ما هد الله تعالى أن يدخله الجنة . (كَلَّا) رد عليه ، أي لم يكن ذلك ، لم يطلع  
 الغيب ، ولم يقض عند الرحمن عهداً ، وتم الكلام عند قوله : « كَلَّا » . وقال الحسن : إن  
 الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة . والأول أصح لأنه مدون في الصباح . وقرا حمزة والكسائي  
 « وَوَلَدًا » بضم الواو ، والباقون بفتحها . واختلف في الضم والفتح على وجهين : أحدهما —  
 أنهما لثتان معانها واحد ، يقال ولده وولده كما يقال عدهم وعدهم . وقال الحرث بن حطة :

وَلَقَدْ وَابَتْ مَعَاشِرًا • قَدْ تَمَسَّرُوا مَالًا وَوَلَدًا

وقال آخر :

قَلَيْتَ فَلَتَاكَانَ فِي بطنِ أُمِّهِ • وَلَيْتَ فَلَتَاكَانَتْ وَلَدَ حَارِ

والثاني — أن قيساً يجعل الولد بالضم جمعاً والولد بالفتح واحداً . قال الماوردي : وفي قوله  
 تعالى : « لَا أُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا » وجهان : أحدهما — أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله  
 تعالى على طاعته وعبادته ، قاله الكلبي . الثاني — أنه أراد في الدنيا ، وهو قول الجمهور ، وفيه  
 وجهان محتملان : أحدهما — إن أنت على دين آباءى وعبادة أكنى لأوتين مالا وولداً .  
 الثاني — ولو كنت على باطل لما أوتيت مالا وولداً .

قلت : قول الكلبي أشبه بظاهر الأحاديث ، بل نصها يدل على ذلك ، قال مسروق :  
 سمعت خباب بن الأرت يقول : جنت العاصي بن وائل السهمي أقباضه حقاً لعنده .  
 فقال : لا أعطيك حتى تكفر بعمد . فقلت : لا حتى تموت ثم تبعث . قال : وإن لم يبعث  
 ثم مبعوث ؟ ! . فقلت : نعم . فقال : إن لي هناك مالا وولداً فأفصيك ، فترت هذه  
 الآية ، قال القرطبي : هذا حديث حسن صحيح .

قوله تعالى : « أَطْلَعَ النَّبِيُّ » ألفه ألف استفهام مجيء « أم » بعدها ، ومعناه التوبيخ ، وأصله أطلع فحذفت الألف الثانية لأنها ألف وصل - فإن قيل : فهذا أتوا بمدة بعد الألف فقالوا : أطلع كما قالوا : « لَقِيَ جِرَ » « أَلَذَّ كَرِينَ حَرَمَ » قيل له : كان الأصل في هذا « أله » « أاذكرين » فابدلوا من الألف الثانية مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر ، وذلك أنهم لو قالوا : الله خير بلا مد لا تلبس الاستفهام بالخبر ، ولم يحتاجوا إلى هذه المدة في قوله : « أطلع » لأن ألف الاستفهام مفتوحة وألف الخبر مكسورة ، وذلك أنك تقول في الاستفهام : اطلع ؟ أقرى ؟ أصطنى ؟ استغفرت ؟ ففتح الألف ، وتقول في الخبر : اطلع ، اقرى ، اصطنى ، استغفرت لم بالكسر ، بفعلوا الفرق بالفتح والكسر ولم يحتاجوا إلى فرق آخر .

قوله تعالى : « كَلَّا » ليس في النصف الأول ذكر « كَلَّا » وإنما جاء ذكره في النصف الثاني . وهو يكون بمعنيين : أحدهما بمعنى حقا . والثاني بمعنى لا . فإذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله ، ثم تجددى « كَلَّا » أى حقا . وإذا كانت بمعنى لا ، كان الوقف على « كَلَّا » جائزا ، كما في هذه الآية : لأن المعنى : لا ليس الأمر كذا . ويجوز أن تنف على قوله : « عَهْدًا » وتبتدى « كَلَّا » أى حقا « سَتَكْتُبُ مَا يَقُولُ » . وكذا قوله تعالى : « لَمَسَلْنِي أَجْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا » يجوز الوقف على « كَلَّا » وعلى « تَرَكْتُ » . وقوله : « وَلَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَاسْتَأْذَنُ أَنْ يَتَأَوَّنَ » قال كَلَّا » الوقف على « كَلَّا » لأن المعنى : لا - وليس الأمر كما تظن « فاذنبا » . فليس للمعنى في هذا المعنى موضع . وقال الفراء : « كَلَّا » بمثلة سوف لأنها صلة ، وهى حرف ردة فكأنها « نعم » و « لا » في الأكثاء . قال : وابن جملتها صلة لما بعدها لم تنف عليها ؛ كقولك : كَلَّا وَرَبِّ الكعبة ؛ لانف على كَلَّا ؛ لأنه بمثلة أى ورب الكعبة . قال الله تعالى : « كَلَّا وَالْقَمَرِ » فالوقف على « كَلَّا » قبيح لأنه صلة اليمين . وكان أبو جعفر محمد بن سعدان يقول في « كَلَّا » مثل قول الفراء . وقال الأخفش : معنى

(١) أى من القرآن ؛ قال الأوسى : « وهذا أول موضع وقع فيه من القرآن » وقد تكررت النصف الأخير فوقع

في ثلاثة وثلاثين موضعا .



كلا الردع والزجر. وقال أبو بكر بن الأنباري : سمعت أبا العباس يقول : لا يوقد على «كلا» في جميع القرآن ؛ لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها . والقول الأول هو قول أهل التفسير .

قوله تعالى : ( سَكَتَ مَا يَقُولُ ) أى سحفظ عليه قوله لتجاريه به في الآخرة . ( وَتَعَدُّ لَهُ مِنْ الْقَذَابِ سِتًّا ) أى ستريده عذابا فوق عذاب . ( وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ ) أى نفسه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد . وقال ابن عباس وغيره : أى زه المال والولد به . إلهامًا إياه . وقيل : نمرده ما تنهه في الآخرة من مال وولد ، ونجمه لغيره من المسلمين . ( وَيَأْتِينَا فَرَسًا ) أى مفردا لا محال له ولا ولد ولا شعية تنصره .

قوله تعالى : ( وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَكُمْ عِزًّا )

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا )

قوله تعالى : ( وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَكُمْ عِزًّا ) يعنى مشرك فريش . و «عِزًّا» معناه أحرانا ومنعة ، يعنى أولادنا . واليز المطر الجود أيضا ، قاله الهروى . وظاهر الكلام أن «عِزًّا» راجع إلى الآلهة التى عبدوها من دُونِ الله . وورد لأيه يعنى المصدر؛ أى ليألو بها الزويعتمون بها من عذاب الله ؛ فقال الله تعالى : ( كَلَّا ) أى ليس الأمر كما ظنوا وتوهموا بل يكفرون بعبادتهم ؛ أى ينكرون أنهم عبدوا الأصنام ، أو تعبدوا الآلهة عبادة المشركين ؛ كما قال : «تَجَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَشْكُرُونَ» . وذلك أن الأصنام جمادات لا تعلم العبادة . ( وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ) أى أحرانا في خصوصتهم وتكذيبهم . من مجاهد والضحاك : يكونون لهم أعداء . ابن زيد : يكونون عليهم بلاء فتحشر ألسنتهم ، وتربك لهم عقول فتسقط ، وتقول : يارب صَدَّبْ هؤلاء الذين عبدونا من دُونِكَ . و «كَلَّا» هنا يحتمل أن تكون بمعنى لا ، ويحتمل أن تكون بمعنى حقا ؛ أى حقا «سيكفرون بعبادتهم» . وفرا

ليونيك . « كَلَّا سَيَكْفُرُونَ » بالتووين . وروى عنه مع ذلك ضم الكاف وضحاها . قال  
 للمهدي . « كَلَّا » وقع وزحروتنيه ورد لكلام متقدم ، وقد تمع لتحقيق ما بعدها والتنبيه  
 عليه كقوله : « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفُرٌ » فلا يوقف عليها على هذا ، ويوقف عليها في التثنية  
 الأولى ، فإن صلح فيها الثنيان جميعا جاز الوقف عليها والابتداء بها . فمن تَوَنَّ « كَلَّا » من  
 قوله : « كَلَّا سَيَكْفُرُونَ وَبِعَادَتِهِمْ » مع فتح الكاف فهو مصدر كَلَّ ، ونصبه بفعل مضمر ،  
 وللمنى كل هذا الرأي والاعتقاد كَلَّا ، يعني اتخاذهم الآلهة « لِيَكُونُوا لِمِزَا » فيوقف على  
 هذا على « مِزَا » وعلى « كَلَّا » . وكذلك في قراءة الجماعة ، لأنها تصالح الرد لما قبلها ،  
 والتحقيق لما بعدها . ومن روى ضم الكات مع التووين ، فهو منصوب أيضا بفعل مضمر ،  
 كأنه قال : سَيَكْفُرُونَ « كَلَّا سَيَكْفُرُونَ وَبِعَادَتِهِمْ » يعني الآلهة .

قلت : فحصل في « كَلَّا » أربعة معان : التحقيق وهو أن تكون بمعنى حقا ، والثني ،  
 والتنبيه ، وصلة القسم ، ولا يوقف منها إلا على الأول . وقال الكسائي : « لَاءَ تَنِي فَحَسْبُ »  
 و « كَلَّا » تَنِي شَيْئًا وَتَنِي شَيْئًا ، فإذا قيل : أَكَلْتُ تَمْرًا ، قلت : كَلَّا إِنِّي أَكَلْتُ صِلًا لَا تَمْرًا ،  
 تقي هذه الكلمة تقي ما قبلها ، وتحقق ما بعدها . والضم يكون ناعدا ويكون جمعا ، كالمعز  
 والرسول . وقيل : وقع الضم موقع المصدر ، أي ويكونون عليهم عونا ، فلهذا لم يجمع ، وهذا  
 في مقابلة قوله : « لِيَكُونُوا لِمِزَا » والمعز مصدر ، فكذلك ما وقع في مقابله . ثم قيل :  
 الآية في عبدة الأصنام ، فأجرى الأصنام مجرى من يقل : جريا على توهم الكفرة . وقيل :  
 فيمن عبد المسيح أو للملائكة أو للجن أم الشياطين ، فافقه تعالى أمم .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزِمُهُمْ  
 أَزًّا ۖ فَلَا تَعْبَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۖ يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ  
 إِلَىٰ رَحْمَتِنَا ۖ وَنَسُوقُ الْمُبْجِرِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ رِودًا ۖ  
 لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ

قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ) أى سلطانهم عليهم بالإغواء .  
 وذلك حين قال لإبليس : « وَاسْتَوِزْ مِنْ لِمَنْطَقَتِمْ بِصَوْتِكَ » . وقيل : « أَرْسَلْنَا »  
 أى خلقنا ، يقال : أَرْسَلْتُ البعير أى خلقته ، أى خلقنا الشياطين وإياهم ولم نصممهم من القول  
 منهم . المرجح : قيسنا . ( تَوَزَّعُوا ) قال ابن عباس : وزعهم إزعاجا من الطاعة إلى  
 للمعصية . ومعنى : قهرهم إغراءه بالشر : أمضى أمضى في هذا الأمر ، حتى توقعهم في الضرر .  
 حكى الأول التلمبى ، والثاني السوردي ، والمعنى واحد . الضحاك : قهرهم إغواء . مجاهد :  
 تسليم لإشلاء ، وأصله الحركة والتثان ، ومعنى الخبر للرؤى من النبي صلى الله عليه وسلم « قام  
 إلى الصلاة وخطبته أزيز كآزيز للرجل من البكاه » . وأتت القصة إثرا إذا اشتد غلبتها .  
 والأثر التيسير والإغراء ، قال الله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ لِيُؤْذُوا »  
 أى قهرهم على المعاصي . والأثر الاختلاط . وقد أوزت الشيء أوزته لئلا أى ضمت بضه  
 إلى بطنى . قاله الجوهري .

قوله تعالى : ( فَلَا تَجْعَلْ مَتَبِعًا ) أى تطلب المذاب لم . ( إِنَّمَا نَعِدُكُمْ أَنَّ ) قال  
 الكلبي : أجابكم ، أى الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء أجل المذاب . وقال الضحاك :  
 الألفاس . ابن عباس : أى نعد أنفسهم في الدنيا كما نعد سليم . وقيل : الخطوات . وقيل :  
 اللذات . وقيل : الحظوظ . وقيل : الساعات . وقال قطرب : نعد أعمالهم مذب . وقيل :  
 لا تجعل عليهم ظانما غنمهم ليزيدوا إثما . روى : أن المأمون قرأ هذه السورة ، فز به  
 الآية وعنده جماعة من الفقهاء ، فأشار برأسه إلى ابن السكك أن يظله ، فقال : إذا كانت  
 الألفاس بالعدد ، ولم يكن لها مدد ، فما أسرع ما تنفذ . وقيل في هذا المعنى :

جَانُكَ إِفْئَاسٌ تُعَدُّ فَكَلًا . مَعْنَى قَسُّ مَكَاتٍ أَنْتَ فَتَصِفُ بِهِ جَزَّةً

يَمِينِكَ مَا يَمِينُكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ . وَيَحْدُوكَ حَاجِ مَا يُرِيدُ بِهِ الْمُسْرَةَ .

و يقال : إن ألفاس ابن آدم بين اليوم واللييلة لخمسة وعشرون ألف نفس : أتا حشر ألف  
 نفس في اليوم ، وكذا حشر ألفا في اللييلة . — والله أعلم — فهى تعد ونحصى إحصاء ، ولها مدد  
 مطوم ، وليس لها مدد ، فما أسرع ما تنفذ .

قوله تعالى : ( يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ) في الكلام حذف ، أي إلى جنة الرحمن ، وفار كرامته . كقوله : « إني فأهبُ إلى ربِّي سيِّئين » وكذا في الخبر « من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » . والوفد اسم للوافدين ، كما يقال : صوم وفداً وفطروا وفوداً فهو جمع الوافد ، مثل ركب وراكب ونحّب وصاحب ، وهو من وفد بعد وفداً ووفوداً ووفادة ، إذا خرج إلى ملك في فتح أو أمر خطير . الجوهري : يقال وفد فلان على الأمير ، أي ورد رسولاً فهو وفاد ، والجمع وفد مثل صاحب ونحّب ، وجمع الوفد وفاد ووفود ، والاسم الوفادة وأوفدته أنا إلى الأمير ، أي أرسلته . وفي التفسير : « وفداً » أي وكفلاً حل نجائب طاعتهم . وهذا لأن الوافد في الغالب يكون راجعاً ، والوفد الركان ووحيد ، لأنه مصدر . ابن جريح : وفداً حل النجائب . وقال عمرو بن قيس لملائي : إن المؤمن إذا خرج من قبه استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ربح ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا — إلا إن الله قد طيب ربحك وحسن صورك . فيقول : كذلك كنتُ في الدنيا أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك في الدنيا أركبني اليوم ، ولا « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا » وإن الكافر يستقبله عمله في أفح صورة وأثن ربح ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا — إلا إن الله قد قبح صورتك وأثن ربحك . فيقول : كذلك كنتُ في الدنيا أنا عملك السيِّ طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك . ولا « وَمَنْ يَحْمِلْ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ » . ولا يصح من قبل إسناده ، قاله ابن العربي في « سراج المريدين » . وذكر هذا الخبر في تفسيره أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الكريم القشيري ، عن ابن عباس بلفظه ونعناه . وقال ابن عباس : من كان يحب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لا تزوت ولا تبول ، بلهما ابن الباقوت الأحمري ، ومن الزبرجد الأخضر ، ومن الدر الأبيض ، وصروجها من البندس والإستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعل نجائب لا تبعر ولا تبول ، أزمتها من الباقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعل سفن من الباقوت ، قد أمتوا الترق ، وأمتوا للأهوال . وقال أيضاً عن علي رضي الله عنه : « ولما نزلت الآية قال علي رضي الله عنه ، لم رسول الله !

إني قد رأيت الملوك ووفودهم، فلم أر وفداً إلا وكنافاً وقد الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنهم لا يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق من فوق الجنة لم ينظر الخلاق إلى مثلها رحالها الذهب وزمامها الزرجد فيركبونها حتى يهرعوا باب الجنة». ولفظ التعليل في هذا الخبر عن علي بن أبي طالب. وقال علي: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله إني رأيت الملوك ووفودهم فلم أر وفداً إلا وكنافاً. قال: «يا علي! إذا كان المنصرف من بين يدي الله تعالى تلقى الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب على كل مركب حلة لا قساويها الدنيا فيلبس كل مؤمن حلة ثم تسير بهم مراكبهم فتبوي بهم النوق حتى تقبى بهم إلى الجنة لتلقاهم الملائكة و سلام عليكم عليهم قاذلوا خالدين». «

قلت: وهذا الخبر ينص على أنهم لا يركبون ولا يلبسون إلا من الموقف، وأما إذا خرجوا من التبوريشة حفاة عراة غرلاً إلى الموقف؛ بدليل حديث ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموقفه فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً» الحديث نرجه البخاري ومسلم، وسيأتي بكافه في سورة «المؤمنين» إن شاء الله تعالى. وتقدم في «آل عمران» من حديث عبد الله بن أبيس بمعناه والحمد لله تعالى. ولا يبعد أن تحصل الحائتان السعداء، فيكون حديث ابن عباس مخصوصاً، والله أعلم. وقال أبو هريرة: «وفداً» على الإبل. ابن عباس: وكنافاً يؤتون بنوق من الجنة؛ عليها رحال من الذهب وسروجها وأزمتها من الزرجد فيحشرون عليها. وقال علي: طيحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها من ذهب، ونجيب سروجها بواقيت، إن هواناً ما سارت وإن حركها طارت. وقيل: يقدون على ما يبيعون من إبل أو خيل أو سفن، على ما تقدم من ابن عباس. والله أعلم. وقيل: إنما قال «وفداً» لأن من شأن الوفود عند العرب أن يقدموا بالبخارات، وينظرون الجوايز، فالمتقون ينتظرون العطاء والثواب. في رؤسهم المحججين إلى جهنم ورداً إلى السوق الحلت على السير. و«ورد» عطاشاً، قاله ابن عباس.

وأبو هريرة رضي الله عنهما والحسن . والأخفش والفرأه وابن الأعرابي : حفاة مشاة .  
وقيل : أنواج . وقال الأزهري : أي مشاة عطاشا ، كالإبل ترد الماء ؛ فيقال : جاءه يورد  
بنى قلانه . القشيري : وقوله « يردا » يدل على العطش ؛ لأن الماء إنما يورد في الغالب  
للعطش . وفي « التفسير » : مشاة عطاشا تشطع أعناقهم من العطش ، وإنما كان سوق  
الجرمين إلى النار لغش الخطين إلى الجنة . وقيل : « يردا » أي الورد ؛ كقولك : جئتكم  
إكراما لك . لا إكرامك ، أي نسوقهم لورود النار .

قلت : ولا تناقض بين هذه الأقوال ؛ فيساقون عطاشا حفاة مشاة أنواج . قال  
ابن عرفة : الورد القدم يردون الماء ، فسمى العطاش وردا لطبيهم ورود الماء ؛ كما تقول :  
قوم صوم أي صيام ، وقوم زور أي زقار ، فهو اسم على لفظ المصدر ، وأحدهم وارد ، والورد  
أيضا الجماعة التي ترد الماء من طير وإبل . والورد الماء الذي يورد . وهذا من باب الإيماء  
بالشيء إلى الشيء . والورد الجزء [ من القرآن <sup>(١)</sup> ] يقال : قرأت وردي . والورد يوم الحمى إذا  
أخذت صاحبها لوقت . فظاهره لفظ مشترك . وقال الشاعر يصف قريبا <sup>(٢)</sup> .  
يطلعوا إذا الورد عليه السكا .

أي الورد الذين يردون الماء .

قوله تعالى : ( لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ) أي هؤلاء الكفار لا يمكنون الشفاعة لأحد  
( إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ) وهم المسلمون فيمكنون الشفاعة ، فهو استثناء الشيء من  
غيره . أي لكن « من اتخذ عند الرحمن عهدا » يشفع ؛ له « من » في موضع نصب  
على هذا . وقيل : هو في موضع رفع على البدل من الواو في « يملكون » ؛ أي لا يملك أحد  
عند الله الشفاعة « إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا » فإنه يملك ؛ وعلى هذا يكون الاستثناء

الزاد من « السكا » . (٢) القلب ، والز . (٣) جد .

• سجن من وهو قيا سكا •

وعني : اسم يتر . وذلك ، الخيفة . وألك الورد ؛ كزدم وضرب يسه يضا . ولبت الورد تلحق شوا وتلحق  
طبا ، السكا .

متصلا ، «والجبريين» في قوله : «وَقَسَوُا الْكُفْرَينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا» ، بم الكفرة والمصاة ، ثم أنبر أنهم لا يمكنون الشفاعة إلا العصاة المؤمنون ، فإنهم يمكنوا بأن يشفع فيهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا أزال أشفع حتى أقول يا رب شفني فيمن قال لا إله إلا الله عهد رسول الله فيقول يا عهد إنها ليست لك ولكني لي» نرجه مسلم بعناه ، وقد تقدم . وتظاهرت الأخبار بأن أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون ؛ وعلى القول الأول يكون الكلام متصلا بقوله : «وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِّكُونُوا لَهُمْ عِزًّا» فلا قبل لنا شفاعة عبدة الأصنام لأحد ، ولا شفاعة الأصنام لأحد ، ولا يمكن شفاعة أحد لهم في أى لا تنفعهم شفاعة ؛ كما قال : «لَسَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» . وقيل : أى نخسر المتقين والجبريين ولا يملك أحد شفاعة . إلا من آخذ عند الرحمن عهدا . أى إذا أذن له الله في الشفاعة ، كما قال : «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه» . وهذا العهد هو الذى قال «أَمْ تَتَّخِذُونَ الرِّحْمَنَ عَهْدًا» وهو لفظ جامع للإيمان وجميع الصالحات التى يصل بها صاحبها إلى عِزٍّ من يشفع . وقال ابن عباس : العهد لا إله إلا الله . وقال مقاتل وابن عباس أيضا : لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله ، وتبرأ من الحول والقوة [إلا] لله ، ولا يرجو إلا الله تعالى . وقال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : «أبجز أحدكم أن يتخذ كل صباح وساء عند الله عهدا» قيل : يا رسول الله وما ذلك ؟ قال : «يقول عند كل صباح وساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحياة بأنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن عبادك ورسولك [فلا تكلني إلى نفسي] فإني إن تكلني إلى نفسي تباعدني من الخير وتقرّبني من الشر وإنى لا ألتقي إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفيقه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإنما قال ذلك طبع الله عليها طابا ووضعا تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الله عهد فليقوم فليدخل الجنة» .

قوله تعالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾  
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِرَ الْجِبَالُ تَوَدًا ﴿٩٠﴾  
أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾  
إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾  
لَقَدْ أَخَصَّكُمْ وَعَدَّكُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْفِتْمَةِ فِرْدًا ﴿٩٥﴾

قوله تعالى : ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) يعني اليهود والنصارى ، ومن زعم أن  
اللائكة بنات الله . وقرا يحيى والأعمش وحزرة والكاسي وعاصم وخلف : « ولدا » بضم  
الواو وإسكان اللام ، في أربعة مواضع : من هذه السورة قوله تعالى : « لَا تُؤْتِيْنَّ مَالًا وَلَا وُلْدًا »  
وقد تقدم ، وقوله : « أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا » وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . وفي سورة  
نوح : « مَا لَهُ وَلَدٌ » . وواتتهم في « نوح » خاصة ابن كثير ومجاهد وحيد وأبو عمرو  
ويحيى . والباقيون في الكل بالفتح في الواو واللام ، وهما لئان مثل القرب والعرب  
والسجم والسجم . قال :

ولقد رأيت محاشرا • قد تمسروا مالا وولدا

وقال آخر •

ولبت فلا تكان في بطن أبيه • ولبت فلا تكان ولد محامي

وقال في معنى ذلك النابتة :

تمهلا فداء لك الأقوام كلهم • وما أتم من مال ومن ولد

فتفتح . يسر . يعملون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا . قال الجوهري : الولد قد  
يكون حادا وجمعا ، وكذلك الولد بالضم . ومن استل بنى لشد ، ولذك من دعي حقيق .  
وقد يكون الولد جمع الولد مثل لشد وأسد : والولد بالكسر لغة في الولد . النحاس : وفوق

(١) من من دعي حقيق من دعي حقيق



أبو حيلة بينهما ، فزم أن الولد يكون للأهل والولد جيمًا . قال أبو جعفر : وهذا قول مردود لا يبره أحد من أهل اللغة ؛ ولا يكون الولد والولد إلا ولد الرجل ، وكلهم لغة إلا لنا وأكثر في كلام العرب ؛ كما قال :

مَهْلًا فَلَمَّا لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ • وَمَا أُمِّرَ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ

قال أبو جعفر وصحت محمد بن الوليد يقول : يحوز أن يكون ولدٌ جمع ولدٌ ، كما يقال وتتن ووتن وأسد وأسد ، ويحوز أن يكون ولدٌ وولدٌ بمعنى واحد ؛ كما يقال عجم وعجم وعرب وعرب كما تحلقم .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ أي منكرا عظيما ؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . قال الجوهري : الإذ والإذة الدلعية والأمر القطع ؛ ومنه قوله تعالى : « لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا » وكذلك الأد مثل قاعل . وجمع الإذة إند . وأنت فلانا داجية تؤده أنا ( بالفتح ) . والإذ أيضا الشدة . [ والاذ الشدة والقوة ] قال الرازي :

تَنْسُونَ حَتَّى يَشُدَّ وَأَذًا • مِنْ بَيْدٍ مَا كُنْتُ مُعَلًّا جَلًّا<sup>(١)</sup>

انتهى كلامه . وقرأ أبو عبد الله ، وأبو عبد الرحمن السلي « أذا » بفتح الهزة . النحاس :

يقال أد يؤد أذا فهو آد والأسم الإذة ؛ إذا جاء بشيء عظيم منك . وقال الرازي :

قَدْ لَبَّى الْأَقْرَانِ مِثْلُ نُكْرًا • دَاجِيَةً دَعَاهُ إِذَا إِسْرًا

من غير النحاس ؛ الشعبي : وفيه ثلاث لغات « إذا » بالكسروى قراءة العامة ، « وأذا » بالفتح وهى قراءة السلي ، و « أد » مثل ماذ ، وهى لغة لبعض العرب ؛ وروى عن ابن عباس وأبى العالية ، وكأنها مأخوذة من الثقل [ يقال : آده الحمل يشوده أودأ أهله . قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ ﴾ قراءة العامة هنا وفى « الشورى » بالهاء . وقراءة

نافع وبجي والكنانى « يكاد » بإيلاء لتقدم الفعل . ﴿ يَنْفَطِرُنْ مِنْهُ ﴾ أى ينشققن . وقرأ نافع وابن كثير وجفص وغيرهم بتاء بعد الياء وشذ الطاء من الانفطر هنا وفى « الشورى » .

(١) فى الأصل : الأد القزوة والشدة ؛ ومرواه كما فى اللسان : الإذ بالكسر الشدة والأد بالفتح الشدة والقوة .

(٢) الصل الشديد الصلب . وورد فى كتب اللغة ، « صلا نداء » والتد : القوى الشديد .

ووافهم حجة وابن ماسر في «الشورى» - «وقرأها» ينظرون «من الانظار» وكذلك قرأها أبو عمرو وأبو بكر والمفضل في السورتين . وهي اختيار أبي عبيد لقوله تعالى : «فَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» وقوله : «السَّمَاءُ مَنطَرٌ» . وقوله : «وَنَشَقُّ الْأَرْضَ» أي تصدع . «وَنُفِثَ الْجِبَالُ نَفْثًا» قال ابن عباس : ههنا أي تسقط بصوت شديد . وفي الحديث «اللهم إني أهدؤك من الهدى والهدئة» قال شمر قال أحد بن غياث المروزي : الهدى الهدم والهدئة الخسوف . وقال الليث : هو الهدم الشديد ؛ لحاظ يهت بسمرة ؛ يقال : هَدَيْتُ الْأَمْرَ وَهَذَ رَكْنِي أَي كَسَرْتِي وَبَلَغَ مَعْنَى قَالَهُ الْمُرُورُ . الجوهري : وهذ البناء يهت ههنا كسره وضعفه ، وهذته المصيبة أي أوهنت ركنه ، وانهد الجبل انكسر . الأصمعي : والهد الرجل الضعيف ؛ يقول الرجل للرجل إنا أودعه : إني لنهذه أي غير ضعيف . وقال ابن الأعرابي : الهد من الرجال الجواد الكريم ، وأما الجبان الضعيف فهو الهد بالكسر ؛ وأنشد :  
لَبَسُوا بِسَدِّينَ فِي الْحُرُوبِ إِذَا • تَمَقَّدُ فَوْقَ الْحَرَافِيفِ التُّنْقُ

والهدئة صوت وقع الحائط ونحوه ، تقول منه : هَدَيْدٌ (بالكسر) هديدًا . والهداء صوت يسمعه أهل الساحل ، يأتيهم من قبل البحر له دوى في الأرض ، وربما كانت منه الزلزلة ، ودويّه هديد . النحاس : «هَدَا» مصدر ؛ لأن معنى «نُفِثَ» هُدًى . وقال غيره : حال أي مهدوة : «أَنْ دَعَا الرَّحْمَنَ وَلَمَّا» «أَنْ» في موضع نصب عند الفراء بمعنى لأن دعوا ومن أن دعوا ، فوضع «أَنْ» نصب بسقوط الخافض . وزعم الفراء أن الكسائي قال : هي في موضع خفض بتقدير الخافض . وذكر ابن المبارك : حدثنا سِمْعَرُ بن واصل ، عن عون بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود : إن الجبل يقول عجيب يا فلان هل مر بك اليوم ذاكرته ؟ فإن قال نعم سرّبه . ثم قرأ عبد الله «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» الآية ؛ قال :  
أَتَرَاهُمْ يَسْمَعُونَ الزُّورَ وَلَا يَسْمَعُونَ الْخَيْرَ ؟ ! . قال : وحدثني عوف عن غالب بن عجرود قال :

(١) فليتخبر بن عبد المطلب بن عبد الله . والحرافة (جمع حرفة) ؛ مجتمع رأس النمل . والحرافة

(جمع حراف) ؛ ما تشبه الأرساط . (٢) أي قال عون كذا «المر للشر» ونحوه .

(٣) كما في الأصل ؛ ولعله «غالب بن جرة» وما هنا محرف .

حدثني رجل من أهل الشام في مسجد مني ، قال : إن الله تعالى لما خلق الأرض وخلق ما فيها من الشجر ، لم تكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها مضعة ، وكان لهم منها مضعة ، فلم تزل الأرض والشجر كذلك حتى تكلم بكرة بن آدم تلك الكلمة العظيمة ، فويلهم : اتخذ الرحمن ولدا ، فلما قالوها أقشعرت الأرض وشاك الشجر . وقال ابن عباس : أقشعرت الجبال وما فيها من الأنهار ، والبحار وما فيها من الحيتان ، فصار من ذلك الشوك في الحيتان ، وفي الأشجار الشوك . وقال ابن عباس أيضا وكعب : فزعت السموات والأرض والجبال ، وجميع المخلوقات إلا الثقلين ، وكادت أن تزول ، وغضبت الملائكة فاستعرت جهنم ، وشاك الشجر ، وأكفهرت الأرض وجذبت حين قالوا : اتخذ الله ولدا ، وقال محمد بن كعب : لقد كاد أعداء الله أن يقيموا علينا الساعة ، لقوله تعالى : « تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَكًّا . أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا » قال ابن العربي : وصدق قائم قول عظيم سبق به القضاء والقدر ، ولولا أن الباري تبارك وتعالى لا يضعه كفر الكافر ، ولا يمنه لإيمان المؤمن ، ولا يزيد همتا في ملكه ، كما لا ينقص ذلك من ملكه ، لما جرى شئ من هذا على الألسنة ، ولكنه القدوس الحكيم الخليم ، فلم يبال بعد ذلك بما يقول المبطلون .

قوله تعالى : ( وَمَا يَنْبِئُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ) فيه أربع مسائل :

الأول - قوله تعالى : ( وَمَا يَنْبِئُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ) تنفي عن نفسه سبحانه وتعالى الولد ؛ لأن الولد يقتضي الجنسية والحدوث على ما ينشأ في « البقرة »<sup>(١)</sup> أي لا يليق به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في حقه ؛ لأنه لا يكون ولد إلا من والد يكون له والد وأصل والله سبحانه يتعالى عن ذلك ويتقدس . قال :

في رأس خلقاء من عتقاء مُشرِقة • ما ينبئ دونها سهل ولا جبل

(١) راجع ج ٢ ص ٨٥ طيبة نائية أوقالة . (٢) هو ابن أحر الجاهل يعرف جبلا . راجع لقا .

الصخرة ليس فيها دم ولا كراى الماء - والعطاء - آلة جبل مشرف .

( إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ حَبْتًا ) « إِنَّ » نافية بمعنى ما، أى ما كل من في السموات والأرض إلا وهو آتى يوم القيامة مقترنا له بالعبودية، خاصا بذيلا كما قال : « وَكُلُّ آتَوْهُ فَتَحَرَّرَ » أى صاغرين أذلاء، أى الخلق كلهم حبيدا، فكيف يكون واحد منهم ولدا له عن وجل، تعالى عما يقول الظالمون والجاحلون طوا كبيرا . و « آتَى » بالياء في الخط، والأصل التورن بفتح السين مستغفانا وأضيف .

التائبة - في هذه الآية دليل على أنه لا يجوز أن يكون الولد مملوكا للوالد، خلافا لمن قال : إنه يشتريه فيملكه ولا يستحق عليه إلا إذا أعتقه . وقد أبان الله تعالى المناقاة بين الأولاد والملك، فإذا ملك الوالد ولده يتزوج من التصرفات حتى عليه . ووجه الدليل عليه من هذه الآية أن الله تعالى جعل الولدية والعبودية في طرفي تقابل، ففى أحدهما وأثبت الآخر، ولو اجتمعا لما كان لهذا القول فائدة يقع الاحتجاج بها . وفي الحديث الصحيح « لا يمتزى ولد ولدا إلا أن يعده مملوكا فيشتريه فيعتقه » نرجه مسلم . فإذا لم يملك الأب أبنته مع مرتبتها عليه، فالأب يعدم ملك الأب أولى لتصوره عنه .

الثالثة - ذهب إسماعيل بن راهويه في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام : « من أعتق شركا له في عبد » أن الولد به ذكور العبد دون إناثهم فلا يملك على من أعتق شركا في أنثى، وهو على خلاف ما ذهب إليه الجمهور من السلف ومن بعدهم، فإنهم لم يفرقوا بين الذكر والأنثى، لأن لفظ العبد يراد به الجنس، كما قال تعالى : « إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ حَبْتًا » فإنه قد يتناول الذكر والأنثى من العبد قطعا . وتعالى إسماعيل بأنه حكي عبدا للؤنت .

الرابعة - روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقول له ليس يبدني كما بداني وليس أول الخلق بأدون علي من إعادته ولما شتمه إياي فقل له اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لي كفوا أحد » وقد تقدم في « البقرة » <sup>(١)</sup> وغيرها وإعادته في مثل هذا الموضع حسن جملا .

(١) تقدمت في شرحه في ص ٤١٩٨ من هذا الموضع .

قوله تعالى : (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ) أى لم عددهم (وَعَدَّهُمْ عَدًّا) تأكيد أى فلا يحصى عليه أحد منهم .

قلت : ووقع لنا فى أسماء سبحانه المحصى ، أعنى فى السنة من حديث أبى هريرة ؛ حريه الترمذى ، واشتقاق هذا الفعل يدل عليه . وقال الأستاذ أبو إسحق الإمفراني : ومنها المحصى ويخص بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم ؛ مثل ضرب النور ، واشتداد الريح ، وتناقل الأوراق ، فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات فى كل ورقة ، وكيف لا يعلم وهو الذى يخلق ، وقد قال : « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » . ووقع فى ضمير ابن عباس أن معنى « لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا » يريد أفرأوا له بالعبدية ، وشهدوا له بالروية .

قوله تعالى : (وَكَلَّمْنَاهُ بِنُورٍ) أى واحدا لا فاصله ولا مال معه . يسميه ؛ كما قال تعالى : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » فلا ينفعه إلا ما يقدم من عمل ، وقال : « وَكَلَّمْنَاهُ آيَةً » على لفظ كل وعلى معنى آتوه . وقال القرطبي : وفيه إشارة إلى أنك لا ترضون لأنفسكم باستبعاد أولادكم والكل عبيد ، فكيف رضيتم له ما لا ترضون لأنفسكم . وقد ورد عليهم فى مثل هذا ، فى أنهم لا يرضون لأنفسهم بالبنات ، ويقولون : الملائكة بنات الله ، تعالى الله عن ذلك ، وقولهم : الأصنام بنات الله . وقال : « فَمَا كَانَ لِمَرْكَاتِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لَهُمْ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ » .

قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا (١١)

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى صنفوا . (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا وَسِعًا) أى جبا فى قلوب عباده . كما رواه الترمذى من حديث سعد وأبى هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ إِنْ قَدْ أَحْبَبْتَ فَلَا تَأْخُذْهُ ... قال — فينادى فى السماء ثم تنزل له الجنة فى أهل الأرض فذلك قوله تعالى « سَيَجْعَلُ لَهُمُ »

الرَّحْمَنُ وَدًّا » وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريلُ إلى أينضت فلانا فنادى في السماء ثم نزل  
 له البغضاء في الأرض » قال هذا حديث حسن صحيح . ورواه البخاري ومسلم بمعناه ،  
 ومالك في الموطأ ، وفي نوادر الأصول . وحديثنا أبو بكر بن سابق الأحمري قال حدثنا أبو مالك  
 الجعفي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن  
 الله أعطى المؤمنين الأثمة والملاحاة والنجاة في صدور الصالحين والملائكة المقربين — ثم تلا —  
 « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَتِمَّلُوا الصَّالِحِينَ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » . واختلف فيمن نزلت ؟  
 فقيل في كل رضى الله تعالى عنه ؛ روى البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لعل من أبى طالب : « قل يا حيُّ اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين  
 مودة » نزلت الآية ؛ ذكره الترمذي . وقال ابن عباس : نزلت في عبد الرحمن بن حوف ؛  
 جعل الله تعالى له في قلوب العباد مودة ؛ لا يلقاه مؤمن إلا وقَّره ، ولا مشرك ولا منافق إلا  
 صغَّله . وكان هرم بن حيان يقول : ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى  
 بقلوب أهل الإيمان إليه ، حتى يرزقه موتهم ورحمتهم . وقيل : يجعل الله تعالى لهم مودة  
 في قلوب المؤمنين والملائكة يوم القيامة .

قلت : إذا كان عبدا في الدنيا فهو كذلك في الآخرة ؛ فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمنا  
 ناعيا ، ولا يرضى إلا خالصا ناعيا ؛ جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه . روى مسلم عن أبي هريرة  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل عليه  
 السلام فقال إلى أحب فلانا فأجبه فيجبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا  
 فأحبوه فيجبه أهل السماء — قال — ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدا دعا  
 جبريل عليه السلام وقال إلى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن  
 الله يبغض فلانا فأبغضوه — قال — فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض » .

قوله تعالى : فَلَمَّا بَسَرْنَاهُ وِلْدَانًا كَلِمَاتٍ لِّتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنَبِّئَ بِهِ  
 قَوْمًا لَّهُدًى ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ( إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ) أى القرآن ؛ مبنى بيتك لسانك العربى وجعله  
سهلا على من تدبره وتامله . وقيل : أنزلناه عليك لسان العرب ليسهل عليهم فهمه . ( يُنْشِرُهُ  
لِلْمُتَّقِينَ وَيُنْذِرُهُ قَوْمًا لَّا ) الله جمع الأكيد وهو الشديد الخصومة ، ومنه قوله تعالى :  
« أَلَدَّ الْخِصَابُ » وقال الشاعر :

أَيْتُ نَجِيًّا لِلْهَوَمِ كَأَنِّي . أَخَاصِمُ اقْوَامًا ذَوِي جَسَدٍ لُبَّا .

وقال أبو حنيفة : الأكيد الذى لا يقبل الحق ويذى الباطل . الحسن : الله لضم عن  
الحق . قال الربيع : هم آذان القلوب . مجاهد : بخارا . الضحاك : مجادلين فى الباطل .  
ابن عباس : شدادا فى الخصومة . وقيل : الظالم الذى لا يستقيم ؛ والمعنى واحد . وخصوا  
بالإنذار ؛ لأن الذى لا عاد عنده يسمل اعتياده .

قوله تعالى : وَكَرَّ أَهْلُكَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ  
أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( وَكَرَّ أَهْلُكَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ) أى من أمة وجماعة من الناس ؛ يخوف أهل  
مكة . ( هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوًا ) فى موضع نصب ؛ أى هل ترى منهم  
أحدا وتجد . « أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْوًا » أى صوتا ؛ عن ابن عباس وغيره ؛ أى قد ماتوا وحصلوا  
أعمالهم . وقيل : حشا ؛ قاله ابن زيد . وقيل : الركون مالا يفهم من صوت أو حركة ؛  
قاله اليزيدى وأبو حنيفة ؛ كررك الكنية ؛ وأشد أبو حنيفة بيت ليد :

وَتَوَجَّسْتُ رِكْوًا لِأَيِّسٍ فَرَاغَهَا . مِنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَيِّسُ سَقَامُهَا <sup>(١)</sup>

وقيل : الصوت الخفى . ومنه رَكَرْتُ الرُّخَّ إِذَا غَيَّبَ طَرَفُهُ فِي الْأَرْضِ . وقال طرفة :

وَصَادِقَاتُ سَمِّ التَّوَجُّسِ لِلْسُرَى . لِرَكْرِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنْهَدٍ <sup>(٢)</sup>

(١) توجست : سمعت البقرة صوت الناس فأزعجها ولم ترفأ . والأيس سقامها معاء ، والأيس هلاكها ؛

أى يسيدها . (٢) صفت طرفة فى هذا البيت أن ذاك ؛ مبنى أذنبا لا تكفى البقاء . والمتد صفة الصوت ؛  
والصوت المتد المبالغ فى العلة . ويهدى : « لصوت متد » بالإضافة ذكره الهادى ، والأول هو الرواية الجيدة .

وقال ذو الرمة يصف ثورا تسمع إلى صوت صائده و كلاب :

إذا توجسَ وَكْرًا مَقْفِرٌ نَدَسٌ \* بِنَاءُ الصَوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ

أى ما فى أَسْمَاعِهِ كَذِبٌ ؛ أى هُوَ صَادِقُ الْإِسْتِمَاعِ . وَالنَّدَسُ الْخَافِقُ ؛ يُقَالُ : نَدَسٌ

وَنَدَسٌ ؛ كَمَا يُقَالُ : حَذِرٌ وَحَذُرٌ ، وَيَقْطُ وَيَقْطُ . وَبِنَاءُ الصَّوْتِ الْخَلْقُ ، وَكَذَلِكَ الزَّكْرُ ،

وَالرَّكَازُ الْمَسَالُ الْمَدْنُونَ . وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة طه عليه السلام

سورة طه عليه السلام مكية في قول الجميع . نزلت قبل إسلام عمر رضي الله عنه .  
 روى الدارقطني في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرج عمر متلبا بسيف ،  
 قيل له : إن خنتك قد صيوا فأتاهما عمر وعندهما ربيع من المهاجرين يقال له خباب ،  
 وكانوا يقرءون « طه » . فقال : أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرؤه — وكان عمر رضي  
 الله عنه يقرأ الكتب — فقالت له أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، قم فاغسل  
 أو توضأ فقام عمر رضي الله عنه وتوضأ وأخذ الكتاب فقرأ « طه » . وذكره ابن إسحق  
 مطوقا : فإن عمر تخرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله ، فلقبه بعم  
 ابن جد الله ، فقال : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد هذا الصابي ، الذي فرق أمر  
 قريش ، وسفه أهلها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها فآتته . فقال له نعم : والله لقد خرتك  
 نفسك من نفسك يا عمر ، أتري بن عبد مناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت هذا ؟ !  
 أفلا ترجع إلى أهلك فقيم أمرهم ؟ ! . فقال : وأى أهل بيتي ؟ . قال : خنتك وابن عمك  
 سعيد بن زيد ، وأخنتك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أساءا وتابعا على دينه فبكت  
 بهما . قال : فرجع عمر حاملا إلى أخته وخنته ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها

(١) سبأ قيل : وخرج من بين يدي من كثر .

« طه » يقرئها إياها، فلما سمعوا حسن عمر تفتت خباب في مخدع لم أو في بنض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت ثغبيها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها، فلما دخل قال: ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له: ما سمعت شيئا. قال: بل والله لقد أخبرت أنكما تاجعيا معاً على دينه. وبطش بختة سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لكفقه عن زوجها ففرضها ففجها. فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: تم قد أسلنا وآمننا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك. ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فأرعى، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم ترمونها أفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد. وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إننا نخشاك عليها. قال لها: لا تخافي وحلفت لها بألمته ليردتها إذا قرأها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أباي إنك تجس على شركك، وأنه لا يسبها إلا الطاهر. فقام عمر وأفسسل، فأعطته الصحيفة وفيها « طه » فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصلك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: « اللهم أيد الإسلام يا أبي الحكم بن هشام أو يحمي بن الخطاب » فآله الله يا عمر. فقال له عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، وذكر الحديث.

مسألة - أسند الدارمي أبو محمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله تبارك وتعالى قرأ « طه » و « هيس » قبل أن يخلق السموات والأرض بألثي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة يقرئ هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » قال ابن فورك معنى قوله: « إن الله تبارك وتعالى قرأ « طه » و « هيس » » أي أظهر وأسمع وأنهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت؛ والعرب تقول: قرأت الشيء إذا تبعته، وتقول: ما قرأت هذه

القائه في رحمة سلا قط، أي ما ظهر فيها ولد؛ فعلى هذا يكون الكلام سائدا، وقرأه اسماعله  
 وانفهامه بيلارات يظنها وكلمة يحدتها . وهي معنى قولنا : قرأنا كلام الله ، ومعنى قوله :  
 «فَأَقْرَهُوهُ مَا تَكْتُمُ مِنَ الْقُرْآنِ» ، «فَأَقْرَهُوهُ مَا تَكْتُمُ مِنْهُ» . ومن أصحابنا من قال معنى قوله :  
 «فَأَقْرَهُوهُ مَا تَكْتُمُ مِنْهُ» ، وذلك جاز كقولهم : ذقت هذا القول ذوقا بمعنى آخريته . ومنه قوله :  
 «فَأَذَانُهَا أَفْهَى لَأَيِّ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» أي ابتلاهم الله تعالى به ، فسمى ذلك  
 ذوقا ، والخوف لا يذاق على الحقيقة ؛ لأن الذوق في الحقيقة بالقلم دون غيره من الجوارح .  
 قال ابن فورك : وما قلناه أولا أصح في تأويل هذا الخبر ؛ لأن كلام الله تعالى أنزل قديم سابق  
 لجملة الحوادث ، وإنما أسمع وأفهم من أراد من خلقه على ما أراد في الأوقات والأزمنة ؛  
 لا أن من كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان .

قوله تعالى : طه ﴿١﴾ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾  
 إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزْيِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ  
 الْأُولَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهِرِ بِالْقَوْلِ  
 فَلَهُمْ يَعْلَمُ الْإِسْرَ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

قوله تعالى : ( طه ) : آخلف العلماء في معناه ؛ فقال الصديق رضي الله تعالى عنه :  
 هو من الأسرار ؛ ذكره النزوي ، ابن عباس ؛ معناه يارجل ؛ ذكره البيهقي . وقيل : إنها  
 لغة مروفة في عسك . وقيل : في عك ؛ قال الكلبي : لو قلت في عك لرجل يارجل لم يجب  
 حتى تقول طه . وأشد الطعير في ذلك فقال :

دعوت بطه في القتال فلم يجب . نفخت عليه أن يكون مؤثلا

وزيوى «مزايلا» وقال عبد الله بن عمرو «يا حيي» بفتح حاء، ذكره الفزنى . وقال قطرب :  
هو بفتح طاء وفتح واو وأشد ليزيد بن المهلهل .

إِنَّ السَّفَاةَ طَهَ مِنْ شَمَائِكُمْ . لا بارك الله في القوم المَلَّاعِينَ

وكذلك قال الحسن «طه» معنى «طه» يارجل . وقاله عكرمة ، وقال : هو بالسريانية كذلك ؛  
ذكره المهدوى ، وحكاها المساورى عن ابن عباس أيضا وبجاهد . وحكى الطبري : أنه  
بالنبطية يارجل . وهذا قول السدى وسعيد بن جبيرة وابن عباس أيضا ، قال :  
إن السفاة طه من خلاصكم . لا قدس الله أرواح الملاعين

وقال عكرمة أيضا : هو كقولك يارجل بلسان الحبشة ؛ ذكره التلمي . والصحيح أنها وإن  
وجدت في لغة أخرى فإنها من لغة العرب كما ذكرنا ، وأما لغة يمنية في عك وطى . ومك  
أيضا . وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقسم أقسم به . وهذا أيضا مروى عن  
ابن عباس رضى الله عنهما ، وقيل : هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى به كما سماه  
عبدا . وروى من النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « في عند ربى عشرة أسماء » فذكر  
أن فيها طه ويس ، وقيل : هو اسم للسورة ، ومفتاح لها . وقيل : إنه اختصار من كلام  
الله خص الله تعالى رسوله بطه . وقيل : أنها حروف مقطعة ، يدل كل حرف منها على معنى ؛  
واختلف في ذلك ؛ فقيل : الطاء شجرة طوبى ، والهاء النار الهاوية ، والعرب تبرع عن الشيء كله  
بعضه ؛ كأنه أقسم بالجنة والنار . وقال سعيد بن جبيرة : الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب ، والهاء  
افتتاح اسمه هادى . وقيل : « طاء » باطامع الشفاعة للامة ، « هاء » يا هادى الخلق إلى الله .  
وقيل : الطاء من الطهارة ، والهاء من الهداية ؛ كأنه يقول لبيه عليه الصلاة والسلام : يا طاهرا  
من الذنوب ، يا هادى الخلق إلى علام الغيوب . وقيل : الطاء طبول الغزاة ، والهاء هينهم  
في قلوب الكافرين . بيانه قوله تعالى : « سَلَفَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ » وقوله :  
« وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ » . وقيل : الطاء طرب أهل الجنة في الجنة ، والهاء هوان أهل النار  
في النار . وقول سادس : إن معنى « طه » طوبى لمن آتته ؛ قاله مجاهد ومحمد بن النعمانية .

وقول ساج : إن معنى « طه » طهر الأرض ؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل مشقة الصلاة حتى كادت قدماء نؤرم ، ويحتاج إلى الترويح بين قدميه ، فقيل له : طه الأرض ؛ أي لا تشب حتى تحتاج إلى الترويح ؛ حكاه ابن الأثير . وذكر القاضي عياض في « الشفاعة » أن الربيع بن أنس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ووضع الأخرى ، فأزل الله تعالى « طه » بنى طهر الأرض يا محمد « مَا أُنزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِقِسْفٍ » . الرخشي : ومن الحسن « طه » وقصر بانه أمر بالوطء ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقوم في تجهده على إحدى رجله ، فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا ، وأن الأصل طأاً فقلت هزته هاء كما قلت [ ألقا ] في « طه » فيمن قال :  
 • ... لا هناك المرتفع<sup>(١)</sup> .

ثم بنى عليه هذا الأمر ، والماء للسكت . وقال مجاهد : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يربطون الجبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام ، ثم نسخ ذلك بالقرض ، فزلت هذه الآية . وقال الكلبي : لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة ، واشتد جده ، لجل يصل الليل كله زمنا حتى نزلت هذه الآية ، فأمره الله تعالى أن يخفف من نفسه فيصل وينام ، فنسخت هذه الآية قيام الليل ؛ فكان جد هذه الآية يصل وينام . وقال مقاتل والضحاك : فلما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم قام هو وأصحابه فصلوا ، فقال كفار قريش : ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى ؛ فأزل الله تعالى « طه » يقول : يا رجل « مَا أُنزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِقِسْفٍ » أي تشعب ؛ على ما يأتي . وعلى هذا القول : إن « طه » [ طاهما أي ] طهر الأرض ؛ فتكون الماء والألف ضمير الأرض ، أي طهر الأرض بربطك في صلواتك ، وخفف الهمة فصارت ألفا ساكنة . وقرأت طائفة « طه » وأصله لهما بمعنى

(١) الزيادة من تفسير الرخشي . (٢) الشعر هززدق ونعام البيت :

واحت بسلة البقال عتية • قارم فزارة لا هناك المرتفع

قال مسند ابن جرير مسند بن عبد الملك بن الرراق ، روي عن عمر بن حنيفة القرظي ، فنهجهم القرظي ، ودعا قومه ألا يهتوا الصلة بولايته . وأراد يقال للرب الذي قدمت بسلة معه هزله . « شواهد سيويه » .

(٢) الزيادة من كتب التفسير .

كلما الأرض خُصفت للممزة وأدخلت هذه السكت . وقال زو بن حريش : قسراً رجل حل  
عبد الله بن مسعود . « مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشَقَّ قُلُوبُ لِهَ عِبْدِ اللَّهِ » . « عَلَيْهِ » فقال :  
يا أبا عبد الرحمن اليس قد أسر أن ينزل الأرض بربله أو بغديه . فقال : « عَلَيْهِ » كذلك  
أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمال أبو عمرو وأبو إسحق الخليلي . وأمالا جميعاً أبو بكر  
وحزرة والكسائي والأعمش . وقراهما أبو جعفر وشيبة ونافع بن الفضل .  
وفخرنا أبو عبيد . الباقون بالتخميم . قال الثعلبي : وهي كلها لغات صحيحة نصيحة . للناس ،  
لأوجه الإمامة عند أكثر أهل العربية لكتين : أحدهما أنه ليس ما هنا له ولا كسرة فتكون  
الإمالة ، والدة الأخرى أن الطاء من الحروف الموانع للإمالة ، فهاتان لغتان بيتان .

قوله تعالى : ( « مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشَقَّ » ) وقرأ : « مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَتَشَقَّ » .  
قال الثعلبي : بعض النحويين يقول هذه لام النفي ، وبعضهم يقول لام الجحد . وقال  
أبو جعفر : سمعت أبا الحسن بن كيسان يقول : إنها لام النفي ، والنفي ما نفيك عليك  
القرآن للشقاء . والشقاء بـ « د » ويحصر . وهو من ذلوت الواو . وأصل الشقاء في اللغة الشقاء  
والتميم ، أي ما أنزلنا عليك القرآن لتحب . قال الشاعر :

ذو العقل يشق في النعم بعقله . وأخو الجهالة في الشقاوة يتعم

لعمري تشق « لتعب » بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم ، وتحمسك على أن يؤمنوا ، كقوله تعالى :  
« قُلْ لَّكَ يَا جَعْلُ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ » أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكرهم ليكتب عليك أن يؤمنوا  
لا عالة بعد أن لم تفرد في أداء الرسالة والموعظة الحسنة . وروى أن أبا جهل — لأنه  
الله تعالى — والنضر بن الحرث قالاً للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك شق لأنك تركت دين  
آبائك ، فطريد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز ، والسبب  
في ذلك كل سعادة ، وما فيه الكفرة هو الشقاوة بينها . وعلى الأنفال المتقدمة أنه عليه  
للمصلاة والسلام صلى بالليل حتى توارت قدماءه فقال له جبريل : أبق على نفسك فإن لها  
عليك حقاً أي ما أنزلنا عليك القرآن لتحب نفسك في العبادات ، وتذيقها للمشفة الفادحة ،  
وما بحث إلا بالحقيقة السمعة .

قوله تعالى : **(إِلَّا تَذَكَّرُ لِمَنْ يَخْشَى)** قال أبو إسحق الزجاج : هو بدل من «تسبيح» أى ما أنزلناه إلا تذكرة - النعاس : وهذا وجه جيد ؛ وأنه أبو علي من أجل أن التذكرة ليست بشقاء ، وإنما هو منصوب على المصدر ، أى أنزلناه لتذكرك به تذكرة ، أو على المفعول من أجله ، أى ما أنزلنا عليك القرآن لتسقي به ، ما أنزلناه إلا للتذكرة . وقال الحسين بن الفضل : فيه تقديم وتأخير ، مجازه : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، ولئلا تسقى . (تزيلاً) مصدر ؛ أى نزلناه تزيلاً . وقيل : بدل من قوله : «تذكرة» . وقرأ أبو حنيفة للشامى «تزيلاً» بالغ على معنى هذا تزيلاً . (يَمْنُ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) أى العالية الرفيعة ، وهى جمع العليا ، كقوله : كُبْرَى وَصُغْرَى وَكَبْرُوصُغْرَى ؛ أخبر عن عظمته وجبروته وجلاله ثم قال : **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** ويجوز النصب على المدح . قال أبو إسحق : انخفض على البدل . وقال سعيد بن مسعدة : الرفع بمعنى هو الرحمن . النعاس : يجوز الرفع بالابتداء ، وأخبر «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» فلا يوقف على «استوى» وعلى البدل من المضموع فى «خلق» فيجوز الوقف على «استوى» . وكذلك إذا كان خبر ابتداء محذوف ؛ ولا يوقف على «الْعُلَى» . وقد تقدم القول فى معنى الاستواء «فى الأعراف» . والذى ذهب إليه الشيخ أبو الحسن وغيره أنه مستو على عرشه بشئ حد ولا كيف ، كما يكون استواء المخلوقين . وقال ابن عباس : يريد خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة . **(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْتَهِمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)** يريد ما تحت الصخرة التى لا يعلم ما تحتها إلا الله تعالى . وقال محمد بن كعب : يعنى الأرض السابعة . ابن عباس<sup>(١)</sup> : الأرض على نون ، والنون على البحر ، وأن طرف النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش ؛ والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها ، وهى التى قال الله تعالى فيها «تَكُنْ فِي صَفْوَرةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ» ؛ والصخرة على قرن تور ، والتور على الثرى ، وما يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى . وقال وهب بن منبه : على وجه الأرض سبعة أبحر ، والأرضون سبع ،

(١) راجع ج ٧ ص ٢١٩ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية .

(٢) هذه الرواية رواها عن ابن عباس رواية غير ثابتة وقد تكلم العلماء فى هذه الرواية ولم يوافقوها .

بين كل أرضين بحر، فليبحر للأسفل مطبق على شفير جهنم، ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده لأحرقت جهنم كل من عليها . قال : وجهنم كل من الریح، ومن الریح مل حجاب من الظلمة لا يعلم عظمه إلا الله تعالى، وذلك الحجاب على الثرى، وإلى الثرى انتهى علم الخلائق .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴾ قال ابن عباس : السر ما حدث به الإنسان غيره في خفاء، وأخفى منه ما أضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره . وعنه أيضا : السر حديث نفسك، وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن ؛ أنت تعلم ما تثيره نفسك اليوم، ولا تعلم ما تثيره غدا ، والله يعلم ما أسرت اليوم وما أسر غدا ؛ والمعنى : الله يعلم السر وأخفى من السر . وقال ابن عباس أيضا : « السر » ما أسر ابن آدم في نفسه ، « وأخفى » ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه ، فافقه تعالى يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد ، وجميع الخلائق في علمه كنفوس واحدة . وقال قتادة وغيره : « السر » ما أضمره الإنسان في نفسه ، « وأخفى » منه ما لم يكن ولا أضمره أحد . وقال ابن زيد : « السر » من الخلائق ، « وأخفى » منه سيره عز وجل ؛ وأنكر ذلك الطبري ، وقال : إن الذي « أخفى » ما ليس في سر الإنسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ « الله » رفع بالإبتداء ، أو على إضمار مبتدأ ؛ لو على البدل من الضمير في « يعلم » . وحده نفسه سبحانه ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا المشركين إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فكبر ذلك عليهم ، فابن سمع أبو جهل يذكر الرحمن قال الوليد بن المغيرة : عهدنا أن ندعو مع الله إلها آخر وهو يدعو الله والرحمن ؛ فأنزل الله تعالى : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا وَالرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » وهو واحد وأسماءه كثيرة ، ثم قال : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » وقد تقدم التنبيه عليها في سورة « للأعراف » .



قوله تعالى : وَمَلَأْنَاكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ  
 امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْعَلْ أَتَيْكُمْ مِنْهَا بَقِيصٌ أَوْ أُنَادِي عَلَى النَّارِ  
 هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ  
 إِنَّكَ بِالرَّادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾  
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾  
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَعُ ﴿١٥﴾  
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( وَمَلَأْنَاكَ حَدِيثَ مُوسَى ) قال أهل اللغات : هو استفهام وإثبات  
 وإيجاب معناه ؛ اليس قد أتاك ؟ وقيل : معناه وقد أتاك ؛ قاله ابن عباس . وقال الكلبي :  
 لم يكن آتاه حديثه بعد ثم أخبره . ( إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلَّ  
 آتَيْكُمْ مِنْهَا بَقِيصٌ أَوْ أُنَادِي عَلَى النَّارِ هُدًى ) قال ابن عباس وغيره : هذا حين قضى الأجل  
 وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر ، وكان قد أخطأ الطريق ، وكان موسى عليه  
 السلام رجلا غيورا ، يصحب الناس بالليل ويغافقهم بالنهار غيرة منه ، فلا يروا أصرامه ،  
 فأخطأ الرقعة - لما سبق في علم الله تعالى - وكانت ليلة مظلمة ، وقال مقاتل : وكانت ليلة  
 الجمعة في الشتاء . وهب بن منبه : استأذن موسى شيئا في الرجوع إلى والديه فأذن له فخرج  
 ماله بخنسه ، وولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مطيعة ، وقد حاد عن الطريق  
 وتفرقت ماشيته ، ففدح موسى النار فلم يور المئذحة شيئا ، إذ بعصر ينسار من بعيد على يسار  
 الطريق ( فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ) أي أقبلوا بمكانكم ( إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) أي أبصرت . قال  
 ابن عباس : فلما توجه نحو النار فإذا النار في شجرة عاتب ، فوقف متعجبا من حسن ذلك  
 الضوء ، وشدة خضرة تلك الشجرة ، فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة ، ولا كثرة



وابن مريم ومحمد وآلهم ، بفتح الألف بإعمال الظاء . واختلف العلماء في السبب الذي من أجله أمر بخلع النملين . وانحلق التزع . والنمل ما جعله وقاية لقديك من الأرض . فقيل : أمر بطرح النملين ؛ لأنها نجسة إذ هي من جلد غير مُدَكِّي ؛ قاله كعب وعكرمة وقتادة . وقيل : أمر بذلك ليال بركة الوادي المقدس ، ونعم قدماه تربة الوادي ؛ قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وابن جرير . وقيل : أمر بخلع النملين للتذرع والتواضع عند مناجاة الله تعالى . وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت . وقيل : إعظاما لملك الموضع كما أن الحرم لا يُدخَل بنملين إعظاما له . قال سعيد بن جبير : قيل له طما الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا . والعرف عند الملوك أن تخلع النمل ويبلغ الإنسان إلى غاية التواضع ، فكان موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه ؛ ولا يقال كانت نملاه من ميتة أو غيرها . وقد كان مالك لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بربتها المحتوية على الأعظم الشريفة ، والجنّة الكريمة . ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لشيخه بن الحصاصية وهو يمشي بين القبور ينعليه : "إذا كنت في مثل هذا المكان فاخلع نعليك" قال : غلظتهما . وقول خامس : إن ذلك عبارة عن تفريق قلبه من أمر الأهل والولد . وقد يعبر عن الأهل بالنمل . وكذلك هو في التعبير : من رأى أنه لا يس نملين فإنه يترجج . وقيل : لأن الله تعالى بسط له بساط النور والهدى ، ولا ينبغي أن يطأ بساط رب العالمين بنعله . وقد يحتمل أن يكون موسى أمر بخلع نعليه ، وكان ذلك أول فرض عليه ؛ كما كان أول ما قيل ل محمد صلى الله عليه وسلم : « ثُمَّ فَأَنذِرْ رَبَّكَ فَكَبَّرَ رَبِّيَاكَ فَطَهَّرَ وَالرَّجْنَ فَاجْهَرُ » والله أعلم بالمراد من ذلك .

الثانية - في الخبر أن موسى عليه السلام خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي . وقال أبو الأحوص : رآه عبد الله أبو موسى في داره ، فأنبت الصلاة فأقام أبو موسى ، فقال لبر موسى لبد الله : تقدم . فقال عبد الله : تعظم ؛ لمت في دارك . فقدم وخلع نعليه ؛ فقال عبد الله : أبا الوادي للقدس أنت ؟ ! وفي صحيح مسلم عن سعيد بن يزيد قال : قلت

لأنس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نائين؟ قال: نعم. ورواه النسائي عن عبيد الله بن السائب: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح فوضع نعليه عن يساره. وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه، إذ خلع نعليه، فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما نفض رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: "ما حلكم على إلقاءكم نعالكم؟" قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيما قَدَرَا" وقال: "إذا جاء أحدكم المسجد فليَنْظُرْ فإن رأى في نعليه فذرا أو أدنى فليمسحه وليصل فيما". صححه أبو محمد عبد الحق. وهو يجمع بين الحديثين قبله، ويرفع بينهما التعارض. ولم يختلف العلماء في جواز الصلاة في النعل إذا كانت ظاهرة من ذك، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الصلاة فيما أفضل، وهو معنى قوله تعالى: "هَٰذَا رِبِّكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" على ما تقدم. وقال إبراهيم البخعي في الذين يخلعون نعالهم: لوددت أن عتاجا جاء فأخذها.

الثالثة - فإن خلعتهما فاخلعهما بين رجليك؛ فإن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا صلى أحدكم فليخلع نعليه بين رجليه". وقال أبو هريرة للقبري: أخلعهما بين رجليك ولا تؤذيهما مسلما. وما رواه عبد الله بن السائب رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام خلعهما عن يساره فإنه كان إماما، فإن كنت إماما أو وحدا فافصل ذلك إن أحببت، وإن كنت مأموما في الصف فلا تؤذيهما من على يسارك، ولا تضمهما بين قدميك فتشغلك، ولكن قدم قدميك. وروى عن جبير بن مطعم أنه قال: وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة.

الرابعة - فإن تحقق فيهما نجاسة فمُجِّع على تحميمهما كالدم والمذرة من بول بني آدم لم يطهرهما إلا الفصل بالماء، عند مالك والشافعي وأكثر العلماء، وإن كانت النجاسة غثفا فيها كبول الدواب وأرواثها الرطبة فهل يطهرها للمسح بالتراب من النعل والخف أولا؟ فولان هذا. وأطلق الإجزاء مسح ذلك بالتراب من غير تفصيل الأوزاعي وأبو ثور. وقال

أبر حيفة : يزيله لخافيس الجبل والنفيس ، ولا يزيل رطب له إلا النسل ماعدا للبول ، فلا يجزئ فيه عنده إلا النسل . وقال النخعي : لا يطهر شيئا من ذلك كله إلا الله . والصحيح قول من قال : إن المسح يطهره من الخلق والنسل ، لحديث أبي سعيد . فلما لو كانت النسل والنجس من جملته ميتة فإن كان غير مدفوع فهو نجس بلفظ ، ما عدا ما ذهب إليه الجمهور والليث ، على ما تقدم بيانه في سورة « النحل » . ومضى في سورة « براءة » القول في إزالة النجاسة والحمد لله .

الخامسة - قوله تعالى : ( إِنَّكَ يَا أَرَادِ الْمُقَدِّسِ طُوًى ) المقدس : للطاهر . والمقدس : الطاهرة ، والأرض المقدسة أى المطهرة ، سميت بذلك لأن الله تعالى أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين . وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض ، كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض ، وبعض الميوان كذلك . وقد أن فضل ما شاء . وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدسا بإخراج الكافرين وإسكان المؤمنين ، فقد شاركه في ذلك غيره . و « طوى » اسم الوادى عن ابن عباس ويجهاد وغيرهما . وقال الضحاك : هو واد عميق مستدير مثل الطوى . وقرا عكرمة « طوى » . الباقون « طوى » . قال الجوهري : « طوى » اسم موضع بالشام ، تكسر طاءه وتضم ، ويصرف ولا يصرف ، فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة . وقال بعضهم : « طوى » مثل « طوى » وهو الشيء المثنى ، وقالوا في قوله « المقدس طوى » : طوى مرين أى قدس . وقال الحسن : ثبت في البركة والتقديس مرتين . وذكر اللمهوى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه قيل له « طوى » لأن موسى طواه بالليل إذ مر به فارضع إلى أعلى الوادى ، فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه ، فكأنه قال : « إِنَّكَ يَا أَرَادِ الْمُقَدِّسِ » الذى طووته طوى ؛ أى تجلو زته فطووته بسبك . الحسن : معناه أنه قدس مرتين ؛ فهو مصدر من طووته أيضا .

(١) ويصح ١٠ ص ١٥٦ وما بعدها طية أدرك الثانية .

(٢) ويصح ٨ ص ٢٦٢ وما بعدها طية أدرك الثانية .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا آخَرُكُمْ ﴾ أي أصطفيتك الرسالة . وقرا أهل المدينة وأبو عمرو وطامم والكاسي « وَأَنَا آخَرُكُمْ » . وقرا حمزة « وَأَنَا آخَرُكَ » . والمعنى واحد ؛ إلا أن « وَأَنَا آخَرُكُمْ » هاهنا أول من جهتين : إحداهما أنها أشبه بالخط ، والثانية أنها أولى بنسب الكلام ؛ لقوله عز وجل : « يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَمْ مَقَامِيكَ » وعلى هذا النسب جرت المخاطبة ؛ قاله الناس .

قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ فيه مسألة واحدة - قال ابن عطية : وحديث أبي - رحمه الله - قال سمعت أبا الفضل الجوهري رحمه الله تعالى يقول : لما قيل لموسى صلوات الله وسلامه عليه : « اسْمِعْ لِمَا يُوحَى » وقف على حجر ، واستند إلى حجر ، ووضع يمينه على شماله ، وألقى ذقنه على صدره ، ووقف يستمع ، وكان كل لباسه صوفاً .

قلت : حسن الاستماع كما يجب فمدح الله عليه فقال : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ » ودم على خلاف هذا الوصف فقال : « نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ » الآية . فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل ، وأمر عباده بذلك أدباً لهم ، فقال : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَكُمْ تُرْجَوْنَ » وقال هاهنا : « فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » لأن بذلك ينال الفهم عن الله تعالى . روى عن وهب بن منبه أنه قال : من أدب الاستماع سكن الجوارح وغض البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل ، والعزم على العمل ، وذلك هو الاستماع كما يجب الله تعالى ؛ وهو أن يكف المبد جوارحه ، ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع ، وبغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ، ويحصر عقله فلا يتحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه ، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم . وقال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر ؛ فإذا استمع البذل إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يجب الله أنفهم كما يجب ، وجعل له في قلبه نوراً .

قوله تعالى : ( إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ) فيه سبع مسائل ،  
 الأول - اختلف في تأويل قوله : « لَذِكْرِي » فقيل : يحتمل أن يريد لذكرك فيهما  
 أو يريد لأذكرك بالمدح في طين بها ، فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل وإلى  
 المفعول . وقيل : المعنى أى حافظ بعد التوحيد على الصلاة . وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاة  
 إذ هي تضرع إلى الله تعالى ، وقيام بين يديه ، وعلى هذا فالصلاة هي الذكر . وقد سمى الله  
 تعالى الصلاة ذكرا في قوله : « فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » . وقيل : المراد إذا نسيت فذكرت  
 فصل سجدة الخبر « فليصلها إذا ذكرها » . أى لا تسقط الصلاة بالنيان .

الثانية - روى مالك وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نام عن صلاة  
 أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » . » . وروى  
 أبو عبد الله محمد بن الفضل بن سعد من حديث حماد بن حماد - وهو حماد الأول الذي روى عنه  
 يزيد بن زريع - قال حدثنا قتادة عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم عن الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال : « كفارتها أن يصلها إذا ذكرها » . تابعه  
 إبراهيم بن طهمان عن حماد ، وكذا يروى ممام بن يحيى عن قتادة . وروى الفارغاني عن  
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نسي صلاة فوجدها إذا ذكرها » فقوله :  
 « فليصلها إذا ذكرها » دليل على وجوب القضاء على النائم والنافل ، كثرت الصلاة أو قلت ،  
 وهو مذهب عامة العلماء . وقد حكى خلاف شاذ لا يمتد به ، لأنه مخالف لبص الحديث عن  
 بعض الناس فيما زاد على خمس صلوات أنه لا يلزمه قضاء .

قلت : إنا لله تعالى بإقامة الصلاة ، ونص على أوقات معينة ، فقال : « أَقِمِ الصَّلَاةَ  
 لِذِكْرِكَ الْخَاشِعِ » الآية وغيرها من الآي . ومن أقام بالليل ما أمر بإقامته بالنهار ، أو بالعكس  
 لم يكن فعله مطابقا لما أمر به ، ولا ثواب له على فعله وهو طامس ، وعلى هذا الجدل كان  
 لا يجب عليه قضاء ما فات وقته . ولولا قوله عليه الصلاة والسلام : « من نام عن صلاة  
 أو نسيها فليصلها إذا ذكرها » لم يتفح أحد بصلاة وقعت في غير وقتها ، وهذا الاعتلال كان  
 قضاة لا أداء ، لأن القضاء بأمر متعبد وليس بالأمر الأول .

الثالثة - فاما من ترك الصلاة متممدا ، فاجهور أيضا مل وجوب القضاء عليه ، وإن كان عاجزا إلا داود . وواقه أبو عبد الرحمن الأشعري الشافعي ، حكاه عنه ابن القصار . والفرق بين المتمد والناسي والثام ، حط المأثم ، فالمتمد مأثم وجميعهم قاضون . والجمعة لجمهور قوله تعالى : « أقيموا الصلاة » ولم يفرق بين أن يكون في وقتها أو بعدها . وهو أمر يقتضى الوجوب . وأيضا فقد ثبت الأمر بقضاء الثام والناسي ، مع أنهما غير مأثومين ، فالعائد أولى . وأيضا قوله : « من نام من صلاة أو نسيها » والنسيان الترك ، قال الله تعالى : « تسوا الله فنبسهم » و « تسوا الله فأنسأهم » سواء كان مع دخول أو لم يكن ، لأن الله تعالى لا ينسى وإنما معناه تركهم و « ما ننسخ من آية أو ننسها » أى تركها . وكذلك الذكر يكون بعد نسيان وبعد غيره . قال الله تعالى : « من ذكرنى فى حسه ذكرته فى غنى » وهو تعالى لا ينسى وإنما معناه غلبت . فكذلك يكون معنى قوله : « إذا ذكرها » أى ملها . وأيضا فإن الذين اتى الآدميين إذا كانت متعلقة بوقت ، ثم جاء الوقت لم يسقط قضاؤها بعد وجوبها ، وهى مما يسقطها الإبراء كان في حيون الله تعالى الأصبح فيها الإبراء أولى ألا يسقط قضاؤها إلا بإذن منه . وأيضا فقد اتفقنا أنه لو ترك يوما من رمضان متمدا بفتره مذر لوجب قضاءه فكذلك الصلاة . فإن قيل فقد روى عن مالك : من ترك الصلاة متمدا لا يقضى لها . فالإشارة إلى أن ما مضى لا يعود ، أو يكون كلاما نخرج مل التخليط ، كما روى من ابن مسعود وعن : أن من أفطر في رمضان حائطا لم يكفره صيام الدهر وإن صامه . ومع هذا فلا بد من توفية التكليف حقه بإقامة القضاء مقام الأداء ، أو إتيائه بالتوبة ، ويضعف الله بعد ذلك ما يشاء . وقد روى أبو المظفر عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أفطر يوما من رمضان متمدا لم يحزه صيام الدهر وإن صامه » وهذا يحتمل أن لو صح كان معناه التخليط ، وهو حديث ضعيف نرجه أبو داود . وقد جاءت الكثرة بأحاديث صحاح ، وفي بعضها قضاء اليوم ، والحمد لله تعالى .

الرابعة - قوله عليه الصلاة والسلام : « من نام من صلاة أو نسيها » الحديث ، يخص عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « رفع القلم عن ثلاثة من الناس حتى يستيقظ » والاولاء بالرفع



هنا رفع المأم لا رفع الفرض عنه ، وليس هذا من باب قوله : " وعن الصبي حتى يحتمل " وإن كان ذلك جاء في أثر واحد ، فقف على هذا الأصل .

الخامسة - اختلف العلماء في هذا المني فيمن ذكر صلاة فائتة وهو في آخر وقت صلاة ، أو ذكر صلاة وهو في صلاة ، بخمسة مذهب مالك : أن من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة أخرى ، بدأ بالتي نسي إذا كان خمس صلوات فادنى ، وإن فات وقت هذه . وإن كان أكثر من ذلك بدأ بالتي حضر وقتها ، وعلى نحو هذا مذهب أبي حنيفة والثوري والليث ؛ إلا أن أبا حنيفة وأصحابه قالوا : الترتيب عندنا واجب في اليوم واليلة إذا كان في الوقت سعة للفائتة ولصلاة الوقت . فإن خشي فوات الوقت بدأ بها ، فإن زاد على صلاة يوم وليلة لم يجب الترتيب عندهم . وقد روى عن الثوري وجوب الترتيب ، ولم يفرق بين القليل والكثير . وهو تحصيل مذهب الشافعي . قال الشافعي : الاختيار أن يبدأ بالفائتة ما لم يخف فوات هذه ، فإن لم يفعل وبدأ بصلاة الوقت أجزاء . وذكر الأئمة أن الترتيب عند أحد واجب في صلاة سبعمائة فأكثر . وقال : لا ينبغي لأحد أن يصل صلاة وهو ذاكر لما قبلها لأنها تحسد عليه . وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال عليه الصلاة والسلام : " إذا ذكر أحدكم صلاة في صلاة مكتوبة فليبدأ بالتي هو فيها فإذا فرغ منها صلى التي نسي " وعمر بن أبي عمر مجهول<sup>(١)</sup> .

قلت : وهذا لو صح كانت حجة للشافعي في البداية بصلاة الوقت . والصحيح ما رواه أهل الصحيح عن جابر بن عبد الله : أن عمر يوم الخندق جعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله والله ما كنت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس تقرب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فوالله إن صلَّيْتُها " فزلنا البطعان قوضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتوضأتا فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها

(١) عمر بن أبي عمر : هو أحد رواة هذا الحديث من مكحول عن ابن عباس . ولفظ الحديث في البخاري هكذا : " إذا نسي أحدكم الصلاة فذكرها وهو في صلاة مكتوبة فليبدأ بالتي هو فيها فإذا فرغ منها صلى التي نسي " .  
(٢) إن نافية ؛ أي ما صلَّيْتُها . (٣) بفتح الهمزة أو الصواب الفتح وكرر الله ؛ موضع الحديث .

للمغرب . وهذا نص في البداءة بالفائنة قبل الحاضرة ، ولا سيما والمغرب وقتها واحد مضيق  
 غير متدد في الأشهر عندنا ، وعند الشافعي كما تقدم . وروى الترمذي عن أبي عبيدة بن عبد الله  
 ابن مسعود عن أبيه : أن للمشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أربع صلوات يوم  
 الثلاثاء ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله تعالى ، فأمر بالأذان بلالا فقام فاذن ، ثم أقام فصل  
 الظهر ، ثم أقام فصل العصر ، ثم أقام فصل المغرب ، ثم أقام فصل العشاء . وبهذا استدلل  
 العلماء على أن من فاتته صلاة ، قضاه مرتبة كما فاتته إذا ذكرها في وقت واحد . واختلفوا  
 إذا ذكر فاتسة في مضيق وقت حاضرة على ثلاثة أقوال : يبدأ بالفائنة وإن خرج وقت  
 الحاضرة ، وبه قال مالك والليث والزهري وغيرهم كما قدمناه . الثاني — يبدأ بالحاضرة وبه  
 قال الحسن والشافعي ونقهاء أصحاب الحديث والمحاسبي وابن وهب من أصحابنا . الثالث —  
 يتخير فيقدم أيهما شاء ، وبه قال أشهب .

وجه الأول : كثرة الصلوات ولا خلاف أنه يبدأ بالحاضرة مع الكثرة ، قاله القاسمي  
 عياض . واختلفوا في مقدار اليسير ، فمن مالك : الخمس فدون ، وقد قيل : الأربع فدون  
 لحديث جابر ، ولم يختلف المذهب أن الست كثير .

السادسة — وأما من ذكر صلاة وهو في صلاة ، فإن كان وراء الإمام فكل من قال  
 بوجوب الترتيب ومن لم يقل به ، يتأدى مع الإمام حتى يكمل صلاته . والأصل في هذا  
 ما رواه مالك والدارقطني عن ابن عمر قال : ” إذا نسي أحدكم صلاة فلم يذكرها إلا وهو  
 مع الإمام فليصل مع الإمام فإذا فرغ من صلاته فليصل الصلاة التي نسي ثم ليعد صلاته التي  
 صلى مع الإمام “ لفظ الدارقطني ، وقال موسى بن هرون : وحديثه أبو إبراهيم الترمذاني ،  
 قال : حدثنا سعيد <sup>(١)</sup> [ به ] ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وروى في رفته ، فإن كان قد رجع  
 عن رفته فقد وفق للصواب . ثم اختلفوا ، فقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل : يصل التي  
 ذكره ، ثم يصل التي صلى مع الإمام إلا أن يكون بينهما أكثر من خمس صلوات ، على ما قدمنا  
 ذكره عن الكوفيين . وهو مذهب جماعة من أصحاب مالك المدنيين . وذكر الحارثي عن

(١) الزيادة من الدارقطني . (٢) ملحقية للرجوع والكتاب .

أحمد بن حنبل أنه قال : من ذكر صلاة وهو في أخرى فإنه يتمها ويقضى المذكورة ، وأعاد التي كان فيها إذا كان الوقت واسما ، فإن خشي خروج الوقت وهو فيها اعتقد ألا يبسدها ، وقد أجزأته ويقضى التي عليه . وقال مالك : من ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتيه ، فإن كان إماما أنهت عليه وحل من خلفه وبطلت . هذا هو الظاهر من مذهب مالك ، وليس عند أهل النظر من أصحابه كذلك ، لأن قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى منها ركعة أنه يضيف إليها أخرى ويسلم . ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث ركعات أضاف إليها رابعة وسلم ، وصارت نافلة غير فائدة ولو أنهت عليه كما ذكر وبطلت لم يؤمر أن يضيف إليها أخرى ، كما لو أحدث بعد ركعة لم يضيف إليها أخرى .

السابعة — روى مسلم عن أبي قتادة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الميضة بطوله ، وقال فيه ثم قال : " أما لكم في أسوة " ثم قال : " أما إنه ليس في النوم فحريط إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يبي وقت الصلاة الأخرى لمن قبل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها " وأخرجه الدارقطني هكذا بلفظ مسلم سواء ، فظاهره يقتضي إحادة المقتضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها من الوقت الآتي ، ويضد هذا الظاهر ما أخرجه أبو داود من حديث عمران بن حصين ، وذكر القصة وقال في آخرها : " فمن أدرك منكم صلاة الفلانة من غد صالحا فليقبض معها مثلها " .

قلت : وهذا ليس على ظاهره ، ولا تصاد غير مرة واحدة ، لما رواه الدارقطني عن عمران بن حصين قال : سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة — أروال في صرية — فلما كان وقت السحر مررنا ، فما استيقظنا حتى أيقظنا حر الشمس ، بغسل الرجل ما يقب فزعاً ديمشاً ، فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا فارتعنا ، ثم سرنا حتى ارتفعت الشمس ، فقضى التقوم حوائجهم ، ثم أمر بلالا فأذن فصلينا ركعتين ، ثم أمره فأقام فصلينا النداء ؛ قلنا : يا نبي الله ألا تقضيها لوقتها من الغد ؟ فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم " أينما كن الله من الربا ويحب له منكم " . وقال للخطابي : لا أعلم أحدا قال بهذا وجوبا ، ورشبه

أن يكون الأمر به استحباباً لبحر ز فضيلة الوقت في القضاء . والصحيح ترك العمل لقوله عليه السلام : « أينما كن الله عن الرأ ويقبله منكم » ولأن الطرق الصحاح من حديث عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء ، إلا ما ذكر من حديث أبي قتادة وهو محتمل كما يناء . قلت : ذكر الكيا الطبري في « أحكام القرآن » له أن من السلف من خالف قوله عليه الصلاة والسلام : « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كإفارة لما إلا ذلك » فقال : يصبر إلى مثل وقته فليصل ، فإذا فات الصبح فليصل من الغد . وهذا قول بعيد شاذ .

قوله تعالى : ( إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيًا يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى ) آية مشكلة ، فروى عن سعيد بن جبير أنه قرأ « أَكَادُ أَخْفِيًا » بفتح الحظزة ، قال : أظهرها . « تُجْزَى » أى الإظهار للجزاء ، رواه أبو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن وقاء بن إياس عن سعيد ابن جبير . وقال النحاس : وليس لهذه الرواية طريق غير هذا .

قلت : وكذا رواه أبو بكر الأنباري في كتاب الرد ، حدثني أبي حدثنا محمد بن الجهم حدثنا القراء حدثنا الكسائي ، خ — وحدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا يوسف حدثنا يحيى الجهماني حدثنا محمد بن سهل . قال النحاس : وأجود من هذا الإسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير : أنه قرأ « أَكَادُ أَخْفِيًا » بضم الحظزة .

قلت : وأما قراءة ابن جبير « أَخْفِيًا » بفتح الحظزة بالإسناد المذكور فقال أبو بكر الأنباري قال الفراء : بعاء أظهرها من خفيت الشيء أخفيها إذا أظهرته . وأشد الفراء لأمرئ القيس :

لَإِنْ تَدْقُشُوا الْمَاءَ لَا تَخْفِيهِ • وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْدُمُ

أراد لا تظهره ، وقد قال بعض اللغويين : يجوز أن يكون « أَخْفِيًا » بضم الحظزة معناه أظهرها لأنه يقال : أخفيت الشيء وأخفيته إذا أظهرته ، فأخفيته من حروف الأضداد يقع على السر والإظهار . وقال أبو عبيدة : خفيت وأخفيت بمعنى واحد . للنحاس : وهذا حسن ، وقد

حكاه عن أبي الخطاب<sup>(١)</sup> وهو رئيس من رؤساء الفئة لا يشك في صدقه ؛ وقد روى عنه  
سيويه وأشد :

وإن تكتموا الداء لا تخفيهِ • وإن تبشروا الحرب لا قعد

كذا رواه أبو عبيدة عن أبي الخطاب بضم النون . وقال أمرؤ القيس أيضا :

خفاهن من أفاقهن كأننا • خفاهن ودق من مثنى مجلب<sup>(٢)</sup>

أى أظهرهن . وروى : « من محاب مرگب » بدل « من مثنى مجلب » . وقال أبو بكر  
الأنباري : وفسر الآية آخر : « إن الساعة آتية أكاد » اقطع الكلام على « أكاد » وبمده  
مضمر أكاد آتى بها ، والابتداء « أخفيا يُجزي كل نفس » . قال ضابط البرجمي<sup>(٣)</sup> :

فمئت ولم أفل وكدت وليتي • تركت على عثان تبسكي سلاطه

أراد وكدت أفل ، فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القرآن .

قلت : هذا الذي اختاره التماس ؛ وزيف القول الذي قبله فقال يقال : خفى الشيء  
يخفيه إذا أظهره ، وقد حكى أنه يقال : إخفاء أيضا إذا أظهره ، وليس بالمعروف ؛ قال :  
وقد رأيت هل بن سليمان لما أشكل عليه معنى « أخفيا » عدل إلى هذا القول ، وقال :  
معناه كمنى « أخفيا » . قال التماس : ليس المعنى على أظهرها ولا سها و « أخفيا » قراءة  
شاذة ، فكيف ترد القراءة الصحيحة الشاذة إلى الشاذة ، بمعنى المضمر أولى ؛ ويكون  
التقدير : إن الساعة آتية أكاد آتى بها ؛ ودل « آتية » على آتى بها ؛ ثم قال : « أخفيا » على  
الابتداء . وهذا معنى صحيح ؛ لأن الله عز وجل قد أخفى الساعة التي هي القيامة ، والساعة  
التي يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل ، والأمر عنده معهم ، فلا يؤخر التوبة .

(١) هو الأنشس الأكبر عبد الحميد بن عبد الحميد . (٢) خفاهن : أظهرهن . والإفاق (جمع قف) ،  
وهو البحر . والودق : الماء . والجلب : التي له جلبة . وقيل :  
رأى القادري مستنقع القناح لاجبا • على جدد الصراء من ثمة ما لب  
يقول : وقع حوافر القرس على الأرض أخرج القنار من بهرتها لأنه طه طرا .  
(٣) قاله وهو عجيب ؛ حبه سيدها فكان بن عفان رضي الله عنه لحياه بض بن جرول بن نسل ؛ ولم يزل  
في حبه إلى أن مات .

قلت : وعمل هذا القول تكون اللام في « ليجزى » متعلقة بـ « أخفيا » . وقال أبو علي :  
 هذا من باب السلب وليس من باب الأضداد ، ومعنى « أخفيا » أزيل عنها خفائها ، وهو  
 سترها تكفها [ أخفية ] وهي الأكسية [ والواحد خفاء بكسر الخاء ] ما تلف به [ القربة ] ، وإذا  
 زال عنها سترها ظهرت . ومن هذا قولهم : أشكيت ، أى أزلت شكواها ، وأهديته أى قبلت  
 استبداءه ولم أحوجه إلى إعادته . وحكى أبو حاتم عن الأخفش : أنه « كاده » زائلة مؤكدة .  
 قال : ومثله « إَذَا أَنْتَحَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا » لأن الظلمات التى ذكرها الله تعالى بعضها يحول  
 بين الناظر والمنظور إليه . وروى عنه من ابن جبير ، والتقدير : إن الساعة آتية أخفيا  
 ليجزى كل نفس بما تسعى . وقال الشاعر <sup>(١)</sup> :

سريع إلى الميلاء شاكٍ سلاحه • لما إن يكادُ قسرتُه ينقُسُ

أراد لما ينقُسُ . وقال آخر :

والألوم النفسُ فيا أصابى • وألا أكادُ بالذى نِدْتُ أنجَحُ

معناه : وألا أنجح بالذى قلت ، فأكاد تأكيد للكلام . وقيل : المعنى « أكادُ أخفيا » أى  
 أقارب ذلك ، لأنك إذا قلت : كاد زيد يفسوم ، جاز أن يكون قام ، وأن يكون لم يقم .  
 ودل على أنه قد أخفاها بدلالة غير هذه على هذا الجواب . قال اللغويون : كدت أفعل معناه  
 عند العرب : قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل معناه : فعلت بعد إبطاء . وشاهده قول  
 الله عزت عظمته « فَتَجَبَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » معناه : وفعلوا بعد إبطاء لعدم وجدان البقرة  
 عليهم . وقد يكون ما كدت أفعل بمعنى ما فعلت ولا قاربت إذا أكد الكلام بإكاد . وقيل ،  
 معنى « أكادُ أخفيا » أريد أخفيا . قال الأنيارى : وشاهد هذا قول النصيب من الشعر ،  
 كادتُ وكِدتُ وتلك خير إرادة • لو عَادَ من مَسْرِ الصَّبَايةِ مَا مَقَى

معناه : أرادت وأردت . وقال ابن عباس وأكثر المفسرين فيها ذكر التلويح ، إن المعنى  
 أكاد أخفيا من نفسي ، وكذلك هو في مصحف ابن . وفي مصحف ابن مسعود : أكاد

أخفيا من نفس فكيف يعلمها مخلوق . وفي بعض القراءات : فكيف أظهرها لكم . وهو محمول على أنه جاء على ما جرت به عادة السرب في كلامها ، من أن أحدهم إذا بالغ في كثرة الشيء ، قال : كذبت أخفيه من نفسي . والله تعالى لا يخفى عليه شيء ، قال معناه فطرب ورفعه . وقال الشاعر :

لِيَاكُم تَصْجِي هُنْدٍ وَأَخْبِرُكُمْ • مَا أَكْتَمَ النَّفْسُ مِنْ حَالِي وَأَسْرَارِي  
فَكَيْفَ يَجْعَلُهَا بِأَنْ تَكْتُمُ نَفْسَهُ • وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَرَجُلٌ تَصْلُقُ بِصِدْقَةٍ  
فَأَخْفَا مَا حَقَّ لَا تَعْلَمُ شَيْئًا مَا تَتَّفِقُ بَيْنَهُ " (الزحزحى) وقيل معناه : أكاد أخفيا من نفسي ،  
ولا دليل في الكلام على هذا المذهب ، وعذوف لا دليل عليه مطروح ، واللهى فمرم منه  
أن في مصحف أبي : أكاد أخفيا من نفسي ؛ وفي بعض المصاحف : أكاد أخفيا من  
نفسى فكيف أظهركم عليها .

قلت : وقيل إن معنى قول من قال أكاد أخفيا من نفسي ؛ أى إن إخفاها كان من  
قيل ومن عتدى لا من قيل فبرى . وروى عن ابن عباس أيضا : أكاد أخفيا من نفسي ؛  
ورواه طلحة بن عمرو عن عطاء . وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : لا أظهر  
عليها أحدا . وروى عن سعيد بن جبير قال : قد أخفاها . وهذا على أن كاد زائدة . أى  
إن الساعة آتية أخفيا ، والقائدة في إخفائها التخويف والتحويل . وقيل : تعالى « لتجزى »  
بقوله تعالى : « وَأَتِمُّوا الصَّلَاةَ » فيكون في الكلام تقديم وتأخير ؛ أى أتم الصلاة لذكري  
« لتجزى كل نفس بما تسعى » أى يسعيها « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا » . والله أعلم .  
وقيل : هى متعقبة بقوله : « آتِيَةٌ » أى إن الساعة آتية لتجزى . ( فَلَا يَصُدُّكَ مَهَا ) أى  
لا يصرفك عن الإيمان بها والتصديق لها ( مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ) . ( فَتَذَكَّرُ ) أى  
تتهلك . وهو في موضع نصب بجواب التى .

قوله تعالى : وَمَا نَلَكَ بِبَيْتِكَ بِمُومِنٍ ﴿٦٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ  
عَلَيْهَا وَأَهْشَأُ بِهَا عَلَى غَنِيِّ وَلِيَّ فِيهَا فَطَرْتُ أُخْرَى ﴿٦٨﴾

ففيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ ﴾ قيل : كان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحياء لأنه قال : « فَأَسْتَمِعُ لِمَا يُرْسَى » ولابد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه ، فأراه في العصا وفي نفسه ما أراه لذلك . ويجوز أن يكون ما أراه في الشجرة آية كافية له في نفسه ، ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد ، وبرهاناً يلحق به قومه . واختلف في « ما » في قوله : « وَمَا تَلَكَ » فقال الزجاج والقراء : هي اسم ناقص وصلت به « يمينك » أى ما أتى يمينك وقال أيضاً : « تلك » بمعنى هذه ولو قال : ما ذلك لجاز ؛ أى ما ذلك الشيء ؛ ومقصود السؤال تقرير الأمر حتى يقول موسى : هي عصاى ؛ ليثبت الجهة عليه بعد ما اعترف ، وإلا فقد علم الله ما هي في الأزل . وقال ابن الجوهري : وفي بعض الآثار أن الله تعالى حجب على موسى إضافة العصا إلى نفسه في ذلك الموضع ؛ فقيل له : ألقها لترى منها العجب فعلم أنه لا ملك لك عليها ولا تنضاف إليك . وقرأ ابن أبي إسحق « عَصَى » على لغة هذيل ؛ ومثله « يَلْشَرَى » و « عَجَى » وقد تقدم . وقرأ الحسن « عَصَايَ » بكسر الهمزة لانتفاء الساكنين . ومثل هذا قراءة حمزة « وَمَا أَتَمَّ يَمِينُكَ » . وعن ابن أبي إسحق سكن الهمزة .

الثانية - في هذه الآية دليل على جواب السؤال بأكثر مما سئل ؛ لأنه لما قال : « وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى » ذكر معاني أربعة : وهي : إضافة العصا إليه ، وكان حقه أن يقول عصا ، والتوكيد ، والهاش ، والمآرب المطلقة . فذكر موسى من منافع عصاه عظمتها وجمهورها وأجل سائر ذلك . وفي الحديث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه الحلو ميتته » . وسأله امرأة عن الصغير حين رفعته إليه فقالت : أهدنا حج ؟ قال : « نعم ولك أبر » . ومثله في الحديث كثير .

الثالثة - قوله تعالى : ﴿ أَنْتَوُكَا عَلَيَّهَا ﴾ أى اتعامل عليها في المشي والوقوف ؛ ومنه الانكسار . ( وَأَهْشُ رِيحًا ) « وَأَهْشُ » أيضاً ؛ ذكره النحاس . وهي قراءة النحوي ؛ أى أخط بها

(١) وردى عن النحوي أيضاً أنه قرأ « وأهش » بضم الهمزة واثنين من « أهش » و « أهيا » .



للورق، أى اضرب أغصان الشجر ليسقط ورقها، فيسمل على غنى تناوله فتأكله .  
قال الواحش :

أَهْشُ بِالْعَصَا عَلَى أَغْنَانِي • مِنْ نَائِمِ الْأَرَاكِ وَالْيَاسَامِ

يقال : هَشَّ على غنمه يَهْشُ بهش بضم الهاء فى المستقبل . وهَشَّ إلى الرجل يَهْشُ بالفتح .  
وكذلك هَشَّ للعراف يَهْشُ وهَشَّتْ أنا : وفى حديث عمر : هَشَّتْ يوما فقبلت وأنا صائم .  
قال ثمر : أى فرحت وأشبهت . قال : ويحوز هَشَّ بمعنى هَشَّ . قال الراعى :

فَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فَوَادُهُ • وَبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلَ يَوْمِهَا

أى طرب . والأصل فى الكلمة الرِّبَاة . يقال : رجل هَشَّ وزوج هَشَّ . وقرا  
عكرمة «وأهس» بالسين غير معجمة؛ قيل : هما لثنتان بمعنى واحد . وقيل : معناهما مختلف؛  
فالْهَشُّ بالإعجام خبط الشجر ، والهَسُّ بغير إعجام زجر الغنم . إذ كره الساردى ؛ وكذلك ذكر  
الزخنى . ومن عكرمة : « وأهس » بالسين أى أغنى عليا زاجرا لها والهَسُّ زجر الغنم .  
الرابعة ... قوله تعالى : ( وَلَيْفَ فِيهَا تَارِبٌ أُخْرَى ) أى حوائج . ونحدها تَارِبَةٌ وَمَارِبَةٌ  
ومَارِبَةٌ . وقال : «أخرى» على صيغة الواحد ؛ لأن تَارِبٌ فى معنى الجماعة ، لكن المصحح فى تواريع  
جمع ما لا يعقل الإفراد والكناية عنه بذلك ؛ فإن ذلك يجرى مجرى الواحدة المؤنثة ؛ كقوله  
تعالى : « وَفِيهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا » وكقوله : « يَا نَجِيبًا أَوْيَى مَعَهُ » وقد تقدم هذا  
فى «الأعراف» .

الخامسة ... تعرض قوم لتعديد منافع النعصا منهم ابن عباس ، قال : إذا انتهت  
إلى رأس يدر فقص الرشا وصلته بالنعصا ، وإذا أصاب حر الشمس غريزتها فى الأرض  
والقبت عليها ما يظنى ، وإذا خفت شيئا من حوم لأرض قتته بها ، وإذا مشيت القيتا  
على عاتق وطلقت عليها القوس والكثانة والخلابة . وتدل بها السباع عن الغنم .

(١) المصحح : الطريق الواضح الرابع ثلثين . (٢) بد ٧ من ٣٢٧ وما بعدها طبعه أول مرة ثانية .

حَدَّثَنِي عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ قَالَ: إِسْكَاتُ الْعَصَا سِتَّةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهِيَ لُؤْمُنُ حَقَائِلِ الْحَسَنِ  
الْبَصْرِيِّ: فِيهَا سِتُّ خِصَالٍ؛ سِتَّةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَزِينَةُ الصَّلَاةِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَعَوْنٌ  
لِلضُّعْفَاءِ، وَغَمٌّ لِلْمُتَّقِينَ، وَزِيَادَةٌ فِي الطَّاعَاتِ. وَيُقَالُ: إِذَا كَانَ مَعَ الْمُؤْمِنِ الْعَصَا يَهْرَبُ  
مِنَ الشَّيْطَانِ، وَيَخْشَعُ مِنْهُ الْمُنَافِقُ وَالْفَاجِرُ، وَتَكُونُ قَبْلَهُ إِذَا صَلَّى، وَفَوْقَهُ إِذَا أَمَّا. وَلَوْ  
الْجَبَّاحُ أَعْرَابِيًا فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ يَا أَعْرَابِي؟ قَالَ: مِنَ الْبَادِيَةِ. قَالَ: وَمَا فِي يَدِكَ؟  
قَالَ: عَصَايَ أُرْكِمُهَا لِمَلَأَتِي، وَأَعْتَدْتُهَا لِمَدَاتِي، وَأَسْوَقُ بِهَا دَابَّتِي، وَأَتَوَسَّلُ بِهَا عَلَى سَفَرِي،  
وَأَعْتَمِدُ بِهَا فِي مَشْيِي لَتَنْتَعِ خَطْوَتِي، وَأَتَبُّ بِهَا النَّهْرَ، وَتَوَسِّلُ مِنَ الْعَمْرِ، وَأَتَّقِي عَلَيْهَا كِسَافِي  
فَيَقْبِي الْحَزْنَ، وَيُدْنِي مِنَ الْقَرَى، وَتَدْنِي إِلَى مَا بَعْدَ مَيِّ، وَهِيَ تَجْلِي سَفَرَتِي، وَعِلَاقَةُ إِدَاوَتِي،  
أَعْيِي بِهَا عِنْدَ الضَّرَبِ، وَأَقْرِعُ بِهَا الْأَيُّوبَ، وَأَتَّقِي بِهَا هَقُورَ الْكَلَابِ، وَتَتَوَبُّ عَنِ الرَّيْحِ  
فِي الطَّلَامِ، وَعَنِ السَّيْفِ عِنْدَ مَنَازِلَةِ الْأَقْرَانِ، وَرَدَّتْهَا مِنْ أَبِي، وَأَوْرَثَهَا بِسَدَى أَبِي، وَأَهْتَشُّ  
بِهَا عَلَى غَنِيٍّ، وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخَرِي، كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى.

قُلْتُ: مَنَاقِعُ الْعَصَا كَثِيرَةٌ، وَلَهَا مَدْخَلٌ فِي «وَأَضَعُ مِنَ الشَّرِيعَةِ»: مِنْهَا أَنَّهُا تَتَّخَذُ قُبْلَةً  
فِي الصَّحْرَاءِ، وَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّةً تَرُكُّ لَهُ فَيَصِلُ إِلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ  
يَوْمَ الْيَدِ أَمْرًا بِالْحَرْبَةِ فَيَتَوَضَّعُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصِلُ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ. وَالْحَرْبَةُ  
وَالْعَمْرَةُ وَالنَّيْزُكُ وَالْآلَةُ اسْمُ لِمَسَى وَاحِدٌ. وَكَانَ لَهُ يَحْجَتْنِ وَهُوَ عَصَا مَعُوجَةٌ الطَّرْفِ يُشِيرُ بِهِ  
إِلَى الْحَجَرِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْبَلَهُ، ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا. وَفِي الْمَوْطَأِ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ  
أَنَّهُ قَالَ: أَمْرُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبِي بَنْ كَمْبٍ وَتَمِيمَا الدَّارِي أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ  
بِأَحَدِي عَشْرَةَ رُكْعَةً، وَكَانَ الْقَارِي يَقْرَأُ بِالْمِائِينَ حَتَّى كَانَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْعَصَى مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ،  
وَمَا كَانَا تَنْصَرِفُ إِلَّا فِي بَرْوَعِ النَّجْمِ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ لَهُ  
مُحَصَّرَةٌ<sup>(١)</sup>. وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفَقٌ عَلَى أَنَّ الْخَطِيبَ يَخْطُبُ مَتَوَكِّفًا عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا، فَالْعَصَا  
مَأْخُذَةٌ مِنْ أَصْلِ كَرِيمٍ، وَمَعْلَبٌ شَرِيفٌ، وَلَا يَنْكُرُهَا إِلَّا جَاهِلٌ. وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِمُوسَى  
(١) الْعِزَّةَ: مِثْلُ نَصْفِ الرِّجْلِ أَوْ أَكْبَرُ شَيْئًا، وَهِيَ سَانٌ مِثْلُ سَانِ الرِّجْلِ. (٢) الْمُحَصَّرَةُ بِأَنْهِيَ الْمَجْبُودَةُ  
وَالْعَصَا لِلْمَلِكَةِ، مَا يَخْتَصَرُ الْإِنْسَانُ بِسَهْوِهِ نَفْسَهُ مِنْ عَصَا أَوْ عِصَاةٍ أَوْ مِرْقَةٍ أَوْ تَعْدِيدٍ وَتَكُنْ عَلَيْهِ. النَّبَاةُ.

في عصاه من البراهين المظلمة، والآيات الجسام، ما آمن به السحرة المعاندون . وأخذها سليمان خطيبته وموعظه وطول صلاته . وكان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وقوته ؛ وكان يخطب بالفضيب — وكفى بذلك فضلا على شرف حال العصا — وعلى ذلك الخلقاء وكبراء الخطباء، وعادة العرب الرياء الفصحاء اللسن البلاء أخذ المنصورة والعصا والاعتقاد عليها عند الكلام، وفي المحافل والخطب . وأنكرت التشعيبية على خطباء العرب أخذ المنصورة والإشارة بها إلى المعاني، والشعرية تفيض العرب وتفضل العم . قال مالك بن كان عطاء بن السائب يمسك المنصورة يستعين بها . قال مالك : والرجل إذا تكلم يكن مثل الشباب يقوى بها عند قيامه .

قلت : وفي مشيئة كما قال بعضهم :

قد كنتُ أمشي على رجلين متسجداً \* فصرْتُ أمشي على أخرى من الخشب  
قال مالك رحمه الله ورضي عنه : وقد كان الناس إذا جامع المطر خرجوا بالصبي يتركون عليها، حتى لقد كان الشباب يجسسون عصيم، وربما أخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس إليه حتى يقوم . ومن منافع العصا ضرب الرجل نساءها فيما يصلحهم، ويصلح حاله وحالهم معه . ومنه قوله عليه السلام : ” وأما أبو جهنم فلا يضع عصاه عن عاتقه “<sup>(١)</sup> في إحدى الروايات . وقد روى عنه عليه السلام أنه قال لرجل أوصاه : ” لا ترفع عصاك عن أهلِكَ أخفهم في الله “<sup>(٢)</sup> رواة عبادة بن الصامت ؛ خروجه للناس . ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : ” حلق صوطك حيث يراه أهلُك “<sup>(٣)</sup> وقد تقدم هذا في «النساء» . ومن فوائدها التنبيه على الانتقال من هذه الدار؛ كما قيل لبعض الزهاد : مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض ؟ قال : إنني أعلم أني مسافر، وأنها دار قلمة، وأن العصا من آلة السفر؛ فأخذ بعض الشعراء فقال:

حملتُ العصا الضعيف أوجب حملها \* على ولا أني تحببتُ من كبر  
ولكنني أزمْتُ نفسي حملها \* لأعلمها أن المقسم على سفر

(١) هذا من حديث فاطمة بنت نيس، حيث جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أن أباهم من حذيفة ومعاوية بن أبي سفيان خطبا فقال: ” أما أبو جهنم فربما لا يرفع عصاه عن النساء، وأما معاوية فليس كذلك لا مال له “<sup>(٢)</sup> الترمذي . (٣) راجع ج ٥ ص ١٧٤ طبعة أول مرة ثانية .

قوله تعالى : **قَالَ أَلْقِيَا يَهُوَمَنَّ** (١٠) **فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى** (١١) **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** (١٢) **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ** **تَخْرِجْ بِضْءًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَى** (١٣) **لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** (١٤)

قوله تعالى : ( **قَالَ أَلْقِيَا يَا مُوسَى** ) : لما أراد الله تعالى أن يُدْرِبه في تلقى النبوة وتكاليفها أمره بإلقاء العصا ( **فَأَلْقَاهَا** ) موسى فقلب الله أوصافها وأعراضها ، وكانت عصا ذات شُعْبَيْنِ فصارت الشُعْبَانِ طَائِفًا ، وصارت حية تسمى أَى تَتَقَلَّبُ ، وتمشى وتلتقي والجارية ؛ فلما رآها موسى عليه السلام رأى عبرة في « **حَوْلٌ مُدْبِرٌ وَلَمْ يُنْفَبْ** » فقال الله له : « **خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ** » وذلك أنه « **أَوْجَسَ نَفْسَهُ خِيفَةً** » أى لحقه ما يلحق البشر . وروى أن موسى تناوطا بكى جبته فنهى عن ذلك ، فأخذها بيده فصارت عصا كما كانت أول مرة وهي سيرتها الأولى ، وإنما أظهر له هذه الآية لئلا يفرح منها إذا ألقاها عند فرعون . ويقال : إن العصا بعد ذلك كانت تماشيه وتماشيه ويعلق عليها أحماله ، وتغني له الشُعْبَانِ بالليل كالشمع ؛ وإذا أراد الاستقاء أهلبت الشُعْبَانِ كاللدلو ، وإذا انتهت ثمرة وكرها في الأرض فأنثرت تلك الثمرة . وقيل : إنها كانت من آس الجنة . وقيل : آناه جبريل بها . وقيل : ملك . وقيل قال له شعيب : خذ عصا من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا ، وكانت عصا آدم عليه السلام حبط بها من الجنة . والله أعلم .

قوله تعالى : ( **فَأَزَادَ هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى** ) النعاس : ويموز « **حَيَّةٌ** » ، يقال : خرجت فلان زيد جالس وجالس . والوقف « **حَيَّةٌ** » بالهاء . والسعى المشى بسرعة وخفة . وعن ابن عباس : أهلبت ثعباناً ذكراً ينتلج الصحر والشجر ، فلما رآه ينتلج كل شئ خافه ونفر منه . وعن بعضهم : إنما خاف منه لأنه عرف ما لقي آدم منها . وقيل لما قال له ربه : « **لَا تَحْزَنْ** » بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلعبيها . ( **سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى** ) سمعت علي بن سليمان يقول : التقدير إلى سيرتها ، مثل « **وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ** » قال : ويموز أن يكون مصدرًا لأن معنى سعيها سعيها .

قوله تعالى : ( وَاسْتَمِعْ يَلْدَةَ إِلَى جَنَاحِكَ ) يجوز في غير القرآن ثم يفتح اللام وكسرهما لانقاذ لها كفتح ، والفتح أجود لفتحته ، والكسر على الأصل . ويجوز الضم على الإتيان . ويد أصلها يَدُّ على فسل ، يدل على ذلك ليد . وتصغيرها يَدِيَّة . والجناح العضد ، قاله مجاهد . وقال : «لدي» بمعنى تحت . قطرب : «إلى جَنَاحِكَ» إلى جيك ، ومنه قول الرازي :  
 • أَسْمُهُ لِلصَّدْرِ وَالْجَنَاحِ •

وليل : إلى جنبك فعبّر عن الجنب بالجناح لأنه ماثل في عمل الجناح . وقيل : إلى عنك . وقال مقاتل : «إلى» بمعنى مع أى مع جناحك . و ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ) من غير برص نورا ساطعا ، يضئ بالليل زلقهارة كضوء الشمس والقمر وأشد ضوا . عن ابن عباس وفيه : فخرجت نورا غالبة للونه . و «بَيْضَاءَ» نصب على الحال ، ولا ينصرف لأن فيها التثنية الثابت لا يزالان فكانا زومهما على ثانية ، فلم ينصرف في التكرار ، وخالفنا الماء لأن الماء تشارك الاسم . و «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» «من» صلة «بَيْضَاءَ» كما تقول : ابيضت من غير سوء . ( آيَةُ أَنْثَى ) سوى العصا . فانرج بد من ملامحة له مصرية لما شعاع مثل شعاع الشمس بمعنى البصر . و «آيَةُ» منصوبة على البسلة من بياض ، قاله الأخفش . النحاس : وهو قول حسن . وقال الزجاج : المعنى آيتك آية أخرى أو تزيك ، لأنه لما قال : «تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» دل على أنه قد أتاه آية أخرى . ( لِيُزَيِّنَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ) يريد المظمى . وكان حقه أن يقول الكبيرة ، وإنما قال «الكبرى» لوافق رموس الآي . وقيل : فيه إصمارة ، معناه ليزين من آياتنا الآية الكبرى ، دليله قول ابن عباس يد موسى أكبر آياته .

قوله تعالى : أَذْهَبَ لَكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٦٦﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٦٧﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٦٨﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٦٩﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٧٠﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٧١﴾ هَازِلُونَ أَيْهِ أَشَدُّ بِهِ أَزْدِي ﴿٧٢﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٧٣﴾ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٧٤﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٧٥﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ( أَتَعْجَبُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ) لما آتاه بالصبا واليد ، ولعله ما يدل على أنه رسول ، أمره بالتحارب إلى فرعون ، وأن يدعو . و « طغى » مناه عنى وتكبر وكفر وتجاوزوا الحد . ( قَالَ رَبِّ أَتَسْرِخُ لِىَ صَدْرِى . وَيَسْرِى أَمْرِى . وَأَحْلُلُ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِى بِقَوْلِى . وَأَجْعَلْ لِّى وَزِيراً مِّنْ أَعْمَالِى . هَارُونَ أَخِى ) طلب الإعانة لتبليغ الرسالة . ويقال : إن الله أعلم بأنه ربط على قلب فرعون وأنه لا يؤمن ، فقال موسى : يا رب فكيف تأمرنى أن أتبعه وقد ربطت على قلبه ، فإنه ملك من نزلان الرج فقال : يا موسى انطلق إلى ما أمرك الله به . فقال موسى عند ذلك : « وَبِأَنى سَأَسْرِخُ لِىَ صَدْرِى » أى وسعته وقوره بالإيمان والنبوة . « وَيَسْرِى أَمْرِى » أى سهل على ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون . « وَأَحْلُلُ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِى » ببنى السجدة التى كانت فيه من جرة النار التى أطفأها في فيه وهو طفل . قال ابن عباس : كانت في لسانه رُتَّة . وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلعقه لطمه ، وأخذ يلعبه فضفا فقال فرعون لأسبى : هذا عندي فهات التباسين . فقلت أسبى : على رسلك فإنه صبي لا يفرق بين الأشياء . ثم أتت بطسيتين فغلت في أحدهما جراً وفي الآخر جوهراً ، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعا على النار حتى ربح جرة ووضعا في فيه على لسانه ، فكانت تلك الرتة . وروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرا . ولما دعاه قال : إلى أى رب تدعونى ؟ قال : إلى الذى أبرأ يدي وقد عجزت عنها . وعن بعضهم : إنما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتعقد بينهما حرمة المزاولة . ثم اختلف هل زالت تلك الرتة ، فقبيل زالت بدليل قوله : « وَقَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » . وقيل : لم تزل كلها ، بدليل قوله حكاية عن فرعون : « وَلَا يَكَادُ يُبِينُ » . ولأنه لم يقل : أحلل كل لسانى ، فدل على أنه بنى في لسانه شيء من الاستسالك . وقيل : زالت بالكلية بدليل قوله : « أُوتِيتَ سُؤْلَكَ » وإنما قال فرعون : « وَلَا يَكَادُ يُبِينُ » لأنه حلف منه تلك العقدة في الترية ، وما ثبت عنده أن الآية زالت .

قلت : وهذا فيه نظر؛ لأنه لو كان ذلك لما قال فرعون : « وَلَا يَكَادُ مِنْهُ » حين كلمه موسى بلسان ذئق نصيح . والله أعلم . وقيل : إن تلك المقعدة حدثت لسانه عند مناجاة ربه ، حتى لا يكلم فيه إلا بأذنه . ( يَفْقَهُوا قَوْلِي ) أى يعلموا ما أقوله لم يفهموه . والفقه في كلام العرب الفهم . قال أعرابي لميمى بن عمر : شهدت عليك بالفقه . تقول منه : فقه الرجل بالكسر . وفلان لا يفقه ولا يفقه . وافقهك الشيء ثم خُص به لم الشربة ، والعالم به فقيه . وقد فقه بالضم فقامه وفقهه الله وتفقه إذا تماثل ذلك . وقافته إذا باحسته في العلم ؛ قاله الجوهري . والوزير الموزر كلاً بـاء كل أو أكل ؛ لأنه يحمل من السلطان وزره أى قمله . في كتاب الناسى عن القاسم بن محمد : سمعت عتي تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » . ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر » . وقال موسى الله تعالى أن يجعل له وزيراً ، إلا أنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى لا يكون شريكاً في النبوة ، ولولا ذلك لحاز أن يستوزره من غير مستقلة . وعين فقال : « هرون » . وأتصّب على البدل من قوله : « وزيراً » . ويكون منصوباً بـ « أجعل » على التقديم والتأخير ، والتقدير : واجعل لي هرون أسمى وزيراً . وكان هرون أكبر من موسى بسنة ، وقيل : بثلاث . ( أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ) أى ظهري . والأزر الظهر من موضع الحقون ، ومناه تقوى به تسمى ؛ والأزر القوة ، وكرره قواه . ومنه قوله تعالى : « نَازِرُهُ فَاسْتَغْلَظْ » . وقال أبو طالب :  
اليس أبونا هاشمٌ شدُّ أزره . ولؤمى بنه بالظمان وبالغريب  
وقيل : الأزر العون . أى يكون عوناً يستعين به أمرى . قال الشاعر :

شدت به أزرى وأيقنت أنه آخر الفقر ضاقت عليه مذاهبه

(١) سبب لا مطر ولا فهم . وقته الحديث أقمه إناهه .

(٢) هذا فيه نظر فصيحة له قالها في أمر الشب والصيفة .

وكان هرون أكثرهما من موسى، وأتم طولاً، وأبيض جساماً، وأفصح لساناً . ومات قبل موسى ثلاث سنين . وكان في جبهة هرون شامة ، وعلى أرنبة أنف موسى شامة ، وعلى طرف لسانه شامة ، ولم تكن على أحد قبله ولا تكون على أحد بعده ، وقيل : إنها كانت سبب العقدة التي في لسانه . والله أعلم . ( **وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِي** ) أى في النبوة وتبليغ الرسالة . قال المفسرون : كان هرون يومئذ بمصر ، فأمر الله موسى أن يأتي هو هرون ، وأوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلى موسى ، فلتفاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه ، فقال له موسى : إن الله أمرني أن آتي فرعون فقلت ربى أن يجعلك معى رسولاً . وقرأ العامة « **أَشْدُّ** » يوصل الألف « **وَأَشْرَكَ** » بفتح الحمةزة على الدعاء ، أى أشدد يارب أزرى ، وأشركه معى في أمرى . وقرأ ابن عامر ويحيى بن الحرث وأبو حيوة والحسن وعبد الله بن أبي إسحق « **أَشْدُّ** » بقطع الألف « **وَأَشْرَكَ** » أى أنا يارب « **في أمرى** » . قال النحاس : جعلوا الفعين في موضع جزم جواباً لقوله : « **أَجْعَلْ لِي وَزيراً** » وهذه القراءة شاذة بعيدة ؛ لأن جواب مثل هذا إنما يخرج بمعنى الشرط والمجازاة ؛ فيكون المعنى : إن تجعل لى وزيراً من أهلى أشدد به أزرى ، وأشركه في أمرى . وأمره النبوة والرسالة ، وليس هذا إليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به ، إنما سأل الله عز وجل أن يشركه معه في النبوة . وفتح الباء من « **أَمْرِي** » ابن كثير وأبو عمرو . ( **كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيراً** ) قيل : معنى « **تسبحك** » تسبى لك . ويمثل أن يكون التسبيح باللسان . أى تترك عملاً لا يليق بمخلّك . « **وكثيراً** » نعت لمصدر مخوف . ويموز أن يكون متناولاً . والإدغام حسن ، وكذا ( **وَتَذَكَّرَكَ كَثِيراً** ) . ( **إِنَّكَ كُنْتَ نَبِيّاً صَبِيراً** ) قال الخطابي : البصير المبصر ، والبصير السالم بخفيات الأمور ، فالمعنى : أى عالمنا ، ومدركنا في صغرها فأحسن إلينا ، فأحسن إلينا كذلك يارب .

قوله تعالى : **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُومِنِينَ ۝٦٦ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً ۭ٦٧** **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ۝٦٨** **إِنْ أَغْلَيْتَ فِي التَّابُوتِ فَأَغْلَيْتَ فِي آلِيهِ فَلْيَلْقِهِ آلُكَ بِالسَّاحِلِ بِأَخْضَرِ عُدْوَتِي**



وَعَدُوًّا لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حُبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿١٥﴾ إِذْ تَمْشِي  
أَخْشَكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ  
كَئِ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ  
فُتُونًا فَلَمَّ بَتَّ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿١٦﴾  
وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنُنْفِيسَ ﴿١٧﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَآخُوكَ يُجَاهِتُنِي وَلَا تَنبَأُ  
فِي ذِكْرِي ﴿١٨﴾

فر: تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ لما سأله شرح الصدر، وتيسير الأمر  
إلى ما ذكر، إجاب سؤاله، وإتمام طلبه ومرغوبه. والسؤال الطلبي؛ فُعل بمعنى مفعول؛  
كقولك خبز بمعنى خبز وأكل بمعنى ما كُول. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَتَّأْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً  
أُخْرَى﴾ أي قبل هذه، وهي حفظه سبحانه له من شر الأعداء في الابتداء؛ وذلك حين الدخ  
والله أعلم. والمن الإحسان والإفضال. وقوله: ﴿إِذْ أَرْجَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوسَى﴾ قيل:  
«أَرْجَيْنَا» أَلْمَنَّا. وقيل: أَوْسَى إليها في النوم. وقال ابن عباس: أَوْسَى إليها كما أَوْسَى  
إلى النبيين. ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ قال مقاتل: مؤمن آل فرعون هو الذي صنع  
التابوت ونجَّره وكان اسمه جِرْقِيل. وكان التابوت من جُوز. ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي أطرحه  
في البحر: نهر النيل. ﴿فَلْيَلْقِهِ﴾ قال الفراء: «فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ» أمر وفيه معنى المجازاة.  
أي أَقْذِفِيهِ يَلْقِ الْيَمِّ. وكذا قوله: «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ». ﴿يَا خُدَّاءُ عَدُوِّي  
وَعَدُوِّي﴾ يعني فرعون؛ فاتخذت تابوتا، وجعلت فيه نطما، ووضعت فيه موسى، وقبرت  
رأسه وخصاه - يعني شقوقه - ثم ألقت في النيل؛ وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون،  
فساقه الله في ذلك النهر إلى دار فرعون. وروى أنها جعلت في التابوت قطنا علوجا، فوضعت  
فيه وقبرته وجصصته، ثم ألقت في اليم. وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا  
هو جالس على رأس بركة مع أسية، إذا بالتابوت، فأمر به فاتخرج، فتفتح فإذا صبي أصبح

الناس، فأحبه مولا الله حباً شديداً لا يتألك أن يصبر عنه . وظاهر القرآن يدل على أن البحر  
أفاد بإساحله وهو شاطئه، فرأى فرعون التايوت بالساحل فأمر بإخذه . ويحتمل أن يكون  
إفاد اليم بموضع من الساحل، فيه نومة نهر فرعون، ثم أذاه النهر إلى حيث البركة . والله أعلم .  
وقيل : وجده ابنه فرعون وكان بها برص، فلما فتحت التايوت شفت . وروى أنهم حين  
الضطوط التايوت طالجوا قصه فلم يقدروا عليه، وطالجوا كسرة فأعياهم، فذنت آية فزات  
في جوف التايوت نورا فمالجته ففتحته، فإذا صبي نوره بين عينيه، وهو يحس إبهامه لبنا  
فأخبروه . وكانت لفرعون بنت برصاء، وقال له الأطباء : لا تبرأ إلا من قبل البحر، يوجد  
فيه شبهة إنسان دولها يرقه، فطلعت البرصاء برصها برقه فبرت . وقيل : لما نظرت  
إلى وجهه برت . والله أعلم . وقيل : وجده جوار لامرأة فرعون، فلما نظر إليه فرعون  
فرأى صبيا من أصبح الناس وجها، فأحبه فرعون، فذلك قوله تعالى : ( وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ  
حَبَّةَ مَيْمَنٍ ) قال ابن عباس : أحبه الله وحيه إلى خلقه . وقال ابن عطية : جعل عليه مسحة  
من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه . وقال قتادة : كانت في عيني موسى ملاحا ما رآه أحد  
إلا أحبه وعشقه . وقال عكرمة : المعنى جعلت فيك حسنا وملاحا فلا يراك أحد إلا أحبك .  
وقال الطبري : المعنى وألقيت عليك رحمتي . وقال ابن زيد : جعلت من رآك أحبك حتى  
أحبك فرعون فسلمت من شره، وأحبك آية بنت مزام فبكتك . ( وَكُفِّصَ عَنْ عَيْنِي )  
قال ابن عباس : يريد إن ذلك بعيني حيث جعلت في التايوت، وحيث ألقى التايوت في البحر،  
وحيث التعلق جوارى امرأة فرعون، فأردن أن يفتحن التايوت لينظرن ما فيه، فقالت منهن  
واحدة : لا تفتحه حتى تأين به سيدتك فهو أحظى لكن عندها، وأجدر بالآية تمكّن بأنك  
وسدتن فيه شيئا فأخذته لا تفسكن . وكانت امرأة فرعون لا تشرب من الماء إلا ما استقيته  
أولئك الجوارى . فذهبن بالتايوت إليها مقلعا، فلما فتحه رأت صبيا لم ير مثله قط، وألقى  
عليها محبة فأخذته فدخلت به على فرعون، فقالت له : « قُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلَكَ » قال فرعون :  
إنما لك فتى، وأنا لى فلا . فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو أن فرعون قال

بهم هزيمة من لي ولك لامن وصلنا " فقلت : جبه لي ولا تخف ، فوجه لها . وقيل :  
 " ولما فتح علي عتي " أي ثوبها فغطى كل مهابي مني ، فله فتاة - قال الطبري : وذلك  
 معروف في اللغة . وقال : هبت العرس وأصنعت لها أجسدت لثياب طيه ، والتي . ولمنع  
 بل عتي . فقلت ذلك . وقيل : لثام حقيقة بما جدها من غوله . " إذ عتي لثامك . بل  
 التمدد والتأخر . " إذ . طرف . لمنع . طول . الرلو في . ولمنع . والله . وقيل  
 ابن القناع . ولمنع . يا سكن لثام على الأسماء . وظاهر الخطاب والقبول . وقيل  
 أبو نيك . ولمنع . يفتح لثام . والتي . ويكون حركتك وتصرفك يشي على من عتي .  
 ذكره المهدوي . " ( إذ عتي لثامك ) العاقل في . " إذ عتي " . ألقبت . لو . لمنع .  
 ويجوز أن يكون بدلا من . " إذ أوتيتا " وأخت اسمها مريم . " نقول هل أدلكم على من  
 يكفله " وذلك أنها خرجت مترفة بغيره ، وكان موسى لها وجهه فرعون من امراته طلبت  
 له المراضع ، وكان لا يأخذ من أحد حتى أقلت أخته ، فأخذته ورضعته في حجرها وتولته  
 تدبها فسه ورجع به . قالوا لها : تيمين متدا . فقلت : إنه لا لين لي ولكن أدلكم  
 على من يكفله وهم له ناصر . قالوا : ومن هي ؟ . قالت : أي . قالوا : لما لين ؟ قالت :  
 لين أني هرون . وكان هرون أكبر من موسى بسنة . وقيل : بثلاث . وقيل : أربع .  
 وذلك أن فرعون رجم بني إسرائيل فرجع عنهم القتل أربع سنين ، فولد هرون فيها ، قاله ابن  
 عباس . بغات الأم قبل تدبها . فذلك قوله تعالى : " فرجعتك إلى أمك " وفي مصحف  
 أبي " فرددك " . " ( كي تفر عينا ولا تحزن ) وروى عبد الحميد عن ابن جابر : كي تفر  
 عينا . بكسر الحاء . قال الجوهري : وفرت به عينا وفرت به قبيرة وفروا فيها  
 ورجل قري العين . وقد قوت عيه تفر وتفر قبض تحت . وأثر الله فيه أي أنطاه حتى  
 تفر فلا تطمح إلى من هو فوقه ، ويقال : حتى تبرد ولا تسخن . والبرور دمع - باردة ،  
 والحزن دمع حارة . وقد قدم هذا المعنى في " مريم " . " ولا تحزن " أي على فقدك .  
 ( وقئت نفسا ) قال ابن عباس : قتل قبيل كافرا . قال كعب : وكان إذ ذاك ابن اتقي

حشرة سعة . في صحيح مسلم : وكان قتله خطأ ، بل ما يأتي . ( فَجَبَّتْكَ مِنَ الْقَتْلِ ) أي أمتلاك  
من الخوف والقتل والجلب . ( وَفَتَاكَ قُوَّةً ) أي إختبرتاك اختباراً حتى صلحت للرسالة .  
وقتل قتادة : بلونك بلاه . مجاهد : أخلصتك إختلاصاً . وقال ابن عباس : إختبرتاك بأشياء  
قبل الرسالة ، أولها حله أمه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ، ثم إلقاؤه في الميم ،  
ثم معه من الرضاع إلا من ندى أمه ، ثم جره لمعية فرعون ، ثم تناوله الحجر بذي الشرة ، فذرا  
فك منه قتل فرعون ، ثم قتله القبطي ونحروجه خائفاً يترقب ، ثم رمايته النغم ليتدرب بها  
على رعاية الخلق . فيقال : إنه نذله من النغم جملتي فأتبعه أكثر النهار ، وأتبعه ، ثم أخذه  
قبله وضحه إلى صدره ، وقال له : أمتيتي وأمتيت نفسك ، ولم يضب عليه . قال وهب  
ابن منبه : . ولما أخذته الله كلها ، وقد مضى في « النساء » .

قوله تعالى : ( فَلَبِثَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) يريد عشرين أتم الأجلين . وقال وهب :  
لبث عند شعيب ثمان وعشرين سنة ، منها عشر مهر أمراءه صفورا ابنة شعيب ، وثمانى  
عشرة أقامها عنده حتى ولد له عنده . وقوله : ( ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ) قال ابن عباس  
وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان : يريد موافقاً للنبوة والرسالة ، لأن الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء  
أربعين سنة . وقال مجاهد ومقاتل : « على قدر » على وعد . وقال محمد بن كعب : ثم جئت  
على القدر الذي قدرت لك أنك تحب فيه . وللعنى واحد : أي جئت في الوقت الذي أردنا  
لرسالك فيه . وقال الشاعر :

قال الخلافة أو كانت له قدراً . كما أتى وبه موسى على قَدَرٍ

قوله تعالى : ( وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي ) قال ابن عباس : أي اصطفتك لوجي ورسالي . وقيل :  
« اصْطَفَيْتَكَ » خلقتك ، مأخوذ من الصنعة . وقيل : قوتك وعدتك لتبذل عبادي أمري  
ونبي . ( أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخْرَجْتَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ) قال ابن عباس : يريد التسع الآيات التي أنزلت عليه .  
( وَلَا تَبْقَا فِي تَزَكِّيٍّ ) قال ابن عباس : تضعفاً أي في أمر الرسالة ، وقاله قتادة . وقيل :  
تقراً . قال الشاعر :

فَأَوْفَى مُحَمَّدٌ مَدَارِي غَفَرٍ . له الإله ما مضى وما عَسِرَ

وَأَلْقَى السُّفْهَ وَالْفُتُورَ، وَالْكَلالَ وَالْإِمَاءَ . وقال امرؤ القيس :  
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَقَى . أَزْنَتْ غُبَارًا بِالْكَيْدِ الْمَسْرُكِي  
 ويقال : وبنت في الأمر أي وقى ووقيا أي ضُفَّتْ ، فاما وإن وثاقة وآية وأوئيتها إذا أضغتها  
 وأغصتها . وفلان لا يثق كذا ، أي لا يزال ، وبه فسر ابن معنى الآية واستشهد بهول طريقة  
 كَانَ الْقُدُورُ الرَّاسِبَاتِ أَمَامَهُمْ . قَبَابٌ يَتَوَمَا لَا تَنِي أَبَدًا تَقْسِلُ  
 وعن ابن عباس أيضا : لا تبطأ . وفي قراءة ابن مسعود : وَلَا تَنِي فِي ذِكْرِي . ومجندى  
 ومجندى وتبلغ رسالتى .

قوله تعالى : أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٦٧﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا  
 لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٦٨﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( أَذْهَبَ ) قال في أول الآية : « أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي »  
 وقال ها : « أَذْهَبَ » فقيل : أمر الله تعالى موسى وهرون في هذه الآية بالنفوذ إلى دعوة  
 فرعون ، ومخاطب أولا موسى وحده تشريفا له ، ثم ذكر لكنا كيد . وقيل : بين هذا أنه  
 لا يمكن ذهاب أحدهما . وقيل : الأول أمر بالذهاب إلى كل الناس ، والثاني بالذهاب  
 إلى فرعون .

الثانية - في قوله تعالى : ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ) دليل على جواز الأمر بالمعروف  
 والنهي عن المنكر ، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة ، وضمنت له المصمة ، ألا تراه  
 قال : « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا » . وقال : « لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أُنِيعُ وَأُرَى » فكيف بنا فنحن  
 أولى بذلك . وحينئذ يحصل الأمر والناهي على مرغوبه ، وبظفر بمطلوبه ، وهذا واضح

(١) مبيح منهاء بعض الجارى حيا . والمباحات الثلاث بدون سباحة ؛ والسباحة في الجرى بسط الأيدي .  
 والكعب : الموضع المطبق . والمركل : الذى بكل الأرجل . ومعنى البيت : أن الخيل السريعة إذا قُوتت قاتزت النجار  
 بأرجلها من القرب ، حوى هذا الخبر حريا سهلا .

الثالثة - واختفت الباس في معنى قوله « لينا » فقالت فرقة منهم الكلى وعكرمة :  
 معناه كنيته ؛ وقاله ابن عباس ومجاهد والسدي : ثم قيل : وكنيته أبو الباس . وقيل :  
 أبو الوليد . وقيل : أبو مرة ؛ لعل هذا القول تكتية للكافر جائزة إذا كان وجهها ذا شرف  
 وطبع بإسلامه . وقد يجوز ذلك وإن لم يطعم بإسلامه ؛ لأن الطمع ليس بحقيقة توجب عملا .  
 وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » ولم يقل وإن طعمتم في إسلامه ،  
 ومن الإكرام دعاؤه بالكنية . وقد قال صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية : « أتزل أباه  
 وهب » فكاه . وقال السدي : « ألم تسمع ما يقول أبو حباب » يعني عبيد الله بن أبي . وروى  
 في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام قام على باب فرعون سنة ، لا يجد رسولا يبلغ كلاما  
 حتى يخرج . فخرى له ما قص الله علينا من ذلك ، وكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين  
 في سيرتهم مع الظالمين ، وربك أعلم بالمهتدين . وقيل قال له موسى : تؤمن بما جئت به ،  
 وتبذل رب العالمين ؛ على أن لك شأبا لا يجرم إلى الموت ، وطعنا لا يتزع منك إلى الموت ،  
 ويسأ أن أجلك أربعين سنة ، فإذا مت دخلت الجنة . فهذا القول اللين . وقال ابن مسعود :  
 القول اللين قوله تعالى : « قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » . وقد  
 قيل إن القول اللين قول موسى : يا فرعون إنا رسولا ربك رب العالمين . فسأه بهذا الاسم  
 لأنه أحب إليه مما سواه مما قيل له ، كما يسمى عندنا الملك ونحوه .

قلت : القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه ؛ يقال : لان الشيء ليس لينا ؛ وشيء  
 لين ولين يخفف منه ؛ والجمع ألياء . فإذا كان موسى أمرا بأن يقول لفرعون قولا لينا ، فن  
 دونه أخرى بأن يقتدى بذلك في خطابه ، وأمره بالمعروف في كلامه . وقد قال تعالى :  
 « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » . على ما تقدم في « البقرة »<sup>(١)</sup> بيانه والحمد لله .

الرابعة - قوله تعالى : « لَمَّا بَدَّدَ ذُرًّا أَوْ يَحْتَشَى » معناه : على وجانتكما وطعمكما ؛ فالتوقع فيها  
 إنما هو راجع إلى جهة البشر ؛ قاله كبره للحويين : سيبويه وغيره . وقد تقدم في أول  
 « البقرة »<sup>(٢)</sup> . قال الزجاج : « لعل » لفظة طمع وترج لخطيئهم بما يملكون . وقيل : « لعل » هاهنا بمعنى

(١) راجع ٢ ص ١٦ ، وما بعدها طبع ثانية . (٢) راجع ١ ص ٢٢٧ طبع ثانية أرتالة .

الاستخفاف، والمعنى فانظر هل يذكرك. وقيل: هي بمعنى كى. وقيل: هو إخبار من الله تعالى عن قول هرون لموسى لعله يذكرك أو يخشى؛ قاله الحسن. وقيل: إن لعل وعسى في جميع القرآن لما قد وقع. وقد تذكّر فرعون حين أدركه الفرق وخشى فقال: «أَنْتَ أَتَى إِلَهَ إِلَّا الَّذِي أَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ». ولكن لم ينفعه ذلك؛ قاله أبو بكر الوراق وغيره. وقال يحيى بن معاذ في هذه الآية: هذا وفكك بمن يقول أنا الإله فكيف وفكك بمن يقول أنت الإله ١٩. وقد قيل: إن فرعون ركن إلى قول موسى لما دعاه، وشاور أمراءه فأمنت وأشارت عليه بالإيمان، فشاور هامان فقال: لا فعل؛ بعد أن كنت المالكا تصير مملوكا، وبعد أن كنت رباً تصير مربوباً. وقال له: أنا أدرك شاباً، فغضب لحيته بالسواد فهو أول من غضب.

قوله تعالى: قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُقَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْلُقَ ⑤  
قوله تعالى: (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُقَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْلُقَ) قال الضحاك: «يَقْرُقُ» يَسْبِلُ. قال: و«يَطْلُقُ» يَنْدِي. النحاس: التقدير نخاف أن يقرط علينا منه أمر، قال الفراء: قرط منه أمر أى بدر؛ قال: وأقرط أسرف. قال: وقرط ترك وقراءة الجهور «يَقْرُقُ» بفتح الياء وضم الراء، ومعناه يسبيل ويبادر بمقوتنا. يقال: قرط منى أمر أى بدر؛ ومنه الفارط في الماء الذى يتقدم القوم إلى الماء: أى يصدنا عذاب الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه؛ قاله المبرد. وقرأت فرقة منهم ابن محيصن «يَقْرُقُ» بفتح الياء والراء، قال المهدوى: ولعلها لغة. وضمه أيضاً بضم الياء وفتح الراء ومعناها أن يجعل حامل على التسرع إلينا. وقرأت طائفة «يَقْرُقُ» بضم الياء وكسر الراء؛ وبها قرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن محيصن أيضاً. وضمه يسطط في أذننا؛ قال الرازي:

قد أقرط البلع علينا ونجّل .

قوله تعالى: قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ⑥

## فيه مسائل :

الأولى - قال العلماء : لما لحقهما ما يلحق البشر من الخوف على أنفسهم عزفهما الله سبحانه أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه . وهذه الآية ترد على من قال : إنه لا يخاف ، والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وهتهم . ولقد أحسن البصري رحمه الله حين قال للخبر من عامر بن عبد الله - أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء ، فحال الأسد بينهم وبين الماء ، فبأه عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته ، فقيل له : فقد خاطرت بنفسك . فقال : لأن تخلف الأسد في جوف أحب إلي من أن يسلم الله أني أخاف شيئا سواه - قد خاف من كان خيرا من عامر ، موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرَّوْنَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاُخْرِجْ إِلَى لَكَ مِنَ النَّاسِ حِمًى . فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » . وقال : « فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ » وقال حين أتى السحرة جالهم وعصيتهم : « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » .

قلت : ومنه حَقَّرَ النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين وأموالهم ، مع كونه من التوكل والثقة بربه بحال لم يبلغه أحد ، ثم كاتب من أصحابه ما لا يحمله أحد من تمولهم عن منازلهم ، مرة إلى الحبشة ، ومرة إلى المدينة ، تخوفا على أنفسهم من مشرك مكة ، وهربا يدينهم أن يقتلوه عن تعذيبهم . وقد قالت أسماء بنت عميس لعمر لما قال لها سبقتكم بالمجرة ، فجنح أحق رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم : كذبت يا عمر ، كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُطِيعُ جَانِبَكُمْ ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ ، وَكَأَنَّ دَارَ - أو أرض - الْبُعْدَاءِ الْبُغْضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَمَّا اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَنَحْنُ كَأَنَّ نُؤْذِي وَنُخَافُ . الحديث بطوله نرجه مسلم . قال العلماء : فالخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم

(١) البداء : أي في التنبؤ . البغضاء : أي في الهمز وقول أسماء : كذبت يا عمر أي أخطأت وقد استعملوا

كذب بمعنى أخطأ .



[طه] كاذب؛ وقد طعنهم على القرب مما يضرها ويؤلمها أو يلفظها . قالوا : ولا ضرر أصراً من سبع ما في فلاة من الأرض على من لا آلة معه يدفعه بها عن نفسه ، من سيف أو رمح أو نبل أو قوس وما أشبه ذلك .

الثانية - قوله تعالى : ( إِنِّي مَعَكُمْ ) يريد بالنصر والمؤنة والقدرة على فرعون . وهذا كما تقول : الأمير مع فلان إذا أردت أنه مجي . وقوله : ( أَسْمِعْ وَادِّعْ ) عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية ، تبارك الله رب العالمين .

قوله تعالى : فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْلِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبِعَ الْهُدَى (١٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٨) قَالَ كُنْ رَبُّكَ يُمَوِّسِي (١٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٢٠)

قوله تعالى : ( فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ) في الكلام حذف ، والمعنى : فاتيناه فقالا له ذلك . ( فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ) أي خلّ عنهم . ( وَلَا تَعْلِبْهُمْ ) أي بالسفرة والتعب في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند فرعون في عذاب شديد ، يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المسكن ما لا يطيقونه . ( قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ ) قال ابن عباس : يريد العصا واليد . وقيل : إن فرعون قال له : وما هي ؟ فأدخل يده في جيب قميصه ، ثم أخرجها بيضاء لها شمع مثل شمع الشمس ، ظن نورها على نور الشمس فعجب منها . ولم يره العصا إلا يوم الزينة . ( وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبِعَ الْهُدَى ) قال الزجاج : أي من أتبع الهدى سلم من خطئ الله عز وجل وعذابه . قال : وليس بحجة ، والدليل على ذلك أنه ليس باستدعاء لقائه ولا خطاب .

القراء : السلام على من اتبع الهدى ولن اتبع الهدى سواه . ( إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ )  
 ينزل على الملوك والعمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة ( عَلَى مَنْ كَذَّبَ ) أي آتياه الله ( وَتَوَلَّى )  
 أمرض عن الإيمان . وقال ابن عباس : هذه آية الوجدان لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا .  
 قوله تعالى : ( قَالَ لَنْ رُبُّكَ يَا مُوسَى ) ذكر فرعون موسى دونه هرون ( لِمَا )  
 الآتي . وقيل : خصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية . وقيل : إنها جينا  
 بلنا الرسالة وإن كان ما كان ، لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد ، فإذا أقطع وأزهر الآخر  
 وأيده . فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ، أن الاثنين إذا قلنا أصرافهم به أحدهما ، والآخر  
 شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت أنهما أدبا الأمر الذي قلنا وقاما به  
 واستوجبنا التשוב ، لأن الله تعالى قال : « أَتَعْبَأُ إِلَى فِرْعَوْنَ » وقال : « أَتَعْبَأُ أَنْتَ  
 وَأَخُوكَ » وقال : « قَوْلًا لَهُ » فأمرهما جميعا بالتعاب والقول ، ثم أعلنا في وقت الخطاب  
 بقوله : « قَدْ رُبُّكَ » أنه كان حاضرا مع موسى . ( قَالَ ) موسى : ( رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ  
 شَيْءٍ حَقَّهُ ) أي أنه يعرف صفاته ، وليس له أسم علم حتى يقال فلان ، بل هو خالق العالم ،  
 وهو الذي خص كل مخلوق ببيئة وصورة ، ولو كان الخطاب معهما لقالا ، فلا ربنا .  
 « وَحَقُّهُ » أول مقبول أعطى ، أي أعطى خلقه كل شيء بما جاون إليه ويرتقون به ،  
 أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ؛ على قول  
 الضحاك على ما يأتي . ( ثُمَّ هَدَى ) قال ابن عباس ومسيدي بن جبير والسدي : أعطى كل شيء  
 زوجة من جنسه ، ثم هداه إلى منكبه ومطعمه ومشربه ومسكنه . وعن ابن عباس : ثم  
 هداه إلى الألفة والاجتماع والناكحة . وقال الحسن وقادة : أعطى كل شيء صلاحه ، وهدياه  
 صلحه . وقال مجاهد : أعطى كل شيء صورة ؛ لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ،  
 ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر :  
 وله في كل شيء خلقه . وكذلك الله ما شاء فصل

يعنى بالخلق الصوره؛ وهو قول عطية ومقاتل . وقال الضحاك : أعطى كل شيء خلقه من المنفعة المنوطه به المطابقه له . يعنى اليد للبش ، والرجل للشئ ، واللسان للتلق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع . وقيل : أعطى كل شيء ما ألهمه من علم أو صناعة . وقال الصفاء : خلق الرجل لراة ، ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث ، ثم هدى الذكر للأنثى ، فالتقدير علم هذا أعطى كل شيء مثل خلقه .

قلت : وهذا معنى قول ابن عباس . والآية يعمومها تناول جميع الأقوال . وروى زائدة عن الأعمش أنه قرأ الذى أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ مَخْلَقَهُ . بفتح اللام ، وهى قراءة ابن أبى إسحق . ورواهما بصير عن الكاسى وغيره ؛ أى أعطى بنى آدم كل شيء خلقه مما يحتاجون إليه . فالقراءتان متفتان فى المعنى .

قوله تعالى : قَالَ قَدْ بَالَ الْأَقْرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّى  
فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾  
فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( قَالَ قَدْ بَالَ ) البال الحال ؛ أى ما حالها وما شأنها ، فأعاده أن عليها عند الله تعالى ، أى إن هذا من علم الغيب الذى سالت عنه ، وهو مما استتر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو ، وما أنا إلا عبد متلك ؛ لا أعلم منه إلا ما أخبرنى به علام الغيوب ، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله فى اللوح المحفوظ . وقيل : المعنى فإل القرون الأولى لم يقرأ بذلك . أى لما بهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك . وقيل : إنما سألته عن أعمال القرون الأولى ، فأعاده أنها محصاة عند الله تعالى ، ومحفوظة عنده فى كتاب . أى هى مكتوبة فى سباجهم غدا بها وعليها . وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ . وقيل : هو كتاب مع بعض الملائكة .  
الثانية - هذه الآية ونظائرها مما تقدم ويأتى تدل على تدوين العلوم وكتبتها لتلا تسمى . فإن الحفظ قد تغتريه الآفات من النلظ والنسيان . وقد لا يحفظ الإنسان ما يسمع فيقيد له لا يذهب عنه . وروينا بالإسناد المتصل عن قتادة أنه قيل له : أكتب ما نسمع

منك ؟ قال : وما يملك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب ؛ فقال : « علمتها  
عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى » . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو  
موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي » . وأسنده الخطيب أبو بكر عن أبي هريرة قال : كان  
رجل من الأنصار يخلص إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستمع منه الحديث ويحبه ولا يحفظه ،  
فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إني أسمع منك الحديث  
يمعنيني ولا أحفظه ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتني بيئتكم » وأوما إلى  
الخط . وهذا نص . وعلى جواز كُتِب العلم وتلويته جمهور الصحابة والتابعين ؛ وقد أمر  
صلى الله عليه وسلم بكتُب الخطبة التي خطب بها في الحج لأبي شاه - رجل من اليمن -  
لما سأله كتبها . أخرجه مسلم . وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « قِيدُوا العلم بالكتابة » . وقال معاوية بن قُرة : من لم يكتب العلم لم يعد  
عليه علما . وقد ذهب قوم إلى المنع من الكُتُب ؛ فروى أبو نصره قال قيل لأبي سعيد :  
أنكتب حديثكم هذا ؟ قال : لم تجعلونه قرآنا ؟ ولكن أحفظوا كما حفظنا . ومن كان  
لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء - قال خالد : ما كتبت شيئا قط إلا حديثا  
واحدا ، فلما حفظته محوته - وأبن عون والزهرى . وقد كان بعضهم يكتب فإذا حفظ  
محاه ؛ منهم محمد بن سيرين وعاصم بن ضمرة . وقال هشام بن حسان : ما كتبت حديثا قط  
إلا حديث الأعماق فلما حفظته محوته .

قلت : وقد ذكرنا عن خالد الحذاء مثل هذا . وحديث الأعماق أخرجه مسلم في آخر  
الكتاب : « لا تقوم الساعة حتى يترل الروم بالأعماق » - أو - بدائق « الحديث ذكره في كتاب  
الفتن . وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ ؛ منهم الأعمش وعبد الله بن أدریس وهشيم  
وغيرهم . وهذا احتياط على الحفظ . والكتب أولى على الجملة ، وبه وردت الآي والأحاديث ؛  
وهو مروى عن عمر وعلى وجابر وأنس رضي الله عنهم ، ومن يليهم من كبار التابعين كالحنس

(١) الأعماق : موضع من أطراف المدينة ؛ بدائق : اسم موضع سرق بها . والشك من الرازي .

وعطاء وطاوس وعروة بن الزبير؛ ومن بعدهم من أهل العلم؛ قال الله تعالى: «وَكُتِبَ لَهُ  
 فِي الْأَنْبَاءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». وقال تعالى: «وَلَقَدْ كُتِبَ فِي الزُّبُرِ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبَاءِ أَنْ الْأَرْضُ رِثًا  
 عِبَادِي الصَّالِحُونَ». وقال تعالى: «وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً الْآيَةَ». وقال تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ قُلُوبُهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَكَبِيرٌ مُسْتَعَرَّبٌ». وقال: «عَلَيْهَا جَدَّ رَبِّي فِي كِتَابٍ»  
 إلى غير هذا من الآي. وأيضاً فإن العلم لا يضبط إلا بالكاتب، ثم بالمقابلة والمداورة والشهد  
 والحفظ والمذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين والثقة بما نقلوا، وإجماع الكُتُب من  
 كره من الصديق الأئمة لقرب العهد، وتقارب الإسناد لكلا يستمد الكاتب فهمه، أو يرضخ  
 عن حفظه والعمل به؛ فأما والوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقل  
 متشابهون، وأمة النسيان معترضة، والوهم غير مأمون؛ فإن تقييد العلم بالكاتب أولى وأشرف؛  
 والدليل على وجوبه أقوى؛ فإن أخرج محتج بحديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
 «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَنَ كُتِبَ غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلِيَمَحْهُ» تحريمه مسلم؛ فالجواب أن ذلك كان مقيداً  
 فهو منسوخ بأمره بالكاتب، وإباحته لأبي شاة وغيره. وأيضاً كان ذلك لكلاً بخطب القرآن  
 ما ليس منه. وكذا ما روي عن أبي سعيد أيضاً - حرصاً أن ياذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم  
 في الكتابة فأبى - إن كان محفوظاً فهو قبل الهجرة، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن.  
 الثالثة - قال أبو بكر الخطيب: ينبغي أن يكتب الحديث بالسواد؛ ثم الخبر خاصة  
 دون المداد لأن السواد أصنع الألوان، والخبر أبقاماً على أمر الدعور. وهو آلة ذوى العلم،  
 وعتة أهل المعرفة. ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال: رأيته الشافعي وأما في عمله  
 وعمل قيسى حبر وأنا أخفيه؛ فقال: لم تخفيه وتستره؟ إن الخبر على التوب من المروءة لأن  
 صورته في الأبحار سوداء وفي البصائر بيضاء. وقال خالد بن يزيد: الخبر في ثوب صاحب  
 الحديث مثل أن يُلَوَّنَ في ثوب العروس. وأخذ هذا المعنى أبو عبد الله البليّ فقال:

يصلد المختار طيب الرجال وطيب النساء من الزعفران

فهذا يليق بأثوابنا وهذا يليق بثوب الحصان

(١) لافرق في أمة بين المهاد والخبر؛ ولعل المراد الكتابة بأحمر الأسود خاصة؛ فانسبة بسبب اقتران على ما يبدو.

(٢) الملقب: طيب معروف ينفذ من الزعفران وغيره.

وفكر الماوردي أن عبد الله بن سليمان فيما حكى ؛ رأى على بعض ثيابه أرضصرة ؛ فأخذ من جملته المعلقة وطلعه ؛ ثم قال : المباد بنا أحسن من الزعفران ؛ هاأنشد :

أبما الزعفران جمل المَنَارِي • ويمدّد القويّ يطرّ الرّجَال

**الخامسة** - قوله تعالى : ( لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ) اختلف في معناه على أقوال خمسة ؛ الأول : أنه ابتداء كلام ؛ تزيده تعالى عن هاتين الصفتين . وقد كان الكلام تم في قوله : « في كتاب » . وكذا قال الزجاج ؛ وأن معنى « لَا يُضِلُّ » لا يهلك من قوله : « أَيْنَمَا ضَلَّكُمَا فِي الْأَرْضِ » . « وَلَا يَنسَى » شيئا ؛ ثمعه عن الملاك والنسيان . القول الثاني : « لَا يُضِلُّ » لا يضل ؛ قاله ابن عباس ؛ أي لا يخطئ في التدبير ؛ لأن أنظره فلحكمة أنظره ؛ ومن عاجله فلحكمة عاجله . القول الثالث : « لَا يُضِلُّ » لا يغيب . قال ابن الأعرابي : أصل الضلال النسيوية ؛ يقال : ضلّ الناسي إذا غلب عنه حفظ الشيء . قال : ومعنى « لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى » أي لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء . القول الرابع : قاله الزجاج أيضا وقال النحاس وهو أشبهها بالمعنى - : أخبر الله عز وجل أنه لا يحتاج إلى كتاب ؛ والمعنى ؛ لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها ؛ ولا ينسى ما عليه منها .

قلت : وهذا القول راجع إلى معنى قول ابن الأعرابي . وقول خامس : إن « لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى » في موضع الصفة لـ « كتاب » أي الكتاب غير ضال عن الله عز وجل ؛ أي غير ضال عنه . « وَلَا يَنسَى » أي غير ناسي له فهما نعتان لـ « كتاب » . وعلى هذا يكون الكلام متصلا ؛ ولا يوقف على « كتاب » . تقول العرب : ضلّي الشيء ؛ إذا لم أجده ؛ وأصله أنا إذا تركته في موضع فلم تجده فيه . وقرأ الحسن وقطادة وميمون بن عمرو وابن محيصن وطاسم الجحدري وابن كثير فيما روى شبل عنه « لَا يُضِلُّ » بضم الياء على معنى لا يضيعه ربّي ولا أهله . نقل ابن عرفة : الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد ؛ قال : ضلّ عن الطريق ؛ وأصل الشيء ؛ إذا أضاعه . ومنه قرأ من قرأ « لَا يُضِلُّ رَبِّي » أي لا يضيع ؛ هذا مذهب العرب .

قوله تعالى : **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَرَجَعَهَا إِلَى أَهْلِهَا**  
**وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى**  
**كُلُوا وَارْزُقُوا أَنتُمْ لَهَا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**  
**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥**

قوله تعالى : ( **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا** ) « الذي » في موضع نعت « لري »  
 أي لا يضل ربي الذي جعل . ويعجز أن يكون خبر ابتدء مضمرا أي هو « الذي » .  
 ويعجز أن يكون منصوبا بإسماز أعني . وقرا الكوفيون « مَهْدًا » هنا وفي الزخرف . وفتح  
 الميم واسكان السين . الباقيون « مَهْدًا » . وأختره أبو عبيد وأبو حاتم لأصنافهم على قراءة  
 « أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا » . النحاس : والجمع أولى لأن « مهدا » مصدر وليس هذا موضع  
 مصدر إلا على حذف . أي ذات مهد . المهدوي : ومن قرأ « مَهْدًا » جاز أن يكون مصدرا  
 كالقَرَش أي مهد لكم الأرض مَهْدًا ؛ وجاز أن يكون على تقدير حذف المضاف ؛ أي ذات  
 مهد . ومن قرأ « مَهْدًا » جاز أن يكون مفردا كالفرش . ويزال أن يكون جمع « مَهْد » استعمل  
 استعمال الأسماء فكسر . ومعنى « مَهْدًا » أي فراشا وفرارا تستقرون عليها . ( **وَسَلَّكُمُ فِيهَا**  
**مُبَلَا** ) أي طرفا . نظيره « **وَأَنَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا** » . لَيْسَلَكُمُ فِيهَا سَبِيلًا فَبَاحَا » .  
 وقال تعالى : **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سَبِيلًا لِّمَن تَهْتَدُونَ** . ( **وَأَنزَلَ**  
**مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** ) تقدم معناه . وهذا آخر كلام موسى ، ثم قال الله تعالى : ( **فَأَنزَلْنَا بِهِ** ) .  
 وقيل : كله من كلام موسى ؛ والمعنى « فأَنزَلْنَا بِهِ » أي بالحرث والمطالبة ؛ لأن الماء المنزل  
 سبب خروج النبات . ومعنى ( **أَزْوَاجًا** ) خبروبا وأشباها ، أي أصنافا من النبات المختلفة  
 الأزواج والألوان . وقاله الأخفش : التقدير أزواجا شتى من نبات . قال : وقد يكون  
 النبات شتى ؛ « شتى » يجوز أن يكون نعتا لأزواج ، ويعجز أن يكون نعتا للنبات « وشتى »

مأخوذ من شت الشيء أى تفرق . يقال : أمر شت أى تفرق . وشت الأمر شتاً وشتاناً  
تفرق ؛ وأشتت مثله . وكذلك التشتت . وشتته تشتيتاً تفرقه . وأشتت بى قومى أى تفرقوا  
أمرى . والتشتت المتفرق . قال رؤبة يصف إبلا :

جاءت تما وأطرفت شيتاً . وهى شيت السحيتا

وتفرشت أى مُفلج . وقوم شتى ، وأشياء شتى ، ويقول : جاءوا اشتاناً ؛ أى متفرقين ؛  
واحدهم شت ؛ قاله الجوهري .

قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ أمر بإباحة . «وَأَرْعَوْا» من رعت الماشية الكلاء ،  
ورعاها صاحبها رعاية ؛ أى أسامها وسرحها ؛ لازم ومتعد . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾  
أى المقول ، الواحدة نهيّة . قال لم ذلك ؛ لأنهم الذين ينهى إلى رأيهم . وقيل : لأنهم  
ينهى النفس عن القبائح . وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون فى إثبات الصالح جواباً  
لقوله : « قَنْ رَبِّكَ يَا مُوسَى » . وبين أنه إنما يستدل على الصالح اليوم بأفعاله .

قوله تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعنى آدم عليه السلام لأنه خلق من الأرض ؛ قاله أبو إسحق  
الزجاج وغيره . وقيل : كل نطفة مخلوقة من التراب ؛ على هذا يدل ظاهر القرآن . وروى  
أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا وقد دُرّ عليه من تراب  
حُفْرته " أخرجه أبو نعيم لحافظ فى باب ابن سيرين ، وقال : هذا حديث غريب من حديث  
عون لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل ، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة .  
وقد مضى هذا المعنى مبيناً فى سورة «الأأنام» عن ابن مسعود . وقال عطاء الخراسانى : إذا  
وقعت النطفة فى الرحم أطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره  
على النطفة ، فيخلق الله النسيمة من النطفة ومن التراب ؛ فذلك قوله تعالى : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ  
وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » . وفى حديث البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم :  
" إن البعد المؤمن إذا خرجت روحه صعدت به الملائكة فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة

(١) النسخة : دفاق التراب : وهو التيار الشديد الارتفاع . وروى : « الشيتا » بالثين المعجمة .

(٢) راجع ٦٦ ص ٣٨٧ وما بعدها طيبة أول أناتية .



إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ليستفحون لها فيفتح فيشبعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل واكتبوا لعبدى كتابا في طين وأجلده إلى الأرض فأتى منها خلقهم وفيها أيسلهم ومنها أخرجهم تارة أخرى « فصار روحه في جسده » وذكر الحديث . وقد ذكرناه بتمامه في كتاب « التذكرة » وروى من حديث من « رضى الله عنه » ذكره الثعلبي . ومعنى ( وَفِيهَا نُفِذُكُمْ ) أى بعد الموت ( وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ) أى للبعث والحساب . ( تارة أخرى ) يرجع هذا إلى قوله : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ » لآل « نُفِذُكُمْ » . وهو كقولك : اشتريت ثاقه ودارا وثاقه أخرى ؛ فالمنى : من الأرض أخرجتكم ونخرجكم بعد الموت من الأرض تارة أخرى .

قوله تعالى : وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنَّمَا كُنَّا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنَ الْأَرْضِ بِسِحْرِكُ يَمْوَسَىٰ ﴿٦٧﴾ فَلَنَّا نَرِيَنَّكَ بِسِحْرِنَا مَبْلَغَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٦٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ مَخَضَىٰ ﴿٦٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ بِجَمْعٍ كَبِيرٍ ثُمَّ إِنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ وَيَلَكَّرُ لَا تُفْعَلُوا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا فُبِّسِحْتُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَىٰ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا ) أى المعجزات الدالة على نبوة موسى . وقيل : جميع الله الدالة على توحيده . ( فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ) أى لم يؤمن . وهذا يدل على أنه كفر عتادا ؛ لأنه رأى الآيات عيانا لا خبرا . فظهر « وَجَّهُوا بِهَا وَاسْتَفْتَحُوا أَنْفُسَهُمْ كَذِبًا وَعُلُوًّا »

قوله تعالى : ( قَالَ آجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنَ الْأَرْضِ بِسِحْرِي يَمْوَسَىٰ ) لما رأى الآيات التي أتاه بها موسى قال : إنها سحر ؛ والمعنى : جئت لثوم الناس أنك جئت بأية توجب التباين والإيمان بك ، حتى قلب على أرضنا وعلينا . ( فَلَنَّا نَرِيَنَّكَ بِسِحْرِنَا ) أى لنأرضيك

بمثل ما جئت به لبتين للناس أن مائت به ليس من عند الله. (فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) هو مصدر؛ أى وعدا. وقيل: الموعد اسم المكان الوعد؛ كما قال تعالى: «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» فالموعد هاهنا مكان. وقيل: الموعد كسم لزمان الوعد؛ كقوله تعالى: «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ» فالمعنى: أجعل لنا يوما معلوما، أو مكانا معروفا. قال القشيري: والأظهر أنه مصدر ولهذا قال: (لَا تُخْلَفُهُ) أى لا تخلف ذلك الموعد، والإخلاف أن يمد شيئا ولا يفي به. وقال الجوهري: والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك الموعِد. وقرأ أبو جعفر ابن القفحاق وشيبة والأعرج: «لَا تُخْلَفُهُ» بالجزم جوابا لقوله «أَجْعَلْ». ومن رفع فهو منت لـ «موعد» والتقدير: موعدا غير غلف. (مَكَانًا سَوًى) قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة «سَوًى» بضم السين. والافرن بكسرهما؛ وهما لثتان مثل عُدَا وِطْوَى وطَوًى. واختار أبو عبيد وأبو حاتم كسر السين لأنها اللغة العالية الفصحى. وقال النحاس: والكسر أصراف وأشهر. وكلهم تَوَنُّوا الوار، وقد روى عن الحسن، واختلف عنه ضم السين بغير تنوين. واختلف في معناه ففيل: سوى هذا المكان؛ قاله الكلبي. وقيل: مكانا مستويا بَيْنَ الناس ما يَبْنَى فيه؛ قاله ابن زيد. ابن عباس: نصفًا. مجاهد: منصفًا؛ وعنه أيضا وقادة عدلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ. قال النحاس: وأهل التفسير على أن معنى «سَوًى» نَصَفَ وعَدَلَ وهو قول حسن؛ قال سيوطي: يقال: سَوًى وسَوًى أى عَدَلَ؛ يعنى مكانًا عدلًا بين المكانين فيه النصف؛ وأصله من قولك: جلس في سَوَاءِ الدار. بالبدء أى في وسطها؛ ووسط كل شيء، أعدله؛ وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» أى عدلا، وقال زهير:

أَرَوْنَا خُطْبَةً لَا ضَمَّ فِيهَا • يُسَوًى بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

وقال أبو عبيدة والفتي: وسطا بين الفريقين؛ وأنشد أبو عبيدة لموسى بن جابر الحنفي:

وَالْبُتَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ يَلْدَةٍ • يَسَوًى بَيْنَ قَبَسِ قَبَسٍ عِيْلَانٍ وَالْفَزْرِ

والفزر: سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال الأخفش: «يَسَوًى» إذا كان بمعنى غير أو بمعنى العدل يكون فيه ثلاث لغات: إن ضمنت اللينين أو كسرت قصرت فيهما جميعا. وإن فحمت مددت، تقول: مكان يسوى وسوى وسواء؛ أى عدل ووسط فيما بين الفريقين. قال موسى بن جابر:

« وَجَدْنَا إِبْرَاهِيمَ حَلًّا بَيْلِدَةً »

اليت . وقيل : « مكانا سوى » أى قصدا ، وأشد صاحب هذا القول :

« لَوْ تَمَنَّتْ حَيْثُ مَا حَدَّثَنِي » أَوْ تَمَنَّتْ مَا عَدَوْتُ مَوَاهَا

وقول : مررت برجل سواك وسواك أى غيرك . وهما فى هذا الأمر سواء وإن شئت سوايان . وهم سواء للجمع وهم أسواء ؛ وهم سواسية مثل ثمانية على غير قياس . وانتصب « مكانا » على المفعول الثانى لـ « جعل » . ولا يحسن انتصابه بالموعد على أنه مفعول أو ظرف له ؛ لأن الموعود قد وصف ، والأسماء التى تعمل عمل الأفعال إذا وصفت أو صغرت لم يسبق أن تعمل لخروجها عن شبه الفعل ، ولم يحسن حمله على أنه ظرف وقع موقع المفعول الثانى ؛ لأن الموعود إذا وقع بعده ظرف لم يجره العرب مجرى المصادر مع الظروف ، لكنهم يتعمدون فيه كقوله تعالى : « إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ » و « مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ » . واختلف فى يوم الزينة ، فقيل هو يوم عيد كان لهم يترتسون ويستمعون فيه ، قاله قتادة والسدي وغيرهما . وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : كان يوم عاشوراء . وقال سعيد بن المسيب : يوم سرق كان لهم يترتسون فيها ، وقاله قتادة أيضا . وقال الضحاك : يوم السبت . وقيل : يوم القيروز ؛ ذكره التلمبى . وقيل : يوم يكسر فيه الخليج ، وذلك أنهم كانوا يخرجون فيه يتفرجون ويتزهون ؛ وعند ذلك تأمن الديار المصرية من قبل الليل . وقرا الحسن والأعمش وعيسى الثقفى والسلى وهيرة عن حفص « يَوْمَ الزَّيْنَةِ » بالنصب . ورويت عن أبى عمرو ؛ أى فى يوم الزينة إنجاز نوعنا . الباقر بن الرق على أنه خبر الاستدعاء . ( وَأَنَّ يُحْشَرَ النَّاسُ حُجًّا ) أى وجمع الناس ؛ نه « أَنَّ » فى موضع رفع على قراءة من قرأ « يَوْمَ » بالرفع . وحطف « وَأَنَّ يُحْشَرَ » بقرينة قراءة الرفع ؛ لأن « أَنَّ » لا تكون ظرفا ، وإن كان المصدر الصريح يكون ظرفا كقدم الحاج ؛ لأن من قال : آتيك مقدم الحاج لم يقل آتيك أن يقدم الحاج . التماس : وأولى من هذا أن يكون فى موضع خفض عطفا على الزينة . والضم مؤنثة تصغيرها العرب بشر هاء لثلا يشبه تصغيرها تصغير ضحوة ؛ قاله التماس . وقال الجوهري :

محضه النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس؛ مقصورة تؤنث وتذكر؛ فن أنت ذهب إلى أنها جمع محضه؛ ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وقصر وهو ظرف غير متفكر مثل بحر؛ تقول: لقيته ضحاً وضحاً إذا أردت به ضحاً يومك لم تنوّه، ثم بعده الضحى ممدود مذكر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى. وخص الضحى لأنه أول النهار، قالوا لا يمر فيها بينهم كان في النهار منسح. وروى عن ابن مسعود والمجندى وغيرهما «وَأَنْ تَحْشُرَ النَّاسَ ضَحًّا» على معنى وأن يحشر الله الناس ونحوه. وعن بعض القراء «وَأَنْ تَحْشُرَ النَّاسَ» والمعنى وأن تحشر أنت يا فروع الناس. وعن المجندى أيضا «وَأَنْ تَحْشُرَ» بالتون. وإنما واعدكم ذلك اليوم؛ ليكون علو كلمة الله، وظهور دينه، وكبت الكافر، وزهوق الباطل على رهوس الأثنياد، وفي المجمع الفصاح لتقوى رغبة من رغب في الحق، وبكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جم أهل الور والمدر.

قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ﴾ أى جيله وسحره؛ والمراد جمع السحرة . قال ابن عباس : كانوا اثنين وسبعين ساحرا، مع كل ساحر منهم جبال وعصى . وقيل : كانوا أربعة عشر ألفا . وقيل : أربعة عشر ألفا . وقال ابن المنكدر : كانوا ثمانين ألفا . وقيل : كانوا جميعين على رئيس يقال له شمعون . وقيل : كان اسمه يوحنا معه . اثنا عشر تقياً، مع كل تقي عشرون عرقاً، مع كل عريف ألف ساحر . وقيل : كانوا ثمانية آلاف ساحر من الفيوم ، وثلاثة آلاف ساحر من الصعيد ، وثلثائة ألف ساحر من الريف ، فصاروا تسعمائة ألف ، وكان رئيسهم اعمى . ﴿ ثُمَّ أَنَّى إِلَىٰ أَى الْمِيَادِ ﴾ ( قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ ) أى قال لفرعون والسحرة ﴿ وَيَلَكُمْ ﴾ دعاء عليهم بالويل . وهو بمعنى المصدر . وقال أبو إسحق الزجاج : هو منصوب بمعنى الزمهم الله ويلا . قال : ويجوز أن يكون نداه كقوله تعالى : « يَا وَيْلَتَا مَنْ بَشَا » . ﴿ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى لا تختلفوا عليه الكذب ، ولا تشركوا به ، ولا تقولوا العجزات إنها سحر . ﴿ فَتَسْحَكُم بِعَذَابٍ ﴾ من عذبه أى يتأصلكم بالإهلاك .

يقال فيه : تَحَتَّ وَتَحَتَّ بِمَعْنَى . وَأَصْلُهُ مِنْ اسْتِغْصَاءِ الشَّعْرِ . وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ لَا يَبْسُحْتُمْ<sup>(١)</sup> .  
مِنْ أَتَحَتَّ ، الْبَابُونَ « يَبْسُحْتُمْ » مِنْ تَحَتَّ وَهَذِهِ لَفَةٌ أَهْلُ الْإِجَازِ وَالْأَوَّلَى لَفَةٌ [بِى نِمْ] .  
وَاتَّصَبَّ عَلَى جَوَابِ النَّبِيِّ . وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَعَضَّ زَمَانُ بَابِنَ مَرَوَانَ لَمْ يَدْعُ . مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجْلَفًا<sup>(٢)</sup>

الزُّمَحَشَرِيُّ : وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَزَالِ الرِّكْبِ تَصْطَلُكَ فِي تَسْوِيَةِ إِعْرَابِهِ . ( وَقَدْ خَابَ مَنْ أَقْرَى )  
أَيْ خَسِرَ وَهَلَكَ ، وَخَابَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَثَابِ مَنْ أَدْعَى عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ .

قوله تعالى : فَتَنَّا زُكْرًا وَأُنْثَى بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٦﴾ قَالُوا  
إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا  
بِطَرِيقَتِكَ الْأَمْنَى ﴿٦٧﴾ فَاجْبِعُوا لَكُم كَيْدًا ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ  
مَنْ أَسْتَعْلَى ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ( فَتَنَّا زُكْرًا وَأُنْثَى بِئِنَّهُمْ ) أَيْ تَسَاوَرُوا ؛ يَرِيدُ السَّحْرَةَ . ( وَأَسْرُوا  
النَّجْوَى ) قَالَ قَتَادَةُ ( قَالُوا ) : إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ سَحْرًا فَسْتَغْلِبْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
فَسَيَكُونُ لَهُ أَمْرٌ ، وَهَذَا الَّذِي أَسْرَوْهُ . وَقِيلَ الَّذِي أَسْرَا قَوْلُهُمْ : « إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ »  
الْآيَةُ ، قَالَهُ السُّدِّيُّ وَمَقَاتِلُ . وَقِيلَ الَّذِي أَسْرَا قَوْلُهُمْ : إِنْ غَلَبْنَا اتَّبَعْنَا ؛ قَالَهُ الْكَلْبِيُّ ؛  
دَلِيلُهُ مَا ظَهَرَ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ . وَقِيلَ : كَانَ سِرَّهُمْ أَنْ قَالُوا حِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى « وَلَيْكُمُ  
لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا » : مَا هَذَا بِقَوْلِ سَاحِرٍ . وَ « النَّجْوَى » الْمُنَاجَاةُ يَكُونُ أَسْمًا وَمَصْدَرًا ؛  
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « النَّسَاءِ » بَيَانُهُ .

(١) الزيادة من كتب النسخ . (٢) ويرى : « إلا مسحت » ومن رواه كذلك جعل معنى « لم يدع »  
لم يتقار و من رواه « إلا مسحت » جعل « لم يدع » بمعنى لم يترك . وروى « مجلف » بإضارة كأنه قال : أو هو مجلف .  
« الحسن » ، (٣) الخلف : الذى جيت به بقية . (٤) راجع ج ٥ ص ٢٨٢ وما بعدها  
طبعة أول أو ثالثة .

قوله تعالى : « **إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ** » ( **إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ** ) قرأ أبو عمرو « **إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ** » . ورويت  
عن عثمان وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة ؛ وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جبير  
وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين ؛ ومن القراء عيسى بن عمر وعاصم الجهمي ؛ فبدأ ذكر  
النحاس . وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة للمصحف . وقرأ الزهري - وأخيل بن أحمد  
والمفضل وأبان وابن محيص وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه « **إِنَّ هَذَانِ** » بتثنية  
« **وإن** » و« **لساحران** » وابن كثير يشددون « **هذان** » . وهذه القراءة سلت من مخالفة المصحف  
ومن فساد الإعراب ، ويكون معناها ما هذان إلا ساحران . وقرأ المدنيون والكوفيون  
« **إِنَّ هَذَانِ** » بتشديد « **إن** » « **لساحران** » فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب . قال  
النحاس : فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الأئمة ، وروى عن عبد الله بن مسعود  
أنه قرأ « **إِنَّ هَذَانِ** » إلا « **ساحران** » وقال الكسائي في قراءة عبد الله : « **إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ** »  
بغير لام ، وقال الفراء في حرف « **ي** » « **إِنَّ ذَانِ** » إلا « **ساحران** » فهذه ثلاث قراءات أخرى تحمل  
على التفسير لا أنها جائز أن يقرأ بها مخالفتها المصحف .

قلت : وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة سنة أقوال ذكرها ابن الأنباري في آخر  
كتاب الرد له ، والنحاس في إعرابه ، والمهدوي في تفسيره ، ويعبرم أدخل كلام بعضهم  
في بعض . وقد خطأها قوم حتى قال أبو عمرو : إني لأستحي من الله أن أقرأ « **إِنَّ هَذَانِ** » :  
وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن قوله تعالى : « **لَيْكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** »  
ثم قال : « **والمقيمين** » وفي « **المانعة** » « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ** »  
و « **إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ** » فقالت : يا ابن أخي ! هذا خطأ من الكاتب . وقال عثمان بن  
عقاف رضي الله عنه : في المصحف لمن يستقيم العرب بالسهم . وقال أبان بن عثمان :  
قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان . فقال : لمن وخطأ ؛ فقال له قائل : ألا يتبرؤ ؟  
فقال : دَعُوهُ فإنه لا يخرم سالا ولا يحل حراما . القول الأول من الأقوال الستة أنها لغة بني  
الحمر بن كعب وزبيد وحتم وكثانة بن زيد يفعلون رفع الإيماء به وحفظه بالألف . :

يقولون: جاء الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان، ومنه قوله تعالى: «وَلَا أُدْرِكُ بِهِ»  
 على ما تقدم. وأنتد القراء لرجل من بني أسد - قال: وما رايت أنصح منه:  
 فأطرق أطراق الشجاع ولو يرى. «مَسَاعًا لِنَسَاءِ الشُّجَاعِ لَصًّا»  
 ويقولون: كسرت يده وركبت ملاء، بمعنى يديه وعليه، قال شاعرهم:  
 تَرَوْدِيَنَا مِنْ أَدْنَاهُ مَرِيَّةً. «دعته إلى هاتين التراب عيسيم»  
 وقال آخر:  
 «طَارُوا عَلَاهُنَّ قَطْرَ مَلَاهَا»  
 أي عطين وعليها.

وقال آخر:  
 إِنْ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا. قد بَقَا في الحيد غايتها  
 أي إن أبأبها وغايتها. قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية؛  
 إذ كانت هذه اللفظة معروفة، وقد حكاهما من يرتضى ببلده وأماته؛ منهم أبو زيد الأنصاري،  
 وهو الذي يقول: إِنْ قَالَ سَيُوبِيهِ حَدَّثَنِي مِنْ أَتَقَى بِهِ لَأَمَّا بِمَعْنَى: وأبو الخطاب الأختش  
 وهو ويض من رؤساء اللفظة، والكسائي والقراء كلهم قالوا هذا على لغة بني الحارث بن كعب.  
 وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن هذه لفظة بني كنانة. المهدوي: وحكى غيره أنها لفظة  
 نخشم. قال النحاس ومن أين ما في هذا قول سيويو: وأعلم أنك إذا ثبت الواحد زدت  
 عليه زائدين، الأولى منهما حرف هـ ولين وهو حرف الإعراب؛ قال أبو جعفر نقول  
 سيويو: وهو حرف الإعراب، يوجب أن الأصل ألا يتغير، فيكون «إِنْ هَذَانِ» جاء

- (١) راجع ٨ ص ٣٢٠ وما يندط طية أول أو ثانية. (٢) هو الخفس كافي «السان».  
 (٣) سم الشجاع في صفة: أي ضم وجب لم يرسل ما مضى. (٤) هو هوير الجبارق. والمضام  
 من التراب ما أكرهه ودق. (٥) قيل: هو لبض أهل اليمن، وأدق قيل:  
 أي فليسوا راصكب تراها. طاروا علامن فطر بلاها  
 وأكسبد بن سق حقاها. «أجبة» وتناجسها. أبها  
 والمحقرة المفاخرة. «والأجبة» السرية. (٦) فيه المجرى لأبي القم، وأن ثله:  
 وأما السلي ثم وأما وأما «في المسنى لو أنا قماها  
 يا ليت عيناها لنا وأما» بنج ترضى به أبها  
 إن أبها... الخ. وشبهه لؤبة. وقيل: لبض أهل اليمن؛ وأن قيل:  
 أي فليسوا راصكب تراها. طاروا علامن... الخ.

على أصله ليعلم ذلك ، وقد قال تعالى : « اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ » ولم يقل استعاذ ؛ فجاء هذا ليدل على الأصل ، وكذلك « إِنَّ هَذَانِ » ولا يفكر في إنكار من أنكر هذه اللغة إذا كان الأئمة قد رووها . القول الثاني : أن يكون « إن » بمعنى نعم ؛ كما حكى الكسائي عن عاصم قال : العرب تأتي بـ « إنا » بمعنى نعم ، وحكى سيوطه أن « إن » تأتي بمعنى أجل ، وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد ، وإسماعيل بن إسحق القاضى يذهبان ؛ قال النحاس : ورأيت أبا إسحق الزجاج وصل بن سليمان يذهبان إليه . الزحشرى : وقد أعجب به أبو إسحق . النحاس : وحدثنا علي بن سليمان ، قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام التيسابورى ، ثم لقيت عبد الله بن أحمد [ هَذَا ] لَخَذْنِي ، قال حدثني عمير بن المنوكل ، قال حدثنا محمد بن موسى التوفلى من ولد حريث بن عبد المطلب ، قال حدثنا عمر بن جميع الكوفى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي - وهو ابن الحسين - عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم إجماع ، قال : لا أحصى كم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره : « إِنَّ الْحَمْدَ لله حمده ونستعينه » ثم يقول : « أنا أنصح قريش كلها وأفصحها بعدى أبان بن سعيد بن العاص » قال أبو محمد الخفاف قال عمير : إعرابه عند أهل العربية والتحو « إِنَّ الْحَمْدَ لله » بالنصب إلا أن العرب تجعل « إن » في معنى نعم ، كأنه أراد صلى الله عليه وسلم نعم الحمد لله ؛ وذلك أن خطباء الجاهلية كانت تفتح خطبها بنعم ، وقال الشاعر في معنى نعم : قالوا غَدَرْتُ فَقُلْتُ إِنَّ وَدَّيْهَا • نَالَ الْعَلَا وَشَفَى الْفَلِيلُ النَّادِرُ  
وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

بَكَرَ الْعَوَائِدُ فِي الصَّبَا • جَ يَلْسَنِي وَالْوَهْنُ  
وَيَقْلَنُ شَيْبُ قَدَعَلَا • لَوْ قَدْ صَكَرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

فصل هذا جائز أن يكون قول الله عز وجل : « إِنَّ هَذَانِ لَسَايِرُ » بمعنى نعم ولا تنصب . قال النحاس : أنشدني داود بن المهيم ، قال أنشدني شعيب

ليست شعري هل للعجب شفاء • من جوى حبيب إن اللقاء



قال النحاس : وهذا قول حسن إلا أن فيه شيئا لأنه إنما يقال : تم زيد خارج ، ولا تكاد تقع اللام هاءتا ، وإن كان الصويون قد تكلموا في ذلك فقالوا : اللام بنوى بها التقديم ، كما قال :  
خَالٍ لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خَالُهُ • يَتِلَّ الْعَلَاءَ وَيُكْرِمُ الْأَخْوَالَ

أخسر : أُمُّ الْحَلِيسِ لَجُجُوزٌ شَهْرَبَه • تَرْضَى مِنَ الشَّاةِ بَعْلَ الْرَقَبَةِ

أى لحالى ولأثم الحليس ، وقال الزجاج : والمعنى في الآية إن هذان لما سارحان ثم حنف المبتدأ - المهدي : وأتكره أبو علي وأبو الفتح بن جني . قال أبو الفتح : « هما » المحذوف لم يحذف إلا بعد أن عُرِفَ ، وإذا كان معروفا فقد استغنى بمرقه عن تأكيد باللام ، ويقبح أن تحذف المؤكّد وتترك المؤكّد . القول الثالث قاله الفراء أيضا : وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل ، فزدت عليها نونا ولم أغيرها ، كما قلت : « الذى » ثم زدت عليه نونا فقلت : جاءنى الذين عندك ، ورأيت الذين عندك ، وصرحت بالذين عندك . القول الرابع قاله بعض الكوفيين : قال : الألف في « هذان » مشبهة بالألف في يضلان ؛ فلم تغير . القول الخامس : قال أبو إسحق : الصويون القدماء يقولون الماء هاهنا مضمر ، والمعنى : إنه هذان لسارحان ؛ قال ابن الأنباري : فاضمرت الماء التي هي منصوب « إن » و « هذان » خبر « إن » و « سارحان » يرفهما « هما » المضمر [ والتقدير <sup>(١)</sup> ] إنه هذان لما سارحان . والأشبه عند أصحاب أهل هذا الجواب أن الماء اسم « إن » و « هذان » رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء . القول السادس : قال أبو جعفر النحاس وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية ، فقال : إن شئت أجبتك بجواب الصويين ، وإن شئت أجبتك بقولى ، فقلت : بقولك ؛ فقال : سألتني إسماعيل بن إسحق عما فقلت : القول عندى أنه لما كان يقال « هذا » في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة ، وكانت التثنية يجب ألا يغيرها الواحد ، أجريت التثنية بجري الواحد ، فقال : ما أحسن هذا لو تقدمك أحد بالقول به حتى يؤنس به ؛ قال ابن كيسان : فقلت له : فيقول القاضى به حتى يؤنس به ؛ فتقسم .

قوله تعالى : ( يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَهْجَا بِطَرِيقَتِكَ الْمَثَلِ )

هنا من قول فرعون السحرة ؛ أى غرضهما إفساد دينك الذى أتم عليه ؛ كما قال فرعون : « إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ » . ويقال : فلان حسن الطريقة أى حسن المذهب . وقيل ؛ طريقة القوم أفضل القول ؛ وهذا الذى يبنى أن يسلكوا طريقته ويقتدوا به ؛ فالمنى ؛ وبعبا بسادتك ورؤسائك ؛ آستالة لهم . أو يبعبا بنى إسرائيل وهم الأمثال وإن كانوا خولا لكم لما يرجعون إليه من الانتساب إلى الأبناء . أو يبعبا بأهل طريقكم تحذف المضاف . و « المثل » ثابت الأمثل ؛ كما يقال الأفضل والفضل . وأنت للطريقة على التفظ ؛ وإن كان يراد بها الرجال . ويموز أن يكون التائب على الجملة . وقال الكاسى ؛ « بطريقكم » بسكتهم وصمتهم . و « المثل » نت كقولك امرأة كبرى . تقول العرب ؛ فلان على الطريقة المثل يمتون على الهدى المستقيم .

قوله تعالى : ( فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ) الإجماع الإحكام والعزم على الشيء . تقول : أجمعت الخروج وعلى الخروج أى عزمت . وقراءة كل الأمصار « فَاجْمَعُوا » إلا أبا عمرو فإنه قرأ « فَاجْمَعُوا » بالوصل وقبح الميم . واحتج بقوله : « بَجَمَعُ كَيْدَهُ ثُمَّ آتَى » . قال النحاس وفيما حكى لى عن محمد بن يزيد أنه قال ؛ يجب على أبى عمرو أن يقرأ بخلاف قراءته هذه ؛ وهى القراءة التى عليها أكثر الناس . قال ؛ لأنه احتج بـ « جمع » وقوله عز وجل : « بَجَمَعُ كَيْدَهُ » قد ثبت هذا فيمد أن يكون بعده « فَاجْمَعُوا » ويقرب أن يكون بعده « فَاجْمَعُوا » أى أعزموا وجمعوا ؛ ولما تقدم ذلك وجب أن يكون هذا بخلاف معناه يقال ؛ أمر بجمع وجمع عليه . قال النحاس ؛ يصحح قراءة أبى عمرو « فَاجْمَعُوا » أى أجمعوا كل كيد لكم وكل حيلة فقصوه مع أخيه . وقاله أبو إسحق . التعليل ؛ القراءة بقطع الألف وكسر الميم لها وجهان - أحدهما - بمعنى الجمع ؛ تقول ؛ أجمعت الشيء ؛ وجمعه بمعنى واحد ، وفى الصراح ؛ وأجمعت الشيء ؛ جعلته جميعا ؛ قال أبو ذؤيب يصف حرا :

فكانها بالخنز بين تبايع<sup>(١)</sup> . وأولات ذى العرش تهب جمع

(١) نباح ؛ اسم مكان أربيل أو رادى بلاد هذيل ؛ وجمع على « نباحات » .

أى مجموع . وثلاثى - أنه بنى العزم والإحكام؛ قال الشاعر :

بأيت شعري والمضى لا تنفع . هل أغفلت يوماً وأمرى يُجْع

أى حُكم . ( ثُمَّ اتَّوَا سَفَا ) قال مقاتل والكبي : جيا . وقيل : صفوا ليكون أشد  
لحظكم . وهو منصوب بوقوع الفعل عليه على قول أبى عبيدة؛ قال يقال : أبيت الصل  
ببني المصل؛ فالضى عنده اتوا الموضع الذى يجتمعون فيه يوم العيد . وحكى عن بعض  
فصحاء العرب : ما صدرت أن أتى الصل؛ ببنى المصل . وقال الزجاج : يجوز أن يكون  
المنى ثم اتوا والناس مصطفون؛ فيكون على هذا مصدرا فى موضع الحال . ولذلك لم يجمع .  
وقرى : ثُمَّ اتَّوَا بكسر اللام و ياء . ومن ترك المزمز أبداً من الهجرة الباء . ( وَقَدْ أَفْلَحَ  
الْيَوْمَ مَنْ أَسْلَمَ ) أى من غلب . وهذا كله من قول النخعة بعضهم لبعض . وقيل :  
من قول فرعون لم .

قوله تعالى : قَالُوا يَسْمُوْنَ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ  
الْقَى ❶ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُجِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سَحَرِهِمْ  
أَنَّهُمْ أَسْعَى ❷ فَأَرْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ❸ قُلْنَا لَا تَخَفْ  
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ❹ وَالَّذِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا  
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ❺ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ  
سُحْرًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبٌّ يَرْبُ هَٰؤُلَاءِ وَمُوسَى ❻ قَالَ ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأَدَّ  
لَكُمْ ءِثْرَهُ لَكَيْدُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ  
مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلْتَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ  
عَذَابًا وَأَبْقَى ❷

قوله تعالى : ( قَالُوا يَا مُوسَى ارِدِ السَّحْرَةَ . ) ( إِنَّمَا أَنْتَ تُنْذِرُ ) عَصَاكَ مِنْ يَدِكَ  
( وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ لِقَوْمٍ لَنْ يُؤْمِنُوا ) نادبوا مع موسى فكان ذلك سبب إيمانهم . ( قَالَ يَا قُلُوبُوا  
فَرَاغَا جِهَاتِكُمْ ) في الكلام حنف ، أى فاقبوا ؛ دل عليه المعنى . وقرأ الحسن ( وَصِصْهُمْ )  
بضم السين . قال هرون القاري : لسة بن تميم « وَصِصْهُمْ » وبها يأخذ الحسن . الباقون  
بالكسر ابتداء لكثرة الصاد . ونحوه دُلِّيَ وبِلِّيَ وَصِيَّ وَصِيَّ . ( يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ  
تَنَسَّى ) . وقرأ ابن عباس وأبو حيوة وابن ذكوان وروح عن يعقوب « تُخَيِّلُ » بالناء ؛  
ورثوه إلى المعنى والحال إذ هي مؤنثة . وذلك أنهم لطخوا العصا بالزئبق ، فلما أصابها  
حر الشمس كرهتشت وأهترت . قال الكلبي : خَيَّلَ إلى موسى أن الأرض حبات وأنما  
تسمى على بعضها . وقرأ « تُخَيِّلُ » بمعنى تخيّل وطريقه طريق « تُخَيِّلُ » ومن قرأ « يُخَيِّلُ »  
بالياء رده إلى الكبد . وقرأ « تُخَيِّلُ » بالنون على أن الله هو المُخَيِّلُ للجنة والأبلاء . وقيل :  
الفاعل « أَنَّهُ تَنَسَّى » ذ « أَنْ » في موضع رفع ؛ أى يُخَيِّلُ إليه سعيها ؛ قاله الزجاج .  
وزعم الفراء أن موضعها موضع نصب ؛ أى بأنما ثم حذف الباء . والمعنى في الوجه الأول :  
تشبه إليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن أنها تسمى . وقال الزجاج : ومن قرأ بالناء جعل « أَنْ »  
في موضع نصب أى تُخَيِّلُ إليه ذات سعى . قال : ويجوز أن تكون في موضع رفع بدلا من الضمير  
في « تُخَيِّلُ » وهو عائد على الحال والمعنى ، والبدل فيه بدل اشتمال . و « تسمى » معناه تسمى .  
قوله تعالى : ( فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ) أى اضمح . وقيل : وجد . وقيل :  
أحس . أى من الحيات وذلك على ما يمرض من طباع البشر على ما تقدم . وقيل : خاف  
أن يفتن الناس قبل أن يلقى عصاه . وقيل : خاف حين أبطأ عليه الروح بإلقاء العصا أن يفتن  
الناس قبل ذلك فافتنوا . وقال بعض أهل الحقائق : إنما كان السبب أن موسى عليه السلام  
لما أتى بالسحرة وقال لهم : « وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَنفَعُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُعَذِّبَكُمْ بِعَذَابٍ » التفت فإذا  
جبريل على يمينه فقال له ياموسى ترفع بأولياء الله . فقال موسى : يا جبريل هؤلاء سحرة  
جاهلوا بسحر عظيم ليطلقوا المجرة ، وينصرفوا دين فرعون ، ويردوا دين الله ، نقول : ترفع

بأولياء الله ! فقال جبريل : هم من الساعة إلى صلاة العصر عندك ، وبعد صلاة العصر في الجنة . فلما قال له ذلك ، أوجس في نفس موسى ، وخَطَرَ أن ما يُدرِجُ ما حِلْمُ الله في ، فمَسَّلَ أكون الآن في جنة ، وعِلِمُ الله في على خلافها كما كان هؤلاء . فلما علم الله ما في قلبه أوحى الله إليه ( لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَكْمَلُ ) أي الغالب لهم في الدنيا ، وفي الدرجات العلا في الجنة ، للنبوة والأصطفاء الذي آتاك الله به . وأصل « خيفة » خوْفَةٌ فَأَخْلَيْتِ الرِّوَايَةَ لانتكاراته .

قوله تعالى : ( وَالَّذِي مَاتَ بِمَيْتَةٍ تَلَقَّفَ مَأْصِنُوا ) ولم يقل والي مصاك ، بخائر أن يكون تصغيراً لها ، أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصبيهم ، والي المَوْدِ القَرْدُ الصغير الحُرْمُ الذي في مَيْتَةٍ فإنه بقدرته الله يتلقفها على وحدته وكثرتها ، وصغرهم وعظمتها . وجائز أن يكون تعظيماً لها أي لا تحفل بهذه الأبرام الكثيرة الكبيرة فإن في مَيْتَةٍ شيئاً أعظم منها كلها ، وهذه على كثرتها أقل شيء وأتزره عندها ، فالحق يتلقفها بإذن الله ويحفظها . و « تَلَقَّفَ » بالجرم جواب الأمر ، كأنه قال : إن الله يتلقف ، أي تأخذ وتبذل . وقرأ السُّلَمِيُّ وحفص « تَلَقَّفَ » ساكنة اللام من لَقِفَ يَلْقِفُ لَقْفًا . وقرأ ابن ذكوان وأبو حنيفة الشامي ويحيى بن الحرث « تَلَقَّفَ » بجلف التاء ورفع الفاء ، على معنى فإنها تلقف . والخطاب لموسى . وقيل : للمصا . والتلقف الأخذ بسرعة . يقال : لَقِفْتُ الشيءَ ( بالكسر ) لَقْفَةً لَقْفًا ، وتلقفته لَقْفًا أي تناولته بسرعة . عن يعقوب : يقال رجل لَقِفٌ تَقِفٌ أي خفيف حاذق . والتلقف ( بالتحريك ) مَهْوَطُ الحَبَاطِطِ . ولقد لَقِفَ الحَوْضُ لَقْفًا أي تَهَوَّرَ مِنْ أَسْفَلِهِ وَأَتَسَعَ . وتلقف وتلقم وتلقم بمعنى . وقد مضى في « الأعراف » . لَقِمْتُ اللَّقْمَةَ ( بالكسر ) لَقْمًا ، وتلقمتها إذا ابتلعتها في مهلة . وكذلك لَمِعَ ( بالكسر ) إذا أبتلعه . ( مَا صَنَعُوا ) أي الذي صنعوه وكنا ( إِيَّاهُمْ صَنَعُوا ) أي إن الذي صنعوه . ( كَيْدٌ ) بالرفع ( يَجْرِي ) بكسر السين وإسكان الحاء ، وهي قراءة الكوفيين إلا عاصما . وفيه وجهان : أحدهما - أن يكون الكيد مضافاً إلى السحر

(١) « تلقف » بالتشديد قراءة « تام » . (٢) راجع ٧ ص ٢٥٩ وما بعدها طبعه أول مرة .

على الإجماع من غير تقدير حذف . والثاني - أن يكون في الكلام حذف أي كيد ذي بحره .  
 وقرأ الباقون « كَيْدٌ » بالنصب بوقوع الصنع عليه ، و « ما » كائنه ولا تضمهاء « ساحر »  
 بالإضافة . والكيد في الحقيقة على هذه القراءة مضاف للساحر لا للسحر . ويجوز فتح « أن »  
 على سني لأن ما صنعوا كيد ساحر . ( وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ) أي لا يغوز ولا ينجو  
 حيث أتى من الأرض . وقيل : حيث احتال . وقد مضى في « البقرة » حكم الساحر ومعنى  
 السحر فامله هناك .

قوله تعالى : ( فَالْتَقَى السَّحَرَةُ نَجْدًا ) لما رأوا من عظيم الأمر ونزق العادة في المصا  
 لاتها أبغضت جميع ما احتالوا به من الحبال والمعصية ، وكانت حل ثلثائة بغيرهم عاصبا  
 لا يعلم أحد أين ذهب الحبال والمعصية إلا الله تعالى . وقد مضى في « الأعراف » هذا المعنى  
 وأمر المصا مستوفى . ( قَالُوا آتَى رَبَّنَا رُحُونُ وَمُوسَى . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ ) أي به ؛ يقال :  
 آمن له ولين به ؛ ومنه « فَمَنْ لَهُ لُوطٌ » وفي الأعراف « قَالَ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آتَاكُمْ » .  
 إنكار منه عليهم ؛ أي تعديهم وفعلهم ما لم أمركم به . ( إِنَّهُ لَكَيْفُ كُفُّمُ الَّذِي مَلَكَ السَّحَرُ ) .  
 أي رئيسكم في التلميم ، وإنما عليكم لأنه أحقق به منكم . وإنما أراد فرعون بقوله هذا ليشبه  
 على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كلاماتهم ، وإلا فقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى ،  
 بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته . ( فَلَا تَطْمَئِنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ جُلُكُمُ مِنْ خِلَافٍ  
 وَلَا صَلَبَكُمْ فِي جُدُوجِ النَّخْلِ ) أي على جذوع النخل : قال سويد بن أبي كاهل :

مُصَلَّبُوا الْبَدَى فِي جُدُوجِ نَخْلَةٍ . فَلَا عَطْلَتْ شَيْئًا إِلَّا بِأَجْدَمَا

فقطع وصلب حتى ماتوا ورحمهم الله تعالى . وقرأ ابن محيصن هنا وفي الأعراف « فَلَا تَطْمَئِنُّ » ،  
 « وَلَا صَلَبَكُمْ » بفتح الألف والتخفيف من قطع وصلب . ( وَلَتَمْلَأُنَّ إِنَّا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَنَّى )  
 يعني أنا أم رب موسى .

(١) العبارة هنا على إطلاقها تخيد أن هذه قراءة الجمهور ، والجمهور قرأ « كيد ساحر » بفتح « كيد » كافي « البحر »

وربما ؛ قال في البحر : وقرأ الجمهور « كيد » بالرفع . (٢) راجع ٢٦ ص ٤٢ وما بعدها طبع ثانية أرتان .

(٣) راجع ٧ ص ٢٥٩ طبع أولى أرتانية .

قوله تعالى : قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلَدِي  
نَظَرْنَا فَأَنضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦٦﴾  
إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَكَ خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ  
وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٦٧﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِي رَبَّهُ مُجْرِمًا فَلَنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ  
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ  
لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٦٩﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ

قوله تعالى : ( قَالُوا ) أى النبوة ( لَنْ نُؤْثِرَكَ ) أى لن نخسرك ( عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ) قال ابن عباس : يريد من البين والعلم . وقال عكرمة وغيره : لما سمعوا إبراهيم الله في سجودهم منازلهم في الجنة ؛ فلما قالوا « لن نُؤْثِرَكَ » . وكانت أمراء فرعون تسأل من طلب ، فيقول لها : قلب موسى وهرون ؛ فقالت : أمنت برب موسى وهرون . فأرسل إليها فرعون فقال : أنظروا أعظم محنة فإن مضت على قولها فاقولوا عليها ؛ فلما أوتوا رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت منزلاً في الجنة ، فمضت على قولها فاترج روحها ، وألقيت الصخرة على جسدها وليس في جسدها روح . وقيل : قال مفضم السحرة لن يثق به لما رأى من عصا موسى ما رأى : انظر إلى هذه الحية هل تخوف فتكون جنباً أو لم تخوف فهي من صنعة الصانع الذى لا يعزب عليه مصوع ؛ فقال : ما تخوف ؛ فقال : أمنت برب هرون وموسى . ( وَالَّذِي فَطَرَنَا ) قيل : هو معطوف على « مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ » أى لن نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَلَا عَلَى الَّذِي فَطَرَنَا أى خلقنا . وقيل : هو قسم أى والله لن نُؤْثِرَكَ . ( قَاضٍ مَا أَنْتَ قَاضٍ ) التقدير ما أنت قاضيه . وليست « ما » هاهنا التى تكون مع الفعل بمنزلة المصدر ؛ لأن تلك توصل بالأفعال ، وهذه موصولة بإبتداء وغير .

(١) في نسخة « نجوت » — أو لم تنجوت — ما نجوت « بالجم » .

قال ابن عباس : فاصنع ما أنت صانع . وقيل : فاحكم ما أنت حاكم ، أى من القلْع والصلْب . وحذفت الياء من قاضى فى الوصل لسكونها وسكون التنوين . واختار سيويه إثباتها فى الوقف لأنه قد زالت علة الساكنين . ( إِنَّمَا تَقْضَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) أى إنما يتقدّم أمرك فيها . وهى منصوبة على الظرف ، والمعنى : إنما تقضى فى متاع هذه الحياة الدنيا . أو وقت هذه الحياة الدنيا ، تقدر حذف المفعول . ويموز أن يكون التقدير : إنما تقضى أمور هذه الحياة الدنيا ، فتتصّبب انتصاب المفعول و « ما » كافة لإثباته . وأجاز الفراء الرفع على أن تحمل « ما » معنى الذى وتحذف الهاء من تقضى ورفعت « هذه الحياة الدنيا » . ( إِنَّمَا أَنْتَ بِرَبِّكَ ) أى صدقتا بالله وحده لا شريك له وما جاء به موسى ( لَيَقْفِرَنَّ لَنَا حَطَايَانَا ) يريدون الشرك الذى كانوا عليه . ( وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ) « ما » فى موضع نصب مطعونة على الخطايا . وقيل : لا موضع لما وهى نافية ، أى يقفر لنا خطايانا من السحر وما أكرهتنا عليه . النحاس : والأول أولى . المهدوى : وفيه بعد ، لقولهم : « إِنَّ لَنَا لَأَيَّامًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ » وليس هذا بقول مُكرَهين ، ولأن الإكراه ليس بذنْب ، وإن كان يجوز أن يكونوا أكرهوا على تعليمه صفارا . قال الحسن : كانوا يعلمون السحر أطفالا ثم عملوه مختارين بعد . ويموز أن يكون « ما » فى موضع رفع بالابتداء ويضمر الظاهر ، والتقدير : وما أكرهتنا عليه من السحر موضوع عَنَّا . و « من السحر » على هذا القول والقول الأول يتعلق بـ « ما أكرهتنا » . وعلى أن « ما » نافية يتعلق بـ « خطايانا » . ( وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ) أى ثوابه خير وأبقى لحذف المضاعف ؛ قاله ابن عباس . وقيل : الله خير لك منك وأبقى عذابا لنا من عذابك لنا . وهو جواب قوله : « وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ » وقيل : الله خير لنا إن أظمتناه ، وأبقى عذابا منك إن عصيتناه . قوله تعالى : ( إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ) قيل : هو من قول السحرة لما آمنوا . وقيل : ابتداء كلام من الله عز وجل . والكناية فى « إنه » ترجع إلى الأمر والشأن . ويموز إن من يأت ، ومنه قول الشاعر :

إِن من يَدخلُ الكنيسةَ يوماً . يلقى فيها جَانِزًا وظَبَاءَ



أراد أنه من يدخل؛ أى إن الأمر هذا؛ وهو أن المجرم يدخل النار، والمؤمن يدخل الجنة .  
والمجرم الكافر . وقيل : الذى يقترب المعاصى ويكتسبها . والأول أشبه لقوله : ( فَإِنَّ لَهُ  
جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ) وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد - مل ما تقدم بيانه  
فى سورة « النساء » وغيرها - فلا ينفع بحياته ولا يستريح بموته . قال الشاعر :

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَقْضَى • شِفَاؤُهَا وَلَا نَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَمٌ

وقيل : نفس الكافر معلقة فى حنجرتها ؛ كما أخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفرقتها ، ولا يحيا  
بإسقرارها . ومعنى « مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا » من يأت موعده . ومعنى ( وَمَنْ يَأْتِهُ مُؤْمِنًا )  
أى يمت عليه ويوافيه مصدقا به . ( قَدْ عَمِلَ ) أى وقد عمل ( الصَّالِحَاتِ ) أى الطاعات  
وما أسره ونهى عنه . ( فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ) أى الرفعة التى صهرت دونها  
الصفات . ودل قوله : « وَمَنْ يَأْتِهُ مُؤْمِنًا » على أن المراد بالمجرم المشرك .

قوله تعالى : ( جَنَّاتٌ عِدْنُ ) بيان للدرجات و بدل منها ، والعِدْنُ الإقامة ؛ وقد تقدم<sup>(١)</sup>  
بيانه . ( تُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا ) أى من تحت غرفها وممرها ( الْأَنْهَارُ ) من الخمر والنسل  
واللبن والماء . وقد تقدم . ( خَالِدِينَ فِيهَا ) أى ما كثر دائمين . ( وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى )  
أى من تطهر من الكفر والمعاصى . ومن قال هذا من قول السحرة قال : لعل السحرة سمعوه  
من موسى ، أو من بنى إسرائيل إذ كان فيهم بمصر أقوام ، وكان فيهم أيضا المؤمن من آل فرعون .  
قلت : ويحتمل أن يكون ذلك إلها من الله لم أطلقهم بذلك لما آمنوا ؛ والله أعلم .

قوله تعالى : وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ  
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ  
يُجْنَدُهُ فَفْتِسِحُهُ مِنَ آلِ يَمِينَ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ) تقدم الكلام فى هذا مستوفى .  
( فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ) أى إيسا لا طين فيه ولا ماء ؛ وقد مضى فى « البقرة »

(١) رابع ج ١ ص ٢٩٦ طبعه أول أرثاقية . (٢) ج ١ ص ٢٨٩ وما بعدها طبعه ثانية أو ثالثة .

ضرب موسى البحر وكنته إياه ، وإسراق فرعون فلا معنى للإعادة . ( لَا تَخَافُ دَرَكًا )  
 أى لحقا من فرعون وجنوده . ( وَلَا تَخْشَى ) قال ابن جرير قال أصحاب موسى : هذا فرعون  
 قد أدركا ، وهذا البحر قد خشيا ، فأقول الله تعالى : لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ، أى لا تخاف  
 دركا من فرعون ولا تخشى ضربا من البحر أن يمسك إن خشيك . وقرا حزة . لا تخف .  
 على أنه جواب الأمر . التقدير إن تضرب لم طريقا في البحر لا تخف . و . لا تخشى .  
 مستأنف على حدهم : ولا أنت تخشى . أو يكون مجزوما والألف مشبهة من فتحة كقوله :  
 « فَتَقُولُوا لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَيْسَ مِنَّا » أو يكون على حذف قول الشاعر :  
 « كُنَّا لَمْ تَرَى قَبْلَ أَسِيَّا بِمَآيَا » .

على حدهم حذف الحركة كما تحذف حركة الصحيح . وهذا مذهب الفراء . وقال آخر :

تَجَوَّتْ زَبَانٌ ثُمَّ جَلَّتْ مَعْتَدَا • مِنْ هَجُوزٍ بَانَ لَمْ يَهْجُوا وَلَمْ يَتَدَعْ  
 وقال آخر : أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَبَيَّنَ • بِمَا لَاقَتْ لُبُونُ بَنِي زَيْدٍ

قال النحاس : وهذا من أبلغ النظم أن يحمل كتاب الله عز وجل على الشذوذ من الشعر ؛  
 وأيضا فإن الذي جاء به من الشعر لا يشبه من الآية شيئا ؛ لأن إياه والواو عاقلتان للألف ؛  
 لأنها تتحركان والألف لا تتحرك ، والشاعر إذا اضطر أن يقدرها متحركتين ثم تحذف  
 الحركة للجزم ، وهذا حال في الألف ؛ والقراءة الأولى أين لأن بعده « وَلَا تَخْشَى » جمع  
 عليه بلا جزم ، وفيها ثلاث تهديدات : الأول — أن يكون « لا تخف » في موضع الحال  
 من المخاطب ، التقدير فاضرب لمسم طريقا في البحر بما غير خائف ولا خائس . الثاني  
 — أن يكون في موضع التثنية الطريق ؛ لأنه معطوف على يس الذي هو صفة ، ويكون  
 التقدير لا تخاف فيه ؛ لحذف الراجع من التثنية . والثالث — أن يكون منقطعا خبر ابتداء  
 محذوف تقديره وأنت لا تخاف .

(١) حرمه يفرق بين وفاس من شعراء الجاهلية . ومحمد بن علي :

• وتضك من شجة عيشية •

(٢) البيت من أبيات قيس بن ذريح بن جثيمة ر رواة العيص ، وكان قد نذرت فيه وبين الريح بن ذواد  
 لها ، في شأن دية تاسان ذيل الريح وباعها بمكة من عبد الله بن جدهان القرظي .

قوله تعالى : ( فَأَنبِئْهُمْ فِرْعَوْنَ بِمَجْدِهِ ) أى أنبئهم اسمه جنوده ، وقوى . فَأَنبِئْهُمْ .  
 بالتشديد فتكون الباء في « بمجده » عنت الفعل إلى المفعول الثاني ، لأن أنبئ يندى إلى  
 مفعول واحد . أى تبهم ليضعهم بمجده أى مع جنوده كما يقال : ركب الأمير بسيفه أى مع  
 سيفه . ومن قطع « فأنبئ » يندى إلى مفعولين : فيجوز أن تكون هذه زائدة ، ويجوز أن  
 يكون اقتصر على مفعول واحد . يقال : تبته وأتبته ولحفه والحفه بمعنى واحد . وقوله :  
 « بِمَجْدِهِ » في موضع الحال ، كأنه قال : فأنبئهم سابقا بجنوده . ( فَأَنبِئْهُمْ مِنْ آلِهِمْ مَا فِيهِمْ )  
 أى أصابهم من البحر ما غرقهم ، وكرر على معنى التنظيم والمعرفة بالأمر . ( وَأَضَلُّ فِرْعَوْنَ  
 قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ) أى أضلهم عن الرشيد وما هداهم إلى خير ولا نجاة ، لأنه قدر أن موسى  
 عليه السلام ومن معه لا يفوتونه ؛ لأن بين أيديهم البحر . فلما ضرب موسى البحر بمصاه  
 أظفك منه أثنا مشر طريقا ، وبين الطرق الماء قائما كالجبال . وفي سورة الشعراء : فكان  
 كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . أى الجبل الكبير ؛ فاخذ كل سبط طريقا . وأولى الله إلى أطواد  
 الماء أن تشبك فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم كلام بعض ، وكان  
 هذا من أعظم المعجزات ، وأكبر الآيات ، فلما أقبل فرعون ورأى الطرق في البحر والماء  
 قائما أوهمهم أن البحر فعل هذا ليلته ، فدخل هو وأصحابه فاطبق البحر عليهم . وقيل إن  
 قوله : « وَمَا هَدَى » تأكيد لإضلاله إياهم . وقيل : هو جواب قول فرعون « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا  
 مَا لَأُورَى وَمَا أَفِيدُكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ » فكذب الله تعالى . وقال ابن عباس : « وَمَا هَدَى »  
 أى ما هدى نفسه بل أهلك نفسه وقومه .

قوله تعالى : يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَرْسَلْنَاكَ قَدْ آمَنَّا بِكَ مِنْ دُونِكَ وَمَا يَتَّبِعُكَ  
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى (٨٥) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ  
 مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ  
 غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨٦) وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
 ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَيْهِ أَجْرًا (٨٧)

قوله نصل : ( يَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَبْنَاكَ مِنْ غُلُومٍ ) لما أنجاهم من فرعون قال لهم هذا لبشركوا . ( وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ) « جانب » نصب على المفعول الثاني « لواعدنا » ولا يحسن أن يخصب على الظرف ؛ لأنه ظرف مكان محض غير مبهم . وإنما تنمى الاتصال والمصادر إلى ظروف المكان بغير حرف جر إذا كانت مبهمة . قال مكي : هذا أصل لا خلاف فيه ؛ وقد رآه في الآية : وواعدناكم إتيان جانب الطور ؛ ثم حذف المضاف . قال النحاس : أي أمرنا موسى أن يأمرهم بالخروج معه ليكله بحضرتكم فتسمعوا الكلام . وقيل : وعد موسى جد إغراق فرعون أن يأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة ، فالوعد كان لموسى ولكن خطبوا به لأن الوعد كان لأجلهم . وقرأ أبو عمرو « وَوَعَدْنَاكُمْ » بغير ألف واختاره أبو عبيد ؛ لأن الوعد إنما هو من الله تعالى لموسى خاصة ، والمواعدة لا تكون إلا من اثنين ؛ وقد مضى في « البقرة » هذا المعنى . و « الْأَيْمَنِ » نصب ؛ لأنه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال ، فإذا قيل : خذ عن يمين الجبل فمتاه خذ على يمينك من الجبل . وكان الجبل على يمين موسى إذ أتاه . ( وَزَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّالَوَى ) أي في التيه وقد تقدم القول فيه . ( كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) أي من لذيذ الرزق . وقيل : من حلاله إذ لا صنع فيه لأدى فتدخله شبهة . ( وَلَا تَطْفُوا فِيهِ ) أي لا تمحلكم السعة والبسافة أن تمصروا ؛ لأن الطغيان التجاوز إلى ما لا يجوز . وقيل : المعنى ؛ أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم . وقيل : أي ولا تستبدلوا بها شيئا آخر كما قال : « أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . وقيل : لا تذنبوا منه لا أكثر من يوم وليلة ؛ قال ابن عباس : فينقذ عليهم ما أذنبوه ؛ ولولا ذلك ما تذود طعام أبدا . ( فَيَعْلَمَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ) أي يجب ويذل ، وهو منصوب بالفاء في جواب النبي من قوله : « وَلَا تَطْفُوا » . ( فَيَعْلَمَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ) قرأ الأعمش ويحيى بن زئاب والكسائي « فَيَعْلَمَ » بضم الحاء « وَمَنْ يَحْمِلْ » بضم اللام الأولى . والياقون بالكسر وهما لغتان . وحكى

(١) راجع ج ١ ص ٢٩١ طبة ثانية أو ثالثة .

(٢) راجع ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها طبة ثانية أو ثالثة .

أبو عبيدة وغيره : أنه يقال حَلَّ يَحِلُّ إِذَا وَجِبَ وَحَلَّ يَحِلُّ إِذَا تَزَلَّ . وكذا قال الفراء : الضم من الحلول بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب . والمعتبان متضادان إلا أن الكسر أولى ؛ لأنهم قد أجمعوا على قوله : « وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقيمٌ » . وغضب الله عقابه وقسمه وعذابه . (فَقَدْ هَوَى) قال الزجاج : فقد هلك ؛ أى صار إلى الهاوية وهى قعر النار ، من هوى بهوى هوى أى سقط من علو إلى سفلى ، وهوى فلان أى مات . وذكر ابن المبارك : أخبرنا إسماعيل بن عياش قال حدثنا ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير عن شفيّ الأصمعيّ قال : إن فى جهنم جيلا يدعى صموداً يطلع فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يرقاه ؛ قال الله تعالى : « سَأُرِيهِمْهُ صُوداً » وإن فى جهنم قصراً يقال له هوى يرى الكافر من أعلاه فهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله قال الله تعالى : « وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » وذكر الحديث ؛ وقد ذكرناه فى كتاب « التذكرة » .

قوله تعالى : ( وَإِنِّي لَنفَارِقَنَّ تَابَ ) أى من الشرك . (وَأَمَّنْ وَتَعْمَلُ صَالِحًا مُّمْ أَهْتَدَى) أى أقام على إيمانه حتى مات عليه ؛ قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما . وقال ابن عباس : أى لم يشك فى إيمانه ؛ ذكره الماوردى والمهدوى . وقال سهل بن عبد الله التستريّ وابن عباس أيضا : أقام على السنة والجماعة ؛ ذكره الثعلبي . وقال أنس : أخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر المهدوى ، وحكاها الماوردى عن الربيع بن أنس . وقول خامس : أصاب العمل ؛ قاله ابن زيد ؛ وعنه أيضا تعلم العلم ليهتدى كَيْفَ بفعل ؛ ذكر الأؤنل المهدوى ، والثاني الثعلبي . وقال الشعبي ومقاتل والكلبي : علم أن لذلك ثوابا وعليه عقابا ؛ وقاله الفراء . وقول ثامن : « ثم أهدى » فى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قاله ثابت البناني . والقول الأول أحسن هذه الأقوال — إن شاء الله — وإليه يرجع سائرهما . قال وكيع عن سفيان : كان سمع فى قوله عز وجل : « وَإِنِّي لَنفَارِقَنَّ تَابَ » أى من الشرك « وَأَمَّنْ » أى جدد الشرك « وَتَعْمَلُ صَالِحًا » صلى وصام « ثُمَّ أَهْتَدَى » مات على ذلك .

(١) بالصغيرين مات (بإثاء المائة هجرية) الأصمعيّ .

قوله تعالى : « وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى » ﴿٨٦﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَيَجْعَلُ إِلَيْكَ رَبِّي لِيَرْضَى ﴿٨٧﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَتُطَالُ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أُرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاطْلُقْتُمْ مُوعِدِي ﴿٨٩﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩٠﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٩١﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٢﴾

قوله تعالى : { وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى } أى ما حلك على أن تسبقهم . قيل : عنى بالقوم جميع بنى إسرائيل ؛ فعلى هذا قيل : استخلف هرون على بنى إسرائيل ، وخرج معه سبعين رجلا ليقات . فقوله : { هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي } ليس يريد أنهم يسرون خلقه متوجهين إليه ، بل أراد أنهم بالقرب منى ينتظرون عودى إليهم . وقيل : لا بل كان امر هرون بأن يتبع بنى إسرائيل أثره ويحققوا به . وقال قوم : أراد بالقوم السبعين الذين أختارهم ، وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا إلى سماع كلام الله . وقيل : لما وفد إلى طور سيناء بالوعد اشتاق إلى ربه ، وطالت عليه المسافة من شدة الشوق إلى الله تعالى ، فضاق به الأمر حتى شق قيضه ، ثم لم يصبر حتى خلقهم ومضى وحده ؛ فلما وقف في مقابه قال الله تبارك وتعالى : « وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى » فبقى صلى الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب وكفى عته بقوله : « هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي » وإنما سأل عن السبب الذى أجعله بقوله : « ما » فأخبر عن مجيئهم بالأثر . ثم قال : { وَيَجْعَلُ إِلَيْكَ رَبِّي لِيَرْضَى } فكفى عن

ذكر الشوق وصدقه إلى ابتناء الرضا . ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله « وَنَحْنُ  
إِلَيْكَ رَبِّ قَرَضَى » قال : شوقا . وكانت عائشة رضي الله عنها إذا أتت إلى فراشها تقول :  
ها أنا الحميد . فترى بالمصحف فأخذه في صدرها وتنام معه تسلي بذكره ورواه عفيان  
عن معمر عن عائشة رضي الله عنها . وكان عليه الصلاة والسلام إذا أسطرت السماء على نبيه  
ومجد حتى يصيبه المطر ويقول : « إنه حديث عهد بربي » فهذا من الرسول صلى الله عليه  
وسلم وعن بعده من قبيل الشوق ؛ ولأنك قال الله تبارك اسمه يا موسى : « طال شوق  
الأبصار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشوق » . قال ابن عباس : كان الله طالبا ولكن قال  
« وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ » رحمة لموسى ؛ أو أكراما له بهذا القول ؛ وتكينا لقلبه ؛ ودقة طبعه ؛  
فقال جباريه : « مُمُّ أَوْلَى عَلَيَّ أَيْرَى » . قال أبو سالم قال جيسى : بنو نعيم يقولون :  
« مُمُّ أَوْلَى » مقصورة مرسله ، وأصل الجواز يقولون « أَوْلَى » ممدودة . وحكى الفراء  
« مُمُّ أَوْلَى عَلَيَّ أَيْرَى » وزعم أبو إسحق الزجاج : أن هذا لا وجه له . قال النحاس :  
وهو كما قال ؛ لأن هذا ليس ما يضاف فيكون مثل هَذَا . ولا يخلو من إحدى جهتين :  
إما أن يكون اسمها مبهما فإضافته محال ؛ وإما أن يكون بمعنى الذين فلا يضاف أيضا ؛ لأن  
ما بعده من تسماه وهو معرفة . وقرا ابن أبي إسحق ونصه وروى عن يعقوب « على  
أَيْرَى » بكسر الهمزة وإسكان التاء وهو بمعنى أثر ؛ فلتان . « وَنَحْنُ إِلَيْكَ رَبِّ قَرَضَى »  
أي عجلت إلى الموضع الذي أصررت بالمصير إليه لقرضى غنى . يقال : رجلٌ عَجِلٌ وعَجَلٌ وعَجُولٌ  
وعَجَلَانٌ بين العَجَلَةِ والعَجَلَةِ ؛ والعَجَلَةُ خلاف البطء .

قوله تعالى : ( فَأَنَا قَدْ قَتَلْتُ قَوْمَكَ مِنْ يَدِكَ ) أي اختبرتهم وأمتحنهم بأن يستدلوا على  
الله عز وجل . ( وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ ) أي داهمهم إلى الضلالة أو هو سببها . وقيل : فتلهم  
الفتيانهم في الفتنة ؛ أي زينا لهم عبادة السجل ؛ ولهذا قال موسى : « إِنِّي مِنْ أَلَا فِتْنَتِكَ » .  
قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان السامري من قوم يبدون البقر ، فوقع بأرض مصر  
فدخل في دين بني إسرائيل بظواهره ، وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر . وقيل : كان رجلا

من القبط ، وكان جارا لموسى آمن به وتخرج معه . وقيل : كان عظيما من حظه بن إسرائيل ، من قبيلة تيمرف بالسامرة وهم معروفون بالشام . قال سعيد بن جبيرة كان من أهل كرمان . قوله تعالى : ( فَرَجَّ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ قَضِيَانِ أَيْسًا ) حال وقد مضى في « الأعراف » بيانه مستوف . ( قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَدْعُكُمْ رَبُّكُمْ وَقَدْ جَاءَتْكُمْ حَسَنًا ) وعدم عز وجل الجنة إذا أنعموا على طاعته ، وعدم أنه يسمهم كلامه في التوراة على لسان موسى ، ليمسوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم . وقيل : وعدم النصر والتظفر . وقيل : وعدم قوله « وَإِنِّي لَنفَارِكُ لِمَنْ تَابَ وَأَمِنَ » الآية . ( أَفَطَالَ عَلَيْكَ الْهَدَى ) أى أغفيم ، كما قيل ، والثنى . قد ينسب لطول العهد . ( أَلَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) « يحل » أى يحب ويقتل . والغضب المقوم بالثمة . والمعنى : أم أردتم أن تضلوا فلا يكون سبب حلول غضب الله بكم ، لأن أحدا لا يطلب غضب الله ، بل قد يرتكب ما يكون سببا للغضب . ( فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ) لأنهم وعدوه أن يقيموا على طاعة الله عز وجل إلى أن يرجع إليهم من الطور . وقيل : وعدم على أثره ليلقات فتريقوا . ( قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكًا ) بفتح الميم ، وهى قراءة نافع وعاصم وميسرة بن عمرو . قال مجاهد والسدى : ومعناه بظاقتنا . ابن زيد : لم نملك أنفسنا أى كنا مضطرين . وقرا ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر « بِمَلَكًا » بكسر الميم . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، لأنها اللفظة العالية . وهو مصدر ملكت الشيء . أملكه ملكا . والمصدر مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف ، كأنه قال : بملك الصواب بل أخطأنا فهو أصراف منهم بالخطأ . وقرا حمزة والكسائي « بِمَلَكًا » بضم الميم والمعنى بسلطاننا . أى لم يكن لنا ملك فنخلف موعده . ثم قيل قوله : « قَالُوا » عام يراد به الخالص ، أى قال الذين ثبوا على طاعة الله إلى أن يرجع إليهم من الطور : « مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكًا » وكانوا آتوا عشر ألفا ، وكان جميع بن إسرائيل ستمائة ألف . ( وَلَكِنَّا حَمَلْنَا ) بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة ، قراء نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس . الباقون بفتح الحرفين خفيفة . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، لأنهم حلوا محل القوم



مهمهم وما حملوه كرها . (لَوَزَّارًا) أي أهلاً (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أي من حلِيم، وكانوا  
استملوه حين أرادوا الخروج مع موسى عليه السلام، وأومروهم أنهم يمتصون في عيد لهم  
لو ولجة . وقيل : هو ما أخذه من آل فرعون ، لما فزعهم البحر إلى الساحل . وسيت  
لوزاراً بسبب أنها كانت آتياً . أي لم يحل لهم أخذها ولم يحل لهم التفتت ، وأيضاً فالأوزار  
هي الأحمال في اللغة . (تَقْدَفًا) أي جعل علينا حمل ما كان معنا من الحمل فخذفناه في النار  
ليذوب ، أي طرحناه فيها . وقيل : طرحناه إلى السامري فترج قري فيها رأيك . قال قتادة :  
إن السامري قال لهم حين استبطل القوم موسى : إنما أحبس عليكم من أجل ما عندكم من  
الحمل ؛ فجمعوه ودفعوه إلى السامري فرمى به في النار ، وصاح لهم منه عجلاً ، ثم أتى عليه  
قبضة من أثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام . وقال ممر : القوس الذي كان عليه  
جبريل هو الحياة ، فلما أتى عليه القبضة صار عجلاً جسداً له خوار . والخوار صوت البقر ،  
وقال ابن عباس : لما أنشئت الحمل في النار ، جاء السامري وقال لهرن : يا بني الله أؤتي  
ما في يدي — وهو بظن أنه كمص ما جاء به غيره من الحمل — فقف التراب فيه ، وقال :  
كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان كما قال ؛ فلباء والفتنة ؛ فخر خورة واحدة لم يجمعها مثلهما .  
وقيل : خواره وصوته كان بالريح ؛ لأنه كان عمل فيه خروفاً فإذا دخلت الريح في جوفه صار  
ولم تكن فيه حياة . وهذا قول مجاهد . وعلى القول الأول كان عجلاً من لحم دم ، وهو قول  
الحسن وقتادة والسدي . وروى حماد عن سمك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :  
مر هرون بالسامري وهو يصنع العجل ، فقال : ما هذا ؟ فقال : ينفع ولا يضر ؛ فقال :  
أنهم أعطوه ما سألك على ما في شه ؛ فقال : اللهم إني أسألك أن تجور . وكان إذا صار  
مجدوا ، وكانت الخوار من أجل دعوة هرون . قال ابن عباس : صار كما يجور الحي من  
البعير . وروى أن موسى قال : يا رب هذا السامري أخرج لحم عجلاً جسداً له خوار من  
حليم ، فمن جبل الجسد والخوار ؟ قال الله تبارك وتعالى : أنا . قال موسى صلى الله عليه  
وسلم : وعزتك وجلالك وأرغامك وطوك وسلطانك ما أضلهم فترك . قال : صدقت يا حكيم

الحكمة . وقد هلك هذا كله في سورة الأعراف . ( قَالُوا هَذَا إِلَهُكَ وَإِلَهُ مُوسَى )  
 أي قال السامري ومن تبعه وكانوا ميالين إلى التشبه ، إذ قالوا : « أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ  
 آلِهَةٌ » . ( فَنَسِيَ ) أي فضل موسى [ ونهب ]<sup>(١)</sup> بطلبه فلم يعلم مكانه ، وأخطأ الطريق  
 إلى ربه . وقيل معناه : تركه موسى هنا ونخرج بطلبه . أي ترك موسى إلهه هنا . وروى  
 إسرائيل من سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : أي نسى موسى أن يذكر لكم أنه إله .  
 وقيل : انطلمب خبر عن السامري . أي ترك السامري ما أمره به موسى من الإيمان بفضله ،  
 قاله ابن الأعرابي . فقال الله تعالى عتبا عليهم : ( أَفَلَا يَرَوْنَ ) أي يعتبرون ويشفكرون  
 في ( أَنْ ) ( لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ) أي لا يكلمهم . وقيل : لا يعود إلى الخوار والصوت .  
 ( وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ حَرًّا وَلَا قَمًّا ) فكيف يكون إلها ؟ والذي يبده موسى صلى الله عليه وسلم  
 يضر وينفع ويثيب ويعطي ويمنع . « أَنْ لَا يَرْجِعُ » تقديره أنه لا يرجع لذلك أرضع الفعل  
 تلففت « أَنْ » وجذب الضمير . وهو الاختيار في الرؤية والعلم والظن . قال :  
 في نسخة من سيوف الهند قد ملوا . « أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْتَقِرُ وَيَتَعَلَّ »  
 وقد يحذف مع التشديد ، قال :

فلو كنت شيئا عرفت قرأني . ولكن زنجي عظيم المشافير  
 أي ولكنت .

قوله تعالى : وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ  
 وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ (١٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ  
 عَنَافَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (١١) قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ  
 ضَلُّوا (١٢) أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (١٣)

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ ) أي من قبل أن يأتي موسى ويرجع  
 إليهم ( يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ) أي ابتليتم واضلتم به ، أي بالعباد ( وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ )

(١) راجع ج ٧ ص ٢٥٤ وما بعدها طيبة أولادنا . (٢) زيادة يقتضها السياق .

لا السبل (فَأَتَيْنُوهُ) في عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) لا أمر السامري. أو فأتينوني مسيرى  
 إلى موسى ودعوا السبل، فمضوا و (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) أي لن نزال مقبضين  
 على عبادة السبل (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) فينظر هل بيده كما عبده، فهو هو أن موسى  
 بعد السبل، فاعتلم هرون في آتني عشر ألفا من الذين لم يعبدوا السبل، فلما رجع موسى  
 وسمع الصباح والجلبة وكانوا يرقصون حول السبل قال للبعين معه: هذا صوت الفتنة،  
 فلما رأى هرون أخذ شعرا راسه بجنبه وحبته بشاله غضبا و (قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ  
 ضَلُّوا) أي أضلوا الطريق وكفروا (أَلَا تَتَّقِينِ) ولا زائدة أي أن تتع أمرى ووصيتي.  
 وقيل: ما منعك عن اتباعي في الإنكار عليهم. وقيل: معناه فلا قاتلتهم. إذ قد علمت أني  
 لو كنت بينهم لفاتتهم على كفرهم. وقيل: ما منعك من الحق، بل لما قُتِلُوا. (أَفَصَبْتِ  
 أَمْرِي) يريد أن قاتلت بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لى، قاله ابن عباس.  
 وقيل: معناه فلا فارقتهم فتكون مفارقتك إياهم غريبا لم وزجرا. ومعنى أَفَصَبْتِ  
 أَمْرِي: قبل: إن أمره ما حكاه الله تعالى عنه وقال موسى لأخيه هرون أخلصني في قومي  
 وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. فلما أقام معهم، ولم يبالع في منهم، والإنكار عليهم،  
 فنه إلى عصيانه وعائلة أمره.

مسئلة - وهذا كله أصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنبه ومفارقة أهله،  
 وإن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيا بحكمه حكمهم. وقد هي هذا المني و آل عمران  
 والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأفقال. ومثل الإمام أبو بكر الشَّارِطِيُّ رحمه الله:  
 ما يقول. سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأعلم - حرس الله مدته - أنه أجمع جماعة  
 من رجال، فيكفون من ذكر الله تعالى، وذكركم صلى الله عليه وسلم، ثم إنهم يوقنون  
 بالقصيب على شيء من الأديم، ويغوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مفتشيا عليه،  
 ويحضر شينا ياكلونه. هل المحضور معهم جائز أم لا؟ أقوا ماجورين. وهذا القول  
 الذي يذكره،

يُشِخُّكَفَ عَنِ الذُّنُوبِ • قَبْلَ التَّضَرُّقِ وَالزَّلِّ  
وَأَعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا • مَا دَامَ يَنْفَعُكَ الْعَمَلُ  
أَنَا الشَّبَابُ قَدْ مَضَى • وَشَيْبُ رَأْسِكَ قَدْ تَزَلَّ

وفي مثل هذا ونحوه : الجواب : — يرحمك الله — مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري ، لما أخذ لهم مجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوالبه ويتواجدون ؛ فهو دين الكفار وعباد العجل ؛ وأما القضيبي فأول من أخذته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى ؛ وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار ؛ فلبني السلطان ونوابه أن يتمتع من الحضور في المساجد وغيرها ؛ ولا يحصل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا يبينهم على باطلهم ؛ هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والثمامي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق .

قوله نمال : قَالَ يَنْتُومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ١٦ إِنِّي خَشِيتُ  
أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ١٧ قَالَ قَدْ خَطَبُكَ  
يَسْمَعِي ١٨ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ  
الرَّسُولِ فَنَبَلْتُهَا كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ١٩ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى  
إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ٢٠  
إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ٢١

قوله نمال : ( يَا بَنِي آدَمُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) ابن عباس : أخذ شعره بيده  
ولحيته يباركه ؛ لأن النيرة في الله ملكه ؛ أي لا تفعل هذا فيتوهوا أنه منك استخفاف

أو عقوبة . وقد قيل : إن موسى عليه السلام إنما نزل هنا على غير استخفاف ولا عربة كما يأخذ الإنسان بلعبة نفسه . وقد مضى هنا في « الأعراف » مستوف . والله عز وجل أعلم بما أراد نبيه عليه السلام . ( إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَحُولَ فَرَقَتَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ ) أي خشيت أن أخرج وأتركهم وقد امرتني أن أخرج معهم ، فلو خرجت لأجبن قوم ويختلف مع العجل قوم ، وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء ، وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال فتلومني على ذلك . وهذا جواب هرون لموسى عليه السلام عن قوله : « أَتَعْصِمُ عَنْ أَمْرِى » وفي الأعراف « إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّوكُنِي وَكَادُوا يُكَلِّمُونِي فَلَا تُكَلِّمُهُمُ فِي الْإِعْدَاءِ لِأَنَّ أَمْرَتِي أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ . وقد تقدم . ومعنى ( وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ) لم تسبل بوصفي في حفظه ، قاله مقاتل . وقال أبو عبيدة : لم تنتظر عهدي وقدوى . فتركه موسى ثم أقبل على السامري ف ( قَالَ قَسَاخُطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ) أي ، ما أسرك وشاؤك ، وما الذي حاكك من « اصنعت ؟ قال فتادة : كان السامري مغنيا في بني إسرائيل من قبيلة وقليل من الحاسانية ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى ، فلما مررت بنو إسرائيل بالماء وهم يمشكون على أصنام لهم « قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَخَفَّتْهَا السَّامِرِيُّ فَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَلُودُونَ لِعِبَادَةِ الْعِجْلِ فَاتَّخَذَ الْعِجْلَ . ف ( قَالَ ) السامري عجبيا لموسى : ( بِصُورِهِمْ جَاءَ لَمْ يَصُرُوا بِهِ ) يعني : رأيت ما لم يروا ، رأيت جبريل عليه السلام على فرس الحيلة ، فالتقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة ، فإني أفتنه على شيء إلا صار له روح ولم يدم ، فلما حالوا أنه يحمل لهم إلها زينت في نفسي ذلك . وقال علي بن فضال : مضى الله عنه : لما نزل جبريل ليصعد موسى عليه السلام إلى السماء ، أبصره السامري من بين الناس قبضة من أثر الفرس . وقيل قال السامري : رأيت جبريل على الفرس وهي تلقى خطواته من البصر ، فالتقي في نفسي أن أقبض من أثرها فإني أفتنه على شيء إلا صار له روح ولم يدم . وقيل : رأى جبريل يوم نزل على مكة وذيبي ، فقدم خيل فرعون في ورود البحر . ويقال : إن أم السامري جعلته حين وضعت في غاي خوفها

(١) راجع ص ٧٧ ص ٢٨٩ وما بعدها طبعه أبو طه .

(٢) المركبة : الفرس والبزفة التي تتخذ شكلها حريب . وهي هنا القوس والبرذون . التي تتسمى القوس .

من أن يقتله فرعون؛ فجاهه جبريل عليه السلام، بفعل كَيْفَ السامري في تم السامري،  
 فوضع السبل والطين فأخلف إلى فرعه من حيث لا يحتسب. وقد جرد هذا المعنى في «الأصناف»<sup>(١)</sup>  
 ويقال: إن السامري سمع كلام موسى عليه السلام، حيث عمل فتالين من شيخ أحدهما تور  
 والآخر فرس فالتفهما في الليل طلب قبر يوسف عليه السلام وكان في نابوت من حجر في قبيل،  
 فأتى به التور على قرنه، فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى، وألقى القُبضة  
 في جوف العجل نثار. وقرأ حزقيا والكسائي والأعشى وخلف «يَسَاءَ لَمْ تَبْصُرُوا» بآلاء على  
 الخطأ، فلبثوا بالياء على الخبر. وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والحسين وقادة «قَبِضْتُ»  
 قُبْضَةً «بصاد غير معجمة». وروى عن الحسن بن علفان من «قُبْضَة» و«الصاد غير  
 معجمة». الباقون: «قَبِضْتُ قُبْضَةً» بالصاد المعجمة. والفرق بينهما أن القبض يجمع  
 الكف، والقبض يطرأ الأضباع، ونحوهما الخضم والقضم، والقُبْضَة بضم القاف القدر  
 المقبوض؛ ذكره المهلوي. ولم يذكر الجوهري «قُبْضَة» بضم القاف والصاد غير معجمة،  
 وإنما ذكر «القُبْضَة» بضم القاف والصاد المعجمة وهو ما قبضت عليه من شيء؛ يقال:  
 أعطاه قُبْضَة من سويق أو تمر أي كفا منه، وربما جاء بالفتح. قال: «والقبض بكسر القاف  
 والصاد غير المعجمة العدد الكثير من الناس؛ قال البيت:

لكم مسجد الله المزوران والمحصى • لكم قُبْضَة من بين أثرى وأقترى<sup>(٢)</sup>

(قَبِضْنَا) أي طرحنا في العجل.

(وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي قَبِي) أي زينه؛ قاله الأخفش. وقال ابن زيد: حدثني

غسي. والمعنى متغارب.

قوله تعالى: «قَالَ قَدْ أُعْطِيَ أَي قَالَ لَهُ مُوسَى فَأَنْهَب أَي مِنْ بَيْنَا» (قَالَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ  
 أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ) أي لا أس ولا أسس طول الحياة. ففاه موسى عن قومه وأمر بني  
 إسرائيل ألا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكتبوه عقوبة له. قال الشاعر:

نَمِ كَرِهَ السَّامِرِي وَقَوْلُهُ • أَلَا لَا يَرِيدُ السَّامِرِي مَسَاسًا

(١) وراجع ج ٧ ص ٢٨٤ طبة أدب أمية - (٢) أي من بين مرقول.

قال الحسن : جعل الله عقوبة السامري ألا يمس الناس ولا يمسوه عقوبة له ولن كان منه إلى يوم القيامة ؛ وكان الله عز وجل شديد عليه المحنة ، بأن جعله لا يمس أحدًا ولا يمكن من أن يمس أحد ، وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا . ويقال : أبطل بالومواس ؛ وأصل الومواس من ذلك الوقت . وقال قتادة : بقا بهم إلى اليوم يقولون ذلك - لامساس - وإن من واحد من عيهم أحدًا منهم حرم كلامي الوقت . ويقال : إن موسى ثم قتل السامري ، فقال الله تعالى له : لا تقتله فإنه محمي . ويقال لما قال له موسى : ( تَأَذَّهْبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ) يخاف هرب فجعل بهم في البرية مع السباع والوحش ، لا يجد أحدًا من الناس يمس حتى صار كالفائل لا ماس ؛ لبعده عن الناس وبعد الناس عنه ؛ كما قال الشاعر :

حَالُ رَأَيْتُ بِهَا قَتَايَا حَتَّى تَمُوتَ الْأَزْدُ لَا مَسَابَا

مسئلة : هذه الآية أصل في هي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يتخلطوا ، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خُنِفُوا ، ومن التجأ إلى الحرم وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقهاء ، ولكن لا يمس ملي ولا يساج ولا يشارى ، وهو إرهاب إلى الخروج . ومن هذا القليل التعريب في حد الزنى ، وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه ، فلا معنى لإعادته . وأحمد الله وحده . وقال هرون الفارسي : ولغة العرب لا ماسيس بكسر السين وفتح الميم . وقد تكلم النحويون فيه ؛ فقال سيبويه : هو مبنى على الكسر كما يقال اضرب الرجل . وقال أبو إسحق : لا ماسيس هي وكسرت السين لأن الكسرة من علامة التأنيث ؛ تقول : فعلت بأمرأة . قال النحاس : وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول : إذا أعتل الشيء من ثلاث جهات وخب أن يبنى ، وإذا أعتل من جهتين وجب ألا ينصرف ؛ لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء ؛ فاس ودرالك أعتل من ثلاث جهات ؛ منها أنه معدول ، ومنها أنه مؤنث ، وأنه معرفة ؛ فلما وجب البناء فيه وكانت الألف قبل السين ساكنة كسرت السين لانقضاء الساكنين ؛ كما تقول : أصرب الرجل . ورأيت أبا إسحق

(١) كما في الأصل ، ولم حذف عليه .

ينهب إلى أن هذا القول خطأ ، وأزم أبا العباس إذا سمي امرأة فرعون بيذه ، وهذا لا يقوله أحد ، وقال الجوهرى فى الصحاح : وأما قول العرب لا مَسَّاسَ مثال فطام فأنما بنى على الكسر لأنه معدول عن المصدر وهو المَسَّ . وقرأ أبو حيوه «لا مَسَّاسَ» - (وَإِنْ أَنتَ بِعَدِّ آتٍ تَحْقُقُهُ) جنى يوم القيامة . والموعده مصدر ، أى إن لك وعدا لعذابك . وقرأ ابن كثير : أبو عمرو «تَحْقُقُهُ» بكسر اللام وله معنيان ، أحدهما - ستأتيه ولن تجده مطلقا ؛ كما نقول : أحدثه أى وجدته محمدا . والثانى - على التهديد أى لا بد لك من أن تصير إليه . أب وبن يفتح اللام ؛ بمعنى : إن الله لن يخلقك إياه .

فيه حال : (وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ) أى دمت واقفت عليه . (عَاكِفًا) أى ملازما . وأصله ظَلْتَ ؛ قَالَ :

خَلَا أَنِ الْبَتَّاقُ مِنَ الْمَطَايَا • أَحْسَنَ بِهِ فَهَوَّ إِلَى سُوسِ

أى أَحَسَّنَ . وكذلك قرأ الأعمش بلامين على الأصل . وفى قراءة ابن مسعود «ظَلَّتْ» بكسر الظاء . يقال : ظَلَّتْ أفضل كذا إذا ضلته نهارا وظَلَّتْ وظَلَّتْ ؛ فمن قال : ظَلَّتْ حذف اللام الأولى تخفيفا ؛ ومن قال : ظَلَّتْ ألغى حركة اللام على الظاء . و (لَتَحْرِقَهُ) قراءة العامة بضم النون وشدة الراء من حَرَّقَ يَحْرِقُ . وقرأ الحسن وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء ، من أحرقه يَحْرِقُهُ . وقرأ على وابن عباس وأبو جعفر وابن جرير وأشباه العقيل «لَتَحْرِقَهُ» بفتح النون وضم الراء خفيفة ، من حرقت الشيء أحرقه حرقا برذته وحككت بعضه ببعض ، ومنه قولهم : حَرَّقَ نَابَهُ يَحْرِقُهُ وَيَحْرِقُهُ أى يحرقه حتى سمع له صرير ؛ فعنى هذه القراءة لتبرئته بالبارد ، ويقال للبرد المَحْرَق . والقراءتان الأولىان معناهما الحريق بالبارد . وقد يمكن جمع ذلك فيه ؛ قال السدى : ذبح العجل فسأل منه كما يسأل من العجل إذا ذبح ، ثم برد عظامه بالبرد وحرقه . وفى حرف ابن مسعود «لَتَذْبَحَنَّهُ ثُمَّ لَتَحْرِقَهُ» والهم والدم إذا أحرقا

(١) أبو هريرة ؛ والثوس (بالضرب) قال ابن سيدة : أن يتر بأحدى عينيه ، ويميل وجهه فى شئ الدين الذى ينظر بها ؛ ويكون ذلك خفة ، ويكون من الكبرياء والفساد .



حلوا رمادا فيمكن تخرينه في الرم؛ فاما الذهب فلا يصبر رمادا. وقيل: حرف موسى ماصبر به الذهب رمادا، وكان ذلك من آياته . وسَمَى (لَنَيْفَتَهُ) لطيرته . وقرا أبو رجاء «لَنَيْفَتَهُ» بضم السين لفتان ، والنسف نقض الشيء لينهب به الريح وهو التذرية ، والنسف ما يُلْصَف به الطعام ، وهو شيء منصوب المصدر أعلاه مرتفع ، والنسافة ما يسقط منه ؛ يقال : أعزل النسافة وكُل من الخالص . ويقال : أنا فلان كاذب لحية يَنْسِف ؛ حكاه أبو نصر أحمد بن حاتم . والنسفة كذا يُلْع بها البناء ، ونسفت البناء نسفا قلعت ، ونسف البعير الكلا يَنْسِفُهُ بالكسر اذا اقلعه بأصله ، وأنسفت الشيء اقلعته ؛ عن أبي زيد .

قوله تعالى : (إِنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) لا يعمل ، أى وسع كل شيء ، علمه ؛ يفعل الفعل من العلم ؛ ونصب على التفسير . وقرا مجاهد وقاده « وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا » .

قوله تعالى : كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ مَسَّ قَوْمًا أَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَنُحْجِلُنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرِثَةً ﴿١٠٢﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حَلَا ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٤﴾ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى : (كَذَلِكَ) الكاف في موضع نصب مت لمصدر محذوف ، أى كما قصصنا عليك خبر موسى (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ) قصصا كذلك من أخبار ما قد سبق ؛ ليكون تسمية لك ، وليلد على صدقك . (وَقَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا) معنى القرآن . ومعنى القرآن ذكرًا ، لما فيه من الذكر كما سمى الرسول ذكرًا ؛ لأن الذكر كان يقول عليه . وقيل : « أَتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا » أى شرفا ، كما قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ » أى شرف وتوبه بأهلك .

قوله تعالى : (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) أى القرآن فلم يؤمن به ، ولم يعمل بما فيه (فَأَنَّهُ يُحْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) أى إنما عظميا وحملًا قهلا . (خَالِدِينَ فِيهِ) يريد مقيمين فيه ، أى فى جزائه وجزاؤه جهنم . (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) يريد بش الحبل حملوه يوم القيامة . وقرأ داود ابن ربيع « فَأَنَّهُ يُحْمَلُ » .

قوله تعالى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) قراءة العامة « يُنْفَخُ » بضم الياء على الفعل المجهول . وقرأ أبو عمرو وابن أبى إسحق بنون مسمى الفاعل ، واستدل أبو عمرو بقوله تعالى : « وَيَحْمِشُرُ » بنون . وعن ابن هُرَيْرٍ « يُنْفَخُ » بفتح الياء أى ينفخ إسرائيل ، أبو عياض : « فى الصور » . الباقيون : « فى الصور » وقد تقدم هذا فى « الأنعام » مستوفى وفى كتاب « التذكرة » . وقرأ طلحة بن مُصَرِّف « وَيَحْمِشُرُ » بضم الياء « المجرمون » رفعا بخلاف المصحف . والباقيون (يَحْمِشُرُ المجرمين) أى المشركين . (زُرْقًا) حال من المجرمين ، والزُرْق خلاف الكحل . والعرب تشاءم بزُرْق العيون وتذته ، أى تشوه خلقهم بزرقه عيونهم وسواد وجوههم . وقال الكلبي والقراء : « زرقًا » أى عيبا . وقال الأزهري : عطاشا قد أزرقأت أعينهم من شدة العطش ؛ وقاله الزجاج ؛ قال : لأن سواد العين يتغير ويَزُرْق من العطش . وقيل : إنه الطمع الكاذب إذا تغلبت الخيبة ؛ يقال : أبيضت عيني لطول انتظارى لكذا . ونسول خامس : إن المراد بالزرقه شغوص البصر من شدة الخوف ؛ قال الشاعر :

لقد زُرقت عينك يا بن مُكَمَّرٍ • كما كُلُّ ضَيٍّ من اللؤم أزرَقُ

يقال : وجل أزرق العين ، والمرأة زرقاء بينة الزُرْق ، والأسم الزرقعة . وقد زُرقت عينه بالكسر وأزرق عينه أزرقا ، وأزراقت عينه أزر بقا . وقال سعيد بن جبير : قيل لابن عباس فى قوله « وَيَحْمِشُرُ المجرمين يَوْمَئِذٍ زُرْقًا » وقال فى موضع آخر : « وَيَحْمِشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمٌَا وَبُكَاءٌ وَصُما » فقال : إن ليوم القيامة حالات ؛ فحالة يكونون فيها زرقاء ، وحالة عُمٌَا . (يَحْمِشُرُونَ يَتَّخِذُونَ يَتَّخِذُونَ) أصل انخفت فى اللغة السكون ، ثم قيل لمن خفض صوته خَفَنَهُ .

يسارون؛ قاله مجاهد؛ أى يقول بعضهم لبعض فى الموقف سرا (إِنْ لَيْتُمْ) أى ما ليت منى  
فى الدنيا، وقيل: فى القيور (إِلَّا عَشْرًا) يريد عشريال. وقيل: أراد ما بين الضميتين وهو  
أربعون سنة؛ يرفع العذاب فى تلك المدة عن الكفار - فى قول ابن عباس - فيستعصرون  
تلك المدة. أو مدة مقامهم فى الدنيا لئلا ما يرون من أهوال يوم القيامة؛ ويحيل إلى أنهم  
أى أعد لهم قولا وأعطاهم عند نفسه أنهم ما ليرا إلا يوما واحدا منى لهم فى الدنيا؛  
عن قتادة؛ فالقدير: إلا مثل يوم. وقيل: لهم من شدة هول المطلع نسوا ما كانوا فيه من  
نسيم الدنيا حتى راوه كريم. وقيل: أراد بيوم لهم ما بين الضميتين، أو لهن فى القيور على  
ما تقدم. «وعشرا» و«يوما» متصويان بـ«ليتم».

قوله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ  
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ يَوْمَئِذٍ  
بَتِّيْعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ  
إِلَّا هَمْسًا ۚ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ  
لَهُ ۖ قَوْلًا ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ عَلِمًا ۚ  
قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) أى عن حال الجبال يوم القيامة. (فَقُلْ) جاء  
هذا بقاء وكل سؤال فى القرآن «قل» بغير فاء، إلا هذا، لأن المعنى إن سألك عن الجبال  
فقل، فنضمن الكلام معنى الشرط. وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال،  
وتلك أسئلة تقدمت سألوها عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقاء الجبال عقب السؤال؛ فذلك  
كان بغير فاء، وهذا سؤال لم يسأله عنه بعد؛ فنظمه. (يَنْسِفُهَا) بطريقها. (نَسْفًا) قال  
ابن الأعرابي وغيره: بقلعها قلعا من أسوأها، ثم بصيرها رملا يسيل سيلًا، ثم بصيرها كالصوف  
المنفوش تطيرها الرياح هكنا وهكنا. قال: ولا يكون المعنى من الصوف إلا المصبوغ،  
ثم كالمياه المنثورة. (فَيَذَرُهَا) أى يذر مواضعها (قَاعًا صَفْصَفًا) القاع الأرض المساء



عنه . وطل هذا أكثر العلماء . وقيل : « لَا يَجُوزُ لَهُ » أى لدائه . وقيل : يَقْمُونَ الداعي  
 أتباعاً لأعرج له ؛ فالمصدر مضمّر ؛ والمعنى : يَقْمُونَ صوت الداعي الحشر ؛ فذلك .  
 « وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ » الآية . وسباق . ( وَخَشَعَتِ الْأَصْوَادُ )  
 أى ذَلَّتْ وسكنت ؛ عن ابن عباس قال : لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال  
 الخشع ، فكل لسان ساكت هناك للهية . ( لِلرَّحْمَنِ ) أى من أجله . ( نَلَّا نَسْمَعُ إِلَّا هَآهَآ )  
 الخمس الصوت الخفى ؛ قاله مجاهد . عن ابن عباس : الحسن الحنفى . الحسن وابن جريح ؛  
 هو صوت وقع الأقدام بعثتها على بعض إلى الحشر ؛ ومنه قول الراجز :  
 • وَهْنُ يَمْشِيْنَ بِهَا هَيْبَةً •

بنى صوت أخفاف الإبل فى سيرها . ويقال للأسد الهدوس ؛ لأنه يمس فى الظلمة ؛  
 أى يبطا وطئا خفياً . قال رؤبة بصف نفسه بالنقة ؛  
 لَيْتَ يَذُقُ الْأَسَدَ الْهُدُوسَا • وَالْأَفْقَيْنِ النَّيْلَ وَالْجَامُوسَا  
 وهمن الطعام ؛ أى مضغه وقوره منضم ؛ قال الراجز ؛  
 لقد رأيتُ عجباً مذ أنَا • عجائزاً مثلَ السَّعَالِ تَعْتَا  
 • بِأَكْلِنَ مَا أَصْعَقَا هَآهَآ •

وقيل : الخمسُ غمرتك الشفة واللسان . وقرأ ابن كعب « نَلَّا يَنْطَفُونَ إِلَّا هَآهَآ » .  
 والمعنى مقارب ؛ أى لا يسمع لم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام . وبناء ( هم س ) أصله  
 الخفاء كيفاً تصرف ؛ ومنه الحروف الهدوسة ، وهى عشرة يجمعها قولك : ( حَنَّةٌ تُخَضُّ  
 فَسَكَّتْ ) وإنما سُمى الحرف مهموساً لأنه ضَعُفَ الاعتمادُ من موضعه حتى جرى معه التمس .  
 قوله تعالى : ( يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ) « من » فى موضع نصب  
 على إكشاف الخارج من الأول ، أى لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعته من أذن له الرحمن .  
 ( وَرَضَى لَهُ قَوْلًا ) أى رضى قوله فى الشفاعة . وقيل : المعنى ، أى إنما تنفع الشفاعة لمن أذن  
 له الرحمن فى أن يشفع له ، وكان له قول يرضى . قال ابن عباس : هو قول لا إله إلا الله .

(١) سمى النبل والجاموس ، أفهين لونهما وهو الثمرة .

قوله تعالى : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أى من أمر الساعة . (وَمَا خَلَقَهُمْ) من أمر الدنيا  
قوله قتادة . وقيل : يعلم ما يصيرون إليه من ثواب أو عقاب . وما خلقهم . ما خلقوه وراهم  
في الدنيا . ثم قيل : الآية عامة في جميع الخلق . وقيل : المراد الذين يقيمون الداعي .  
والحمد لله .

قوله تعالى : (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ شَيْئًا) الملاء في « به » لله تعالى ؛ أى أحد لا يحيط به  
علما ؛ إذ الإحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الله عن التحديد . وقيل : تعود على العلم ؛ أى أحد  
لا يحيط علما بما يعلمه الله . وقال الطبري : الضمير في « أيدىهم » و « خلقهم » و « يحيطون »  
يود على الملائكة ؛ أعلم الله من يعلمها أنها لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها .

قوله تعالى : وَعَنْتِ أَوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ  
ظُلُمًا ۖ (١١٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا  
وَلَا هَضْمًا ۖ (١١٧)

قوله تعالى : (وَعَنْتِ أَوُجُوهُ) أى ذلت وحضمت ؛ قاله ابن الأعرابي وغيره . ومنه  
قيل للإسیر طين . قال أمية بن أبي الصلت :  
ملكك على عرش النبأ مهين . لسزته تنور الوجوه وتسجد  
وقال أيضا :

وَسَنَالَهُ وَجْهِي وَخَلَقِي حَكْلَهُ . في الساجدين لوجهه مسكورا

قال الجوهري : عنا ينور خضع وذل وأضاء فيه ؛ ومنه قوله تعالى : (وَعَنْتِ أَوُجُوهُ لِلْحَيِّ  
الْقَيُّومِ) . ويقال أيضا : عنا فيهم فلان أسيرا ؛ أى أقام فيهم حل إيساره وأحبس . وعناه  
فيه تمنية حبه . والماتى الأسير . ونوم حنة ونسوة حوائن . وعنت به أمور ترك . وقال  
ابن عباس : « عنت » ذلت . وقال مجاهد : خشعت . للساوردى ؛ والفرق بين الذل  
والخنوع . وإن توارب معاهما . أن الذل أن يكون قليل النفس ، والخنوع أن يتذل  
لدى طاعة . وقال الكلبي : « عنت » أى طبت - عطية العرفى ؛ استسلمت . وقال طائفة

ابن حبيب : إنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود . الناس : « وَعَنَتِ الْوُجُوهُ »  
في معناه قولان : أحدهما - أن هذا في الآخرة . وروى عكرمة عن ابن عباس « وَعَنَتِ  
الْوُجُوهُ لِلْيَتِيمِ الْقَبُومِ » قال : الركوع والسجود ؛ ومعنى « عنت » في اللغة التهر والتغلب ، ومنه  
فتحت البلاد عتوة أى غلبة ؛ قال الشاعر :

فما أخذوها عتوة عن مودة • ولكن ضرب المشرق استقاماً

وقيل : هو من العناء بمعنى التعب ؛ وكفى عن الناس بالوجود ؛ لأن آثار الذل إنما تتبين  
في الوجه . ( لَيْتَى الْقَبُومِ ) وفي القبوم ثلاث نوايلات ؛ أحدها - أنه القائم بتدبير الخلق .  
الثاني - أنه القائم على كل نفس هاكبت . الثالث - أنه الدائم الذي لا يزول ولا يبد .  
وقد مضى في « البقرة » هذا . ( وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ) أى خسر من حل شركاً .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يَسْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ) لأن العمل لا يقبل من غير إيمان .  
« من » في قوله : « مِنَ الصَّالِحَاتِ » للتبويض ؛ أى شيئاً من الصالحات . وقيل : للجنس ؛  
( فَلَا يَخَافُ ) فرا ابن كثير وثيابه وابن محجن « يَخَفُ » بالجرم جواباً لقوله : « وَمَنْ  
يَسْمَلُ » . البافون « يَخَافُ » رُما على الخبر ؛ أى فهو لا يَخَافُ ؛ أو فإنه لا يخاف . ( ظُلْمًا )  
أى نقصاً لنواب طاعته ، ولا زيادة عليه في سيئاته . ( وَلَا حَقًّا ) بالنقص من حقه .  
والمهضم النقص والكسر ؛ يقال : هَضَمْتُ ذلك من حق أى حططته وتركته . وهذا يهضم  
الطعلم أى ينقص ثقله . وأمرأة هَضِيمُ الكشح ضامرة البطن . الماوردى : والفرق بين  
الظلم والمهضم أن الظلم المنع من الحق كله ، والمهضم المنع من بعضه ، والمهضم ظلم وإن اترقا  
من وجه ؛ قال المتوكل اللقي :

إِنَّ الْإِذْلَةَ وَاللَّسَامَ لَمَشْرُ • مَوْلَاهُمُ الْمُتَهْضَمُ الْمَظْلُومُ

قال الجوهري : ورجل هَضِيمٌ مُهْضَمٌ أى مظلوم . وَتَهْضُمُهُ إِذَا ظَلَمَهُ وَأَهْضَمَهُ إِذَا ظَلَمَهُ  
وَكَسَّرَ عَلَيْهِ حَقَّهُ .

(١) أخذوا الحرا ، لكن كذا في « المساء » . (٢) راجع ج ٢ ص ٢٧١ وما بعدها طبعه أول أرثانية ؛

قوله تعالى : **وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ** ﴿١١١﴾

قوله تعالى : **(وَكَذَلِكَ)** أى كما بينا لك فى هذه السورة من البيان بكذاك جعلناه **(قُرْآنًا عَرَبِيًّا)** أى بلسة العرب . **(وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ)** أى بينا ما فيه من التخيوف والتهديد والتواب والعقاب . **(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)** أى يخافون الله فيجتنبون معاصيه ، ويعذرون عقابه . **(أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)** أى موعظة . وقال قتادة : حذرا وورعا . وقيل : شرفا ؛ فالذكر ما هنا بمعنى الشرف ؛ كقوله : **« وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ »** . وقيل : أى لينذكروا المذاب الذى توعدوا به . وقرا الحسن **« أَوْ يُحْدِثُ »** بالنون ؛ وروى عنه رفع الراء وجزئها .  
قوله تعالى : **(فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقَّ)** لما عرف العباد عظيم نعمه ، وإزال القرآن نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال : **« فَتَعَلَّى اللَّهُ »** أى جل الله الملك الحق ، أى ذو الحق . **(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ)** علم نبيه كيف يتلقى القرآن . قال ابن عباس : كان عليه السلام يادى جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ ، وشغفة على القرآن عافة النسيان ، فهما الله عن ذلك وأزله **« وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ »** . وهذا كقوله : **« لَا تَحْرُكْ يَدَيْكَ لِتَكُونَ مِنْكُمْ »** على ما يأتى . وروى ابن أبى نجیح عن مجاهد قال : لآتله قبل أن ينشئه . وقيل : **« وَلَا تَعْجَلْ »** أى لا تسئل إزاله **« مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ »** أى بآتيك **« وَحْيُهُ »** . وقيل : المعنى لا تلقه إلى الناس قبل أن آتيك بيان تأويله . وقال الحسن : نزلت فى رجل لطم وجهه أمرأته ، فقامت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها القصاص ، فقل **« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ »** ولهذا قال : **« وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »** أى فوما ؛ لأنه عليه السلام حكم بالقصاص وأبى الله ذلك . وقرا ابن مسعود وغيره **« مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ »** بالنون وكسر الضاد **« وَحْيُهُ »** بالنصب .



قوله تعالى : وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَنسَىٰ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ  
عَٰزِماً (١٥)

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَنسَى ) فَرَأَى الْأَعْمَشُ بِاخْتِلَافِ  
«نَنسَى» بِإِسْكَانِ الْيَاءِ لَهُ مَعْنَانِ : أَحَدُهُمَا : تَرَكَ ، أَيْ تَرَكَ الْأَمْرَ وَالْعَهْدَ ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ  
وَأَكْثَرِ الْمُرْسَلِينَ وَمِنْهُ «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» . [وَرَأَيْنَاهُمَا] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «نَسَى» هَذَا مِنَ السُّبُورِ  
وَالنَّسْيَانِ ، وَإِنَّمَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ لِأَنَّهُ عَهِدَ إِلَيْهِ نَسَى . قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : نَسَى مَا عَهِدَ اللَّهُ  
إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ عَزَمٌ مَا أَطَاعَ عَهْدَهُ إِبْلِيسَ . وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَجْعَلُ أَنَّ يَكُونَ  
آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ مَأْخُوفًا بِالنَّسْيَانِ ، وَإِنْ كَانَ النَّسْيَانُ هَذَا الْيَوْمَ مَرْفُوعًا .  
وَمَعْنَى «مِنْ قَبْلِ» أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، لِأَنَّهُ نَسَى عَنْهَا . وَالْمُرَادُ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيْ طَاعَةِ بَنِي آدَمَ الشَّيْطَانِ أَمْرٌ قَدِيمٌ ، أَيْ إِنْ قَفَّضَ هَؤُلَاءِ الْعَهْدَ فَإِنَّ  
آدَمَ أَيْضًا عَهِدًا إِلَيْهِ نَسَى ، حِكَاةً لِقَتْرِي وَكَذَلِكَ الْعَلَبَرِيُّ . أَيْ وَإِنْ يَرْضَى بِأَعْدَاءِ هَؤُلَاءِ  
الْكُفْرَةِ مِنْ آيَاتٍ ، وَيُثَاقِفُوا رُسُلَ ، وَيَطِيعُوا إِبْلِيسَ ، فَقَدْ نَسَى ذَلِكَ أَيُّوْمَهُمْ آدَمَ . قَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهَذَا التَّأْوِيلُ ضَعِيفٌ ، وَذَلِكَ كَوْنُ آدَمَ مَثَلًا لِلْكَفَّارِ الْإِلَاحِدِينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ ،  
وَأَدَمَ إِنَّمَا عَصَى بِتَأْوِيلٍ ، فَتَى هَذَا غَضَاظَةً عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا الظَّاهِرُ فِي الْآيَةِ  
إِنَّمَا أَنَّ يَكُونَ أَبْنَاءَهُ قَصَصَ لَا تَعْلُقُ لَهُ بِمَا قَبْلَهُ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَجْعَلَ تَعْلُقَهُ أَنَّهُ لَمَّا عَهِدَ إِلَى عَدِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَجْعَلَ بِالْقُرْآنِ ، مِثْلَ لَهُ يَنْبَغِي قَبْلَهُ عَهِدَ إِلَيْهِ نَسَى فَنُورِبَ ، لِيَكُونَ  
أَشَدَّ فِي التَّحْذِيرِ ، وَأَيُّظُنُّ أَنَّ الْعَهْدَ إِلَى عَدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَهْدَ هَاهُنَا فِي مَعْنَى الْوَحْيَةِ ؛  
«وَنَسَى» مَعْنَاهُ تَرَكَ ، وَنَسْيَانُ التَّهْوِيلِ لَا يُمْكِنُ هُنَا ، لِأَنَّهُ لَا يَتَعْلَقُ بِالنَّسْيِ غَضَابٌ . وَالْعَزَمُ  
الْمَعْنَى عَلَى الْمُتَعَدِّ فِي أَيْ شَيْءٍ كَانَ ؛ وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ كَانَ يُتَعَدَّى أَلَّا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ  
لَكِنْ لَمَّا وَسَّوسَ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ لَمْ يَعْزَمْ عَلَى مُتَعَدِّهِ . وَالشَّيْءُ الَّذِي عَهِدَ إِلَى آدَمَ هُوَ أَلَّا يَأْكُلَ  
مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَأَمَّا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ مَدَّوْلَهُ . وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ( وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ كَمَرُماً )  
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَتَقَادَرُ : لَمْ يُحْدِثْ لَهُ صَبْرًا عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ ، وَسَوَاطِئَ عَلَى الْقِرَامِ الْأَمْرِ . قَالَ

التسليم : وكذلك هو في اللغة ؛ يقال : فلان عزم أي صبر وثبت على التحفظ من المعاصي حتى يعلم منها ، ومنه « فَأَصْبَرَ كَاصْبِرَ أَلَوُ الْقُرْعِ مِنَ الرُّسْلِ » . ومن ابن عباس أيضا وصية السوفى : حفظ لما أمر به ، أي لم يحفظ عما نهى عنه حتى نسي ، وذهب عن طم ذلك بترك الاستدلال ؛ وذلك أن إبليس قال له : إن أكلتها خلّدت في الجنة ، يتنى من تلك الشجرة ، فلم يطمع فدعا إلى نظير تلك الشجرة مما دخل في عموم البهي وكان يجب أن يستدل عليه فلم يفصل ؛ وظن أنها لم تدخل في البهي فأكلها فأوبلا ، ولا يكون تابيا للشيء من يعلم أنه مصيبة ، وقال ابن زيد : « عزما » محافظة على أمر الله . وقال الضحاك : عزمة أمر . ابن كيسان : إصرارا ولا إضرارا للعود إلى الذنب . قال القشيري : والأول أقرب إلى تأويل الكلام ؛ ولهذا قال قوم : آدم لم يكن من أول العزم من الرسل ؛ لأن الله تعالى قال : « وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا » . وقال المعظم : كل الرسل أولو العزم ، وفي الخبر : « ما من نبي إلا وقد أخطأ أومم بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريا » . فخرج آدم بسبب خطيئته من جملة أولي العزم فخرج جميع الأنبياء سوى يحيى . وقد قال أبو أمامة : لو أن أحلام بني آدم جمفت منذ خلق الله الخلق إلى يوم القيامة ، ووضعت في كفة ميزان ، ووضع جلم آدم في كفة أخرى (رحمهم) ، وقد قال الله تبارك وتعالى : « وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا » .

قوله تعالى : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّ ۙ فَقُلْنَا بِنُتَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْتَى ۚ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۚ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۝

قوله تعالى : ( وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّ ۙ ) تقدم في البقرة مستوفى . ( فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا ) هي ، وبجاءه :

لا يعلما منه فيكون ذلك سببا لخروجكما ( مِنَ الْجَنَّةِ ) . ( قَسَقَ ) بنى أنت وبذلك لانهما  
 في استواء أنفسه واحد ، ولم يزل : قسقا ، لأن اللغى معروف ، وأدم عليه السلام هو  
 الناطق ، وهو المقصود . وأيضا لما كان الكلد عليها والكاسب لما كان الشفاء اخص .  
 وليل : الإخراج واقع عليهما والشفاة على آدم وحده ، وهو شفاة البدن ، ألا ترى أنه عقبه  
 بقوله : « إِنَّكَ أَنتَ أَجْمُوعٌ فِيهَا وَلَا تَمُوتُ » أي في الجنة « وَأَنْتَ لَا تَطْمَأْنِنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى »  
 نعلمه أن له في الجنة هذا كله : الكسوة والطعام والشراب والمسكن ، وأنت إن ضمنت  
 الروية ، وأعطيت المدة أنخرجكما من الجنة ففشتت بها ونصبا ، أي جئت وهرئت وطمئت  
 وأصابتك الشمس ، لأنك ترد إلى الأرض إذا أخرجت من الجنة . وإنما حصه بذكر الشفاء  
 ولم يقل قسقيان ، يسلمنا أن خفة الزوجة على الزوج ، فمن يومئذ جرت خفة النساء على  
 الأزواج ، فلما كانت خفة حواء على آدم كذلك ففشتت بآنها على بنى آدم بحق الزوجة . وأعلنا  
 في هذه الآية أن الخفة التي يحب المرأة على زوجها هذه الأربعة : الطعام والشراب والكسوة  
 والمسكن ، فإذا أعلنا هذه الأربعة فقد خرج إليها من حقها ، فإن فضل بعد ذلك فهو  
 ماجور ، فاما هذه الأربعة فلا بد لها منها ، لأن بها إقامة المهجة . قال الحسن المراد بقوله :  
 « قَسَقَ » شفاء الدنيا ، لا يرى ابن آدم إلا ناصبا . وقال الفراء : هو أن يأكل من كد يديه .  
 وقال سعيد بن جبير : أبطأ إلى آدم تور أحمر فكان يحتر عليه ، ويمسح العرق من جبينه ،  
 فهو شفاؤه الذي قال الله تبارك وتعالى . وقيل : لما أبطأ من الجنة كان من أول شفاؤه  
 أن جبريل أنزل عليه حبات من الجنة ، فقال : يا آدم أزروع هذا ، فحرت وزرع ، ثم حصده  
 ثم درس ثم نقي ثم طمحن ثم عجن ثم خبز ، ثم جلس ليأكل بعد التعب ، فتدحرج رقيقه من  
 يده حتى صار أسفل الجبل ، وجرى وراه آدم حتى تعب وقصد عرق جبينه ، قال : يا آدم  
 فكذلك بوزنك بالتعب والشفاء ، ووزنك من بعدك ما كنت في الدنيا .

قوله تعالى : ( إِنَّكَ أَنتَ أَجْمُوعٌ فِيهَا وَلَا تَمُوتُ . وَأَنْتَ لَا تَطْمَأْنِنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى )

فيه مستعارة :

الأول : قوله تعالى : « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا » أى فى الجنة « وَلَا تَمُوتُ »  
 « وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا » أى لا تَظْمَأُ - والعظما العطش . « وَلَا تَفْجَى » أى تبرز للشمس  
 تجدد حرها . إذ ليس فى الجنة شمس ، إنما هو ظل ممدود ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع  
 الشمس . قال أبو العالية : نهار الجنة هكذا : وأشار إلى سائمة المصلين صلاة الفجر .  
 قال أبو زيد : فتح الطريق يَضْحُو ضَحْوًا إذا بدا لك وظهور . وَحَيْثُ وَحَيْثُ (بالكسر)  
 مَحَا عَرِثًا . وَحَيْثُ أيضا للشمس مَحَا ممدود بَرَزَتْ وَحَيْثُ (بالفتح) مثله ، والمستعمل  
 أَيْحَى فى اللتين جميعا ؛ قال عمر بن أبى ربيعة :

رَأَيْتُ رَجُلًا أَيْمًا إِذَا الشَّمْسُ قَارَضَتْ « تَيْفَسَحِي رَأْمًا بِالنَّيِّ تَبْخَسِرُ

على الحديث أن ابن عمر رأى رجلا ههما قد استظل ، فقال : أَيْحَى بن أحرمت له ، هكذا  
 يرويه المحدثون بفتح الألف وكسر الحاء من أُنْجَبِت . وقال الأصمى : إنما هو أَيْحَى بن  
 أحرمت له ؛ بكسر الألف وفتح الحاء ، مَنْ حَيْثُ أَيْحَى ؛ لأنه أسره بالبروز للشمس ؛  
 ومنه قوله تعالى : « وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَفْجَى » وائتد :

وَحَيْثُ لَهُ مَنَ اسْتَظَّلَ يَظْلُهُ « إِذَا الظُّلُّ أَثْبَى فى القُبَاةِ قَالِصَا

وقرأ أبو عمرو والكونيون إلا عاصما فى رواية إِبْرَكَعنه « وَأَنْتَ » بفتح الحزمة عطفا على  
 « أَلَّا تَجُوعَ » . ويعوز أن يكون فى موضع رفع عطفا على الموضع ، والمعنى : ولك أنك  
 لا تَظْمَأُ فيها ، الباقون بالكسر على الاستثناء ، أى كل العطش من « إِنَّ لَكَ » .

قوله تعالى : قَوْمٌ سَوَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ مِنْ أَدْنَى  
 شَجَرَةٍ أَخْضَرٍ وَمِنْكَ لَا بَيْتَ ﴿١٦﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا  
 وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْقِ الْجَنَّةِ وَصَوَّى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٧﴾  
 ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ نَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ) هتلم في « الأعراف » . ( قل ) بني الشيطان ( يَا آدَمُ هَـٰذَا هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْمُنْكَرِ لَا يُخَالِفُ ) وهذا يدل على الملكة ، دخل الجنة في جوف الحية على ما هتلم في « البقرة » بيانه ، وتقدم هناك تعيين الشجرة ، وما للعلماء فيها فلا معنى للإعادة . ( فَأَكَلَا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُمَا فَاغْلِبَا ) هتلم من ورق الجنة ) هتلم في « الأعراف » مستوفى . وقال الفراء : « وطيفاً » في الرمية أثبلاً ؛ قال وقيل : « صلاً يصفان طيفاً ورق التين » .

قوله تعالى : ( وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ) فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : « وَعَصَى » هتلم في « البقرة » القول في ذنوب الأنبياء . وقال بعض المتأخرين من علمائنا والذي ينبغي أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ، ونسبها إليهم ، وعاتبهم عليها ، وأخبروا بذلك عن هوسهم ، وتبصّلوا منها ، وأستغفروا عنها وتابوا ، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل مجتاهداً ، وإن قبل ذلك آحادها ، وكل ذلك مما لا يزى بمناصبهم ، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة التدور ، وعلى جهة الخطأ والسيئ ، أو تأويل دما إلى ذلك ، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنة ، وفي حقهم سيئة بالنسبة إلى مناصبهم ، وعلو أقدارهم ، إذ قد يؤخذ الوزير بما يتاب عليه الناس ، فاستغفروا من ذلك في موقف القيامة ، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة . قال : وهذا هو الحق . ولقد أحسن الجني حيث قال : حسنة الأبرار سيئات المقرين ، فهم — صلوات الله وسلامه عليهم — وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ، ولا قدح في رتبهم ، بل قد تلافاهم ، وأجباهم وهداهم ، ومنحهم وزكاهم وأخترهم واصطفاهم ؛ صلوات الله عليهم وسلامه .

الثانية — قال القاضي أبو بكر بن العربي : لا يجوز لأحد من اليوم أن يفتخر بذلك عن آدم إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه ، أو قول نبيه ، فلما أن يندى ذلك من قبل (١) راجع ج ٧ ص ١٧٧ وما بعدها طيبة أو ثانية . (٢) راجع ج ١ ص ٥٠ طيبة ثانية أو ثالثة . (٣) راجع ج ١ ص ١٨٠ وما بعدها طيبة أولى أو ثانية . (٤) راجع ج ١ ص ٨٠ طيبة ثانية أو ثالثة .

نفسه فليس يماثلنا في آياتنا الأدين إياه المائلين لنا، فكيف في إيماننا الأندم الأعظم الأكرم  
الذي المقدم، الذي عثره الله سبحانه وتعالى وتاب عليه وغفر له .

قلت : وإذا كان هذا في المخلوق لا يجوز، فالإخبار عن صفات الله عز وجل كاليد والرجل  
والإسبع والجنب والتدول إلى غير ذلك أولى بالنع ، وأو لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك  
إلا في أثناء قراءة كتابه أو سنة رسوله ، ولهذا قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : من  
وصف شيئا من ذات الله عز وجل مثل قوله : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَثْلُوهَ » فأنشأ يده  
إلى عنقه قطعت يده ، وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه ؛ لأنه شبه الله تعالى بنفسه .

الثالثة - روى الأئمة واللفظ [ لمسلم<sup>(١)</sup> ] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيتنا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم  
يا موسى أصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك يده يا موسى : أنلوني على أمر فقدره الله  
على قبل أن يخلقني بأربعين سنة خُجَّ آدم موسى ثلاثا<sup>(٢)</sup> » قال المولب فبرله : « لحج آدم  
موسى » أي قلبه بالهجة . قال الليث بن سعد إنما صححت الهجة في هذه القصة لآدم على موسى  
عليهما السلام من أجل أن الله تعالى قد غفر لآدم خطيئته وتاب عليه ، فلم يكن لموسى أن  
يعبره بخطيئته قد غفرها الله تعالى له ؛ ولذلك قال آدم : أنت موسى الذي آتاك الله التوراة ،  
وفيها علم كل شيء ، فوجدت فيها أن الله قد قدر عليّ المعصية ، وقدر عليّ الثوبة منها ، واسقط  
بذلك اللوم عني أنلوني أنت والله لا يلومني ؛ وبمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له :  
إن عثمان فر يوم أحد ؛ فقال ابن عمر : ما على عثمان ذنب ؛ لأن الله تعالى قد عفا عنه بقوله :  
« وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ » . وقد قيل : إن آدم عليه السلام أب وليس تمييزه من بَرِّه أن لو كان  
ما يبرِّه غيره ؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول في الأيوين الكافرين : « رَصَّاحِهِمْ فِي الدُّنْيَا  
مَعْرُورًا » ولهذا إن إبراهيم عليه السلام لما قال له أبوه وهو كافر : « لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُكَ  
وَأَحْمُرَنَّ مِثْلًا » قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ » فكيف باب هو نبي قد أجاباه ربه وتاب عليه وحدي .

(١) في الأصول : اللفظ البخاري . والتصحيح عن صحيح مسلم .

(٢) ثلاثا : أي قال النبي صلى الله عليه وسلم « لحج آدم موسى » ثلاث مرات .

الرابسة - وأما من عمل خطايا ولم تاته المغفرة، فإن العلماء مجمعون على أنه لا يجوز له أن يحتج بحجة آدم، فيقول تلوني بل أن قلت أو زنت أو سرت وقد قتل الله على ذلك، والأمة بحجة علي جواز حمد الحسن على إحصائه، ولوم السيء على إساءته، وتعدد ذنوبه عليه.

الخامسة - قوله تعالى : ( فتوى ) أى ففسد عليه عيشه، حكاه النقاش واختاره القشيري . وسعت شيخنا الأستاذ المقرئ أبا جعفر القرطبي يقول : « فتوى » ففسد عيشه بقرنه إلى الدنيا، والتي العباد، وهو تأويل حسن، وهو أولى من تأويل من يقول : « فتوى » معناه ضل، من التى الذى هو ضد الرشد . وقيل : معناه جهل موضع رشد، أى جهل أن تلك الشجرة هى التى نهى عنها، والتي الجهل . وعن بعضهم « فتوى » فتيش من كثرة الأكل، الزعشوى : وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما فيها ألفاء، فيقول فى تى وتى : تى وتى وهم بنو طى تخسرخبت .

السادسة - قال القشيري أبو نصر قال قوم يقال : عصى آدم وغوى ولا يقال له عاص ولا غاوى، كما أن من خاط صه يقال له : خاط، ولا يقال له خاط ما لم تنكر منه الخاطئة . وقيل : يجوز للسيد أن يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره أن يطلقه، وهذا تكلف وما أضيف من هذا إلى الأنبياء، إما أن تكون صفاته، أو ترك الأولى، أو قبل النبوة .

قلت : هذا حسن، قال الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى : كان هذا من آدم قبل النبوة، ودليل ذلك قوله تعالى : « ثُمَّ أَجْتَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَعَدَى » فذكر أن الأجابه والمدايه كانتا بعد المعصية، وإذا كان هذا قبل النبوة بخلاف عليهم الذنوب وجها واحدا، لأن قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم، فإذا بشهم الله تعالى إلى خلقه وكانوا مأمورين في الأداء معصومين لم يضرب ما قد سلف منهم من الذنوب . وهذا تيسر والله أعلم .

قوله تعالى : قَالَ أَهَطَّا مِنْهَا بِجَمِيعَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يُضِلُّ وَلَا يَسْتَقِ ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝

لَا رَبَّ إِلَّا حَسْرَتِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٦٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ  
أَيَّامُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٦٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ  
وَلَا يُوَفِّيْنَ بْعَآثِرَتِ رَيْءِهِ وَلَعَلَّآبُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى : { قَالَ أَهِيَاطَا مِنْهَا جَنِيْمًا } مخاطب آدم وإبليس . « منها » أى من الجنة .  
وقد قال إبليس : « أخرج منها مدّه وما مدحوراً » فلهذه أخرج من الجنة إلى موضع من  
السماء ، ثم أهبط إلى الأرض . { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } تقدم في « البقرة » أى أنت عدو  
للحية وإبليس وهما عدوان لك . وهذا يدل على أن قوله : « أهيطا » ليس خطابا لآدم  
وحواء ، لأنهما ما كانا متعادين ، وتضمن هبوط آدم هبوط حواء . { فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى }  
أى رشدًا وقرآنا حقا . وقد تقدم في « البقرة » . { قَدْ آتَيْنَا هُنَا } بنى الرسل والكتب .  
{ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ } قال ابن عباس : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل  
في الدنيا ، ولا يبقى في الآخرة ، وتلا الآية . وعنه : من قرأ القرآن وأتبع ما فيه هداه الله من  
الصلاة ، ووقاه يوم القيامة به الحساب ، ثم تلا الآية . { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي } أى  
دعوى ، وتلاوة كتابي ، والعمل بما فيه . وقيل : عما أنزلت من الدلائل . ويحتمل أن يحمل  
الذكر على الرسول ، لأنه كان منه الذكر . { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } أى عيشا ضيقا ، يقال :  
مقرل ضنك وهيش ضنك يستوى فيه الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث والجمع ، قال عنترة :  
إِنْ يُحَقِّقُوا أَكْزَرُوا وَإِنْ يُسَلِّحُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُلْقُوا بِضَيْكِ أَنْزِلْ .

وقال أيضا :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوُ مُمْتَلٍ مُّثْلُ . مثل إذا نزلوا بِضَيْكِ المسترل

وفرى « ضَنْكِي » على وزن فَعَّلَ : ومعنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة  
والتوكل عليه وعلى قسمته ، فصاحبه ينفق مما رزقه الله — عز وجل — بسباح وسهولة

(١) وأرجع به ١ ص ٣١٩ وما بعدها طبة ثانية أو ثالثة .

(٢) وأرجع به ١ ص ٣٢٨ طبة ثانية أو ثالثة .



و يبيش ميتا وانما كما قال الله تعالى : ﴿ قَلْبِي مَيِّتٌ حَيَّةٌ طَيَّةٌ ﴾ . وللعرض عن الذين  
 مستولٍ عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الأزداد من الدنيا، مسلط عليه الفتح، الذي  
 يقبض يده من الإغراق، فميشه ضنك، وحاله مظلمة، كما قال بعضهم : لا يمرض أحد من  
 ذكره إلا أظلم عليه وقته، وتوشوش عليه رزقه، وكان في عيشه ضنك . وقال حكمة :  
 « ضَنَّاكَ » كسا حراما . الحسن : طعام الفريع والزقوم . وقول رابع وهو الصحيح أنه  
 مذهب القبر ، قاله أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود، ورواه أبو هريرة مرفوعا عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه في كتاب « الذكرة » ؛ قال أبو هريرة : بضيق على  
 الكافر قبله حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهو للميشة الضنك . ( وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمِّي )  
 قيل : أُمِّي في حال وبغيرها في حال ؛ وقد تسلم في آخره سبحانه . وقيل : أُمِّي عن  
 الجحمة ؛ قاله مجاهد . وقيل : أُمِّي عن جهنم الخبير ، لا يتبدى شيء منها . وقيل : عن  
 الحيلة في دفع العذاب عن نفسه ، كالأُمِّي الذي لا حيلة له فجا لا يراه . ( قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي  
 أُمِّي ) أي بأى ذنب عاقبتني بالأمي . ( وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ) أي في الدنيا ، وكأنه يظن أنه  
 لا ذنب له . وقال ابن عباس ومجاهد : أي « لِمَ حَشَرْتَنِي أُمِّي » عن حقيق « وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا » .  
 أي حالاً بصحفي ، القشيري : وهو بعيد إذ ما كان للكافر حجة في الدنيا . ( قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ  
 آيَاتُنَا ) أي قال الله تعالى له : « كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا » أي دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا .  
 ( فَفَسِحْتَ ) أي تركتها ولم تنظر فيها ، وأعرضت عنها . ( وَكَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ تَكُنُ ) أي ترك  
 في العذاب ؛ يريد جهنم . ( وَكَذَلِكَ يُجْزَى مَنْ أَسْرَفَ ) أي وكما جزينا من أعرض عن  
 القرآن ، وعن النظر في المصنوعات ، والتفكر فيها ، وجاوز الحد في المعصية . ( وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ  
 رَبِّهِ ) أي لم يصدق بها . ( وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ ) أي أنقطع من الميشة الضنك ، وعذاب  
 النيران . ( وَأَبْقَى ) أي أدام وأثبت ؛ لأنه لا يتقطع ولا ينقضي .

(١) ميش أرغ ورائغ ورفغ ؛ نصيب واسع طيب .

(٢) رابع ١٠٧ ٢٢٣ طبة أولاد أوتانة .

قوله تعالى : أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْفُرْقَانِ يَمْشُونَ  
فِي مَكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْنِ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٧٧﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ  
الْيَلِّ فَسَبِّحْ وَاطَّرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى : ( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ) يريد أهل مكة ، أى أظلم يبين لهم خبر من أهل مكة  
قبلهم من الفرون يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة طلب المصلحة ، فيرون  
بلاد الأمم الماضية ، والقرون الخالية ثانوية ، أى أفلا يخافون أن يعمل بهم مثل ما عمل بالكفار  
قبلهم . وقرا ابن عباس والثعلبي وغيرها « تدبَّر لهم » بالنون وهى عين . و « يد » بالياء  
مشكل لأجل الفاعل ، فقال الكوفيون : ( كَمْ ) الفاعل ، الحاس : وهذا خطأ ، لأن « كَمْ »  
استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها . وقال الزجاج : المعنى أولم يدب لهم الأمر بإحلاسكم من  
أهلكا . وحقيقة « يد » يدل على المدي ، فالفاعل هو المدي تحذيره : أقم يد المدي لهم ؛  
قال الزجاج : « كَمْ » في موضع نصب بـ ( أهلكا ) .

قوله تعالى : ( وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ) فيه توبيخ وتأخير ، أى ولولا  
كلمة سبقت من ربك وأجل يسمى لكأن لزما ، قال قتادة . والالزام الملازمة ؛ أى لكأن  
الغالب لازما لهم . وأضمر اسم كان . قال الزجاج : ( وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ) غطف على « كلمة » .  
قتادة : والمراد القيامة ؛ وقاله التتبي . وقيل : تأخيرهم إلى يوم بدر .

قوله تعالى : ( فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ) أمره تعالى بالصبر على أقوالهم : إنه ساحر ؛  
إنه كاهن ؛ إنه كذاب ؛ إلى غير ذلك . والمعنى : لا تحفل بهم ؛ فإن لسانيهم وقتا مضروبا  
لا يتقدم ولا يتأخر . ثم قيل : هذا منسوخ بآية القتال . وقيل : ليس منسوخا ؛ إذ لم  
يتأصل الكفار بعد آية القتال بل بقي المعظم منهم .

قوله تعالى : ( وَنَسِجَ يَجِيدَ وَبِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ) قال أكثر المتأولين : هذا إشارة إلى الصلوات الخمس . قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : صلاة الصبح ( وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ) صلاة العصر ( وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ ) العشاء ( وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ) المغرب والمغرب ، لأن الظهور في آخر طرف النهار الأول ، وأول طرف النهار الآخر ، فهي في طرفين منه ، والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب . وقيل : النهار ينقسم قسمين فصلها الزوال ، ولكل قسم طرفان ، فبعد الزوال طرفان ، الآخر من القسم الأول والأول من القسم الآخر يقال عن الطرفين أطرافا على نحو : وَقَدْ صَنَعَ قُلُوبَكُمْ . وأشار إلى هذا النظر ابن فورك في المشكل . وقيل : النهار ينجس فلكل يوم طرف ، وهو إلى جمع لأنه يعود في كل نهار . وآتاء الليل : ساعاته وواحد الآتاء إلى وإلى وإلى . وقالت فرقة : المراد بالآية صلاة التطوع ، قاله الحسن . قوله تعالى : ( تِلْكَ رُضًى ) فتح الله ، أى تلك كتاب على هذه الأعمال بما رضى به . وقرأ الكسائي وأبو بكر عن ماصم : رُضًى « بضم اللام ، أى تلك تطلى ما يرضيك » .

قوله تعالى : وَلَا تَحَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا مَعْنُ رِزْقِكَ وَالْعَمِيَّةُ لِلتَّحَوُّنِ ﴿١٣٢﴾ قوله تعالى : ( وَلَا تَحَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ ) وقد تقدم معناه في « الحجر » . ( أَزْوَاجًا ) مقبول . « مَتَّعْنَا » . و ( زَهْرَةَ ) نصب على الحال . وقال الزجاج : « زهرة » منصوبة بمعنى « مَتَّعْنَا » لأننا جعلنا لم الحياة الدنيا زهرة ، أو جعل مضمير وهو « جعلنا » أى جعلنا لم زهرة الحياة الدنيا ، عن الزجاج أيضا . وقيل : هو بدل من الماء في « به » على الموضع ، كما تقول : مررت به أخاك . وأشار الفراء إلى نصب على الحال ، والمابل فيه « مَتَّعْنَا » قال : كما تقول مررت به المسكين ، وقدره : « متعام به زهرة الحياة في الدنيا وزينة فيها » . ويجوز أن ينتصب على المصدر مثل « ضَحَّ الله » و « وَعَدَ الله » وفيه ( ١ ) راجع به ١٠ ص ٦١ وما بعدها طبعه أول أو ثانية .

نظر . والأحسن أن يخصب على الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة ؛  
كما قرئ « وَلَا أَيْلُ سَائِي النَّهَارِ » ينصب النهار بنائب على تقدير حذف التنوين لسكونه  
وسكون اللام ، وتكون « الحياة » مخفوضة على البدل من « ما » في قوله : « إِلَى مَا مَتَعْنَا  
بِهِ » فيكون التصدير : وَلَا تَحْذَرُ عَيْنُكَ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا زَهْرَةً أَى فِي حَالِ زَهْرَتِهَا .  
ولا يحسن أن يكون « زهرة » بدلا من « ما » على الموضع في قوله : « إِلَى مَا مَتَعْنَا » لأن  
« لِنَتَّيْنَهُمْ » متعلق بـ « مَتَعْنَا » و « زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » بمعنى زيتها بالنبات . والزُّهْرَةُ ،  
بالفتح في الزَّيِّ والماء ثور النبات . والزُّهْرَةُ بضم الزاي وفتح اسم النجم . وبنو زُهْرَةَ  
يسكنون الماء ؛ قال ابن عزيز . وقرأ عيسى بن عمر « زَهْرَةً » بفتح الماء مثل نهر ونهر .  
ويقال : سراج زاهر أى له برق . وزهر الأشجار ما يزورق من ألوانها . وفي الحديث :  
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ الْقَوْمِ ؛ أى غير اللون ؛ يقال لكل شئ مستنير : زاهر ، وهو  
أحسن الألوان . ( لِنَتَّيْنَهُمْ فِيهِ ) أى لنيتيهم . وقيل : لتجعل ذاك فتنة لهم وخلا لا . ومعنى  
الآية : لَا تَجْعَلْ بِأَعْدَاءِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَنَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا . « وَلَا تَحْذَرُ » أبلغ من لا تتقرب ،  
لأن الذى يمد بصره ، إنما يحمله على ذلك حرص مقترن ، والذى ينظر قد لا يكون ذلك معه .  
مسئلة - قال بعض الناس : سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو رافع مولى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، قال : نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلنى عليه السلام  
إلى رجل من اليهود ، وقال قل له يقول لك عهد : نزل بنا ضيف ولم يبق عندنا بعض الذى  
يصلحه ؛ فبئنى كذا وكذا من الدقيق ، أو أسلفنى إلى هلال رجب فقال : لا ، إلا برهن .  
قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « واه إلى لأمين في السماء  
أمين في الأرض ولو أسلفنى أو بلعنى لأذيت إليه اذهب يدعى إليه » ونزلت الآية تمزية  
له عن الدنيا . قال ابن عطية : وهذا ممتزج أن يكون نبيا ؛ لأن السورة مكية والقصة  
المذكورة مدنية في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى  
بهذه القصة التى ذكرت ؛ وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها ، وذلك أن الله تعالى

لأنهم على ترك الاعتبار بالآثم السالفة ثم توعدهم بالسخط المؤجل ، ثم أمر نوح بالاحتياط  
لأنهم ، والصبر على أحوالهم ، والإعراض عن أمورهم وما في أيديهم من الدنيا ، إذ ذلك  
منصرف منهم حائر إلى غيرى .

قلت : وكذلك ما روى عنه عليه السلام أنه مرّ بإبل بن المصطلق وقد ميسر<sup>(١)</sup>  
في أبراما [وأبادهما] من السن فتفتح بشويه ثم مضى ، فقله عز وجل : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ  
إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ زُورِئًا مِنْهُمْ » الآية . ثم سلّاه فقال : ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ جَنَّةً نَافِئَةً ﴾ أى ثواب  
الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا أولى ، لأنه يبق والدنيا تفتى . وقيل : معنى بهذا الرزق  
ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والثنا .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا أَهْلُكَ ﴾ بالصلاة ، أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم ،  
ويصطبر عليها ويلزمها . وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع  
أهله ، وأهل بيته على التخصيص . وكان عليه السلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح  
إلى بيت فاطمة وعلى رضوان الله عليها فيقول : « الصلاة » . وروى أن مروان بن الزبير  
رضي الله عنه كان إذا رأى شيئا من أخبار السلاطين وأحوالهم يادر إلى منزله فدخله ،  
وهو يقرأ « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ » - الآية - إلى قوله : « وَأَتَيْنَ » ثم يتأدى بالصلاة :  
الصلاة برحمك الله ، ويصلى . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة  
الليل ويصلى وهو يمتثل بالآية .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا ﴾ أى لا تسلك أن ترزق نفسك وإياهم ، وتشتغل عن  
الصلاة بسبب الرزق ، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم ، فكان عليه السلام إذا نزل بأهله  
ضيق أسرمهم بالصلاة . وقد قال الله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .  
مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ » .

قوله تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ أى الجنة لأهل التقوى ، معنى العاقبة المحمودة .  
وقد تكون للتقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالممدومة .

(١) حيث في أبراما : هو أن نجف أبرامسا وأبادهما على أنجاد ما وذلك إما يكون من القسم :

(٢) الزيادة من « النباية » لابن الأثير .

فوله تعالى : وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّنَا أَوْ لَرَأَيْنَاهُمْ بَيِّنَةً  
 مَا فِي السَّحَابِ الْأُولَى (١٣٦) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ  
 لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزَلَ  
 وَنُخْزَى (١٣٧) قُلْ كُلُّ مَرْبُوعٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ  
 السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٨)

فوله تعالى : ( وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّنَا ) يريد كفار مكة ؛ أي لولا ياتينا بحد  
 بآية نوجب السلم الضروري . أو بآية ظاهرة كالناقة والمعصا . أو هلا ياتينا بالآيات التي  
 تقرحها نحن كما أتى الأنبياء من قبله .

قال الله تعالى : ( أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي السَّحَابِ الْأُولَى ) يريد التوراة والإنجيل  
 والكتب المتقدمة ، وذلك أعظم آية إذ أخبر بها فيها . وقرئ « السَّحَابُ » بالتحفيف .  
 وقيل : أولم تأتاهم الآية الباطنة على نبوته بما وجدوه في الكتب المتقدمة من الإشارة . وقيل :  
 أولم تأتاهم إهلاكنا الأمم الذين كفروا وأتروا الآيات ، فأيدهم إن أنهم الآيات أن يكون  
 حاتم حال أولئك . وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وسقوط وإن أبي إسحق وحفص  
 « أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ » ببناء ثابيت الينة . الباقون بالياء لتقدم الفعل ؛ ولأن الينة هي اللسان  
 والبرهان فردوه إلى المعنى ، وأختره أبو عبيد وأبو حاتم . وحكى الكسائي « أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ  
 مَا فِي السَّحَابِ الْأُولَى » قال : ويجوز على هذا « بَيِّنَةٌ مَا فِي السَّحَابِ الْأُولَى » . قال  
 النحاس : إذا نوت « بينة » ورفعت جعلت « ما » بدلا منها ، وإذا نصبها فعل الحال ؛  
 والمعنى : أولم ياتهم ما في السحاب الأولى مبينا .

فوله تعالى : ( وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ) أي من قبل بنة محمد صلى الله عليه  
 وسلم ونزول القرآن ( قَالُوا ) أي يوم القيامة ( رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ) أي هلا  
 أرسلت إلينا رسولا . ( فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزَلَ وَنُخْزَى ) وقرئ « نُنْزَلَ وَنُخْزَى » مل

ما لم يسم فاعله . وروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملائك  
 في الفترة والموتى والمولود قال : " يقول الملائك في الفترة لم يأتى كلب ولا رسول - ثم تلا -  
 « وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا - الآية -  
 و يقول الموتى رب لم نجعل لنا عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ويقول المولود رب لم أدرك العمل  
 مرفوع لم تار فيقول لم ردوها وأدخلوها - قال - فيردّها أو يدخلها من كان في علم الله  
 سبحانه لو أدرك العمل وبمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل فيقول الله تبارك  
 وتعالى إياي عصيت فكيف رسل لو أنكم " وروى موقوفاً عن أبي سعيد قوله ؛ وفيه نظر ؛  
 وقد بيناه في كلب والذكرة ؛ وبه أعتج من قال : إن الأطفال وغيرهم يحنون في الآخرة .  
 « فَتَبَيَّنَ » نصب يجر باب التخصيص . « آيَاتِكَ » يزيد ما جاء به عهد صلى الله عليه وسلم .  
 « مِنْ قَبْلِي أَنْ تَدُلَّ » أى في العذاب « وَتَحْزَى » في جهنم ؛ قاله ابن عباس . وقيل :  
 « مِنْ قَبْلِي أَنْ تَدُلَّ » في الدنيا بالعذاب « وَتَحْزَى » في الآخرة بعدائها . ( قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّعٍ )  
 أى قلم يلحق به عهد كل متربص ؛ أى كل المؤمنين والكافرين مشطرون دوائر الزمان ولئن يكون  
 النصر . ( تَرَبَّصُوا فَمَنْ لَمْ يُنَالِ مِنْ أَحْشَاءِ الْمَرَاطِ السَّوِي وَمَنْ أَحْتَدَى ) يريد الذين المستقيم  
 والهدى ؛ والمعنى : فستملكون بالنصر من أحتدى إلى دين الحق . وقيل : فستملكون  
 يوم القيامة من أحتدى إلى طريق الجنة . وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف  
 والتهديد ختم به السورة . وقرأ « فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » . قال أبو رافع : حفظته من رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ؛ ذكره الزمخشري . و « من » في موضع رفع عند الزجاج . وقال القرطبي :  
 يجوز أن يكون في موضع نصب مثل « وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ » . قال أبو إسحق :  
 هذا خطأ ؛ لأن الاستفهام لا يصل فيه ما قبله ، و « من » ما هنا استفهام في موضع رفع  
 بالأبناء ؛ والمعنى : فيستملكون أصحاب المراتب السوي نحن أم أمهم ؟ قال النحاس : والعراء  
 يذهب إلى أن معنى « مَنْ أَحْشَاءُ الْمَرَاطِ السَّوِي » من لم يصل . وإلى أن معنى « وَمَنْ  
 أَحْتَدَى » من ضل ثم أحتدى . وقرأ يحيى بن يعمر وعاصم الجهمي « فَيَسْمَلُونَ مِنْ أَحْشَاءِ »

الصَّراطِ السُّوْيِ « بتشديد الواو بعدها ألف التانيث على قُلِّ بِشِيرْ هَمْزَةٌ ؛ وتانيث الصراط  
 شاذ قليل ، قال الله تعالى : « أَهْدِنَا الصَّراطَ الْمُسْتَقِيمَ » بقاء . ذكرنا في هذا وفي غيره ، وقد  
 ورد هذا أبو حاتم قال : إن كان من السَّوْءِ وجب أن يقال السُّوْيِ وإن كان من السَّوَاءِ وجب  
 أن يقال : السَّيِّئُ بكسر السين والأصل السُّوْيَا . قال الزمخشرى : وقرئ « السَّوَاءُ » بمعنى  
 الوسط والعدل ، أو المستوي . التماس : وجواز قراءة يحيى بن يسمر وإنجدرى أن يكون  
 الأصل « السُّوْيِ » والساكن ليس بحاجز حصين ، فكأنه قلب الهمزة ضمة فأبدل منها واوا  
 كما تبدل منها ألف إذا انفتح ما قبلها . تمت والحمد لله وحده .









